

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اسم المؤلف : السيد عمار الحكيم

عنوان الكتاب : خطاب الاعتدال والبناء

موسوعة الكلمات والمحاضرات واللقاءات المجتمعية
والإعلامية والبيانات للسيد عمار الحكيم لعام (٢٠١١)

الطبعة الثالثة : ٢٠٢٢

الطبعة الثالثة المنقحة والمزودة

الترقيم الدولي : ISBN: 978-9922-914-22-0

العراق - بغداد - الجادرية جسر ذي الطابقين

شارع المتنبي - مقابل مقهى الشابندر - قرب مصرف الرشيد

07813614106

inky.publishing@gmail.com



خطاب الاعتدال والبناء

موسوعة الكلمات والمحاضرات
واللقاءات المجتمعية والإعلامية
والبيانات للسيد عمار الحكيم

لعام (٢٠١١)

الجزء الثالث



المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ،
وصحبه الأخيار المنتجبين . .

هذا هو الجزء الثالث من الموسوعة الشاملة «خطاب الاعتدال والبناء» لتوثيق
محاضرات وخطب وأنشطة رئيس تيار الحكمة الوطني سماحة السيد عمار الحكيم ،
وقد احتوى هذا الجزء مجمل ما ألقاه سماحته من محاضرات وخطب وكلمات في العام
٢٠١١ ، سواء في الملتقى الثقافي الأسبوعي أو الأمسيات التي يقيمها في شهري رمضان
ومحرم .

وقد قمنا بتبويب مادة هذه الموسوعة ضمن عدة فصول ، بدءا بالملتقيات الثقافية ، ثم
المحاضرات التي أقيمت في أماسي شهر رمضان والتي بلغت اثنتين وعشرين أمسية . .
وليالي محرم الحرام .

وأخيرا نأمل أن يكون هذا الجهد متواصلا مع الجهد السابق لموسوعة ٢٠١٠ ، مكللا
بإنجاح الغاية والمقصد من وراء هذه العملية في توثيق خطب وكلمات وأنشطة رئيس تيار
الحكمة الوطني سماحة السيد عمار الحكيم أعزه الله . .

والله ولي التوفيق

مؤسسة إنكي للدراسات والبحوث



الملتقيات الثقافية



الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١١/٢/٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين ،
حبيب إله العالمين أبي القاسم المصطفى محمد ، اللهم صل على محمد وعلى أهل بيته
الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

ترحيب وإشادة

سادتي الأفاضل إخوتي الأكارم أخواتي الفاضلات ، بدايةً أرحب بكم أجمل ترحيب
في مجلسكم هذا ، مجلس أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وقد توقف
هذا الملتقى الثقافي على مدار الشهرين الماضيين ، احتراماً لشعائر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ
وانسجاماً معها ، وتفرغاً للمجالس الحسينية التي تعقد في هذين الشهرين ، كما هي
في السنة التي ألفناها في كل عام ، والتي يتوقف خلالها هذا الملتقى في شهري محرم
وصفر ، وكلي شكر وتقدير للتساؤلات الكثيرة التي طرحت في المدة السابقة عن سبب
توقف هذا الملتقى ، والرغبة في استمراره .

ونسأل الله أن يعيننا على أن يبقى هذا الملتقى خطوة ولبنة في بناء رؤية واتخاذ خطوة
سليمة نحو الأمام في بناء العراق ، وفي التبصر في شؤون ديننا ودياننا . لا بد لي من الإشادة
بطبيعة الموقف النبيل الذي لاحظناه من أبناء شعبنا في شهري محرم وصفر ، والمتمثل
بإحيائهم لشعائر الحسين ، بدءاً باستشهاد سيد الشهداء وصولاً إلى مناسبة الأربعين ،
والحشود المليونية التي ساهمت وشاركت بفاعلية كبيرة في هذه المسيرة ، وعبرت عن
ولاء صادق لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولأهل بيته الكرام عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . لقد كانت صورة
مدهشة لجميع العالم وهم يرون هذه الملايين بالرغم من التحديات الأمنية ، وهي تسير

مشياً على الأقدام وتقطع مئات الكيلومترات للتعبير عن هذا الولاء الصادق للحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأهل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة. وقلنا إن عهد أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه لمالك الأشر يختزل هذه النظرية في وثيقة تاريخية معروفة، هذه النظرية وضعت لتحديد طبيعة العلاقة بين المتصدي للمسؤولية وعموم الناس الذين يكونون تحت هذه المسؤولية، وقلنا إن الضوابط والإطار الموضوع في هذه النظرية لا تختص بمستوى قيادي معين، فلا تختص بالأمير والزعيم والرئيس والوزير وما إلى ذلك، وإنما هي ضوابط تشمل كل منظومة قيادية، بدءاً من الأسرة التي تنتظم في عدد قليل من الناس من الأب والأم والأولاد، ويكون هناك مسؤول يدير هذه الأسرة، وعليه أن يتحلى بهذه المواصفات والسمات، وصولاً إلى مدير شركة أو مصنع أو متجر أو أية مهمة من المهام، وانتهاء بالمواقع الحساسة.

وبطبيعة الحال كلما كانت المنظومة القيادية أوسع، كانت المسؤولية أوسع على المسؤول، وعلى من هو على طائفة المسؤولية وصولاً إلى أن يكون الإنسان مسؤولاً عن شعب وأمة من الناس، فتنتظم هذه العلاقة بين الحاكم والرعية، فالضوابط والإطار والمواصفات والسياقات لا تختص بمنظومة من دون أخرى أو بمستوى قيادي دون آخر.

وتناولنا في اللقاءات السابقة جملة من التوجيهات التي قدمها أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه للمواصفات الشخصية للمتصدي لأي من مستويات المنظومة القيادية، ثم انتقلنا للحديث عن توجيهات أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في التعامل مع الرأي العام، وكيف يجب على المسؤول أن يهتم بالانطباعات والتصورات التي تطرح في الرأي العام لتقييم موقعه القيادي أو مسؤوليته أينما كانت، ومن اليوم نبدأ من المفصل الثالث من مفاصل هذا العهد، ومن الوثيقة التاريخية المهمة التي يستعرض فيها أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه توجيهاته بخصوص العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وبين المسؤول والرعية وبين المسؤول ومن هو مسؤول عنهم في المستويات المختلفة في هذه المنظومات القيادية.

العلاقة بين المسؤول والأمة

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم، ولا تكونن عليهم سُبعا ضاريا تغتنم أكلهم»^(١).

في هذه العبارة القصيرة يشير أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه إلى الأساس الذي تعتمد عليه المنظومة القيادية في الفهم الإسلامي؛ أي الأساس في الإدارة والقيادة، وهو الرحمة والشفقة واللين، وما يزرع الثقة بين المسؤول المتصدي والناس الذين يكونون تحت هذه المسؤولية.

إن العلاقة بينهما ليست علاقة تشفٍّ وانتقام واعتداء وسلطة ونفوذ وقمع وفرض للإرادات، وإنما هي علاقة المودة والمحبة والثقة والفهم المتبادل بين المسؤول ومن يقع تحت دائرة مسؤوليته. هذا هو الأصل العام إذن، فالأساس في المنظومة القيادية من وجهة نظر الإسلام هي حالة المودة والمحبة والشفقة والرعاية واللفظ في هذه العلاقة، وهنا لا بد من التركيز على مجموعة من الإضاءات في فهم هذا المبدأ المهم من مبادئ النظرية الإسلامية:

الإضاءة الأولى: هي موقع الرحمة والشفقة في المنظومة القيادية في الإدارة والحكم. فهنا إذا أردنا أن نتحدث عن إدارة صالحة وعن حكم عادل، فلا بد لنا من أن نقف عند طبيعة التعامل الذي يتعامل به المسؤول حينما يتصدى مع الآخرين.

إن الأساس في تنظيم هذه العلاقة هو الرحمة والشفقة، والقرآن الكريم حينما يتحدث عن المنظومة القيادية لرسول الله ث يؤكد على هذه الحقيقة في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٢). فالخطاب هنا موجه للرسول لتعريفه بحقيقة أن هذه الرحمة هي التي جعلته لينا في التعامل مع الناس، فلو لم تكن لينا وحسن التعامل مع الناس لما تحقق هذا النجاح وجعل الناس يلتفون من حولك ويؤمنون بك ويقاثلون تحت رايتك ويدافعون ويذبون عن الإسلام الذي رفعت شعاره، إن حقانية المشروع وحدها لا تكفي، فلو كنت فظاً غليظ القلب تميل إلى التعامل بشدة وقسوة لانفضوا من حولك.

إذن، فالرحمة واللين أصل مهم في عملية الإدارة والقيادة، فحقانية المشروع وعدالة

١. نهج البلاغة، ج ٣- ص ٨٤- الكتاب ٥٣

٢. سورة آل عمران: الآية ١٥٩

المتصدي له وتمتعه بالعدالة والمساواة غير كافية، إذ تبقى الحاجة الى اللين والرحمة والشفقة، كما هو في هذه الآية الشريفة: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٣)، حيث تتجلى أهمية إشراك الآخرين في اتخاذ القرار من قبل المسؤول، والآية تقول للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّكَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ بِفَضْلِ مَنْ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَكِنْ شَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ بِسُؤَالِهِمْ وَمِشَارِكْتِهِمْ، ثم بعد ذلك توكل على الله ليشعر الجميع بأنهم يتحملون المسؤولية في أداء الواجب.

المودة بين الحقيقة والتظاهر

إن الرحمة والمحبة واللين هي المبدأ الأساسي في القيادة والإدارة، وهذه المحبة يجب ألا تكون ظاهرية وشكلية يتصنعها المسؤول. لذا حين نقول إن المودة هي سرّ النجاح في المنظومة القيادية فلا نقصد التصنع والتظاهر بهذه المحبة، وإنما أن يعيش الإنسان هذه المحبة في وجوده وأن يعبر عنها في سلوكه وفي مواقفه تجاه الآخرين.

وهذه القضية واضحة، فهي ليست بقضية فلسفية أو قاعدة عقلية نريد أن نناقشها في دهاليز الجامعات والأروقة العلمية، وهي ليست بالقضية المعقدة التي نضعها على طاولة التشريح لدى النخب والمفكرين والعلماء، إنما هي قضية وجدانية يجب أن يجدها الإنسان المسؤول في نفسه، فقد تصدر عبارات تحمل دلالات الحب والرحمة واللين من مسؤول معين، كأن يكون وزيراً أو محافظاً أو شيخاً عشيرة، ولكن الناس لا تكاد ترى في سلوكه وأدائه ومواقفه وما يتخذه من قرارات ما ينبئ ويعبر عن هذه المحبة والمودة، ذلك أنها ليست محض ادعاء وليست تعابير ظاهرية من خلال الكلمات كما لو كانت شعراً أو نثراً، بل هي الشعور والإحساس الوجداني.

فلا بد للمتصدي من أن يعيش هذه الحالة، وأن يكون قادراً على التعبير الصادق عن هذه الأحاسيس الحقيقية. في بعض الحالات يظهر المتصدي المودة والمحبة ولكن ليس على خلفيات واقعية، وإنما تندرج هذه القضية ضمن الانتهازية السياسية كما نعبر عنها، فيحاول المسؤول التظاهر بالمحبة والتواضع وتجميل صورته والعناية بها.

أتذكر أيام المهجر أن منظمة عالمية دولية غربية جاءت إلى زيارة أحد مخيمات اللاجئين العراقيين، وبعد ذلك أخبرني أحد الحاضرين أن بعضهم نواب في برلمانات غربية، مصطحبين معهم الكاميرات والإعلاميين، وقاموا بتوزيع بعض الهدايا بين الفقراء

٣. سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

وسط ترتيبات معينة لإظهارهم بصورة طيبة، لا يمكن أن نعد ذلك تعبيراً عن المحبة، بل هي مواقف متصنعة لا تترك أثراً في النفوس، وما أكثر من يتظاهر ويتصنع التودد إلى الناس، ولكن بما أن جوهره وحقيقته خلاف ذلك، فهو لا يحمل في ضميره وفي وجدانه ومشاعره الحب للناس، تصبح كل هذه المواقف عبثية لا أثر لها كما يتمناها أصحابها. وهي تدرج في باب تطيب الخواطر والانتهازية.

وأنتم تجدون اليوم على الشاشات في بعض الدول نزول المسؤولين إلى الناس كي يتبسطوا معهم بعد اختفائهم لسنوات، وهي مواقف عابرة لا تقصدها النظرية الإسلامية، فهي لا تعني بالحالة الشكلية أو الانتهازية في المحبة، إنما النية الصادقة التي تسعى لأن توجد علاقة متجدرة وثقة حقيقية بين المسؤول ومن هو مسؤول عنهم.

الطريق إلى التكامل

إن من يريد أن يحب الآخرين لا بد من أن يسأل نفسه أولاً هل يحب نفسه؟، فمن لا يحب نفسه كيف يمكنه أن يحب الآخر؟! ولا نقصد هنا بحب النفس الأنانية والانشغال بالذات، كما في المسؤول الذي يخشى على امتيازاته المادية أو يخاف من التهديدات، بل ما نعنيه حب الذات الناجم من معرفة الذات وبالتالي السعي صوب كمالها وتطويرها والارتقاء بها للاتصال بالله سبحانه وتعالى. فإذا عرفت قيمة نفسك ستولد لديك الإرادة في أن ترقى وتتكامل، وإذا عرفت نفسك ستطلب لها الخلود والرفعة لا عبر الموقع والامتيازات والفرص الدنيوية الزائلة، حينها ستحب الآخرين وتتعامل معهم من منطلق أن الكمال لا يحصل إلا من خلال هذا التواصل مع الآخر.

اعرف نفسك حتى تنبثق الإرادة في طلب الكمال، والكمال أن يكون الإنسان سائراً في طريق صاعد نحو الله سبحانه وتعالى، وأن يكون الإنسان في علاقات متزايدة تجاه الآخرين، لذلك اعرف نفسك حتى تحبها، فإذا أحببتها أحببت الغير أيضاً، هذه هي القاعدة، إذا أحببت نفسك لا تقبل لها أن تكون أنانية ولا تقبل أن تكون فتوية شخصية، لا يمكن أن تحظى بامتيازات تغيب عن الآخرين ويحرمون منها.

إذن، ثمة فرق كبير بين صيانة الذات وحماية الذات التي قد تكون ناتجة عن الأنانيات، وبين حب الذات حبا حقيقيا، حبا إلهيا، فحب الذات لا يكون إلا بحب الآخرين، وهذه هي خريطة الطريق، اعرف نفسك وقيمتك حتى تحبها، وحتى تحب الآخرين حينما تتعرف على منزلتك ومقدارك.

استمالة القلوب

لاحظوا في نهج البلاغة قول أمير المؤمنين: «قلوب الرجال وحشية فمن تألفها أقبلت إليه»^(٤). أي نافرة، وقد ترون أن المسؤول دائما ما يكون متهما تطارده الأسئلة عن موقعه، وتكال إليه الاتهامات مهما كانت مسؤوليته، فالناس تنفر بطبيعتها منه، لكن من أوجد الألفة مع الآخرين اقتربت منه قلوبهم، حينها تصبح مقبلة مندفعة وقريبة من المسؤول، لذلك يجب على المتصدي لموقع المسؤولية أن يبالي في الألفة مع الناس والتقرب من قلوبهم.

وحين تحصل علاقة المودة والمحبة يصبح الالتزام بالقانون أمرا أسهل، ويظهر الناس التزاما بالضوابط والقوانين، وقد يتجلى ذلك في الموظف العامل في دائرة حكومية حين نراه مثابرا في عمله حتى بعد انتهاء الدوام الرسمي، قد يقال إن مثل هؤلاء عدد قليل، ونقول نعم لأن المنظومة لا تسير بالشكل السليم، ولأن المودة والمحبة وتحميل الآخرين المسؤولية وإشعارهم بها والتشاور معهم أمور غير متوفرة لدينا. نعرف أن هناك وزراء يمر الشهر والشهران ولا يجتمعون مع وكلائهم أو المدراء العاملين في وزاراتهم، لذلك نؤكد أنه إذا شعر العاملون في منظومة معينة أنهم مندفعون مؤمنون بهذه المنظومة القيادية وبالعامل الجماعي، فإنهم يعطون كل ما في وسعهم من أجل إنجاز العمل.

إذن، فالمحبة والمودة توجدان أجواء ومناخات وسياقات مختلفة في العمل، فلا يحتاج إلى وضع كاميرا تراقبه أتى أو لم يأت، ولا يحتاج إلى وضع جهاز يسجل متى دخل ومتى خرج، بل هو يعمل ليتجاوز الزمان والمكان، ويتجاوز الرواتب والحقوق، ويعمل لإنجاز تلك المهمة المناطة به. لذلك يقول أمير المؤمنين في نهج البلاغة: «التودد نصف العقل»^(٥)، لو أراد الإنسان أن يخطط ويضع برنامجا لإنجاز عمل ما فإن ٥٠٪ يعتمد على خطته وبرنامج، فيما يستطيع أن يحقق الـ ٥٠٪ الأخرى من خلال مشاعر المحبة والألفة التي توجد اندفاعا وقناعة وإيمانا بذلك العمل.

المحبة لإقناع الناس

إن الكثير من الإمكانيات ضريبة كبيرة ندفعها حتى يسير القانون، ولكي يلتزم الناس به، ولكن لماذا؟ لأننا ننظر إلى هذه العملية نظرة جوفاء بعيدة عن الأحاسيس والمشاعر التي تخلق لديهم القناعة والرغبة.

٤. نهج البلاغة، الحكمة ٥٠، ج ٤، ص ١٤

٥. نهج البلاغة، الحكمة ١٤٢

نرى في البلدان الأخرى وجود ناطق رسمي باسم الحكومة، يعلن كل الإجراءات التي تتخذها، وعلى جميع المواطنين الالتزام والطاعة، ونجد في جريدة الوقائع العراقية العديد من القرارات، وكلها بصياغات قانونية تبدأ باسم الشعب تقرر كذا وكذا، ولكن لا أحد يخرج ليعلم المواطنين بماهية الخلفية والأسباب والأخطار التي أدت إلى مثل هذه القرارات، ليعرف الناس أن المصلحة في الالتزام بها، كأن تكون أسبابا تتعلق بتحقيق الأمن والاستقرار وازدهار البلد، . غياب هذا الجانب يؤدي إلى وجود مساحة كبيرة من خرق القانون، ولكننا لو اهتممنا أكثر بالجانب المشاعري وأحاسيس الناس وقناعاتهم، لوجدنا الأمور تسير بكلفة أقل وبتنتائج أفضل .

الإنتاجية والجانب الإنساني

في الغرب وضمن الوسائل الحديثة في الإدارة والقيادة كانوا يضعون تصورات معينة، وينظرون إلى القضية نظرة مادية، ترتبط بزيادة الرواتب وخلق التنافس، فوضعت قوانين صارمة لتطبيق تلك الآراء لتحقيق نتائج أفضل، لكنهم راجعوا اليوم مثل هذه التصورات والسياسات ووجدوا ثمة نقصا يتعلق بالجانب الإنساني بين العاملين، واتضحت أهمية العلاقة بين المسؤول والعاملين، فمدير الشركة الناجح عليه أن يجلس مع موظفيه والعاملين لديه ويكسر جمود العلاقة بين الطرفين، من خلال مناقشة المشاكل التي تعترضهم وما هي الإجراءات التي يجب اتخاذها وما هي الأخطاء التي تكتنف العمل؟ .

إن التجارب تؤكد أن مثل هذا الاجتماع يقوي العلاقة الإنسانية بين العاملين، ولهذه تأثير كبير في تحقيق طفرات في العمل . إذن حتى في النظرة الغربية التي هي نظرة مصلحة عادة للأمور أصبح ثمة إدراك في أن المصلحة تقتضي الاهتمام بالمشاعر والأحاسيس .

في غرر الحكم عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من تألف الناس أحبوه»^(٦)، كلما توددت إلى الناس كنت قريبا منهم . إن الناس بطبيعتها لا تحب أن تتعامل مع شخص عبر وسائل الإعلام، بل ترغب في رؤية المسؤول مباشرة، فالخروج عبر وسائل الإعلام لا يخلق حالة من الحب والمودة، لهذا يتوجب على المسؤول، كما يمضي أربع أو خمس ساعات في العمل، أن يجتمع ساعتين مع الناس وينزل ليطلع على همومهم ويحل مشاكلهم، وأن يتواجد في أروقة الناس، وسوف يرى كيف أن المشاكل يمكن أن تحل بطريقة أسرع وبإمكانات أقل . هذا هو علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذه هي النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة وللحديث صلة في هذا الموضوع .

٦ . غرر الحكم، ج٢- ص ١٦١

خصائص الثورات العربية

انشغل الرأي العام العربي والإسلامي والعالمى بثورة أبناء الشعب المصري على مدار الأسبوعين الماضيين ، هذه الحركة الشعبية الواسعة ، وهذه الثورة الشبابية العارمة تميزت بالعديد من الخصائص الجديدة بالوقوف والاهتمام .

الخصيصة الأولى : وسائل التعبئة والتشديد : لم تُستخدم في هذه الثورة وسائل تقليدية ، وإنما استخدم الفيس بوك وغيره من مواقع التواصل الاجتماعي وشبكة الانترنت لتثييد الملايين من الناس ، وهي ظاهرة تقع أول مرة في حياتنا المعتادة ، وتعبّر عن نقلة وتطور نوعي في منظومة العلاقات وتبادل المعلومات في هذا العالم . فلم يؤخذ بنظر الاعتبار وجود فرص غير شبكة الانترنت يمكن من خلالها التواصل والتنسيق بين الملايين من الناس ، وأن يتفقوا على زمان ومكان محددين ليخرجوا في مسيرات وتظاهرات ، وقاموا بتحديد مطالبهم وتوحيد رؤيتهم فنظموا مسيراتهم من خلال الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي .

إن هذه ظاهرة جديدة وجديرة بالدراسة والاهتمام ، من اليوم تبين أن حجب المعلومة من خلال وضع الضوابط وتقنين أجهزة الاتصال كالموبايل وغيرها لا يستطيع أن يقف أمام تداول المعلومات ، وأمام تنسيق الناس ضمن مساحات واسعة . إن هذه قضية تحتاج إلى دراسة حول كيفية استثمارها بالشكل الصحيح لصالح الشعوب والأمم ، وبناء الدول على أسس صحيحة ، وكيفية استثمار مثل هذه الفرص لتعزيز العلاقات وتبادل الأفكار بطريقة حضارية .

الخصوصية الثانية : المطالب الحققة والمشروعة التي يطرحها أبناء الشعب المصري ، التي شملت في جانب منها الخدمات ولم تقتصر عليها ، وإنما تجاوزت ذلك لتتحدث عن إصلاحات سياسية وتعديلات في الدستور وعن التداول السلمي للسلطة ، وعن النظر في الطعون والشكاوى التي قدمت في الانتخابات ، إذن فهي سلسلة طويلة من الإصلاحات السياسية والمطالب المشروعة التي أذعن لها الجميع ، ولهذا عبّرت بعض القيادات المصرية والقيادات العربية والمجتمع الدولي عن التضامن مع هذه المطالب ، وهذه قضية جديدة بالاهتمام لشعب يعيش هذه الحيوية وهذا الحراك فيخرج ويطالب بمطالب لا أحد يستطيع أن يقول عنها إنها مطالب غير مشروعة ، فالكل يؤكد مشروعيتها وواقعيتها .

الخصوصية الثالثة : الطريقة السلمية والحضارية في التعبير عن الرأي بانضباطٍ عالٍ

ومراعاة للسياسات السلمية . وهكذا استطاعت هذه الثورة بأقل الأضرار المادية والمعنوية أن تنطلق وتعبّر عن حقوقها ومطالبها وتطلعاتها ورؤيتها . ولاحظنا حتى حينما انطلق بعض المندسين لإجهاض الثورة والتقليل من قيمتها وتشويه سمعتها من خلال الاعتداء على المال العام والخاص عبر السرقات والسلب والنهب وما إلى ذلك ، انبرى الثوار لحماية المناطق والمال العام والخاص ودافعوا عن سمعة هذه الثورة وعن صدقية الشعارات والحقوق التي طرحوها . وهذا في الحقيقة تعبير عن عمق حضاري وانضباط عالٍ لأولئك الثوار في التعبير عن آرائهم وتطلعاتهم .

الخصوصية الرابعة: العنصر الشبابي ، فالشباب هم النواة الأساسية والركيزة المهمة والسمة الظاهرة لهذه المسيرات ، فقد انطلقت المسيرات الشبابية الاحتجاجية ثم أقنعت جميع أبناء المجتمع المصري ، ثم تحولت مصرية ممثلة لكل الشرائح وكل الفئات الاجتماعية . وهذه خطوة مهمة جدا ، أن تكون الثورة قادرة بانضباط وطريقة سلمية وحضارية وبرؤية واضحة أن تقنع كل المجتمع ، وتحول إلى تجسيد للضمير الحي للشعب المصري في دفع عجلة التقدم والازدهار وتوسيع الحريات وبناء الديمقراطية لدى الشعوب والأمم . ولا بد للشباب من أن يعرفوا حجمهم اليوم وتأثيرهم ، وأن يوظفوا هذه الطاقات الهائلة بشكل صحيح لخدمة بلدانهم وشعوبهم .

الخصوصية الخامسة: وقوف القوات المسلحة والجيش على الحياد وتعاملهم بإيجابية مع ما يجري من مسيرات واحتجاجات ، والوقوف مع الشعب المصري ، بل وفروا الحماية لهؤلاء الثوار حتى تعرضوا إلى الاستهداف من قبل (البلطجية) الذين أرادوا الإساءة لهؤلاء الثوار .

إن وقوف المؤسسة العسكرية موقف الحياد والاحترام لذلك الجمهور وعدم الانجرار نحو القتل والبطش بالناس يمثل ظاهرة نوعية تستحق الدراسة ، وأن تستلهم الدروس والعبر من هذا الموقف الذي يستحق الإشادة والتقدير . فنحن نستذكر ما جرى عام ١٩٩١ في الانتفاضة الشعبانية المباركة لأبناء شعبنا ، حينما انطلق الناس بطريقة سلمية وأرادوا مطالب أقل بكثير في أسقفها من المطالب التي يطرحها اليوم أبناء الشعب المصري ، قيل إنهم غوغاء ، وكتب على الدبابات ما كتب ، واستهدفوا بكل أنواع الآلة العسكرية المتوفرة آنذاك للنظام ، فوق نصف مليون شهيد في غضون أسبوعين ، فيما لم ير ولم يسمع العالم عن هذه الثورة إلا الشيء القليل .

الخصوصية السادسة: تناول وسائل الإعلام العربية والإسلامية والدولية لهذا

الحدث على نطاق واسع وإيصال رسالة الثوار والمحتجين بشكل واضح إلى الرأي العام، والعالم اليوم يعرف لحظة بلحظة ما يجري هناك، وما هي مطالب الناس، وهي أيضا قضية جديرة بالاهتمام والتدقيق.

الخصوصية السابعة: سرعة الاستجابة لبعض المطالب الحقبة التي طرحها الثوار. فقد لاحظنا في غضون بضعة أيام تشكيل حكومة جديدة، وتشكلت لجنة عليا لإعادة النظر في تعديل الدستور، ووضع الأسقف الزمنية للتداول السلمي للسلطة وغيرها من المطالب. ولأحظنا أن الحكومة فتحت باب الحوار مباشرة مع ممثلي هؤلاء المحتجين، وبدأت تفاوضهم وتحاوهم وتستمع إلى مطالبهم وتقدم المبادرات والحلول لمعالجة هذه المطالب، وهذه أيضا قضية جديرة بالاهتمام والوقوف عندها.

الخصوصية الثامنة: تميزت الثورة المصرية القائمة اليوم بالوضوح في الرؤية، وطرح حقوق ومطالب وشروط حقبة، والإصرار عليها والنزول إلى الساحات والميادين والشوارع في كل المدن المصرية للمطالبة بها، والقول بأنهم سوف لا يعودون إلى بيوتهم إلا بتحقيق هذه المطالب، إن ذلك يكشف عن أن الحشود المليونية قادرة على أن تحقق مطالبها دون أن تستخدم وسائل العنف والتخريب والإساءة إلى سمعتها، وإلى المال العام والخاص.

إننا نشدّ على أيدي أبناء الشعب المصري الشقيق ونحبه في هذه الصورة الحضارية العصرية المتطورة التي يقدمها في الدفاع عن حقوقه وتطلعاته وآماله. ونتمنى لهذا الشعب الكريم أن يكون قادرا على تحقيق مصالحه بالطريقة التي يراها ملائمة لنفسه.

الاستفادة من التجربة المصرية

إننا نؤكد أن إرادة الشعب المصري وليست أي إرادات خارجية هي الكفيلة بأن تحقق تطلعاته وطموحاته، كما نعبّر عن التضامن والإسناد والدعم الكامل لهذا الشعب الكريم ولمطالبه المشروعة ونتمنى لجمهورية مصر الشقيقة ولجميع البلدان العربية والإسلامية المزيد من الإعمار والازدهار والاستقرار وتحقيق المطالب المشروعة.

إن ثورة شعبية بهذه السعة وبهذا الانضباط والخصائص المميزة سوف تترك آثارها ليس على المصريين وحدهم، وإنما على الشعوب العربية وعلى الواقع الإقليمي، ونحن في العراق لسنا بمعزل عن الاستفادة من الدروس الإيجابية لهذه الحركة الشعبية الواسعة، كما أن التجربة العراقية قد أثارت الاهتمام في العديد من إيجابياتها وخصوصياتها من قبل الأمم الأخرى في المنطقة والعالم.

التظاهر حق دستوري

لاحظنا في الأيام الماضية العديد من المسيرات الاحتجاجية التي حصلت في محافظات عدة في العراق، وقد خرجت لتطالب بقضايا خدمية وتعبّر عن الاستياء من مظاهر الفساد الإداري والمالي في بعض مفاصل الدولة، أو تشكو من التقصير في أداء بعض المسؤولين تجاه المواطن وأبناء الشعب العراقي، ولا بد من أن نحدد موقفاً واضحاً من هذه المسيرات والاحتجاجات.

إننا نعتقد بأن حرية التعبير حق كفله الدستور العراقي لجميع المواطنين العراقيين، وليس لنا إلا أن نفق مع الدستور ومع الحقوق الدستورية للشعب العراقي، وليس لنا إلا أن نتضامن وندافع عن كل حق دستوري للمواطن العراقي، بما في ذلك حق التعبير عن الرأي بحرية كاملة، ولذلك نرفض حرمان أبناء الشعب العراقي من هذا الحق الدستوري وسائر الحقوق الدستورية، ولكننا في الوقت نفسه حريصون كل الحرص في أن نقدم الصورة الحضارية المتطورة والعصرية لأبناء شعبنا في التعبير عن آرائهم بطريقة هادئة وسلمية.

نحن اليوم ننظر بإعجاب إلى الشعب المصري لأنه يعبر عن آرائه بطريقة سلمية وهادئة، والعالم سينظر بإعجاب إلى أبناء الشعب العراقي حينما يجد أنهم يعبرون عن آرائهم بطريقة هادئة وسلمية، من الالتزام الكامل بالقوانين والسياقات المطلوبة لمثل هذه المسيرات والتظاهرات والتنسيق مع الجهات الحكومية لتوفير الأمن للمتظاهرين.

كما نحذر من أي محاولة لاستغلال هذه المشاعر الطيبة والمطالب الحقة والحناجر الصادقة التي تتحدث بقضايا مشروعة، بأن تُستغل من مندسين لأغراض خاصة لا علاقة لها بتلك التطلعات والمطالب المشروعة للمواطن العراقي، والحذر كل الحذر ممن يتصيد بالماء العكر ويرفع شعارات ويقدم سلوكيات ومواقف بعيدة عن أبناء شعبنا المتحضر.

مطالب خدمية مشروعة

إننا نتضامن مع أبناء شعبنا في معاناتهم المريرة في موضوع الخدمات وانقطاع التيار الكهربائي لساعات طويلة في هذا البرد القارس، وتلكؤ الخدمات في مجالات عدة تحولت إلى معاناة يومية للمواطن العراقي في إدارة شؤونه الحياتية، مما يولد سخطاً شعبياً وانزعاجاً للمواطن.

إننا في الوقت الذي نتفهم فيه المعوقات والتحديات التي تعرضت وتعرض لها الحكومة العراقية الموقرة نؤكد ضرورة توفير الخدمة لأبناء شعبنا، ولذلك نجد أن أبناء الشعب العراقي عبروا عن صبرهم وتحملهم طيلة السنوات الماضية، وسيعبرون عن هذا الصبر في قادم الأيام أيضا، ولكن لا بد من ملاحظة هموم الناس ومعاناتهم، ولا بد من استحضار المشاكل التي ترهق كاهل المواطن العراقي كل يوم، ووضع الحلول والمعالجات السليمة لهذه المشاكل.

إننا منذ ثماني سنوات نعاني من مشكلة الكهرباء، وصرفنا الأموال الطائلة لحلها ولكن من دون جدوى، إن الصراحة والمكاشفة مع الجمهور في القضايا الأساسية والمهمة، تهدئ من روع المواطنين، وتطيب خواطرهم وتشجعهم على المزيد من الصبر، لحل هذه المشاكل حلاً جذرياً.

التواصل بين المسؤول والمواطن

إنني أناشد السادة المسؤولين الابتعاد عن الوعود الكاذبة والتبريرات الزائفة، وتحميل المواطن والظرف العام كامل المسؤولية، وإبعاد أنفسهم عن مساحة التقصير وعن دائرة المسؤولية والتنصل عن واجباتهم في خدمة المواطنين. إنني أدعو السادة المسؤولين إلى الخروج من مكاتبهم والنزول إلى الشارع والاطلاع على هموم الناس، وإلى معالجة ميدانية لقضاياهم.

أدعو المسؤول إلى عدم الجلوس في المكاتب بعيداً عن الناس، وتقييم الأوضاع من خلال التقارير التي قد يكون بعضها كيدياً أو كاذباً أو يعطي صورة مزيفة للمسؤول ولا يطلع على حقيقة الأمر، وعلى المسؤول النزول إلى الشارع ومعرفة ما يجري فيه، يجب أن يسمع من الناس ويعرف معاناتهم ويعالج مشاكلهم ميدانياً وعلى الأرض وليس من خلال المكاتب ومن خلال البريد.

إن مثل هذا المنهج يمكن أن يعزز ثقة المواطن بالمسؤول، ويشد المواطن إلى المسؤول عندما يشعر أن المسؤول مخلص ويريد أن يخدم، ولديه رؤية وخطة، وأن هذه الخطة تحتاج إلى وقت وعندها ينتظر المواطن، ينتظر ستة أشهر وسنة وستين، ينتظر وهو يعرف أن هناك خطة وهو يقترب كل يوم من الوصول إلى النتائج ويصبر ويتحمل، ولكن إذا كان المواطن يجهل وإذا كان يسيء الظن ولا يعرف مدى جدية المسؤولين في توفير الخدمة، عندها قد يغضب ويخرج عن الانضباط ويعبر بطريقة أو بأخرى عن

مطالبه ، إن ذلك يتطلب مصارحة ومكاشفة وحضورا ميدانيا وتوصلا مع الناس من قبل السادة المسؤولين .

مسؤولية الأجهزة الأمنية

إن الأجهزة الأمنية تتحمل مسؤولية كبيرة في التعامل مع هذه المسيرات والتظاهرات السلمية للمواطنين ، وعليها أن تتحمل بعض الانفعالات الناتجة عن ألم ومعاناة يومية للمواطن العراقي ، ويجب أن تتعامل معهم برفق وسعة صدر وبطريقة حضارية لحل هذه الإشكاليات وتطبيب خواطر المواطنين .

إن توجيه السلاح إلى صدور الناس وإطلاق النار على المواطنين العراقيين العزل طريقة لا يمكن أن تُقبل ، ولا يمكن أن نسكت عليها . وهي مسألة يجب أن نضع حدا لها ، ويجب أن يشعر المواطن العراقي بالعزة والكرامة والرفعة والأمان .

المواطن وليّ النعمة

إن علينا جميعا أن نستذكر أن المواطنين العراقيين هم أولياء نعمة المسؤولين العراقيين ، وهم من انتخبوهم ووضعوهم في هذه المواقع ، وعليهم أن يتحملوا مسؤولياتهم تجاه المواطن العراقي .

إن الظرف الذي نعيشه اليوم هو الظرف المناسب الذي نضع فيه الحد للفجوة المتسعة بين المسؤول والمواطن ؛ بسبب الامتيازات والرواتب العالية والقصور الفارهة والحياة المترفة والأبهة والمواكب الكبيرة والترفع عن الناس وإهمال مشاكلهم ، وليست هذه السمة التي يُتوقع أن يتصف بها المسؤول في العراق . وفي الجانب الآخر هناك الفقر والفاقة والحرمان والمشاكل الخدمية الكبيرة ، إنهما صورتان مختلفتان ، ولا يمكن أن يقبل في بلد تعددي ديمقراطي يعيش هذه التجربة الجديدة ، أن يشهد مثل هذه الفجوة الكبيرة بين المسؤول والمواطن .

معالجات غير واقعية

إن البطاقة التموينية وتأخر وصول موادها بشكل مستمر إلى الناس ، وحينما تصل تكون منقوصة ورديئة مع الأسف الشديد ، هذا الأمر يستدعي السؤال الذي يطرحه المواطن ؛ لماذا هذا التلكؤ وهذا التأخير ، ولماذا موادها دائما ما تكون ناقصة ورديئة؟ وأين تذهب الأموال المخصصة لشراء هذه الحصة وأين تصرف؟ . وبعد كل هذا التلكؤ يخرج علينا

مسؤول في الحكومة من هنا وهناك ليقول إننا سنعطي كل شخص ١٥٠٠٠ دينار، ماذا يعمل بها المواطن، وكم يحتاج من وقت لكي يحصل على هذا المال البسيط؟ وهل يكفي مع الارتفاع الكبير في أسعار المواد الغذائية؟ وهل يستطيع التعويض عن المواد الناقصة؟ لماذا نعالج الأمور بطريقة تزيد بها من معاناة المواطن ولا نعالج الإشكاليات؟! .

إن من حق المواطن أن يبحث عن حلول ومعالجات منطقية وواقعية لمشاكله، ومن حق المواطن أن يحظى بالبطاقة والحصة التموينية كما أقرت في الموازنة في مجلس النواب، إننا نرحب بالخطوة التي قام بها دولة رئيس مجلس الوزراء في التنازل عن نصف راتبه، ونشد على يد مجلس الوزراء في الإسراع بتقديم قانون لمجلس النواب يخفض بموجبه رواتب كل الرئاسات والوزراء والنواب إلى النصف، كي نردم هذه الفجوة الكبيرة بين المسؤولين والمواطنين، ونعطي رسالة طيبة عن أن المسؤول عندما وصل إلى المسؤولية لا يريد أن يستحوذ على كل الإمكانيات ويترك المواطن البسيط في حرج شديد وفي ظروف صعبة .

ذكرى انتصار الثورة الإسلامية

إننا نعيش في هذه الأيام الذكرى الثانية والثلاثين لانتصار الثورة الإسلامية في إيران . هذه الثورة التي قادها رجل عظيم يتمثل بالمرجع الإمام الخميني (قدس)، الذي كان يمتلك الرؤية والقرب من الناس فاستطاع أن يفهم نبض الشارع الإيراني ويقف بوجه أعتى الأنظمة الديكتاتورية في المنطقة آنذاك، والمتمثل بالنظام الشاهنشاهي، ثم أوجد حكومة ونظاما يعتمدان على الشعب وعلى مطالب الشعب، بما يحقق الاستقلالية لهذا النظام، ويجعل الشعب الإيراني المسلم مرجعا حقيقيا يرجع إليه في حل المسائل والإشكاليات .

ومن خلال هذا المنهج استطاعت إيران أن تقف بوجه تحديات كبيرة وضخمة، وتصبح جزءا أساسيا ومهما في المنظومة الإقليمية والمنظومة الدولية . إن استذكار هذه الثورة بعد ثلاثة عقود من الزمن يمثل رسالة مهمة تؤكد أن إرادة الشعوب قادرة على تحقيق الإنجازات حينما تؤمن بقيادة وتؤمن بمشروع وتقف وتذب وتدافع عن هذه القيادة وعن هذا المشروع وتضحى من أجل ذلك .

لقد مثل الشعب المفردة المحورية في فلسفة الثورة الإسلامية في إيران، فإليه يرجع المسؤولون، ويستمدون قوتهم من القرب من الشعب، والسمة البارزة اليوم لقائد الثورة الإسلامية أو رئيس الجمهورية أنهم متواجدون بين حشود آلاف من الناس، يجتمعون

معهم ويسمعون منهم ويعالجون مشاكلهم ، وأنا لم أعهد أي بلد في العالم يعقد مجلس الوزراء في كل شهر في محافظة معينة ويخصص الاجتماع لحل مشاكل تلك المحافظة ، حيث يكون جميع الوزراء حاضرين ليعالجوا مشاكل الناس ويتابعوا همومهم وقضاياهم .

الأساس في هذه الثورة هو مصارحة الشعب ، كان الإمام الخميني في أحلك الظروف يقف أمام الشعب الإيراني ويقول له لدينا المشكلة الفلانية ، وهذا يتطلب منكم أن تففوا ، فيشرح للناس المشاكل والأخطار ويوضح المسؤولية الملقاة على عواتقهم ، وهذا ما جعل الناس تندفع وتحمس وتحمل المسؤولية الكبيرة ، إن في ذلك درسا مهما لنا ولشعوب المنطقة ، كيف نهتم بالناس ونجعل الشعب هو المحور والأساس في تحركاتنا ، نتمنى لهذه الثورة الاستمرارية على النهج القويم الذي وضعه الإمام الخميني ، والذي يسير عليه سماحة السيد الخامنائي دام ظله الوارف .

أسبوع الوثام العالمي

مر علينا أسبوع الوثام العالمي بين الأديان ، من الأول إلى السابع من شباط ، هذا الأسبوع الكريم الذي نستذكر فيه أهمية الحوار والتلاقي بين الأديان والمشتريات الكبيرة بين أصحاب الديانات السماوية . ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل الإنسان يعيش العزة والكرامة والإعمار والازدهار من خلال ارتباطه بالسماء ، ارتباطه بالله سبحانه وتعالى ، كما أشيد بشبابنا الأجزاء طلبة المدارس وهم يؤدون امتحانات نصف السنة في هذه الأيام ، وأتمنى لهم النجاح والتوفيق ، ونستعد للفرح بأسبوع المودة والمحبة في ذكرى ولادة النبي الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَلَّى فِي الأيام القليلة القادمة . نسأل الله أن يحقق الآمال ويحفظكم ويرعاكم وأن يحفظ العراق .

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٣/٢/٢٠١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

تحدثنا في اللقاءات السابقة عن النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة، وذكرنا أن أمير المؤمنين علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ قد اختزل هذه النظرية في عهده لمالك الأشر، وتحدثنا عن مقاطع ثلاثة تناولها الأمير في هذا العهد لتبيان هذه النظرية، وكان المقطع الأول يرتبط بالسلوك الشخصي للمسؤول والحاكم والمتصدي في كافة مواقع المسؤولية سواء أتسعت أم ضاقت، والمقطع الثاني يرتبط بالرأي العام والانطباعات التي تحصل نتيجة أداء المسؤول وسلوكه ومواقفه وتعامله مع الرعية أو مع من يتحمل المسؤولية تجاههم، ثم انتقلنا إلى المقطع الثالث.

العلاقة بين المسؤول والرعية

يرتبط المقطع الثالث بالعلاقة مع الرعية، بين المسؤول والمسؤول عنهم، بين المتصدي والمساحة التي يتصدي إليها، حيث يبتدئ الأمير عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا المقطع المهم: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم والल्प بهم، ولا تكونن عليهم سباعاً ضارياً تغتتم أكلهم»^(٧)

٧. نهج البلاغة، ج ٣- ص ٨٤- الكتاب ٥٣

وبدأنا بشرح هذه الكلمات الكريمة، وذكرنا في الإضاءة الأولى أن النظرية الإسلامية ترى أن العلاقة بين الحاكم والرعية وبين المسؤول والمسؤول عنهم تبنى على علاقات إنسانية، فيها الرحمة والشفقة والمحبة، وفيها التواصل والاحترام والثقة. وفي الإضاءة الثانية أن هناك عناصر ثلاثة لا بد من الالتفات إليها عندما نتحدث عن علاقة على أساس البعد الإنساني بين الجانبين، ومادامت العلاقة علاقة إنسانية فلا بد من مراعاة ثلاث قضايا ورد ذكرها في هذه العبارة القصيرة؛ المحبة والرحمة واللطف، ماذا تعني كل من هذه المفردات؟، وما الترابط بين هذه المفردات بعضها مع البعض الآخر؟.

مفهوم الرحمة

إن الرحمة في اللغة هي حالة الرقة التي تدفع الإنسان للإحسان للآخر، والرحمة من الله للإنسان هي الإحسان المجرد عن الرقة، ولكن الرحمة من الإنسان للإنسان هي رقة في القلب تدفع الإنسان لأن يكون محسناً لذلك المرحوم الآخر.

إن المحبة هي رغبة شديدة نحو شيء نراه خيراً لنا، فالإنسان لا يحب شيئاً لا يرى فيه خيراً له، أيها المسؤول اعلم أن هؤلاء الناس فيهم خير في موقع المسؤولية ويجب أن تكون منك رغبة شديدة نحوهم، وهذه الرغبة لا تحصل إلا إذا أيقنت أن خيرك في التواصل مع هؤلاء الناس والرغبة إليهم، أما اللطف فهو الرفق، إذن توجد حالة تراتبية، لا بد من وجود رحمة حتى تحصل المحبة ولا بد من وجود محبة حتى يحصل اللطف، وهذه المراتب الثلاث «الرحمة والمحبة واللطف» يجب أن يتحلّى بها المسؤول في تعامله مع الناس، إذا أراد أن يسير على هذا النهج. هذه دروس مهمة في الإدارة والقيادة.

مرتكز العلاقة الإنسانية

إن مفاد النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة هو أن تكون العلاقة بين المسؤول والمسؤول عنهم مبنية على أسس إنسانية، وليس فقط واجبات والتزامات وضوابط وقوانين كما هي علاقة العسكر. وهذا لا يمنع من وجود ضوابط وحقوق، فالحاكم له حقوق والرعية لها حقوق وهناك التزامات متبادلة، ولكن الأساس يبقى متمثلاً بالبعد الإنساني في هذه العلاقة.

الإضاءة الثالثة: ما المعيار والمقياس لأن يكون هذا الحاكم والمتصدي والمسؤول مطبقاً لهذه النظرية الإسلامية أو لا؟ هل إن علاقته مبنية على البعد الإنساني أو لا؟ ما الذي يحدد هذا المعيار والمقياس؟.

يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ : «أشعر قلبك الرحمة للرعية»، الشعور إحساس باطني وهو حالة متقدمة على ما يبرزه الإنسان، فيا أيها المسؤول المتصدي خلف الأبواب المغلقة حينما لا يسمعك ولا يراك أحد، هل يتوفر لديك شعور وإحساس بالمحبة تجاه ناسك وشعبك أو لا؟ هل توجد رقة ولطف في قلبك تجاههم؟ .

إن الخطوة الأولى هي الشعور الباطني، والخطوة الثانية إبراز هذا الشعور، وثالث الثبات والإصرار عليه، فإذا لم يكن هناك ثبات إذن فالظهور سيكون رياءً والتعبير عن المحبة غير حقيقي، وإذا كان التعبير غير حقيقي فهذا يعني أنه لا يوجد شعور بالمحبة أصلاً. إذن يتمثل المعيار والمقياس في ثلاث خطوات، الأولى وهي الأساس وتترتب عليها الخطوة الثانية، وأما الثالثة فهي بشكل طبيعي تتمثل بالشعور الباطني «أشعر قلبك». الخطوة الثانية هي إبراز هذا الشعور بكلمات رقيقة؛ تتذكرون عندما كان شهيد المحراب يقول أتمنى أن أنزل وأقبل أيادي هؤلاء الناس «الملايين التي استقبلته» واحداً واحداً، كباراً وصغاراً، حتى الأطفال، كان هذا تعبيراً عن شعور حقيقي، وكان هناك إبراز لهذا الشعور، عبر البكاء الذي لم يكن متصنعاً، وهو شعور لا يستطيع السيطرة عليه.

الإضاءة الرابعة: التشديد على التحذير من المنهج المخالف والمعاكس، بقدر ما يكون التشديد على الرحمة والشفقة واللطف، يكون التحذير من الشدة والقسوة والغلظة والاعتداء على الناس «ولا تكونن عليهم سبعا ضارياً» الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يشبه المسؤول حينما لا يكون تعامله على أساس الرفق بالحيوان المفترس، الذي يبطش ويفتك بفريسته، فيا أيها الحاكم والمسؤول لا تعتد على ناسك، لأن هذا الاعتداء يجعلك بمنزلة ذلك الحيوان المفترس الذي يأكل فريسته ويرى أن ذلك غنيمة، هذا هو المنهج الإسلامي في هذه القضية.

يقول أمير المؤمنين في مقطع من خطبته ١٠٨ من نهج البلاغة، وهو يصف المجتمع حينما يقع في الانحراف: «أين تذهب بكم المذاهب»، أي إلى أين تأخذكم العقائد الباطلة والأفكار الضالة، «وتتية بكم الغياهب» والغياهب الظلمات تعبيراً عن انحراف الإنسان عندما يشذ عن الطريق. «وتخذكم الكواذب» أي الادعاءات الفارغة والكاذبة، «ومن أين تؤتون» من أين ترون الضلال «وأنى تؤفكون» ومتى ترجعون للحق الذي فارقتموه. «فلكل أجل كتاب ولكل غيبة إياب» أي لكل أجل نهاية ونتيجة ولكل غيبة رجعة وعودة،

فهذه من السنن الجارية ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾^(٨)، والسنن الإلهية تتحكم في مجرى التاريخ.

«فاستمعوا من ربانيكم»، استمعوا من عرفائكم، يقول أنا أمير المؤمنين بين يديكم فاستمعوا إلى كلامي، أنا العارف بالله الذي لا يبحث عن موقع أو عن مصلحة شخصية ولا يغضب إلا للحق. «وأحضروا قلوبكم واستيقظوا إن هتف بكم»، انتبهوا أيها الناس من غفلتكم حينما يتحدث علي، «وليصدق رائد أهله»، الرائد الذي يتقدم القوم، وما دمت أنا حامل الراية، أنا علي بن أبي طالب، فلا أقول إلا الصدق والحق، «وليجمع شمله وليحضر ذهنه، فلقد فلق لكم الأمر فلق الخرزة»، أنا علي أشرح لكم الأمور وأوضح لكم الحقائق، «وقرفه قرف الصمغة»، الصمغة الشجرة عندما تقشر ويخرج الصمغ من جوانبها وتحتها، لا تأخذكم المظاهر، فعندما لا تسمعون ولا تأخذون النصيح والكلام وتسيرون في ظلمات العقائد الضالة وتغلبون مصالحكم الخاصة على المصالح العامة «فعند ذلك أخذ الباطل مأخذه»، عند ذلك يأخذ الباطل مأخذه فيكم ويتغلب عليكم، «وركب الجهل مراكبه»، سوف يشيع الجهل وتختفي المعلومة الصحيحة التي لا يُسمع إليها ولا يُسأل عنها، «وعظمت الطاغية وقلّت الداعية»، أي يكثر الطغيان وتراجع الدعوة إلى الحق وتضعف في تلك المجتمعات، «وصال الدهر صيال السبع العقور، وهدر فنيق الباطل بعد كظوم» والفنيق فحل الإبل، وهو تشبيه للظلمة الذين يصعد صوتهم وليس وراء ذلك شيء، «وتواخى الناس على الفجور» التواخي هو التقارب، أي يتقاربون على المنكر والباطل، «وتهاجروا على الدين»، أي تعادوا وتقاطعوا وصار الدين سببا للفرقة والابتعاد، «وتحابوا على الكذب وتباغضوا على الصدق». إن الصادق والواضح والصريح من لا تأخذه في الله لومة لائم.

فإذا أصبح المجتمع بهذه الصورة التي يذكرها الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ فالنتيجة: «فإذا كان ذلك كان الولد غيظا» أي يصبح الولد عاقا لوالديه، «والمطر قيظا» أي أن المطر يأتي في الصيف فلا يكون مثمرا، «وتفيض اللئام فيضا وتفيض الكرام غيضا»، فالكرام يغيضون ويغفون مثلما تجف العيون، «وكان أهل ذلك الزمان ذئابا وسلطينه سباعا وأوساطه أكالا وفقراؤه أمواتا وغار الصدق وفاض الكذب واستعملت المودة باللسان وتشاجر الناس بالقلوب وصار الفسوق نسبا والعفاف عجبا ولبس الإسلام لبس الفرو مقلوبا»^(٩).

٨ . سورة فاطر: الآية ٤٣

٩ . نهج البلاغة، ج ١- ص ٢٠٩

هذه هي الصورة التي يقدمها أمير المؤمنين للمجتمع عندما ينحرف ، وهذه هي الآثار الوضعية التي تترتب على هذا الانحراف . وقد ورد عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ في الخطبة ١٥٣ : «إن البهائم همها بطونها وإن السباع همها العدوان على غيرها»^(١) .

حركة استعادة الحرية في الشارع العربي

ما زالت حركة الشارع العربي في تنام مستمر ، في العديد من البلدان العربية للتعبير عن السخط وعن العنفوان المتزايد في استعادة الحريات ، والعدالة الاجتماعية وتعديل الدساتير والتداول السلمي للسلطة ومشاركة الناس في اختيار من يدير شؤونهم والقضايا الخدمية والمعيشية وإلى غير ذلك من سلسلة طويلة من المطالب التي يطرحها الشارع العربي اليوم .

إنها ثورات شعبية لاستعادة الكرامة الإنسانية يطالب فيها الشارع العربي بتحقيق العدالة الاجتماعية ، كما نشهدها اليوم في ليبيا والبحرين والجزائر واليمن ، بعد أن شهدناها في تونس ومصر ، هكذا تضحي الشعوب وتطالب بحقوقها المشروعة وتتطلع لأدوارها المتزايدة . في البحرين كان مثار الاستغراب واضحا في الاستهجان والإدانة لاستهداف المتظاهرين الأبرياء العزل من قبل القوات المسلحة ، وإطلاق النار عليهم والقتل والجرح لعدد كبير منهم والمحاصرة والتضييق عليهم ، مع أنهم يتظاهرون بطرق سلمية ويعبرون عن مطالبهم السياسية والمعيشية ، ونتمنى أن نشهد التفهم والتقبل والاستجابة لمطالب هؤلاء الناس من قبل الجهات المختصة ، ووضع حد لمثل هذه التعاملات وفتح آذانهم للإصغاء لمطالب الناس وحل مشاكلهم وتلبية طموحاتهم المشروعة .

وفي ليبيا نجد السلوك المشين في استهداف الأبرياء بالطائرات وبالأسلحة الفتاكة ، مما أوقع عدداً كبيراً من الضحايا والجرحى ، وما أشبه اليوم بالبارحة ، فيما كان الشارع العربي يستمع إلى خطاب القذافي ، يتذكر خطابات صدام حسين في أيام الانتفاضة الشعبانية العام ١٩٩١ .

بين الأمس واليوم

إن حبّ (الأنا) واعتبار العباد والبلاد ملكاً مطلقاً للحاكم الطاغوت ، وعدم الاكتراث وعدم الإصغاء إلى مطالب الشعوب وطموحاتهم ومحنتهم وقضاياهم بل نعتهم بالشعوب التافهة ، وهذا ما سمعناه ، وهل من حاكم ينعت شعبه بالفئران والجرذان؟ أو مستخدم

ومستعملي الجبوب والعملاء إلى غير ذلك مما سمعناه من أوصاف؟ . وما زال الشعب العراقي الكريم يتذكر الكلمات المسيئة له التي تفوه بها صدام حينذاك ووصف المنتفضين بالعملاء والدخلاء إلى غير ذلك من الأوصاف ، فما أشبه اليوم بالبارحة . إن صدام فتك بشعبه ليقتل نصف مليون مواطن عراقي في غضون أسبوعين وفي ظل صمت إعلامي مطبق وسكوت سياسي مدهش في الأروقة الإقليمية والدولية عام ١٩٩١ ، واليوم يقوم القذافي بتهديد أبناء شعبه واستهدافهم بهذه الطريقة ولكن على مرأى ومسمع من الرأي العام وعبر الفضائيات والشاشات ، وفي ظل اجتماعات متواصلة لمجلس الأمن وتنديد واسع على مستوى العالم العربي والإسلامي والمجتمع الدولي برمته .

إننا نعبر عن تضامنا وتعاطفنا مع المطالب المشروعة للشارع العربي في العديد من البلدان الكريمة ، ومع إرادة الشعوب في تحقيق الحرية والعدالة والازدهار لكل أولئك الأشقاء ، ونتمنى لهم الاستقرار والازدهار والكرامة والحرية وتحقيق المطالب المشروعة .

إن الشباب العربي اكتشف كلمة السر والمفتاح السحري في تحقيق تطلعاته وحقوقه المشروعة المتمثل بالنزول إلى الشارع ، وإطلاق الصرخات الواضحة بطريقة حضارية مطالباً بما يريد له أن يكون في بلاده وبطموحاته ، ومهما كانت الجيوش مدججة بأسلحتها الفتاكة وبمنظوماتها الاستخبارية القوية إلا أنها عاجزة عن أن تقف أمام إرادة الشعوب ، والملايين من البشر حينما تتوحد كلمتهم ورؤيتهم لإدارة بلادهم ومستقبلهم ، ولا خيار إلا الرضوخ لإرادة الشعوب وتمكينهم من حقوقهم ومن يتأخر عن ذلك قد يتبته في وقت لا مجال فيه للتداول .

إن هذه التطورات المتسارعة تحصل والمنطقة العربية أمام استحقاقات جديدة وتدفع بجميع البلدان الكريمة في الوطن العربي وفي المنطقة لمراجعة الذات وإجراء الإصلاحات السريعة ، وفتح المزيد من الحريات والحقوق وردم الفجوة ومكافحة التمييز بين المواطنين وإشاعة العدالة الاجتماعية بين الناس ، وإشراكهم في إدارة شؤونهم والإصغاء لمطالبهم والاستجابة لها ، فذلك هو المخرج الوحيد لتلبية مطالب هؤلاء الناس والوصول إلى واقع جديد فيه المزيد من الديمقراطية والحرية وتمكين الشعوب من إدارة شؤونها .

التظاهر حق دستوري للمواطنين

في العراق أيضاً تجري مسيرات وتظاهرات لتعبر عن حالة التعب والسخط للمواطن العراقي في ما يرتبط بموضوعة الخدمات ، والظروف المعيشية الصعبة التي يمر بها المواطن العراقي واستشراء الفساد الإداري والمالي في العديد من مفاصل الدولة العراقية ،

إننا نجدد موقفنا الواضح من الحق الدستوري للمواطنين بحرية التعبير والخروج بمسيرات حضارية سلمية تعبر عن المطالب المشروعة لهؤلاء الناس ضمن القانون والدستور .

إن هذه المسيرات حق دستوري للمواطن العراقي وله أن يستوفي هذا الحق كما هي سائر الحقوق الدستورية والقانونية ، وقد كان للمرجعية الدينية موقفها الواضح في تفهم معاناة المواطنين وخروجهم في مسيرات وتظاهرات اجتماعية للتعبير عن مطالبهم المشروعة ، وتأكيدا على تأطير هذا الحق بالانضباط الكامل الذي يحافظ على الأرواح والممتلكات العامة والخاصة ، إنها الحكمة بأعلى مستوياتها تتجسد في موقف المرجعية الدينية كما عودتنا على طول الخط .

قطع الطريق على الانتهازيين

أيها المواطنون الشرفاء ، إنّ الحفاظ على الحقوق والدفاع عن حقوقكم المشروعة يتطلب عدم السماح بالإساءة إلى وطنكم وإلى حقكم ومطالبكم ، من خلال استغلال هذا الحق من أي طرف كان لأغراض ومصالح خاصة بعيدة كل البعد عن مطالبكم وحقوقكم وتطلعاتكم . فلا بد من التمييز والتفريق بين حق التظاهر ، وهو حق مكفول بحكم الدستور العراقي ، واستغلال الانتهازيين والنفعيين لأغراض بعيدة عن حقوقكم ومطالبكم ومسيئة إليكم وإلى وطنكم في بعض الأحيان ، وهو أمر ترفضونه بكل تأكيد وتحرصون على عدم وقوعه .

إنني أدعو الجماهير الراقبة بالتظاهر لتشكيل لجان شعبية مدنية من قبلهم وفي كل مكان يريدون فيه الخروج ضمن المعايير القانونية ، ترصد وتراقب وتتابع كل شاردة وواردة ، وتتأكد من عدم وجود هؤلاء المستغلين والنفعيين الذين لا يريدون الخير لهذا البلد ولا يدافعون عن حقوقكم وإنما لهم أجندتهم الخاصة بهم ، وتفويت الفرصة على كل من تسول له نفسه أن يحرف مسار التظاهر للمطالبة بحقوق مشروعة وبطريقة حضارية تنوون ممارستها إلى وسائل خاطئة وقضايا بعيدة كل البعد عن مطالبكم .

العراق أنموذجاً

كان أحد الدبلوماسيين العرب يحدثني في الأيام القليلة الماضية ويقول إن العراق أصبح أنموذجاً للوطن العربي في الديمقراطية ، الناس في الوطن العربي اليوم يطالبون بصياغة دستور أو تعديل مصاغ قبل عشرات السنين ، الناس يطالبون بانتخابات عادلة ونزيهة ، الناس يطالبون بأن يكون لهم دور في إدارة بلادهم وشؤونهم وأن يرجع

إليهم ، وكل ما يطالب به الناس على هذا الصعيد قضايا أنجزتموها في العراق خلال السنوات الماضية ، وأنتم متقدمون على غيركم من البلدان في الوطن العربي ، وأصبحتم قدوة يُقتدى بكم وينظر إليكم الأشقاء العرب .

إنه كلام صحيح ، وإن المطالب التي يطرحها الشعب العراقي أو أوساط من الشارع العراقي اليوم مختلفة جذرياً عن المطالب التي تطرح في العديد من البلدان العربية الكريمة ، فإن المتصدين في مواقع الحكومة اليوم هم الذين اختارهم الشعب العراقي قبل سنة من الآن في انتخابات شارك فيها العراقيون جميعاً ، وهم يمثلون كل الأطياف في حكومة الشراكة الوطنية ، وكل من يحسن الأداء منهم يمكن أن تُجدد له الثقة لثلاث سنوات من الآن في انتخابات نيابية أخرى ، وكل من يسيء ولا يتقدم في خدمة المواطنين يعاقب من الجمهور بعد ثلاث سنوات وتوضع الثقة في أناس آخرين يكونون الأقدر والأجدر على خدمة الناس ، وهكذا الحال في مجالس المحافظات ، وهكذا الحال في مجالس الأفضية والنواحي . الانتخابات المتكررة هي التي تعطي الفرصة لأبناء الشعب العراقي في أن يقولوا كلمتهم في ما يخص السياسة والمتصدين لإدارة شؤون البلاد ، إنها نعمة عظيمة في أن يعود كل شيء إلى المواطن العراقي وإلى الشعب وهو وحده الذي يقرر ويختار من يريد ليضعه في موقع المسؤولية ويختبره ويجربه ، فإن أحسن جد له الثقة وإن أساء حجب عنه الثقة ومنحها لغيره .

معالجة المشاكل الخدمية

لا بد من أن نعلم أنّ هذا الوطن ليس لأي واحد منا وحده ، لأنه وطن الجميع وكلنا شركاء فيه ولنا الحق في تقرير مصيره ومساره عبر صناديق الاقتراع حسب النظم والديساتير والضوابط والقوانين التي وصفناها . وعلى ضوء دستورنا ذهبنا جميعاً لانتخاب من يكتبه وذهبنا مرة أخرى للاستفتاء والمصادقة عليه ويمكن أن نذهب مرة أخرى للاستفتاء على أية تعديلات يمكن أن تتم من خلال السياقات القانونية ، ولكن هناك قصوراً أو تقصيراً من قبل المسؤولين في تلبية احتياجات الناس ومعالجة مشاكلهم الخدمية والمعيشية أو في أداء وسلوكيات بعض المسؤولين في التعامل مع الناس ، ولا بد من معالجة هذه الأخطاء في أسرع وقت ممكن لتطمين المواطن العراقي .

إنّ المسار الذي نسير فيه هو مسار يجعل المواطن هو الأول ، وهو مصعب الاهتمام لجميع المسؤولين ، ويجب علينا ألا ننسى أن المواطن محق في طلباته المشروعة وعلى

المسؤولين أن يصغوا لهذا المواطن وينزلوا إلى الشارع ويستمعوا إليه ، وأن يتخذوا الإجراءات السريعة لحل مشاكله ويتعاملوا مع مطالبه على أنها مطالب مشروعة .

الحذر من أصحاب الأجندات الخاصة

إننا نحذر من استغلال هذه المسيرات والتظاهرات من ذوي الأجندة الخاصة ، كما ونحذر من اتهام المواطنين الشرفاء والمشاركين في هذه المسيرات باتهامات باطلة والتقليل من قيمة مطالبهم ، كنا قد دعونا لجعل هذه الحكومة حكومة خدمة وطنية فهل هذه الحكومة اليوم تخدم المواطنين؟ أمل أن يكون ذلك ، وكنا قد دعونا لتكون الدولة العراقية دولة المواطن فهل الدولة اليوم هي دولة تقدر وتثمن وتكرم المواطن؟ ، ودعونا إلى إطلاق مبادرة وطنية في مكافحة الفساد والمفسدين والعمل على تحقيق النزاهة في هذا البلد الكريم ، فهل الإجراءات التي تتبع اليوم تساعد على تحقيق هذه النزاهة بالتضييق على المفسدين؟ أتمنى أن يكون ذلك .

هل المفسدون والمرتشون هم دائماً من صغار الموظفين فيما يبقى الضباط و كبار المسؤولين متصفين بالنزاهة العالية؟! ، أتمنى أن نشهد ذلك اليوم الذي يتساوى فيه الجميع أمام القانون ويلاحق كل مفسد مهما كان موقعه وأياً كان انتماءه في هذه الدولة .

كما تشكل غرف عمليات للشأن الأمني ومتابعة الخروقات الأمنية ، علينا اليوم أن نشكل غرف عمليات لمتابعة القضايا الخدمية ، وغرفة عمليات لمتابعة قضايا النزاهة ، وغرفة عمليات لمتابعة احتياجات الناس اليومية وتوفيرها بأسرع وقت ممكن ، حتى نكرس ونوظف كل الطاقات لتلبية احتياجات المواطنين وحل مشاكلهم ووضع حد لمعاناتهم ، فليس مقبولاً للمواطن البسيط أن يطالب بالانتظار لعدة سنوات أخرى ولا يجد تغييرات كافية على صعيد الخدمات ومطالبه المشروعة واحتياجاته اليومية ، ولا يعلم هل هذه الوعود التي تطلق اليوم وعود صادقة أو أنها كسابقاتها؛ لا يُوفى بها لينتظر سنتين وثلاثاً ولا يجد ماء ولا كهرباء ولا خدمات؟ .

نحن بحاجة إلى إجراءات عملية سريعة لمعالجة جزء من المشاكل التي يعاني منها المواطن العراقي ، حتى يطمئن الناس بأن المسار الذي نسير فيه مسار صحيح ، ليصبر وينتظر الجزء الآخر من الحلول لمشاكله التي يعاني منها اليوم .

الصدق مفتاح النجاة

أيها المسؤولون كونوا صادقين مع الناس؛ فالصدق هو سر ثقة الناس بكم، الصدق هو مفتاح النجاة لكم جميعاً، المسؤول الصادق هو الذي يخرج للمواطنين ويشرح لهم المشاكل وخطط العمل ويشرح لهم المدد التي تتحقق فيها معالجة مشاكلهم، إن مثل هذا المسؤول سيحظى باحترام الناس، وهم حين يجدون مسؤولاً صادقاً يخاطبهم ويكلمهم ويصارحهم بالمشاكل وبالحلول وبالفتريات المطلوبة للحل فسينطلقون معه ويدافعون عنه وسيصبرون وسيحملون وسيعرفون أنهم في طريق حل المشكلة ولو بعد حين. إن الناس يبحثون عن ذلك المسؤول النزيب الصادق الذي يصل الليل بالنهار في العمل لخدمتهم وحل مشاكلهم ويقدرهم له ذلك، حتى لو تطلب إنجاز الأمور وقتاً من الزمن، إن أسوأ شيء هو حين يكذب المسؤول على الناس ويقدم لهم الوعود الفارغة أو غير المدروسة.

المجلس الأعلى صدقاً لهموم المواطنين

هناك من يتهم المجلس الأعلى بالتحريض لخروج مسيرات احتجاجية ضد الحكومة، وهؤلاء ممن يتهمون المجلس الأعلى في كل شاردة وواردة، فلا نستغرب أن نسمع منهم في يوم من الأيام أن المجلس الأعلى وراء الثورة التونسية والمصرية وغيرها من البلدان العربية، إن المجلس الأعلى يتشرف في أن يكون صدقاً لهموم المواطن العراقي ويدافع عن حقوقه ويطالب بقضايا المشروعة ويمتلك الشجاعة الكافية ليقف ويقول كلمته ورأيه في ما يصب في خدمة الوطن والمواطن.

لقد دعم المجلس الأعلى حكومة الشراكة الوطنية قبل أن يتعرف على موقعه ودوره وفرصته في هذه الحكومة، وأطلقنا دعمنا حتى تشكلت حكومة الشراكة الوطنية وحتى التأم الأطراف دون أن نسأل هل لنا وزارة في هذه الحكومة أو لا؟ فالدعم يرتبط بمصالح المواطنين ولا يرتبط بدورنا وموقعنا في هذه الحكومة، وليس لائقاً لأحد مثل هذه الاتهامات وهذا التشويش في هذه الظروف.

شكري وتقديري لكم أيها المواطنون على انضباطكم وعلى حرصكم على وطنكم وعلى بلدكم ومشروعكم السياسي وتحقيق مطالبكم الحققة والمشروعة، إن هذا المشروع نشأ على أيديكم فأنتم حماة وأنتم المدافعون عنه وأنتم المصلحون لسلبياته إن حصلت هنا أو هناك. وشكري للقوات المسلحة على سعة صدرها وتعاملها الطيب

مع جميع أبناء شعبنا من المتظاهرين وغيرهم وعدم توجيه فوهات سلاحهم إلى صدور المواطنين، وعدم استخدام السلاح في التعامل مع الانفعالات التي قد تحصل هنا أو هناك، ونتمنى على اللجان الشعبية والمدنية أن تقوم بهذا الدور وأن تهدي أي شخص ينفعل.

إنجازات كتلة شهيد المحراب النيابية

أيها الشرفاء، أيها الوطنيون، بضغوطكم وتشجيعكم فإن المسؤولين سيندفعون أكثر لتقديم الخدمة إليكم، وفي حل مشاكلكم ومعالجة السليبات القائمة والتي تمثل مطلباً أساسياً في احتجاجاتكم. وهذا ما لاحظناه في الموازنة العامة؛ فقد كان للشارع العراقي الدور الكبير في تشجيع أصحاب القرار لتوجيه الموازنة في اتجاهاتها الصحيحة، كل الفخر والاعتزاز من كتلة شهيد المحراب النيابية، من نوابكم الذين وضعت ثقتكم فيهم في مجلس النواب، وبالتعاون والتشاور مع كافة الأطراف السياسية والسادة النواب والكتل النيابية أن تخرج بموازنة تحولت من موازنة تركز على مصالح المسؤول إلى مصالح الشعب والمحرومين من أبنائه، إنها خطوة مهمة نجدها اليوم في موازنة عام ٢٠١١، حيث تُخصص لأول مرة وبطلب من كتلة شهيد المحراب تخصيصات كبيرة تصل إلى ٥٠ مليار دينار للطلبة لمعالجة مشاكلهم المعيشية أثناء الدراسة، وهناك ١٣٧ مليار دينار من المبالغ المخصصة لوزارة العمل والرعاية الاجتماعية لتطوير الرعاية الاجتماعية والفقراء، وكان ذلك بجهد أبنائكم من هذه الكتلة.

وكذلك تخصيص مبالغ كبيرة لضحايا الإرهاب، وأتمنى من هذا المنبر أن تخصص هذه المبالغ على شكل رواتب لزوجات أولئك الشهداء وضحايا الإرهاب حتى تعيلهم وتنتهي مشاكلهم، ولا تصرف على مشاريع لا ينال منها هؤلاء الضحايا شيئاً. كما لاحظنا تطويراً واضحاً في ميزانية المحافظات سوف ينعكس بشكل مطرد على الخدمات في المحافظات العراقية ومراعاة النسب السكانية لكل محافظة، وهذا ما يحصل بشكل كبير في توزيع الموازنة بين المحافظات العراقية كافة.

تقليل امتيازات المسؤولين

لاحظنا أيضاً تخفيض رواتب كبار المسؤولين وحذف المنافع الاجتماعية للرئاسات، وهو شيء حسن ولكن نطالب كما تم تخفيض رواتب المسؤولين أن ترتفع رواتب الموظفين من الدرجات الدنيا ورواتب المتقاعدين، لكي تحصل العدالة الاجتماعية

وتردم هذه الفجوة في الرواتب بين المسؤول وعموم الموظفين، كما نطالب بإقالة كل وزير يعجز عن تنفيذ ٧٥٪ من المشاريع التي رصدت له في هذه الموازنة ونعرف جيداً أن حكومتنا الموقرة في سنة ٢٠١٠ كانت نسبة الانجاز الإجمالي لوزاراتها هي ٦٥٪، فهناك وزارة أنجزت ١٠٠٪ وهناك وزارة أنجزت ٥٪ وهذا يعتبر فشلاً لوزير لا يستطيع أن يحقق الخدمة المناسبة للناس، فكل وزير لا يقدر على تسخير وزارته لخدمة الناس وتنفيذ ٧٥٪ من المشاريع يجب أن تسحب الثقة منه وتُعطى لآخر يكون قادراً على خدمة المواطنين.

هناك مغالطة كبيرة، فالبعض يعتقد بأن الفساد المالي محصور في أن يسرق الإنسان مالا من الدولة، علينا أن نغير أي مسؤول لا يستطيع تنفيذ المشاريع ولا يقدم الخدمة للناس، لأول مرة أيضاً يتخذ قرار في هذه الموازنة بتوزيع الدرجات الوظيفية ومشاريع الوزارات بين جميع المحافظات حسب النسب السكانية، وهذا سيعطي مزيداً من الإنصاف والعدالة في توزيع هذه الإمكانيات وهذه المشاريع، وكذلك الفرص الوظيفية.

تشبيث أصحاب العقود

نتمنى ونأمل تحويل كل أصحاب العقود إلى الملاك الدائم، لأنهم يحظون بالأولوية في هذه المرحلة، وكذلك تحويل ٢٠٪ من فائض أسعار النفط في حال زيادتها كما هو في الموازنة إلى دعم المشاريع الصغيرة للفقراء والمحتاجين من الناس والطبقات المحرومة، وكذلك ضغطت هذه الكتلة - كتلة شهيد المحراب - لإضافة ٨٠٠ مليون دولار إلى الميزانية المعدة للبطاقة التموينية لتوفير فرص أفضل للحصة التموينية للمواطن، وتخصيص ٥٠ مليار دينار لاستكمال طريق «يا حسين» للمعانة الكبيرة التي يعاني منها المشاة من زوار الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهم في طريقهم إلى كربلاء.

عليكم أن تأخذوا دوركم أيها الشعب الكريم، حينما تقولون كلمتكم بالطريقة الصحيحة التي تشجع وتحقق هذه الإنجازات، وما كان لكتلة شهيد المحراب أن تنجز هذه الأمور لشعبنا لولا هذا الحضور وهذا التشجيع الكريم من قبلكم ومتابعتم لهذه الشؤون.

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١١/٣/٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين
حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين
وصحبه المنتجبين الميامين .

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

سادتي الأفاضل إخوتي الأكارم أخواتي الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب
في مجلسكم هذا مجلس أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن
النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة وقلنا إن عهد أمير المؤمنين الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ
لمالك الأشرى يمثل إجازا وتلخيصا لهذه النظرية . وانهينا إلى المقطع الثالث من مقاطع
هذا العهد الشريف، الذي يتحدث عن طبيعة العلاقة بين الحاكم وعموم الناس، بين
الراعي والرعية، وبين المسؤول والمواطنين .

المنظومة القيادية بحسب الرؤية الإسلامية لا تنحصر بمستوى الحاكم أو المسؤول
أو الزعيم، وإنما تمتد لتشمل كل حالات التصدي بدءاً من الأسرة، فرب الأسرة له
مستوى من التصدي في أسرته وصولاً إلى الدوائر الأخرى . قد يكون الإنسان مسؤولاً
لقسم أو شركة أو مصنع وغير هذه المستويات من التصدي، أو أحياناً يكون مسؤولاً في
عمل اجتماعي معين، أو مسؤولاً في رابطة أو نقابة، كل حالات التصدي هي عبارة
عن موقع قيادي، وبالتالي يجب أن تتوافر هذه المواصفات والشروط والالتزامات لكل
هذه المواقع، فحينما نتحدث عن النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة فنحن لا نتحدث
عن واجبات ومهام لوزير أو زعيم أو مسؤول أو رئيس، إنما نتحدث عن واجبات أمة،

فكل إنسان يجب أن يكون متصديا في مساحة من المساحات وبالتالي فهذه واجبات كلنا معنيون بالاطلاع عليها، وكل منا قد يكون متصديا لأمر محددة وهو خاضع لمن يتحمل مسؤولية أوسع أو أعلى منه، وبالتالي يمكن أن يلعب كل منا أكثر من دور في هذه العملية.

الدرس العاشر

في هذا المقطع انتهينا إلى الدرس العاشر من دروس علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»^(١١). فبعد أن تحدث أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الرحمة تجاه الرعية لمن يتحمل المسؤولية تجاههم، وقلنا إن العلاقة الإنسانية هي الأساس في العلاقة بين المسؤول ومن هو مسؤول عنهم، هنا يذكر أمير المؤمنين بأن هؤلاء الذين تتحمل المسؤولية تجاههم صنفان؛ إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق، فماذا يقصد أمير المؤمنين بهذه المقولة؟.

الرؤية تحكم العلاقة مع الآخر

كان علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يريد أن يقول أيها الإنسان إن السلوك والأداء والموقف تجاه الآخرين تخضع لخلفية الرؤية والتقييم الذي يحمله الإنسان تجاه الآخر، فإذا كان كل منا يستذكر سلوكه ومواقفه داخل البيت والأسرة، سواء مع الطفل الصغير أو الأولاد الكبار، مع الزوج أو الزوجة في داخل البيت، مع كل منهم، وهناك علاقات أوسع ضمن هذا الإطار، حيث سلوك الإنسان الخاص مع الصديق والزميل في العمل والمسؤول في العمل، ومن هو دونه في المسؤولية لمساحات العمل، مع الناس المجاورين، مع شيخ العشيرة، إلى غير ذلك من العناوين التي يمكن أن نطرحها، فإذا سأل كل منا نفسه هل يتعامل مع كل هذه العناوين تعاملًا واحدًا؟، فإن الجواب بالتأكيد سيكون: كلا، فالتعامل مختلف.

ولكن لماذا يختلف التعامل بين شخص وآخر؟. الجواب يرتبط بطريقة وطبيعة رؤيتنا ونظرتنا إلى هذا الشخص؛ فإذا كان هذا الشخص ابنا فيمكن أن يتعامل معه بطريقة أكثر انفتاحا من موقع الأب، وتختلف عن طريقة التعامل مع الصديق الذي تفرض العلاقة معه استحقاقات والتزامات خاصة، وهكذا إذا ما كان شيخا كبيرا أو شيخ عشيرة أو مسؤولا

كبيراً في مكان ما أو وجيهاً، فهنا توجد استحقاقات أخرى. هذه الرؤية تنعكس تماماً على سلوكنا في التعامل مع هذا الشخص أو ذاك ويمكن أن يكون التعامل مختلفاً.

إن الخلفية التي يُنظر بها إلى الناس تدفع الإنسان إلى التعامل معهم بسلوك ينسجم مع هذه الرؤية، وهذه الخلفية قد تكون بدافع النظر إليهم كونهم أدنى مرتبة وأقل قيمة، أو أنهم مجرد جسر يتسلك عليه، ومثل هذا المنطق بكل تأكيد سيدفع هذا المسؤول أو الرئيس أو القائد أو الوزير، هذا الزعيم أو السلطان أو أياً كان عنوانه في أي مكان، يدفعه إلى سلوك مختلف عما إذا نظر إليهم كأشخاص مثله.

الأخوة الإنسانية

الناس إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق، أي أنت لست أفضل منهم، والقدر جعلك مسؤولاً عنهم، ولكن هؤلاء إما يشتركون معك بالعقيدة أو يشتركون معك في الإنسانية، يقول تعالى لنبيه الكريم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾^(١٢)، وهو أمر من الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم، قل يا رسول الله وأخبرهم ولا تحتفظ بهذه المعلومة لنفسك، عليك أن تشيع هذه الثقافة بين الناس بأن رسول الله الذي هو أعلى إنسان في كماله إنما هو بشر مثلكم، في البعد الإنساني مثلكم، وفي الكمال، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(١٣)، فكل من يستطيع أن يتكامل أكثر وأكثر فالمجال مفتوح أمامه.

وهذا منهج مهم، أيها المسؤول، أيها المتصدي، مهما كانت مسؤوليتك، سواء كنت رئيس دولة أو وزيراً أو مديراً فإن هؤلاء الذين تحت يدك وأنت مسؤول عنهم، اعلم أنهم ليسوا أقل منك شأنًا، هؤلاء مثلك، إما شركاؤك في العقيدة أو هم شركاؤك في الإنسانية. إن هذه الرؤية ستعكس تماماً على سلوك المسؤول حينما ينظر إلى الآخرين أنهم مثله وليسوا أقل منه قيمة ومرتبة، ويمكن أن يكون البعض منهم أحسن منه، فالتعامل يكون تعاملًا مختلفًا لا توجد فيه إساءة أو تعدُّ أو تجاوز، وليس فيه تطاول وسحق ولا إبادة جماعية.

وهناك الرؤية الأخرى حينما يرى أن الآخرين ليسوا مثله، يرى أنه الزعيم الأوحدهم، القائد الضرورة، وبفكرة من هذا النوع سيرى الناس ليس لهم قيمة وهم عبيد عنده، فيكون سلوكه عدوانياً تجاههم، فيه إساءة وتطاول وتجاوز على الآخرين، يصل إلى استخدام

١٢. سور الكهف: الآية ١١٠

١٣. سورة المطففين: الآية ٢٦

الطائرات والدبابات والمقابر الجماعية . أما إذا كان يشعر أنهم أهله وشعبه فسيحسن إليهم ويحترمهم ، ويشفق عليهم ويطلب لهم ما يطلب لنفسه ويتمنى لهم ما يتمنى لنفسه إلى غير ذلك من الاعتبارات .

دولة المواطن ودولة المسؤول

إذن فهذه قضية مفصلية في الفهم الإسلامي لطبيعة العلاقة بين من يتصدى للمواقع المسؤولية ومن هم خاضعون تحت تلك المسؤولية ، اليوم في أديباتنا السياسية نقول دولة المواطن أو دولة المسؤول ، فما هي هذه الدولة؟ . وهو سؤال يطرح في العراق أو في دول أخرى .

الإجابة عن هذا السؤال ترتبط بمن هو صاحب القيمة والشأن في البلد؟ ، فإذا كان الناس أصحاب الشأن والقيمة وهم أصحاب المشروع والدار وهم من يختارون موظفا بدرجة متقدمة ليخدمهم ويرعاهم ويحسن إليهم ، وينظم شؤونهم ، إذا كانوا هم أصحاب الشأن فهذه هي دولة المواطن ، وهذه تتطلب سلسلة من القوانين والضوابط والإجراءات والسلوكيات والأداءات والمواقف ، فحين يشغل أحد الأشخاص موقع وزير فما تعريفنا لهذا الموقع ، هل هو خادم وراعٍ أو هو حاكم ومتسلط؟ .

انظروا بعض المفردات التي تستخدم مع قطع النظر اليوم عن مدايلها السياسية ، فعندما يكون الشخص هو الرجل الأول في نظام ملكي ، يقال هذا ملك ، وحين نتوقف عند المدلول اللغوي فهل يعني أن الملك يملك الشعب والشعب مملوك له؟ إن مثل هذه العلاقة علاقة متسلط ومتسلط عليه ، وهذه لها استحقاقات كبيرة وخطيرة جدا ، أم أن العلاقة هي علاقة راع ورعية ، ونرى أنه في الأدب الإسلامي دوماً تُستخدم هذه المفردة «الراعي» أي الذي يرعى ويهتم ، والرعية أي التي تُرعى وتُقدّر ، وهذه كلها ترتبط بطبيعة النظرة وطبيعة الرؤية التي يراها المسؤول والمتصدي لهؤلاء الناس .

من خلال هذا يتبين أن هذه الفاء(فاء) التفرع في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : «فإنهما صنفان» فيها إشارة إلى أن هذا الحديث و الكلمة هي التعليل لما ورد في الدرس السابق ، وفي العبارة السابقة ، لأنهم مثلك أيها الحاكم والمسؤول في العقيدة أو في الإنسانية ، فعليك أن تتلطف بهم وتكون لينا معهم . إن أمير المؤمنين يعلل في هذه العبارة ويذكر السبب لما عرضناه من كلامه في الدرس السابق ، كما تحدثنا و شرحنا أن هذه العلاقة هي علاقة الرحمة و علاقة الشفقة ، علاقة المودة والمحبة .

ثقافة قيم لا تشريعات

لماذا يجب على المسؤول أن يستشعر الرحمة والمودة واللطف لمن هو دونه في المسؤولية؟ الجواب، لأنهم مثله في الإنسانية أو في العقيدة، وليس أقل منه شأنًا، فيجب أن يرافهم . . . وبهذا يتبين بحسب الرؤية الإسلامية أن سلوك رجال الدولة لا يحدد بمجرد لوائح انضباطية مثلاً: (أصدرنا أمراً ديوانياً، بسم الله الرحمن الرحيم: قررنا أيها الضباط والمدراء والمسؤولون، وأيها الموظفون أن تتعاملوا برفق ومحبة مع الناس)، إن مثل هذا القرار لا ينفذ، لأن القضية ليست قرارات أو مجرد تعليمات، بل هي قضية ترتبط بالرؤية والنظرة إلى الناس .

يدخل المواطن اليوم إلى دوائر الدولة ولا يستطيع أن يرى المسؤول كالمدير مثلاً، وحتى الموظف نفسه منفصل عن المواطن ولا يتعامل معه بطريقة إنسانية، حتى تصل الأمور إلى عدم رد التحية، لماذا هذا التعامل المهين مع المواطن والمراجع؟، فهو مثلك في العقيدة ومثلك في الوطنية والانتماء لهذا الوطن والإنسانية، فما فضلك عليه؟، قد يكون أفضل منك بألف ضعف و ليس مائة، فأنت إنما أتيت لك الفرصة وأصبحت مسؤولاً . إن سبب ذلك هو عدم وجود تلك الرؤية لدى مثل هذا الموظف، تلك الرؤية التي يرى من خلالها أنه خادم في موقعه هذا للمواطن الذي يراجعه .

إننا نحتاج إلى إشاعة هذه الثقافة، ثقافة دولة المواطن، ثقافة المواطنة الصالحة بين الجميع، اليوم هناك مئات بل عشرات الآلاف من الموظفين في الثماني سنوات وتُنفق عليهم مئات الملايين من الدولارات في دورات لتأهيلهم وتصرف الدولة منحاً لأجل ذلك من إمكانات الدولة العراقية فيرسلون إلى لبنان مثلاً، حيث الفنادق الراقية لثلاثة أيام، لغرض تعليمهم استخدام مهارات متقدمة في الكمبيوتر والفنون الإدارية، غير أن مصاريف دورة واحدة يمكن أن يُشترى بها ألف كومبيوتر، ويمكن جعل هذه الدورات في الدوائر نفسها وبصورة مجانية، بدلاً من السفر إلى هذا البلد أو ذاك وتحمل كل هذه النفقات والصرفيات، وبرغم كل ذلك فإن من يذهب يعود وهو من دون أية فائدة حقيقية .

أزمة الثقافة القيمية

المطلوب أن نعلم هؤلاء أولاً القيم الإسلامية والقيم الوطنية التي نؤمن بها نحن كعراقيين، ولكن للأسف لا يوجد لدينا درس في القيم والمبادئ، وتعليم وترسيخ الثقافة الوطنية، نعم قد يتعلم الشخص القراءة والكتابة وبعض السياقات الإدارية، ولكنه لا يتعلم كيف يتعامل مع المواطن وهي مسألة مغفلة .

تعطى دروس كثيرة لمنتسبي الجيش والشرطة حول كيفية استخدام السلاح ، ولكن أين هي المحاضرات التوجيهية التي توضح لهذا الجندي العزيز أنك عندما تقف في السيطرة فهؤلاء المواطنين في سياراتهم هم الأصل ، وأن تعاملك معهم يجب أن يتوفر على التوقير والاحترام والتكريم . إن هذا الدرس لا يجري إعطاؤه للجندي ولا للموظف ، توجد دروس في شؤون مهنية صرفة ولكن تلك الدروس حول روح التعامل ليست موجودة ، لهذا فالآثار أحيانا تكون آثارا عكسية .

إن الإسلام يؤكد أن العلاقة بين المسؤول والمواطن يجب أن تكون علاقة إنسانية ، ثم يأتي الاحتراف والمهنية كعنصر مهم في تنظيم العمل ومساراته ، وهذا مع الأسف غير مُلتفت إليه . لاحظوا ماذا يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في كتابه الخامس والعشرين ، لمن يستعملهم على الزكاة ويرسلهم لجباية الزكوات ، وجباة الضرائب كمثل لنموذج المسؤول ، وهنا يعلمه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ كيف يتعامل بالقول : «انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له ، ولا تروعنّ مسلما»^(١٤) ، فأول ما يجب فعله هو أن يكون العمل لوجه الله ، بصفاء نية ، بعيدا عن الامتيازات حتى وإن كان عملا وظيفيا معيناً ، فالإخلاص لله عامل مهم يدفعك إلى الإخلاص في العمل ، «ولا تروعنّ مسلما» ، فكونك مسؤولاً لا يبيح لك ترويع المسلم وإخافة الناس ، واليوم نرى في واقعنا أن الشخص قد يقف أمام باب المحكمة خائفا مرعوبا مع أنه صاحب الحق ، ذلك لأنه يخشى ألا يُنصف وأن يدفع الظالم رشوة تقلب صورة الحق وتجعل المظلوم ظالما .

الأوضاع الليبية نحو الأسوأ

ما زالت المنطقة العربية تغلي وتعج بالمسيرات والاحتجاجات ، وبالمواقف التي يشهدها الشارع العربي في التعبير عن السخط والامتعاض من بعض الأنظمة ، والرغبة في تحقيق بعض الطموحات . إن ما يجري في ليبيا من تعنت ومن قصف للشعب الليبي بالدبابات والمدافع والطائرات ، وقتل عدد كبير من الناس وجرح عدد آخر كلها أفعال تثير الدهشة لدى الكثير من المراقبين في العالم ، ومع هذا يخرج العقيد القذافي ليعطي صورة مختلفة تماماً ، ومناقضة لما يراه الرأي العام عبر وسائل الإعلام وشاشات التلفاز ، من قمع وسخط واعتراض من الشعب الليبي على سلوكه وأدائه ، ويصرّ على أن كل هؤلاء خونة وأن الشعب الليبي متعاطف معه ، ويتجاهل كلال مطالب العادلة للشعب الليبي ، ويضيق الخناق على

نفسه وعلى جماعته ويزداد عزلةً يوماً بعد آخر نتيجة هذا السلوك، وهذا الأداء في التعامل . اليوم لا نجد من يقف ويدافع عن القذافي في داخل ليبيا إلا من عصابة محدودة من الناس . ولا في المنطقة ولا في العالم إلا بقايا البعث الصدامي الذين أصدروا بياناً وعبروا عن تضامنهم مع القذافي ، واستعدادهم لأن يذهبوا وأن يقاتلوا معه مع المرتزقة الذين جمعهم من دول أفريقية مجاورة ، وبذلك يعبر الصداميون من جديد عن طبيعة رؤيتهم ، وموقفهم وتقييمهم للحاكم والمحكوم ، وطبيعة السلوك الذي يعتقدون به ، فهم الوحيدون الذين وقفوا وعبروا عن دعمهم لهذا الطاغوت ، ولهذا الدكتاتور .

إذا لم يستثمر القذافي الفرصة التي منحها الثوار له في أن يتخلى عن الحكم ، دون أن يتعرض إلى ملاحقة قضائية ، فستكون الأمور أسوأ في قادم الأيام له ولأسرته وعصابته وجماعته . هذا هو سلوك الطغاة والظالمين ، لا يرون إلا أنفسهم ومصالحهم ومواقعهم ، وباتوا غير قادرين على أن يهضموا الحقيقة كما هي ، وأن يقيموا الواقع بالطريقة التي ينظر بها الناس ، كل الناس ، ويصرون على أن يعيشوا أحلاماً وردية صنعوها لأنفسهم ، وابتعدوا بها عن شعوبهم وعن تقييم العالم لهم .

قدرة الشعب الليبي على استعادة حقوقه

إننا على ثقة عالية بالله سبحانه وتعالى ، وبالشعب الليبي وقدرته على استعادة الحرية والعزة والكرامة . وتثبيت الإرادة الحقيقية لهذا الشعب الكريم ، في الوصول إلى مطالبه العادلة ، وأخذ دوره المنشود في إدارة شؤونه ، ووضع حد لهذه الممارسات العنجهية والأساليب الدكتاتورية ، التي تصدر عن هؤلاء الطغاة . نتمنى لهذا الشعب الكريم أن يتخلص بأقرب وقت ممكن من هذا الحكم الدكتاتوري ، لتكون له الفرصة في أن يستعيد المبادرة وأن يدير شؤون بلاده بنفسه .

تطور الإرادة الشعبية في البحرين

كما أن الأوضاع في اليمن تشهد تطورات متسارعة ، حيث الحماس والاندفاع والتحام القبائل والعشائر من أنحاء البلاد المختلفة في اليمن ، مما يوسع رقعة المعارضة والثوار الذين باتوا يرغبون بإسقاط النظام وتغييره . وهكذا أصبح مسار هؤلاء الثوار مسار اللا عودة واللا رجعة الذي سيمضي فيه هؤلاء لإسقاط هذا النظام ، والوصول إلى نظام ديمقراطي تعددي يعبر عن إرادة الشعب اليمني الكريم ، كذلك فالوضع في البحرين ،

هذا البلد الخليجي العزيز على قلوبنا، يشهد تطورات ملموسة على مستوى الإرادة الشعبية البحرينية في تحقيق مطالبه العادلة، نحو مزيد من الحريات والحقوق المشروعة السياسية والمدنية والمعيشية. وقد تحولت المسيرات المتواصلة في هذا البلد الكريم إلى مظهر من مظاهر التعبير عن هذه الإرادة الشعبية.

التحولات والمشهد السياسي الجديد

إن هذه التحولات الكبرى في المنطقة العربية، تضعنا أمام تحول كبير وأمام مشهدٍ سياسي جديد، ستكون له استحقاقات كبرى على مستوى المنطقة وعلى مستوى تعزيز الديمقراطية، وإطلاق الحريات وتنظيم العلاقة بين الأنظمة الحاكمة والشعوب. وكذلك تحقيق العدالة الاجتماعية وتطوير الواقع المعيشي والخدمي لهذه الشعوب الكريمة، ومن لم ينتبه لهذه التحولات الكبيرة ولم ينسجم ويتكيف معها فلا بد من أن يجد نفسه بعيداً عن مواقع القرار، ومواقع الحكم بشكل قهري وطبيعي لإكمال الرؤية التي أصبحت سائدة في مجتمعاتنا العربية، والرغبة الملحة للشعوب العربية في استعادة عزتها وكرامتها وإرادتها في بلدانها.

إن هذا المنهج السلمي لتغيير أنظمة فاسدة أو إجراء إصلاحات في سياقات الإدارة والحكم في العديد من البلدان العربية، إنما يمثل التحدي الأكبر لقوى التطرف والظلام وقوى الإرهاب، التي طالما عزفت على نظريات أن لا تغيير إلا من خلال القتل والعنف والتفخيخ، والإساءة للمواطنين. أما اليوم فالشباب الثوار يُظهرون أن المسيرات السلمية والأداء السلمي هو القادر على أن يعالج التحديات والمشكلات في هذه البلدان الكريمة. حتى في ظل أنظمة جائرة، ويجعل نظرية الإرهاب ونظرية التطرف أمام تحديات كبيرة تعصف بها وتهزها من العمق وفي الصميم.

الأجواء العربية والانتفاضة الشعبانية

في أجواء الثورات العربية التي نشهدها اليوم نستذكر ونحن في شهر آذار الانتفاضة الشعبانية المجيدة في آذار في سنة ١٩٩١، حينما خرج أبناء الشعب العراقي في ذلك العمل الكبير، والملحمة البطولية وسطروا موقفاً تاريخياً سجل لهذا الشعب الكريم، وإن كانت في أجواء من التعتيم الإعلامي المطبق، والتغطية السياسية الواسعة للحاكم آنذاك، وأمام تحديات كبيرة تعرض لها الشعب العراقي، من إبادة جماعية أودت بأرواح مئات

الآلاف من أبنائه أجهضت هذه الثورة وهذه الانتفاضة، ولم يتحقق الانتصار الكامل لها في عام ١٩٩١ ولكنها كسرت حاجز الخوف، ومهدت لحركة باتت أوسع وأوسع عزلت النظام الصدامي، ووفرت فرص الانقضااض عليه وتغييره، ولو بعد فترة من الزمان.

تظاهرات الشارع العراقي

إن الوضع في عراقنا الحبيب شهد الكثير من المسيرات والاحتجاجات السلمية، والحضارية الهادئة خلال الأيام الماضية، وقد عبر الناس عن مطالبهم بحرية كاملة وقالوا كلمتهم وتحذثوا عن رغباتهم وطموحاتهم، ونقدتهم لبعض الظواهر السلبية في واقعنا العراقي. وقد شاب هذه المسيرات بعض الأخطاء التي كانت موضع إدانة واستنكار من الجميع بدون استثناء، ما هو المهم الآن؟ وكيف نحول هذه المطالب الشرعية الشعبية إلى خريطة طريق لإصلاح الأوضاع وتنفيذ كل الإجراءات المطلوبة لتحقيق هذه المطالب من خلال مجلس النواب والحكومة الموقرة والقضاء وسائر مفاصل الدولة، حتى يشعر المواطن العراقي بأن هناك من يصغي لمطالبه وهناك من يعمل على تحقيق هذه المطالب؟.

إجراء صحيح بحاجة إلى تعزيز

إن الخطوة التي قام بها مجلس النواب في إيفاد السادة والسيدات النواب إلى محافظاتهم، والاستماع إلى الناس وجمع مطالبهم، ومن ثم تدوينها وتبويبها، واستضافة دولة رئيس الوزراء إلى اجتماع يعقده مجلس النواب يوم الخميس، لمداولة الأمور ذات الصلة باحتياجات الناس وقضاياهم، إنما هي خطوة صحيحة وجيدة وتتمنى لها التوفيق. وهي بادرة جيدة أن يشعر الشعب بأن هناك مجلسا نيابيا يكثرث ويصغي ويبادر ويهتم بسماع مطالب الناس، ويناقشها مع السادة المسؤولين في الحكومة العراقية. ولكنها خطوة ليست كافية ولا بد من الاستمرار في الجهود المضيئة لوضع القوانين والآليات الكفيلة بحل مشاكل الناس.

إن تشكيل اللجان وعقد الاجتماعات التداولية والمؤتمرات الصحفية واللقاءات النخبوية، كل هذه الجهود إنما هي جهود مفيدة ومشكورة إذا أنتجت إجراءات عملية لحل مشاكل الناس، وأما إذا لم تؤد إلى مثل هذه الإجراءات وبقيت على مستوى الحديث والشعار والخطابات والندوات فقد تؤدي إلى انطباع لدى الشارع العراقي بأنها خطوات ترقيعية، لتهديئة النفوس وتطبيب الخواطر وليست خطوات جادة لحل مشاكل الناس، وتحقيق طموحاتهم. وفي مثل هذا الشعور خطر كبير؛ لأنه يهز صدقية الحكومة والبرلمان

في أنظار الشارع العراقي ، ويخاطر بالثقة المتبادلة بين أبناء شعبنا ومؤسسات الدولة .

المبادرة الوطنية

إن مبادرة الإصلاح الوطني التي تجري مشاورات حثيثة لإطلاقها من قبل الأطراف والقوى الوطنية والنيابية ومنظمات المجتمع المدني ، جاءت لتتماشى وتلبي هذه التوقعات التي يعيشها الشارع العراقي اليوم . وهذه المطالب التي يرفعها المواطنون العراقيون الشرفاء ، وهي تتضمن في جانب منها رؤية واضحة لإجراءات سريعة وآنية لمطالب ملحة يعاني منها المواطن في حياته اليومية . وقد ذكرت من قبل المرجع الأعلى الإمام المفدى السيد السيستاني (دام ظله الوارف) في البيان الذي صدر عن مكتب سماحته مؤخرا ، وهي قضايا أربع أساسية ، الكهرباء ، والبطاقة التموينية ، ومكافحة الفساد الإداري والمالي ، والبطالة ، هذه القضايا الأربع التي أشار إليها بيان مكتب الإمام السيد السيستاني تحظى بأولوية كبيرة ، وقد ركزت المبادرة الوطنية للإصلاح على هذه النقاط الأربع في الجانب السريع والفوري من الإجراءات المطلوبة .

ولكن هذه المبادرة تضمنت في جانب آخر مجموعة من القوانين والتشريعات والإجراءات المتوسطة والبعيدة المدى ، التي نحتاج إليها من خلال رؤيتنا لبناء الدولة العراقية ، والخطوات المطلوبة في مشروع بناء الدولة البناء الصحيح الذي يحقق الرفاه الاجتماعي ، ويدفع الأمور بالاتجاهات التي يتمناها المواطن العراقي ويتطلع إليها ليرى بلده الكريم يتطور .

أوجه شكري وتقديري واعتزازي لكل خطوة تخطوها الحكومة العراقية ، أو البرلمان العراقي ، أو القوى الوطنية أو القوى الشعبية والاجتماعية ، أو منظمات المجتمع المدني ، أو وسائل الإعلام في تلبية وتنفيذ فقرات ومفردات هذه المبادرة الوطنية .

تضافر الجهود لتفعيل وإنجاح المبادرة

إن تضافر الجهود هو الذي سيسهل عملية تنفيذ هذه المبادرة ، وتحقيق ما يتطلع إليه أبناء شعبنا في هذه المرحلة الحساسة . إن هذه المبادرة ليست موقفا سياسيا عابرا ، ويجب أن تبقى بعيدة عن المزايدات السياسية بين القوى الكريمة ، وإنما هي خطوة ضرورية في تحديد رؤية علمية ومنهجية لطبيعة المشاكل والتحديات والحلول والمعالجات

المطلوبة ، للنهوض بهذا البلد وحل مشاكل الناس وتحقيق الرفاه الاجتماعي والعدالة الاجتماعية للمواطنين .

إن نجاح هذه المبادرة يتطلب تسريعا في الجهود وجدية في المتابعة من كل المخلصين من السادة المسؤولين في مواقع الدولة ؛ الحكومة ، والبرلمان ، والقضاء ، وجميع مفاصل الدولة ؛ لأن هذه الجهود إذا لم تتضافر فلا يمكننا أن نحقق تنفيذها لهذه المبادرة وتخليصا للشعب العراقي من المعاناة المريرة التي يواجهها في كل يوم .

مجلس النواب ومسؤولياته التشريعية

ما زال على طاولة مجلس النواب عدد كبير من مسودات القوانين التي عرضت على هذا المجلس في دورته السابقة ، ولم ينظر فيها حتى الآن ولا بد من التركيز المضاعف والجهد المتواصل للنظر في هذه القوانين وتشريعها ، مما سيخلق مناخات لتطور البلاد ، على مجلس النواب ألا ينكفي على البيانات السياسية والمواقف السياسية والجدل الذي يحصل في أروقتة ، وينشغل بما يخدم الناس ومصالح المواطنين .

إعطاء الحكومة الوقت اللازم

إننا نقدر قصر المدة منذ تشكيل الحكومة العراقية والظروف والتعقيدات التي تمر بها هذه الحكومة في الوقت الراهن ، مما يدفعنا جميعا لأن نعطيها فرصة لنستبين مدى إمكانية تحقيقها للنجاح وتثبيت مبدأ الخدمة للمواطنين خلال الأشهر القادمة ، وإن الشارع العراقي يتطلع إلى أن يرى جدية حقيقية في الأداء الوزاري ، وفي تنفيذ المشاريع وفي معالجة المشاكل الخدمية للمواطنين لاسيما بعد إطلاق الموازنة لهذا العام وإقرارها في مجلس النواب ، مما يجعل الحكومة أمام الروافد المالية المطلوبة لإجراء هذه التعديلات وتنفيذ هذه المشاريع في أسرع وقت ممكن .

إن شعبنا أثبت مستوى عالياً من الصبر والتحمل ، وهو يتطلع الى أن يرى الأمور تسير في اتجاهها الصحيح ، ولا شك في أن هناك المخلصين الذين يعملون ليل نهار لحل مشاكل الناس ، ولا أعتقد بأن مواطنا عراقيا يعتقد بأن العراق يمكن أن يتحول إلى يابان في سنة أو سنتين . ولكن جميع العراقيين يتوقعون أن نمضي بخطوات واضحة ودقيقة على رؤية علمية ومنهجية ، وضمن أسقف زمنية سريعة لحل مشاكل البلد وتحويل العراق إلى بلد متطور يحقق الرفاه الحقيقي لأبناء شعبه .

إن مثل هذا الطموح والوصول إلى عراق متطور في سنوات قصيرة ليس أمرا مستحيلا ، فالعراق يملك الروافد المالية الكبيرة ، ويمتلك الشخصية العراقية الفذة ، ويمتلك التاريخ

والحضارة ويمتلك القوى والإرادة الوطنية المخلصة الراغبة في تحقيق التقدم والازدهار والإعمار لهذا البلد الكريم .

يوم المرأة العالمي

في الثامن من آذار من كل عام نحتفل باليوم العالمي للمرأة، كما أقرته الجمعية العمومية للأمم المتحدة في عام ١٩٧٧ . ومنذ ذلك التاريخ يجري الاحتفال بهذا اليوم، وهنا لا بد من أن نستذكر الدور الرائد والمتقدم للمرأة العراقية وتضحياتها الجسام، هذا الدور الذي كان وما زال قائما في تضحيات هذه المرأة وإسهاماتها، ودورها الكبير في بناء هذه البلاد، المرأة البنت، والمرأة الأخت، والمرأة الزوجة، والمرأة الأم، في كل أدوارها قدمت ولا تزال تقدم الكثير من أجل هذا البلد الكريم، ولا بد أيضا من أن نستذكر الحقوق المادية والمعنوية للمرأة والضغوط والتعنيف الذي تتعرض له، والإساءة والضغوط من بعض الأوساط في ظل بعض الأعراف والتقاليد التي لا تحقق للمرأة كرامتها وعزتها وحقوقها ورفعتها والمكانة اللائقة بها في مجتمعنا .

إننا ندعو جميع المخلصين لبذل جهودهم من أجل أن تستعيد المرأة، هذا النصف الآخر من المجتمع، كامل حقوقها الإنسانية والدينية والمدنية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وهكذا الثقافية والتعليمية وغيرها من الحقوق . نحن مع الحق الكامل للمرأة في هذا المجتمع، ومع الأدوار المتزايدة لها ضمن الموازين والإطار الشرعي والقيمي الذي نؤمن به .

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١١/٣/١٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

سادتي الأفاضل إخوتي الأكارم أخواتي الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب في مجلسكم هذا مجلس أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين، وأشكر لكم حضوركم في هذا الملتقى الأسبوعي، ونسأل الله أن يجعله مفيدا ونافعا لنا جميعا.

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة، وذكرنا أن هذه النظرية يختزلها أمير المؤمنين الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في عهده لمالك الأشرحين ولاء مصر، وبحسب هذه النظرية فالقيادة لا يُقصد منها موقع قيادي محدد كأن يكون زعيما أو واليا أو في تعبيرنا اليوم، يكون رئيسا أو وزيرا أو محافظا أو ما شابه ذلك، وإنما تشمل الأدوار القيادية لكل من يتصدى ويتحمل المسؤولية في أية دائرة أو أية مساحة من المساحات، فقد يكون الإنسان مسؤولا عن أسرة أو يكون مسؤولا لمصنع أو قائدا لفريق رياضي أو لعمل شعبي أو لفرقة مسرحية أو أي شيء من الأمور المختلفة، ضاقت أم توسعت، صغرت أم كبرت، فإذا كان الإنسان متصديا فستشمله هذه التعليمات وهذه التوصيات في طبيعة العلاقة بينه كمسؤول وكمتصدٍ لمهمة معينة، وبين أولئك المسؤول عنهم في المنظومة القيادية والدائرة التي يقودها.

وقد تحدثنا في اللقاءات السابقة عن عدد من هذه التوصيات والتوجيهات وبوبناها على فصول وانتهينا إلى الحديث عن الفصل الثالث، أي عن العلاقة بين المسؤول والمسؤول عنهم، بين الأمة والشعب وأية مساحة يتحمل الإنسان المسؤولية تجاهها، وتحدثنا عن قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم. ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتتم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق»^(١٥)

وذكرنا طبيعة هذه العلاقة الإنسانية المبنية على الشفقة والرحمة والمودة والمحبة التي يجب أن يتسم بها المسؤول في علاقته مع الأمة، وذكرنا أن هذه المحبة ليست تظاهرا وليست تصنعا، فلا يقول الإمام (أظهر لهم المحبة) بل يقول (أشعر قلبك الرحمة للرعية)، أي حالة الشعور والاستشعار وتعني حالة الوجدان والإحساس، أن يشعر قلبك بهذه الرحمة؛ لأن القلب إذا نبض بحب الأمة وحب الشعب، بحب من أنت مسؤول عنهم حين ذلك سيتجلى وسيظهر في السلوك ما يؤكد وما يعبر عن هذه المحبة وهذه الرحمة، فالمسألة ليست تصنعا وتظاهرا بل المسألة هي كيف يجسد الإنسان المسؤول في أية مساحة وفي أية منظومة قيادية هذه المحبة.

لا أفضلية للمسؤول على الأمة

ثم انتقل أمير المؤمنين للحديث قائلا: «فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق»، وقد ذكرنا أن هذه العبارة بمثابة التعليل لذلك الاستشعار ولتلك العلاقة، علاقة المودة والمحبة بين المسؤول والأمة.

الإضاءة الأولى: أيها المسؤول وأيها القيادي المتصدي اعلم بأن هؤلاء الناس شأنهم شأنك وحالهم حالك فليس لك الأفضلية عليهم، فهم إما نظراء لك في الخلق أو نظراء لك في الدين، فإما توجد منظومة دينية تجمعكم وإما منظومة إنسانية تجمعكم، أي حقوق المواطنة، لذلك فأنت ليس لك تمييز عن غيرك، وحين تحملت المسؤولية فاعلم أن لها استحقاقاتها، فكونك مسؤولا لا يعني أنك أفضل من غيرك بل حالك كحال الآخرين. إن هذا المنطق سيدفع المسؤول كي لا يتعالى ولا يتكبر ولا يستأسد على الناس، وإنما يستشعر الرحمة واللين والرفق والشفقة تجاه من هو مسؤول عنهم.

الإضاءة الثانية : في هذه الفقرة المؤثرة من هذا العهد الشريف نجد أن هذه العبارة : إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق ، تشير إلى الملاك في تقسيم الناس في نظر علي وفي نظر الإسلام ، فعلى ماذا نقسم الناس اليوم ؟ عندما نذهب إلى الأنظمة السياسية ونسألهم على ماذا تقسمون الناس ؟ يقولون الموالاة والمعارضة ، إذن فالمعيار في تقسيم الناس هو الموقف السياسي من الحكم ، فالمعارضة في خندق والموالاة في خندق آخر ، وحين نسأل بعض المتصدين السؤال نفسه سيقال : دعنا من الشعارات ، وسيقال : إلى من يحبني ومن لا يحبني ومن يطيعني ومن لا يطيعني ، وكل ما كان الآخر أكثر التصاقا بي وأكثر التزاما بكلامي وأكثر طواعية لي فهذا يقربه مني ولي أن أثق به وأعطيه المهام والمسؤوليات ، أما من له رأي ووجهة نظر مختلفة عما لدي فسأبعده ، فالمعيار في تقسيم الناس إنما هو على أساس القرب والبعد من المسؤول ومن المتصدي .

والبعض يقسم الناس على أساس الطبقة أي إلى الفقير والغني ، هذه الطبقة البرجوازية ، هؤلاء أصحاب الأموال والإمكانات لهم شأنهم ، أما أولئك الفقراء المساكين فهؤلاء يمثلون طبقة أخرى ، فيكون التقسيم على أساس طبقي وعلى أساس القدرات المالية ، في مساحات معينة أيضا يصنف الناس على أساس العمق الثقافي ؛ هذا مثقف وهذا مفكر وهؤلاء قليلو الفهم والمعرفة إلى غير ذلك مما يعبر عن بقية الناس ، وهكذا قد يصنف الناس على أسس ثقافية أو أسس طبقية أو الولاء السياسي أو الموقف من الحاكم إلى غير ذلك من الاعتبارات .

وأحيانا يتم التمييز بين الناس على أساس قومي ، فهذا من القومية الفلانية والآخر من قومية أخرى ، وأحيانا يكون التمييز على أساس ديني ؛ هذا من دين معين فيقدر وذلك من دين آخر فلا يكثرث به ، وأحيانا على أساس طائفي ؛ هذا من المذهب الفلاني وذلك من المذهب الآخر فلا يكثرث به ، هذه هي التشقيقات والتصنيفات ولكن علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ له فهم آخر لتقسيم الناس من موقع القيادة ، كل هذه التصنيفات قد تأخذ مدياتها ، فبالتالي في دار العبادة توجد اعتبارات دينية أو مذهبية ، وفي موضوعة الاقتصاد قد توجد اعتبارات اقتصادية ، وفي منظومة فكرية وثقافية قد توجد اعتبارات فكرية .

المواطنة هي المعيار

أنا لست بصدد تقييم أن هذه التصنيفات والتقسيمات قد تكون مقبولة في مجالات معينة أو لا تكون ، وهذا بحث آخر ، ولكن من الموقع القيادي ، في المنظومة القيادية ، ولمن يريد أن يتحمل المسؤولية عن الأمة أو عدد من الناس ، فالمعيار يطرحه علي

عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا المعيار أن الناس: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق، فالمعيار هو المواطنة فلا يفضل القريب على البعيد في المنظومة القيادية، وعدا ذلك لا ينسجم مع الرؤية الإسلامية، كالتعامل مع الناس على أساس انتمائهم السياسي والحزبي مثلا.

فبحسب ما يشير إليه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يوجد هناك معيار القيم الدينية ومعيار القيم الإنسانية ويجمعها في مصطلحاتنا المعاصرة حق المواطنة، فعلى أساس المواطنة تترتب للناس حقوق متكافئة مهما اختلفوا في الإمكانيات المادية أو وجهات النظر السياسية أو تبنى قضية أو عدم تبنيها إلى غير ذلك، وفي هذا درس كبير في هذه العبارة من علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وفي فهم النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة.

أولوية حقوق العباد

هناك تكافؤ فرص بين المواطنين فلا تمييز لمواطن على آخر؛ لأنه يختلف مع الحاكم أو مع القيادي المتصدي في المذهب أو الدين أو القومية أو التوجه السياسي أو في قدرات معينة أو إمكانيات أو نظرة إلى غير ذلك، فالكل سواسية وهذا ما لاحظنا تطبيقه في فترة خلافة علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فحتى الخوارج الذين خرجوا بوجه علي وحملوا السلاح بوجهه وقف علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ليقول: «لا تقاتلوا الخوارج من بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه»^(١٦)، فهناك فرق بين شخص يريد الإفساد والضلال والانحراف والتأمر وشخص آخر يريد أن يصل إلى الحق ويراه في شيء محدد وقد يكون مخطئا في نظره ورؤيته، فحتى لو أخطأ وشهر السلاح دفاعا عن حق يعتقد به فيجب أن نذهب ونوضح له ونقول له أنت مشتبه.

لا يوجد أعدل من علي بن أبي طالب بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذه دروس في القيادة والإدارة نجدها في منطق علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، لاحظوا في غرر الحكم حيث يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الإطار: «جعل الله سبحانه حقوق عباده مقدمة لحقوقه فمن قام بحقوق عباد الله كان ذلك مؤدياً إلى القيام بحقوق الله»^(١٧)، فالذي يريد أن يصل إلى الله وفيه بحقوقه تعالى وواجباته فلا يكون ذلك إلا باستيفاء حقوق الخلق، حقوق المواطنين، فالمسؤول يجب أن ينشغل بخدمة المواطنين قبل انشغاله بقراءة القرآن والتوسل والصلاة ومناجاة الليل، فيما المواطن يقف وراءه لينتظر طوال ساعات، إن الطريق إلى عبادة

١٦ . بحار الأنوار، ج ٣٣ ص ٤٣٤

١٧ . غرر الحكم ج ٣- ص ٣٠٧

الله يأتي من مراعاة خلق الله، ومن الاهتمام بعباده والوفاء بحقوقهم، أما الاكتفاء ببعض العبادات الشخصية بين الإنسان وربه و تجاهل حقوق الناس فهذا ليس طريقا للتكامل كما يشير علي عَلَيْهِ السَّلَامُ. وهذه هي النظرية القيادية في الإسلام، فالإنسان هو محور الاهتمام والتركيز بالدرجة الأساس، أما إذا كنت لا تستطيع أن تتحمل المسؤولية فأنت حر وباستطاعتك أن تقدم الاستقالة وتخرج لتعطي فرصة لغيرك.

آفة المصالح الشخصية

في الكتاب التاسع والخمسين من كتب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في نهج البلاغة حيث يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ لأسود بن قطبة وهو قائد الجيش في منطقة حلوان التي كانت من ولايات فارس: «أما بعد فإن الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيرا من العدل. فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء فإنه ليس في الجور عوض من العدل. فاجتنب ما تنكر أمثاله، وابتذل نفسك فيما افترض الله عليك راجيا ثوابه ومتخوفا عقابه»^(١٨)

«فإن الوالي إذا اختلف هواه» أي إذا انشغل الحاكم والمسؤول بنفسه ومصالحه الخاصة، «منعه ذلك كثيرا من العدل» لا يستطيع أن يحقق تكافؤ الفرص بين الناس و لا يستطيع أن يكون عادلا بينهم، فإذا كانت مصالحه الشخصية هي المعيار فلا يمكن أن نتصور أن الأمور تسير على ما يرام ولا يمكن أن يتحقق العدل، «فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء» أي كن مع الحق، فليس من العدل أن يقوم المسؤول بتمشية هذه المعاملة غير المستوفية للشروط والقول إنها جاءت ضمن الضوابط المطلوبة؛ لأن هناك مصلحة مالية من ورائها أو أنها لشخص من حزبي السياسي، فأقدمه وأعطيه الفرصة، فيما المعاملة الأخرى مستوفية وضمن المعايير ولكن صاحبها لم يرسل لي معها هدية أو أنه ليس من جماعتي.

وهكذا نرى الكثير من هذه الظواهر والممارسات؛ فابن الوزير لم ينجح ولكنه يدخل الجامعة! أو يرسل أناس غير ذوي كفاءة أو تميز في إيفاد أو زمالات دراسية! إدارة مواقع المسؤولية مثلا تتطلب إنسانا بمواصفات معينة، ولكن هذا المرشح من حزبي وليس فيه تلك المواصفات فيقدم على الآخر الذي يتمتع بها!.

«فإنه ليس في الجور عوض من العدل» أي لا تتصور أن تنفك سياسة الجور والغلبة و تفسير القوانين بالطريقة التي تلائم أغراضك الشخصية أو بالإجراءات التعسفية، فلو استخدمت الآلة العسكرية في ضرب شعبك فهذا لن ينجيك، فالآلة العسكرية عاجزة

عن أن تقف أمام إرادة الشعوب ، فكل رصاصة هي حاجز آخر وجدار آخر بين المسؤول والناس ، انظروا ماذا يحصل في ليبيا واليمن والبحرين ، كلما خطوا خطوة إلى الأمام لقمع الشعب ازدادوا عزلة وازداد الشعب جرأة وتقدم الناس خطوة إلى الأمام لتحقيق حريتهم وكرامتهم وعزتهم ، فالحق هو المعيار والعدل هو الأساس والجور لا يستطيع أن يعوض عن العدل .

«فاجتنب ما تنكر أمثاله» أي أنت أيها مسؤول لا تقبل أن يضعك أحد في قائمة الانتظار فلماذا تدع الناس تنتظر؟ كما لا تقبل أن يضيع حقلك وتكون مظلوما حين ترفع دعوى قضائية ويجمدها القاضي بلا سبب قانوني ، فلماذا تقبل ذلك للبسطاء من الناس؟ .

إذن ضع نفسك دائما في مكان الآخر ، فإذا كنت تقبل لنفسك فاقبل للآخر وإذا لم تقبله لنفسك فلا تقبله للآخرين أيضا ، «وابتذل نفسك في ما افترض الله عليك ، راجيا ثوابه ومتخوفا عقابه» ، انظر بماذا ألزمك وما هي الواجبات التي فرضها عليك واعمل من منطلق الخوف من عقابه تعالى ورجاء ثوابه ، وحاول أن تفرغ نفسك لهذا الأمر .

أهمية العدل

لقد شاهدتم القذافي وكيف أن هناك عشرات المليارات في حسابات شخصية جمعها خلال أربعين سنة ، فيما الشعب يزرع تحت خط الفقر ، أين ذهبت هذه الأرصدة؟ ، بقرار واحد من مجلس الأمن جمدت هذه المليارات وانتهت ، وكذلك مليارات صدام التي لو صرفها على الشعب لأصبح العراق اليوم بشكل آخر . فيا أيها المسؤول لا تتصور أن جمعك للثروة أمر سينفعك ، بل التزم بما أمرك الله وكن محقا وتعامل بالإنصاف واترك السمعة الطيبة بين الناس .

هناك حكام بالرغم من ملاحظتنا عليهم ولكن شعبنا اليوم يترحم عليهم ، لماذا؟ . . يقولون إنه كان حين ينعقد مجلس الوزراء ويأتي وقت الغداء ويريد أن يدعوهم على حسابه يخرج النقود من جيبه ويقول ما هو أقرب مطعم يبيع الكباب؟ لنأكل ونواصل اجتماع الوزراء ، أو يقال إنه رحمه الله كان ينزل بسيارته وحده ويسير في الشوارع ويوزع الأراضي بين المواطنين ، مثل هذه المواقف هي التي تبقى عالقة بذاكرة المواطنين ، فكيف إذا كان الإنسان لديه منهج صحيح ولديه رؤية صحيحة وجذور صحيحة ويكون عادلا معهم؟ .

نسأل الله أن يجعلنا في مواقع التصدي ممن يتعامل على أساس الحق ، أنا أخجل

من نفسي حقيقة وأصارحك، حينما نستعرض هذه النظرية نرى أنفسنا أحيانا بعيدين عنها، فالأمور تسير بطريقة بعيدة عن النظرية التي يتحدث عنها علي عَلَيْهِ السَّلَام وهي نظرية إنسانية، ولا نستطيع أن نقول عما يحصل اليوم من سياسة إنها تعبر عن نظرية إسلامية، لأن الإسلام له قراءة واقعية ومنصفة لواقع الحياة، فلو طبقنا هذه المعايير لوجدنا الواقع اليوم مختلفا عما نعيشه بكثير، لكن علينا أن نذكر أنفسنا بهذه المعايير، وكل منا عليه أن يخطو خطوة ويبدل جهدا ويقول كلمة ويدفع ويشجع ويضغط لإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح.

تضحيات ومطالب

مازلنا نتابع بحرص واهتمام كبير ما يجري في المنطقة العربية من تطورات مهمة، وحرّك شعبي واسع في الوطن العربي لاستعادة الكرامة والحريات والحقوق السياسية والمطالب المعيشية والخدمية، وما إلى ذلك مما يناشده المواطنون في العالم العربي من الرغبة في تنظيم حياتهم وتأطيرها في دساتير وقوانين وانتخابات، وتداول سلمي للسلطة إلى غير ذلك مما نتابعه ونسمعه عبر وسائل الإعلام المختلفة.

إن المواطن العربي اليوم يبحث عن العدالة الاجتماعية الغائبة ويبحث عن العزة والكرامة المفقودة، يبحث عن الاحترام اللائق من الأنظمة العربية، ويدفع ضريبة كبيرة من أجل الوصول إلى تحقيق هذا الطموح وهذه الرغبة، ونلاحظ أن الضحايا يسقطون بالآلاف في الدول العربية على مرأى ومسمع من العالم، إن هناك ثورات لشعوب تسلط الأضواء عليها وتحظى بتعاطف إقليمي ودولي كبير، وهناك شعوب تقوم بنفس الدور في ظل تعتيم شديد وحصار كبير ومساعٍ لإظهار الأمور على غير واقعها كما تجري على الأرض.

وحشية النظام الليبي

نجد الهمجية والوحشية لدى النظام الليبي في تعامله مع شعبه الأ عزل واستخدام الأسلحة الثقيلة والدبابات والطائرات لقمع الشعب الليبي، وهم يسقطون بالآلاف ويستصرخون الضمير العربي والعالمي لنصرتهم في المحنة التي يعيشونها، إنهم يُقمعون لأنهم ينشدون الحرية ويطلبون عزتهم وكرامتهم.

إن الاعتراف بالمجلس الانتقالي في ليبيا من قبل جامعة الدول العربية والعديد من الدول الغربية يمثل خطوة مهمة وأساسية للوقوف إلى جانب الشعب الليبي، وإيصال

رسالة التضامن والوقوف إلى جانب هذا الشعب الكريم ، ووضع حد لنزيف الدم المستمر في هذا البلد العربي الشقيق .

ثورة الشعب اليمني

وفي اليمن هناك استهداف للمتظاهرين المسالمين ، إن سقوط مئات الضحايا لن يعالج المشكلة وسيزيد من حماس أبناء الشعب اليمني في متابعة جهودهم لاستعادة عزتهم وكرامتهم وبناء نظام سياسي يوفر لهم طموحاتهم المشروعة في الحياة الحرة والكرامة .

ظلامه الشعب البحريني

وهكذا الحال في مملكة البحرين ، هذا البلد الخليجي الكريم الذي يشهد تطورات غير مسبوقة في التعامل مع أبناء الشعب البحريني من قبل القوى الأمنية ، واستقدام قوات من خارج الحدود البحرينية لاستهداف هذا الشعب ، والتصنيق عليه والدعوة إلى حالة الطوارئ واستهداف المواطنين الأبرياء العزل مما أدى إلى سقوط المئات من الضحايا في ظل تعتيم إعلامي كبير من قبل وسائل الإعلام المؤثرة والمهمة في الوطن العربي .

إن الشعب البحريني يدفع ضريبة التظاهرات السلمية والاحتجاجات الحضارية للتعبير عن طموحاته ومطالبه المشروعة في الإصلاح السياسي ، ومن المؤسف أن تستخدم الأجهزة الأمنية بملايس مدنية لممارسة البلطجة والإساءة إلى الناس وقمعهم وملاحقتهم في أماكن عديدة ، ويتطور المشهد إلى حد تدخل القوات الوافدة من خارج الحدود لتستهدف الناس وتقمعهم فيسقط المئات من الضحايا .

إن مثل هذه المواقف ستعقد المشهد البحريني إلى حد كبير ، وستجعلنا أمام تطورات ومفاجآت كبيرة . ولا بد من التذكير من جديد بأهمية الموضوعية في تقييم الأمور وقراءة الساحة قراءة دقيقة وموضوعية من قبل القيادة البحرينية التي تمنينا لها الاحتفاظ بالحكمة ومنطق الحوار والانفتاح والتواصل مع أبناء شعبها ، وتفهم مطالب المواطنين المشروعة وتوفير المناخات الملائمة والمناسبة لإنجاح الحوار بين القيادة البحرينية وأبناء الشعب البحريني الشقيق ، إن مثل هذه الإجراءات هي التي تحافظ على النظام والاستقرار في هذا البلد الشقيق .

إن الشعب البحريني بكل شرائحه وطبقاته وتعدديته المذهبية هو شعب وطني منشد إلى وطنه وينطلق من مصالح هذا الوطن في بناء تطلعاته وتحديد طموحاته المشروعة ،

وإن اتهامه بالتآمر والابتعاد عن الحس الوطني إنما ينطلق من نظرة أحادية وغير موضوعية وغير منصفة لواقع هذا الشعب الكريم .

مطالب مشروعة

إن المطالب المشروعة لأبناء الشعب البحريني في الإصلاح السياسي وفي الانتخابات العادلة وفي المطالبة بالقضايا الحياتية التي يطرحها لتحسين أوضاعه المعيشية ، وصولاً إلى الملكية الدستورية التي يطالب بها ، إنما هي مطالب مشروعة ، كما إن المسيرات والاحتجاجات السلمية التي خاضها هذا الشعب الكريم إنما جاءت لتحقيق هذه المطالب ، وتشجع القيادة البحرينية على الإصغاء والاستماع لها وهذه الاحتجاجات مكفولة لكل الشعوب في أن تعبر عن حقوقها ومطالبها .

إن الحوار البناء وتفهم طموحات الشعب البحريني وإجراء الإصلاحات السياسية الحقيقية في البحرين تعد بوادر حسن نية يمكن أن تقوم بها القيادة البحرينية لتهدئة الأوضاع وتطبيب الخواطر ، وإيجاد الفرص الملائمة للملمة الأمور وحل المشاكل ؛ لأن الطرق العسكرية لا يمكن أن تكون طريقاً للحل ، وإن استخدام القوة سوف يزيد الأمور تعقيداً ويجعل المشهد يتطور بسرعة كبيرة باتجاهات يصعب السيطرة عليها ، كما إن استخدام قوة خارجية قد يشجع على تدخلات خارجية أخرى مما ينقل المشهد المحلي البحريني إلى مشهد إقليمي له مضاعفات كبيرة ويطور المطالبات السياسية والخدمية في الواقع البحريني اليوم إلى صراعات ذات أبعاد أخرى يخاطر من خلالها بالعلاقات السياسية والاجتماعية داخل البحرين وفي المنطقة برمتها .

الحل بحكومة وطنية جامعة

إن الدرس البليغ في التجارب المشابهة في المنطقة يؤكد أن استعداد الشعوب واستخدام القوة والسلاح في معالجة مثل هذه الاحتجاجات الواسعة لا يمكن أن يمثل الطريق المناسب والملائم لحل هذه الإشكاليات ، وإنما سيدفع بالمظاهرين والمحتجين إلى ردود أفعال شديدة قد تقطع جسور الصلة بينهم وبين النظام السياسي ، مما سيجعلنا أمام ظروف حساسة وخطيرة علينا أن نتجنبها . وهذا ما استدعي أن نستحضر لغة الحوار والمنطق وأن ترتفع أصوات الوسطية والاعتدال لتهدئة الأوضاع ومعالجة هذه المشاكل . إن استقرار البحرين يكون ببناء حكومة بحرينية وطنية ممثلة لجميع أطراف الشعب البحريني ، تمثل السنة والشيعه وينتخبها جميع أبناء الشعب البحريني في انتخابات عادلة معبرة عن إرادة الجميع .

الوضع العراقي

على المستوى العراقي نعتقد بأن المسيرات والاحتجاجات السلمية التي جرت من قبل الشعب العراقي حققت بعض ثمارها، وذلك من خلال التركيز المتزايد على مطالب الناس والاستماع لقضاياهم واتخاذ الإجراءات العاجلة لحل هذه المسائل والمطالب الحققة والمشروعة، وهذا ما نراه في مجلس النواب من خلال الإجراءات المتخذة لتسريع عملية تشريع القوانين، وأيضاً من خلال الحكومة عبر وضع سقف زمني قصير يتمثل بمائة يوم لمعالجة الإشكاليات، ولوضع صورة عن خريطة الطريق المطلوبة لحل المشاكل من قبل الحكومة وفي تقييم الأداء الوزاري.

إن استضافة دولة رئيس مجلس الوزراء ونوابه والسادة الوزراء إلى مجلس النواب وإيضاح الخطوات التي يقومون بها لتلبية احتياجات المواطنين ومعالجة المشاكل، تعتبر خطوة مهمة تعزز الدور الرقابي لمجلس النواب وتساعد على مزيد من الشفافية والوضوح للمواطن العراقي بالخطوات التي تقوم بها الحكومة الموقرة في تلبية مطالبه.

إننا نجدد مطالب هذا الشعب الكريم بتلبية احتياجاته الخدمية والحياتية الضرورية وملاءمة الشواغر الوزارية ولاسيما الوزارات الأمنية بأسرع وقت ممكن، واتخاذ الخطوات العاجلة من قبل المسؤولين بإشعار المواطن بالثقة وبأن هناك عملاً جاداً حقيقياً يجري لتلبية احتياجاته وتحقيق طموحاته. إن رفع الحواجز الكونكريتية غير الضرورية وتقليل السيطرات وتسهيل عملية المرور للمواطنين في الحركة والتنقل من مكان إلى آخر ستترك أثراً طيباً في نفوس المواطنين، وهي خطوة تشكر عليها الأجهزة الأمنية المختصة.

إن الظرف الذي نعيشه اليوم يتطلب تعاوناً متزايداً بين القوى السياسية والكتل النيابية والقوى المشاركة في الحكومة وتكاتفاً وتعاظداً وتماسكاً في إطار الكتلة الواحدة وبين الكتل السياسية المتعددة. مما سيعزز الشراكة الحقيقية ويكرس الجهود والطاقات والإمكانات الهائلة في خدمة المواطنين وحل مشاكلهم. إن ذلك يتطلب المزيد من الاهتمام في تفعيل الاتفاقات السياسية المبرمة بين الأطراف وتعزيز آليات الشراكة الحقيقية التي تشعر الجميع بأنهم فريق عمل واحد، يعملون سوية ويكرسون جهودهم لخدمة هذا الشعب الكريم.

كركوك...العراق المصغر

إن موضوع كركوك يمثل واحدا من الملفات الأساسية والحساسة التي تشغل المواطنين العراقيين في مختلف المحافظات العراقية ، ولا بد من التأكيد أن كركوك هي مدينة عراقية لها خصوصيتها في ظل الخيمة الوطنية العراقية ، وتعايش الناس فيها على مختلف مكوناتهم وتوجهاتهم القومية والدينية والمذهبية والسياسية ، كانت السمة البارزة لهذه المدينة ، التي تعبر عن العراق المصغر وعن الفسيفساء العراقي في تأريخ طويل ، ولذلك تؤكد أهمية جلوس الأطراف المعنية إلى طاولة حوار لتهدئة الأوضاع وحل الإشكاليات على قاعدة الالتزام بالدستور ، والقانون والاتفاقيات المبرمة بين الأطراف السياسية .

إنصاف السجناء السياسيين

إن السجناء السياسيين يمثلون شريحة مضحية تحملت الكثير من أجل أن نعيش بعزة وكرامة ، وتحملوا كل هذا العذاب في تلك الزنازين المظلمة والسجون حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه اليوم في بناء تجربتنا السياسية الجديدة ، إن هذه الشريحة موضع تثمين وإشادة من قبل جميع أبناء الشعب العراقي . وإن الشعب الذي يكرم أبناءه ومضحيه ومجاهديه وسجنائه إنما يكرم نفسه والقيم التي ضحى من أجلها .

إن من حق السجناء السياسيين علينا إجراء الإصلاحات الضرورية في مؤسسة السجناء المعنية بحل مشاكلهم ورعايتهم ومراعاة العدالة في توزيع المنح المخصصة لهذه الشريحة ، والتواصل معهم والاستماع إليهم من قبل المسؤولين المعنيين ، وهنا انتهت هذه الفرصة لأعبر من جديد عن شكري وتقديري واعتزازي بهم جميعا .

حليجة .. صورة دموية للنظام الصدامي

نعيش في هذا اليوم أيضا ذكرى مجزرة حليجة ، التي مثلت أبشع صورة من الصور الدموية للنظام الصدامي ، حيث سقط الآلاف من الشهداء في غضون دقائق معدودة من الأطفال والنساء والرجال والصغار من خلال استعمال الأسلحة الكيميائية الفتاكة ، في عملية إبادة جماعية وفي ظل تعميم إعلامي كبير في ذلك الوقت ، فسلام على أولئك الشهداء ، وتحية إجلال وإكبار لعوائلهم ونتمنى إدراج هذا الحدث التاريخي الكبير كما المقابر الجماعية في المناهج الدراسية ، لتبقى درسا مهما عن تضحيات هذا الشعب الكريم ، نستذكره ونردده جيلا

بعد جيل ليعيش في ضمائرنا ونتعرف على حجم التضحيات التي قدمها الشعب العراقي ليعيش
حرية في وقتنا الحاضر .

نتعاطف مع الشعب الياباني

تابعنا الزلزال المدوي والتسونامي الذي شهدته اليابان ، وهو الأعنف في الكرة الأرضية منذ
أكثر من مئة عام ، وما خلفه من الخسائر البشرية والمادية الفادحة التي تحملها الشعب الياباني
الصديق ، ومن جانبنا نعبر عن تضامن الشعب العراقي مع الشعب الياباني في هذه الكارثة
الإنسانية ، ونتمنى السلامة والاستقرار لجميع شعوب العالم .

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٣ / ٣ / ٢٠١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين
حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين
وصحبه المنتجبين الميامين .

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

كان حديثنا في الأسابيع الماضية عن النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة، وذكرنا أن
عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام لمالك الأشتر يمثل اختزالاً لها، وقد استعرضنا المقطع
الأول من هذا العهد الذي يتحدث عن السلوك الشخصي الذي يجب أن يتوفر للقيادي
أو المدير أو المسؤول أو المتصدي في مختلف المساحات من المنظومات القيادية، ثم
انتقلنا إلى المقطع الثاني من هذا العهد الذي يتحدث عن الرأي العام وعلاقة الحاكم أو
المسؤول بالرأي العام وكيفية التعامل مع الرأي العام، وتحدثنا في المقطع الثالث عن
طبيعة العلاقة بين الحاكم أو المسؤول والرعية أو المسؤول عنهم، وقلنا إنه يجب أن
تستند هذه العلاقة إلى جذور إنسانية، وأن تكون علاقة إنسانية وعلاقة رحمة «وأشعر
قلبك الرحمة للرعية» .

ثم انتقلنا إلى جانب آخر وهو التعليل، وسبب كون هذه العلاقة بهذه الطريقة الإنسانية،
حيث يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في
الخلق»، وهو التصنيف الذي يؤمن به علي عليه السلام ويتبناه الإسلام، إما القيمة الدينية
أو القيمة الإنسانية، إذن فالإسلام من وجهة نظر الحاكم لا يعترف بأن يصنف الإنسان

وفق أصناف أخرى . فحق المواطنة حق مكفول لكل إنسان في المجتمع ، وهنا نصل إلى المقطع الآخر في هذا العهد الشريف وهو قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ :

«يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه»^(١٩)

هذا الشعب وهؤلاء الناس من الممكن أن تصدر منهم الأخطاء ، في سلوكهم أو مواقفهم أو شعاراتهم «يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل» ، العلل حالة المرض ، فقد يخرجون عن الالتزام الكامل بالقانون ويخرقون القانون والضوابط والإجراءات في بعض الأحيان . «ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ» ، وقد يصدر منهم سلوك لا يناسب الحاكم أو المسؤول ، وقد يطلقون تصريحات وقد يتجهرون في تجمعات لا تعجب الحكام والمسؤولين ، وقد يكون هذا السلوك صادرا عن العمد أو عن طريق الخطأ ، ولكن ما الموقف من هؤلاء الناس الذين يخطئون ويخرجون عن القانون ويمارسون مواقف أو أقوالا أو أعمالا قد لا يرتضيها المسؤول أو الحاكم سواء مارسوها خطأ أو عمدا؟ .

هنا يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ : «فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه» ، أي أن عليك أن تعطي هؤلاء الناس العفو والصفح ، فلا تقس عليهم بل يجب ألا تفكر بأن يكونوا نسخة منك ، يفكرون مثل ما تفكر ويقولون ما تريد أن يقال لك ، ويسمعون بما تريد أن تسمعه ، فهؤلاء قد يخطئون ولكن حقهم عليك العفو والصفح .

إضاعات ودلالات

وهناك العديد من الإضاعات والدلالات المهمة في هذه العبارة القصيرة الشريفة في كلام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهي :

سعة الصدر في الحكم والإدارة

الإضاعة الأولى في سعة الصدر والحلم ، فسعة الصدر هي المفتاح السحري للنجاح الإداري والقيادي ، فإذا أردت أن تعطي الحقوق لأهلها فعليك بسعة الصدر ، لأن المواطن يبقى يمتلك حق المواطنة حتى لو اختلف معك ، فالمواطن له حق في أن يخرج بمسيرة سلمية ، والعدالة الاجتماعية وإنصاف الناس وخدمة المواطنين تكون بسعة الصدر ،

وموقع المسؤولية والتصدي يتطلب سعة الصدر، والابتسامه والمحبة، يجب ألا تكون تصنعية أو مجاملات بل عفوية، في المقابل إذا فقد الإنسان أو المسؤول سعة الصدر وضاق صدره فإن من شأن ذلك عدم قدرة ذلك المسؤول أو المتصدي على اتخاذ القرار الصحيح، لأنه مشدود ومهزوم ومنفعل.

ضيق الصدر يؤدي إلى حيرة في اتخاذ القرارات، وإلى مواقف خاطئة، كما أنه يؤدي إلى سوء في التعامل والسلوك مع المواطنين، وهذه مشكلة، كما أن ضيق الصدر يؤدي إلى استعمال القوة المفرطة مما يولد ردود أفعال سريعة لا يمكن السيطرة عليها، ويؤدي كذلك إلى العنف ضد الآخرين، وإن من شأن ذلك أن يدفع لمزيد من الظلم وفي المقابل لردود أفعال مضادة، إذا لم يكن لديك سعة صدر فلا تتصد للمسؤولية؛ لأن التصدي يتطلب سعة الصدر وإلا فسوف تقع في الظلم.

سعة الصدر من أخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

لاحظوا في كنز الفضائل عن علي عليه السلام: «من ضاق صدره لم يصبر على أداء الحق»^(٢٠)، كيف يصبر الإنسان على الحق؟ بالتأكيد يكون ذلك بسعة الصدر. لاحظوا في نهج البلاغة الحكمة ١٧٦ عن علي عليه السلام: «آلة الرياسة سعة الصدر»^(٢١)، فالوسيلة التي تنجح بها رئاستك، سواء كنت رئيسا للعائلة أو الدائرة، أو رئيسا لمصنع أو لشعب وغيرها هي سعة الصدر.

لاحظوا الآية ١٥٩ من سورة آل عمران: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾، يا رسول الله إن الله تعالى رحمك وجعلك ليّنا مع الناس، حالة اللين لا تأتي إلا بفضل وبرحمة من الله، ﴿لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، ولو كنت إنسانا انفعاليا تصرخ بوجه الناس لانفضوا من حولك حتى لو كنت رسولا لله أو نبيا من الأنبياء، إذا لم يكن لديك سعة من الصدر فسوف يتركك الناس، ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾، اعف عن الناس، حتى عن المسيء والمخطئ، العفو والمغفرة والتسامح وإعطاؤهم المشورة والقيمة هي المداخل الصحيحة لنجاح الإدارة والقيادة.

يا مسؤول اسمع ممن هم أدنى منك وشاركهم في القرار حتى يشعروا أنك تأخذ بآرائهم

٢٠. كنز الفضائل ج١- ص ٢٧٨

٢١. نهج النهج، ج٤- ص ٤٢

وتسمع منهم وتبعث فيهم الحماسة ويروا أن كلامهم مسموع ، أنت يا شيخ العشيرة ، إذا كنت تريد أن تأخذ قرارا شارك وجهاء عشيرتك في الأمر ، أجلسهم في مضيفك واسمع منهم ، ليسمع كل منا من الآخرين ويشاركهم الهموم والقضايا التي تهتم أبناء المجتمع . يروى في أصول الكافي ، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض»^(٢٢) ، كما أمرني بالصلاة والصيام أمرني الله تعالى بمداراة الناس ، هذه قيمة وموقع المداراة في الفهم الإسلامي ، في غرر الحكم صفحة ٢٧٥ عن علي عَليهِ السَّلَامُ : «إذا ملكت فاروق» أي إذا أصبحت مسؤولا فعليك بالرفق .

وعن علي عَليهِ السَّلَامُ : «عليك بالرفق فإنه مفتاح الصواب وسجية أولي الألباب»^(٢٣) ، لأن طبيعة أصحاب العقول هي الرفق ، فإذا كنت عاقلا وتريد النجاح فالطريق إلى ذلك هو الرفق . وعن علي عَليهِ السَّلَامُ : «نعم السياسة الرفق»^(٢٤) وفي رواية أخرى : «رأس السياسة استعمال الرفق»^(٢٥) . وأيضا ورد : «الرفق يبسر الصعاب ويسهل شديد الأسباب»^(٢٦) ، فأى صعوبة يمكن أن تعالج بالرفق ، أما الشدة والغلظة والأوامر فتولد العكس .

امتلاك القلوب بالرفق والمرونة

ورد أيضا عن علي عَليهِ السَّلَامُ : «الرفق يفلح حدّ المخالفة»^(٢٧) ، فالرفق يخفف ويقلل حدة المعارضة . وقوله : «من كان رفيقا في أمره نال ما يريد من الناس»^(٢٨) ، فالتعامل مع الناس بلين ورفق يؤدي إلى الحصول على ما يريده الإنسان من صالح الأعمال والسلوك ، وفي سورة التوبة حيث وردت الإشارة إلى واحدة من التهم التي كان يتهم بها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢٩) ، فالمنافقون كانوا يتكلمون في النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ويسبون إليه فقام أحدهم ونصحهم بخفض أصواتهم كي لا يسمعهم النبي أو أحد أصحابه ، فأجابه

٢٢ . أصول الكافي ج٢ - ص ١١٧

٢٣ . ميزان الحكمة ، ج٤ - ص ١٠٦

٢٤ . نفس المصدر ج٢ - ص ١٣٨٥

٢٥ . نفس المصدر

٢٦ . نفس المصدر - ص ١١٠٤

٢٧ . نفس المصدر ج٢ - ص ١٣٨٥

٢٨ . أصول الكافي ج٨ ، ص ٣٥٣

٢٩ . سورة التوبة : الآية ٦١

أحدهم بأنه حتى لو وصلت إلى رسول الله فسنتكر ما قلناه وهو يصدقنا ، استصغروا النبي واستهزؤوا به ؛ لأنه كان يقبل من الناس ، في حين أن الله تعالى يقول لهؤلاء المنافقين إن الرسول أذن خير لكم ، لأنه يقبل منكم ويغفر لكم رغم الكذب الذي أتمت عليه وهو يعلم بذلك جيدا .

رسول الله مظهر المحبة واللين والعطف ، إن المداراة والمرونة دليل على صلابة النظام وليس على تفكك النظام ، النظرية الإسلامية تقول إن الذي يتخذ مواقف شديدة فهذا يدل على أن النظام والمسؤول والمتصدي خائف وغير ناجح ، الطبل دائما يكون صوته عاليا ؛ لأن داخله أجوف ، فإذا ما كانت قدمك على أرض صلبة وإذا ما كنت مسيطرا على الموقف بالحق ، وإذا اقتحمت قلوب الناس الذين أنت مسؤول عنهم يكون تأثيرك في الناس كبيرا ، وبالتالي فالمرونة دليل على الصلابة والاستقرار في المنظومة القيادية ، ولكن هذه المرونة وسعة الصدر لا تعني بأي حال من الأحوال غياب الحزم ، فالحزم مطلوب ، والإسلام لا يتماشى مع فكرة الترهل والتشطي ، الحزم والوضوح والأهداف المشخصة والعزيمة في تحقيق الأهداف كلها موجودة ولكن طريق الوصول إلى الحزم ليس هو الشدة والغلظة ، وإنما بالمرونة والمحبة بين الناس .

التحولات الكبرى في المنطقة العربية

ما زالت الأنظار شاخصة للمنطقة العربية التي تشهد تسونامي كبيرا ، ووقعت على خط الزلزال الواسع الذي أدى إلى تحولات كبرى وتغير واسع في المشهد السياسي في المنطقة العربية لصالح الشعوب الكريمة . ويتصدى الشباب العربي المتحضر لقيادة هذه التحولات الكبرى المدهشة ، ليفند بذلك كل الادعاءات والمزاعم التي وصفت الشباب العربي بالانحلال الخلقي والانشغال بغير المفيد والابتعاد عن حس المسؤولية تجاه الوطن ، وليبرهن الشباب للعالم كله أنهم الأقدر على قيادة المشروع الإصلاحى في المنطقة العربية واستعادة الكرامة الغائبة في العديد من البلدان الشقيقة .

الشباب صناع الأمل

إننا نعبر من جديد عن تضامننا وتعاطفنا وانحيازنا إلى جانب هؤلاء الشباب الأبطال ، ونقول لهم أنتم صناع الأمل في الشعوب العربية الكريمة التي تنطلقون فيها ، والشعوب تترقب منكم الثبات والاستقامة والإيثار وبذل الجهود والتضحيات من أجل تحقيق طموحاتهم واستعادة كرامتهم الضائعة .

إن ليبيا مازالت تنزف وأبناؤها الشرفاء يسقطون بالآلاف على يد ذلك الديكتاتور المصّر على البقاء في الحكم مهما كلف ذلك من قتل لآلاف الناس، وتبديد للثروات وانتهاك للسيادة الوطنية الليبية، ومنطقه يقول لتقتل الناس وتحرق ليبيا ولكن ليق القذافي، هذا هو المنطق الشوفيني الصدامي الذي اعتدنا على سماعه من الطغاة على مر التاريخ، لا ينظرون إلا إلى أنفسهم ومصالحهم، ولا ينظرون إلا إلى مقاعدهم وامتيازاتهم، وهم مستعدون ليضحوا بكل شيء ويفرطوا بثروات البلاد ويخاطروا بأرواح العباد من أجل أن يبقوا في الصدارة جالسين على الكرسي، هذا هو شأن الطغاة والظالمين ولكن الظلم لا يمكن أن يستمر وأبناء الشعب الليبي الشقيق سيواصلون مشوارهم وجهودهم وتضحياتهم من أجل استعادة حريتهم وكرامتهم، ويذلون الغالي والنفيس من أجل تحقيق ذلك؛ لأنهم يعملون لتكون إدارة أمورهم بأيديهم، وهم من ينتخبون الحكومة التي تحقق لهم السعادة والرفاه والحرية وتبني ليبيا، وتخصص الثروة الليبية لأبنائها، لا أن تتحول عشرات مليارات الدولارات في حسابات شخصية وأرصدة في مصارف أجنبية، كما تسربت المعلومات من هذه الدول التي أودعت فيها هذه المليارات من قبل القذافي وأسرته والمحيطين به.

إرادة الشعب ستنتصر في النهاية

إننا على ثقة تامة بالله سبحانه وتعالى، وبالجهود الكريمة لأبناء الشعب الليبي التي ستؤدي إلى إسقاط هذا الطاغية كما سقط الطغاة من قبله عبر التاريخ والعصور. وسوف لا يبقى له سوى العار نتيجة السمعة السيئة لهتك الأعراض وإزهاق الأرواح وإراقة الدماء لهذا الشعب المظلوم. إن المجتمع الدولي يتحمل المسؤولية الكبرى تجاه الشعب الليبي الأعزل وتجاه الأبرياء الذين يسقطون ويقتلون مرتين في ليبيا هذه الأيام، مرة على يد القذافي وزمرته ومرة على يد القوات الدولية التي تستهدف العجلة العسكرية لنظام القذافي.

الوضع في اليمن

كما إن الوضع في اليمن ليس بأفضل حالا مما هو في ليبيا، وقد لاحظنا أن الرئيس اليمني استكثر على شعبه أن يخرجوا إلى الساحات ويعبروا عن سخطهم وغضبهم تجاه ما يجري من إساءات متكررة في إدارة البلاد، والتنكر لمصالح هذا الشعب الكريم من قبل نظام فاسد حكم هذه الدولة الكريمة لعقود من الزمن، فقتل وجرح عدد كبير من الناس ليس لهم ذنب إلا لأنهم اصطفوا في الساحات ليعبروا عن احتجاجات سلمية حضارية هادئة يعبرون من خلالها عن مطالبهم المشروعة، ورغبتهم في العيش الكريم وفي

الحرية والتعددية وفي الانتخابات والإصلاحات السياسية، وتحسين الظروف المعيشية. إن هذا النظام مازال مصرّاً على فتكه وأن يوفر المناخات لإعلان حالة الطوارئ في اليمن، ليحصل على المزيد من الفرص للإساءة إلى الشعب اليمني واستهداف هذا الشعب الكريم، بالرغم من الاستقلالات الواسعة التي تشهدها اليمن عبر دبلوماسيتها ومسؤوليها الأمنيين على نطاق واسع.

ثقافة التشبث بالسلطة

إن ثقافة التشبث بالسلطة واحتكار مقدرات الشعوب والأمم والاستعداد بالتضحية بالشعوب وبالثروات وحرق الغالي والنفيس، والمخاطرة بكل شيء من أجل أن يبقى شخص واحد في السلطة، إن هذه الثقافة يجب أن تزول وسوف تزول بإذن الله تعالى، بفضل هذه التحولات الكبرى والتضحيات الجسام التي يتقدم بها الشعب اليمني الشقيق والشعوب العربية الأخرى، هذه الشعوب التواقّة إلى التحرر والتقدم والازدهار والرفاه والعدالة، وتحقيق الكرامة والقيم الإسلامية والعربية التي تناشد بها.

ازدواجية التعامل مع ما يجري في البحرين

إن الوضع في البحرين مازال يراوح في مكانه، ويشير الاستغراب والدهشة لتمييزه عن سائر البلدان العربية الأخرى، بالرغم من اشتراكه في ظروفهم من حيث التطلعات والمناشدات والحقوق والسلوكيات، مما يجعل الإعلام العربي والقوى السياسية والأنظمة العربية والإسلامية على المحك في كيفية تعاملها مع هذا البلد العربي المسلم الشقيق كما تعامل مع الشعوب العربية الأخرى.

إننا نصطف مع الحقوق المشروعة للشعب البحريني، كما نصطف مع الحقوق المشروعة للشعب التونسي والمصري واليمني وغيرها من الشعوب الكريمة، إننا نصطف مع جميع هذه الشعوب في قضاياها العادلة ومطالبها المشروعة في التحرر والتقدم والازدهار وتحقيق العزة والكرامة، ونستنكر الباطجة والبطش ضد المواطنين وحرمانهم من فرصة التعبير عن رأيهم ضمن الإطار السلمي والهادئ الذي لاحظناه في جميع البلدان العربية، كما نستنكر استخدام القوة والجيوش الداخلية والخارجية لقمع الشعوب في جميع البلدان العربية التي تشهد مثل هذه الظروف على حد سواء.

نحن لا نفرق بين بلد وآخر وبين شعب وآخر، لأن القضية قضية واحدة والحق حق واحد، لذا لا نفرق بينها ونصطف معها جميعاً على هذه الخلفية، لكننا نفاجأ بمن ينظر

إلى البحرين نظرة مختلفة عن جميع البلدان العربية الأخرى ويتعامل مع البحرين بطريقة مختلفة عما يتعامل به مع جميع الحالات المشابهة الأخرى ، فيدين الجيوش التي تقمع الشعب الليبي ويدين المرتزقة الذين يستعين بهم القذافي وقد استقدمهم من الجوار الأفريقي ، فيما يدافع عن استخدام القوة المفرطة واستقدام الجيوش من دول الجوار إلى البحرين ويطلق على عملية استهداف المواطنين بالخطوات الضرورية لتحقيق الاستقرار .

إنها مفارقة غريبة وازدواجية كبيرة في المعايير ، لاسيما أن المساحة الأوسع من الشعب البحريني وقواه السياسية تحدثت عن مطالب مشروعة وممكنة التحقق مع الحفاظ على النظام والاستقرار والحرص على الوحدة الوطنية في هذا البلد الخليجي الشقيق . إن تعديل الدستور وإجراء الانتخابات العادلة واختيار المسؤولين الحكوميين عبر صناديق الاقتراع ومنح الحريات وتحسين الظروف المعيشية مطالب حقة يناشد بها الشعب البحريني الشقيق ، وهي تستحق الاهتمام والإصغاء أكثر من الاستهداف والإقصاء الذي يمارس اليوم ، وأتمنى من القيادة البحرينية أن تتدارك ما فات وتعالج الأمور بحكمة وروية مما يساعد على إعادة الأمور إلى نصابها وسياقها الصحيح .

المخاطرة باللحمة الوطنية

إن أخطر الأمور هو العزف على الوتر الطائفي والتمييز بين الناس وبين الشعوب على خلفيات طائفية هنا وهناك ، لاسيما أننا لم نتخلص من التبعات الحساسة والسلبية والخطيرة في هذا المنحى إلا بعد جهد جهيد وتضحيات جسام وعناء كبير . فحذار من إرجاع الأمور إلى المربع الأول الذي سيخاطر باللحمة الوطنية لشعوب المنطقة برمتها وليس في البحرين وحدها ويدفع بالإشكالية السياسية والاجتماعية في البحرين لتأخذ منحى آخر ، مما يجعل السيطرة على الموقف أصعب بكثير مما هو عليه الآن ، كان لنا توقع آخر من جامعة الدول العربية في ألا تكرر نظرة التمييز في تعاطيها مع الشعب البحريني عن سائر الشعوب العربية الكريمة ، وأن تشجع القوات الخارجية على العودة إلى بلدانها وأوطانها .

أدعياء العلم والتغطية على الجرائم

كما أسجل عتابي على بعض أدعياء العلم في الوطن العربي ، الذين تمنينا عليهم أن يتحملوا مسؤولياتهم التي أناطتها بهم مسؤوليتهم الدينية في العالم الإسلامي ، في

التقريب والتوحيد بين الناس والنصرة للمظلوم وليس التحريض والتغطية على المواقف الخاطئة التي تسببت بإراقة الدماء وزعزعة الثقة بين الشعب البحريني وحكومته .

تعاطف العراقيين

وفي العراق لاحظنا التعاطف الكبير الذي أبداه الشعب العراقي تجاه المطالب الشعبية في الوطن العربي ، ومسيراته التضامنية التي وقفت لتضامن مع هذه الشعوب وتستنكر استهدافها ، وعبر فيها عن سخطه وغضبه لما يجري في هذه الدول الكريمة ، من قتل للناس ومنع لهم من التعبير عن آرائهم بطريقة سلمية وحضارية . كما إن شعبنا العراقي مازال يعيش حالة الترقب للخطوات التي يعتمدها مجلس النواب والحكومة الموقرة في تلبية احتياجاته والاستجابة لمطالبه .

تشريع القوانين وفق الدستور

إن أمام مجلس النواب قائمة طويلة من مسودات القوانين التي ينبغي النظر فيها وتشريعها بأسرع وقت ممكن ، كما إننا أمام ركام كبير من القوانين التي شرعت في عهد النظام البائد والتي تصل إلى ٩٤٠٠ قانون منذ مطلع السبعينيات وحتى عام ٢٠٠٣ ، وهو كم كبير من القوانين والتشريعات التي شرعت على خلفية النظام المركزي والشمولي ، وعلى خلفية الاقتصاد الاشتراكي الذي كان يؤمن به ذلك النظام ، وهي قوانين تتقاطع في الجوهر الصميم مع الدستور العراقي الجديد ، مما يجعل هذا الدستور غير قابل للتطبيق عمليا في الجهاز الإداري للدولة المكبلة بهذه القوانين وهذه التشريعات .

ولهذا لا بد من فرز وتفكيك هذا الكم الهائل من القوانين والنظر في تلك القوانين المعطلة للدستور والعمل على إلغائها فورا ، والقوانين المعرقة لجوهر الدستور وفلسفته ومواده والعمل على تعديلها بما ينسجم معه ، وأيضا تلك القوانين التي لا تنسجم مع روحه ، وجعل القوانين النافذة في البلاد منسجمة مع الدستور العراقي وفلسفته ومواده وهو ما لم يحصل حتى الآن مع الأسف الشديد .

إن هذا العمل الكبير والجبار يتطلب جهدا وطنيا واسعا يفوق قدرات أعضاء اللجنة القانونية في مجلس النواب ، ويتطلب تحشيد كل الطاقات وكل الخبرات والعقول العراقية المختصة في هذا القانون لتجلس وتنظر في الآلاف من القوانين وتصنفها لما هو معطل وما هو معرقل وما هو غير منسجم مع حقيقة الدستور وفلسفته ومواده ، ومن هذا

الموقع أدعو جميع الخبراء وجميع الحريصين الى أن يساهموا في حملة وطنية، وأن يشكّلوا اللجان وينظروا في هذه المواد ويقدموا إسهامهم ودعمهم وخبرتهم لمجلس النواب لإنجاز هذه المهمة بأسرع وقت ممكن .

الخدمات والبنية الإدارية

حينما يجري الحديث عن ضعف الخدمات يركز عادة على قلة التخصيصات أو على ضعف الكوادر وقلة الكفاءة في المتصددين للحقل الخدمي، إنها مشاكل حقيقية، ولكن هناك مشكلة أخرى قلما يجري التركيز عليها ولها دور في الجانب الخدمي وتحقيق الخدمات للمواطنين، وهي ترتبط بالبنية المؤسسية وبطبيعة الضوابط والمقررات والقوانين المعرّقة التي لا تسمح بتقديم الخدمة المناسبة للمواطنين. فكما علينا أن نوفر الميزانيات، وكما علينا أن نوفر الأكفاء ونضعهم في موقع المسؤولية لخدمة الناس، علينا أيضا أن نصحح هذه التشريعات والقوانين ونوفر الأرضية المناسبة لانطلاق المؤسسات في تقديم خدمة كبيرة للمواطن العراقي .

مبادرة الإصلاح الوطني

إن مبادرة الإصلاح الوطني مازالت تخضع لجهود كبيرة من لجان تخصصية شكلت لتفعيلها، وإذا أردنا لها أن تأخذ مدياتها وتفعّل بالشكل المناسب في حل مشاكل البلاد وتسهم في إيجاد تحول كبير ونقله كبيرة في خدمة المواطنين، فلا بد من أن تتوافر كل الجهود الخيرة في تحقيق هذا الأمر وهو ما يتطلب أن يكون للسادة والسيدات أعضاء مجلس النواب دور مهم كونهم الجهة التشريعية، وللسادة المسؤولين في مؤسسات الدولة ووزاراتها باعتبارهم الجهة التنفيذية، وللعقول والخبراء العراقيين وأساتذة الجامعات المختصين، باعتبارهم الثروة الكبيرة التي يمكن أن تساعد وتسهم في أداء واجباتها، ولمنظمات المجتمع المدني باعتبارها المعبرة عن إرادة هذا الشعب وتطلعاته، ووسائل الإعلام التي تغطي هذه المبادرة وترتكز على موادها وتستضيف الشخصيات والعقول للحديث عنها وتفصيلها مما يحولها إلى ثقافة شعبية عامة، نحن بحاجة إلى حضور كل هذه الجهود والأوساط النخبوية الشعبية للمساهمة في تفعيل هذه المبادرة الوطنية، إذ نجد في هذه المبادرة مخرجا لمشاكل البلاد، ومدخلا لتعزيز الثقة بين أبناء الشعب العراقي وبين مؤسسات الدولة والسادة المسؤولين .

التخلي عن السلاح خطوة مهمة

تابعنا باهتمام انضمام ست مجموعات مسلحة إلى العملية السياسية والتخلي عن السلاح، إنها خطوة مهمة تشير إلى مستوى النجاح الذي يتحقق في بلادنا، ولا بد من أن نعبر عن إرادتنا في احتضان كل العراقيين الراغبين بخدمة شعبهم ووطنهم ما لم تتلخخ أيديهم بدماء العراقيين والإساءة إليهم، إن العراق هو مظلة وخيمة جميع العراقيين، ولا بد لهذا البلد من أن يتعامل بطريقة يحتضن فيها كل العراقيين مهما اختلفوا في توجهاتهم السياسية والقومية والدينية والمذهبية. وأتمنى أن نجد قريباً ذلك اليوم الذي نشهد فيه العراق وهو يعيش الازدهار والأمان والوحدة الحقيقية بين أبنائه، والتماسك بين مكوناته، وهذا يمكن أن يتحقق بإرادتنا جميعاً.

مفارقة الإيفادات

ما زالت الشكاوى عن إيفادات تقوم بها الوزارات، ونصفها لشخصيات قريبة من كبار المسؤولين، ويحرم منها الكثير من المدراء والطاقت العراقية المبدعة، إن الفرصة تمنح لمن هو قريب من المسؤول وصاحب القرار، وتسلب ممن هو بعيد عن المسؤول أو من هو مختلف مع توجهات المسؤول السياسية، مهما كان خبيراً، ومهما كانت له من تجارب في العمل لكنه لا يعطى فرصة المشاركة في المؤتمرات لتطوير قابلياته وقدراته، وهذه إشكالية كبيرة علينا معالجتها ووضع المعايير الصحيحة التي يتم الإيفاد على أساسها وليس على أساس آخر.

تفاوت رواتب الموظفين

كذلك الاختلاف الكبير في الرواتب بين الوزارات، حيث نجد موظفاً في وزارة معينة يتسلم ربع الراتب الذي يتسلمه موظف آخر في وزارة أخرى بنفس الدرجة، وفي ذلك ما يجافي العدالة والإنصاف، لاسيما أن هذه التريجيات غالباً لا تتم على خلفية الكفاءة والخبرة والتأريخ الإداري والسابقة الإدارية لهذا الموظف أو ذاك، إن مثل هذه الحالات تشعر العاملين الموظفين المسؤولين بالغبن، مما يؤثر في مستوى حماسهم وإنتاجهم وخدمتهم للمواطنين، وهذه قضايا لا تنسجم مع الإنصاف والعدالة الاجتماعية ولا بد من توحيد سلم الرواتب على أسس منطقية وواضحة يشترك فيها جميع الموظفين في الدولة ضمن شروط محددة وواضحة.

مشكلة المفصولين السياسيين

ما زالت مشكلة المفصولين السياسيين تتفاعل بشكل مستمر، إذ يشعر عدد كبير من هذه الشريحة المهمة والمؤثرة بالإجحاف، ففي بدايات سقوط النظام في العام ٢٠٠٣، وضعت شروط مبسطة، وأعيد الكثير من المفصولين السياسيين واستفادوا من امتيازات وخدمة معينة، ثم جاؤوا بعد عدة سنوات ليضعوا شروطا جديدة ويعملوا بها بأثر رجعي ليؤثروا بذلك في عدد كبير من المفصولين السياسيين الذين أصبحوا تحت وطأة الضغوط والمطالبة باسترجاع أموال منحت لهم و صرفوها في إدارة شؤونهم العائلية، إن مثل هذه الخطوات والإجراءات تولد أزمة حقيقية لشريحة مهمة ومؤثرة عانت في زمن النظام البائد، وهي اليوم أيضا تعاني في ظل النظام الجديد.

قانون الخدمة والتقاعد لشهداء القوات المسلحة

إن إقرار قانون الخدمة والتقاعد لشهداء الجيش والشرطة إنما يعبر عن مدى تقديرنا واحترامنا لهذه الشريحة المؤثرة، هؤلاء الذين ضحوا بأنفسهم ليحققوا الأمن والاستقرار لشعبنا، فليس من المنطقي أن تبقى عوائلهم وأيتامهم من دون تشريعات وقوانين تحميهم، وتوفر لهم فرص الحياة الكريمة، والاهتمام بسن هذا القانون والتسريع به سيعطيان رسالة واضحة عن عرفاننا بالجميل وتقديرنا للتضحيات الجسام لأبناء القوات المسلحة العراقية.

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١١/٣/٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين
حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين
وصحبه المنتجبين الميامين . .

سادتي الأفاضل إخوتي الأكارم أخواتي الفاضلات ، بدايةً أرحب بكم أجمل ترحيب
في مجلسكم هذا مجلس أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة ، وقلنا إن
عهد أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر يمثل اختزالاً لهذه النظرية ، وبدأنا
باستعراض هذا العهد بقدراته المضيئة وانتهينا إلى المقطع الثالث ، حيث العلاقة بين
الحاكم والرعية والعلاقة بين المسؤول والمسؤول عنهم ، لأننا ذكرنا أن المنظومة القيادية
في الفهم الإسلامي لا ترتبط بالمواقع المتقدمة فقط ، فليس الحديث عن قائد أو زعيم أو
وزير أو مسؤول في مستويات عالية في الدولة ، إنما الحديث عن علاقة كل مسؤول مع
من هو مسؤول عنه ، وقد تبدأ من الأسرة إلى رئيس شركة ويمكن أن يكون مسؤولاً لفريق
رياضي وما شابه ذلك ، وصولاً إلى المستويات العالية . إن هذه المنظومة القيادية قد تتسع
أو تضيق ولكن سياقات العمل والمواصفات المطلوبة يجب أن تتوفر فيها .

في هذا المقطع انتهينا إلى العبارة التالية في الأسبوع المنصرم وهي قوله عليه السلام :

«فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه»^(٣٠).

يا مالك ستذهب وتكون مسؤولاً عن شعب مصر، وهؤلاء الناس قد يصدر منهم الزلل ويخطئون في مواقفهم أحياناً، كما هو الحال في أي شعب، وقد تعرض لهم أسباب شذوذهم عن الطريق فيتخذون مواقف وسلوكيات معينة، ويؤتى على أيديهم بالعمد والخطأ فيقومون بسلوكيات ومواقف وتصريحات لا تنسجم مع تقديراتك للمصلحة من وجهة نظرك، فيكونون مخطئين وقد يقومون بهذه السلوكيات عمداً وهم عارفون فيغيظك ذلك، لأنها خلاف القانون والالتزامات، حينها عليك أن تعطيهم من عفوك وصفحك وتعامل معهم بمنطق العفو والصفح كما تريد أن يتعامل معك الله سبحانه وتعالى بالعفو والصفح. فتعامل مع الرعية ومن أنت مسؤول عنهم بمبدأ العفو والصفح.

وقد قلنا إن هذه العبارة على إيجازها تحتوي على العديد من الإضاءات، وتحدثنا في الإضاءة الأولى، وهي سعة الصدر «آلة الرياسة سعة الصدر»^(٣١)، فالذي يريد أن يكون متصدياً ومسؤولاً لموقع الخدمة العامة والإدارة لمجموعة من الناس فلا بد من أن يتسم بسعة الصدر والصبر، وتحدثنا طويلاً في هذا الموضوع واستعرضنا العديد من النصوص القرآنية والروايات عن أهل البيت في هذا المجال.

تعامل المسؤول مع أخطاء الناس

الإضاءة الثانية في هذه العبارة هي النظر إلى الأخطاء من قبل المسؤول؛ كيف ينظر المسؤول إلى أخطاء الناس وقيمتها ويتعامل معها؟. لاحظنا في هذه العبارة قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك . .)، فكان الأمير عَلَيْهِ السَّلَامُ يشير إلى حقيقة أن تلك السلوكيات والمواقف التي تصدر من بعضهم ينسجم بعضها مع القانون وبعضها لا ينسجم مع القانون، والبعض ينسجم مع رغباتك وفهمك وتقديراتك للمصالح وبعضها لا ينسجم فيكونون مخطئين، وقد يقومون بهذه الأعمال عمداً وهم عارفون بأنها تغيظك، وقد تصدر منهم أخطاء. إن هذا الصّحاح لا يعني تجاهل الحق العام، فمن يتجاوز الحدود والسلم الاجتماعي والنظام

٣٠. نهج البلاغة، ج ٣- ص ٨٤- الكتاب ٥٣

٣١. نهج البلاغة، ج ٤- ص ٤٢

العام في البلد لا يمكن أن تغض الحكومة الطرف عنه وإلا فقدت المؤسسات هويتها، إن هذا الصفح والعتو ليس مبررا وليس وسيلة لأن تنفرط الأمور وتخرج عن سياقاتها الصحيحة، بل لا بد من الحزم والوضوح في تطبيق الإجراءات، ولكن الخلفية كما أسلفت هي زرع الثقة بين المسؤول والرعية على مختلف المستويات من أجل أن تكون الأجواء أجواء ثقة ومحبة واحترام وتفهم، حتى يستطيع المسؤول أن يدفع الناس باتجاه المزيد من الالتزام بالضوابط والتعليمات التي يفترض أنها وضعت لخدمتهم. . لا حظوا ماذا يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في ديوان نُسب إليه في هذه الأبيات الشعرية

يقول:

وذي سفه يواجهني بجهلٍ فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهةً وأزيد حلما كعودٍ زاد بالإحراق طيبا^(٣٢)

قد يصدر فعل خاطئ من شخص معين، كما يصفه هنا عَلَيْهِ السَّلَامُ بالسفيه، وهذا السفيه نتيجة جهله يواجهني بسلوك غير لائق ولكنني أكره أن أجيب الجاهل بموقف انفعالي، ويرد فعل معين، وقد يجعل مثل هذا الرد من أزمة صغيرة أزمة كبيرة، ثم تتفاقم هذه الأزمات، لكنني في مقابل زيادة سفاهته ومحاولة استفزازي بجهله وإساءته، بشعار أو لافتة يرفعها هنا وهناك، أو بموقف يتخذه. . في مقابل ذلك أزيد حلما، أنا علي بن أبي طالب أواجه بمزيد من الحلم والاستيعاب والاحتضان وسحب كل الذرائع التي من شأنها أن توجب الموقف وتخلق أزمة، ولكن على ألا تتعارض مع السلم العام والنظام العام ومع طبيعة الظروف المطلوبة للاستقرار في بلد ما.

واقعية المسؤول

الإضاءة الثالثة: الواقعية في نظرة المسؤول إلى نفسه، فيا أيها المسؤول لا تظن إذا ما أصبحت وزيرا أو أميرا أنك أصبحت خارج دائرة الخطأ ومعصوما منه، فمن قال إن الوزارة عصمة ومن قال إن كل الذي تفكر به وتتخذه من مواقف وخطوات صحيح؟ . . ليس الأمر كذلك، وعليك أن تكون واقعا في نظرتك إلى نفسك وقدراتك، وتحتمل الخطأ في كل كلمة وفي كل إجراء وفي كل سلوك وفي كل خطوة تخطوها.

لا حظوا ماذا يقول أمير المؤمنين: (فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه)، فأنت أيضا تذنّب وتعصي وتخالف رب العالمين وتتخذ

٣٢. ديوان الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، ص ٢٠

مواقف خلاف السياقات ، وتمدد يدك إلى رب العالمين تطلب منه العفو والصفح ، لهذا فليس لك أن تقول إنني لا أخطئ وتأخذك العزة بالإثم ، فأنت لا تملك خصوصية تميزك من غيرك وكل ميزتك أن جاءتك الفرصة فأصبحت مسؤولاً ، ومثل هذه الفرص نراها اليوم في واقعنا ، حيث يأخذها البعض بجدارة وكفاءة وأداء ، والبعض الآخر حصل عليها لأن حزبا ما رشحه إلى منصب وزير وكان من قبل يحلم بأن يكون بدرجة ملاحظ في دائرة ، لكن الحظ ابتسم له ووصل إلى هذا الموقع ، وعلى أية حال فوصولك إلى هذا الموقع أو ذاك شيء ، وصدور الخطأ من قبلك وعدم صدوره شيء آخر .

إنك تخطئ وتحتاج إلى رحمة الله وعفوه ، وإن كنت ترى أنك لا تحتاج إلى عفوه ، فهذه مشكلة كبيرة ، أما إذا كنت تحتاج وترى نفسك تقع في الخطأ وتحتاج إلى صفح الله تعالى ومغفرته ، فلماذا لا تقدم الصفح لغيرك ؟ .

إن ثقافة علي عليه السلام هي ثقافة بناء الرؤية الموضوعية في نظرة الإنسان إلى نفسه ، فعلى المسؤول أن لا يكابر في حقيقة أنه يقع في الخطأ وبحاجة إلى الصفح ، فإذا كان كذلك فلماذا لا يعترف بإمكانية أن يقع الناس أيضا في الأخطاء وهم بحاجة إلى الصفح كذلك ، هذه رؤية موضوعية بطرحها علي عليه السلام في طيات هذه العبارة .

الراحمون يرحمهم الله

الإضاءة الرابعة : العلاقة الطردية المباشرة بين صفح الله سبحانه وتعالى عن عبده ، وصفح الإنسان عن الإنسان . فيا أيها الإنسان المسؤول إن كنت تريد الصفح من الله اصفح عن الناس أولا ، حتى تتوقع الصفح من الله تعالى . فهناك علاقة بين كيفية تعامل الإنسان مع الناس وتعامل السماء معه على هذه الخلفية ، وهذه قاعدة مهمة من قواعد التنظيم السلوكي الإنساني بحسب الرؤية الإسلامية ، حيث يصبح الإنسان دائما مرآة لما يتوقع ويتطلع إليه في علاقته مع ربه ، فعليه أولا أن يجسد هذه التوقعات في تعامله مع الناس .

قد يطلب الإنسان من الله الرزق الطيب وهو يمتنع عن مساعدة الآخرين حين يحتاجون إليه كما لو استقرض منه أحدهم قرضا ، ارحم الناس ثم اطلب الرحمة من الله ، وهذه العلاقة تجعل الإنسان دائما أمام كوابح تكبح جماحه وتمنعه من أن يتناول على الناس ، لأنه ضعيف إمام الله سبحانه وتعالى .

من منا ليس له قائمة طويلة من التوقعات ومن المطالب من الله سبحانه وتعالى ؟ ، وإذا

كنت تريد تلك أن تتحقق طبقها مع من أنت مسؤول عنهم ، حتى تتوقع أن تحصل لغيرك .
 لاحظوا في قوله تعالى : ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
 رَحِيمٌ﴾^(٣٣) . فنرى في الآية الكريمة قوله : ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ ثم تردف مباشرة ﴿أَلَا
 تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ، إذن فمغفرة الله ترتبط بأن تصفح عن العباد وتستغفر لهم ،
 وترتبط هذه الآية الشريفة بين هذا وذاك .

في كنز العمال ، وتجدها في مستدرك الوسائل ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
 قال : «الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»^(٣٤) .
 فإذا كنت تريد رحمة الله فعليك أن ترحم الناس ، إذا أردت الرحمة من السماء فعليك
 أن تبدأها في الأرض من خلال تعاملك مع عباد الله . وهذه أيضا قاعدة مهمة ، ورد في
 صحيح مسلم عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»^(٣٥) .
 ارحم الناس حتى تتوقع الرحمة الإلهية وفي هذا أيضا درس كبير وعظيم .

سلسلة المراتب في عملية الإدارة

العبارة الأخرى في هذا المقطع الشريف لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ : «فإنك فوقهم ، ووالي الأمر
 عليك فوقك ، والله فوق من ولاك»^(٣٦) .

أنت أيها المسؤول فوق هؤلاء الناس ، لكن هناك مسؤولا عنك ، والله فوق من ولاك ،
 وهكذا تستمر سلسلة المراتب ، من ملاحظ ومسؤول قسم ثم مسؤول ثم مدير ومدير عام
 ووزير ، وسلسلة المراتب العسكرية تبدأ من ضابط بدرجة بسيطة حتى يتكون فريق من
 هذه السلسلة من المراتب .

إن عليا عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول لمالك أنت اليوم فوق هؤلاء الناس فأنت مسؤول عنهم ،
 وهناك من هو فوقك وهو علي والله فوق من ولاك ، والله فوقنا جميعا . ماذا تعني سلسلة
 المراتب في عملية الإدارة والقيادة وما الرؤية الإسلامية في العلاقة الإنسانية لإدارة الأمور
 والشؤون؟ . هنا لا بد من أن نقف عند العديد من الإضاءات .

٣٣ . سورة النور : الآية ٢٥

٣٤ . كنز العمال ج ٣ ص ١٦٣ ، ومستدرك الوسائل ج ٩ ، ص ٥٥

٣٥ . صحيح مسلم الجزء ١٥ ص ٧٧

٣٦ . نهج البلاغة ، ج ٣ - ص ٨٤ - الكتاب ٥٣

بين الرؤية السلطوية وتنظيم إدارة شؤون الناس

الإضاءة الأولى / إن سلسلة المراتب هي نوع من بسط النفوذ والرؤية السلطوية ، فلكل مسؤول حجمه وقدرته في السيطرة التي يسيء من خلالها لمن هو تحت مسؤوليته ، وهكذا ضمن سلسلة المراتب التي قد تُمارس من خلالها حالة من التشفي وإشباع الروح السلطوية عند الناس ضمن مراتب مختلفة . إن هذا النفس السلطوي يتحول إلى ثقافة وسلوكيات في الإدارة .

والجميع يمكنه أن يرى بعض هذه الظواهر التي تدل على هذه الثقافة السلطوية ، فقد يقف مسؤول أقل رتبة أمام مسؤول أعلى لساعة أو ساعتين من دون أن يقول له تفضل استرح ، وكأن العملية هي أن يستأسد كل شخص من موقعه ويمارس هذه الحالة السلطوية على من هو دونه ، ولتنتهي بالموظف البسيط الذي يخرج عُقد كل هؤلاء المسؤولين برأس المواطن ، فحين يحتاج هذا المواطن إلى توقيع يتم تأجيله ، وهكذا تتحول هذه الممارسات إلى ثقافة ، فكل مسؤول في سلسلة المراتب يريد أن يشبع غليله السلطوي ويمارس حالة التسلط على من هو دونه .

هل هذه هي النظرة الإسلامية؟ ، هل يقبل ويعترف الإسلام بمثل هذه التصرفات؟ . الجواب كلا وألف كلا ، إن الإسلام ينظر إلى سلسلة المراتب على أنها حالة تنظيمية للعمل وإدارة شؤون الناس ومصالحهم ، وليس فيها تمييز وطبقية ، بل هي نوع من التنظيم لتوجيه كل الطاقات باتجاه الهدف المنشود ، فبالنسبة لرئيس الشركة التي تضم ربما أكثر من ألفي شخص ، أو الوزير الذي لديه مهام ومسؤوليات وفي وزارته آلاف من الناس ، هؤلاء ، رئيس الشركة والوزير ، لا يمكنهما التواصل مع كل العاملين ، وهنا تأتي عملية تسلسل المراتب من أجل تنظيم هذه الحالة وتفعيل كل الطاقات لتحقيق الهدف المنشود .

لاحظوا ماذا يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في رسالة له في نهج البلاغة بعثها إلى أشعث بن قيس ، عامله في أذربيجان ، يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وان عملك ليس لك بطعمة ولكنه في عنقك أمانة ، وأنت مسترعى لمن فوقك . ليس لك أن تفتت في رعية»^(٣٧) ، أي أن وظيفتك التي وضعناك مسؤولاً فيها ليست طعمة ومغنا ، وليس لك أن تقرأ الأمور من زاوية حصولك على الامتيازات واستغلال فرصة التواجد في هذا الموقع .

يؤكد الإمام أن الموقع ليس مغنا وطعمة ولكنه أمانة في عنقك ، فأنت مؤتمن على

عملك ومسؤولياته، وحين تكون مسؤولاً في هذا الموقع أو ذاك فأنت مسترعى، وهذه عبارة عميقة يستخدمها علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، أنت مسترعى لمن فوقك، أي أنت معنيّ بحفظ الأمانة لمن هو فوقك، ومن فوقك يحفظ الأمانة لمن فوقه، حتى يتحقق الهدف في خدمة الناس من خلال كل هذه المنظومة، هذا ليس مغنماً بل أمانة في أيدينا، وعلينا أن نحافظ عليها. إذن فسلسلة المراتب هي عملية تنظيمية لإدارة شؤون أية منظومة قيادية في تحقيق أهدافها المنشودة، وعلى الجميع ممن يتصدى لهذه المسؤولية في أي مرتبة من المراتب، أن يحفظ هذه الأمانة ويرعاها ويسلمها كاملة حتى تُنجز مصالح الناس ويتحقق الهدف الأساسي وهو خدمتهم.

إن هذا يعني أنه لا توجد صلاحيات مطلقة لأحد، فلا يوجد مسؤول فوق القانون ولا يوجد مسؤول فوق العدالة وفوق الإجراءات، فالمسؤول مهما كانت درجته الوظيفية، وزيراً كان أو زعيماً أو رئيساً، فستبقى هذه أمانة بيده، والله فوّه.

مواصفات المسؤول وشروط الطاعة

لاحظوا في الرسالة ٣٨ في نهج البلاغة، وهي رسالة أعطاهها الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مالك الأشتر لينقلها إلى أهل مصر، أعطاه العهد وضمّن فيه الواجبات المكلف بها، وأعطاه رسالة إلى أهل مصر ليوضح فيها ما الإجراءات التي يقوم بها هذا المسؤول، لدينا اليوم إشكالية أن الوزير لا يعرف ما البرنامج الوزاري لوزارته، وسط التقاطع بين المهام والمسؤوليات للدوائر والوزراء، كما حصل اليوم في قضية الأهوار، فكل يرمي المسؤولية على الآخر. إن علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما ولى مالكاً الأشتر أعطاه أولاً وثيقة تتضمن الواجبات والضوابط المكلف بأدائها، ورسالة إلى الناس يعرفهم بأنه أرسل إليهم مسؤولاً بهذه المواصفات، ومما يقوله علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرسالة:

«أما بعد فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع أشد على الفجار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث أخو مذحج، فاسمعوا له وأطيعوا أمره في ما طابق الحق فإنه سيف من سيوف الله لا كليل الطبة»^(٣٨)، إن أول شيء يذكره الإمام علي في مدح مالك أنه عبد لله فلم يبعث طاغية وسلطاناً يتأمر، بل هو عبد من عباد الله لا يخاف ولا يتنصل من تحمل المسؤولية.

نرى اليوم أن المسؤول في أيام اليسر والرخاء غيره في أوقات الأزمات، حين يكون

غائباً عن دوره في حل تلك الأزمات والمشاكل ، على المسؤول تحمل المسؤولية وألا ينظر إلى موقعه باعتبار ما فيه من إيفادات وامتيازات وخدمات ومكاتب فارهة .

«ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروح»، أي ساعات الخوف ، ففي تلك الساعات الشديدة لا يجبن ، بل يتقدم الجميع ويقف ويواجهه . «أشد على الفجار من حريق النار» ، فهو لا يزهده في معالجة الأخطاء والاعوجاج والانحراف الذي يخاطر بسلامة المجتمع ، «وهو مالك بن الحارث أخو مذحج فاسمعوا له وأطيعوا أمره في ما طابق الحق» ، أي هذا مالك الذي يتمتع بكل هذه الصفات ، أطيعوا أمره في ما طابق الحق ، فحتى لو كان مالك بكل هذه المواصفات فليس لدينا أمر مطلق في الطاعة ، بل تأكدوا أن ما يأمر به مطابق للحق ، حينها خذوا به ، وإن لم يكن مطابقاً للحق فلا تأخذوا به . فالحق والعدل هما المعيار ، كالدستور الذي هو المعيار لدينا اليوم ، فلا نأخذ بإجراءات خلاف الدستور الذي تبايننا عليه .

هذا المنهج الذي يضعه علي عَليهِ السَّلَامُ هو منهج الإسلام ، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ولا تصح ثقافة المأمور معذور . فمثلاً في اليوم الذي انتصرت فيه الثورة الإسلامية كان الإمام الشهيد الصدر ينظر إلى الثورة التي قادها مرجع من مراجع المسلمين وعالم من العلماء ، فقال : «ذوبوا في الإمام الخميني ما دام ذائباً في الإسلام» . قد نرى أحياناً رجلاً ذائباً في الإسلام ولكنه ليس معصوماً ، حتى لو كان عالماً كبيراً ومرجعاً من مراجع المسلمين .

إن حديث الإمام الصدر : «ذوبوا في الإمام الخميني ما دام ذائباً في الإسلام» هو ذاته ما يتحدث به علي عَليهِ السَّلَامُ في قوله : «وأطيعوا أمره في ما طابق الحق» ، حتى لو كان مالكا الأشر ، لذلك هذه إضاعة مهمة نستفيد منها من حديث علي عَليهِ السَّلَامُ ، اللهم صلِّ على محمد وآل محمد .

المشهد السياسي العربي

لا يزال المشهد العربي يؤشر إلى حراك كبير ورغبة ملحّة من الشعوب العربية الكريمة في تحقيق المزيد من الحرية والكرامة ، والديمقراطية والتعددية والإصلاحات الجذرية في واقعهم السياسي والمعيشي ، ويجري الحديث عن الانتخابات والدساتير باعتبارها المستند والأساس في إدارة شؤون البلاد العربية عموماً .

إن هذه الحركات الثورية الشعبية الشبابية التي يقودها الشباب المتحضر الذي وجد

نفسه اليوم يعبر عن ضمير هذه الشعوب ، ويستنهض الهمم لأبناء هذه الشعوب الكريمة ، جاءت لتؤكد على مفاهيم الإصلاح ومفاهيم التغيير والرغبة الجامحة في بناء صورة جديدة في هذه البلدان ، فيها تعبير حقيقي عن إرادة الشعوب في إدارة شؤونها ومعالجة مشاكل وتحديات ومعاناة واجهتها على مدار عقود طويلة من الزمن .

العراق ومفاهيم تداول السلطة

إن المفهوم المتداول اليوم في عالمنا العربي هو مفهوم الإصلاح والتغيير والتطوير والديمقراطية ، والتداول السلمي للسلطة وصياغة الدساتير والانتخابات العادلة التي تعطي الفرصة المتكافئة لجميع المواطنين للتعبير عن آرائهم ، وفي اختيار من يدير شؤونهم ، كل هذه المفاهيم المتداولة الآن في محيطنا العربي شهدناها هنا في العراق منذ ثمانية أعوام ، وها نحن نعمل وفق الدستور وعلى إجراء الانتخابات والحديث عن الحريات إلى غير ذلك من المطالب الواضحة ، فالعراق اليوم يسير بخطى ثابتة ويتقدم الوطن العربي في مشروعه الوطني الإصلاحي الذي حقق جزءاً مهماً ، وما زال أمامه مشوار طويل عليه أن يحققه ليصل إلى ما يطمح إليه الشعب العراقي ، من العزة والكرامة والحرية والظروف المعيشية الملائمة .

إن مثل هذا الظرف يحمل الشعب العراقي بنخبه وقواه السياسية وشبابه ونسائه وعشائره وجماهيره مسؤولية كبرى ، في استثمار هذا الظرف والفرص الهائلة المتوفرة ليتحول العراق إلى محور حقيقي يتصدر فيه المشهد العربي ويضم حوله الدول العربية الكريمة في منظومة تعتمد على أساس القيم الإسلامية والعربية ، وتعتمد على أساس الحرية والعزة والكرامة والتسامح والتعايش في بناء هذه المجتمعات ، وخدمة هذه الشعوب الكريمة بما يحقق طموحاتها .

الحديث عن حقوق الإنسان

اليوم ثمة حديث عن ترسيخ حقوق الإنسان وعن الرغبة الجامحة في تجربة يشعر فيها المواطن بالكرامة العربية المفقودة والمسلوقة ، وعن توجيه الطاقات بما يحقق الإعمار والازدهار والبناء في هذه البلدان الكريمة ، ومعالجة المشاكل الحقيقية للشعب العربي . إن مثل هذه الأمور أصبحت هي حديث الساعة ، والعراق اليوم يتصدر وهو في محورية هذا العمل الكبير ، ونتمنى له بجمهوره الواعي وتأريخه الحضاري وبالفرص والقدرات

الهائلة المتوفرة فيه أن تُستثمر هذه الظروف لصالح تجربتنا ومشروعنا العربي الإسلامي الإقليمي، لنكون يداً واحدة ونتعاون في ما بيننا لتحقيق طموحات وتطلعات الشعوب العربية الكريمة.

التحولات في المنطقة والظهور المقدس

إننا نتفاءل خيراً عندما تكون هذه التحولات وهذه التطورات الكبرى ممهدةً لظهور سيدنا ومولانا صاحب العصر والزمان (عج)، هذا المنقذ الذي يظهر ليملاً الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً. إننا نؤمن بالغيب ونؤمن بالله ونتوكل على الله ونلوذ ونستعين بالله سبحانه وتعالى، وأن الله سينصر هذه الشعوب ويدفع لما فيه الخير والصلاح وما يمهّد للقيام بتلك الأدوار الكبيرة التي من خلالها يعم الخير والصلاح. نسأل الله أن يوفق هذا الشعب الكريم ليلعب هذه الأدوار في خدمة أشقائه العرب.

مأساة الشعب الليبي

إن الوضع ما زال ملتهباً في ليبيا، وفي كل يوم يسقط الناس ضحايا واحداً بعد واحد ومجموعة بعد أخرى في ظل التصلب والتمسك بالسلطة من قبل القذافي وجماعته وجلاوزته، فيما نجد الحماسة والانديفاع والاستعداد للتضحية من أبناء الشعب الليبي الشقيق ورغبتهم في تقديم كل شيء لتغيير الواقع، الذي عانوا منه طويلاً لأكثر من أربعة عقود في هذا البلد العربي الغني بثرواته النفطية والغني بشيئمة العربية والغني بثقافته الإسلامية. إننا نعبر من جديد عن تضامننا ووقوفنا مع الشعب الليبي الشقيق في محنته وثورته، ونتمنى له النصر في تحقيق تطلعاته في حكومة عادلة تحقق لهذا الشعب الكريم ظروف الحرية والعدالة والإصلاحات السياسية المطلوبة والظروف المعيشية الملائمة.

مؤتمر لندن

وفي ظل مؤتمر لندن الذي عقد لنصرة الشعب الليبي، لا بد لنا من أن نذكر أهمية أن يتحمل المجتمع الدولي مسؤولياته الكاملة في الحفاظ على أرواح المواطنين الأبرياء في ليبيا، إن استخدام القوة والسلاح لضرب الماكينة العسكرية للقذافي لا يبرر بأي وجه من الوجوه أن يسقط عدد من الأبرياء المدنيين، ضحايا لهذه العمليات. ولا بد من مزيد من الدقة وتحمل المسؤولية للحفاظ على أرواح المواطنين الأبرياء في ليبيا.

إننا نشكر كل الأنظمة العربية والإسلامية والدولية التي وقفت مع الشعب الليبي وتضامنت

معه واعترفت بالمجلس الانتقالي الذي يمثل الواجهة الشعبية لهذه الثورة الكريمة ، ونعبر عن استغرابنا من عدم الاعتراف بهذا المجلس الانتقالي من قبل الحكومة العراقية الموقرة .

الوضع في اليمن الشقيق

إن الوضع في اليمن يشهد هو الآخر تطورات مهمة ، والوعي الشعبي الشبابي المتميز الذي نجده اليوم في اليمن والتعبئة الواسعة والنزول إلى الشارع من قبل القبائل والعشائر والجمهور اليمني ، إنما أصبح يحقق ثماره ونتائجه الطيبة ويدفع بالرئيس الحاكم منذ عقود إلى أن يعيد النظر بحساباته وأن تُتاح الفرصة ليستعيد الشعب اليمني المبادرة ليشكل حكومة تعبر عن طموحاته ، وتعبّر عن إرادة تكون قادرة على تحقيق المزيد لهذا الشعب الكريم ، الذي عانى ما عانى على مستوى العقود الماضية . إن الرئيس اليمني عليه أن يعي هذه الرسالة قبل فوات الأوان وأن يتخذ الإجراء الصحيح ويمنع مزيداً من نزيف الدماء البريئة للشعب اليمني ويعطي فرصة لهذا الشعب في أن ينطلق وأن يحدد من يدير شؤونه في المرحلة المقبلة .

التطورات في سوريا والأردن

إن التطورات في سوريا والأردن تستحق الاهتمام والمتابعة والحرص على تلبية مطالب الشعوب الكريمة ، وهي مطالب مشروعة في الإصلاحات السياسية وفي الظروف المعيشية إلى غير ذلك ، مما يجعل القيادات في هذه البلدان الكريمة أمام مسؤولياتهم للإسراع في تلبية هذه الاحتياجات والإصغاء إلى شعوبهم ، وحل المشاكل وإعادة الأمور إلى سياقها الصحيح وتحقيق المزيد من الاستقرار في عالمنا العربي وفي هذه البلدان الكريمة .

الأزمة البحرينية

إن الوضع في البحرين ما يزال يراوح في مكانه ، وقد قلناها مراراً بأن الماكينة العسكرية والضغط والإساءة للمواطنين لا يمكن أن تمثل حلاً لمشكلة البحرين . إن الحل يكمن في الحوار السلمي والبناء والمبني على قاعدة موضوعية وعادلة يقبل بها الشعب البحريني ، وتتواءم مع ظروف الاستقرار المرجوة لهذا البلد الكريم ، ولاسيما أن المساحات الواسعة من الشعب البحريني رفعت شعارات ومطالب أقر الجميع بعدالتها وحقانيتها . فلا بد من الإصغاء لهذا الشعب ولا بد من الاستماع لمطالبه ولا بد من حوار بناء يضع الأمور في نصابها الصحيح . إن التلميح إلى ترسيخ التمييز بين المواطنين في البحرين ، واتهام كل من يطالب بالإصلاحات السياسية بالإخلال بالتوجهات الوطنية

هو منهج خطير ستكون له مضاعفات سلبية على المعالجات المرجوة في حلحلة الأزمة الراهنة في مملكة البحرين .

الإصغاء لمطالب الشعوب

إن على جميع الأنظمة العربية المحترمة أن تعي الحق الأممي والدستوري للشعوب في التعبير عن آرائها والمطالبة بحقوقها، والعلاج الناجع لحل هذه الأزمات هو الإصغاء لهذه الشعوب، والقيام بإصلاحات سريعة وعاجلة ترضع الأمور في نصابها الصحيح، وتحقق تطلعات هذه الشعوب وتعيد الثقة بين الشعوب وبين هذه الأنظمة الكريمة .

مجلس النواب والقوانين العالقة

في العراق نشهد هبة سريعة من مجلس النواب للنظر في التشريعات والقوانين العالقة، وتشكيل لجان لمتابعة ظواهر الفساد، مما يعني إيفاء مجلس النواب بمهامه التشريعية والرقابية . إنها خطوة تستحق التقدير والثناء لكل إخواني وأخواتي أعضاء مجلس النواب، ونتمنى لهم الاستمرار بنفس العزيمة والوتيرة في تشريع القوانين العالقة، التي طال انتظار الشعب لها منذ عدة سنوات، وإسعاد أبناء شعبنا من خلال مثل هذه التشريعات والتعبير عن رسالة الحرص والاندفاع والرغبة من المجلس النيابي لتقديم الخدمة لهذا الشعب الكريم، وحل مشاكله ومعاناته التي طال أمدها في عهود الأنظمة السابقة بشكل من الأشكال وفي العهد الجديد بشكل آخر .

كما نتمنى على مجلس النواب تجنب العطل غير الضرورية وأن يعكف على مهامه الأساسية في تشريع القوانين ومراقبة الأداء العام في مفاصل ومؤسسات الدولة العراقية، وعقد اجتماعات مكثفة لهذه المهام للتعويض عن الأشهر الطويلة التي ضاعت على المجلس النيابي بحكم طبيعة الأزمة السياسية التي مر بها العراق، إنها فرصة تاريخية لأعضاء مجلس النواب، ليضعوا بصماتهم ويقوموا بدور يخلدهم في ذاكرة العراقيين وفي ذاكرة التاريخ في ما يقدمونه من خدمة .

الإشادة بقوانين ترسيخ الديمقراطية

إننا نشيد بكل القوانين التي من شأنها أن ترسخ الديمقراطية في العراق ومنها قانون الأحزاب . ولكن على مجلس النواب أن يزيل النواقص الكثيرة لهذا القانون وتكييفه مع جوهر الدستور الذي يؤكد على الحريات واحترام الخصوصية للأفراد والجماعات

وللقوى السياسية. وعدم التدخل في تفاصيل القوى السياسية مع ما ينسجم مع بنود الدستور ومواده. إننا ندعو للاستعانة بأهل الخبرة والاستعانة بدساتير مشابهة لدول متطورة وعميقة في الديمقراطية، لتتعرف على كيفية تنظيم هذه الدول للأداء الحزبي والسياسي وكيف هي القوانين المعنية بهذا الأمر.

خطوة لتوثيق جرائم النظام المباد

كما نشيد بالسادة والسيدات أعضاء مجلس النواب بموقفهم الطيب باعتبار جرائم النظام الصدامي، كاستهدافه للانتفاضة الشعبانية عام ٩١، اعتبارها جرائم ضد الإنسانية. إنها كلمة حق تأخر قولها وإطلاقها وجعلها قضية رسمية في توثيق جريمة نكراء من أعظم وأبشع الجرائم التي شهدناها تاريخنا المعاصر، بسقوط نصف مليون إنسان شهيداً في غضون أسبوعين من هذه الانتفاضة، من دون أن يُتناول ذلك من قبل وسائل الإعلام، أو تتحدث عنه أو توثقه. واليوم حينما يسقط شهداء هنا أو هناك في الوطن العربي، واحد أو اثنان أو عشرة أو عشرون، نجد العالم يعج ووسائل الإعلام تعكس تفاصيل الحدث، وقطرة الدم الواحدة عزيزة علينا ولكن نصف مليون شهيد في غضون أسبوعين هي واحدة من أكبر الجرائم التي يشهدها عالمنا المعاصر، ومن دون أن توثق. فشكراً لأعضاء مجلس النواب على اعتبار هذه الجريمة جريمة ضد الإنسانية.

قانون الحريات الصحفية

كذلك فإن تشريع قانون حماية الصحفيين يعد خطوة أساسية ومهمة لحماية هذه الشريحة المؤثرة والفاعلة في المجتمع. وعلينا إجراء التعديلات المطلوبة على هذا القانون لتحويله من قانون حماية الصحفيين إلى قانون الحريات الصحفية، وفرق كبير بين هذين العنوانين، وما يحمله من فلسفة لهذا القانون، وكذلك توسيع دائرة رعاية الصحفيين لتشمل كل الصحفيين العراقيين وإشراك كل المجاميع الصحفية في مناقشاته لأجل إثرائه، لأنه قانون ينظم واحداً من أهم مفاصل الدفاع عن الحريات وعن التعددية والديمقراطية في بلادنا. كما علينا أن نضمّن في هذا القانون مواداً تؤكد حق الصحفيين في الوصول إلى المعلومة وحق الصحفيين في تداول ما يتوصلون إليه من معلومات في وسائل الإعلام، من دون أن يتعرضوا إلى ملاحقات قانونية.

التبعات والشراكة الوطنية

إننا نسمع من جديد الحديث عن سيئات الشراكة الوطنية، ومحاولة تحميل الشراكة كل التبعات والسيئات التي نعيشها اليوم في الضعف الحكومي أو في الأداء الوزاري. إننا نؤكد من جديد على أن إشراك القوى الوطنية بما يعبر عن تمثيل واسع لشرائح المجتمع يعد أمراً ضرورياً في نجاح تجربتنا العراقية الجديدة، وما نحتاج إليه في إزالة الضعف القائم في الأداء الوزاري إنما هو اعتماد معايير الكفاءة والنزاهة في من يتم اختيارهم لمواقع المسؤولية، وترشيح الحكومة والاستفادة من العقول والخبرات العراقية في المجالات المختلفة، ووضع الخطط والبرامج التي من شأنها أن تدفع بالبلاد إلى خطوات واضحة في الإعمار والازدهار على خلفية علمية ومنهجية، فالمسألة فيها جوانب أخرى فلماذا نحمل الشراكة الوطنية هذه التبعات؟!.

وأقولها بصراحة، لو أننا ذهبنا إلى حكومة غالبية سياسية وأبعدنا عدداً من القوى الوطنية واكتفينا بعدد من هذه القوى لتشكيل حكومة بديلة بغالبية سياسية، وجئنا بشخصيات لا تتسم بالكفاءة والنزاهة وبقيت الحكومة مترهلة وبقينا نصرّ على عدم الاستعانة بالخبرات العراقية، فإن المشكلة سوف تبقى قائمة، ذلك لأن المشكلة ليست في الشراكة أو الغالبية السياسية وإنما في اعتماد الكفاء وعدم اعتماده، وفي الترهل والترشيح، وفي وجود الخطط الواضحة لإعمار البلد والخطوات المطلوبة في هذه الحكومة أو عدم وجود هذه الخطط، أما أن نجعل الشراكة الوطنية شماعة نكسر الجرة عليها، ونحملها كل التبعات، فكما اعتقد، هي قضية تحتاج إلى إعادة نظر.

سحب ترشيح الدكتور عادل عبد المهدي

إن سحب ترشيح أختينا فخامة السيد عادل عبد المهدي جاء ليؤكد رؤيتنا في المجلس الأعلى إلى مواقع المسؤولية في الدولة، إذ إننا نرى أن هذه المواقع هي أداة لخدمة الناس وليست للوصول إلى مكاسب وامتيازات وفرص لهذا الشخص أو ذاك من رجالنا. ولذلك فإن اندفاع إخوانكم في المجلس الأعلى لتحمل المسؤولية والتصدي لمواقع معينة أو إحجامهم عن ذلك، إنما يرتبطان بتقييمهم لمستوى إمكانية تقديم الخدمة من خلال هذه المواقع.

فإذا وجدنا أن هناك فرصة لخدمة الناس تحمس رجالنا لإمساك هذه المواقع حتى يخدموا هذا الشعب المظلوم، وإن وجدوا أن المواقع جوفت من مضمونها ومن محتواها

ويراد لها ألا تفعل ولا تأخذ دورها أحجمنا عن التصدي لها . لأن المجلسيين ليسوا طلاب سلطة أو طلاب مواقع ، وجاء هذا الموقف أيضا ليعبر عن الاستياء من التسويف في انتخاب هؤلاء الأشخاص والتصويت لنواب الرئيس ، فيما تم التسريع في انتخاب نواب الرئاسات والمواقع المتقدمة في المفاصل الأخرى من الدولة العراقية .

ولكن لا بد من أن نؤكد على أن سحب ترشيح الدكتور عادل عبد المهدي لا يعني تراجعاً في التزامنا لدعم هذه الحكومة الموقرة ما دامت تسير في طريق الخدمة للمواطنين . إننا لا نبني قناعاتنا في الدعم أو عدم الدعم على فرصنا ومواقفنا وأدوارنا في هذه الحكومة ، وإنما نبني موافقنا على مقدار ما يتحقق من خدمة للمواطن ، وهذا عهد قطعناه مع أبناء شعبنا ، فسنبقى داعمين ومساندين لهذه الحكومة في كل خطوة تخدم من خلالها الشعب العراقي ، وسنقف ونتحفظ ونسجل ملاحظتنا على أية خطوة تبتعد عن خدمة هذا الشعب ، وهذا هو المعيار لمواصلة الدعم والإسناد لهذه الحكومة الموقرة .

شرف زيارة محافظة البصرة

كان لنا شرف زيارة محافظة البصرة الفيحاء في الأيام القليلة الماضية ، للاطلاع على أحوالها وظروف أبناء البصرة الشرفاء والمعاناة اليومية التي يواجهونها في إدارة حياتهم وشؤونهم ، وتلبية احتياجاتهم . وقد وجدت أهل البصرة بنخبهم وجماهيرهم يتمتعون بالوعي العالي والصبر والثبات ، ورأيت الهمة في شباب البصرة وتميزهم المعهود الذي عهد دائما من أبناء هذه المحافظة الكريمة ، ولا حظنا من عشائر البصرة كرم الضيافة والمسؤولية العالية تجاه واجباتهم في هذه المرحلة الحساسة ، فشكرا لأهل البصرة الشرفاء وشكرا لجميع العراقيين ، وكلني شرف في أن أكون خادما صغيرا لهذا الشعب العظيم ، وأن نقف جميعا لندافع عن حقوقه ونعمل جاهدين لتلبية احتياجاته .

فاجعة صلاح الدين

كما أعزي أبناء شعبنا في محافظة صلاح الدين في العملية الإرهابية الإجرامية التي استهدفت مبنى مجلس المحافظة ، وأودت بحياة العشرات وجرح عدد كبير من المواطنين والمسؤولين . إنها تمثل سابقة خطيرة وتراجعا واضحا في الموضوع الأمني يستحق الدراسة ووضع المعالجات المناسبة لعدم تكراره ، كما إنني أدعو الحكومة

الموقرة إلى تشكيل لجنة عاجلة للتحقيق في هذا الموضوع وتشخيص أسباب الخرق الأمني الكبير الذي حصل، والذي أدى إلى مثل هذه المضاعفات الخطيرة، والتعرف على المجرمين والجناة وتسليمهم إلى العدالة وإطلاع الرأي العام على نتائج التحقيق في هذا الموضوع. إننا ندين ونستنكر بأشد العبارات هذه الجريمة النكراء ونترحم على أرواح الشهداء ونتضامن مع أبناء هذه المحافظة الكريمة، ونتمنى لذويهم الصبر والسلوان وللجرحى الشفاء العاجل.

زيارة الرئيس أردوغان

شهدنا في هذا الأسبوع زيارة السيد رجب طيب أردوغان رئيس وزراء تركيا للعراق، وكان قدومه والوفد الوزاري والاقتصادي المرافق له موضع ترحيب جميع العراقيين. إننا ننظر إلى تركيا على أنها الجار الصديق للعراق وتربطنا بها مصالح اقتصادية وسياسية وثقافية ومصالح الجوار المعهودة والمعروفة، إننا نشمّن عالياً المواقف والتصريحات الكريمة للرئيس أردوغان قبل زيارته وعند زيارته للعراق في الانفتاح على كافة الأوساط، وردم جميع الحواجز النفسية بين المواطنين في عالمنا العربي والإسلامي والنظرة الموضوعية لما يجري في العراق وفي المنطقة. كما نشمّن عالياً زيارته للنجف الأشرف ولقاءه بالإمام المفدى السيد السيستاني (دام ظلّه الوارف) ذلك أنها رسالة مهمة قرئت بإمعان من قبل أبناء شعبنا العراقي الكريم.

جهود اللجنة العراقية الكويتية

كما نشيد بما قامت به اللجنة العراقية الكويتية من جهود كبيرة وحوار بناء على أسس منهجية وعلمية لحل الإشكاليات العالقة بين البلدين، بعيداً عن التدخلات الأجنبية ولغة الانغلاق والتشنج، ونتمنى تذليل جميع الصعاب، وأن نشهد العراق بلداً يعيش التطور في نفسه وفي علاقته مع دول المنطقة.

أيام عيد النوروز

كما إننا نعيش أيام عيد الربيع وعيد الشجرة أو عيد النوروز كما يسميه شركاؤنا في كردستان. ونتمنى للشعب الكردي السعادة في هذا العيد الكريم، وأن تكون جميع أيام أبناء شعبنا أعيادا، وأن تكون كلها ربيعا، تسود فيها المحبة والتسامح والانفتاح، ومد الجسور الطيبة، وهي فرصة مهمة لنستذكر أهمية الطبيعة والحفاظ على البيئة، غرس

شجرة أو نخلة في أي مكان إنما يمثل رمزاً من رموز الحياة وخطوة باتجاه الحفاظ على البيئة والانتصار للطبيعة، ونتمنى أن يتحول ذلك إلى ثقافة عامة لشعبنا العراقي الكريم.

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١١/٤/٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل إخوتي الأكارم الأخوات الفاضلات بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم في هذا المجلس الكريم ، مجلس أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة ، وذكرنا أن عهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك الأشرى يمثل اختزالاً لهذه النظرية ، وتحدثنا عن العديد من الدروس والإضاءات التي قدمها علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الوثيقة التاريخية وانتهينا إلى المقطع الثالث من مقاطع هذا العهد الذي يتحدث عن العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، بين المسؤول والمواطنين . واستعرضنا العديد من الدروس في هذا المقطع الشريف وانتهينا إلى هذه الكلمة من قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ :

«فإنك فوقهم وولي الأمر عليك فوقك ، والله فوق من ولاك»^(٣٩)

وذكرنا أن هذه العبارة الشريفة تشير إلى سلسلة المراتب في المنظومة الإدارية والقيادية . وذكرنا في الإضاءة الأولى سبب التعدد في مراتب السلسلة الإدارية ، وهل هي حالة سلطوية يراد إشباعها لدى الناس أو أن هناك غاية من سلسلة المراتب تتمثل بتنظيم

الإجراءات والعمل وتحقيق الأهداف؟ . وقلنا إن سلسلة المراتب في الرؤية الإسلامية إنما هي عملية تنظيمية يراد من خلالها تحشيد وتعبئة كل الطاقات والإمكانات لتحقيق الأهداف المرجوة لذلك المسؤول والقائد ، لأن المنظومة القيادية من وجهة نظر الإسلام لا تنحصر بالزعيم أو القائد أو الوزير ، وإنما تمتد لكل من يتحمل مسؤولية معينة في مساحة أو دائرة من الدوائر ، بدءاً من الأسرة ، فهي منظومة قيادية مصغرة ، وصولاً إلى الحلقات الأوسع ، فتتطبق هذه الاعتبارات على كل من يتصدى للمسؤولية ويتحملها .

توزيع الصلاحيات

الإضاءة الثانية : إن هذه العبارة تشير إلى أن سلسلة المراتب إنما تعبر عن عملية توزيع الصلاحيات والعمل الجماعي . فكان الإسلام في منظومته القيادية يعتقد بضرورة العمل الجماعي ، فيما يعد احتكار القرار والسلطة والموقع المتقدم من قبل الشخص الواحد والرجل الواحد بعيداً عن النظرية الإسلامية .

إن سلسلة المراتب تساعد على توزيع الصلاحيات وخلق العمل المشترك ، وهو الطريقة المثلى للإدارة الصحيحة من وجهة النظر الإسلامية ، فالإنسان الواحد مهما كان كفوءاً ومقتدراً ، ومهما كان يمتلك من قدرات ذهنية عالية لكنه لا يستطيع أن يلبي كل الاحتياجات ، ويغطي كل المساحات في الدائرة التي يتحمل المسؤولية تجاهها . فلا بد من الاستعانة بالآخرين لضمان النجاح .

إن الرأي الواحد مهما كان حصيفاً لكن صاحبه سيقع في الخطأ أحياناً ، كما إن الجهد الواحد مهما كان كبيراً ومؤثراً فإنه قد لا يغطي كل المساحات ، واليد الواحدة مهما كانت قوية فهي لا تستطيع إنجاز الأعمال على نحو كامل ، وكما يقال فإن اليد الواحدة لا تصفق ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى حينما يحتكر القرار والسلطة في أي مساحة من المساحات بيد الرجل الواحد فهذا لا يبعث الحماس ولا يشجع الآخرين ليبدلوا جهودهم في العمل ، فقد يرون أن جهودهم ستصادر وتكون الإشادة لمن يحتكر القرار بينما يغيبون هم عن الأنظار ، فإن كان خيراً فسيحسب للآخر وإن كان سيئاً فهم من سيتحملون المسؤولية .

العمل الجماعي

إن حالة الحماس والاندفاع والاستعداد للتضحية من أجل نجاح المشروع لا تتم إلا من خلال العمل الجماعي ، فسلطة المراتب ووجود صلاحيات توزع بين عدد من الناس في المنظومة الإدارية والقيادية سببعت الحماس ويشجع ويساعد على العمل الجماعي ، مما يؤدي إلى استنفار كل الطاقات في العمل الواحد ، وهذا ما يؤثر في العلاقة الإنسانية بين المسؤول ومن هو مسؤول عنهم . في الخطبة ٢١٦ من النهج يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وهي الخطبة التي خطبها في صفين أثناء المعركة :-

عظمة الحق ومسؤولياته

«وليس امرؤٌ وإن عظمت في الحق منزله ، وتقدّمت في الدين فضيلته بفوق أن يُعان على ما حمّله الله من حقه . ولا امرؤٌ وإن صغّرت النفوس ، واقتحمته العيون ، بدون أن يعين على ذلك أو يُعان عليه»^(٤٠).

(وإن عظمت في الحق منزله) ، والعظمة هنا ليست في القدرة على القتال والشجاعة واللياقة البدنية ، بل المنزلة العظيمة في الحق ، أي في حقانية المشروع وحقانية الشعار وحقانية المسار ، وفي حقانية الوسائل والأهداف ، وفي الخلفيات والدوافع ، لقد سأل علي الأكبر عَلَيْهِ السَّلَامُ في ليلة عاشوراء الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ : «أولسنا على الحق؟» فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : «بلى ، والذي إليه مرجع العباد» . فقال : «إذن ما نبالي أن نموت محقين»^(٤١) ، فهنا العظمة في الشجاعة وحقانية المشروع ، وهناك من تصفّق وتهتف له الناس لمؤهلات معينة ، ولكن نرى في كلمة الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ أن عظمة المنزلة والتقدم في الفضل إنما تكون في الاعتماد على المعايير والقيم والثوابت الدينية الحقة .

ومع هذا فالمرء مهما كان متقدما بفضله وملتزما بالأطر والسياقات والمبادئ والقيم ، وكان مثاليا في السير بالاتجاه الصحيح وكانت شعاراته ووسائله محقة فهو ليس «بفوق أن يُعان» ، فحتى لو امتلك المرء هذه الأمور فهو ليس فوق أن يعان ، وليس مستغنيا عن المساعدة حتى لو كان حقانيا ، وحتى لو كان الشخص ملتزما بالقيم وكان متقدما على غيره على أساس الفضيلة والالتزام فهو ليس مستغنيا عن أن يستعين بالآخرين ، وتلك

٤٠ . نهج البلاغة ، ج ٢ - ص ٢٠٠

٤١ . بحار الأنوار ، ج ٤٤ - ص ٣٧٩

الصفات المثلى كانت تنطبق على الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في ساحة المعركة، لهذا كان عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يريد أن يعطي درسا قيما في الوقت المناسب.

درس بليغ

ولعلّ هناك من يقول إنك يا عليّ ما دمت في المعركة والجميع يطيعونك، فلماذا تشرك الآخرين وتصبّب المهمة من خلال آرائهم، ولك أن توضح ما تريد قوله بعد انتهائها؟. لكن هذا درس آخر أرادَه الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ من خلال إعطاء المعلومة في وقت قد تضرر بالإنسان نفسه وبصلاحياته وقدراته. إن المسؤول يعرف أن هناك ضوابط معينة وثغرات ومدخل إذا ما اطلع عليها المواطن فيمكن أن يقف بوجهه ويعطل قراره، وقد يتردد في هذه الحالات بين أن يخبر المواطن بأن لديك هذه الحقوق أو يتعمد إخفاءها!.

لكن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن ينظر إلى هذا الجانب، ففي الوقت الذي كان يقف في ساحة المعركة ويحتاج إلى أن يكون لديه الأمر والنهي يقول للناس ليس المرء حتى لو كان عظيما في منزلته من الحق ومتقدما في الفضيلة والالتزام فوق أن يستعين بالآخرين، ويخلق روحية العمل الجماعي في كل الأدوار. «أن يعان على ما حمّله الله من حقه» فالإدارة والحكم حق الله، والمسؤول مؤتمن على كرسي السلطة وليس ملكا له، هذه الأمانة ائتمنها الله عليها فأصبح مسؤولا في أي مساحة أو دائرة، سواء في الأسرة تجاه الزوجة التي هي أمانة، أو تجاه الأطفال وتربيتهم، أو المسؤول في مصنع أو شيخ العشيرة أو في أي مكان آخر، فالمطلوب ألا يسيء إلى من هم تحت مسؤوليته، ويجب الاستعانة بهم واستخدامهم في العمل الجماعي.

الطاقات الكامنة

من جانب آخر نلاحظ عظمة عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وعظمة الإسلام في رؤيته وفكره، يقول الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ولا امرؤ وإن صغرته النفوس، واقتحمته العيون، بدون أن يعين على ذلك أو يُعان عليه». قد يستهان بالمرء الذي لا يملك بعض المؤهلات والخبرة، فكيف يمكن استشارته والأخذ بكلامه، فهو ليس من أصحاب الشهادات والتجارب، والجميع ينظر إليه باحتقار، كونه لا يمتلك رؤية أو فكرا، بينما يعلمنا الإمام عليّ أن مثل هؤلاء يمكن أن يكونوا ممن يستعان بهم، وقد نجد أحيانا إنسانا بسيطا محدود الثقافة، ولكنه حين يتحدث يصيب المغزى ويدرك الأمور بنظرة عميقة.

يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «عليكم بدين العجائز»^(٤٢) وقد استغرب الصحابة من ذلك . . فما هو دين العجائز؟ روي أن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قد مر على عجوز تدير مغزلها فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: بم عرفت ربك؟ فرفعت العجوز يدها عن مغزلها حتى سكن، أرادت بذلك أن دولابها على صغره لا يدور بنفسه من غير مدير، فكيف بدولاب الفلك العظيم، فتوجه الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ نحو أصحابه وقال لهم: «عليكم بدين العجائز»^(٤٣). وهذا مثال بسيط ولكنه يعبر عن دليل عقلي وفلسفي عميق للتوحيد على دور واجب الوجود في الكون، إن هذا المثال البسيط يوضح أن المهم هو المضمون وليس الشكليات، وهذا ما نراه في بعض من يحسن الاسترسال في الحديث، ولكن لا وجود لأي مضمون، في حين من الممكن أن نرى شابا بسيطا يطرح رؤية تمثل نقلة نوعية وقد تؤدي إلى تحولات كبرى.

في عالم اليوم نرى أن شعوبا بدأت تستخدم وسائل وتقنيات كالفييس بوك، وتستخدمه لإحداث ثورات عارمة. وقصة هذا الموقع (الفييس بوك) معروفة، إذ إن شابا بسيطا ذا سبعة عشر عاما، غضب من صديقه وجلس معتكفا في منزله وفكر في إنشاء موقع يتواصل عبره مع من يرغب في صداقته، وهي فكرة بسيطة لا تتم عن كثير من العبقريّة في علوم الحاسبات، لكن الموقع بدأ وانتشر كالنار في الهشيم، وتحول اليوم إلى أكبر موقع للتواصل الاجتماعي خلال أربع أو خمس سنوات نتيجة لفكرة طرأت في بال رجل فقير. والموقع كما يقال اليوم يساوي ستين مليار دولار، وهذه الفكرة التي قدحت في ذهن الشاب ربما لن يتوصل إليها مجموعة من كبار الخبراء والمختصين لو جلسوا ليفكروا كيف نجح العالم ونحرك الشعوب؟.

تحويل المسؤوليات

إن الإسلام يحث لأجل نجاح المنظومة على عدم الزهد بأية فكرة أو رأي، فإذا ما تحمل المسؤولية من ليس له كفاءة فمن الواجب إعاقته، كالطبيب البيطري الذي يصبح في منصب الوزير، فبدلاً من الشماتة به بسبب ضعفه والإساءة إليه، الأمر الذي قد يعطل مصالح شعب بأكمله، من الواجب الوقوف إلى جانبه ما دام هو في موقعه هذا، أما إذا كان المسؤول قويا

٤٢ . بحار الأنوار، ج٦٦ - ص ١٣٥

٤٣ . نور الأفهام، ص ٣٤٤

فعلية ألا يزهّد في سماع النصيحة من أبسط الناس ، فيجب أن تكون له إذن صاغية ليسمع ويرى ويستفيد ولا يصاب بالغرور .

إن هذه صفة مهمة جدا في نجاح المنظومة القيادية من وجهة نظر علي عليه السلام . إذن فالمنظومة الإدارية الناجحة تعني العمل الجماعي ، واستنفار الطاقات والإمكانات البشرية والمادية في خدمة الهدف . المنظومة الإدارية الصالحة والناجحة تعني توزيع وتحويل الصلاحيات من المسؤول الأعلى إلى من هو دونه في المراتب ، وليس كما لدينا اليوم من احتكار الوزير لكل المسؤوليات من دون أن يخوّل وكلاءه بعض الصلاحيات ، وعلى الوكيل أن يخول بعض صلاحياته للمدراء العامين ، وهكذا في سلسلة المراتب . فنجاح المدير في المنظومة الإدارية لا يأتي من جهوده الفردية بل من جهود الفريق الذي يقوده . ولذا نرى في الفهم الإسلامي أهمية توسيع الشراكة في القرار وفي الإدارة ، وهذه من الوسائل الأساسية في الفهم الإسلامي لنجاح العمل .

فحينما تخول الصلاحية يصبح للمسؤول الأدنى مساحات يتحرك من خلالها ، ولكن هذا التخويل لا يسلب المسؤول الأعلى صلاحياته ، بل سيكون ثمة من هو مسؤول مباشر ومسؤول آخر يشرف على العمل ، وهكذا ينظر الإسلام إلى قضية القيادة والإدارة . نرى أن الإمام عليا عليه السلام في وصيته أعطى وصاياه الخالدة قائلا : «الله الله في القرآن فلا يسبقنكم في العمل به غيركم»^(٤٤) ، أي لا يسبقكم الآخرون من الأمم الأخرى إلى العمل به ، فيتقدمون عليكم وتتأخرون .

المسؤول الأول في النظرية الإسلامية

قرأت قبل فترة في إحدى الصحف عن حادثة تصادم لقطارين في أحد البلدان ، فقدم وزير النقل على الفور استقالته ، لشعوره بأنه يتحمل المسؤولية عن أي أخطاء في المنظومة التي يشرف عليها ، فهو المسؤول الأول عنها حتى وإن خول الآخرين صلاحيات مختلفة ، وهذه هي النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة ، فالمسؤول الأول شريك في المسؤولية مع المسؤول الأدنى ، أما في بلدنا فإن كل المشاكل مهما كانت كبيرة تُرمى على عاتق المراتب ، كما نرى في حوادث التفجيرات ، حيث تجري معاقبة أفراد سيطرة معينة ، ورميهم في السجن ولا يجري الحديث عن مسؤولية الضابط الأعلى والمسؤول الأعلى ووزير الداخلية ، فيما يؤكد الإسلام على ضرورة أن يخول المسؤول الأعلى بعض الصلاحيات ، ولكن يبقى شريكا مع من دونه وعليه مهمة الإشراف ، كما لا

يحق للمسؤول الأدنى أن يتنصل من المسؤولية، كما لا يجوز أن يحتكر المسؤول الأول كل الصلاحيات، فهذه كلها خلاف الفهم والرؤية الإسلامية للمنظومة القيادية والإدارية.

الشراكة المسؤولة

لاحظوا في نهج البلاغة الرسالة الثامنة عشرة من رسائل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ التي كتبها إلى عبد الله بن عباس ابن عمه، وكان قد ولاءه محافظا على البصرة: «فحدث أهلها بالإحسان إليهم، واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم، وقد بلغني تنمرك لبني تميم وغلظتكم عليهم، وإن بني تميم لم يغب لهم نجم إلا طلع لهم آخر، وإنهم لم يسبقوا بوغم في جاهلية ولا إسلام. وإن لهم بنا رحما ماسة وقراة خاصة، نحن مأجورون على صلتها ومأزورون على قطيعتها. فاربع أبا العباس رحمك الله فيما جرى على لسانك ويدك من خير وشر، فإننا شريكان في ذلك، وكن عند صالح ظني بك، ولا يفيلن رأيي فيك»^(٤٥).

يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ «فحدث أهلها بالإحسان إليهم»، أي افتح أبواب الحديث والحوار الهادئ مع أهل البصرة، وأحسن إليهم بأن تسمعهم فهم يستحقون الإحسان. «واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم» فلا تجعلهم يرتجفون منك فتشعرهم الحكومة المحلية بالخوف والقلق، بل عليها أن تفتح الأبواب والصدور تجاه أهل البصرة، هكذا يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، «وقد بلغني تنمرك لبني تميم وغلظتكم عليهم»، وصلني يا عبد الله بن عباس خبر أنك متنمر ومتشدد على بني تميم، فأسمعتهم كلاما غليظا فتعامل معهم برفق ولين، «وإن بني تميم لم يغب لهم نجم إلا طلع لهم آخر»، فهؤلاء بنو تميم قبيلة الأصالة والشجاعة لا يغيب منهم نجم إلا وجاء نجم آخر أخذ مكانه، «وإنهم لم يسبقوا بوغم في جاهلية ولا إسلام»، أي لا أحد يتصدى لحربهم ويبيث الحقد والكره معهم لا في زمن الإسلام ولا الجاهلية لأنهم أبطال أشاوس، فلا أحد يسبقهم ويتقدمهم بقتال، «وإن لهم بنا رحما ماسة وقراة خاصة» هناك قراة بين بني تميم وبني هاشم، حيث تعود هذه القراة إلى الجد السادس عشر لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنسب بني تميم وبني هاشم يصل إلى إلياس بن مضر. «نحن مأجورون على صلتها» أي نؤجر على التواصل مع بني تميم، «ومأزورون على قطيعتها» ونتحمل الوزر حينما نقاطعهم، وهذه شهادة من علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لبني تميم.

ثم يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فأربع أبا العباس رحمك الله فيما جرى على لسانك ويدك من خير وشر فإننا شريكان في ذلك، وكن عند صالح ظني بك، ولا يفيلن رأيي فيك»، احذر يا أبا العباس من كل خير أو شر يجري على لسانك أو على يدك، لأننا شريكان في ذلك. فلا تقل أنا محافظ البصرة وأتحمل المسؤولية والأخطاء بمفردتي، بل أنا، علي بن أبي طالب، من وضعك في موقع هذه المسؤولية، وأنا شريك معك في تحملها.

تري ماذا يقول الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لو نظر إلى واقعنا اليوم؟، حيث ترمى مشاكل الحكومة الاتحادية على الحكومات المحلية، ويجري تحميلها مسؤولية الأزمات كالكهرباء والفساد المالي والإداري وغيرها، مع أن هذه المهام ليست من مهام مجالس المحافظات، وحتى لو كانت مهام مجالس المحافظات فيجب على الحكومة الاتحادية ألا تتصل من المهام التي هي شريكة فيها مع الحكومة المحلية، فما بالك إذا كانت من صلاحيات الحكومة الاتحادية؟!.

على كل حال، فهذا هو المنهج الذي يقدمه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، «فإننا شريكان في ذلك»، أي نحن معا نتحمل المسؤولية، فالمسؤول الأعلى والأدنى يتحملان المسؤولية بالقدر نفسه. «وكن عند صالح ظني بك، ولا يفيلن رأيي فيك» أي أنني أحسن الظن بك فلا تجعل قناعتي تضعف وتتلاشى، وهذا مع أنه ابن عمه، وفي ذلك درس للمسؤول حين يعمل في دائرته من هم من عشيرته وحزبه، فلا بد من أن يشدد عليهم بهذا الشكل الذي نراه في علي بن أبي طالب، حيث يقف ويعاتب أبا العباس. . نسأل الله أن نكون على نهج علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وللحديث صلة إن شاء الله.

التضامن مع الشعوب النائرة

ما زال المشهد السياسي العربي يشهد العديد من التحولات، ونجد العزيمة والثبات والإصرار من الشعوب الأصيلة، ومن الشباب المتحضر في الدفاع عن الكرامة المفقودة والإصلاحات السياسية الغائبة والحريات المسلوقة والواقع المعيشي المتردي لهذه الشعوب الكريمة، وفي الجانب الآخر نشهد الاستهانة بإرادة الشعوب والتشبث بالسلطة واحتكار المواقع والتضحية بالأرواح البريئة والثروات الهائلة لشعوبنا العربية المسلوقة، كل ذلك من بعض الأنظمة الديكتاتورية والطغاة الذين لا ينظرون إلا إلى مصالحهم ومواقعهم ولا يهتمهم ما يصيب هذه الشعوب من ويلات، ومن إراقة للدماء وتبديد للثروات والإمكانات.

وهم لا يعيرون أي اهتمام لكل هذه المجازر التي نطلع عليها من خلال وسائل الإعلام، ويتابعها الرأي العام العربي والعالمي والإسلامي. ونحن على ثقة بالله تعالى، بأن هذه الإرادة الشعبية العربية الإسلامية لشعوبنا، والاندفاع الشبابي المتزايد في تحقيق العزة والكرامة، ستؤتي ثمارها وأكلها عن قريب، إننا نجدد كما في كل مناسبة تضامننا ومواساتنا وتعاطفنا مع كل الشعوب العربية، وكلنا ألم لكل قطرة دم بريء تراق على هذه الأرض الطاهرة، ولكنها معركة شريفة، إنها معركة الكرامة العربية، إنها معركة الطهر والنقاء وستؤتي ثمارها عن قريب بإذن الله تعالى.

الشعب من أسقط النظام الصدامي

إننا نحتفل في هذه الأيام بذكرى سقوط الصنم عام ٢٠٠٣، وقد قدم الشعب العراقي الكثير من التضحيات وتحمل الآلام لأكثر من عقدين من الزمن، حتى تحقق الوعد الإلهي وسقط الصنم وتحولنا إلى العراق الجديد، عراق الحرية والعزة والكرامة. إن النظرية التي كان يحملها شهيد المحراب (قدس) في عملية تغيير النظام هي أن يقوم الشعب العراقي بإسقاط النظام الصدامي وليس القوات الأجنبية، وكان يرى أن دور المجتمع الدولي كان يتمثل بمنعه للنظام الصدامي من استخدام الأسلحة الثقيلة والفتاكة والقنابل الكيماوية والفسفورية والنابالم وغيرها، مما يؤدي إلى إبادة جماعية للشعب العراقي كما حصل في انتفاضة ١٩٩١، أي بنفس الدور الذي يقوم به المجتمع الدولي اليوم تجاه ليبيا، فالمجتمع الدولي لم يرسل قوات إلى ليبيا وإنما يمنع النظام الليبي من استخدام الأسلحة الفتاكة والطائرات والسمتات للفتك بالشعب الليبي.

شهيد المحراب كانت له هذه الرؤية في عملية التغيير وإسقاط النظام الصدامي، وليس عبر دخول قوات أجنبية. ولكن شاءت المقادير أن يتم إسقاط النظام عن طريق قوات أجنبية مما عقّد المشهد كثيرا، وفتح الباب على مصراعيه لتداخلات كان لها الأثر الكبير، ودفع ضريبتها الشعب العراقي في السنوات الماضية، واستمر نزيف الدم لعدة سنوات وأزهقت الأرواح البريئة نتيجة الخيار الخاطئ الذي اعتمد في إسقاط النظام، وكان الخطأ التاريخي الآخر هو في عدم تسليم السلطة للعراقيين مباشرة، وإنما ذهبت الأطراف الدولية إلى مجلس الأمن لإصدار قرار دولي باعتبار هذه القوات قوات احتلال، وتمت شرعنة الاحتلال في العراق بهذه القرارات الدولية، مما أدخل العراق في دهليز مظلم ودفننا ضريته الباهظة، ولم نخرج منه إلا بشق الأنفس.

ولكن علينا أيضا أن نستذكر حقيقة مهمة في عملية إسقاط النظام ، وهي أن الشعب العراقي هو صاحب الفضل الأول والأساسي في عملية التغيير ، ولولا تلك الدماء والتضحيات والمقابر الجماعية والأنفال وحبلة وغيرها كثير مما قدمه الشعب العراقي ، لما تم عزل النظام الصدامي محليا وإقليميا ودوليا ليصبح ورقة محروقة ، لا يمثل وجودها مصلحة للدول التي وقفت إلى جانبه وساندته على مدار عقود من الزمن ، والفضل يعود لعوائل الشهداء وللسجناء السياسيين والمضحين من أبناء شعبنا ، إن أبناء شعبنا هم بناء المشروع وحماته والمدافعون عن هذا الوطن الحبيب ، ونحن سنبقى جنودا أوفياء لهذا الشعب الكريم ، وسنمضي خطوة بخطوة مدافعين ومحافظين على كل المكتسبات ونبذل الجهود الكبيرة من أجل تحقيق التطلعات الصالحة والطموحات المشروعة لهذا الشعب الكريم .

شهادة الإمام الصدر وسقوط النظام

علينا في هذا اليوم أن نستذكر استشهاد الإمام محمد باقر الصدر ، هذا الرجل العظيم والفريد في فكره ونهجه ومدرسته العلمية المعطاء ، وفي أدائه ونصرته لهذا الشعب الكريم . وليس اعتباطا أن يقترن إسقاط النظام الصدامي بذكرى استشهاد الشهيد الصدر الذي رفع راية الانتصار للعراق وللشعب العراقي ، والانتصار للإسلام والقيم السمحاء لهذا الدين الحنيف ، وجاءت التقديرات الإلهية أن يسقط هذا النظام وينتصر مشروع الشهيد الصدر في اليوم الذي استشهد فيه ، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾^(٤٦) ، إن الشهيد الصدر حي بيننا من خلال مشروعه وفكره ، ومن خلال هذا الشعب الذي يواصل تلك الأفكار والمتبنيات والقيم التي ضحى واستشهد من أجلها الشهيد الصدر ، فسلام عليه يوم ولد ويوم قَدَّم الكثير لهذا الشعب الكريم ، ويوم استشهد مظلوما انتصارا لقضية شعبنا العراقي .

مآزق الوزارات الأمنية

ما زال الوضع السياسي في العراق يشهد تطورات البطيئة ، فبعد مرور عام من الانتخابات النيابية لم تستكمل التشكيلة الوزارية حتى هذه اللحظة ، في أهم مفصل من مفصلات الحكومة متمثلا بالوزارات الأمنية . وكان الأجدر أن تتم المصادقة على الوزراء

٤٦ . سورة آل عمران : الآية ١٦٩

الأمنيين أولاً، ثم الذهاب إلى الحقائق الوزارية الأخرى نظراً لأهمية الملف الأمني وتأثيراته المباشرة في الأمن والاستقرار في العراق والحفاظ على أرواح المواطنين الأبرياء، لا سيما مع التباين على أن يكون المرشحون للمواقع الأمنية شخصيات مستقلة كفوءة، ولا ترتبط بهذا الحزب أو ذاك أو هذه الجهة السياسية أو تلك مما يسهل عملية الانتخاب لشخصيات تكنوقراط كفوءة خيرة وقادرة على النهوض بهذه المهمة الحساسة والخطيرة وتحظى بالمقبولية والاحترام من الكتل السياسية والأطراف الوطنية.

إن من مصلحة العراق والعملية السياسية القائمة في البلد أن تبقى الأجهزة الأمنية والعسكرية محايدة ومستقلة وبمعزل عن الصراع السياسي الدائر بين الأطراف السياسية، وتركز على توفير البيئة الآمنة والمستقرة من دون أن تتدخل هذه الأجهزة بالانحياز لهذا الطرف أو ذاك، وحرّي بالجميع عدم توزيع شخصيات ميسّسة ومنحازة لهذا الطرف أو ذاك، مما يؤدي لأن نجرب تمكين وتوزيع المستقلين من أصحاب الخبرة والاختصاص لنرى كيفية نجاح هذا العمل، فإن كنّا عاجزين عن اختيار مستقلين للوزارات الأخرى فلنجرّب ذلك للوزارات الأمنية.

جريمة حرق المصحف الشريف

إن حرق المصحف الشريف على يد آئمة لقس أمريكي مثل صدمة كبيرة لكل الشرفاء في العالم وللمسلمين على وجه الخصوص، لماذا هذا الانتهاك الصارخ للحريات الدينية؟ ولماذا هذه الظلامية والانغلاق من خلال مواقف مشينة كحرق المصحف المقدس والشريف؟ وأية حرية هذه في الولايات المتحدة الأمريكية التي تسمح لشخص واحد بأن ينتهك الحريات الدينية لما يربو على مليار مسلم في العالم بهذه الطريقة الهمجية؟! .

حينما يتصدى متشدد من المسلمين ويسيء يسارع الإعلام الغربي ويتحدث عن التشدد الإسلامي، ولكن حينما ينبري قس ليسيء إلى المسلمين بهذه الطريقة يتعامل هذا الإعلام مع القضية بطريقة مختلفة. إن الإسلام والمسيحية بريئان من التشدد والانغلاق والإساءة إلى الآخرين، وإن المسلمين والمسيحيين يجتمعون على نبد التشدد والتطرف والإساءة للآخرين، ونحن لانحمل شركاءنا في الإنسانية وشركاءنا في الإيمان بالرسالات السماوية من المسيحيين وغيرهم مثل هذه السلوكيات المشينة والأعمال الآئمة، ولكن نسترعى انتباه كل الشرفاء في العالم للدفاع عن الإسلام الذي يظلم بغير وجه حق حينما يعتبر التشدد ظاهرة إسلامية وحينما يعتبر الإرهاب ظاهرة مستقاة من الفكر الإسلامي والإسلام بريء من ظواهر التشدد والانغلاق والظلامية، ونطالب الإدارة الأمريكية باتخاذ

الإجراءات اللازمة لرد الاعتبار للمسلمين بعد هذه الإساءة النكراء ، وتطوير التشريعات بالشكل الذي يضمن إشاعة السلام والمحبة بين الديانات ويمنع من مثل هذه الاعتداءات الآثمة ضد المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات .

التهجير القسري للکرد الفيلية

في السابع من نيسان نستذكر حدثاً مهماً يتمثل بالذكرى السنوية الحادية والثلاثين للتهجير القسري للکرد الفيلية . هذه الشريحة المنكوبة التي تتسم بالوطنية والأصالة العراقية وتمتد جذورها في هذا الوطن الكريم إلى أكثر من ٤٠٠ عام ، والکرد الفيلية حكموا العراق في سنة ١٥٢٣ واستمر حكمهم ست سنوات في هذه الأرض الطاهرة ، إن النظام الصدامي استهدفهم لاعتبارات طائفية وقومية ، فهم ظلموا مرتين ، ظلموا لانتمائهم المذهبي وظلموا لانتمائهم القومي في وقت واحد ووسمهم بالتبعية لدول أجنبية وأسقط عنهم الجنسية العراقية ، بحسب قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ٦٦٦ وشمل ستمائة ألف مواطن عراقي . وكذلك صودرت ممتلكاتهم المنقولة وغير المنقولة واختطف أكثر من سبعة عشر ألف شاب من شباب الكرد الفيلية سنة ١٩٨٠ ، سوى تهجير خمسين ألف شخص من هذه الشريحة ، ما جعلهم يستحقون بحق قرار المحكمة الجنائية باعتبار قضيتهم قضية إبادة جماعية وتطهير عرقي .

إننا نعبر عن التضامن الكبير مع هذه الشريحة المنكوبة ونطالب بسن كل التشريعات التي ترفع الحيف عنهم ، وتعويض ذوي الشهداء ، أولئك الذين لم يتعرفوا على مكان قبور آبائهم حتى هذه اللحظة ، وإعادة الاعتبار المعنوي لهم ومنحهم دورهم اللائق والمناسب في القرار السياسي والإداري في البلد ، وبكل أسف وألم ، فإن هذه الشريحة لم تُمَثَل في وزارة واحدة من أصل ٤٧ وزارة .

يوم الصحة العالمي

في السابع من نيسان نحتفل أيضاً بيوم الصحة العالمي ، وهي فرصة نستذكر فيها الدور الكبير الذي يبذله القطاع الصحي في بلادنا ولا سيما في السنوات العجاف والإرهاب الدامي وسقوط الشهداء والجرحى في كل يوم . وكان للأطباء والممرضين والكادر الصحي الدور الكبير في معالجة هذه المشاكل والأزمات ، إننا بحاجة إلى رعاية الأطباء والممرضين والكادر الإداري في القطاع الصحي عبر التشريعات المناسبة ، وتوفير المنشآت والمستشفيات والمراكز الصحية اللائقة والأجهزة المتطورة وأدوات العلاج

والدواء المناسب لنجاح العملية التطبيقية في العراق ، فيما يذهب الكثير من المواطنين إلى خارج العراق من أجل العلاج ، والعراق يمتلك العقول والطاقات الكبيرة .

كما إن تقديم الخدمة المناسبة للكادر الطبي من خلال تحسين الرواتب وتوزيع الأراضي ، يمثل فرصة مهمة لتحقيق الحماس والاندفاع لهذه لشريحة لخدمة المواطنين ، وتشجيع العقول العراقية والأطباء الذين يرغبون بالعودة إلى العراق ، وهم منتشرون في دول مختلفة ، إذا توفرت لهم فرص الحياة الكريمة .

إن حماية الطبيب من خلال قوانين واضحة تمنع تعرضه للضغوط من قبل بعض الشرائح الاجتماعية حينما لا ينجح في إنقاذ حياة المريض في حالة معينة ، تمثل أولوية أساسية في هذه المرحلة ، كما إن العدالة في الخدمة الطبية حق للمواطنين ، سواء كان المواطن يعيش في مركز المدينة أو الأفضية والنواحي أو في القرى والأرياف ، ويجب أن يتمتع بفرص عادلة ومناسبة للعلاج . إن كرامة الطبيب تتطلب التعامل اللائق والمناسب معه ، فالمهام التفتيشية لهذا القطاع المهم يجب أن تأخذ منحى الرقابة للتصحيح والتقييم ، وليس السلوكيات السلطوية التي يراد منها العقوبة أو التشفّي بالطبيب .

يوم العلم وتنمية القطاع التعليمي

إن الجامعات العراقية تحتفل اليوم بيوم العلم ، وهي فرصة مهمة ويوم عظيم نستذكر فيه دور العلم والعلماء ودور الجامعات العراقية التي ازدهرت منذ الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي ، وكانت شهادة الجامعات العراقية معترفاً بها في الأروقة العلمية الإقليمية والدولية . ولكن طبيعة الظروف التي مرت إلى تراجع كبير ، ونحن اليوم معنيون باستثمار حقيقي ووضع رأسمال كبير في تطوير وتنمية القطاع التعليمي في البلاد ، ونحن بحاجة إلى تطوير المناهج وبناء المنشآت المناسبة وتطوير المختبرات والمكتبات وتطوير القدرة العلمية للأساتذة ، من خلال الاطلاع على التطور العلمي الكبير في العالم ، كما نحتاج إلى معايير عادلة تأخذ بالجامعات والمستوى العلمي والتعليمي إلى الموقع المرموق واللائق بحضارة العراق وتاريخه .

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١١/٤/١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين
حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين
وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل إخوتي الأكارم أخواتي الفاضلات ، بدايةً أرحب بكم أجمل ترحيب
في مجلسكم هذا ، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين .

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

كان حديثنا في الأسابيع الماضية عن النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة . وقلنا إن
عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشرم يمثل اختزالاً لهذه النظرية ، وقلنا إن المنظومة القيادية
من وجهة نظر الإسلام لا تختص بالمواقع المتقدمة ، كالزعيم والرئيس وإنما تمتد لتشمل
كل المنظومات ، مهما تضيق دائرتها ، وقد تبدأ من الأسرة وصولاً إلى الحلقات الأوسع
في المجتمع ، إذن الصفات التي يجري الحديث عنها عمن يتحمل المسؤولية ، في أي موقع
من مواقع المسؤولية ، وقد وصلنا إلى المقطع الثالث من مقاطع هذا العهد الشريف ، الذي
يحدد علاقة الحاكم بالمحكوم وعلاقة المسؤول مع المسؤول عنه ، وتحدثنا في ذلك
لأسابيع عدة .

وقد انتهينا من الكلام حول سلسلة المراتب في المنظومة القيادية ونظرة الإسلام ورؤيته
عن خلفية هذا التعدد في المراتب ، حيث قلنا إن هذه المنظومة القيادية في رؤية الإسلام لها
سلسلة من المراتب ، ولكن لا ينشأ هذا التعدد من محاولات بسط السلطة والنفوذ والتأثير

والهيمنة على الآخرين ، بقدر ما يُنظر إليها على أنها عملية تنظيمية يراد من خلالها تعبئة كل الطاقات وتحشيدها في الاتجاه والهدف المطلوب ، وتحشيد كل العاملين بكل المراتب ، والغرض من ذلك هو تحقيق الهدف المطلوب من هذه المنظومة .

أمانة المسؤولية

وهنا نصل إلى هذه العبارة عن علي عَليهِ السَّلَامُ في مقطعه الثالث وهي قوله : «وقد استكفأك أمرهم وابتلاك بهم»^(٤٧) ، يا مالك ، إن الله سبحانه وتعالى استكفأك أمر الناس ، أي طلب منك الكفاية وحسن أداء المسؤولية ، فهي أمانة الله بين يديك ، وعليك أن تفي بها ، فأنت مسؤول أمام الله قبل أن تكون مسؤولاً أمام الناس الذين تتحمل المسؤولية تجاههم .

وهذه في جانب منها ترتبط بالثقافة التي تجعل المسؤول ناظراً إلى الله سبحانه ، ويدرك أن الله هو الذي يراقب ويرصد كل كبيرة وصغيرة وكل شاردة وواردة ، فإن كان المسؤول قادراً على أن يخفي المعلومة عن الآخرين فهو غير قادر على أن يخفيها عن الله تعالى ، وهذا الإدراك يعطي الحصانة التي تمنع المسؤول من أن يقع في الخطأ ، حتى إذا استطاع ذلك من دون أن يترك بصمات معينة ، ولكنها في جانب آخر أيضاً تشير وتؤكد على أهمية حسن الأداء والكفاءة ، يقول علي عَليهِ السَّلَامُ : «وابتلاك بهم . . .» ، فحينما تكون مسؤولاً وفي موقع المسؤولية فلا تظن أنها تشرىف وامتيازات ، أو مجرد فرصة لتطوير وتوسيع نفوذك وإمكاناتك ، إنما هي ابتلاء واختبار من الله سبحانه وتعالى . فالله يختبرك حينما يضعك في هذا الموقع ليرى كيف ستتعامل وتلبي طموحات المواطنين . . وكيف ستلتزم بالمعايير المطلوبة لإنجاح هذه المهمة القيادية . وهنا يمكن الإشارة إلى مجموعة من الإضاءات في فهم هذه العبارة القصيرة .

مسؤولية أمام الله

الإضاءة الأولى / إن التصدي لمواقع الخدمة العامة إنما هو مسؤولية والتزام لا مجال للتساهل فيه ، ولا مجال للارتجال والمزاجية ، فحينما يكون الإنسان في موقع الخدمة العامة ومواقع التصدي فهي مسؤولية أمام الله سبحانه ، وأمام العباد من المواطنين .
لاحظوا ماذا يقول علي عَليهِ السَّلَامُ في عهده لمحمد بن أبي بكر : «فاخفض لهم

جناحك ، وألن لهم جانبك وابتسط لهم وجهك ، وآس بينهم في اللحظة والنظرة حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ، ولا ييأس الضعفاء من عدلك بهم ، فإن الله تعالى يُسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة والظاهرة والمستورة ، فإن يعذب فأنتم أظلم ، وإن يعف فهو أكرم»^(٤٨) .

أي تواضع للناس في تعاملك ، وكن لئِن العريكة سهلا معهم ، فلا بد للمسؤول من أن يتعامل بهذه الطريقة ، سواء مع المواطنين أو الموظفين الذين تحت مسؤوليته ، وذلك ببشاشة الوجه واليسر في المعاملة ، وأن تكون ثمة مساواة أي مساواة في نظراته التي تتفحص الوجوه ، فلا يظهر اهتماما بالبعض وتجاهلا للبعض الآخر ، ذلك حتى يشعر الجميع بالاطمئنان ، إن كان فقيرا أو غنيا ، إن كان وجيها أو مواطنا بسيطا ، ألا يفرق المسؤول بين الناس على خلفياتهم المذهبية أو القومية أو السياسية أو العرقية أو المستوى الاجتماعي أو الطبقي الاجتماعي ، أو ما إلى ذلك . فهو مسؤول عن الجميع ويجب أن يكون في تعامله عادلا مع الجميع على حد سواء .

لماذا هذه المساواة؟ ، «حتى لا يطمع العظماء في حيفك» . . أي ألا يكون لأصحاب الوجاهة والنفوذ وأصحاب المال طمع في إمكانية ظلمك للناس لحسابهم ، فيجب على المسؤول أن يساوي بين الجميع وحين ذاك لا يطمع أن يوظف أحد نفوذه لانهياز الحاكم على حساب المواطن البسيط ، «ولا ييأس الضعفاء من عدلك بهم» ، فمهما كان المواطن فقيرا لا يمتلك إمكانات مؤثرة فإن تعامل الحاكم ومساواته لا يدفعه إلى اليأس ، ويبقى لديه الأمل في أن باستطاعته أخذ حقوقه ممن ظلمه حينما يراجع المسؤول ، «فإن الله تعالى يسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالهم والكبيرة ، والظاهرة والمستورة» .

أيها المسؤول أينما كنت ، فكّر بمساءلة السماء قبل أن تفكر بمساءلة الأرض ، وهذه الرؤية لها خلفيات عميقة جدا تجعل الإنسان يراقب إيقاعات سلوكه ويدقق في كل خطوة من خطواته ، وفي كل كلمة وإشارة يمكن أن تكون مثار المساءلة من الله تعالى ولا فرق في حجم العمل ، فلا يغير من طبيعة المساءلة إن كان الخطأ جسيما وعظيما ، أو كان الخطأ بسيطا ، وسواء كانت هذه الأعمال ظاهرة أو مستورة ، فإن الله سائلكم عن كل خطأ ظاهر وعن كل خطأ مستور ، أحيانا يخطئ المسؤول ولكن لا يهتم لهذا الخطأ طالما لم يره أحد ، أو أن ثمة تفاهات مع مسؤولين آخرين غير مكتوبة على الورق ، إن مثل

هذا لا يختلف عند الله تعالى ، فالسرقة سواء علم الناس بها أو لم يعلموا تبقى عملا يعرفه الله سبحانه ويحاسب عليه . فالله لا يخفى عليه شيء ، إن الشعور بمراقبة السماء يجعل الإنسان يراقب نفسه أينما كان وحيثما كان ، ومهما استطاع أن يغطي الثغرات .

أهمية الاختصاص

الإضاءة الثانية/ إن هذه العبارة تربط بين التصدي وحسن الأداء ، فإذا أراد الإنسان أن يكون مسؤولا فيجب عليه أن يكون متأكدا من قدرته على أداء الواجب ، والقيام بالمهمة المناطة به . فعبارة الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ تقول : «وقد استكفأك أمرهم» أي أن الله طلب منك الكفاية في تسيير شؤونهم ، وهذا يعني ضرورة حسن الأداء فلا تحمل المسؤولية من دون القدرة على تقديم الأداء الجيد في تلك المهمة ، فمن ليس لديه اختصاص يجدر به عدم التصدي لمسؤولية تتطلب منه الاختصاص . فليس للمهندس أن يتصدى لمهام الطبيب وليس للطبيب أن يتصدى لمهام التجارة ، وهكذا ، فمن الضروري أن يتصدى الإنسان لمهمة بإمكانه أن يحقق النجاح فيها ويصلح أمر الناس من خلالها .

إذن ، فالإسلام يؤكد أن من لا يجد في نفسه الكفاءة في مهمة معينة لا يحق له أن يتصدى لها ، ومن لا يجد في نفسه الاختصاص في مهمة معينة حتى لو عرضت عليه لا يحق له قبولها . فيما نرى اليوم بعض من يتصدون لمواقع المسؤولية يحتجون بكونها واجبا شرعيا مع أنه لا يمتلك المؤهلات اللازمة لها ، فمن قال لك أيها المسؤول إن الواجب الشرعي أن تتصدى لمهمة خارجة عن اختصاصك ولا تستطيع أن تقدم فيها الأداء المطلوب؟! . ليس صحيحا أن نلوذ ونتمترس خلف الواجبات الشرعية والوطنية في خطوات تقاطع مع هذا الواجب ، إن كنت وطنيا حقا ولكنك غير كفء فإنك ستسيء لنفسك والموقع والناس ، وإن كنت ملتزما بالأحكام الشرعية فالإسلام لا يعطيك الحق في التصدي لمهمة أنت غير مختص فيها ، روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «إن الرئاسة لا تصلح إلا لأهلها»^(٤٩) . فإذا كانت لديك الأهلية والكفاءة ، وتحليت بالقدرة على حسن الأداء فلك أن تتصدى للرئاسة والمسؤولية في أي موقع ، أما إذا لم تكن لديك فيجب ألا تتصدى حتى لو اقترح عليك ذلك الآخرون ، وهكذا تكبر في أعين الناس ولك الأجر العظيم عند الله ، فتصدي غير الكفوء يعني العبثية وتضييع الجهود والابتعاد عن الأهداف المرجوة في أي مساحة من المساحات .

٤٩ . الاختصاص ، ص ٢٥١ وبحار الأنوار ج ٢ - ص ٣٨

معايير التصدي للحكم

لاحظوا ما يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في الخطبة ١٣١ من نهج البلاغة: «وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة»^(٥٠).

انظروا إلى المعايير التي يضعها علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وما هي الأحكام والمقررات، فلا يمكن أن تسلم مسؤولية قيادة الأمة إلى حاكم فيه هذه المواصفات، فلا نستطيع أن نؤمّر شخصا سمته البخل، فالبخيل لا يستطيع أن تعطيه أعراض الناس وتستأنه على أرواحهم، ذلك أن عينه على أموالهم، فهو لن يفكر في التخفيف عن الناس وتقديم الخدمة لهم، وسيتعامل معهم وفق ضوابط ومقررات وإجراءات هي جزء من ثقافة المسؤول في التعامل مع المواطن، والقائمة دائما على مبدأ أن المواطن متهم حتى تثبت براءته والمسؤول بريء حتى تثبت إدانته.

ولا يسلم أمر الأمة أيضا إلى الجاهل، فهو سيؤدي إلى المهمة المناطة به ويضل الناس في ما هو مكلف به، ولا تعطي المسؤولية أيضا إلى الجافي أي الظالم، فسيقاطعهم بجفائه ولا يمد الجسور معهم، فالظالم لا يستطيع أن يكون مسؤولا وحاكما؛ لأن العدل أساس مهم. «ولا الحائف» من الحيف وهو الجور، فالحائف للدول، والدول هو المال الذي يتداوله الناس، لا يستطيع أن يكون أمينا على الثروة فيتخذ قوما دون قوم، فيوظف معارفه وأصدقاءه وأعضاء حزبه، ويخصص لهم الأموال والإمكانات وقطع الأراضي وما شابه. أما المواطن فسيتعامل معه على أساس ثقافة المكرمة، وتصبح حقوقه مكرمة من السيد الوزير ومن السيد الرئيس، مع أن هذا الوزير ما هو إلا موظف بدرجة عالية، موظف أوّتمن على الأمانة، أما صاحب المال فهو الشعب وليس المسؤول الموظف والمؤتمن على حفظه وإدارته.

«ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع»، ذلك أن المرتشي يتعد عن الحدود والضوابط والموازن ويتجاوز تلك الضوابط والإجراءات الصحيحة. يحاول المرتشي أن يكيف كل الإجراءات مع مصالحه ولا يعرض مصالحه

على الضوابط، فتراه يبحث عن الثغرات والمخارج المتاحة التي يتمكن من خلالها أن يأخذ ما ليس له. «ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة»، فحينما لا تكون للمسؤول منظومة أخلاقية ودينية وقيم وطنية فهو لا يملك أمور الأمة، إن وجود قيم أخلاقية وقيم وطنية وقيم دينية يجعل الإنسان مؤتمنا على الأمانة التي يؤتمن عليها في المسؤولية التي هو فيها. إن كل مسؤول يؤتمن على المساحة المسؤول عنها، من الموظف البسيط الذي يؤتمن على مساحة محددة من الصلاحيات، والمسؤول الأكبر يؤتمن على مساحة أكبر، كما هو الحال أيضا مع رب الأسرة.

نرى في وضعنا اليوم حجم الرشوة في الدوائر الحكومية، ولكن أحيانا تكون الرشوة حتى في البيوت وإن بطريقة أخرى لا تتعلق بالمال، فالمرأة المسكينة تضطر أحيانا إلى أن تقوم بأشياء كثيرة حتى ترضي الزوج وتقطع الطريق على الإساءة إليها، أي أنها ترشيه بطريقة أو أخرى، وعلى أية حال فالإنسان الذي لا يملك قيما، فردا كان أو مجتمعا، فسيضيع ويضيع الآخرين معه، وهذا واحد من المشاهد التي نركز عليها الحديث حول مسائل الديمقراطية والحرية، فأين القيم؟ وأين الحديث عن المنظومة القيمية بين العراقيين على اختلاف توجهاتهم؟ إذا كنا لا نعرف منظومة قيمة فستبقى الكثير من المشاكل والإرهاصات قائمة، وللحديث صلة في اللقاءات القادمة، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد.

إرادة الشعوب العربية

ما تزال المنطقة العربية تعيش حالة الاستنفار جراء الصراع المحتدم بين إرادة الشعوب من ناحية، وبين بعض الأنظمة المتشعبة بالموافق والسلطة والمصرة على البقاء في مواقعها، مهما كلف ذلك من ثمن في إزهاق الأرواح وإراقة الدماء وتبديد الثروات وتمكين القوات الأجنبية من هذه الأرض أو تلك من الأراضي العربية من ناحية أخرى. فلا يزال بعض الحكام يصرون على تغليب مصالحهم الخاصة على مصالح الشعوب ويقدمون رغباتهم على الطموحات المشروعة والمطالب العادلة لشعوبنا العربية الكريمة.

ولكن الإرادة الشعبية الحديدية التي لا تتراجع ولا تلين لشعوبنا العربية ستكون قادرة على أن تقف بوجه هؤلاء، وأن تستعيد الكرامة الضائعة والحرية والإصلاحات السياسية المطلوبة والظروف المعيشية التي يجب أن تشهد تحسنا وتطورا في وطننا العربي. إن الشعوب العربية مهما واجهت من التحديات الشديدة والكبيرة ومهما كان التشبث بالسلطة من الحكام، ومهما استخدمت في مواجهتهم الأجهزة الحديدية من الجيوش والدبابات

والطائرات وكل الوسائل التي يستخدمها الطغاة والظالمون في البطش والفتك بالناس ، إلا أن إرادة الشعوب ستقهر كل أولئك وستقف بوجههم وستحقق فرص الحرية والإعمار والازدهار والديمقراطية والكرامة لهذه البلدان والشعوب الكريمة . إن استخدام الجيوش والقوة والدبابات والأجهزة القمعية في مواجهة الشعوب ليست هي الأداة المناسبة التي يمكن من خلالها السيطرة على هذا الموقف ، وإنما ستساعد هذه الشعوب على مزيد من الاستنفار والتلاحم والإصرار والثبات على تحقيق طموحاتهم وإرادتهم .

مواسة الضحايا الأبرياء

إن مثل هذه الوسائل ستسهم في استفزاز الشعوب أكثر فأكثر ، ولا مجال للإل للوقوف أمام مطالب الشعوب والقيام بالإصلاحات الضرورية المطلوبة . إننا نعبر عن مواساتنا لكل قطرة دم بريء تراق على أي أرض من البلاد العربية ، وفي كل مكان ، ونعبر عن تضامننا ومواساتنا لهذه الشعوب الكريمة في الدفاع عن حقوقها ومطالبها وتمنياتنا لهم بتحقيق هذه الطموحات المشروعة ، من خلال علاقة رصينة لهذه الشعوب مع أنظمة مؤمنة بالحرية والكرامة والديمقراطية لتحقيق هذه الإصلاحات ، وتوفير الفرص للمواطنين في انطلاقتهم والتنعم بنعم الحرية والتعددية والديمقراطية ، ولا مجال لبعض الأنظمة إلا الانصياع لإرادة الشعوب والقيام بالإصلاحات الضرورية والمطلوبة ليخلصوا أنفسهم وشعوبهم وبلدانهم من مضاعفات ومن مزيد من إراقة الدماء ، فهي لا تصب في مصلحة أحد .

المسؤول وهموم المواطنين

إن المسؤولين في العراق أيضا معنيون بهذه القاعدة وعليهم المزيد من التواصل مع أبناء شعبنا . وعلى المسؤول العراقي أن يحظى بثقافة الإصغاء والاستماع إلى الناس والتعرف على مطالبهم والإسراع بتلبية هذه المطالب والاحتياجات في أسرع وقت ممكن ، فالمواطن حينما يلمس الجدية من المسؤول في الاستماع لهومومه وتلبية مطالبه يجعله ذلك متفهما للظروف والمعاناة ، ويترقب ويتنظر المدد الزمنية المطلوبة لإنجاز المشاريع التي تقوم بها الحكومة والسادة المسؤولون .

إن إظهار الجدية من المسؤول شرط أساسي في تلاحم الموقف ، وشرط أساسي للمواطنين في ضرورة الصبر والانتظار لحين استكمال مشاريع الخدمة التي ترفع عن كاهلهم الأعباء الخدمية الكبيرة . وهذا ما يتطلب مصارحة ومكاشفة ومزيديا من التواصل

بين المسؤول وعموم المواطنين ، إن أخطر الحالات حينما يفقد الشعب ثقته بالمسؤول ، ويصبح في ظرف يشكك بصدقية الوعود التي تقدم له والمدد الزمنية التي تعرض على المواطنين ، فيبدأ الشرخ وتبدأ الفجوة بين المسؤول والمواطن مما سيترك آثارا خطيرة وسلبية في استقرار البلد ، وفي التلاحم الوطني المطلوب لإنجاح نظامنا السياسي الجديد .

العبء السياسي للوزارات الأمنية

إن تلكؤ حسم الوزارات الأمنية بعد مرور أكثر من عام على الانتخابات النيابية في ظل التطورات الأمنية الخطيرة التي يشهدها العراق والمنطقة ، يمثل عبئاً أساسياً علينا تجاوزه بأسرع وقت ممكن ، وهو ما يتطلب معالجات سريعة . وتتمنى أن يكون اقتراح التحالف الوطني في حسم هذا الموضوع في غضون عشرة أيام قادرا على أن يضع حدا لهذه العملية التي طالت وتأخرت لفترة طويلة .

حدود الصراع السياسي

يجري الحديث في وسائل الإعلام عن حراك سياسي بين قوى سياسية تسعى الى أن تنتظم في حكومة ظل تضغط وتشجع الحكومة للمضي في مساراتها الصحيحة ، إننا نؤكد على أهمية الحفاظ على حكومة الشراكة الوطنية التي ولدت بعد مخاض عسير لتمثل كل أطراف الشعب العراقي ومكوناته الكريمة ، كما نؤكد أهمية الوقوف موقف الدعم والإسناد لكل خطوة إيجابية من خطوات الحكومة في تقديم الخدمة للمواطنين ، وفي تقليل الأعباء عن كاهلهم ومعاناتهم اليومية في حياتهم ومعيشتهم ، إننا مع تشجيع الحكومة على أن تلتزم بشكل كامل بالبرنامج الذي قدمه دولة رئيس مجلس الوزراء إلى الشعب العراقي عند تأسيس وتشكيل هذه الحكومة ، والاتفاقات السياسية المبرمة بين القوى السياسية ، مما سيمثل إطاراً يعيد الثقة واللحمة بين الأطراف السياسية ، ويوحد كل الجهود لخدمة المواطنين وحل مشاكلهم .

إن التنافس السياسي هو حق كفله الدستور العراقي وهو من أوضح مقتضيات النظام الديمقراطي الذي أسسنه في بلادنا ، ولكن حجم المعاناة اليومية التي يمر بها المواطن العراقي في الظروف الصعبة التي نعيشها في مثل هذه الأيام يتطلب مزيدا من الاهتمام والتركيز على تقديم الخدمة للمواطنين ، ليشعر الناس أن الحكومة والوزراء والمسؤولين في خدمتهم ، ويعملون ليل نهار ليقدموا الخدمة لهم ويختلفوا على مستوى الخدمة ،

وليس على مصالح خاصة بين هذه الأطراف لا يعرفها المواطن ولا يعرف تأثيراتها في حياته اليومية .

إن خدمة المواطن هي الطريق الوحيد للوصول إلى رضا الله سبحانه وتعالى ورضا الناس عن السادة المسؤولين وتجديد الثقة بهم . إنني وبتواضع شديد أدعو جميع الكتل السياسية الكريمة إلى بذل المزيد من الحرص على التلاحم والوحدة والتماسك ، ضمن الكتلة الواحدة وبين الكتل السياسية ، لأن عملية التشطي لن تخدم العملية السياسية ولن تساعد على الخدمة المرجوة للمواطنين ، إننا بحاجة إلى عملية سياسية قوية مترابطة فاعلة راشدة ، ويتحول فيها السادة المسؤولون على اختلاف توجهاتهم إلى فريق عمل واحد حتى يحققوا ما يطمح إليه المواطن من الرفاه والعيش الكريم .

خطورة إلغاء المحكمة الجنائية

يجري الحديث في هذه الأيام عن إلغاء المحكمة الجنائية العليا ، وإحالة قضاتها إلى التقاعد . وهنا يطرح أبناء شعبنا العراقي العديد من الأسئلة الحيوية والمهمة في هذا الموضوع ، من الذي سيستمر بمتابعة جرائم الإبادة الجماعية ، تلك الجرائم الكبرى التي اقترفها النظام البائد بعد إلغاء هذه المحكمة ؟ ومن الذي سيحتفظ بملايين الوثائق التي ما اجتمعت إلا بشق الأنفس لدى هذه المحكمة عن جرائم ارتكبتها ذلك النظام بحق الشعب العراقي ، فأين ستذهب هذه الوثائق ، ومن الذي سيحافظ عليها ؟ وكيف سنصون ظلامة شعب كامل استمرت لعقود من الزمن حينما نتحدث عن إلغاء مثل هذه المحكمة ، ومن الذي سينظر إلى الكم الهائل من الشكاوى التي قدمها المواطنون في ما يخص الجرائم التي اقترفها كبار مجرمي النظام البائد ، ومن الذي سيتابع تنفيذ الأحكام التي أصدرتها هذه المحكمة والتي عطلت وأجلت على مدى سنوات حتى تم إصدارها ؟ .

إن مشروع هذه المحكمة جاء لينتصر لإرادة الشعب العراقي ويدافع عن تلك الدماء البريئة التي سالت على أرض العراق ، حينما استُهدف مئات الآلاف من العراقيين وسقطوا شهداء في المقابر الجماعية والأنفال وحلبجة ، وفي كل بقعة من أرض العراق شمالها وجنوبها شرقها وغربها ، وما زالت المحاكم الخاصة تلاحق النازيين وغيرهم من الأنظمة المستبدة وتتابع جرائمهم بعد كل هذه السنوات الطويلة ، فهل إن التوقيت مناسب لإلغاء هذه المحكمة وما زالت أمامها كل هذه المهام الجسيمة التي لم تنجز؟! إن تحويل الموضوعات المختصة بهذه المحكمة إلى المحاكم العامة إنما هو مخاطرة

حقيقية بهذه الملفات الحساسة والخطيرة، وحينما يشكك في إمكانية المحاكم العامة للنظر في هذه الأمور، فهو ليس تشكيكا في قدراتها وإنما هو تركيز على حجم الحساسية والخطورة في هذه الملفات المعروضة اليوم على طاولة المحكمة الجنائية العليا.

ضجة مفتعلة

لاحظنا في الأسبوع المنصرم الضجة المفتعلة الكبيرة بخصوص إجراءات قامت بها قواتنا العسكرية في معسكر أشرف، لعل الشعب العراقي لا يعرف أن هذا المعسكر تزيد مساحته على ٣٦ كم^٢ ومساحات مهمة من هذا المعسكر هي أراض زراعية مملوكة لمواطنين، غصبت في عهد النظام وألحقت بهذا المعسكر لتقديم الخدمة لهذه المجموعة الإرهابية، وكما قامت به القوات العسكرية هي أنها أرادت أن يأخذ هؤلاء (وهم ثلاثة آلاف فقط) مساحتهم الكافية وتعاد المساحات الأخرى لأصحابها ومالكيها، وحينما دخلوا فوجئوا بالموقف فسقط الجرحى والضحايا من أبناء القوات المسلحة الذين حاولوا إخلاء مساحات من هذا المعسكر، وإرجاع هذه الأراضي إلى مالكيها وذويها، كل هذه الضجة وكل هذا الحديث والسخط واللغط الذي يركز على حالة معينة، ويتناسى أن هذه قوات عراقية تتحرك على أرض عراقية، تريد أن تستعيد أراضي عراقية وتمنحها لمالكيها، وتتعامل مع أناس ليس لهم إقامة رسمية أو حضور شرعي على أرض العراق وقاموا بإساءات كبيرة تجاه أبناء الشعب العراقي في عهد النظام السابق، ويظن أن هذه الجرائم والإساءات استمرت حتى في ظل العراق الجديد، بحسب المعلومات المتوفرة للأجهزة الأمنية وللمحاكم وهناك عشرات من هؤلاء صدرت بحقهم أحكام الاعتقال ليمثلوا أمام المحاكم ويجيبوا عن الوثائق الدامغة التي تشير إلى إساءتهم وجرائمهم بحق الشعب العراقي.

ازدواجية المواقف الأمريكية والأوروبية

تقف الولايات المتحدة الأمريكية لتعبر عن قلقها وتقف عدد من الدول الأوربية لتعبر عن قلقها تجاه موقف يطول عددا من الإرهابيين، وتعلمون أن منظمة خلق هي منظمة إرهابية كما جاء ذلك في جدول القوائم الإرهابية في الكثير من دول العالم، ومن بينها الولايات المتحدة الأمريكية. ولكن ليس لأحد من هذه الدول أن يقف ويعبر عن قلقه تجاه ما تعرض له أبناء الشعب العراقي أو القوات المسلحة العراقية من معاناة، وهم يمارسون حقا طبيعيا لهم في هذه العملية، إن ما يثير الدهشة هو ازدواجية المعايير في الحديث عن

حقوق الإنسان والحديث عن الالتزام بالقوانين الدولية للبلدان، ولكن حينما تتخذ خطوة نجد أن هناك دولا مهمة تصطف مع منظمة إرهابية ولا تصطف مع حكومة شرعية ومع أجهزة أمنية تمارس دورها الطبيعي في توفير الأمن وإحلال الاستقرار واستعادة أراضٍ مغصوبة إلى مالكيها وذويها .

ما نتمناه من القوى السياسية العراقية والقوى الشعبية ووسائل الإعلام أن تقف وتدافع عن الدم العراقي البريء، وأن تقف وتدافع عن القوات المسلحة وأبنائها الذين سقطوا ضحايا في مثل هذه الحالة . إن كانوا مدنيين، وإن كان أعضاء هذه المنظمة غير مسلحين كما يدعون فمن أين جاؤوا بهذه السهام المسمومة ليرموا بها رجالنا ويسقط هذا العدد من الضحايا ومن الجرحى من القوات العسكرية؟ إننا نتضامن مع قواتنا العسكرية في بسط الأمن واستعادة الأراضي العراقية وتسليمها لمالكيها، ونتمنى أن نجد العراق خاليا من أي منظمة إرهابية تسيء إلى العراقيين وتسيء إلى علاقات العراق مع دول الجوار في القريب العاجل إن شاء الله .

حقوق المجاهدين

عقد مؤخرًا مؤتمرٌ موسع للمجاهدين في الجنوب حضره المئات من القيادات الجهادية والكوادر المجاهدة، وقفوا وأطلقوا صرخة ليعبروا عن مستوى التهميش الذي يلاقونه ويطرحوا قضيتهم للرأي العام، ويدافعوا عن حقوقهم، كم هي قضية مؤسفة أن يقف المجاهدون الذين ضحوا بالغالي والنفيس لسنين طوال من أجل أن نصل إلى الحرية والعزة والكرامة التي نعيشها اليوم، أن يقفوا ليطالبوا بأبسط الحقوق التي لم تمنح لهم، بل حتى البسيط الذي منح اليوم هناك من يتخذ إجراءات لكي يسحب هذه الحقوق منهم ويعيدهم إلى التهميش والإقصاء الذي عاشوه في ظروف سابقة .

لا بد لنا من أن نشيد بدور المجاهدين ونستذكر تلك البطولات والملاحم التي كانت لهم، والتي تركت أثرها العظيم والبلوغ في كل التحولات الكبرى التي شهدتها العراق، حينما عزلوا النظام الصدامي من خلال جهادهم وتضحياتهم . ولا بد من أن نقف إلى جانبهم وننتصر لقضيتهم وندافع عن حقوقهم، وهذا هو أبسط شيء يمكن أن يقدم لهؤلاء المجاهدين في الوقت الذي نعالج فيه مخلفات النظام البائد، وتقف الحكومة لتعالج القضايا الإنسانية لشرائح كانت مظلومة من قبل النظام البائد، فحريّ بأن نقف ونعالج مشاكل المجاهدين وعوائلهم وعوائل الشهداء، هذه الشرائح التي اضطهدت

من قبل النظام البائد . إننا نعبر عن دعمنا وإسنادنا الكامل لمطالب المجاهدين وحقوقهم ونعمل جاهدين لتلبية هذه الاحتياجات من خلال متابعة السادة المسؤولين .

زيارة محافظة ذي قار

كان لنا شرف زيارة أهلنا في ذي قار في الأيام الماضية ، وقد سعدنا بقاء مختلف الشرائح الاجتماعية هنا . فكانت حفاوة الاستقبال والترحاب كبيرة ، وليس غريبا على أهل ذي قار وأبناء العراق في كل مواقعهم وفي كل محافظاتهم كرم الضيافة والحفاوة في الاستقبال والتكريم والتقدير الذي لاقيناه ، وكانت فرصة مهمة أن نقضي ساعات طويلة في الاستماع لمعاناة الناس ومشاكلهم ، وإن واجبنا يحتم أن نتابع هذه القضايا مع السادة المسؤولين ونسأل الله أن تكون في هذه الزيارة فرصة للتقليل من أعباء وهموم أبناء هذه المحافظة الكريمة ، فشكرا الأهالي ذي قار على استقبالهم وعلى ترحابهم وعلى ما بينوه من همومهم . . . ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لأن نكون في خدمتهم وخدمة العراقيين جميعا .

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١١/٤/٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين
حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين
وصحبه المنتجبين الميامين .

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

سادتي الأفاضل إخواني الأكارم أخواتي الفاضلات بدايةً أرحب بكم أجمل ترحيب في
مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين . وكان حديثنا في اللقاءات
السابقة عن النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة، وذكرنا أن عهد أمير المؤمنين الإمام
علي عليه السلام لملك الأشتر يمثل اختزالاً لهذه النظرية، وقد أوجز الأمير عليه السلام في
عباراته القصيرة والدقيقة مجمل النظرية الإسلامية في هذا الموضوع الحساس . وذكرنا
أن الحديث عن المنظومة الإدارية والقيادية لا يخص القادة والزعماء والرؤساء وحدهم،
وإنما يمتد ليشمل كل إنسان له مستوى من مستويات التصدي بدءاً من دائرة الأسرة أو
رئاسة شركة أو مصنع أو مشروع من مشاريع الواقع الاجتماعي، فكل من يتصدى لمثل
هذه المسؤوليات فهو نموذج لمنظومة قيادية، وعليه أن يوفر مقومات نجاحها من خلال
مجمل التصور والرؤية التي يعرضها علي عليه السلام في هذا العهد التاريخي .

وكان الحديث في اللقاءات السابقة عن هذه العبارة الشريفة: «وقد استكفأك أمرهم
وابتلاك بهم»، وهي عبارة جاءت في المقطع الثالث من مقاطع هذا العهد الذي يشير فيه
أمير المؤمنين إلى العلاقة بين الحاكم والمحكوم . وذكرنا في اللقاءات السابقة أن الكفاية

يراد بها حسن الأداء، وكان علي عَليهِ السَّلَامُ يخاطب مالكا الأشر ويذكره بأن تصديه لهذه المسؤولية، أي ولاية مصر، إنما جاء على خلفية تحقيق النجاح في هذه المهمة، وتوفر مواصفات النجاح في شخص مالك الأشر.

الخصائص القيادية

لقد ذكرنا بعض الإضاءات في اللقاءات السابقة، وانتبهنا في تفسير هذه العلاقة إلى ضرورة توفر خمسة شروط أساسية كما نفهم من النصوص الواردة، فهناك خمس خصائص وشروط يجب أن تتوفر في الشخص حتى يكون مؤهلاً، وحتى يكون قادراً على تحقيق حسن الكفاية وحسن الأداء في واجبه ومهامه الإدارية أو القيادية. وانتبهنا من الصفات الثلاث وهي الدراية، حيث قلنا إنما يقصد بالدراية الرؤية والعقل والتدبر، والتخطيط الاستراتيجي في مهمة ما، فهذا ما يعبر عنه بالدراية، فلا تكون ثمة ارتجالية وانفعالات ولا قرارات سريعة، وإنما رؤية واضحة لطبيعة المهمة، وكيفية أدائها، وأهمية توفر التخطيط طويل الأمد لإنجاح مهمة ما، ثم تحدثنا عن المعرفة، وهي ما نطلق عليها اليوم بالكفاءة، أي أن يكون القيادي كفوءاً وعارفاً في المهمة التي تناط به، ولكن إذا ما كانت خبرته بعيدة عن المهمة المناطة به كانت فرص النجاح ضئيلة. فيجب أن يكون عارفاً وعالماً حتى لا يقع في الإفراط ولا التفريط، فهو حينما لا يكون عالماً، فإما أن يبالغ في اتخاذ إجراءات صحيحة قد تؤدي إلى نوع من الإفراط، وهو يلجأ إلى الزيادة، أو التفريط أو التضيق وهو النقيصة، وكلاهما منقصة للعمل. أما الخصيصة الثالثة فهي العدل، وهو وضع الشيء في موضعه، بأن يعمل المتصدي على إعادة الحق إلى أهله، ولا يغلب ويقدم مصالحه الخاصة أو أمزجته الخاصة على حقوق الناس.

السمة الرابعة: القدرة على الأداء

السمة الرابعة هي القدرة على الأداء، وهنا لا يقصد بالقدرة السطوة، ولا يقصد منها الجيوش واستخدام القوة مع الناس، فالقوة والقدرة في المنظومة القيادية والإدارية لها معنى أوسع، فهي تعني مجمل السمات والصفات التي تجعل المسؤول قادراً على إنجاز المهمة من خلال الوسائل الصحيحة والطبيعية والمألوفة، وليس من خلال الضغط على الناس وإرهابهم.

وحينما نتحدث عن القدرة والقوة نتحدث عن سعة الصدر وتحمل المنافسين وتحمل

المخالفين ، وكل من يتصدى لعمل ما فهناك بالضرورة من يخالفه ، لأن الناس على أطوار ومن المحال أن يتفقوا على رؤية واحدة ، فحين يأخذ المسؤول إجراءً معيناً فهناك من يقول له أنت مخطئ في هذا الإجراء ، فكيف يتعاطى مع هؤلاء المخالفين؟ هذا السؤال يجب أن يجيب عنه ، ويجب أن يكون له منطق قوي ويتحلى بالشجاعة في اتخاذ القرار ، والشجاعة هي أن يعرف أن الواقع يتطلب إجراء ما أو قرارا ما ، ولكن هذا القرار سيعرضه لبعض المضايقات ويخاطر بمصالحه وقد يوقعه في إشكاليات ، فحين يتجنب اتخاذ القرار لمثل هذه الأسباب فهو ليس قويا ، إنما القوة في اتخاذ القرار الصحيح وتحمل التبعات ، فما دام مسؤولا فلا بد له من أن يتخذ القرار المناسب ، بصرف النظر عن آثاره في الامتيازات والإيفادات والوجاهات والتسهيلات . ولا شك في أنك كمسؤول لديك امتيازات كثيرة مُنحت لك حتى تتخذ القرار الذي يصب في مصالح الناس .

الاستقامة والحكمة

يجب على المسؤول أن يضمن من خلال اتخاذه القرارات الاستقامة في الأمور . فالقوة تعني الاستقامة والثبات ، تعني أن المسؤول لا يتزعزع عن صلاحية اتخاذ القرار بفعل ضغوط تصدر من هنا أو هناك ، من هذا الحزب أو تلك الجهة . إن الحكمة مطلوبة ولكن الاستقامة والموقف الصحيح مطلوبة هي الأخرى ، حيث يجب أن يأخذ الموقف الصحيح المنسجم مع مصالح الناس مع مراعاة الحكمة ، وألا تكون مصالح البقاء في الموقع مقدمة على مصالح الناس ، فالمصلحة العامة هي الهدف ، والناس تصل إلى المواقع حتى تحقق المصالح وليس العكس .

مواجهة التحديات

يجب أن يتحلى المسؤول بقوة الوقوف ضد التحديات ، لا أن تبدل مواقفه وقراراته ندوة في فضائية أو مقالة في صحيفة ، لأن الموقف إذا كان منسجما مع المصالح العامة فلماذا تركته؟ وإذا كان على خلاف المصلحة لماذا اتخذته أساسا؟! . يجب أن تكون لدى المسؤول القدرة في أن يواجه التحدي في موقع المسؤولية للحفاظ على الحقوق العامة التي يجب أن يحافظ عليها . وهذا ينطبق على المسؤول أينما كان وفي أية منظومة سواء في الأسرة أو في الدائرة حيث يتعامل مع الموظفين الذين تحت مسؤوليته ومع الناس المراجعين ، إن مسؤولية حفظ الحقوق العامة للمساحات التي يتحمل الإنسان مسؤولية تجاهها تعتبر قضية أساسية ومهمة .

التزام القوانين والضوابط

إن الالتزام بالقانون لمن يتصدى للمسؤولية يجب أن تكون قضية محط تركيزه . حيث يتوجب مراعاة القانون والمعايير الصحيحة في الحالة القيمية والمبدئية التي يجب أن تتوفر ليتحلى بإمكانية تبرير مواقفه فلا يخاف من الاستجواب طالما كانت لديه المستندات والمنطق والحجة الكافية التي يدافع من خلالها عن كل موقف اتخذه، إن القلق والخشية من الاستجوابات هي واحد من المؤشرات على أن مواقفه وقراراته ليست رصينة بما يكفي، وأنه يفتقد للمبررات الكافية والحجة التي يدافع بها عن هذا الموقف أو ذلك، وهذا بحد ذاته مؤشر غير صحي .

في الدول الديمقراطية هناك عملية الاستضافة الدورية، تسجل بشكل طبيعي لكل وزير أن يأتي كل شهر لنصف ساعة إلى مجلس النواب، فيعطي تقريرا عما عمله خلال شهر مثلا، ويقوم السادة النواب من اللجنة المختصة بسؤاله وطرح استفساراتهم في بضعة أسئلة فيما يقوم هو بالإجابة الخطية عن هذه الأسئلة، فالقضية طبيعية جدا، فالاستضافة والاستجوابات هي ما نجده في الدول الكبيرة والديمقراطيات الناضجة، حيث يستجوب الرؤساء، والوزراء السياديون في البرلمان .

علو الهمة

على المسؤول أن تكون له همة عالية ليحقق أقصى ما يمكن من المهام والواجبات في الفترة المعطاة له . فإذا كانت الهمم متواضعة فلن يستطيع أن يتقدم ويدفع بالبلد إلى الأمام في أصعب الظروف، سأل العلامة الحلبي وهو من كبار العلماء في الإسلام ابنه وهو أيضا من العلماء والفقهاء، قائلا له : ماذا تريد أن تكون؟ قال أريد أن أكون مثل العلامة الحلبي . فقال له : أنا أردتُ أن أصبح جعفر الصادق فصرت جعفر الحلبي . إذن عليك أيها المسؤول أن تضع الهمم العالية لنفسك حتى تصل إلى مستوى معين، فأنت يا وزير ويا مدير ويا مسؤول عليك أن تضع لنفسك الآمال الكبيرة والطموحات العالية والمعقولة والمنطقية ومن ثم نعمل جاهدين لتحقيقها، فإذا لم تحقق كاملة فإن تحقيق ٧٠٪ منها يعد إنجازا وطفرة كبيرة في العمل، وهذا لا يتحقق إن كانت الهمم متواضعة، إذن فالهمة العالية تقع ضمن مقاييس القوة المطلوبة في المسؤول .

بثّ روح الأمل

يجب بثّ الأمل، فالمسؤول حين يتحجج ويكثر الشكوى من عدم وجود التخصيصات اللازمة أو الصلاحيات المطلوبة أو أن هذه الجهة أو تلك لا تتعاون معه أو غير ذلك، فإن المواطن سيصاب بالإحباط، على المسؤول أن يتحمل مسؤوليته ويحفر الحجر ويث الأمل ويشيع ثقافة تحقيق الإنجازات الكبرى في أسوأ الظروف، مثل القائد العسكري الذي يتألق في المعركة ويحقق النصر في أسوأ الظروف ولا يحتج بأن العدو يطلق عليه النيران فهذا أمر طبيعي في المعارك. المسؤول السياسي هو الآخر في موقع القيادة ويجب أن يحقق الإنجاز في أحلك الظروف، هذه أيضا من مؤشرات القوة.

لاحظوا ما يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في الخطبة ١٧٣ في النهج: «أيها الناس إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم»^(٥١)، عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الأَقْوَى فهو الأحق بهذا الموقع، فإن كنت ضعيفا ولا تتحمل تبعات المسؤولية فعليك ألا تتصدى وأعطِ الموقع لغيرك ولمن هو قوي قادر على تحمل المسؤولية والوقوف لمعالجة مشاكل الناس وتقديم الخدمة لهم، وعلى استعداد لأن يدفع الضريبة في سبيل الله. إذا كان المسؤول قويا فهو لن يقع تحت تأثير السلطة وإغراءاتها، فالسلطة مغرية بطبيعة الحال.

مقاومة الضغوط

إن القوة الحقيقية تكمن في كيف يستطيع المسؤول أن يسيطر على أعصابه وعلى هواه، وألا يندفع ليستغل الموقع في غير المصالح العامة أو المهمة المناطة به، يشعب فيه غليله وسطوته من خلال هذه السلطة. والتحدي الكبير كيف يستطيع أن يحدد المحيطين والحاشية التي تحيط به فلا يقع تحت تأثيرهم، ولعلها سنة تاريخية أن تحيط بكل مسؤول حاشية، وهؤلاء لديهم مصالح ويصورون القضايا للمسؤول بالطريقة التي تخدم مصالحهم. بالتالي فعلى المسؤول أن يكون قويا ولا يتأثر بالحاشية التي لا تصور له الأمور بالطريقة التي تضمن مصالح الناس.

فإذا وقعت تحت تأثير الحاشية فستصاب بتشتت في القرار والتشتت في المواقف، وهذه أعراض تعترى المسؤول الذي يقع تحت تأثير الحاشية، حيث التشتت والتخبط والمزاجية في القرارات التي ينقض أحدها الآخر، وعندها لن تكون هناك أية هيبية للقرار، إن كان ذلك من مسؤول أو مدير أو وزير أو بأمر ديواني. . . وإلى آخره.

إن نقض القرار يعبر عن حالة التخبط والإرباك ويكشف عن تشتت في الرؤية والقرار والإجراءات المطلوبة، ويكشف عن تأثيرات خارجية على المسؤول تمنعه من اتخاذ الموقف الصحيح والقرار الصحيح. يقول علي عليه السلام في غرر الحكم: «أقوى الناس من قوي على غضبه بحلمه»^(٥٢). فالذي يريد أن يكون مسؤولاً قويا فإن القوة في أن يتغلب على رغباته ومصالحه ومصالح حاشيته، وذلك بالحلم والعلم والحكمة، فهذه القوة الحقيقية، وعندها يكون قادرا على اتخاذ الموقف الصحيح، ليمضي في تحقيق مصالح الناس ويحيد المؤثرات الأخرى والأضرار والعوارض التي قد تصيب المسؤول هنا وهناك.

السمة الخامسة: النزاهة

يجب أن يكون المسؤول نزيهاً، ولكن النزاهة في الرؤية الإسلامية أيضا لها معنى أوسع بكثير من معنى النزاهة المالية التي تتبادر إلى الذهن اليوم، فالنزاهة في مجتمعاتنا تعني ألا يسرق الشخص، ولكن النزاهة في الفهم الإسلامي وفي الرؤية الإسلامية لها معنى أوسع من قضية المال لنرى كم هي مسؤولية عظيمة حينما يتصدى الإنسان إلى موقع ما، والتصدي هو أمانة الله كما شرحنا في لقاءات سابقة.

المفهوم الإسلامي للنزاهة

إن النزاهة في الإسلام هي الطهارة بأن يكون الإنسان طاهرا نقياً، وهذا النقاء المعنوي له آثاره في مساحات مختلفة ويوجد تغيرات وتحولات كبرى في سلوك الإنسان المسؤول حينما يتصدى لمواقع المسؤولية. إن كل مسؤول يحتاج إلى أن يكون طاهرا ونقياً من الأغراض والرغبات الدنيوية وحب الدنيا، فإن حب الدنيا يوقعه في سلسلة طويلة من الإجراءات والسياقات والبروتوكولات والى آخره، وظاهرا تكون مواقفه وقراراته ضمن القانون والسياقات والالتزامات ولكنها في المضمون تعبر عن حب الدنيا، ويريد أن يشفي غليله ويستفيد ويتنعم بهذه الدنيا. . هذه هي البداية التي توقع المسؤول في الكثير من المشاكل، حيث حب الأنا فيما النزاهة لا تتحقق مع حب الذات.

٥٢. غرر الحكم، ج ١ ص ١٩٨

إشكاليات حاضرة

إن تقديم الأنا على كل شيء لا يحقق النجاح ، واليوم نرى أن واحدة من الإشكاليات التي تتسبب بالتلكؤ في الأداء ليس في غياب العقول والخبراء في دوائر القرار وفي الوزارات ، بل خشية أصحاب العقل والخبرة من أن يقولوا كلمتهم خوفاً من تبعات الطرد والنقل ، فالمسؤول لدينا يريد أن يسمع الإطراء وليس النقد الحق . فالأنا تتقاطع مع النزاهة ، كما إن حالة الاحتكار والاستحواذ تتقاطع مع النزاهة . والمسؤول حينما يضع اليد على كل شيء ويريد أن يكون كل قرار لكل مهمة بيده وليس بيد الآخرين ، فلا يعطي فرصة لمن تحته ولمن يعمل معه ، في حين أن المسؤول الناجح ليس من هو يتخذ القرار بمفرده ، وإنما هو من يبعث الحماس والشجاعة في عدد كبير من المسؤولين ليتخذوا القرار في مساحاتهم ، فهذه واحدة من الإشكاليات الكبيرة تتمثل بحالة الاستحواذ واحتكار القرار والموقف ، واحتكار الامتيازات والإمكانيات .

فاليوم في هذه الحكومة الموقرة أخبرني أحد الموظفين في وزارة ما أن هناك ثلاثمائة سيارة والكثير منها سيارات مصفحة كلها في ذمة مكتب السيد الوزير ، وهذه السيارات ليست جميعها في بغداد فقد بعث بعضها إلى محافظته ليوزعها على عشيرته وعلى أهله و حزبه . إن حالة الاستحواذ وحالة الاحتكار التي يقع فيها المسؤول ، وحالة الاعتداد بالرأي هي من حالات الأنانية التي تحصل للمسؤول ، فيرى رأيه هو الصائب . . . وحين تقول له إن هناك عدداً كبيراً من المستشارين والخبراء الذين معك فاسمع منهم وسائلهم ، فمن الممكن أن تكون لديهم كلمة مفيدة ، يرفض الاستماع ، المسؤول لدينا يريد أن يتكلم ولا يريد أن يسمع ، وهذا ما يحدث في المفاصل الإدارية في الدولة حيث لا مجال للمسؤول لأن يسأل ، وهذا في حال كان هناك اجتماع للمسؤول .

أخبرني يوماً أحدهم في وزارة معينة أنهم لا يرون الوزير لعدة أشهر ولا يجتمع بالمسؤولين في وزارته . إن حب الرئاسة والسلطة والتشبث بالموقع حين تكون الهم الأول للمسؤول فلا يمكن أن تكون هناك نزاهة ، لأنه سيعمل على تكليف كل القرارات وكل الإجراءات والخطوات على قاعدة أن أعمل على ما يخدم بقائي في حين أن مصالح الناس معطلة ، فالمهم أنه جالس على هذا الكرسي ، وهذه من المشاكل الكبيرة . إن الرغبة في الشهرة وحب المديح والإطراء والسعي وراء الشهرة ، وأن يعيش حياته الخاصة والتفكير في كيفية استثمار الفرصة واستغلالها لمزيد من النفوذ والتأثير والى آخره . . . كلها تتقاطع مع النزاهة . إذن فالنزاهة لها معنى واسع وقد تحدثنا عن بعض المفردات ، وللحديث

صلة نتحدث عنها في اللقاءات القادمة في ما يخص موضوعه النزاهة . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الوضع العربي

نتابع بقلق وألم ما يجري في الساحة العربية من صراع بين الشعوب الطامحة للحرية والكرامة، والراغبة ببناء دولها على أسس دستورية تشريعية وتنفيذية والعودة إلى الانتخابات والتداول السلمي للسلطة وتحسين الواقع المعيشي، والالتزام بالديمقراطية كأساس لإدارة شؤونهم وأمورهم. إن الحكام المستبدين الطغاة الظالمين لا يرون إلا أنفسهم ومصالحهم، لكن كرامة الدول من كرامة شعوبها وليس من كرامة حكامها الذين بددوا المال العام، ونحن نسمع اليوم تجميد أرصدة مالية هائلة بعشرات المليارات من الدولارات لهذه الدولة أو تلك، وبدأت تظهر الأرقام وبدأنا نتعرف على حجم الميزانيات التي أودعت في المصارف الأجنبية، فيما الناس تعيش الفقر والفاقة والحرمان في بعض هذه الدول العربية، وأن ما سمعناه اليوم من أن في ليبيا وحدها بلغ عدد الضحايا عشرة آلاف ضحية وخمسة وخمسين ألف جريح بحسب الإحصائيات المتاحة، وربما الأرقام الحقيقية أكبر بكثير من ذلك، ما يثبت أن هؤلاء الحكام لا يعلمون أن كل قطرة دم لبريء ستتحول إلى بركان يهز عروش هؤلاء الطغاة والظالمين.

إن على الحكام العرب أن يقفوا عند هذا الواقع، وأن يتخذوا الإجراءات الصحيحة التي تبقي لهم الذكر الحسن من خلال الانصياع للإرادة الشعبية والتماشي مع الحقوق المشروعة والمطالب الحقة لهذه الشعوب الكريمة. إننا نعلن تضامنا ونصرتنا والتأييد الكامل لكل كلمة صادقة ولكل شعار عادل ولكل خطوة صحيحة تنسجم مع المبادئ والمطامح الحقة والمشروعة لهذه الشعوب الكريمة. فنحن نقف وندافع عن الإنسان أينما كان ونتمنى الخير للشعوب العربية والإسلامية والإنسانية أجمع، لأن هذه هي ثقافة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته الكرام عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ثورة الشعب العربي درس بليغ للعراق

إن ما يجري في المنطقة العربية اليوم يمثل درسا بليغا لنا في العراق، وهي رسالة مفتوحة للسادة المسؤولين في هذا البلد الكريم تذكروهم على الدوام بمسؤولياتهم الشرعية والوطنية في تلبية احتياجات الناس، والاهتمام بخدمتهم وتوفير الظروف

المعيشية الملائمة لهم والوقوف عند همومهم وقضاياهم ، إن أمام العراق فرصة حقيقية وتاريخية لتحقيق الإعمار والازدهار وتحقيق الانطلاق الكبير والواضح في هذه التجربة ، حيث أصبح العراق يتقدم العديد من الدول العربية الكريمة بتجربته الديمقراطية ونظامه السياسي التعددي . وعليه أن يثبت قدرته على أن يقدم النموذج الطيب والتميز في مجال الخدمة العامة وفي تحقيق الإعمار والازدهار ، وفي تلبية احتياجات الناس وتوفير الأمن والاستقرار لهذا الشعب الكريم ، حتى يكون قدوة تقتدي بها الدول العربية الكريمة .

إن للعراق اليوم القدرة على مد يد العون والمساعدة إلى أشقائه العرب وتقديم تجربته الديمقراطية المميزة ، خصوصاً مع توفر عناصر النجاح في هذه التجربة والتمثلة بالعقول العراقية الزاخرة والثروة والإمكانات والعمق الحضاري ، وهذه عناصر قوة مهمة تمكن العراق من الانطلاقة الحقيقية ولا ينقصنا شيء نحو الإعمار والبناء وإنجاح التجربة وتعزيز الشراكة والثقة بين الأطراف العراقية وتوحيد الرؤية في عملية بناء الدولة ، وترميم المنظومة الإدارية والتشريعية مما يسهل عملية انسجامها مع متطلبات المرحلة ، ووضع الرجل المناسب والكفوء في الموقع المناسب حتى يحقق النتائج المرجوة التي يريدها المواطن العراقي في الإعمار والازدهار .

تطورات الوضع الأمني

إن التطورات الأمنية الأخيرة والانفجارات واستهداف بعض المحال التجارية واغتيال بعض كبار المسؤولين في الأيام القليلة الماضية ، إنما هي مؤشرات على تراجع الوضع الأمني ، ومن الضروري الوقوف في أسباب هذه الحوادث ، والدوافع التي دفعت لمثل هذه الخروقات الأمنية ومعالجتها . إن الحفاظ على الأمن والاستقرار يمثل مدخلا مهما من مداخل تحقيق النجاح والاستقرار ، إضافة إلى أن ملء الشواغر في الوزارات الأمنية ووضع الشخصيات المستقلة الكفوءة في هذه الوزارات ، يمثل مطلبا ملحا وضروريا علينا أن نقف عنده ونتخذ فيه الإجراءات السريعة ، ولا سيما أن المؤسسة الأمنية العراقية تستعد لتحمل مسؤولياتها الكاملة في تحقيق الأمن والاستقرار في ظل انسحاب القوات الأجنبية بالكامل في نهاية هذا العام .

البطالة.. ودور القطاع الخاص في معالجتها

إن البطالة ونسبتها المرتفعة في العراق باتت تشكل ظاهرة خطيرة تترك آثارا سلبية في الواقع النفسي والاقتصادي والأمني في مجتمعنا العراقي . إن زيادة عدد العاطلين ربما

تؤدي إلى ارتفاع معدلات الجريمة ما يتطلب وضع حل سريع لمثل هذه الإشكاليات، وهذه الظاهرة التي باتت ترهق كاهل العراقيين وتضغط عليهم بشكل كبير.

إن الأضرار الكبيرة التي لحقت بالقطاع الزراعي والصناعي جراء سياسات الأنظمة البائدة، والتي لم تلق طريقاً للمعالجة خلال السنوات الثمان الماضية بما ينبغي، وعدم تمكين القطاع الخاص من أخذ دوره المناسب لملء الفراغات ولتقديم الخدمة المناسبة لأبناء شعبنا، كان له أثر كبير في اتساع رقعة البطالة وتحمل المسؤولية الكاملة من قبل الحكومة في توفير فرص العمل للعاطلين، وهي قضية تكاد تكون خارج قدرات الحكومة، ولا بد من وضع السياسات القصيرة والطويلة الأمد لمعالجة هذه الإشكاليات وهذه المعضلة الكبيرة.

إن من المهم تفعيل القطاع الخاص بكافة مستوياته ومدياته على ضوء القانون والدستور وتنفيذ كل المتطلبات التشريعية والتنفيذية لهذا الغرض، مما سيوفر ملايين من فرص العمل وسيساعد في حل المشكلة بشكل كبير وواسع وسريع. إن صندوق دعم العاطلين عبر توفير رواتب وقيمة للعاطلين عن العمل لحين توفير فرص العمل يمثل مدخلاً آخر لحل هذه المشكلة، فضلاً عن وضع الحلول للمشاكل التي تواجه عدداً كبيراً من أصحاب العقود الذين يمارسون دوراً وظيفياً منذ عدة سنوات في وزارات ودوائر مختلفة، وما زالوا يعانون من التعامل معهم على أساس العقود مما يجعلهم في قلق مستمر في مدى إمكانية استمرارهم بالعمل، وهو ما يترك آثاره الواضحة في ضعف الحماس لدى هؤلاء وشعورهم بالإحباط مما يؤثر في طبيعة العمل المطلوب. ومن بينهم موظفو المفوضية العليا المستقلة للانتخابات، فهؤلاء الآلاف من الشباب الذين عملوا في المفوضية العليا في محافظات مختلفة منذ سبع أو ثماني سنوات وأداروا عدة عمليات انتخابية ناجحة، وأصبحت لهم خبرة متراكمة، ليس من المنطقي أو المعقول بقاءهم على العقود المؤقتة بالرغم من وجود درجات وظيفية بالموازنة عام ٢٠١١ ولكنها لم تفعل لحد الآن.

معرض الكتاب الدولي الأول

افتتاح المعرض الدولي الأول للكتاب بعد انقطاع دام أكثر من عقدين من الزمن، بمشاركة ٢٥٠ دار نشر من ٣٠ دولة عربية وأجنبية أصبح يمثل تظاهرة ثقافية كبرى، ويعطي رسالة واضحة في عودة بغداد كدار للسلام. إن هذا يدل على استعادة بغداد عافيتها وأخذ دورها في إشاعة الفكر والثقافة، ولا بد من استثمار هذه الفرصة من قبل

طلاب الجامعات والنخب والمثقفين وأصحاب الفكر والقراءة ومن قبل الشعب العراقي ككل، الذي عرف بالقراءة والاستفادة منها، نشكر جهود القائمين على هذا المعرض وندعو الحكومة إلى التوجه صوب دعم الطلبة والأساتذة والنخب في شراء الكتب بسعر مدعوم، كمساهمة في إشاعة الأجواء الثقافية في بلادنا، وهو ما يحصل في دول كثيرة في العالم حينما تدعم الجامعات والطلاب لشراء تلك الكتب بسعر مخفض.

مهرجان بغداد للزهور

كما إن افتتاح مهرجان بغداد الدولي للزهور يمثل رسالة أخرى من رسائل الحياة في بغداد، تشير إلى أهمية الحفاظ على البيئة والتصالح معها في أيام الربيع التي نعيشها. إن مكافحة التصحر والحفاظ على البيئة والأمن البيئي أمام عوامل العواصف والغبار التي باتت تضر بحياة المواطنين، لهما أهمية كبيرة متزايدة، وندعو إلى إعادة الحزام الأخضر إلى المدن العراقية المختلفة والعمل الجاد على إشاعة ثقافة غرس الأشجار والنخيل في كل مناطق البلاد، ومكافحة التصحر واستصلاح الأراضي وتوفير فرص الحياة الكريمة والبيئة الملائمة للمواطن العراقي.

تأجيل عقد القمة العربية

يداخلنا شعور بالإحباط من تأجيل آخر للقمة العربية، فقرار التأجيل كان محبطاً للعراقيين وللعرب جميعاً، وهو يسيء لسمعة الجامعة العربية ودولها والعمل العربي المشترك حينما تعجز هذه الدول عن إقامة قمة لمناقشة همومها المشتركة في ظل هذه التحولات الكبرى التي يشهدها العالم العربي. أتمنى أن يتم تجاوز هذه الإشكالية، وأن تعقد القمة العربية في موعدها المحدد أو في وقت قريب مما يعيد الأمل للمواطن العربي في إمكانية العمل المشترك في المنظومة العربية، ويساعد على إشاعة الإعمار وتحقيق الاستقرار والسلام وحرص الصنفين بين الدول العربية الكريمة.

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٧/٤/٢٠١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

سادتي الأفاضل، إخوتي الأكارم، أخواتي الفاضلات، بدايةً أرحب بكم أجمل ترحيب في مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين.

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة، وذكرنا أن عهد أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام لمالك الأشرم يمثل اختزالاً لهذه النظرية، وكان الحديث في المقطع الثالث من هذا العهد في قوله: «وقد استكفك أمرهم وابتلاك بهم»، وذكرنا أن هذه العبارة تشير إلى أن التصدي مسؤولية والتزام وليس وجهة سلطة ونفوذاً وامتيازات، فلذلك على من يتصدى لمواقع المسؤولية أن يتجنب حالة التساهل أو المزاجية في اتخاذ القرار، وعليه أن يعي حجم الخطورة في المهمة المناطة به.

ثم ذكرنا في الإضاءة الثانية أن التصدي يجب أن يكون مقروناً ومحفوظاً بالكفاية وحسن الأداء، فإذا كان الشخص المرشح لموقع ما غير كفوء لهذه المهمة وليس مختصاً ولا مؤهلاً لإدارة هذا الموقع أو ذلك من مواقع المسؤولية، فعليه ألا يرشح نفسه لهذا الموقع ولا يقبل الترشيح إذا ما رشحه الآخرون، لأن تصديه لمهمة ليس مختصاً بها

سيعرضه إلى إشكاليات كبيرة، وسيضيق فرصة التوفيق والنجاح في هذه المهمة، وقد استعرضنا بعض النصوص في ذلك.

المواصفات المطلوبة في المسؤول

انتهينا إلى أن مجمل النصوص الواردة في هذا الموضوع تؤشر إلى ضرورة توافر خمس مواصفات حينما يتصدى الإنسان لأي موقع من مواقع المسؤولية، وهذه المواصفات هي الدراية والخبرة والعدالة والقوة والقدرة على الأداء والنزاهة، وهذه هي الصفات الخمس التي نتحدث عنها الروايات، وضرورة توفرها في من يتصدى لموقع المسؤولية، وكما ذكرنا في أكثر من مرة فإن نظرية القيادة والإدارة في الإسلام لا تحدد ملامح الشخصية في المواقع المتقدمة فحسب، ولا نتحدث عن الرئيس والزعيم والوزير وما شابه ذلك من كبار المسؤولين فقط، وإنما تمتد إلى أية دائرة أو منظومة قيادية وصولاً إلى الأسرة وإدارة الأسرة وإدارة شركة أو مصنع أو أي مشروع من المشاريع. وبالتالي فهذه الصفات الخمس ستكون مطلوبة وتتعمق أهميتها وحجمها بحجم المهمة المناطة بالشخص، حينما يكون مسؤولاً عن عشرة أو عشرين، أو عن مشروع صغير أو أسرة صغيرة، فهي تختلف في أهميتها عما إذا كان مسؤولاً عن ملايين الأشخاص في دولة وبلد، ولكن تبقى هذه السمات والصفات مطلوبة لكل من يتصدى لموقع من المواقع.

الصفة الأولى: الدراية

إن السمة الأولى الدراية وهي العقل، والرؤية التي يجب أن تتوافر لدى المسؤول تجاه المهمة المناطة به، وهي عملية سعة الأفق في أن يستشرف المستقبل وأن يكون طموحاً في تحقيق مستويات عالية من النجاح في ما أنيطت به من مهمة، وهذا ما نسميه في مصطلحات اليوم بالتخطيط الاستراتيجي. فعندما يكون الشخص مكلفاً بمهمة معينة فيجب أن تكون له القدرة على أن يضع الخطط الملائمة والمناسبة لنجاح مهمته على أفضل صورها، إذن فالحديث هو عن الرؤية الثاقبة وسعة الأفق، والحديث عن إشراك العقل وإدخاله في تحديد ملامح المهمة والإطار الذي يتحرك به الإنسان، والحديث عن الشمولية والسعة في النظرة إلى هذا الواجب وإلى هذه المسؤولية حتى يحقق أفضل حالات الإنجاز في ما تناط به من مهام.

لاحظوا قول أمير المؤمنين في غرر الحكم: «يحتاج الإمام إلى قلب عقول ولسان

قؤول وجنان على إقامة الحق صؤول»^(٥٣)، ويقصد عَلَيْهِ السَّلَامُ من الإمام كل من يتصدى للمهمة والمسؤولية في موقع ما، فهو بحاجة إلى قلب عقول، في مقابل من يمتلك القلب العاطفي، حيث تتحكم به مشاعر الحب والبغض والانطباعات السريعة ودفعه إلى اتخاذ القرار، أما القلب العقول فهو القلب المتدبر الذي لا يتأثر بالعواطف بقدر ما يضع الرؤية الصحيحة ويصر عليها، لتحقيق الإنجازات الكبيرة.

سبات العقل

إن أي مهمة أو مسؤولية تغيب عنها الدراية يغيب عنها العقل والتخطيط، وعندها قد تكون محفوفة بالفشل والتلكؤ في عدم تحقيق الأهداف المرجوة من تلك المهمة. ولذلك نجد الإمام علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول «نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين»^(٥٤)، فكأن العقل ينام ويرقد كما أن البدن ينام، إن البعض منا قد يبطل عقله ولا يحرك قدراته العقلية في المهام التي تناط به، كثير من العمل والحراك قليل من التدبر والتفكير، فيكون كثير الخطأ، وهناك من يتدبر ويخطط ويستشرف ثم يخطو فتكون خطواته أقرب إلى النجاح وأقرب إلى التوفيق، أمير المؤمنين يعبر عن ذلك بسبات العقل «نعوذ بالله» يتعوذ الأمير عَلَيْهِ السَّلَامُ من سبات العقل ومن نومه، ومن «قبح الزلل»، فحينما يرقد العقل وينام وحينما يعطل التفكير فمن المؤكد أنه سيقع الزلل والخطأ والانحراف والضلال، وعدم إمكانية تحقيق النتائج الصحيحة، وما أقبح أن يقع الإنسان في الخطأ.

قبح الزلل من المسؤول

قد يُغتفر الخطأ أحياناً حين يصدر من المواطن البسيط ممن لا يتحمل المسؤولية، وإن كانت القاعدة التي تحكم البشرية هي أن القانون لا يحمي المغفلين، فمن لا يعرف فتلك مشكلته وكان يتوجب عليه أن يسعى ليتعرف على القوانين والأنظمة، فسائق السيارة عليه الإلمام بقوانين المرور، وإذا ما وقع في مخالفة لتلك القوانين فليس له الحق في أن يعترض على الغرامة أو العقوبة التي أثبتتها القانون، وهذا أولى بمن يتصدى للمسؤولية، لهذا يقول الإمام علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قبح الزلل». ونرى أن أمير المؤمنين حينما يتطرق إلى التخطيط واستخدام العقل والأضرار المترتبة على تجميد التفكير والعقل والدراية يستعين بالله سبحانه وتعالى، مما يشير إلى حجم الخطورة في مثل هذا المنحى.

٥٣. غرر الحكم ج ٦ ص ٤٧٢

٥٤. بحار الأنوار ج ٧٢ - ص ٣٦٠

الصفة الثانية: الخبرة

الصفة الثانية المطلوب توفرها هي المعرفة والخبرة ، أو ما نعبر عنها بالكفاءة . فيجب أن يكون المسؤول كفوءا خبيراً عالماً بالمهمة المناطة به ، إن المعرفة غير الدراية ، فالدراية هي التخطيط والمعرفة هي الكفاءة وتعني القدرة على تنفيذ الخطة ، وتحقيق الرؤية على الأرض من خلال المعرفة والإجراءات المطلوبة ، فلا يمكن أن يتحقق النجاح إلا حينما يكون المسؤول عارفاً بمهمته ، أما إذا كان جاهلاً فسيقع في أحد أمرين ، إما أن يذهب إلى الإفراط في الأداء وبالتالي يحمل المهمة المناطة به ما لا تحتمل ، وإما يقصر ويفرط في أداء الواجب ومن الصعب تشخيص الحدود الصحيحة ، فيبقى دائماً بين الإفراط والتفريط .

لاحظوا حديث أمير المؤمنين في الخطبة ١٧٣ قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : «أيها الناس إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه»^(٥٥) ، إن الأقدر على هذه المهمة هو الأعلم بما أمر الله به من الضوابط والسياقات والقوانين والسنن ، فهناك التزامات وإطار شرعي وإطار وضعي ، وبحسب القوانين التي تحاط بمهمة من مهام بلادنا ، إذن فالأعلم هو الأولي لأن يتصدى لهذه المهام .

وكذلك قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : «لا ترى الجاهل إلا مُفْرطاً أو مُفْرطاً»^(٥٦) فالجاهل إما يُفْرط ويزيد وإما يفِرط ويضيع جزءاً من الواجب والمهمة .

الصفة الثالثة: العدل

إن الخصوصية الثالثة هي العدل ، فالعدل أساس الحكم وأساس الملك وأساس التصدي وتحمل المسؤولية ، إن المسؤول يجب أن يكون عادلاً ، والعدل وضع الشيء في موضعه ، فتأخذ الإجراءات الصحيح وتضع الرجل المناسب في الموقع المناسب ، وتوزع الأدوار بطريقة صحيحة ، أن تقول الكلمة في وقتها الصحيح وتتخذ الإجراءات في الموقع والظرف المناسبين .

لا بد للمسؤول من أن يكون عادلاً ، والعدل هو إيصال الحق إلى أهله سواء كان فيه مضرة أو منفعة للمسؤول ، وسواء اتفق معه أو اختلف ، كأن يكون من توجه سياسي معين ، فما دام المسؤول مسؤولاً في موقعه فعليه أن يلغي الاعتبارات الأخرى في تعامله

٥٥ . نهج البلاغة ج٢ - ص ٨٦

٥٦ . نهج البلاغة : الحكمة ٧٠ .

مع الناس ، تلك الاعتبارات القائمة على الحزبية أو الديانة أو القومية أو العشيرة ، فما دام مسؤولاً فيتوجب عليه أن يعطي لكل ذي حق حقه .

إن العدل هو عدم التمييز بين الناس ، فيجب أن لا يشعر المواطن حينما يدخل إلى مكان ما بأنه صاحب حظوة أكبر من غيره ، أو أن يدخل مواطن آخر ليشعر بالقلق أكثر من غيره . إن العدل هو عدم التمييز بين الناس والابتعاد عن الهوى والمصالح الخاصة وعن المزاجية ، وأخذ المسؤول من القانون ما يعجبه وترك ما لا يعجبه ، وهو ما يكون له أثره الكبير في تعطيل مصالح الناس وتمير قضايا البعض على خلاف القانون .

في الإرشاد للشيخ المفيد عن علي عليه السلام وهو في طريقه إلى صفيين لحرب القاسطين قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فإن الرعية الصالحة تنجو بالإمام العادل»^(٥٧) . إذن فإن نجاة المواطنين بالإمام العادل ، فالمسؤول العادل هو سبب في تحقيق النجاح للرعية الصالحة ، أما غير الصالح فمن المؤكد أن تحدث في عملية إدارته مشاكل كبيرة ، على أن المسؤول إذا كان عادلاً وأدى واجباته على أتم وجه فيما كان المواطن غير ملتزم بالقانون فهنا يقع في مطب ، وهذه ليست مشكلة المسؤول ما دام قد أعطاه الطريق الصائب ، إن الإمام العادل والمسؤول العادل هو الضمان لنجاح الرعية وخلق المواطنين الصالحاء ، «ألا وإن الرعية الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر» ، وفي الاتجاه الآخر فإن الإمام حينما يكون فاجراً وحينما يتصل من العدل سيجلب المواطن الفاجر ، لأن الفاجر يتبع الفاجر فيما لا يتبعه العادل الذي يبقى ملتزماً بالقانون وبعيدا عن الانحراف معه .

خصائص الحاكم العادل

يقول أمير المؤمنين أيضا في الخطبة السابعة والثمانين من نهج البلاغة : «قد أُلزم نفسه العدل ، فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه ، يصف الحق ويعمل به ، لا يدع للخير غاية إلا أمها ولا مظنة إلا قصدها ، قد أمكن الكتاب من زمامه ، فهو قائده وإمامه ، يحل حيث حل ثقله وينزل حيث كان منزله ، وآخر قد تسمى عالما وليس به ، فاقتبس جهائل من جهال ، وأضاليل من ضلال ، ونصب للناس شركا من حبال غرور وقول زور ، قد حمل الكتاب على آرائه ، وعطف الحق على أهوائه ، يؤمن من العظام ويهون كبير الجرائم ، يقول أفف عند الشبهات وفيها وقع ، وأعتزل البدع وبينها اضطجع . فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان ، لا يعرف باب الهدى فيتبعه ، ولا باب العمى فيصد عنه ،

فذلك ميت الأحياء فأين تذهبون ، وأنى تؤفكون»^(٥٨) ، أي أن يلزم المتصدي نفسه بالعدل والعدل مرّ ، والمسؤول العادل قد يقسو على نفسه وجماعته ويتساهل مع الآخرين .

نفي الهوى وطلب الخير

«فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه» ، لبيدأ المسؤول بنفسه يحاول أن يصلحها حتى يكون قادرا على إصلاح الآخرين ، أن يسحق المزاجية والهوى والرغبات الخاصة حتى يستطيع أن يفي بواجباته كما ينبغي ، «بصف الحق ويعمل به» ، فالمسؤول العادل يضع المعايير ويكون أول من يعمل بها ، فالمسؤول الذي يضع قوانين المرور عليه أن يكون أول من يلتزم بها وألا يخرقها ويتجاوزها بموكبه ، «لا يدع للخير غاية إلا أمّها» ، وأمّها بمعنى قصدها وتوجه إليها ، المسؤول العادل يسعى وراء الخير والتقدم ويشجع على الابتكار والإبداع كي تنجح المنظومة القيادية لا بعد أن ينجح الآخرون . . «ولا مظنة إلا قصدها» أي أن يقصد كل ما يظن أن فيه خيرا للأمة ، ويتحرك نحوه .

نرى أحيانا موظفا مسؤولا يغلق الباب بوجه المواطن في تمشية معاملته فيحكم عليها بأنها خلاف القانون ، مع أن من الممكن لهذا المسؤول أن يبحث عن إمكانية وجود فرصة واستثناء لمساعدة هذا المواطن ، وتكييف القانون بشكل مناسب مع الحفاظ عليه وعدم خرقه .

التزام القوانين والأنظمة

«قد أمكن الكتاب من زمامه» والكتاب القرآن ، والمقصود كل الإجراءات الصحيحة التي تجري وفق القوانين والسياق العام للعمل الشرعي ، ونفس الكلام ينطبق على الحالة المحكومة بضوابط معينة وقوانين ملزمة تشريعية ووضعية «فهو قائده وإمامه» ، فالموازين هي التي تقود ، حيث يضع الموازين ويمضي فيها ، ويحاول أن يتعامل مع الجميع على هذا الأساس . «يحل حيث حل ثقله» أي يمضي مع هذا الكتاب ويمضي مع القانون والإطار الصحيح ، فيحل حيثما حل في أدائه وفي إجراءاته .

في مقابل ذلك انظروا الحالة المعاكسة حينما يخرج المسؤول عن العدل ، وهنا وصف غريب يقدمه علي عليه السلام حيث يقول : «وأخر قد تسمى عالما وليس به» ، أي يدعي الكفاءة والقدرة ويدعي العدل في التعامل ولكنه ليس من ذلك في شيء ، «فاقتبس جهائل من جهال» ، المسؤول الجاهل يجلب إلى دائرته مستشارين جاهلين ، أما المسؤول الخبير

فترى أن من حوله خبراء عارفين ، لأن الطيور على إشكالها تقع ، «وأضاليل من ضلال» ، المسؤول الضال يجلب أناسا من شاكلته يزيدونه انحرافا عن الجادة الصحيحة ، لذلك فمنظومة المسؤول والخبراء حين تتحول إلى الحالة المثالية المطلوبة فستحقق إنجازات كبيرة جدا ، أما لو تحولت إلى مافيا وعصابة فستكون عبثاً ثقيلاً على المجتمع . «ونصب للناس شركا من حبائل غرور وقول زور» إن مثل هذا المسؤول حينما ينحرف والعياذ بالله ويكون المحيطون به جهلة يحرضونه على الآخرين ، فسيبدأ بنصب الفخاخ لمن هو مسؤول عنهم ، باستخدام الحيلة والمكر والخداع ، والالتفاف على القانون والعمل من تحت الطاولة ، ويكون دأبه الكلام الباطل والوعود الزائفة التي لا يستطيع أن يفي بها .

التزييف وادعاء الحق

«قد حمل الكتاب على آرائه ، وعطف الحق على أهوائه» ، أي يبدأ بتكييف القانون مع أعماله بدلا من أن يتكيف هو مع القانون ، فيجعل الحق مع رغباته ومصالحه ، وهذا ما نجده اليوم في الأنظمة الدكتاتورية التي تبطش وتفتك بالناس وتبرر ذلك وترى أن الحق معها ، «يؤمن من العظائم» أي يستهين بالمشاكل والأزمات الخطيرة والفادحة التي يراها المواطن ، بينما يقلل من قيمتها مثل هذا الحاكم المسؤول ويراها قضايا تحت السيطرة ، ومما يثير الألم الكبير هو هذا الداء الذي أوقع البلاد في متهات كبيرة ، ويتمثل بالتقارير البعيدة عن الواقع التي يرفعها المتزلفون ويقدمها الانتهازيون وأصحاب المصالح ، على المسؤول أن ينظر إلى الحقيقة كما هي ، ويشخص المشكلة ويعالجها ، فلا يحل المشكلة التقليل من أخطارها ، فالمرض البسيط عندما يُترك يتحول أحيانا إلى مرض مزمن يصعب علاجه .

احترام قيم المجتمع

ومن هذا القبيل ما يلاحظ من تهوين لجرائم مختلفة ، ومنها ما ينتهك حرمة المجتمع ، فالشخص الذي يريد ممارسة حريته الشخصية في عمل الموبيقات ، يجب ألا يكون ذلك اعتداء على حرية الآخرين وقيمهم وعاداتهم ، فيجب أن نضع الضوابط لمثل هذه السلوكيات التي لا تنسجم مع قيمنا الإسلامية والوطنية ، إن الحرية الشخصية يجب ألا تتعارض مع حرية الآخرين ، وهذه الأمور منظمة في الغرب ولكن يُراد فرضها في مجتمعنا الإسلامي والعربي بهذه الطريقة ، إن السائق في الدول الغربية حين يتناول المشروبات الروحية يتعرض إلى أقصى الغرامات ، وكذلك الوزير والمسؤول أو النجم ، إذ لا يشفع له موقعه أو شهرته . إننا في مجتمعنا العراقي الذي تغلب عليه الثوابت والقيم

والمبادئ، يراد له أن تداس فيه كل هذه الاعتبارات تحت يافطة الحرية، وأن يُنظر إلى مجموعة قليلة من الناس فيما يتم تجاهل الملايين من أبناء الشعب العراقي.

ميت الأحياء!

«يقول أقف عند الشبهات وفيها وقع، وأعتزل البدع وبينها اضطجع»، أي أنه يدعي الالتزام بالقانون وأنه لا يتجاوز على صلاحية الآخر، ولا يتعدى دوره ولا يخالف الضوابط والإجراءات، في حين أنه غارق في التجاوز على صلاحيات الآخرين، ومن مصاديق ذلك ما نراه اليوم من تداخل في الصلاحيات بين دوائر الدولة والقطاع العام والخاص، أو بين الحكومة المحلية والاتحادية، وهذه كلها تجاوز على الصلاحيات، فلا بد للمسؤول من الالتزام بالصلاحيات التي له.

لقد لخص أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ صورة هذا المسؤول بالقول «فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان». فهو لا يأخذ من الإنسانية شيئاً سوى الشكل وفي داخله حيوان مفترس، «لا يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب العمى فيصد عنه، فذلك ميت الأحياء فأين تذهبون، وأنى تؤفكون» لا يميز بين الصواب والخطأ فتلتبس عليه الأمور وتشتبك وتختلط، فيتخبط ويتخذ قراراته التخبطية، فهو حي ولكن جوهر الحياة وفلسفتها غائبان عنه، إنما هو ميت يتحرك على الأرض... وللحديث صلة تأتي لاحقاً، اللهم صل على محمد وآل محمد.

تميز لافت للشباب العربي

إن الانفتاح العربي الواسع النطاق نحو الديمقراطية والحريات العامة والانفتاح الاقتصادي وتعزيز الديمقراطية في العالم العربي، يمثل تطورات فريدة في العالم العربي، يجب أن نتوقف عندها لنقرأ الرسالة التي تنطوي عليها مثل هذه التغييرات. إن الملفت للنظر في هذه التغييرات التي تحصل على مستوى الوطن العربي هو الدور المميز للشباب الذي استطاع من خلاله الظهور بمستوى عال من الحنكة والحكمة والإدراك، وعبر عن قدرة فائقة على إدارة تحولات بهذا الحجم والسعة والتعقيد.

مما يثير الدهشة هو انتظام الجمهور العربي وتهيئته وتعبئته بعيداً عن الوسائل التقليدية، في ظل غياب أحزاب وقوى سياسية مؤثرة وإمكانيات إعلامية واسعة، استطاع هؤلاء الشباب من خلال وسائل الاتصال الحديثة، عبر الفيسبوك والتويتر التعبير عن مثل

هذه المطالب الكبيرة، والتعبئة الواسعة وتحشيد الناس للمطالبة بالإصلاحات وغيرها من التحولات الكبرى . .

مبادئ إستراتيجية التغيير الديمقراطي

إن هذه التحولات الكبرى تتطلب رؤية فكرية وتنظيرية حول مبادئ يُحتكم إليها في عملية التغيير، وتتأطر فيها عملية الإصلاح المرجوة في هذه التحولات. وهو ما يعبر عنها بإستراتيجية التغيير الديمقراطي التي تعتمد على جملة مبادئ، ولا بد لهذه المبادئ من أن تكون مبادئ مجمعا عليها من قبل الجماهير الثائرة، حتى تنتظم الأمور وإلا ذهبت الشعوب الكريمة إلى المجهول. . فكل حركة ثورية لا تخضع لمبادئ واضحة تنظم مساراتها ستقع في مشاكل كبرى. . وفي ظل هذه التحولات يجب أن نقف عند المبادئ التي تستند إليها الشعوب الثائرة لتنتظم هذه الثورات في أطرها الصحيحة. ونعتقد بأن هناك مبادئ سبعة يجب اعتمادها حتى تصبح تلك التحولات رافدا إيجابيا جديدا يعطي الزخم للشعوب العربية الكريمة ويساعد على إيجاد توازنات ومشهد سياسي إقليمي يحفظ مصالح الوطن العربي والمسلمين والمنطقة برمتها، وهذه المبادئ هي :-

المبدأ الأول: التوازن بين الأمن والثورة، فلا يجوز مصادرة الثورات والاعتداء عليها باسم الحفاظ على الأمن، ولا يجوز المخاطرة بالسلم الاجتماعي والأمن المجتمعي للشعوب العربية الكريمة تحت غطاء الاحتجاجات والإصلاحات التغييرية. ولا بد من توازن بين هذا وذاك بما يساعد على تحقيق المطالب من دون أن نخاطر بالأمن والسلم الاجتماعي للشعوب الكريمة. يجب أن نرفع شعار نعم للحرية ولكن كلاً للفوضى. . . . كلاً للفوضى وكلاً للاستبداد. . . الفوضى من قبل بعض الأوساط الشعبية، وكلاً للتعسف من قبل الأنظمة الحاكمة. . وهذا هو التوازن الذي يحقق انتصارا كريما لهذه الشعوب في سعيها لنيل حقوقها.

ثانيا: احترام التعددية القومية والدينية والسياسية والمذهبية والمناطقية والقبلية وإلى غير ذلك من خصوصيات تشهدا المجتمعات العربية، إن هذا الاحترام للخصوصيات التي يشهدها الوطن الواحد قضية لا يمكن التهاون فيها لتحقيق الانتصارات الكبرى عبر هذه التحولات، ولا مجال للاستمرار في أنظمة دكتاتورية وشمولية تحبس أنفاس المواطنين.

ثالثا: لا مناص من الحوار السلمي البناء الهادئ الهادف الذي تجر به الشعوب فيما بينها

أو بينها وبين الأنظمة الحاكمة، بما يضمن تحقيق الديمقراطية وتلبية متطلبات الشعوب وتحقيق إرادتها بأقل الخسائر الممكنة. إن هذه الحوارات تمنع التدخلات الخارجية وتمنع المخاطرة بثروات وأرواح ودماء تلك الشعوب وإرادتها، ولا مناص من وجود تلك الحوارات لإيجاد مثل هذه التحولات وتلك الإصلاحات.

رابعا: إن الأساس في تلك الإصلاحات هو الحفاظ على وحدة هذه البلدان على كل الأصعدة. وحدة ترابها ووحدتها الداخلية الوطنية. ولكل شعب من هذه الشعوب تعددية فلا بد من تحقيق وحدة وطنية لكل شعب من هذه الشعوب الكريمة. ولا بد من أن تبقى هذه البلدان موحدة، وألا نذهب إلى خيارات التجزئة، إن وحدة المصير المشترك لهذه الشعوب حينما تنتظم في مصير واحد وضمن أهداف واحدة. يجب أن نستنكر محاولات التبعيض والتمييز والفرقة التي يسعى إليها في إطار البلد الواحد ولا بد من أن نستنكر كل محاولات التجزئة لهذا البلد أو ذاك، ونقف بالضد من محاولات الذهاب إلى المجهول في أي بلد من هذه البلدان.

خامسا: إننا نقف مع أنظمة دستورية تلتزم القانون وتعتمد الموضوعية في مجمل إجراءاتها وسياقات عملها، وتستند إلى الشفافية في عرض الحقائق والوقائع التي تجري في بلدانها وتتعد عن الانفعالات التي تسيء إلى الشعوب وتعرضها إلى المخاطر الكبيرة، وتجنب التضليل الإعلامي الذي يراد له تصوير الأمور بعيدا عن واقعها وبما يشعر الشعوب بمزيد من النعمة في ردود الأفعال. يجب أن نعتبر ذلك أساسا حقيقيا لتحقيق الانسجام والوفاق بين الشعوب وأنظمتها وضمن حالة الشعب الواحد.

سادسا: ضرورة الالتزام بالطابع السلمي الهادئ الإيجابي البناء والهادف لهذه لاحتجاجات والمسيرات والتعبير عن الرأي، من دون المخاطرة باللحمة الوطنية لتلك الشعوب أو تعريض الأبرياء إلى مخاطر أو تبيد الثروة الوطنية لهذا الشعب أو ذاك، أو شل حياة المواطنين اليومية في هذه البلدان، ونقف بالضد من القمع الهجمي الذي تمارسه الأنظمة ضد الشعوب أو الشعارات غير المنضبطة أو غير المسؤولة، والأسقف غير الواقعية للمطالب التي تطرح من قبل هذا الطرف أو ذاك..

سابعا: إننا مع بناء دولة المؤسسات التي تحترم القيم العربية والإسلامية والإنسانية التي كانت ولا تزال وستبقى أساسا مهما للحفاظ على وحدة هذه الشعوب وهذه البلدان الكريمة. إن احترام الخصوصيات والمشاعر والتقاليد والأعراف الطيبة الكريمة لهذه الشعوب يعد مدخلا إنسانيا لرص الصفوف وتحقيق الإصلاحات بأقل الكلف، واستنكار

استهداف البنى التحتية لأي من البلدان الكريمة وتخريب أو حرق مؤسسات الدولة وسرقة الممتلكات العامة، ونستنكر التجاوز على الحرمات والمقدسات لأي من الشرائح التي تعيش في هذه البلدان الكريمة.

إن هذه المبادئ السبعة تمثل الإطار الصحيح لإستراتيجية التغيير الديمقراطي في ظل التحولات الكبرى التي تشهدها المنطقة. وندعو الجامعة العربية إلى إدراج هذه المبادئ في جدول أعمال القمة العربية التي ستعقد في بغداد السلام، وندعو منظمة المؤتمر الإسلامي إلى أن تأخذ دورها الكبير في إشاعة ثقافة الالتزام بهذه المبادئ في التعامل مع الدول العربية والإسلامية، واعتبارها أساسا في حل الصراع المحتدم الذي تعيشه الشعوب مع أنظمتها. كما أوجه ندائي إلى وسائل الإعلام في إشاعة هذه المبادئ واعتبارها أساسا للتغيير من دون المخاطرة بالأمن الوطني والإقليمي في المنطقة العربية.

استحقاقات الشراكة

إن الوضع في المشهد العراقي يشهد تطورات ملحوظة لعموم المواطنين، وموضوع الشراكة ما زال يمثل الطموح والهاجس للعديد من القوى السياسية المؤثرة في المشهد العراقي. إن الشراكة السياسية كالشراكة الاقتصادية تتطلب إيجاد التوازن المنطقي والصحيح لإنجاحها لأنها شراكة في القرار وتوازن في الفرص والقرار وتوفير الخدمة وتقديمها للمواطنين. وكلما كانت الشراكة في الفرص والقرار أوضح، كانت شراكة في المسؤولية والتبعات، في المغانم والمغارم، في الإنجازات والتلكؤ.

ولكن من المؤسف أنه حينما يحصل انتصار فهناك من يبادر ويحسب هذه الانتصارات لنفسه، وحينما تحصل كبوة فهناك من يبادر ويحملها للجميع. إنها ليست معادلة متوازنة ولا يمكن أن تحقق المبدأ الحقيقي للشراكة. إن حجم المسؤولية التي يتحملها كل طرف من أطراف العملية السياسية في ساحتنا العراقية بحجم مشاركته في القرار، وفي مواقع الخدمة العامة وخدمة المواطنين، كالشركاء في مشروع اقتصادي معين، يشتركان بالربح والخسارة وكل منهما يتحمل الخسارة بنسبة الربح في ذلك المشروع. إن الشراكة السياسية كالشراكة الاقتصادية. وكلما كان حجم الربح والفرص والأدوار كبيراً كان حجم تحمل الأخطاء والأعباء والمعوقات بنفس النسبة، لذلك الكل يتحمل المسؤولية تجاه التبعات بنسبة فرصته في الإسهام والتعبير عن آرائه في خدمة المواطنين.

تكامل الأدوار بين الحكومة والبرلمان

إن الحكومة ومجلس النواب جناحان نظير بهما في توفير الخدمة لهذا الشعب الكريم . وهذا يتطلب التعاون الحقيقي بين هاتين المؤسستين وتكامل الأدوار في ما بينهما ، واحترام كامل المساحات والأدوار والمهام الملقاة على عاتق كل منهما من قبل الآخر . إن الحكومة يجب أن تتحمل المسائل التنفيذية في إدارة البلد ، وتقديم مسودات القوانين لمجلس النواب ولكن في أجواء بعيدة عن التهديد للمؤسسة التشريعية . والبرلمان يتحمل مسؤولية التشريع والمراقبة والإشراف على الدور الحكومي من دون أن يقع في تعطيل الدور الحكومي في أداء الواجبات التنفيذية لخدمة المواطنين .

إننا نقدم كل الدعم لمؤسسات الدولة من حكومة وبرلمان وقوى سياسية ومؤسسات مجتمع مدني ، في كل خطوة إيجابية يخطوها الجميع باتجاه خدمة الوطن ، وسنعتبر عن تحفظاتنا الواضحة تجاه كل خطوة سلبية تتقاطع مع مصالح المواطنين . إن الإطار العام الذي وضعته الحكومة الموقرة عند تشكيلها يمثل أساسا مهما يجب الالتزام به ووضع الخطط العامة على أساسه في البرنامج الوزاري الذي لم يجد النور والضوء حتى هذه اللحظة .

شروط معالجة الفساد

إن مكافحة الفساد الإداري والمالي يمثل أساسا ضروريا في خدمة المواطنين ومعالجة الإشكاليات الكبيرة في مشروعنا الوطني . وخدمة الناس وموضوعه النزاهة ومكافحة الفساد يجب أن تخضع لشروط أربعة :-

أولا / أن تكون من دون تعطيل ، فلا يصح أن تصبح الإجراءات الرقابية حالة معطلة تسلب المسؤول قدرة اتخاذ القرار ، وتعطيل شؤون البلاد ومصالح الناس .

ثانيا/ أن تكون من دون تسييس ، فلا تكون هناك خلفيات سياسية وراء إجراءات النزاهة وإجراءات الرقابة من قبل أجهزة الدولة ، كما لو أن هذا الحزب شجع على التظاهرات فيتم اتخاذ إجراءات لإخلاء مقار السياسيين على أنها أبنية الدولة ، فيما هناك قوى سياسية تحتل مثل هذه المواقع على اعتبار أنها ضريبة الديمقراطية ووضع يجب أن نقبل به .

هذه الخلفيات توحى بإجراءات سياسية وتوظيف للنزاهة بخلفيات سياسية معينة . كما إن الإجراءات الرقابية يجب أن تبتعد عن التسريب والتشهير وتسريب معلومات عن أشخاص معينين على خلفية معلومات غير دقيقة وغير قطعية وغير مدروسة ، وتُسرب

إلى وسائل الإعلام، والكل يتحدث عن هذا المسؤول وكأنه ارتكب جريمة وقد لا تكون تلك المعلومات واقعية وصحيحة. وبهذا يتم التشهير بالكثير من الشخصيات الوطنية.

ثالثا/ أن تكون الإجراءات من دون تمييز فلا توجه إلى البسطاء من الموظفين وتجمد على كبار الموظفين، ولا توجه إلى الضعفاء ويعفى الأقوياء، لتكرس حالة التمييز الطبقي بين المسؤولين والمتصددين لمراكز الدولة.

رابعا/ أن تكون من دون تعويم، إننا نحتاج إلى إجراءات للمراقبة والنزاهة والمتابعة تتسم بالشفافية والوضوح والموضوعية وتستخدم الوسائل العلمية بالوصول إلى المتورطين بالفساد ووضع اليد عليهم، وتراعي كرامة وسمعة الناس وتحترم وتقدر العديد من العاملين المخلصين الذين لم تمتد أيديهم إلى المال الحرام بأي شكل من الأشكال.

معالجة التردّي الأمني

إن الوضع الأمني وتطوراته السلبية من خلال استخدام كواتم الصوت والاعتقالات والتفجيرات وإلى آخره يؤشر إلى ضرورة دراسة هذه الحالة المتزايدة، ومعرفة أسباب الضعف في الواقع الأمني الذي أدى إلى تطورات سلبية بهذا الحجم. وقد يكون من هذه السبلات هو عدم ملء الشواغر الأمنية في الوزارات الأمنية، ويجب الإسراع بملء هذه الشواغر وترشيح أسماء للوزارات الأمنية. وإذا كان الترشيح لبعض الأسماء التي كانت مطرودة أو مشمولة بالمساءلة والعدالة فهناك أسماء أخرى طرحت غير مشمولة بهذه المؤشرات، وهي شخصيات وطنية كفوءة قادرة على النهوض بالواقع الأمني، فلماذا لا يتم اختيار تلك الشخصيات حتى نتقل بالبلد إلى وضع مستقر وآمن؟.

علينا وضع خطة واضحة وتعريف الناس بها حتى نحد من هذه الجرائم التي نستنكرها ونتضامن مع عوائل الشهداء والجرحى الذين سقطوا في هذه الجرائم الإرهابية، ولكن علينا وضع حد لنزيف الدم المستمر وتحقيق المزيد من الاستقرار والأمن في بلدنا الكريم. علينا تطوير الجهد الاستخباري لمعالجة هذه الخروقات الأمنية وليس الإكثار من الحواجز ما يجعل المواطنين ينتظرون ساعات طويلة خلف تلك الحواجز، ما يضيع عليهم الوقت الطويل وهم في طريقهم للعمل أو البيت أو التنقلات، ما يحول هذه الإجراءات إلى عقوبة جماعية للمواطنين ويسيء إلى أوقات الناس وتحركاتهم ومصالحهم.

نشيد بالقوات الأمنية ونشد على أيديهم ونتمنى لهم المزيد من الجهوزية والحدرد في أداء واجباتهم . كما نشدد على أن أبناء شعبنا يتوقعون من الأجهزة الأمنية مزيدا من الاهتمام في الحفاظ على كرامة المواطنين واحترامهم وتقديرهم والحفاظ على هذه السيطرات والحواجر في عملية التفتيش والرصد والمتابعة ، لأن الأغلب ممن يقفون على هذه السيطرات هم وطيون وشرفاء ولا بد من أن تتم الإجراءات الأمنية بالطريقة التي تحافظ على كرامة المواطنين . أدعو إلى مزيد من التدقيق في التعامل مع المواطنات العراقيات المعروفات بعفتهن وسمو أخلاقهن ، ويجب أن تحظى المرأة العراقية بمختلف الأعمار بالتوقير والاحترام ، ما يتطلب المزيد من التدقيق لسلوكيات بعض المنتسبين في تلك السيطرات .

تظاهرات نينوى

نتعامل باهتمام مع مطالب أهلنا في نينوى ونتعامل باحترام مع كل مطلب وطني حق ، ونتعاطف مع كل مطلب وطني حق لعشائر الموصل الوطنية العريقة المعروفة بحبها للعراق ، ونتمنى من الحكومة المحلية والاتحادية تلبية مطالب الأهالي في الموصل وهم الأوفياء لوطنهم ولسيادتهم والشركاء الحقيقيون في هذا الوطن الكريم . . وأشدد على ضرورة الحدرد من أي اندساسات أو اختراقات لجهات مشبوهة تحاول جرّ هذه التجمعات لمآرب معادية لأبناء الموصل والعراق . كما شهدنا فيضانات مؤسفة في العديد من المناطق في كردستان ونينوى وكربلاء ، ونأسف لكل الضحايا ، ونشكر الجهات المسؤولة التي خصصت الأموال ونخص بالذكر مدينة سنجار وأربيل .

مباركة وشكر

نبارك لشركائنا المسيحيين عيد الفصح ونتمنى لهم العودة إلى العراق الذي يعتز بهم وبوجودهم . ونعزي أبناء البصرة الفيحاء بسقوط عدد من الضحايا وهم في الطريق إلى العمرة . . . شكرنا لأبناء المثنى الكرام الذين وجدنا فيهم الكرم والترحاب وحسن الضيافة ، وهذا دأب أبناء المثنى ، ولكنني أسف لما لاحظته من قصور الخدمات في هذه المحافظة الكريمة ، وأتمنى من الحكومة الكريمة حل ملف الخدمات ونجدد مطالبتنا بتوسيع صلاحيات مجالس المحافظات بما يسمح بتقديم الخدمة الملائمة للمواطنين .

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١١/٥/٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل إخواني الأكارم أخواتي الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب، في مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين .

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة، وذكرنا أن عهد أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر يمثل اختزالاً لهذه النظرية، وذكرنا أيضاً أن المنظومة القيادية في الفهم الإسلامي لا يقصد منها القيادات من الصف الأول كالأمراء والرؤساء والزعماء والقادة وحدهم، وإنما تمتد لتشمل كل المنظومات والدوائر وصولاً إلى الأسرة التي فيها من يقود ومن يتصدى، فكل من يتحمل المسؤولية ويتصدى لمهمة من المهام عليه أن يجسد هذه الخصال وهذه الصفات في نفسه .

ومن الطبيعي أنه كلما توسعت المنظومة القيادية، كان الالتزام بهذه الصفات ذا أهمية أكبر، ولكن تبقى هذه الملامح وهذه المعالم إنما تمثل الإطار للإدارة والقيادة في الفهم الإسلامي . وكان حديثنا في المقطع الثالث من مقاطع هذا العهد الذي ينظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، بين المتصدي ومساحات التصدي، وتحديثنا في الأسابيع الماضية عن قوله عليه السلام: «وقد استكفأك أمرهم وابتلاك بهم» وذكرنا أن الكفاية في التصدي

وتحمل المسؤولية بمعنى حسن الأداء، فكان أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول يا مسؤول إذا ما أردت أن تتصدى للمسؤولية فعليك أن تحرز وتتأكد من توفر مقومات النجاح قبل أن ترشح نفسك إلى موقع لست قادرا على العطاء فيه، وإذا رُشحت من الآخرين فلا تقبل الترشيح وارفضه في حال لم تكن مستجمعا للشروط في إنجاز هذه المهمة وتحقيق الكفاية فيها. وهنا انتهينا إلى مراجعة المواصفات المطلوب تحققها في المسؤول.

المواصفات القيادية

وذكرنا أن مجمل النصوص الواردة تشير إلى خمس مواصفات أساسية يجب أن تتوفر في الإنسان حتى يتصدى إلى المسؤولية، وشرحنا بإسهاب العديد من هذه الصفات واستعرضنا الآيات والروايات الدالة على الاهتمام بهذه الصفات، فتحدثنا عن الدراية التي تعني الرؤية والتخطيط الاستراتيجي والقدرة على استشراف المستقبل، وأن يكون الإنسان على دراية بما يتصدى إليه من مهام ومسؤوليات، وأن تكون له بصيرة ورؤية ووضوح عن الآفاق المرجوة في تحقيق أفضل مستويات النجاح في هذه المهمة، وتحدثنا عن المعرفة، وقلنا يجب أن يكون الإنسان عارفاً أي كفوءاً في تفاصيل المهمة المناطة به، فلا يقع في الإفراط ولا التفريط، لا يزيد ولا ينقص، مما يحقق حالة التوازن والنجاح في الأداء.

وتحدثنا عن العدل، والعدل هو وضع الشيء في موضعه، فلا بد لمن يتصدى لموقع من مواقع المسؤولية من أن يتعد عن الانفعالات والمزاجية والآراء الخاصة، وأن ينظر بموضوعية ضمن السياقات الصحيحة، حتى لو كان القرار الذي يتخذه مما يجلب منفعة لغيره أو يحمله تبعات وأضراراً لحزبه أو لشخصه، ولكن المصلحة العامة تتطلب كما أشرنا إليه في التفصيل أن يقوم المسؤول بواجبه تجاه الجميع من دون استثناء، فكل مواطن يحمل جنسية العراق فهو مواطن عراقي، ويستحق كل حقوق المواطنة، سواء كان هذا المواطن يؤمن بالمنهج السياسي والرؤية السياسية التي يؤمن بها هذا المسؤول أو ذلك أو ليس كذلك، فالاختلاف في الرؤية والموقف السياسي والانتماء الديني والمذهبي والقومي لا يغير شيئاً من حقوق المواطنة.

وهكذا على المسؤول ألا يفرق بين المواطنين على خلفيات من هذا النوع، إنما يتحمل المسؤولية تجاه الجميع، فحينما يكون الوزير كرديا أو شيعيا أو تركمانيا أو مسيحيا أو صابثيا فهو وزير لكل العراق، وهكذا في أي بلد آخر. والصفة الرابعة هي القوة، والقوة ليست في الجيوش واستخدام وسائل الفتك بالناس والضغط عليهم،

وتخويفهم وإرغابهم . وإنما القوة في إمكان تحقيق النتائج والمهام ، فهي في الفهم الإسلامي لها معنى أبعد من استخدام القوة والعنف المفرط والجيش والأجهزة القمعية ، فهذه الوسائل دليل ضعف وليس قوة . بل إن القوة هي في أن يتمكن المسؤول من إقناع الجمهور بالنظم والسياقات الصحيحة ، وتحقيق النتائج بأقل الأضرار .

الصفة الخامسة: النزاهة

انتبهنا إلى الصفة الخامسة المطلوبة وهي صفة النزاهة ، حيث يجب أن تتوافر النزاهة في من يتصدى لمواقع المسؤولية ، والنزاهة في الفهم الإسلامي لها معنى أوسع بكثير من النزاهة المالية كما يفهم اليوم في مصطلحاتنا ، فحينما يقال هيئة نزاهة يعني أنها ترأب من يتجاوز من رجال الدولة على المال العام ، أما النزاهة في الإسلام فتأخذ شكلا واسعا ، وقد تحدثنا حول عدة نقاط في النزاهة ، وقلنا إن حب الدنيا يتقاطع مع النزاهة ، لأنه بداية كل خطيئة ويتقاطع مع العدل ومع الإجراءات الصحيحة ولا يحقق النجاح ، فحب الدنيا يدفع نحو الاحتكار والاستحواذ والاستفراد في القرار والرأي والموقع . كما أن الاعتراف بالرأي وعدم الاكتراث بآراء الآخرين ممن يحيطون بالمنظومة القيادية أمر لا يحقق النجاح .

الضعف أمام الإجراءات

إن حب الرئاسة والسلطة والتشبث بالموقع والاستعداد لاتخاذ أية خطوة من أجل البقاء في الموقع ، كل هذا يتقاطع مع النزاهة ، ومنها أيضا الرغبة في الشهرة حين تكون الهاجس الوحيد للمسؤول واهتمامه بكيف يصفق له الآخرون ، الاهتمام بالأمان والآمال الطويلة للشخص ونجاحاته وواقعه مما يجعل الشخص المسؤول غير قادر على أن ينظر بموضوعية إلى الأمور ، ويكون ضعيفا أمام المحفزات المالية من أصحاب العقود والمقاولين بغض النظر عن التلاعب ، حيث يحقق المقاول أرباحا بمائتي مليون دولار فيقدم مليونين أو ثلاثة أو عشرين مليونا لهذا المسؤول أو ذلك بطريقة ما . كذلك الضعف أمام الضغوط ، كما لو أن قوى سياسية تلوح بالانسحاب لممارسة ضغوط معينة فيخضع لها المسؤول ، كل هذا يتقاطع مع النزاهة . إن على المسؤول حين يقبل بالتصدي لمواقع المسؤولية أن يكون حريصا على مصالح الناس في المنظومة التي يتصدى لإدارتها ، فيجب أن يكون قويا في مواجهة الضغوط وعظيما في نظرتة وفي تعامله مع المسائل .

العفة والصبر

كذلك يجب تجنب هتك الحرمات ونشر الغسيل وكشف المستور من أعراض الناس ، لمجرد أنه يختلف معهم سياسيا وحزبيا ، إننا حينما نجد اليوم كل هذا التشويش في ساحتنا وفي وسائل الإعلام التي تتحدث عما يستحق وما لا يستحق وما هو صحيح وما هو غير صحيح ، فإن مثل هذه المسائل تكشف عن حالة من الضعف في نزاهة المسؤول الذي يخرج ويشهر بالآخرين قبل التدقيق والتمحيص في المعلومات التي توافرت لديه .

إن من يكون في موقع المسؤولية يجب أن يكون صبورا وكتوما ، وأن يتحمل ولا يعمل بقناعاته الخاصة لتسقيط الآخرين ، فهذه عفة ، والعفة ليست في السلوك الشخصي والأخلاقي فقط ، فهذه هي العفة الاجتماعية ، كيف يشيع الهدى ويمنع من انتشار الفضيحة ، وكيف يحافظ على أسرار الناس وأعراضهم ، فمجتمعنا حينما يجد المعلومات تنتشر وهي غير ممحصة فإن في ذلك تشجيعا للمواطن العادي على اقتراف الأخطاء ، ما دام يرى أن علية القوم بهذا الوضع الذي يشاع عنهم . وهذه أيضا من القضايا التي تحتاج إلى معالجة وهي تتقاطع مع مفهوم النزاهة .

ضيق الأفق

واحد من العوارض التي تتقاطع مع النزاهة هي ضيق الأفق والتحجر ، فيجب على المسؤول أن يستوعب ويتحلى ببعد النظر ، وألا ينظر إلى العالم بعينه المجردة ، إن ضيق الأفق وعدم تحمل الآخر والقبول به يجعل المسؤول غير قادر على اتخاذ القرارات الموضوعية ومراعاة التوازنات المطلوبة لتحقيق النجاح .

الإيفاء بالعهد

ومن العوارض أيضا حالة الغدر وعدم الوفاء ، فلا بد من التخلي عن قناعة أن السياسة تلزم بعدم احترام الالتزامات والاتفاقات السياسية ، فالمؤمنون عند شروطهم ، وهذا ما قد يفعله التاجر فلا يوجد التزام بأية وثيقة أو تعهد بحجة أنها التجارة ، فأين الصدقية وأين الأطر والمبادئ حينما يبرر للأخطاء وللغدر وعدم الإيفاء بالالتزامات بتبريرات مصلحية أو بأنها مناورات سياسية أو تكتيكات ، وما أكثر الاصطلاحات التي تستخدم اليوم في تبرير هذه الأمور ! . حينما تشيع حالة من الشك بين الأطراف السياسية المختلفة ويصبح من الصعب الاعتماد على كلام ووعده بين المسؤولين والمواطن ، تكون ثمة مشكلة ، حيث يفقد

المسؤول صدقيته ويفقد الناس ثقتهم بكلامه ، كما نرى لدينا في قضية الكهرباء والأسقف الزمنية التي تُخلف في كل مرة ، إن الالتزام بالعهود والموثيق جزء أساسي من النزاهة .

آفة الطمع

الطمع يتقاطع مع النزاهة ، فالمسؤول حينما يكون لديه طمع في المال أو في الوصول والتسلق إلى المواقع يفقد التوازن والقدرة على اتخاذ القرار الصحيح . ويصبح من الصعوبة بمكان أن يفكر بالمصلحة العامة ، لأنه يرى دائما مصلحته في الموقع الذي يريده والفرصة والمال الذي يسعى إلى الحصول عليه ، فيبقى يعيش هو اجسه الخاصة وبالتالي لا يقدم خطوة صحيحة بالاتجاه الصحيح .

سوء الخلق

إن سوء الخلق والتعامل السيئ من الأمور التي تتقاطع من نزاهة المسؤول ، وهناك بعض السلوكيات التي تنم عن سوء الخلق ، كالحديث بطريقة خشنة والجلوس بوضع معين فيه الكثير من التعالي والغطرسة واحتقار الآخرين ، كذلك شيوع حالة استخدام العبارات البذيئة ، وهناك ثقافة شائعة للأسف تقول إنه لا أحد سيطيعك ما لم يكن صوتك حادا وأن تشتم من هو دونك في المسؤولية ، فالمدير العام يصرخ بوجه الموظف والموظف بوجه زميله في موقع أدنى ، وهكذا فكأنه لا مجال للضبط الإداري إلا من خلال الإساءة للآخرين ، من وضع هذه الضوابط الغربية التي تتقاطع مع أخلاقياتنا العربية والدينية والاجتماعية؟ . إنها ظاهرة مؤسفة حين تتحول هذه السلوكيات إلى ثقافة ، ويُنظر إليها على أنها أسلوب يحقق النجاح الذي يتطلب مثل هذه الإساءات .

الحقد

المسؤول الحقود لا يستطيع أن يكون نزيها ، ولا يستطيع أن يكون متوازنا دائما ، فنار الحقد تشتعل في صدره ويبحث عن الانتقام من هذا وذلك ، المسؤول الحاقد هو من يعمل على توظيف الموقع المعنوي والإمكانات المادية التي تتيحها له السلطة لأجل تصفية الخصوم وضرب المنافسين والإساءة إلى الآخرين والضغط عليهم ، مثل هذا المسؤول ليس نزيها ، وهو من خلال هذه السمات من المكر والخديعة واللف والدوران يجعل الأطراف تتنافس وتتصادم وتتصارع ، وهو عنوان يستفيد من خلال ضرب الأطراف بعضها ببعض ، وهذه السلوكيات لا تتسجم مع مفهوم النزاهة للمسؤول كما يراها الإسلام .

الغلظة والشدة

الغلظة والشدة في التعامل واستخدام القوة المفرطة لا تنسجم أيضا من النزاهة ، فحين يكون للمسؤول مستوى من الصلاحيات فهذا لا يعني أنه يجب استخدام أعلى السقوف دائما ، كإنزال العقوبات القاسية من دون مراعاة لاعتبارات إنسانية ومعنوية ، وكأنه أصبح مسؤولا لإيذاء الناس ! في حين يتوجب على المسؤول أن يجعل الناس في منظومته القيادية محبين وعاشقين ولكن ليس من منطلق الخوف . وقد نرى أحيانا كيف أن بعض المنظومات القيادية حينما يخرج منها المسؤول ويأتي مسؤول آخر فإن الجميع يهرعون إلى المسؤول الجديد حاملين ملفاتهم التي أخفوها وينهمكون في رفع الدعاوى القضائية على الوزير أو المسؤول السابق ، ولا يمكن إلا أن نفهم أن سر هذا التصرف هو الحقد والضغينة ، ولكن كيف تولد هذا الحقد؟ . إن السبب في عجز المسؤول عن إقامة علاقة مودة ومحبة كما شرحناها في دروس سابقة عن علي عليه السلام . . وهذه أيضا تتقاطع مع النزاهة .

فقدان الثقة

أزمة الثقة والشكوك ومنطق المؤامرة ، تجعل الشغل الشاغل للناس في المنظومة القيادية أن يبرروا مواقفهم ، نتيجة لسيادة حالة الشكوك ، وحين يعيش المسؤول مثل هذه الحالة فإنه يفقد الثقة بكل منظومته القيادية ، وهذا يتقاطع مع النزاهة ، وفيه اتهام للناس بتهم خطيرة .

الإصرار على الرأي

اللجاجة في الرأي ، وكأن المسؤول هو من يعرف كل شيء فيما الآخرون لا يعرفون شيئا ، فيتدخل في كل التفاصيل الصغيرة والكبيرة ، ولا يقبل بنصيحة الناصحين والخبراء والمستشارين من ذوي الاختصاص ، مع أن هذا المسؤول في منصب سياسي ولم يتعرف بعد مثلا على تفاصيل عمل الوزارة التي تقلد مسؤولياتها ، فيكون دأبه الإصرار على رغباته او جتهاداته الخاصة ، والمؤسف أنها قد تكون مخطئة في كثير من الحالات فيما يدفع البلد ضريبة هذا التسرع في القرار ، ونحن نرى القرارات التي تتخذ في أعلى مناصب الدولة وما فيها من التخبط وعدم الاتزان ، وهذا كله يتقاطع مع النزاهة أيضا ، وللحديث صلة . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

إستراتيجية التغيير الديمقراطي

ما زال الوضع في المنطقة العربية يشهد تقلبات وتحولات دامية . والمؤسف أن نجد بعض الحكام متشبثين بالسلطة ومستعدين لإزهاق الأرواح البريئة وقتل الناس بالجملة والإساءة لمقدرات الشعوب ، من أجل البقاء على كراسيهم ومقاعدهم دون الاكتراث بكل هذه المضاعفات الحساسة والخطيرة من جراء هذه المواقف ، ولكن بارقة الأمل في السنن الإلهية حيث تغلب إرادة الشعوب وسوف تقهر كل الإرادات الضيقة والأنانية والانتهازية لبعض هؤلاء الحكام ، وستبقى الشعوب الحية والثائرة قادرة على تحقيق تطلعاتها الصالحة باحثة عن العزة والكرامة وعن الحقوق المسلوبة ، وستتمكن هذه الشعوب بإذن الله تعالى وبفضل هذه السنن التي تحكم مجرى التاريخ منذ آلاف السنين أن تسيطر وتتمكن من حقوقها والحصيلة ستكون لصالح هذه الشعوب .

إنه عصر الشعوب المتحررة وعصر الشباب القاهر لكل هذه الإرادات الانتهازية والنفعية ، والذي سيحقق أعظم الإنجازات في قادم الأيام وستغلب إرادة المجموع أي إرادة حزبية أو فئوية أو انتهازية لهذا الحاكم أو ذاك . ومازلنا نعتقد بأن إستراتيجية التغيير الديمقراطي التي أطلقناها في الأسبوع المنصرم قادرة على أن تمثل الحل والإطار للتعامل مع هذه التحولات الديمقراطية الكبيرة ، ولذلك نجدد توصياتنا لجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي والأمم المتحدة وسائر المؤسسات والمنظمات الدولية للاستفادة من هذه الأفكار والمبادئ في تنظيم عملية التحول الكبير الذي تشهده المنطقة .

إن هذه المبادرة تحفظ التوازن بين النزعة في الحفاظ على السلم الأهلي والأمن المجتمعي الذي تجنح إليه الحكومات والأنظمة ، والرغبة في التحرر واستعادة الحرية والكرامة والانتظام في دساتير وقوانين كما ترمي إليها الشعوب الثائرة .

مقتل ابن لادن

إن استهداف رمز الإرهاب والقاعدة ابن لادن وقتله ، بعد أن تسبب باستشهاد عشرات الألوف من الأبرياء في مناطق مختلفة من العالم ، وخلف جيوشا من الأرامل والأيتام ، خلف أولئك الضحايا والشهداء ، مما مثل كارثة إنسانية كبرى تحمل أعباءها المسلمون بالدرجة الأساس وانعكست على العالم الإنساني برمته بشكل من الأشكال ، وما خلفه من تركة ثقيلة وسمعة سيئة عن الإسلام دين السلام والتسامح والانفتاح على الآخر

والتعامل مع الآخر ، فأصبح في نظر الكثيرين في عالمنا اليوم دين الضلال والانغلاق ودين الاعتداء على الآخر بغير وجه حق .

إن مقتل ابن لادن يمثل بسمه وفرحة على شفاه كل أولئك الأرامل والأيتام وكل إنسان يبحث عن السلام وكل من يقف بوجه التشدد والتطرف ، وهو انتصار لتلك الدماء البريئة وانتصار للرؤية السمحاء في ديننا الحنيف ، نتمنى أن يكون مقتله سبباً في انحسار التشدد والتطرف والظلام وانبثاق الأمل في المستقبل المشرق للمسلمين من خلال التعايش بين المذاهب والأديان والتوجهات السياسية المختلفة ، وتحمل البعض للآخر في مجتمع أريد له أن يكون متنوعاً ومتعدداً مهما اختلفت الديانات والمذاهب والقوميات والتوجهات السياسية وما إلى ذلك ، إننا نتمنى أن يكون مقتله سبباً في طي صفحة وفصل من فصول تأريخنا الإنساني حينما تبرز النزعات الشيطانية ، وتطغى في جهد الإنسان وتغطي بطاعات رحمانية دينية ، وسيبقى الكثير من الخفايا والأسرار مما يحتاج إلى كشف وإيضاح في قادم الأيام ، هل عجزت الولايات المتحدة بالفعل عن اعتقال ابن لادن والعثور عليه على مدار عشر سنوات بالرغم من الأجهزة العسكرية والاستخبارية المتطورة التي تمتلكها فيما أنها استطاعت الوقوف على أماكن اختفاء حكام وطغاة كصدام وميلوسوفيتش وغيرهم ، وكانت لهم منظومات استخبارية معقدة ، وحكموا بلدانهم لعقود واختفوا في بلدان يعرفونها بشكل جيد ولهم فيها موالون هنا وهناك ، وفي غضون سنة واحدة استطاعت الولايات المتحدة أن تعثر على هؤلاء وتعتقلهم ، فهل عجزت أن تعثر على ابن لادن على مدار عشر سنوات؟ . إذا كانت كذلك فتلك مصيبة ، أو أنها عثرت عليه منذ عدة سنوات كما تتحدث التقارير الإعلامية في أمريكا وأبقتة طليقاً لمصالح خاصة بها مما تسبب بمقتل الآلاف من الناس وهو معروف المكان والمصيبة حينذاك أعظم !.

وهل يعقل أن يعيش ابن لادن في قصر كبير على مقربة من واحدة من أكبر القواعد العسكرية الباكستانية وعلى مقربة من العاصمة الباكستانية لشهور طويلة بعيداً عن الجبال والكهوف الأفغانية ومع أزواجه وأبنائه ولا يعثر عليه أحد ، ولماذا قتل ابن لادن ولم يعتقل حتى يمكن التعرف على ظروف القاعدة وخططها المستقبلية ومصادر تمويلها وكيفية إدارة شؤونها الداخلية وإعدادها العسكري . وهناك من التقنيات ما تكفي لاعتقال رجل قابع في دار معروفة لباغت ويعتقل على حين غرة دون أن يقتل ، فلماذا يقتل بن لادن ولو كان يحمل السلاح في بيته ، وهناك من التقنيات ما تمكن هؤلاء من اعتقاله دون مقتله لتتعرف الشعوب والرأي العام على كل هذه الحقائق والأسرار ، إنها من أغاز القرن الحادي والعشرين وسوف تكشفها الأيام .

القضية الأمنية

الوضع في العراق لا يزال يشهد تطورات البطيئة وتمضي الأيام والأسابيع والأشهر دون حسم الملفات العالقة، التي تضغط على المواطنين على الدوام، إن السادة المسؤولين والقوى السياسية يتحملون مسؤولية كبيرة في التعامل المسؤول مع هذه الملفات وحسمها بأسرع وقت ممكن والتخفيف من أعباء المواطن في الجانب السياسي والأمني والخدمي.

فعلى المستوى الأمني مازلنا نشهد التفجيرات المتكررة ولا حظنا بالأمس التفجير في منطقة (أبودشير) الذي راح ضحيته أربعون شهيداً وجريحا والعديد من التفجيرات الأخرى في مناطق مختلفة من البلاد، وكذلك العديد من الشخصيات والضباط والمواطنين الذين يتم اغتيالهم بالأسلحة الكاتمة، وتلقى ونتابع مثل هذه الأمور بألم وحزن كبير، أليس من حق أبناء شعبنا أن يتعرفوا على أسباب هذا التراجم الأمني الذي نعيشه اليوم؟، أليس من جهة مقصرة في منظوماتنا الاستخبارية والأمنية تتحمل المسؤولية عن مثل هذا التراجم. . لماذا لا نصارح الشعب العراقي عن الأسباب والمناشئ وعن الجهات المقصرة لتقدم إلى المساءلة؟.

إن الدم العراقي عزيز علينا جميعاً وعلينا إيقاف نزيف الدم بتضافر الجهود ومتابعة ورصد هذه الاختراقات وتقديم المقصرين إلى المساءلة، كما إن تأخر تسمية الوزراء الأمنيين له الأثر البالغ في هذه المضاعفات الأمنية وقد أصبح أمراً غير مبرر، فهل عقت الأمهات أن تنجب شخصيات مستقلة ونزيهة وكفوءة لتكون في موقع وزير الداخلية أو الدفاع أو الأمن الوطني أو جهاز المخابرات، هناك فرصة حقيقية لاختيار هؤلاء الأشخاص حينما نبتعد عن الرغبات الخاصة، وحينما نستحضر المصالح العامة لاسيما في بلد يزخر بالعقول الكبيرة والشخصيات ذات التأريخ والأصالة.

العفو العام

يجري الحديث هذه الأيام عن العفو العام وطي صفحة الماضي، وهو حديث جيد، فنحن أبناء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وأبناء أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وأبناء الصحابة الكرام، وقد تعلمنا في مدرسة رسول الله وأهل بيته ألا نكون من الشامتين ومن يحمل التشفي والانتقام من الآخر، ولا بد من أن يكون مشروعنا الوطني قادرا على استيعاب كل الطاقات وكل القوى الراغبة بالانسجام مع العملية السياسية وخدمة العراق، ولكن يجب

ألا يتم ذلك على حساب الأمن العام للمجتمع أو الزهد بدماء الشهداء الذين سقطوا نتيجة الإرهاب الأعمى .

إن التقارير الأمنية تؤكد أن العديد من المجرمين المتورطين في الجرائم الأخيرة كانوا من أولئك الذين أطلق سراحهم في الأشهر القليلة الماضية، وهذا ما يبعث على إثارة تساؤل كبير حول طبيعة الإجراءات التي تسمح بخروج المجرمين ليعودوا إلى إساءاتهم وإجرامهم ويفتكوا بأبناء شعبنا، وهو ما يؤكد أهمية التوازن في هذا الموضوع والتفكيك بين الأبرياء أو الذين نتأكد من انسجامهم مع النظام السياسي الجديد، وأولئك الذين أوغلت أيديهم بدماء العراقيين وهم يتربصون الفرص للإساءة من جديد إلى أبناء الشعب العراقي .

استهداف المرجعية الدينية

شهدنا مؤخراً تصعيداً ملحوظاً في الإساءة للمرجعية الدينية، وهجوماً منظماً للتسقيط والتشهير بالمرجعية العليا وبمراجعنا العظام عموماً من خلال توزيع المنشورات الصفراء في العديد من المحافظات، ومن خلال مواقع الانترنت، ووسائل الإعلام وعبر شخصيات سياسية وحركات منحرفة. إننا نعرف جيداً أن الشجرة المثمرة هي التي تستهدف بالحجارة وأن هذا الاستهداف الظالم يعبر عن ثقل المرجعية ودورها المؤثر في مجتمعنا وفي قلوب وضمائر العراقيين جميعاً على اختلاف انتماءاتهم الدينية والمذهبية والقومية والسياسية .

ونعرف جيداً أن المرجعية الدينية عززت موقعها في العقول والقلوب على طول التاريخ عبر الاستهداف الذي تعرضت له من قبل الطغاة والظالمين، ومثل هذا التشويش والتشهير والاستهداف، لن يترك سوى كشف وفضح أولئك المتورطين بالإساءة للمرجعية والمزيد من الاندكاك والارتباط من قبل أبناء شعبنا بالمراجع العظام والمحبة والتقدير المتزايد لهم، إننا نستنكر هذه الإساءات ضد مراجعنا العظام ومقدساتنا ونحذر الجهات المتورطة بمثل هذا التشويش من الاستمرار والعبث بما هو مقدس لدى العراقيين جميعاً .

إن المرجعية الدينية كانت ولا تزال وستبقى صمام الأمان لهذا الشعب الكريم ونقطة القوة التي تمثل النقاء والطهارة والنزاهة والحرص الكبير على العراقيين جميعاً، ولعلنا نصبر طويلاً على الإساءات التي تستهدفنا كشخص لكن صبرنا له حدود حينما تستهدف

مراجعتنا ومقدساتنا بهذه الطريقة ، وننصح الجهات المتورطة بالكف عن مثل هذه الوسائل الرخيصة .

يوم العمال العالمي

مرّ علينا في الأول من أيار يوم العمال العالمي وهي مناسبة كريمة نستذكر فيها دور العامل في العراق . والمعاناة التي تواجه هذه الطبقة في ظروفهم المعيشية والحياتية ، وفي طبيعة الضوابط والمقررات الضاغطة عليهم والتي لم تسمح لهم بأخذ حقوقهم كاملة وأجورهم وتحسين ظروف عملهم وتحقيق الضمان الصحي ومعالجة مشاكل السكن والتعليم وغيرها لهذه الشريحة المهمة ، ولازال العمال العراقيون يعانون معاناة كبيرة من القرار سيئ الصيت المرقم ١٥٠ لسنة ١٩٨٧ ومن قانون ٧٢ لنفس السنة ، فإننا مازلنا نعيش القوانين والتشريعات التي أقرت في عهد النظام البائد التي حولت العمال الى موظفين وحرمتهم من التنظيم النقابي .

وكذلك الأمر الديواني عام ٢٠٠٥ الذي وضعت بموجبه اليد على كل ممتلكات النقابات والاتحادات المهنية لإعادة التوازن لها وإخراجها من احتكار الحزب الواحد ، وهي خطوة صحيحة إلا أن تأخر اتخاذ الإجراءات وإطلاق هذه الممتلكات وتفعيل الاتحادات والنقابات من جديد تمثل قضية أساسية لهذه الشرائح المهمة . إن معالجة كل هذه الإشكاليات والغبن الذي لحق بالعمال والطبقة العمالية في العراق وتفعيل العمل النقابي العمالي تتطلب تشريع قانون العمال الجديد ، ونتمنى من مجلس الوزراء الإسراع في تقديم مسودة القانون إلى مجلس النواب للمصادقة عليه وحل هذه الإشكاليات لهذه الطبقة المهمة .

الامتحانات النهائية

إننا على أعتاب امتحانات نهاية السنة الدراسية لهذا العام ، وهي فرصة لأحبي كل أعزائنا الشباب من الطلبة والطالبات ونتمنى لهم النجاح في هذه الامتحانات ومزيدا من التفرغ لدروسهم وعدم الانشغال بقضايا جانبية ، لكي نحصل على أعلى نسبة للنجاح في هذا العام بفضل جهودهم وتركيزهم على الدراسة ، كما أوجه ندائي للتدريسيين

والمعلمين الأعمى لبذل جهد أكبر في مراجعة الدروس مع الطلبة لتحقيق نسبة النجاح المرجوة لهذا العام .

إن من المؤسف أن نجد أن نسبة الأمية في العراق تصل إلى ٢٠ ٪ ، حسب تقارير اليونسكو ، وأما أمية الحاسوب التي علينا أن نتجاوزها في ظل التطور التكنولوجي في العالم وأن يكون كل المواطنين قادرين على التعامل مع الحاسوب ، فهي نسبة أكبر من ذلك بكثير ، وهذه النسب لا تتناسب مع تاريخ العراق وحضارته الكبيرة ، وعلينا أن نحل هذه الإشكاليات وأن يعود العراق ويأخذ دوره الطبيعي في العلم والحضارة والفكر والمعرفة .

زيارة واسط...

تشرفنا في الأسبوع المنصرم بزيارة أهلنا في محافظة واسط ، وسميت واسط لأنها في الوسط وفي قلب العراق ولها مكانتها الخاصة في قلوبنا جميعاً ، كلي شكر وتقدير لأبناء واسط على المشاعر الطيبة وحسن الضيافة ، وكانت فرصة ثمينة للاجتماع مع الشرائح المختلفة في المحافظة والتعرف على همومهم ومشاكلهم ، وسنقوم بإذن الله تعالى بمتابعة هذه الهموم وهذه الإشكاليات مع الجهات المختصة ومع السادة المسؤولين . ونسأل الله أن يعيننا على حل ما نتمكن منها .

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١١/٥/١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

سادتي الأفاضل إخواني الأكارم، أخواتي الفاضلات، بدايةً أرحب بكم أجمل ترحيب في مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

كان حديثنا في الأسابيع الماضية عن النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة، وقلنا إن عهد أمير المؤمنين لمالك الأشتر يمثل اختزالاً لهذه النظرية، وكنا عند المقطع الثالث من هذا العهد الذي يقف عند العلاقة بين الحاكم والمحكوم، بين المتصدي لمواقع الخدمة ومن هو مسؤول عنهم في تلك المساحات، وكنا نشرح قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وقد استكفأك أمرهم وابتلاك بهم»، وأكدنا أن هذه العبارة على قصرها إلا أنها تشير إلى واحد من أهم مفاتيح النجاح في المنظومة القيادية، وبيننا أن عبارة «وقد استكفأك أمرهم» تعني أن يكون المتصدي كفوءاً، وفيه الكفاية لتحقيق الأمر والغاية المطلوبة من هذه المسؤولية، وأن من يتصدي لا بد من أن تكون له القدرة على إنجاز المهمة المناطة به.

وقد استعرضنا مجموعة من الشروط والمواصفات المطلوبة حسب الفهم الإسلامي والنصوص الواردة في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المروية عن طريق أئمة أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ، وانتهينا إلى قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وابتلاك بهم»، إذ إن التصدي لمواقع المسؤولية

محطة مهمة وعصيبة من محطات الاختبار الإلهي، فالمسؤولية ليست مغنما وامتيازات، وإنما هي ابتلاء من الله سبحانه وتعالى وامتحان عسير لمن يتصدى لهذا الموقع أو ذلك، من خلال كيفية تعامل هذا المسؤول وتمكنه من تحقيق الأهداف المرجوة والوسائل التي يعتمد عليها في إنجاح المهمة، وانطباعات الناس عنه في مهمته الخاصة من خلال المؤشرات.

المسؤولية والاختبار العسير

إن الإنسان المتصدي يختبر ويمتحن من خلال مواقع المسؤولية التي يتقلدها، فالتصدي للمسؤولية كالدخول إلى قاعة الامتحان، حيث يكون المرء فيها تحت المجهر الإلهي، في كل خطوة وكل كلمة وكل قول وحركة وسكنة، ليراه الله تعالى كيف سيتعامل؟ وهل أن تفكيره في كل خطواته كان لأجل تحقيق الهدف المطلوب أو أن ذلك جاء لأغراض شخصية ومطامع خاصة ومصالح فئوية إلى غير ذلك؟، فهو اختبار عسير وفيه درس عظيم، وعلى الإنسان أن يعرف حينما يتصدى للمسؤولية بأنه عرض نفسه للاختبار الإلهي والوسائل الإلهية وهو في موقع المسؤولية.

لاحظوا قول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في كتابه الخامس والخمسين في النهج، وهو كتاب أرسله إلى معاوية بن أبي سفيان يقول فيه «أما بعد فإن الله سبحانه قد جعل الدنيا لما بعدها، وابتلى فيها أهلها، ليعلم أيهم أحسن عملا، ولسنا للدنيا خلقنا»^(٥٩) وكما يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في موضع آخر «الدنيا دار مجاز والآخرة دار قرار فخذوا من ممركم لممركم»^(٦٠). فهي بمثابة الممر «ولا بالسعي فيها أمرنا»، أي أننا لم نؤمر بالعمل للدنيا وحدها وإنما نعمل في هذه الدنيا للآخرة ونتزود في هذه الدنيا للآخرة، وهذا لا يتقاطع مع قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما قال: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا»^(٦١)، أي أن نعمل للدنيا كأننا نعيش فيها الدهر كله بما يتطلبه ذلك من الإيقان، والعمل الصحيح، والخطوات الصحيحة، ولكن الغاية والهدف والخلفية والنية في هذا العمل هي أن يكون هذا العمل للآخرة، «وإنما وضعنا فيها لنبتلى بها» لينظر الله كيف نتعامل، من هو المحسن ومن هو المسيء، «وقد ابتلاني الله بك» أي معاوية «وابتلاك بي»، علي بن أبي طالب بلاء عظيم لمعاوية، ومعاوية بن أبي سفيان بلاء عظيم لعلي،

٥٩. نهج البلاغة ج ٣- ص ١١٢

٦٠. نهج البلاغة ج ٢- ص ١٨٣

٦١. وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٧٦

لأن الاستحقاقات والأدوار مختلفة بين هذا وذاك، «فجعل أحدنا حجة على الآخر» إذن هناك حجة متبادلة، كل حسب موقعه ودوره.

الابتلاء الدنيوي

إن الدنيا دار البلاء والذي يتصدى للمسؤولية عليه أن يستعد للاختبار والبلاء الإلهي، ماذا نفهم من هذه العبارة؟ فالمسؤولية محطة الابتلاء والاختبار. فما الدرس الذي نأخذه من هذه العبارة الكريمة؟. إننا نفهم أن المسؤول حينما يتسلم مسؤولية معينة يجب عليه أن يكون مهياً نفسياً وواقعياً لهذا الابتلاء، وكأن علياً عليه السلام يقول، يا من تتصدى للمسؤولية هل أنت قادر على تحمل أعبائها؟، هل هيأت نفسك لاستحقاقات هذه المسؤولية؟، هل أنت مسلح بسلاح العلم والمعرفة لتحقيق النجاح في هذه المهمة؟. إذا كنت قادراً على النجاح وتهيئاً فادخل على بركة الله، أما إذا كنت غير مهياً وتسلمت المسؤولية فإن ذلك سيؤثر سلباً في أدائك، وبالتالي الفشل في تقديم الخدمة، إن المسؤولية ومواقع الخدمة مكان من تعلم وليس من يريد أن يتعلم. إذن فالحكم والمسؤولية ليسا محطة من محطات التعلم، وإنما محطة العطاء والخدمة لمن هو قادر على العمل. يقول الإمام علي عليه السلام في تحف العقول: «من عمل على غير علم، كان يفسد أكثر مما يصلح»^(٦٢)، فقد يكون المتقدم مخلصاً يريد الخدمة ولكنه لا يعرف ولا يستطيع، فالأضرار المترتبة على مسؤوليته أكثر من المنافع التي من الممكن أن تتحقق على يده.

كيف يحارب الإنسان الله؟

في المقطع الآخر من عهد أمير المؤمنين لمالك الأشتر، يقول عليه السلام: «لا تنصبن نفسك لحرب الله، فإنه لا يد لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته. فلا تندمن على عفوه ولا تبجحن بعقوبته». يقول عليه السلام: «ولا تنصبن نفسك لحرب الله»، أيها المسؤول لا تحارب الله وتفتح جبهة مع الله، «فإنه لا يد لك بنقمته»، أما كيف يكون هذا؟، يكون ذلك بعدم امتلاك المسؤول القدرة على رد النعمة الإلهية والغضب الإلهي، «ولا غنى بك عن عفوه ورحمته»، أي ولا تستطيع أن تستغني عن عفوه ورحمته وعن لطفه، فلا تفتح النار على الله، ولا تحارب الله.

ماذا يقصد أمير المؤمنين بـ «لا تحارب الله»، أي يا مسؤول كن كفوءاً، فإن كنت كفوءاً تصدّ للمسؤولية وإذا كنت غير كفوء فإن تصديقك للمسؤولية حرب لله سبحانه وتعالى، ما هو دور الكفوء في منطق علي عليه السلام والإسلام؟، لماذا يفتح غير الكفوء الحرب مع الله سبحانه وتعالى؟، لأنه لا يستطيع أن يحسن التصرف، حيث يخطئ ويتجاوز ويهدر المال العام ويضر بالمصلحة العامة ويتجاوز على حقوق الناس ويعتدي عليهم من حيث لا يقصد.. فكيف إذا كان يقصد الإساءة فهذه مصيبة عظيمة؟.

إن كل من يتصدى لعمل أو مسؤولية وهو لا يحسنها يكون قد حارب الله سبحانه وتعالى، كائناً من كان، إسلامياً أو علمانياً. إن ما يستفاد من عبارة أمير المؤمنين هو أهمية الإنسان وحقوق المواطن، فالإساءة للمواطن حرب مع الله والاعتداء على المواطن حرب مع الله، وهنا نستنتج أهمية المواطن إن أحسنت إليه فقد أطعت الله، وإن أسأت إليه فقد عصيت الله، وهذا هو منطق الإمام علي عليه السلام.

قيمة الإنسان في الإسلام

لذا فإن التساهل في تلبية احتياجات المواطن، وعدم الاعتراف بحقوق الناس، ومعالجة همومهم ومطالبهم، تعتبر في منطق الإمام علي عليه السلام حرباً مع الله سبحانه وتعالى، هذه قيمة المواطن وأهمية الإنسان في رؤية الإسلام. لاحظوا عن علي عليه السلام الحكمة في نهج البلاغة: «من أبدى صفحته للحق هلك»^(٦٣)، أي أن من واجهه وقاومه وأخذته العزة بالإثم هلك في الوقوف بوجه الحق، فالضياع حينما يعتز الإنسان بمنطق خاطئ، ونرى اليوم أن المسؤول يعلم بالخطأ ومع هذا يصبر عليه، فلماذا هذا الإصرار عليه؟ يقول البعض إنه إذا تراجعت سيقولون عني أخطأت ووفق هذا المنطق تبقى الناس في عنائها ومشاكلها، لماذا لا تنتصر للناس ومصالحهم وحل مشاكلهم؟ إن الهلاك بالوقوف بوجه الحق كما يقول الإمام علي عليه السلام. وفي رواية أخرى لعلي عليه السلام: «من صارع الحق صرع»^(٦٤)، وفي غرر الحكم: «الغالب بالشر مغلوب»^(٦٥)، أي حتى لو حصلت على مكاسب معينة فإنها سوف ترتد عليك أيها المسؤول، وبالتالي سوف تُفتضح على رؤوس الأشهاد في الدنيا قبل الآخرة.

٦٣. نهج البلاغة ص ١٣٨

٦٤. غرر الحكم، ج ١- ص ٢٦٧

٦٥. غرر الحكم، ج ١ ص ٢٧٢

حسابات خاطئة

من يعتقد بأنه من خلال الشر وظلم الناس يستطيع أن يحصل على ما يطمح إليه وتسير الأمور على وفق ما يشتهي فهو مخطئ، ويعاني من قصر نظر. فما أن تتغير الأمور وتتحول حتى يجد الأوضاع مختلفة، وهذا ما نراه اليوم تماما في محيطنا العربي من التحولات التي تحدث، فبعض هؤلاء الحكام كانوا يتحدثون ويتعاملون وكأنهم باقون في كراسيهم إلى الأبد، ولكنهم اليوم أصبحوا في خبر كان، فبعضهم بالسجون والبعض الآخر في ظروف لا يحسدون عليها كما تعلمون، إذن فالغالب بالشر مغلوب حتى لو تقدم خطوة فلا يظن أنه حقق الغلبة، «والمحارب للحق محروب»^(٦٦) أي من يحارب الحق سوف يرتد سهمه إلى نحره، ولا يمكن أن ينتصر وسيخسر المعركة على الأمد الأطول.

يقول الإمام علي عليه السلام: «لا يد لك بنقمته» فمن يمتلك القدرة للوقوف بوجه نقمة الله؟ فيا غير الكفوء لا تمسك المسؤولية حتى لو عرضت عليك، وحينما نجد إنسانا يعتذر عن مسك مسؤولية معينة عرضت عليه ويقول إن هذا الأمر ليس من اختصاصي يكبر بأعين الناس، وحتى لو لم تسمع الناس بعمله فكم هي منزلته عند الله.

وفي كتاب غرر الحكم: «لا تغالب من يستظهر بالحق فإن مغالب الحق مغلوب»^(٦٧)، لا تحارب ذوي المواقف الرصينة من أهل الحق، فالحق يعلو ولا يعلى عليه. وعلى المسؤول عدم الوقوف أمام من هو في خانة الحق، والابتعاد عن محاربتة، لأن من حارب الحق خاسر في النهاية وهذه سنة الله حتى لو كسب المرء وحقق بعض أهدافه على الأمد القصير إلا أن الأمور في النهاية سترتد عليه.

اغترار المسؤول

إن على غير الكفوء ألا يتورط بالتصدي لمواقع المسؤولية، إن كل إنسان يحتاج إلى رحمة الله وصفحه تعالى، أما المسؤول فحينما يتصدى للمسؤولية فحاجته إلى رحمة الله أعظم؛ لأن التعامل مع الناس قضية حساسة، وفيها منزلقات خطيرة وتداعيات كبيرة. فعلى الإنسان أن يدرك هذه الأمور ويعوذ بالله سبحانه وتعالى. ولذلك يقول الإمام علي عليه السلام لمالك: «ولا غنى بك عن عفوه ورحمته». إن الإنسان لا يملك مهما كانت قدرته الاستغناء عن رحمة الله وعفوه، فلا يغتر الإنسان بالمسؤولية والمناصب

٦٦ . نفس المصدر

٦٧ . غرر الحكم ج ٦ - ص ٣٢

وتبجيل الآخرين له ، لأن الأمور قد تتغير بين عشية وضحاها فلا يشعر بالاستغناء ، يقول تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَعَىٰ أَنْ رَءَاهُ ۗءَ اسْتَعْتَىٰ﴾^(٦٨) .

فالشعور بالطغيان والتمرد والأنفة والأنانية والاستغناء هي بداية الانحراف وظلم الآخر ، وهكذا بدأت الديكتاتوريات ، فهي تنطلق من زاوية ثم تتعمق وتصل إلى ما تصل إليه . نجد في سورة فاطر قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٦٩) ، إن الفقر والغنى صفتان متقابلتان لا تجتمعان في وقت واحد ، وهذا التقابل فيما بينهما هو فقدان ووجدان ، والله تعالى يقول أنا الغني ويحصر الغنى بذاته الشريفة المقدسة ، ويقول للناس «أنتم الفقراء» ، فالإنسان صفته الفقر ، وهو بحاجة إلى الغني ، فلا تشعر بالاستغناء ، فتكون بداية الانحراف . . نسأل الله أن يجيرنا من ذلك ، . وللحديث صلة في الأيام القادمة .

الشأن العربي

إن الأزمة السياسية في العديد من البلدان العربية الكريمة مازالت مستمرة ، وتزهق الأرواح البريئة وتهدم الأبنية والمنشآت العامة وتهدر أيضا الإمكانيات الهائلة في ظل تشبث شديد من بعض الحكام ، ومسعى للبقاء في السلطة بأي ثمن ، هؤلاء الذين صموا أذانهم وما أرادوا أن يسمعوا وينصاعوا لإرادة هذه الشعوب التي تتحدث عن إصلاحات وتغيير وتحقيق العزة والكرامة للمواطن العربي في العديد من هذه البلدان . هؤلاء الحكام الذين قفلوا أبوابهم بوجه كل مبادرة خيرة من شأنها حلحلة الأمور والذهاب إلى الحلول المعقولة لمعالجة الأزمات في هذا البلد أو ذاك . إننا نؤكد من جديد أنه لا حلول قسرية ولا عسكرية لإرادة الشعوب وثوراتهم ، والحل يكمن في الانصياع لإرادة هذا الشعوب وإجراء الإصلاحات السياسية الضرورية والانتصار للكرامة الضائعة في الوطن العربي والتوجه نحو الديمقراطية والتعددية واحترام الآخر .

احترام التعدديات

إن الخطر الكبير يكمن في توظيف التعدديات المذهبية والدينية والقومية والمناطقية والعشائرية والتمترس خلفها لإدامة هذا الصراع ، وتحويل الصراع من إرادة شعوب ترغب في أن تحقق لنفسها العزة والكرامة إلى صراع على خلفيات طائفية أو دينية قومية

٦٨ . سورة العلق : الآيتان ٦ و٧

٦٩ . سورة فاطر : الآية ١٩

أو قبلية أو مناطقية أو ما شابه ذلك ، إنه لخطر كبير سينعكس سلبا على كل أولئك الذين يحولون أنماط الصراع إلى مثل هذه الأنماط الخطيرة والحساسة ، وسيخلف تداعيات مدمرة ليس على هذا البلد أو ذاك فحسب وإنما على المنطقة بأسرها .

إن هذه التعدديات حاضرة في أغلب البلدان في المنطقة والعزف على وتر الخلاف الطائفي أو غيره سيؤدي إلى مضاعفات كبيرة وستشعل المنطقة في أتون حروب لا طائل منها ، ولا يمكن أن تخدم أحدا . ولا يظن أي أحد في المنطقة أن بإمكانه أن يستفيد من مثل هذه الصراعات الطائفية أو القومية أو غيرها ، وإن استفاد في ساحة فسيتضرر ويخسر في ساحات أخرى لوجود هذه التعدديات في أغلب دول المنطقة ، وقد برهنت التجارب المتجددة على أن التوتر لا يمكن أن يمثل حلا في هذه المنطقة ، ولا يمكن أن يجلب لها إلا المزيد من الخراب والدمار والتلكؤ في الإعمار والأمن والاستقرار ، إذا كنا نطمح لاستثمار هذه التحولات الكبرى في تأسيس أنظمة ديمقراطية تعمل على إحلال الأمن والسلم في هذه المنطقة وتحقيق الإعمار والازدهار لشعوبها ، فلا بد من الانطلاق من منظومة أمنية واستقرار في هذه المنطقة ، وهو ما لا يمكن أن يتحقق عبر التوتر والتصعيد بين هذا البلد أو ذاك .

التوتر العربي الإيراني

إن التوتر العربي الإيراني واحدة من الظواهر السلبية التي نعيشها في منطقتنا ، ودفعنا ضريبتها عربيا وإقليميا خلال السنوات الماضية ، وهو يمثل تنكرا لحقيقة التاريخ والجغرافية ووقائع الأرض والحياة وواقعات الجوار ، ويتحتم علينا حل الخلافات العالقة وتسوية الأمور عبر الحوار والمصالح المشتركة الكبرى الموجودة بين العرب والإيرانيين في هذه المنطقة . وهناك من المصالح الهائلة ما يمكن أن تمثل فرصة لتذليل كل العقبات في الوصول إلى تسوية شاملة تحقق الأمن والاستقرار والإعمار والازدهار في منطقتنا ، ولذلك أدعو الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي للقيام بمبادرة في وضع إطار يمثل العلاقة بين هذه الدول الكريمة ومن خلال التشاور مع القيادات في الوطن العربي وفي الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، ولبدء حوار صادق واضح بين الوطن العربي وإيران في كل المسائل والمصالح المشتركة من ناحية ، وفي القضايا الخلافية والشائكة التي كانت مثار الهواجس بين الطرفين على مدار السنوات الماضية من ناحية أخرى .

إن تعريف المصالح بين هذه البلدان ووضع تصور وتعريف للهواجس التي تثير القلق للعرب من ناحية أو للإيرانيين من ناحية أخرى ، كفيلا بوضع رؤية إستراتيجية وشراكة

حقيقية في إقليمنا ومنطقتنا تشمل الأمن والسياسة والثقافة والاقتصاد، وكل القضايا الحساسة والحيوية التي يمكن أن تمثل مصالح مشتركة بين الدول العربية وإيران.

الحلف الإقليمي الاستراتيجي

إن مثل هذا الإطار الاستراتيجي وهذه الشراكة التاريخية لا يمكن أن تتناسى بلدا مهما ومؤثرا في المسرح الإقليمي يتمثل بتركيا ودورها الصاعد في المنطقة، مما يتطلب أن تكون عنصرا فاعلا وشريكا أساسيا في مثل هذا الحلف الإقليمي والاستراتيجي الذي نتحدث عنه، إن القرارات التاريخية والصعبة إنما تتخذ في مناحات التحدي والتحويلات الكبرى التي يشهدها العالم ومن الصعوبة بمكان أن نجد فرصة أفضل من الفرصة التي نعيشها وتحويلات أعظم من التحويلات الحالية، فهي الفرصة المناسبة لاتخاذ قرار شجاع لتجلس جميع الأطراف على طاولة واحدة ويضعوا تصورا لشراكة إقليمية إستراتيجية في الأمن والاقتصاد وفي المصالح الاقتصادية والثقافية بين هذه البلدان، إن مثل هذه الخطوات ستعيد العزة والقوة واللحمة والصلابة في عالمنا العربي والإسلامي وستمكن كل هذه الدول الكريمة وشعوبها من أن تنطلق انطلاقا حقيقية في تحقيق الإعمار والازدهار والأمن والسلم في هذه المنطقة الحيوية. أتمنى أن أجد أذانا مصغية لمثل هذه المبادرة وأن نلمس اندفاعا من المنظمات العربية والإسلامية الفاعلة لتحريك مثل هذا الملف ووضع حد لهذه الخلافات وهذا التوتر الذي دفعنا ضريته عاليا، وإنما حينما نطلق مثل هذه المبادرات فهي نابعة من قلب عربي ينبض للسلام والتعايش والمحبة والألفة بين العرب والمسلمين في هذه المنطقة الحيوية.

المصالحة الفلسطينية

تابعنا باهتمام وسعادة بالغة مجريات اتفاق المصالحة الفلسطينية، وكانت تمثل تطورا مهما نشهده في ساحتنا العربية وقد سعدنا بهذا الحدث الكبير من زاويتين، الزاوية الأولى هي وحدة الشعب الفلسطيني بقواه السياسية والاجتماعية. فحينما يتوحد هذا الشعب المظلوم الجريح ويكون يدا واحدة فسيكون قادرا على استعادة الحقوق الضائعة وأخذ الأدوار المتزايدة، ولا مناص من الحوار وتشابك الأيدي والتعاون بين القوى الفلسطينية جمعاء، والجانب الثاني الذي يثير السعادة أن يتم هذا الاتفاق برعاية مصرية، وهي رسالة بأن مصر العروبة بدأت تستعيد عافيتها ودورها الإقليمي في منظومتنا العربية، ونتمنى لمصر أن تعود كما كانت في عهد طويل لها إسهاماتها الواضحة في عالمنا العربي وفي الملفات الإقليمية.

الشأن المحلي

إن الوضع في العراق ما زال يشهد تعقيداته الكثيرة في الميادين كافة، ويتطلب هممة ونخوة من العراقيين جميعاً لمعالجة هذه الإشكاليات والتحديات، إن علينا تغيير المسارات وتصحيح الاتجاهات للوصول إلى مشروع وطني قادر على أن يحقق آمال وطموحات العراقيين جميعاً.

الخطاب السياسي

على المستوى السياسي لا بد لنا من تخفيف حدة الخطاب وإيقاف مسلسل الرسائل المتبادلة وتسريبها إلى وسائل الإعلام بالطريقة التي تلهب المشاعر، وتدفع في اتجاهات وطرق وتوجهات من الصعب معالجتها وحلها، ونحن لم نصل إلى هذا المستوى من الوفاق والوئام إلا بعد جهد جهيد وعمل دؤوب مضن قامت به القوى الوطنية. فحذار من العودة إلى المربع الأول وطريق اللاعودة ومرحلة التصادم بين الإخوة والشركاء، ولا بد من اتخاذ كل الخطوات التي تقرب وجهات النظر وتعيد العلاقة كما كانت.

إن خيارنا الوحيد هو أن نجلس ونتحاور ونتشاور بكل ما به عزة الوطن والمواطنين. إن التراشق الإعلامي والتصعيد السياسي الذي تشهده ساحتنا لم يكن ولن يكون طريقاً للحل بين الشركاء الذين ينتمون إلى أسرة واحدة هي العراق العظيم، وليس لنا إلا أن نصغي لشركائنا ونتعرف على طموحاتهم وهواجسهم على حد سواء ولا يمكن أن تنجح الشراكة الحقيقية إذا ما قيّمنا الأمور من زاويتنا الخاصة ومنظورنا الخاص، وإنما علينا التعرف على نظرة الآخرين لهذه الشراكة، ما هي هواجسهم وطموحاتهم؟ كيف يقيمون الأمور؟ وعليهم أيضاً أن ينظروا كيف نقيم نحن، وما هي هواجسنا وطموحاتنا؟ والنظر إلى طبيعة الالتزامات والاتفاقات المبرمة بين الأطراف ومدى الجدوية في تنفيذها وأسباب تلكنها.

إنها مداخل مهمة في التخفيف من حدة التوتر والعودة إلى الوئام وحرص الصفوف وهو ما نحتاج إليه في هذه المرحلة الحساسة والحرجة من تاريخ العراق والمنطقة، ومن خلال التعرف إلى هواجسنا وهواجس الآخرين، ومن خلال نظرة موضوعية نصل إلى تسويات من شأنها أن تمكن الجميع وتحافظ على حقوق الجميع. إن علينا أن نتفنن في إطلاق الإشارات والرسائل التي تطمئن الآخرين، وعلينا أن نتسابق في تقديم المبادرات التي تطمئن النفوس وتطيب الخواطر، هذا قدرنا أن نعيش معا في هذا البلد الكريم، وكلما

تنكرنا لهذا القدر شقّ علينا الطريق ، وطالت المسافة ، واستمر نزيف الدم بفعل أعدائنا الذين يتربصون بنا الدوائر ، وكلما وجدونا مختلفين وجدوا ثغرة ليدخلوا فيها ليهدروا الدم العراقي ويسبوا للعراقيين جميعا .

الشراكة الوطنية

نسمع الكثير من الإشكاليات والنقد اللاذع لمبدأ الشراكة في ما بيننا في هذا الوطن ، تحمّل الشراكة السلبيات والتلكؤات في الأداء الحكومي ، ويقال هذه حكومة الشراكة ، ويقال إنه لا خير يُقدّم للمواطنين في حكومة الشراكة ، إنها رؤية خاطئة وعلينا أن نقف ونتبصر في هذا الموضوع ونتعرّف على الحقيقة ، هل إن المشكلة في الشراكة ، هل لأن العرب والكرد والتركان يمثلون في هذه الحكومة فهي لا تمضي؟! هل لأن المسلمين والمسيحيين والصابئة والإيزيديين يشاركون في العملية السياسية فهي لا تتقدم؟ هل لأن الشيعة والسنة يشاركون في الحكومة فلا تقدم خدمة؟ هل إن المشكلة هي شراكة العراقيين؟ . إن هذا الكلام لا يمكن أن يكون مقبولا ، قوتنا ونجاحنا في هذه الشراكة يتمثل كل المكونات الاجتماعية في العراق ، إن كان من قوة فالعراق يمتلك هذا النسيج المتنوع حينما يجمع هؤلاء ويجتمعون على أن يكونوا يدا واحدة على تحقيق الإنجازات .

المشكلة ليست في الشراكة وإنما في أمرين أساسيين :

الأمر الأول/ عدم اعتماد الكفاءة في اختيار الأشخاص للمواقع الحكومية ، فحينما نتحدث عن الشراكة يعني أن تمثل كافة أطياف الشعب العراقي في حكومة واحدة ، ولكن هل نأتي بالكفاءة ليمثل هذا المكون وذاك أو نأتي بغير الكفاءة؟ . الشراكة تقول إنه يجب أن يشعر جميع العراقيين بأنهم حاضرون في إدارة البلد ولكن علينا اختيار الكفاءة في المواقع المختلفة ، فإذا ذهبنا إلى اختيار غير الأكفاء فليست الشراكة من يتحمل المسؤولية وإنما خياراتنا هي المسؤولية ، وعلينا أن نصححها ، إن المشكلة الأساسية اليوم هي أننا نضع شخصيات غير كفوءة في مواضع معينة ثم نأتي لنحمّل مبدأ الشراكة السلبيات والتبعات ، فيما أن الشراكة هي عنواننا ووجدتنا .

الأمر الثاني/ هو الترهل في الأداء الحكومي وفي عدد الوزارات الحكومية ، حينما نقول شراكة فهذا يعني أن تمثل أطياف الشعب العراقي في الحكومة ، ولكن تمثل في حكومة فيها ١٥ وزارة أو في حكومة فيها ٤٣ وزارة ، هذا ليس له علاقة بالشراكة وليس من الشراكة في شيء ، هذه قضية ترتبط بتوزيع الأدوار والفرص بالطريقة التي تتم

وجعلت من الحكومة مترهلة ، ومن الصعب أن تتخذ القرار ، وبإمكاننا أن نذهب إلى حكومة رشيقة فيها ١٥ أو ١٨ وزارة ونوزع الفرص والأدوار بين كل المكونات فنكون قد حققنا مفهوم الشراكة ولا نقع في الترهل الذي وقعنا فيه ، إذن اختيار غير الأكفاء والترهل في الحكومة هما السببان للسلبات والإشكاليات وليست المشكلة في مبدأ الشراكة ، فهو مبدأ صحيح علينا أن نحافظ عليه ، وعلينا أن نطمئن جميع الأطياف العراقية بأنها حاضرة في إدارة البلاد .

الوضع الأمني

يشهد الوضع الأمني تطوراته السلبية وتداعياته الخطيرة أسبوعاً بعد آخر ، ويوماً بعد آخر ، فقد شاهدنا عشرات الشهداء والجرحى الذين سقطوا في تفجيرات الحلة ومن بعدها الأحداث المؤسفة في سجن الرصافة ، والمؤسف أيضاً ألا يتعرف المواطنون على رواية واحدة تكشف ماهي الحقيقة التي حصلت ، فقد ظهرت شخصيات رسمية وتحدثت أن السجناء وهم أمراء من الذباحين وكبار المجرمين استولوا على سلاح لمنتسب واستطاعوا أن يطلقوا النار ويفروا ويحصل الذي حصل ، فحينما يكون أناس بهذا المستوى من الإجرام ، كيف يجب أن نحافظ عليهم؟ وأين نجعلهم؟ وكيف يستطيعون الوصول إلى منتسب وأخذ السلاح منه؟ . هذه مصيبة وثغرة كبيرة ، والمصيبة الأكبر حينما نستمتع إلى روايات شهود العيان الذين تحدثوا عن مشاكل أكثر من ذلك ، وقالوا إن هناك هجوماً مسلحاً حصل على هذا السجن وأطلق سراح هؤلاء الأمراء والذباحين وفروا بالفعل ولوحقوا وقتلوا ، فلو صحت الرواية الثانية فالمصيبة أعظم ، كيف يمكن لذباحين وأمراء الإجرام وأناس بهذا المستوى من الخطورة أن يكونوا بمتناول الأيدي ليأتي أناس في وضح النهار ويداهموا سجنًا ويطلقوا سراح هؤلاء الأمراء؟! . إن هذه ثغرات كبيرة ، ويبقى الشارع العراقي لا يعرف ماذا حصل في سجن الرصافة ، وأي من الروايات هي الصحيحة ، مما يتطلب المزيد من الجهد والعمل في تشخيص هذه الثغرات ومعالجتها .

الوزارات الأمنية

كما إن علينا الإسراع بحسم الوزارات الأمنية ، ولا يمكن للمواطن العراقي أن يتربص وينتظر المزيد والمزيد ، وتمضي الأشهر ولا نعالج هذه القضية ، وتبقى هذه الوزارات شاغرة في ظل هذه الإشكاليات الأمنية والتداعيات الخطيرة ، إن على الجميع تجنب سياسة ليّ الذراع في التعاطي مع هذا الموضوع الحساس فأرواح المواطنين

الأبرياء أعز وأثمن من أية اعتبارات سياسية أخرى ، فيجب أن يتسم الجميع بالمرونة وأن تجرى المشاورات المكثفة بين القوى السياسية للاتفاق على أسماء قادرة على أن تشغل هذه المواقع .

قانون تخفيض رواتب الرئاسات الثلاث

إن إقرار قانون تخفيض رواتب الرئاسات الثلاث أخذ وقتاً طويلاً في مجلس النواب ، والمواطن العراقي يتربص ويرى متى سيقوم السادة والسيدات أعضاء مجلس النواب بتشريع هذا القانون ووضع حد لهذا التمييز الكبير في الرواتب والمخصصات والامتيازات والإمكانات بين كبار المسؤولين وعموم الموظفين . هذه القضية التي أصبحت مطلباً شعبياً يطالب به شعبنا . والسادة والسيدات أعضاء مجلس النواب مطالبون بأن يضعوا لمسة في تاريخهم السياسي وينتصروا للحقيقة والمال العام والفقراء والمساكين .

زيارة محافظة بابل

كان لنا شرف زيارة أهلنا في بابل ، هذه المحافظة الكريمة محافظة الحضارة والتاريخ العريق ، وبهذه الحضارة عرف العراق ، زرنا هذه المحافظة وفوجئنا بالحادث المؤلم وبالتفجير الكبير الذي راح ضحيته العشرات ، وكانت لنا فرصة لتفقد هؤلاء الجرحى الكرام في المستشفيات وتواصلنا مع مختلف الشرائح ووجدنا أهل بابل كما عهدناهم في كرم الضيافة والإقبال على ضيفهم ، وكانت فرصة للتداول في هموم هذه المحافظة ومعاناتهم ، وحملنا هذه الهموم لنقلها إلى السادة المسؤولين المعنيين بهذه الملفات ، نسأل الله أن يحفظ بابل وكل محافظات العراق ويوفقنا لنكون في خدمة أبناء شعبنا .

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١١/٥/١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين
حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين
وصحبه المنتجبين الميامين .

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

تناولنا في اللقاءات السابقة النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة، وذكرنا أن عهد
الإمام علي عليه السلام لمالك الأشرع يمثل اختزالاً لهذه النظرية وانتهينا عند المقطع الثالث
الذي يتحدث عن العلاقة بين المسؤول ومن هو مسؤول عنهم، بين الحاكم والرعية.
وذكرنا أن المنظومة القيادية في الفهم الإسلامي لا تخص الرئيس والزعيم والقادة وإنما
تمتد إلى كل من يتحمل المسؤولية ويتصدى في مساحة من المساحات، بدءاً من الأسرة
ووصولاً إلى المساحات الأوسع من التصدي، وبيننا الشروط والضوابط والأطر التي تنظم
العلاقة بين من يتصدى ويتحمل مسؤولية معينة، ومن هم تحت مسؤولية هذا الإنسان،
ولكن ما هي طبيعة العلاقة؟ وما هي الالتزامات؟ . وفي هذا العهد الشريف يتحدث أمير
المؤمنين عن هذه المسائل المختلفة، وقد انتهينا إلى المقطع الثالث للعهد.

لقد وصلنا في اللقاء السابق إلى قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ولا تندمن على عفو، ولا تبجحن بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة ولا تقولن إني مؤمر أمر فأطاع فإن ذلك إدغال في القلب، ومنهكة للدين، وتقرب من الغير»^(٧٠).

الغضب آفة القرار

«ولا تندمن على عفو»، يخاطب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ مالكا الأشتر، يا مالك لا تندم إذا عفوت عن شخص، فمن هو في موقع المسؤولية عليه أن يصفح ويعفو ويتساهل، وعليه أن يفتح ويستوعب الآخرين «ولا تبجحن بعقوبة» وفي الجانب الآخر أيضاً لا تشعر بالفرح والسعادة والتشفي حينما تعاقب إنسانا حتى لو كان هذا الإنسان يستحق هذه العقوبة، كأن يكون مجرماً ارتكب خطيئة واعتدى على الآخرين، فلهذه العقوبة أسباب ومناشئ ويراد لها أن تعالج إشكاليات معينة في الواقع الاجتماعي، وليست محطة للشماتة حتى تفرح وتسعد بمثل هذه العقوبة.

«ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة»، والبادرة هي ما يبدر من الإنسان عند الغضب من الشدة والحدة، فلا تسرع في بادرة ولا تأخذ قراراً وأنت غاضب، لأن حالة الغضب يمكن أن تدفعك إلى اتخاذ قرارات تندم عليها لاحقاً، «وجدت منها مندوحة» أي إذا رأيت أن هناك فرصة للتخلص منها. قد يكون الغضب أحيانا غضبا مستقرا، لأنه من المفروض أن يغضب الإنسان لله تعالى، ويغضب لوجود خلل ما، وتارة أخرى يكون هذا الغضب ناتجا من حالة مشاعرية، فحينذاك يقول أمير المؤمنين يا مالك إذا واجهتك حالة من الغضب فعليك ألا تتخذ قرارا تندم عليه فيما بعد، فأمر المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ واجه ذلك المجرم الظالم الذي بصق في وجهه بأن عدل عن قتله وانتظر هنيهة ثم عاد لينزل الحكم العادل بحقه.

على المسؤول ألا يتخذ قرارا وهو في حالة الغضب والشدة والتوتر. فلا يصدر تصريحاً منفعلاً؛ لأن تصريحه في حالة التوتر لن يراعي كل الجهات والخصوصيات والحيثيات المطلوبة في اتخاذ القرار الصائب والناجح، وحينما توضع الأوامر الإدارية بين يديك أيها المسؤول فلا تكتب أمراً ولا توقع كتاباً إذا ما كنت غاضباً، لأن هذا التوقيع قد لا تنطبق عليه كل معايير المصلحة التي قد تتوصل إليها وأنت في ظرف آخر أكثر هدوءاً. وفي هذه العبارة لعلِّي عَلَيْهِ السَّلَامُ بعض الإضاءات.

الإضاعة الأولى: إن الأساس في الإدارة والتعامل مع الآخرين هو الصفح والعفو والتساهل، ولاسيما حينما يكون الإنسان من موقع القوة وهو قادر على أن يتخذ موقفاً ما بحق الآخر فيصفح ويتسامح ويحكم، أن يتيح فرص التسامح مع المواطنين وليس التشدد عليهم.

الإضاعة الثانية: على المسؤول عدم البحث عن التشدد لكي يتشفى بالمواطن، بل من المفترض أن يبحث عن الثغرات والفرص والاستثناءات والصلاحيات التي تمنحه الفرصة ليتساهل مع المواطنين، ومع من هو مسؤول عنهم، فالأساس بحسب القاعدة التي يذكرها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هو العفو والتساهل، ما لم يؤدي ذلك إلى حالة التجرؤ على القانون وكسر شوكة الدولة وهيبتها، ففي ذلك الحين لا بد من الشدة، لكي نضمن أن تكون العلاقة علاقة شفقة ومودة كما شرحنا ذلك بالتفصيل في لقاءات سابقة.

يقول الله سبحانه في كتابه المجيد في سورة النساء ﴿إِنْ تُبَدُّوا حَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾^(٧١)، فحينما يصدر السوء يكون الموقف هو العفو والصفح عن تلك السيئة والخطيئة، فإن الله عفو قدير، فالعفو يجتمع مع القدرة، فحينما تكون قادراً تعفو، وإن لم تكن لديك القدرة فإن العفو ليس له معنى. حينما تكون أيها المسؤول في موقع المسؤولية وتعفو بحق المسيء فإن ذلك هو المهم.

لاحظوا ماذا يقول العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان في ذيل هذه الآية الشريفة: «والعفو عن السوء هو الستر عليه قولاً وفعلاً»^(٧٢) ثم شرح الستر بالقول «ألا يذكر ظالمه بظلمه». فقد يكون الإنسان في موقع المسؤولية ويتخذ إجراءً عنيفاً بحق شخص ما، وقد تقلبت الأمور والأحوال فأصبح ذلك الشخص هو المسؤول، فالستر هو في ألا تذكر ظالمك بظلمه، وهي صفحة انطوت فلماذا التذكير بأخطاء الآخرين؟!، فإذا ما أخطأ الشخص فالسؤال لماذا أخطئ أنا أيضاً؟، وإلا فما الفرق بيني وبين الآخرين...؟. وإذا أردت أن أتعامل مع الآخرين بنفس تعاملهم معي في سنوات خلت وفي ظروف سابقة فبماذا نختلف عنهم في حين أننا نقول إننا في عراق جديد فيه الديمقراطية والتسامح والتعددية، إذن فهذه قضية مهمة في أن يتجاوز الإنسان ويطوي صفحة معينة متمثلة بحالة الغلّ ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٧٣)، فمثل هذه السلوكيات يجب التخلص منها.

٧١. سورة النساء: الآية ١٤٩

٧٢. تفسير الميزان، ج ٥، ص ١٢٤

٧٣. سورة الحشر: الآية ١٠

التشهير بالإساءة

إذن فعلى المسؤول ألا يتعامل مع المسيء بما يتناسب وإساءته، فالمسؤول من موقع القدرة والمسؤولية حينما يريد التستر على هذا الإنسان عليه ألا يتعامل معه بما ينسجم وإساءته، لأنك أيضا سوف تعامل بنفس الطريقة، نعم ورد قوله تعالى ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾^(٧٤) أي يجوز الاعتداء عليه في حينه، لكن يمكن أن يقول المتصدي إنني لا أريد من موقع المسؤولية استخدام صلاحياتي في الاعتداء عليه.

العفو تاج المكارم

هنا نتحدث عن المسؤول المتصدي وأن عليه أن يعفو ويصفح، فلماذا انتقلت الآية للحديث عن الصفح الإلهي في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾؟ هذا يعني أن العفو عن السوء هو اتصاف بصفة من صفات الله تعالى الكمالية، فالمسؤول إذا صفح فهو يجسد صفة من الصفات الكمالية لله تعالى، في سورة الشورى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٧٥). إن هذه الصياغة الإلهية (أجره على الله) تستخدم لعدم وجود فرصة لتحديد حجم الأجر والثواب، فالأجر حينما يكون متضمناً في عظمته ولا يمكن حصره برقم معين يقال قرآناً (أجره على الله)، إذن فحالة الصفح عن المسيء والمخطئ من الموارد التي أجرها على الله ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٧٦).

وفي آية أخرى في سورة آل عمران: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾، أي أن الإنفاق في السراء فيه فوائد وحينما تكون الناس في شدة فيه فوائد مماثلة، ﴿وَالكَّاطِمِينَ الْعَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٧٧). يعتبر كظم الغيظ والعفو عن المسيء من الإحسان وفيه الأجر العظيم، في غرر الحكم عن علي عليه السلام: «العفو تاج المكارم»^(٧٨). كم لدينا من المكارم الأخلاقية والصفات الحميدة لكن العفو هو

٧٤ . سورة البقرة : الآية ١٩٤

٧٥ . سورة الشورى : الآية ٤٠

٧٦ . سورة آل عمران : الآية ٥٧

٧٧ . سورة آل عمران : الآية ١٣٤

٧٨ . غرر الحكم ، ج ١- ص ١٤٠

تاجها وهو أرفعها شأنًا وأعلاها منزلة، إذا أكرمت فأشبع، والإشباع أن تكون في موقع العفو عن المسيء، وفي موقع آخر يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في نفس المصدر: «العفو زكاة القدرة»^(٧٩)، فكل شيء له زكاة وزكاة القدرة العفو حتى لا يتحول الإنسان إلى وحش كاسر يبطش بالناس، ويستغل هذه القدرة والصلاحيات والفرص والإمكانات لإيذاء الآخرين والإساءة إليهم.

وفي رواية أخرى عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أحسن أفعال المقتدر العفو»^(٨٠)، فانظروا إلى ثقافة الإسلام والإدارة التي يراد لها أن تكون على أساس الانفتاح والتسامح، وطي صفحة الماضي والنظر إلى حاضر الناس وليس إلى تأريخهم، وهذا هو المنهج الإسلامي في الإدارة والقيادة، ومن لوازم ذلك «ولا تدمن على عفو»، أي لا تشعر بالندم إذا عفوت وصفحتم عن الآخرين.

العقوبة علاجٌ لا تشفٌ

على المسؤول الابتعاد عن حالة التشفي عند تطبيق العقوبة، فقد يكون عقابك حداً من حدود الله أو قد يكون تطبيقاً للقانون، وهذه العقوبة يجب ألا تعتربها حالة التشفي وألا تُدسَّ فيها حالة الانتقام، وألا يكون المسؤول سعيداً حينما يعاقب الآخرين، بل يجب النظر إلى العقوبة على أنها علاج ودواء.

أتذكر حين تم الإعلان عن مقتل عدي وقصي أبناء صدام حسين كنت حينها في النجف إلى جوار شهيد المحراب (قدس) في حياته وبدأت الأفرح والإطلاقات النارية، فدخلت على شهيد المحراب وقد رأيت متأملاً، وليس من آثار للفرحة على وجهه، فجلست عنده وقلت له سيدنا إن الله انتقم لدماء الشهداء وقد قتل عدي وقصي ولا أجد علامات الفرح على وجهك؟ حينها قال لي إننا لسنا أهل شماتة بل نحن أهل اعتبار، وإن الظالم له نهاية.

«لا تبجن بعقوبة»، أي لا تفرح بعقوبة تعاقب بها الآخرين، في دولة المواطن على الدولة أن تحترم الإنسان كما نريد لها حيث الأساس فيها هو الإنسان الذي له كرامته حتى لو كان مجرمًا وقاتلاً ومخطئاً، فإنسانية الإنسان لا تسمح بأن نفرح بعقوبته؛ لأن العقوبة يراد منها تطهير المجتمع إذا ما انتشرت فيه هذه الفيروسات. إن المجرمين والذباحين الذين يقطعون أشلاء الناس، هؤلاء فيروسات تتحرك في المجتمع يلوثون الفضاء والبيئة

٧٩ . . عيون الحكم والمواعظ : ٣١ .

٨٠ . غرر الحكم ، ج٢ - ص ٣٩٩

الاجتماعية، وعقوبتهم تطهير للمجتمع منهم، كما إن من أمن العقوبة أساء الأدب، فمن أجل وضع حد للإساءة والتعدي على الناس لا بد من العقوبة، فنعاقب كي نضع حدا لتفشي الجريمة في المجتمع، ولكننا لسنا سعداء لهذه العقوبة.

الأخلاق الإسلامية

لماذا لا نفرح؟. لأن العقوبة تكشف عن جريمة، والجريمة مرض من الأمراض الاجتماعية، وكلما زادت العقوبة عبرت عن ازدياد المرض وتفشيهِ، والفرح والسرور لعقوبة هذا أو ذاك يؤدي إلى أن نشغل بالتشفي بهؤلاء ونترك البحث في أسباب ومناشئ مثل هذه العوارض، فمهما وجهنا العقوبة فلا بد من البحث عن المشكلة.

واليوم في واقعنا مهما عاقبنا من مجرمين وذباحين لا يمكن حل المشكلة، إلا إذا عالجننا الفكر الذي يربي الذباحين وأمثالهم، فنرى في مقتل ابن لادن أن هناك من قال إنه تم القضاء على القاعدة، والواقع أن القاعدة ليست رجالاً فقط ولكن القاعدة فكر هدام، والقاعدة رؤية ظلامية لا تريد الحياة للناس. القاعدة تعني عدم القبول بالآخر، لأنه يختلف بالفكر، فالفرح بعقوبة الناس يشغلنا عن النظر في الأسباب والمناشئ التي دعت إلى صدور هذه الاعتداءات.

والمسؤول حينما يعاقب يجب أن يستشعر الألم، كما ينقل عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه يتحدث بألم عن المشركين والكفار والعصاة والمذنبين وأهل النار، والله العدل قد أدخلهم في النار فما هو حالهم، بينما رسول الله يتألم ويتقطع حرقة على هؤلاء. انظروا الآية السادسة من سورة الكهف «فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا»، والبخع حالة الهلاك وهي أعلى مرتبة من مراتب الألم، فالسما تندخل لتطيب خاطر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لجرحه العميق وأسفه الشديد الذي يصل إلى حد البخع (الهلاك) على حال المجرمين والظلمة والعصاة في النار.

هذه هي أخلاق الإنسان الكامل المتمثل برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. تشير النصوص إلى هذا المعنى مع علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في تعامله مع الناكثين في الجمل أيضاً، بعد أن انتهت المعركة وانتصر علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يطرق الطبول ولم يعبر عن سعادة وفرح بهذا الانتصار، ماذا قال؟، راجعوا نهج البلاغة لما مر بطلحة بن عبد الله وعبد الرحمن بن عتاب مقتولين على الأرض، وقف على جثة طلحة وقال: «لقد أصبح أبو محمد بهذا المكان غريباً، أما والله كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون

الكواكب»^(٨١)، هنا يعبر أمير المؤمنين عن أسفه في أن تكون جثامين قريش تحت ضوء الكواكب، ولكن ما في اليد حيلة لعدم وجود الخيار إلا بمعالجة المرض، وإنزال العقوبة بحق من تجاوز وتعدى وأصبح في السكوت عليه مخاطرة بالنظام، ينقل الطبري في تأريخه كلمة عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في نفس المشهد يقول: «والله لو ددت أني مت من قبل اليوم بعشرين سنة»^(٨٢)، ومن هم هؤلاء الذين يتحدث علي عنهم؟ هم الناكثون الذين نكثوا ببيعة علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، هذه ثقافة الإسلام وعلينا أن نعتمد هذه الثقافة.

الشأن العربي

ما زالت المعاناة مستمرة في العديد من الدول العربية الكريمة، والإصرار على تحكيم إرادة الشعوب ودفع الثمن مهما كان غاليا وباهظا من أرواح وممتلكات وثروات. ولكن الانتصار لهذه الإرادة الشعبية وتحقيق أنظمة تعتمد على إرادة هذه الشعوب في ظل تثبيت بالسلطة من قبل الظالمين وبعض الحكام الذي صموا آذانهم عن مطالب الناس، ورجحوا مصالحهم الشخصية على أية مصلحة عامة وعلى أي اعتبار آخر مهما كانت النتائج، ومهما أزهقت من أرواح بريئة هنا وهناك، بل ويعتبرون ذلك انتصارا للوطنية ودفاعا عن السيادة كما نسمع في بعض الخطابات الرنانة. إن الشعوب ستنتصر بإذن الله تعالى والإرادة الشبابية المتحضرة التي نجدها اليوم في الوطن العربي ستتغلب على كل الصعاب وستواجه كل التحديات من قبل الانتهازيين والمصلحيين والأنانيين والمزاجيين الذي قدموا رؤيتهم وأمزجتهم على المصالح العامة لهذه الشعوب، وسنشهد في القريب العاجل واقعا عربيا فيه تمكين لإرادة هذه الشعوب الكريمة ويعبر عن طموحات وضمائم حقوق هذه الشعوب في العديد من البلدان العربية، وليس لنا إلا التعاطف والتعاضد والنصرة والدعاء لكل خطوة حققة ولكل موقف كريم والترحم على كل قطرة دم بريء تسقط في الانتصار لهذه الإرادة الشعبية الحرة.

ذكرى يوم النكبة

في أجواء التحولات الكبرى التي تشهدها المنطقة العربية تعود القضية الفلسطينية إلى الواجهة من جديد، ومن خلال الخطوة المهمة التي قام بها أبناء الشعب الفلسطيني الكريم وفاجؤوا العالم بها في إحيائهم للذكرى الثالثة والستين ليوم النكبة الفلسطينية، والتوجه

٨١. نهج البلاغة، ج ٢- ص ٢٠٣

٨٢. تأريخ الطبري، ج ٤- ص ٥٣٧

من مخيماتهم في العديد من البلدان العربية إلى أوطانهم ورشق الجنود الإسرائيليين بالحجارة في رسالة واضحة على إصرارهم على العودة إلى وطنهم وعمل المستحيل من أجل أن تعود الأمور إلى سباقها الصحيح .

في الخامس عشر من أيار يستذكر الفلسطينيون عمليات التهجير الواسع والاعتداء والتدمير الكبير الذي تعرضت له القرى الفلسطينية بعد الانتكاسة التي تعرض لها العرب بعد حرب عام ١٩٤٨ حيث دمرت المئات من القرى وهجر ما يربو على ٤٠٠ ألف فلسطيني في دول عديدة ، هجروا إلى تلك البلدان ليتكاثروا وتزداد أعدادهم وتبلغ الملايين في الوقت الراهن منتشرين في أصقاع العالم وفي مناطق مختلفة .

إن زحف آلاف الفلسطينيين من سوريا ولبنان إلى وطنهم ، والقيام بهذا العمل الجريء في رشق الجنود الإسرائيليين بالحجارة فيما أسموه بيوم الزحف ، وتحت شعار العودة إلى الديار الذي رفعوه ، وحملوا مفتاحا كبيرا وانطلقوا نحو هذه الحدود ، إن ذلك يمثل عملا بطوليا كبيرا يسجل لأبناء الشعب الفلسطيني ، وخطوة مهمة في الطريق الصحيح لاستعادة الحقوق الضائعة وتثبيت حقانية العودة التي يحملها اليوم أبناء الشعب الفلسطيني الذين يعيشون في المنافي منذ عقود طويلة .

محورية القضية الفلسطينية

إن القضية الفلسطينية هي القضية المحورية العربية والإسلامية التي تحظى باهتمامنا الكبير ، وستبقى فلسطين القلب النابض لحين استرجاع الحقوق المسلوقة لأبناء هذا الشعب الكريم . إن التعامل الهمجي العدواني والوحشي للجيش الإسرائيلي مع أبناء الشعب الفلسطيني الأعزل الذين جاؤوا لرفع هذا الشعار ، شعار العودة ، والذي أدى إلى سقوط العشرات بين شهيد وجريح في هذه العملية التي امتدت في بلدات عديدة ، زاد من أهمية الحدث . وهكذا تعودنا أن دماء الشهداء وتضحيات المضحين دوما تعطي المزيد من الزخم في هذه العملية المتصاعدة في الدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني .

إننا نترحم على تلك الدماء الطاهرة البريئة التي أريقت من أبناء الشعب الفلسطيني ونتمنى الشفاء العاجل للجرحى الذين سقطوا في هذه العملية ونعبر من جديد عن تضامننا مع الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج ، ونتمنى أن نرى ذلك اليوم قريبا حيث تكون فلسطين عامرة عزيزة كريمة عربية أصيلة قادرة على أن تعيد حقوقها وأن تعبر عن نفسها في ظل التحولات التي تشهدها المنطقة العربية ، وأن تتمتع بالسيادة الكاملة في ظل دولة فلسطينية مستقلة .

إننا ننتهز هذه الفرصة لندعو كل المنظمات الدولية وأصحاب القرار والمؤثرين في القرار الإقليمي والدولي لبذل المزيد من الجهد في ضمان حقوق الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج، وتوفير مستلزمات الحياة الكريمة لهذا الشعب الجريح وتثبيت حق العودة لجميع اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم واستعادة أملاكهم التي غصبت من قبل الكيان الإسرائيلي. والاعتراف بالدولة الفلسطينية التي طال انتظارها، ليس من الشعب الفلسطيني وحده وإنما من كل الأحرار في العالم الذين يراقبون هذه المأساة الكبيرة منذ أكثر من نصف قرن ونتمنى أن تستمر حالة التعاون والتواصل بين القوى الفلسطينية بما يحقق المزيد من القوة والعزة، ويساعد هذه القوى على الانتصار للحق الفلسطيني الضائع وضمان مصالح وتطلعات أبناء الشعب الفلسطيني الشقيق.

انتخاب أمين عام الجامعة العربية

انتهز هذه الفرصة لأعبر عن ترحيبنا باختيار معالي الأستاذ نبيل العربي أميناً عاماً جديداً للجامعة الدول العربية. ونتمنى أن نشهد تطوراً مستمراً في العمل العربي المشترك في ظل إدارته للجامعة والمزيد من النجاح والتوفيق في مهامه في هذا الموقع الحساس، وفي ظل الظروف البالغة الحساسية التي يمر بها وطننا العربي.

الوضع المحلي

تتصاعد التصريحات السياسية والمواقف الإعلامية سلماً وإيجاباً في موضوع ميناء مبارك الكويتي المزمع إنشاؤه في دولة الكويت، في ظل حركة دبلوماسية بطيئة شهدها في متابعة هذا الموضوع. إننا نعتقد بأن أي من الملفات المشتركة بين العراق وجيرانه ودول المنطقة والعالم يجب أن تحل عبر الحوار والتواصل البناء ومعالجة الإشكاليات بين العراق وهذه الدول، ولا يمكن أن نبحت عن حلول من خلال مواقف القوى السياسية أو التصريحات الإعلامية لهذا الشخص أو ذلك الحزب، ولا سيما إذا جاءت بعض هذه التصريحات في بيئة متوترة وفي أجواء يشم منها رائحة التشدد، إن كانت من بعض الأوساط العراقية تجاه الآخرين أو من قبل الآخرين تجاه الواقع العراقي، ونجد مثل هذا التصعيد والتوتر والتصريحات التي يتم تداولها في وسائل الإعلام بين هذه البلدان مما يخلق بيئة وأجواء لا تساعد على حل مثل هذه الإشكاليات بالطرق الصحيحة.

إننا نتمنى أن تكون المصلحة العراقية حاضرة لدى جميع القوى السياسية وأصحاب القرار في هذا البلد الكريم، ويجب أن نستحضر المصلحة العراقية أولاً ونحدد مواقفنا مع

الآخرين على خلفية هذه المصلحة، ولكن تحقيق هذه المصالح يتطلب إنزال الأزمات من السقف السياسي والإعلامي إلى السقف الفني والتخصصي للجان الحكومية بين البلدين.

العلاقة مع الكويت

إن معالجة هذا الموضوع إنما يتم عبر التواصل والحوار البناء بين العراق ودول المنطقة والجوار، وفي هذه القضية مع دولة الكويت، عبر لجان فنية وتخصصية مختصة في هذه الشؤون، ولا بد من ممارسة دبلوماسية فعالة ونشطة تقوم بها الأجهزة الحكومية المختصة لحل هذه الإشكاليات بالطريقة المثلى، والرجوع إلى التوافقات السابقة بين البلدين والتوافقات الإقليمية والدولية. وإذا تعذر حل الإشكاليات ضمن هذه السياقات فالرجوع إلى المرجعيات القانونية التي بإمكانها أن تنظر في مثل هذه المسائل وتعطي الرأي الذي تنصف به الشعوب والدول في هذه المنطقة الكريمة.

إن علينا استجلاء ما هو حق للعراق وما هو حق للآخرين في أي ملف وفي أي عقدة تحصل في هذه المسألة أو في أمثالها من المسائل، إننا معنيون جميعاً أن نرى سلوك رجال الدولة في التعامل مع هذه الأزمات والإشكاليات واعتماد السياقات الصحيحة التي تتجنب التصعيد والتوتر وإرباك المشهد السياسي والإعلامي، والذي قد يؤثر في تعقيد الأمور أكثر من تأثيره في حلها وحلحلة الأزمات والإشكاليات القائمة بين هذا البلد أو ذاك. فالحقوق لا تستحصل دائماً عبر التوتر ورفع نبرة الخطاب وإنما تحتاج إلى المعالجات الصحيحة والمنطقية.

إن العراق الديمقراطي الذي نشد إلى بنائه في تجربتنا السياسية القائمة يجب أن يحافظ على مصالحه وحقوق شعبه، عبر بناء الثقة مع جيرانه ودول المنطقة والعالم واعتماد الوسائل القانونية الصحيحة والحوار البناء وتجنب سياسات التصعيد والتوتر وخلق الأزمات في إدارة الملفات الحساسة.

الوضع الأمني

إن الوضع الأمني في العراق يشهد تقلباته السلبية المتواصلة، حيث استمرار الاغتيالات والتفجيرات والصواريخ التي تستهدف المراكز الحيوية في البلاد، وهروب بعض المجرمين إلى غير ذلك دون أن يتعرف أبناء شعبنا على أسباب ومناشئ هذا التراجع والجهات التي تقف وراء هذه الجرائم الكبيرة والمتكررة منذ أسابيع عدة، إن مثل هذا التراجع يؤثر في

الواقع الأمني بشكل مطرد ويتطلب إجراءات سريعة تقوم بها الجهات المختصة في حكومتنا الموقرة لمعالجة هذه الإشكاليات واستعادة الأمن والاستقرار في كل مناطق العراق .

إن من الحقائق التي يجب الالتفات إليها هي اختيار العناصر للمواقع الحساسة على أساس الولاء للعراق الجديد والإيمان بالنظام السياسي الجديد فيه ، ولا بد من إحراز هذا الولاء والتأكد منه قبل تسلم أية شخصية لمواقع حساسة ومرموقة ، ولا سيما في الأجهزة الأمنية لحساسية هذا الموضوع ، فيما أن هناك تركيزا على الكفاءة وهي مطلوبة جدا ولكن الكفاءة بمفردها غير قادرة على أن تحقق أمانا للبلد ما لم تقترن بالولاء الحقيقي والإيمان العميق بالنظام السياسي الجديد في العراق ، ولعل بعض هذه الاختراقات إنما جاءت لتكشف عن قلة التركيز على جانب الولاء للنظام السياسي وللعراق الجديد ولا بد من مزيد من الاهتمام والتشدد في هذا الموضوع . إن الشعب العراقي يتطلع ليرى المفاصل الحساسة والحيوية بيد قيادات ورجال يتمتعون بالكفاءة وبالحنس الوطني وبالاندفاع من أجل الدفاع عن هذا المشروع وهذه التجربة الوليدة في بلدنا الكريم .

الواقع الخدمي

إن الوضع الخدمي لا يزال يعيش منغصاته المعروفة ومعاناة المواطنين جراء الانقطاع المتكرر للتيار الكهربائي لساعات طويلة في بغداد ، وفي العديد من المحافظات الأخرى والتلكؤ في الجوانب الخدمية الأخرى للمواطنين . إن مثل هذا التلكؤ يضغط بشكل متواصل ومستمر على المواطن العراقي ولا بد من البحث عن حلول سريعة لتخفيف شدة هذه الضغوط على المواطنين الكرام .

إن من بواعث السرور ما نقل من أن ست وزارات من وزاراتنا في الحكومة العراقية قد اجتازت اختبار المائة يوم بنجاح ، وأنجزت ما عليها . إنه خبر مفرح وسعيد ولكن من حق شعبنا أن يتعرف على طبيعة الإنجازات التي قامت بها هذه الوزارات الست حتى تجاوزت الاختبار بنجاح كما ذكرت الجهات المختصة ، والشعب العراقي يسأل أيضا عن الوزارات السبع والثلاثين الأخرى ماذا كان موقفها وردود أفعالها ومدى النجاح الذي حققته في هذا الاختبار ، فمن ينجح عليه أن يقدم الصورة الواضحة لما اعتبر نجاحا في وزارته ، ومن يخفق يتطلع الشعب ليتعرف على من أخفق وعلى الموقف الذي سيتخذ ممن لم يتمكن من تقديم الخدمة المناسبة للمواطنين .

إن الترشيح الوزاري والتخلص من الترهل الكبير الذي أصاب الحكومة في هذا العدد

الواسع من الوزارات يمثل أولوية أساسية يمكن من خلالها معالجة الكثير من التعقيدات والتلكؤات والانطلاق بالبلد إلى ما يتمناه المواطنون، إن الخدمة للمواطنين تمثل الأساس الذي يجب اعتماده في هذه المرحلة وكل من يخدم الناس ويقف إلى جانبهم ويعالج مشاكلهم علينا جميعاً أن نقف إلى جانبه وندعمه ونسانده في مواقفه الخدومة للمواطنين مهما كان حزبه أو انتماءه القومي أو المذهبي أو الديني أو ما إلى ذلك، إننا نعلن بوضوح عن استعدادنا الكامل لدعم أي رئيس أو وزير أو مسؤول يقدم الخدمة الصحيحة للمواطنين.

سنقف ونكرس كل طاقاتنا وإمكاناتنا لدعم هؤلاء الذين يخدمون الناس ويقدمون للمواطنين ويقبلون من أعباء المواطنين أياً كانت انتماءاتهم، أيها المسؤولون الكرام إن أبناء شعبنا تحملوا الكثير وصبروا كثيراً على المعاناة في عهد النظام البائد وفي السنوات الثمان الماضية، وهم اليوم يستحقون أن تصلوا الليل بالنهار في عملكم لتوفير الخدمة إليهم وحل مشاكلهم وإشعارهم أن هناك مسؤولين خدومين يقفون ويقدمون كل ما لديهم من أجل خدمة هؤلاء الناس. فلا تقصروا في حقهم وسجلوا بسمة على شفاه كل أولئك المواطنين وادخلوا التاريخ من أوسع أبوابه حينما تقدمون الخدمة الحقيقية للمواطن العراقي. إن مثل هذه الخطوة ستجعلكم أعزاء لدى شعبكم وعند ربكم وتحظون عبر ذلك بسعادة الدارين في الدنيا والآخرة.

يوم المقابر الجماعية

مر علينا في السادس عشر من أيار يوم شهداء المقابر الجماعية، وهو اليوم الذي اكتشفت فيه أكبر مقبرة جماعية في منطقة المحاويل في شمال الحلة عام ٢٠٠٣، ولا بد من أن نستذكر أولئك الشهداء الأفاضل وهذه المجزرة الكبرى في تاريخنا المعاصر، التي لم تسلط عليها الأضواء كما ينبغي.

إن هذه المقابر التي اكتشف منها حتى الآن ٣٤٦ مقبرة منها ٨٠٪ في الفرات الأوسط والمحافظات الجنوبية والباقي في أماكن أخرى من بلادنا العزيزة، تمثل مظلومية كبرى للشعب العراقي عموماً ولذوي أولئك الشهداء الأفاضل الذين تم دفنهم وهم أحياء في الأعم الأغلب في هذه المقابر الجماعية. إننا بحاجة إلى قاعدة بيانات تفصيلية عن جميع المفقودين العراقيين وهو ما يجب أن يضطلع به المركز العراقي للمفقودين، كما إن من مسؤولية وزارتي التعليم العالي والتربية أن تخلد ذكرى أولئك الشهداء، وهذه الملحمة

التأريخية الكبرى في المناهج الدراسية ليتعرف عليها أبنائنا والأجيال القادمة وعلى ما قدمه آباؤهم وأجدادهم وسلفهم من تضحيات جسام، إنها مفخرة العراقيين جميعا ولولاهم لما عشنا الحرية التي نعيشها اليوم، كما إن الانتصار لهذه الدماء البريئة يتطلب ملاحقة الجزارين الذين تلطخت أيديهم وصنعوا هذه المجازر والمقابر الجماعية وأن يقدموا للعدالة .

إن مجلس النواب العراقي مطالب أيضا بتشريع يعتبر فيه المقابر الجماعية في العراق جرائم ضد الإنسانية وإبادة جماعية ولا بد من عمل دؤوب على المجتمع الدولي لاستصدار قرار للاعتراف بهذه المقابر الجماعية واعتبار هذه الجرائم إبادة جماعية وجرائم ضد الإنسانية، كما إننا بحاجة إلى إنتاج مشاريع ثقافية وفنية توثق هذه الملاحم والبطولات وهذه التضحيات لأبناء شعبنا، وتتحمل ذلك الوزارات المختصة بالحكومة العراقية ووسائل الإعلام ومنظمات المجتمع المدني، فهي قضية تضامنية نتحمل جميعا مسؤوليتها. إن الحكومة العراقية الموقرة مطالبة أيضا بالتوقيع على الاتفاقيات الدولية التي من شأنها منع تكرار هذه الجرائم على هذه الأرض الطاهرة.

زيارة محافظة ميسان

لقد تشرفنا في الأسبوع المنصرم بزيارة محافظة ميسان، ميسان الفداء والجهاد والتضحية، هذه المحافظة التي قدمت الكثير وهي اليوم تقدم الكثير ولاحظنا طبيعة التطور الذي حصل، ولعلي وجدت من تنفيذ مشاريع البنى التحتية وشبكات الصرف الصحي في هذه المحافظة أكثر مما وجدناه في باقي المحافظات الأخرى، فشكرنا لهم مثل هذه الجهود الجبارة والكبيرة وتعرفنا على همومهم، ونقوم بدورنا بنقل هذه الهموم إلى الجهات المختصة، ونسأل الله أن نوفق لخدمتهم والتخفيف من أعبائهم.

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١١/٦/٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين
حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين
وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل إخوتي الأكارم أخواتي الفاضلات ، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب
في مجلسكم هذا ، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين .

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

كنا قد تحدثنا في اللقاءات السابقة عن النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة ، وذكرنا
أن عهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك الأشرم يمثل اختزالاً لهذه النظرية ، وقد تحدثنا
عن عدد من الموضوعات وانتهينا إلى مقطع يتحدث فيه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ عن طبيعة العلاقة
بين المسؤول ومن هو مسؤول عنهم ، واستعرضنا العديد من الدروس المهمة على هذا
الصعيد ، وكان حديثنا في اللقاء الأخير عن قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : «ولا تدمن على عفو ولا
تبجن بعقوبة ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة»^(٨٣) وذكرنا في شرح هذه
العبارة «ولا تسرعن إلى بادرة» ، أن أمير المؤمنين يوصي مالكا الأشرم ؛ يا مالك لا تحصل
لك الندامة على العفو والصفح عن الناس وعن الرعية ، ومن تتحمل مسؤوليتهم ، فالفو
والصفح وغض الطرف والتساهل مع الناس ما لم تخل بهيبة الدولة وهيبة المسؤول وما
لم تمنع من أداء الواجبات المناطة بالمسؤول ، هي قضية جيدة وصحيحة ومطلوبة .

٨٣ . نهج البلاغة ، ج ٣ - ص ٨٤ - الكتاب ٥٣

لا مجال للفرح والشماتة

إن الصفح والعتو تجاه من أنت مسؤول عنهم بالمستوى الذي لا يؤدي إلى التسبب وإخلال بالنظام قضية مطلوبة وجيدة، «ولا تبجحن بعقوبة»، يا مالك أنت المسؤول حتى حينما تعاقب وتطبق القانون، وحينما تقوم بملاحقة معينة لشخص خارج عن القانون، فلا تشعر بالفرح والسعادة لأنك لست في موقع الشماتة ولا في موقع التشفي، بل أنت في موقع الانتصار إلى القانون والنظام والدفاع عن مصالح الناس، فحتى حينما تنزل العقوبة بمن يستحقها فهي من أجل خلق البيئة الآمنة في المجتمع ومن أجل أن يلتزم الجميع بالقانون وأن تنتصر لمصالح عامة الناس.

لذلك لا تشعر بالفرح ما دمت تعاقب، فإن العقوبة إذا كانت في محلها فإنها تكشف عن وجود جنحة وجريمة وجناية، والجريمة حالة مرضية في المجتمع، إذن حينما تعاقب إنما تعالج حالة مرضية، وكلما زادت العقوبة عبر ذلك عن شيوع المرض بين الناس، وكلما كانت مساحة المرض متسعة عبر عن حالة مقلقة في مجتمع ما. فحينما يقال إننا نفذنا (كذا حكم) بالإعدام فهو بقدر ما يكشف عن الالتزام بالقانون يكشف أيضاً عن وجود مجرمين يستحقون القتل بهذه الأعداد الكبيرة، فلا تشعر بالفرح أيها المسؤول حينما تمارس العقوبة بحق المواطنين حتى حينما يستحقها هذا المواطن، حيث ارتكب جريمة أو أساء إلى نفسه أو إلى الرأي العام أو الأمن والسلم الاجتماعي، فهذا الأمر لا يحتاج إلى الفرح بل إلى القلق من وجود حالة مرضية تدفع الناس لمخالفة القانون والاعتداء على الحق العام.

الابتعاد عن الغضب والانفعال

ثم انتهينا إلى هذه العبارة: «لا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة»، ومعنى هذه العبارة أن على المسؤول ألا يسرع إلى بادرة يبتدرها، فجدير به الابتعاد عن أخذ القرارات وهو في حال الغضب والانفعال، فإذا بدر إليك الغضب أيها المسؤول وإذا أخذك الانفعال حينما سمعت كلمة أو وصلك تقرير أو شاهدت خبراً في وسيلة إعلامية أو نُقل إليك شيء فعليك ألا تتخذ قراراً وأنت في مثل هذه الحالات، لأنك لن تكون قادراً على اتخاذ القرار الصحيح، وربما أتاحت لك الفرصة في أن تحمل ما وصلك على محمل حسن، فقد يكون ثمة خطأ في التقرير، أو قد يكون كيدياً، أو أن المعلومة غير دقيقة، أو أنه لم يعكس الصورة بشكل كامل، فحاول أن تجد مبرراً حتى تخرج من ذلك

الموقف من دون اتخاذ قرار . . فلا بد للمسؤول من الهدوء أولاً والتحقيق في الموضوع ومن ثم اتخاذ القرار الذي لن يضطر إلى أن يعيد النظر فيه ولا يتراجع عنه ، وحتى لا يكسر قراره في وقت لاحق .

فمسألة الغضب والانفعال في البعد الإداري والقيادي هي من أخطر الأمور التي تضيع الحقوق وتجعل المسؤول في موقف محرج ، لأنه إن تراجع وكسر قراره ضاعت هيئته ، وإن أصر فإنه يكون قد أصر على الخطأ في قضية لا تستحق مثل هذه القرارات المجحفة في موضع ما ، والتي قد تكون جاءت على خلفية الانفعال . إن التريث والصبر والحكمة والهدوء في هذه المسائل مطلوبة جداً .

لاحظوا في نهج البلاغة ماذا يوصي أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بعض عماله ، تحديداً في الوصية ٤٦ من وصايا نهج البلاغة حيث يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ : « فاستعن بالله على ما أهمك ، واخلط الشدة بضغت من اللين . وارفق ما كان الرفق أرفق ، واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة ، واخفض للرعية جناحك ، وألن لهم جانبك ، وآس بينهم في اللحظة والنظرة ، والإشارة والتحية ، حتى لا يطمع العظماء في حيفك ، ولا ييأس الضعفاء من عدلك»^(٨٤) . أي أن الأشياء الخطيرة والمهمة تحتاج إلى أن تستحضر الله ليعطيك القوة والعزيمة والإرادة ، أي الالتصاق والارتباط بالله سبحانه ، واستحضار العلاقة مع الله التي تعطي المسؤول قوة كبيرة في الشدائد والهمم ، فضع الله سبحانه وتعالى بين عينيك . كذلك على المسؤول أن يمزج الشدة باللين ، فلا تتعامل أيها المسؤول بقسوة ولا تتعامل بغلظة ، فلكل فعل ردة فعل ، فلعل ثمة موقفاً شديداً سوف يرد عليك فيما بعد ، فعليك دائماً أن تمزج الشدة باللين كي تحقق حالة الحزم .

الرفق والليونة

«وارفق ما كان الرفق أرفق» ، في كل مكان وفي كل موضع هناك مجال أن تتعامل بالرفق وبالليونة والمرونة ، حتى لا تبقى دائماً أنظار المواطنين شاخصة إلى لحظة تنفيذ العقوبة مترقبين ذلك ، لأن العقوبة إذا كثرت يتجرأ معها الناس على مخالفة القانون ، ولا يجب إصدار الأوامر بالاعتقال بسهولة ويسر ، وكذلك الإيداع في السجن ؛ لأنه حينذاك يفقد السجن قيمته المعنوية في إصلاح الناس ، فما دام الرفق ممكناً فتعامل بمرونة .

٨٤ . نهج البلاغة ، ج ٣ - ص ٧٦

«واعترز بالشدة حين لا تغني عنك إلا الشدة» فحينما لا يكون هناك طريق إلا الموقف الحازم فعليك بالحزم والشدة، لكنها قضية تبقى مضرب مثل ولا تتكرر كثيراً حتى تساعد في خلق حالة صحية بين الناس. «واخفض للرعية جناحك» خفض للرعية ومن أنت مسؤول عنهم جناحك بالابتسامة والبشاشة فتريح المقابل، فقد يدخل مواطن على مسؤول ويراه مبتسماً وينتقي عبارات المودة والمحبة فعندها يشعر المواطن بالطمأنينة حتى يعبر عما في داخله ويشرح قضيته من دون أن يخشى ويقلق، «وألن لهم جانبك وآس بينهم في اللحظة والنظرة والإشارة والتحية»، ففي كل لحظة ونظرة أشعر الجميع يا مسؤول بالمساواة، ولا يمكن ترقب العدالة من مسؤول منحاز إلى طرف ما بل يجب المساواة بين الناس، المساواة حتى في التحية وتقاسيم الوجه، فالصدقة والقرابة في البيت وفي العلاقات الخاصة، وما دمت في موقع المسؤولية يجب أن يشعر الجميع بأنك على مسافة واحدة منهم، حتى تكون قادراً على إدارتهم، «حتى لا يطمع العظماء في حيفك» حتى لا يطمع أصحاب الأموال والوجهات والتأثير، فيجب ألا يشعر هؤلاء بالأمل في حكمك وعدلك وأنتك سوف تميل عن الضعفاء والفقراء بغير وجه حق لصالحهم. «ولا ييأس الضعفاء من عدلك» ولا يجب أن يشعر الضعيف باليأس من إمكانية استعادة الحق من خلالك.

الغضب يفسد الأبواب

هناك الكثير من النصوص والروايات التي جاءت لتشدد على أن القرارات في ظرف الغضب والاندفاع قرارات خاطئة في أغلب الأحيان، ثم يضطر الإنسان لكسرها لاحقاً والرجوع عنها، وهذا ما يكسر هيبة المسؤول حينما تتعدد قراراته. لاحظوا في غرر الحكم عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الغضب يفسد الأبواب، ويبعد من الصواب»^(٨٥)، العقل يتعطل حينما يكون الإنسان غاضباً، ولا يستطيع التفكير بشكل صحيح، وحين تشتد حالة الغضب لا يستطيع الإنسان أخذ القرار الصائب والصحيح فيقع في إشكاليات كثيرة وكبيرة.

وفي كنز الفوائد عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «شدة الغضب تغير المنطق، وتقطع مادة الحجة وتفرق الفهم»^(٨٦)، فكلما اشتد الغضب أصبح المنطق الذي يفكر فيه الإنسان ويتعامل به

٨٥. غرر الحكم، ج١ - ص ٣٥٧

٨٦. كنز الفوائد، ج١ - ص ٣١٩

مغاير السجيته وطبعه الصحيح ، وحينما تكون غاضبا وتأخذ موقفا غير صحيح تكون غير قادر على البحث عن سياقات الحجة والبرهان ، بل تكون الانفعالات والمشاعر الجياشة هي السائدة ، وما شاء الله ، فإن المتملقين حول المسؤولين كثر في كل عصر ، الذين يعملون على الإبقاء على حالة الغضب عند المسؤول مستمرة تجاه الآخرين ، ويجعلونه في أجواء عزلة عن الواقع الخارجي حتى يتخذ أفسى العقوبات والقرارات بحق الآخرين ، وأول من يكتوي بنا هذه القرارات المسؤول نفسه ، حينما ترد عليه ويضطر بعدها لأن يكسر قراره ويتراجع عنه ، «وتفرق الفهم» ، أي أنها تحدث حالة من تشتت الفهم عند من يصدر تعليمات وقرارات وهو في ثورة الغضب وفي حالة من عدم الاتزان وعدم الاستقرار النفسي ، إذن حري بنا التريث والهدوء والاستقرار لننظر ما هو حجم المشكلة ، ثم ننظر في الحلول والمعالجات المطلوبة لحلها .

الشأن العربي

إننا نتابع بقلق واهتمام كبيرين ما يجري من تحولات مهمة في المنطقة العربية ، ومن التعقيدات المتزايدة في الاستخدام المفرط للقوة والبطش بالمواطنين ، كما نجده في العديد من البلدان العربية . وما يخلف ذلك من ردود فعل طبيعية لأولئك الشبان الثوار الذين يدافعون عن أنفسهم وعن عزتهم وكرامتهم .

إن قطار التغيير ماض من دون توقف ، ومن لا يبادر إلى إيجاد الإصلاحات الجذرية والتماشي مع الإرادة الشعبية ، ومع الواقع الجديد الذي فرض نفسه على الساحة العربية عليه أن يستعد للرحيل ، ولا يستطيع أن يقاوم كل هذه التحولات والحقائق التي نجدها اليوم كأمر واقع يسير في العديد من البلدان العربية الكريمة .

إننا نتفهم الصعوبات التي تواجه بعض الأنظمة التي طالما حكمت بلدانها لعقود من الزمن على قاعدة الرجل الواحد والقائد الضرورة ، الرجل الواحد الذي يفهم كل شيء ويملك كل شيء ويحتكر كل شيء ويتحكم بكل شيء ، من الصعوبة بمكان في مثل هذه الأنظمة أن تقف اليوم لتراجع نفسها وتتخلى عن جزء مهم من صلاحياتها وأدوارها لصالح شعوبها حتى تستمر في إدارة شؤون هذه البلاد ، ولكن حجم التحولات القائمة اليوم لا تسمح بالبقاء لمن يرغب في أن يبقى إلا بالقيام بإصلاحات حقيقية ، وأن يرفع هؤلاء الحكام لأنفسهم لواء الإصلاح والتغيير في بلدانهم ويستجيبوا لنداء شعوبهم ، ويحققوا طموحات وتطلعات هذه الشعوب الكريمة ، ويبعدوا بعض العناصر السيئة المحيطة بهم الذين انتفخوا وأثروا بطريقة غير مشروعة على حساب الشعب المحروم في هذا البلد أو ذاك . هؤلاء

الذين عبروا عن انتهازية كبيرة في استحوادهم على الثروات والإمكانات والمواقع والفرص في هذه البلدان ، ولا بد لهؤلاء الحكام أن يضعوا حداً لمثل هؤلاء المسيئين وأن يبعدوهم ويتخذوا الإجراءات الصحيحة في الانتصار لشعبهم وإرادة وحرية وكرامة وحقوق هذه الشعوب حتى يبقوا على سدة الحكم . وإلا فعليهم الرحيل لأن حجم هذه التحولات لا يمكن أن يسمح ببقاء السياقات والقواعد السابقة في إدارة البلدان .

الشعوب أحق بثرواتها

أقولها بصراحة لهؤلاء الحكام ، إذا لم يقوموا بمثل هذه الإصلاحات الجذرية والحقيقية فسيصبحون أعداء لشعبهم وسيرحلون من دون أن يبقى لهم الذكر الحسن ، إذا كانوا قد قاموا في السنوات الماضية بما يستحق أن يذكروا على ضوئه بالحسن ، وأقولها أيضاً لتلك الشعوب الثائرة فقوا وتحملوا مسؤولياتكم ودافعوا عن حرياتكم وعزتكم وكرامتكم وحقوقكم ، إننا نقف معكم موقف الانتصار ، موقف التضامن والنصرة والإسناد في قضاياكم العادلة ، وفي حقوقكم المهذورة وفي كرامتكم الضائعة . وندعو ونتمنى لكم التوفيق في تحقيق أفضل الإنجازات بما يحقق طموحات شعبكم ، فإنكم أحق بثروات شعبكم من أولئك الانتهازيين والنفعيين الذين استحوذوا على كل هذه الثروات والإمكانات على حسابكم .

إنكم أحق بهذه الثروات والإمكانات ولا بد من أن تعود ثروات الشعوب لأبنائها ، وليس لمثل هؤلاء السيئين والنفعيين الذين كان لهم الدور الكبير في التخلف والخراب والدمار الذي لحق بالعديد من البلدان العربية الكريمة التي جباها الله سبحانه وتعالى بالنعمة العظيمة والإمكانات الكبيرة ، امضوا على بركة الله وتوكلوا على الله واستعينوا بالله واخلصوا نياتكم لله سبحانه وتعالى ولخدمة شعوبكم ، فإن النصر المحتم قادم لا محالة كما وعد الله سبحانه وتعالى بذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ .^(٨٧)

الشأن المحلي

في العراق انتهت مهلة المائة يوم التي وضعتها الحكومة الموقرة لنفسها ، وبدأت بعرض الإنجازات وبيان المشاريع المستقبلية والأسباب و المناشئ في تلكو بعض المشاريع في الوزارات وفي مفاصل الدولة المختلفة ، ولا بد لنا من أن نسجل موقفنا

٨٧ . سورة محمد : الآية ٧

الواضح في هذه المرحلة الحساسة والحرجة من تأريخ بناء العملية السياسية في العراق ،
ونشير إلى العديد من النقاط المهمة كموقف واضح لنا في هذه المرحلة .

خدمة المواطن هي الأساس

أولاً/ بحسب الدستور العراقي فإن المحور الأساسي في الدولة العراقية هو المواطن العراقي ، والذي يجب أن تتركز عليه الأنظار والاهتمامات ، فكل فكرة وكل خطوة وكل مشروع وكل إنفاق يجب أن يلحظ فيه مصلحة وهموم ومشاكل المواطنين ومعالجة هذه المشاكل ، وكل انتصار للمواطن هو انتصار للدستور وانتصار لدماء الشهداء ووفاء للعهد الذي قطعه المسؤولون مع أبناء شعبهم ، هذا الشعب الكريم الذي وضع ثقته بهؤلاء المسؤولين حينما انتخبهم بصورة مباشرة أو عبر ممثليه السادة والسيدات النواب في مجلس النواب ، وإن تحقيق تطلعات الشعب وخدمة الشعب هو الطريق الأقرب والواصل لكسب رضا الله تعالى .

إننا نجدد التزامنا الكامل ودعمنا وإسنادنا ونصرتنا للحكومة الموقرة في كل خطوة وفي كل مشروع وفي كل إنفاق يخدم المواطن البسيط ، ويهون من محنته ويخفف من أعبائه ويساعد على تحقيق كرامة المواطن وحقوقه ، ونتحفظ ونعترض على كل خطوة يمكن أن تضر بمصالح المواطنين أو تبتعد عنهم لتهتم وترعى مصالح حزبية أو فئوية أو شخصية ، إننا سندعم أو نعترض على أساس مصالح هذا الشعب بعيداً عن التركيز على أي اعتبارات أخرى ، سوف لا نقف عند التوجهات الدينية والمذهبية والقومية والسياسية حينما نعترض أو ندعم هذا المسؤول أو ذلك ، وسنبقى أوفياء لأبناء شعبنا كما قلناها مراراً وسنبقى نرددها في كل وقت ، سنبقى أوفياء لهذا الشعب مدافعين عن قضاياهم وهمومهم ، ندعم كل خطوة تصب في مصلحته ونعترض ونتحفظ على كل خطوة تسيء إليه وتتجاوز على مصالحه ، فإذا دعمنا فلإننا نرى خطوة تساعد المواطنين وتخدمهم ، وإذا ما اعترضنا فهو لما نراه من أنه يسيء للمواطن أو يبتعد عن مصالحه ، شرفنا ورفعنا أن نكون في خدمة المواطنين مدافعين عن حقوقهم وعن مصالحهم وسنقف ونتحفظ على كل خطوة تسيء إلى هذا المواطن ، ونتحفظ ونعترض على كل مسؤول يقصر في أداء واجباته تجاه المواطنين .

ومن هذا المنطلق أدعو إخواني من القيادات العراقية والقوى السياسية الكريمة أن يجعلوا خدمة المواطن هي الأساس وأن نقف جميعاً داعمين ومساندين في كل خطوة تحقق هذه الخدمة لأبناء شعبنا . إننا نقدر حجم التعدد في الاجتهادات والاختلاف في

الرؤى ولكن لنجعل هذه الاختلافات تسير في مساحة أبعد عن ملف الخدمات وملف الأمن، وكل قضية فيها أمن المواطنين وخدمتهم ورفاههم لنقف مجتمعين يدا واحدة من أجل تحقيقها، ففي بيئة آمنة وفي مجتمع يبذل جهوده لخدمة المواطن ويحقق له العيش الرغيد، ففي مثل هذا المجتمع بإمكاننا أن نختلف في توجهاتنا السياسية وتبقى مساحة الاختلاف في الرأي السياسي في جانب ومساحة الخدمات والأمن في جانب آخر.

المصارحة منهجنا الثابت

ثانيا/ إننا نرحب بمنهج المصارحة والمكاشفة الذي تعتمده الحكومة العراقية في نهاية المائة يوم، حينما يخرج السادة المسؤولون على وسائل الإعلام وتبث الاجتماعات مباشرة على الهواء التي يتحدث فيها السادة الوزراء عما أنجزوه وعما سينجزونه وعن التلكؤات أو التحديات التي تقف بوجههم في إنجاز المشاريع.

إن المصارحة والمكاشفة نهج شهيد المحراب وعزيز العراق، وهو منهج اعتمده منذ عقود من الزمن، ورفعنا لواءه وتحديثنا به ليل نهار في السر والعلن، ولذلك نعتقد بأن هذه المصارحة تمثل جزءا أصيلا من روح الديمقراطية في هذا البلد الكريم وضربة موجعة لكل أنواع الفشل والتلكؤ والتقصير في أداء الواجب لأي من المسؤولين، وليس من سر على أبناء شعبنا، فإن هذا الشعب الكريم هو الذي وضع ثقته بالمسؤولين وهو الذي اختارهم لمواقع المسؤولية ومن حقه أن يتعرف على ما يجري في هذا البلد الكريم من تفاصيل ومن مشاريع، إن هذا الشعب هو الذي أئتمن المسؤولين على أرواحه وثرواته فكيف نحرمه من الاطلاع على الخطط الأمنية التي تحفظ هذه الأرواح، وعلى الخطط التنموية التي تحقق له الرفاه والعيش الكريم في هذا البلد، من حق أبناء شعبنا أن يطلعوا على ما يجري في الأروقة الحكومية.

المكاشفة لا تتجزأ

إن المصارحة والمكاشفة هما المدخل الصحيح ليتعرف الشعب على كل هذه التفاصيل، ولكن المصارحة والمكاشفة لا تقبلان التجزئة وعلينا أن نقبل بهما في سلة واحدة وفي مفهوم متكامل. إن السادة الوزراء بل الحكومة بكل مفاصلها بدءا من دولة رئيس الوزراء والسادة نواب رئيس مجلس الوزراء، وصولا إلى السادة الوزراء، يقدمون تقاريرهم بشكل مسهب وتفصيلي إلى الشعب عما قدموه لأبناء الشعب العراقي.

ثم تأتي الخطوة الثانية من ممثلي الشعب في مجلس النواب، فعليهم أن يستضيفوا السادة المسؤولين في الحكومة الموقرة، ليدققوا في ما قدموه من تقارير ويتساءلوا عن التفاصيل التي تحدثوا بها نيابة عن الشعب إيفاء بالتزاماتهم الدستورية في البعد الرقابي على الحكومة، ثم يأتي متزامنا مع ذلك دور وسائل الإعلام والرأي العام والسلطة الرابعة التي تقف عند هذه التقارير وتضعها على طاولة التشريح وتنظر فيها وتدقق في مستوى صدقيتها، فهناك أرقام وتفاصيل تذكر ويصعب على كل مواطن أن يتأكد من صدقية هذه المعلومات وعلى وسائل الإعلام أن تتحمل مسؤولياتها لتحليل هذه التقارير وشرحها والبحث عن مدى صدقيتها، لتقديم صورة موضوعية إلى المواطن البسيط، ويبقى الشعب صاحب القرار الأول والأخير والحكم على السادة المسؤولين في مدى تحقيق النجاح في مهماتهم، بعد أن يستمع إلى تقاريرهم المباشرة وإلى تساؤلات ممثلي الشعب في مجلس النواب وإلى التحليلات التي تقدمها الوسائل الإعلامية والسلطة الرابعة.

خطوة بحاجة إلى الاستمرار

إن تعزيز مبدأ المصارحة والمكاشفة وتقييمه في هذا البلد الكريم يتطلب استمرار فكرة المائة يوم، فكلما انتهت مئة يوم خرج المسؤولون في الحكومة ليصارحوا الشعب عما أنجزوه في المائة يوم وعما سينجزونه في المائة يوم الثانية، وعن التلكؤات التي تقف بوجوههم، ومجلس النواب يتحمل مسؤوليته في أن يستمع ويدقق ويتساءل ويستفهم عما يذكر في هذه التقارير، ووسائل الإعلام تقيم وتتأكد من صدقية هذه التقارير، وهذا يعني أننا في كل سنة سنكون أمام أربعة تقارير يقدمها المسؤولون ويستمع إليها المواطنون، وينشغل الرأي العام بتقييم الأداء.

إن مثل هذه الفضاءات التي فيها المصارحة والمكاشفة والوضوح ستكون قادرة بإذن الله تعالى على ردم الفجوة بين المسؤول والمواطن وتعزيز ثقة الشعب العراقي بالمسؤولين في مواقع المسؤولية، ولن يبقى مجال لعبث العابثين وانتهازية الانتهازيين والتشكيك هنا وهناك، فإن كان من مسؤول حقق نجاحات كبيرة واضحة بينة للعيان من خلال التقارير التي يقدمها والإيضاحات التي يبينها لمجلس النواب، ومن خلال الإجابة عن تساؤلات وسائل الإعلام، فسيشكر من أبناء الشعب، وإن كان من عراقيل حقيقية تقف بوجه المسؤولين فسيعذر هذا المسؤول من أبناء الشعب، وإن كان من إخفاق وفشل لهذا المسؤول أو ذاك يعاتب من أبناء الشعب، وبهذا لا ينظر إلى الحكومة وإلى المسؤولين

بنظرة واحدة ، ولا يحاسب الجميع بجريرة أخطاء البعض ، فسيعرف من حقق النجاح حتى يشكر ومن فشل حتى يعاتب ومن الذي تقف بوجهه مشاكل حتى يعذر ويساند لرفع هذه الإشكاليات والتحديات .

التضامنية في الشراكة السياسية

ثالثا/ التأكيد أن المسؤولية تضامنية بين جميع القوى المشاركة في العملية السياسية ، فليس من جهة واحدة تستحوذ على مفاخر الإنجازات ، وليس من جهة واحدة تتحمل بمفردها تبعات الإخفاقات ، وليس من طرف يتصل عن التزاماته ويرمي باللائمة على الآخرين ، وإنما هي مسؤولية تضامنية يتحملها الجميع ، نعم حجم المسؤولية يختلف من طرف إلى آخر بحسب حجم المهمة المناطة بكل شخص ، فمن كانت له ٤٠٪ من نسبة القرار ومن نسبة الإدارة فعليه أن يتحمل ٤٠٪ أيضا من نسبة الإخفاق والتلكؤات التي تحصل في البلد ، والآخرين يتحملون من التبعات والتلكؤات والإخفاقات بما ينسجم مع حجم حضورهم ومشاركتهم . إن الالتزام وتحمل المسؤولية يجب أن يكونا في المغنم والمغرم ويتحمل الجميع المغرم والخسائر بقدر ما يحصلون عليه من مغنم وفرص للمسؤولية والخدمة ، وهذه هي القاعدة في الشراكات الاقتصادية وهي القاعدة في الشراكات السياسية أيضا .

شراكة المسؤولية

رابعا/ إننا مع الشراكة الحقيقية التي يتحمل فيها الجميع مسؤولياتهم في تحمل تبعات المشروع الوطني والتلكؤات التي تحصل والإرهاصات في هذا المشروع ، ويحظى فيها الجميع بحقوق المشاركة في القرار وإدارة البلاد ، إننا مع الشراكة التي تشعر الجميع بأدوارهم وفرصهم في خدمة الناس وتحمل المسؤولية تجاه المشروع الوطني الذي تحملنا أعباء جميعا . ولا بد من أن يكون لكل القوى المشاركة دور حقيقي في تحقيق الرفاه الاجتماعي وفي خدمة المواطنين ، وأن يأخذوا فرصهم وأدوارهم بشكل صحيح . ولكننا لسنا مع المحاصصة السيئة الصيت التي تحول المواقع إلى ملكية هذا الحزب أو ذلك ليتحكم بالمسؤول ويضعه كيفما شاء سواء كان كفوءا أو نزيها أو لم يكن ، ويمنع من أية فرصة لتصحيح المسارات بالطريقة التي ينتصر فيها لإرادة المواطنين .

إننا لسنا مع المحاصصة السيئة التي يفرط فيها بمصالح الشعب من أجل مصالح هذا

الحزب أو تلك الجماعة، نحن مع الشراكة الحقيقية التي تعزز الالتزام المسؤول بين جميع القوى المشاركة في العملية السياسية، وتؤكد مبدأ الكفاءة والنزاهة والقدرة على الأداء لمن يتصدى لمواقع المسؤولية والخدمة في البلاد.

إننا مع مبدأ الشراكة الحقيقية التي تقف بوجه الترهل وتبديد الثروات والإمكانات واستحداث المواقع غير الضرورية التي ترهق كاهل ميزانية الدولة، وتؤثر في رفاه المواطنين، والرواتب العالية التي يحظى بها السادة المسؤولون وذوو الدرجات الخاصة والامتيازات الكبيرة لعدد محدود من المسؤولين، على حساب الشعب المحروم الذي يواجه الكثير من التحديات الخدمية. نحن مع الشراكة الحقيقية التي تحقق الترشيح الوزاري وتجعله في السياقات الطبيعية المتداولة في الدول المتحضرة، حيث تشكل حكوماتها من ٢٠ وزارة أو أقل من ذلك، علينا أن نذهب إلى الترشيح الوزاري ونقل من عدد الوزارات الكثيرة التي أصبحت تؤثر في ميزانية الدولة وترهق كاهل المواطنين. إننا ندعو إلى شراكة الخدمة وشراكة الخير بين العراقيين وليست شراكة تتمثل بأعباء ثقيلة ومتزايدة على المواطنين. إننا مع شراكة الأقوياء والنزهاء والأكفاء الوطنيين القادرين على خدمة البلد، لا مع شراكة من ألوان وأطياف وسياقات أخرى.

الثقة المتبادلة

خامسا/ إن الثقة المتبادلة بين المسؤولين والقوى السياسية هي المدخل الأساسي لتحقيق كل الإنجازات والتطلعات الطيبة التي نحملها تجاه بلدنا الكريم، إن كانت طموحات مشروعة، وإن كانت أمامنا آفاق رحبة في بناء العراق فكل ذلك يتطلب تعزيز الثقة بين السادة المسؤولين، إن مثل هذه الثقة ستساعد على توحيد الرؤية وحسن الظن بالآخر وتشكيل فريق العمل الواحد، الذي يسخر كل الإمكانيات من أجل خدمة المواطنين والانطلاق بهذا البلد الكريم. إن الثقة هي المدخل الوحيد لتطبيب الخواطر وتهدة النفوس وغرس المحبة وبعث الأمل لهذا الشعب الكريم، حتى نحقق الطموحات الكبيرة المشروعة لأبناء شعبنا ونعالج التحديات والمشاكل الكبيرة التي تقف بوجهنا.

بانتظار النتائج

سادسا/ المهم هو الإجراءات الصارمة والواضحة على ضوء النتائج في تقييمات السادة المسؤولين في الحكومة، التي ستظهر بعد المصارحة والمكاشفة، وزراء يخرجون ويشرحون وبرلمان يستضيف ويستفسر ويستفهم ووسائل إعلام تقيّم وتتحدث، والشعب

هو الذي سيحكم، ولكن إذا حكم الشعب واتضحت الصورة له أن هذا الوزير ناجح وذاك الوزير فاشل، كيف سيكون التعامل مع هذه الانطباعات وهذه التصورات لأبناء شعبنا؟، هنا سيتبين مدى جدية عملية المصارحة والمكاشفة حينما تتخذ الإجراءات الصارمة والواضحة، شكرا وتقديرا وتثبيتا للمسؤول الناجح وعتابا وإعفاء واستبدالاً بمسؤول كفوء مكان مسؤول أو وزير لم يحقق النجاحات المطلوبة في المدة المنصرمة.

إنني أحذر من تسيير هذه الأمور بطريقة تمّيع فيها عملية المصارحة والمكاشفة وتختلط فيها الأمور ويضيع فيها الناجح مع غير الناجح، لأن ذلك من شأنه أن يثير إشكالية كبيرة وفجوة عظيمة بين المواطنين والسادة المسؤولين. وهي أخطر ما نخشى منه في تجربتنا الديمقراطية المعتمدة على إرادة الشعب، إن ما يؤلم المواطن في كثير من الأحيان هو الشعور بعدم الجدية في بعض الإجراءات التي تتخذ في هذا الصدد، فما أكثر اللجان التحقيقية التي شكلت في قضايا حساسة وخطيرة انشغل بها الرأي العام، واهتم بها إلى حد بعيد ومن ثم تمت تهدئة الشعب على أن هناك لجنة تحقق وتذهب اللجنة الثانية والثالثة والعاشره ولا أحد يعرف أين أصبحت نتائج التحقيق في هذه اللجان، وما هي القرارات التي أصدرتها هذه اللجان؟ وما هي الحقائق التي تعرفت عليها هذه اللجان التحقيقية؟ مما ولد انطبعا لدى الشارع العراقي في عدم الجدية من وراء هذه اللجان أو وجود أجندة سياسية لا تسمح الله، ومصالح معينة تدعو إلى التساهل مع المسيئين والمقصرين في التحقيق بمثل هذه القضايا الحساسة.

الواقع الأمني

إن الواقع الأمني ما زال يعيش تراجعاً مقلقاً حيث تؤكد المصادر الأمنية العراقية سقوط ٤٤٣ شهيدا وجريحا في شهر أيار الماضي في العراق، فيما شهد الشهر نفسه اعتقال ومقتل ١٨٧ شخصا من الإرهابيين. وإذا قارنا بين عدد الضحايا من المواطنين وعدد القتلى والمعتقلين من الإرهابيين يمكن أن نستنتج نتيجة واضحة هي أن المبادرة ما زالت بيد الإرهاب الذي يتحرك بفاعلية كبيرة ويستهدف من يستهدفهم بحرية كاملة، وتزهق الأرواح ويقتل الناس في هذا الشارع أو ذاك بكواتم الصوت والعبوات الناسفة واللاصقة وغيرها.

وهذا ما يتطلب ويحتم وقف نزيف الدم ومعالجة مثل هذه الإشكاليات الكبيرة، كما تحدثت منظمة الإصلاح الاجتماعي العراقية عن هروب ٤٠٠٠ سجين في العراق منذ ٢٠٠٦ إلى ٢٠١٠ مما يجعل العراق أكبر بلدان العالم من حيث هروب السجناء، وهي

ظاهرة خطيرة تسيء إلى سمعة الحكومة وهيبة الدولة لاسيما مع تقارير وزارة العدل التي تتحدث عن وجود عمليات تهريب منظمة وليس هروبا للسجناء، ويعزى ذلك في تقرير الوزارة إلى تواطؤ عناصر الأمن مع المعتقلين من الإرهابيين والمجرمين للحصول على موارد مالية تمثل حالة الفساد الإداري والمالي وما إلى ذلك، إنها ظواهر خطيرة تتطلب معالجات جادة لاسيما أن هؤلاء المجرمين ما أن يخرجوا من السجون حتى يعودوا إلى الجريمة ويمارسوا قتل الناس وإزهاق الأرواح وإراقة الدماء.

إطلاق الخدمة الطبية

تابعنا الخطوة الإيجابية لوزارة الصحة في إطلاق الخدمة الطبية عبر الهاتف، وهي خطوة مكتملة لنظام الإحالة، حيث سيتوفر ٥٠ خطاً هاتفياً يجب عنها أطباء، ويمكن لأي مواطن أن يتصل ويقدم شكواه في قضية مرضية حتى ترسل له سيارة إسعاف، أو يتم تقديم التوجيهات للمريض بحسب طبيعة الأعراض المرضية، أو توجيهه بالتوجه إلى مستشفى معين لاتخاذ الإجراءات المناسبة اللازمة له.

وهذه خطوة جيدة في خدمة المواطنين نرحب بها أجمل ترحيب، إن مثل هذه الخطوات التي تخدم المواطن وتسهل عليه الإجراءات إنما هي موضع ترحيب ونتمنى أن تتفنن كل الوزارات في تقديم الخدمة الأكثر والأفضل للمواطنين العراقيين.

انتهاء الامتحانات

بعد انتهاء امتحانات المدارس الابتدائية والمتوسطة تستكمل المدارس الإعدادية والجامعات امتحانات طلابها في ظل ظروف خدمية قاسية وإمكانات متواضعة، ولكننا نتمنى لجميع طلابنا وطالباتنا الكرام النجاح والتوفيق في هذه الامتحانات، وأوصي من جديد وزارتي التربية والتعليم العالي بالرفق بطلابنا وطالباتنا وأبنائنا وبناتنا وهم يتحملون الظروف الصعبة في عامهم الدراسي والظروف الامتحانية، كما ندعو إلى الاستفادة الجادة من العطلة الصيفية بالشكل الملائم والمناسب، وبما يشغل أوقات أبنائنا الكرام وبناتنا الكريمات.

ذكرى شهيد المحراب وعزيز العراق

مرت علينا ذكرى شهيد المحراب وعزيز العراق، ولاحظنا التجاوب الكبير من أبناء شعبنا من النخب ومن الحريصين على الواقع العراقي في داخل العراق وخارجه،

وعقدت الكثير من الفعاليات والاحتفالات التأسيسية في الداخل والخارج. شكري وتقديري لكل القيادات والنخب والعشائر والنساء والرجال والشباب، وكل من أسهم في هذه الاحتفالات التي استحضر من خلالها واستذكر شهيد المحراب وعزيز العراق في تاريخهما وتضحياتهما الجسيمة.

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١١/٦/٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين
حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين
وصحبه المنتجبين الميامين . .

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

سادتني الأفاضل إخوتي الأكارم أخواتي الفاضلات، بدايةً أرحب بكم أجمل ترحيب
في مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين . لقد كان حديثنا في
اللقاءات السابقة عن النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة وذكرنا أن عهد أمير المؤمنين
(صلوات الله وسلامه عليه)، لملك الأشرى يمثل اختزالاً وتلخيصاً للأطر العامة وملامح
هذه النظرية الإسلامية . وانتهينا إلى هذه العبارة الشريفة في هذا العهد التاريخي وهذه
الوثيقة المهمة التي أصبحت اليوم من أهم الوثائق في الإدارة والقيادة في المنظومة الدولية
وليس على مستوى المسلمين . حيث يقول أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام :

« لَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَوْ مُؤَمَّرَةٌ فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ وَتَقَرُّبٌ مِنَ
الْغَيْبِ »^(٨٨)

داء النرجسية

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ولا تقولن إنني مؤمّر، أمر فأطاع». . أي لا تقل أيها المسؤول إنني مؤمّر، وقد وضعوني في موضع المسؤولية أمر فأطاع، ولا تأخذك حالة التجبر، وحالة التكبر، وحالة الاستبداد، ولا تصب بالنرجسية، فمثل هذه الظواهر توقع الإنسان في فخ عظيم «فإن ذلك إدغال في القلب» مثل هذه السلوكية وهذه النرجسية حينما يصاب بها المسؤول فإن فيها إفسادا للقلب وتعرض الإنسان إلى مشاكل ومطبات أخلاقية. . «ومنهكة للدين» فهي مضيعة للدين، إذن هناك مشكلة دينية وعقدية حينما يصاب الإنسان بحالة الاستبداد والنرجسية «وتقرب من الغير» هذه الحالة تقرب المسؤول من عملية التغيير والتحول، فتكون أمام واقع تصطف فيه الناس أمامك وتقول (الشعب يريد إسقاط النظام) حينما تصاب بالنرجسية، وبالاستبداد، والاحتكار، والتجبر، والتكبر على الناس، والهيمنة على الناس، والناس لا ترتضي ذلك، وتفقد فرصتك في الإدارة والقيادة.

لذلك فهو تحذير من هذه الأخلاقية التي قد يصاب بها المسؤول وهي تختلف بين مسؤول وآخر، فلعل موقع المسؤولية يختلف من شخص لآخر، ولكن هذه الأخلاقيات قد نجدها في أي مسؤول لم يتخذ الاحترازمات والإجراءات الكافية والمناسبة للسيطرة على نفسه. إن هذه القضية لا علاقة لها بحجم المسؤولية، يمكن أن يكون مسؤول قسم لم يرب نفسه فيقع في هذه المشكلة الأخلاقية الكبيرة، وقد يكون مسؤولا كبيرا مسيطرا على نفسه وعلى أعصابه فلا يقع فيها، وهذه الإشكالات يتعرض لها الإنسان حينما يتصدى لمواقع المسؤولية.

خطورة الاستبداد والنرجسية

هناك الكثير من الإضاعات في هذه العبارة للإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ .

الإضاعة الأولى: هي خطورة الاستبداد والنرجسية التي يصاب بها الإنسان، فيصبح في حالة لا يرى فيها إلا نفسه ولا يستشعر إلا مشاعره الخاصة، ليفقد القدرة على أن يتماشى مع الناس ويتفهم معاناتهم ويحاكي همومهم، ويصاب بالعجز عن ذلك ولا يستطيع أن يفهم كيف يفكر الناس وماذا يريدون، لأنه يعيش في حالة خاصة ومحاط بفريقه وجماعته التي تطبل له وتمدحه على الدوام، وتكبر من شأنه ومن قيمة أقواله

وأفعاله، وتقلل كل رأي وكل موقف يختلف مع رأي هذا المسؤول، فيصبح في حالة يعجز فيها عن التواصل مع الآخرين وفهم معاناتهم وهي حالة الاستبداد.

وتتعرز هذه الحالة شيئاً فشيئاً، فيصبح لا يرى إلا نفسه ولا يرى الأفكار الحسنة ولا يرى في من سواه أي حسن أو أي موقف صحيح أو خطوة صحيحة، فيخطئ الآخرين ويصحح مواقفهم، ويقلل من قيمة الآخرين ويبالغ في إطراء نفسه وإلى غير ذلك، وهو مرض عضال من الأمراض النفسية المزمنة التي يقع فيها المسؤول حينما يكون في موقع المسؤولية.

لاحظوا في غرر الحكم حيث يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بئس الاستعداد الاستبداد»^(٨٩)، يا مسؤول هل تعتقد بأنك حين تشدد القبضة وتستعد لدوام الحكم ودوام المسؤولية، هل تعتقد بأنك كلما تحترق وتضع اليد على مساحات أوسع وتغيب الآخر وتضيق عليه، وكلما تنتصر لإرادتك ورغباتك، وكلما تكبح جماح الآخرين، فإنك تعمق وتجنر إدارتك وحكمك؟ أنت مخطئ، في كل خطوة أنت تحفر لنفسك في هذه الحالة، «بئس الاستعداد الاستبداد» أي أن أسوأ طريقة في الحفاظ على المسؤولية هي أن يسعى ليحتكر ولا يعطي دوراً للآخرين، فينقض الآخر عليه ولا يستطيع أن يدوم، وكما يقال: لو دامت لغيرك لما وصلت إليك.

خطورة استبداد الرأي

عليك أن تتعرف أيها المسؤول على الطريقة التي توزع الصلاحيات فيها وتحترم الرأي الآخر، وتفهم معاناة الآخرين وهمومهم وهواجسهم، وأن تضع نفسك في موضعهم، وتكون منصفاً مع من أنت مسؤول عنهم، وكما تحدثنا في دروس سابقة بأن العدل والإنصاف والثقة من المداخل التي تضمن دوام المسؤولية.

إن أسوأ حالة حينما يصاب الإنسان بالاستبداد فتهتز ثقة الشعب به، ويصبح الناس لا يثقون بالمسؤول، وهذه سنة إلهية لا تختص بزمان ومكان معين، فأى شعب من الشعوب وأية أمة من الأمم وفي أي زمان من الأزمنة حينما تبطل بحاكم مستبد، أو بمسؤول لا يرى إلا نفسه تبدأ عندها حالة الفجوة وتزداد شيئاً فشيئاً وتؤدي إلى مزيد من الاستبداد ومزيد من الظلم، وكلما تتعرز هذه الفجوة، وكلما يزيد الشرخ، يضطر المسؤول إلى عمل شيء أكبر من الاستبداد والقهر والتخويف والترويع للآخرين، حتى يستطيع أن

٨٩. غرر الحكم، ج ٣- ص ٢٥٦

يمسك قبضته فيزداد الشرخ فيضطر إلى أن يزيد أكثر من ظلم الناس حتى يمسك بزمام الأمور، وهكذا تجدون أن القضية تأخذ منحى عكسياً.

وفي نفس المصدر الجزء الخامس، يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من استبد برأيه زل»^(٩٠)، تحصل الزلّة والانحراف والضياع والابتعاد عن جادة الصواب حينما يحصل الاستبداد بالرأي من قبل المسؤول، وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين في المصدر نفسه أيضاً الصفحة ٤٦٠: «من استبد برأيه خاطر وغرر». . أيها المسؤول حينما تستبد برأيك فإنك تضع نفسك في موضع المخاطرة، وتخطر بموقعك ومسؤوليتك وتغرر بنفسك أمام الآخرين، وتأخذ بنفسك إلى الهاوية، وفي غرر الحكم أيضاً: «الاستبداد برأيك يزلك ويهورك إلى المهوي»^(٩١)، فحين تستبد فهذه بداية الزلل والانحراف وبداية الوقوع في الهاوية والتراجع وفقد الشعبية وأزمة الثقة التي تبدو بينك وبين الآخرين.

وفي نهج البلاغة الحكمة ١٦١ يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من استبد برأيه هلك»^(٩٢)، الهلاك والضياع، وهو كما ترونه اليوم في بعض الصور التي نجدها في منطقتنا العربية، حيث أصبح الحاكم يدعو إلى الانتخابات وكان الناس لثلاثين عاماً يحلمون، أما اليوم فالزعيم يقول هيا بنا إلى الانتخابات ولنأت أيضاً بإشراف دولي ولن يكون هناك تزوير أبداً، الناس تخرج وتجب (الشعب يريد إسقاط النظام)، أو نسلم الحكم مقابل أموالنا وعوائلنا وضمان عدم الملاحقة فقط، الناس تخرج وتجب (الشعب يريد إسقاط النظام)، وهذا معناه الوصول إلى مرحلة لا يرضى فيها الشعب بأقل من هلاك المسؤول أو الطاغية ولا يقبل بأقل من ذلك، ومهما قدم المسؤول فلن يكون مقنعا للشعب، وهذه ذروة الاستبداد، وأزمة الثقة حينما تصل إلى مستوى خط اللارجعة نستجير بالله من ذلك، ولذا يوصي أمير المؤمنين بتجنب هذه الحالة والنظرية الإسلامية تعتمد على مثل هذا الأساس.

طبيعة العلاقة بين المسؤول والشعب

الإضاءة الثانية: ما هي منطلقات القيادة والطاعة والعلاقة بين المسؤول والحاكم ومن هو مسؤول عنهم أو الرعية، وما هي طبيعة هذه العلاقة؟ وكيف تصان إسلامياً، وكيف تعرف هذه المنطلقات، هل هي منطلقات الاستعلاء والهيمنة وفرض السلطة على الآخرين؟ هل هي إذلال وتحقير؟ فتمسك القبضة من خلال إذلال الناس

٩٠. المصدر السابق، ص ١٧٠

٩١. المصدر السابق، ج ١- ص ٣٩٠

٩٢. نهج البلاغة ج ٤- ص ٤١

وتحقيرهم ، هل هي تهديد وترويع؟ إخافة الناس حتى ينصاعوا ، هل هي تطميع وإغراء؟ ما هي المنطلقات والخلفيات وكيف تبنى هذه العلاقة في الرؤية الإسلامية؟ . يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ إن كل هذه المنطلقات هي منطلقات خاطئة ولا يمكن أن تحقق النتيجة أو الغرض المنشود ، وهذه كلها لها آثار عكسية ، إذن فما هو الحل؟ ، إن الحل في نظر علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وفي الرؤية الإسلامية يكمن في أمرين :

أولا/ العلاقات الإنسانية : بمعنى أن تكون هناك علاقة قلبية بين المسؤول والناس ، وهذا من الأمور المهمة ، فعلى المسؤول أن يستشعر الرحمة تجاه الرعية كما مر بنا سابقا ، والناس يجب أن تحب المسؤول وتحسن الظن فيه وتثق به ، وهذه هي العلاقة الإنسانية والقلبية .

ثانيا/ الحقوق المتبادلة : وتتأتى من خلال التزام الضوابط والقانون الذي ينظم العلاقة بين الطرفين ، فلا يوجد شيء فوق القانون ولا يوجد شخص بمعزل عن الإطار والضوابط ، أيها المسؤول كما تضع الضوابط والإجراءات ، فهل وضعت ضوابط لنفسك؟ هل تقبل بالضوابط التي تضعها الناس لك؟ . كما تضع الضوابط للآخرين يجب أن تتقيد بالضوابط ، وهذه العلاقة ليست من طرف واحد بل من طرفين ، فتكون الحقوق بينهما متبادلة ، أنا المسؤول يجب أن أطاع ، وهذا صحيح ، ولكن في المقابل هناك التزامات تجاه الناس عليك أن تلتزم بها ، فإذا صلحت العلاقة القلبية الإنسانية بين المسؤول ومن هو مسؤول عنهم ، وإذا نظمت الحقوق المتبادلة ، وإذا وضعت الأطر والسياقات التي تضمن مصلحة المسؤول وقدرته على أداء الواجب ، ومصلحة الناس وقدرتهم على الانسجام والالتزام ، حينذاك يمكن أن نجد أن هناك علاقة رصينة .

لاحظوا ماذا يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في نهج البلاغة في الخطبة ٢١٦ يقول : «أما بعد فقد جعل الله لي عليكم حقا بولاية أمركم»^(٩٣) ، فما دمت قد أصبحت الولي والمسؤول والخليفة إذن فبمقتضى هذه الولاية هناك حق لي عليكم أيها الناس ، «ولكم علي من الحق مثل الذي لي عليكم ، فالحق أوسع الأشياء في التواصف وأضيقتها في التناصف ، ولا يجري عليه إلا جرى له ، ولو كان لأحد أن يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصا لله سبحانه دون خلقه لقدرته على عباده ولعدله في كل ما جرت عليه صروف قضائه»^(٩٤) ، ولكن كما أن لي عليكم حقا فلكم علي حق أيضا ، وعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ لا ينسى

٩٣ . نهج البلاغة ج٢ - ص ١٩٨

٩٤ . نفس المصدر .

حقوق الناس عليه كما أنه يذكرهم بها وبحقه عليهم ، فالحق أوسع الأشياء بالتواصف ، وعندما نأتي إلى الوصف والشعارات والأقوال ، ما شاء الله ، فكم هي المساحة واسعة وما أكثر ما نسمعه من القيادات والحكام والمسؤولين من شعارات لطيفة ، والحديث عن حقوق الإنسان وعن حقوق المواطنة وعن الحريات والالتزام بالقانون إلى غير ذلك مما تسمعون ، اسمعوا الأنظمة الدكتاتورية في العالم وخطابات رؤسائها وقادتها وحكامها تجدوها أكثر الخطابات ديمقراطية وانفتاحا وتفهما لحقوق الآخرين ، هكذا يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ «فالحق أوسع الأشياء في التواصف» لكن «وأضيقها في التناصف» ، فعندما نأتي إلى الإنصاف وللكلام الحقيقي والتطبيقات وللأمر الواقع ، سنجد عند ذلك أن الحق ضيق ومساحة الناس الملتزمة بالحق مساحة ضيقة ، وهم قلة والحق مرّ في أنظار الكثيرين ، لأن الالتزام بالحق يعني التخلي عن الكثير من الامتيازات والاستحقاقات والأمور الأخرى . لذلك نجد أن الحق هو الأضيق في التناصف ، لا يجري لأحد إلا جرى عليه وكما أن الحق يجري لك ولصالحك يجري عليك ، وليس هناك استلام فقط ، فالحياة أخذ وعطاء ، ففي مكان ما تقبض وفي مكان ما تدفع .

الحق المطلق لله تعالى

فمن المحال أن يكون الحق لك دائما فهذا لا يصح ، وهذا الحق الذي تقبض منه ، في يوم ما سيقبض منك في مكان آخر ، والحق الذي يقف إلى جانبك في قضية سيقف ضدك في قضية أخرى ، فيجب أن تقبل بالحق إن كان لك أو عليك «ولا يجري عليه إلا جرى له» فاليوم الحق وقف بالضد منك أو صار عليك ولكنه في يوم آخر سيكون لك ، وهذه هي القاعدة المتوازنة في شؤون الحياة وفي سنن الحياة ، ولو كان لأحد أن يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك لله سبحانه خالصا دون غيره ولا نستطيع أن نتصور أيا من المخلوقات يكون الحق له ولا يكون عليه ، فهذه الصفة لا تنطبق إلا على الله سبحانه وتعالى ، وهو المالك والخالق ويده كل شيء وليس بيدنا شيء .

إن الكلمة التي نطلقها والموقف الذي نصنعه إنما جاء بقدرة منحها لنا الله سبحانه وتعالى ، إن الوجود الوحيد الذي يمكن أن يكون الحق له ولا يكون عليه هو الله سبحانه وتعالى ، لأن بيده كل شيء وليس بيدنا شيء ، «لقدرته على عباده ولعدله في كل ما جرت عليه صروف قضائه» ، فالله سبحانه وتعالى عادل في تعامله مع الناس وهو القادر ، وبالرغم من أنه قادر ويملك كل شيء ولكن لا يرضى لنفسه إلا العدل ، فيتعامل بالعدل مع الناس .

«ولكنه جعل حقه على العباد أن يطيعوه، وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب، تفضلاً منه وتوسعاً بما هو من المزيد أهله»^(٩٥)، ولكنه بالرغم من أنه الوجود الوحيد الذي يمكن أن يكون الحق له ولا يمكن أن يكون عليه وليس هناك حقوق متبادلة مع الله، وكل الحق لله ولا مئة لنا على الله مهما قدمنا، غير أن الله مع ذلك بلطفه وكرمه وإحسانه جعل هناك حقوقاً متبادلة من فضله، وليس من حق ممكن أن يكون بينه وبين الناس، ولكنه سبحانه جعل له حقاً على العباد أن يطيعوه، وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب، وفي مقابل هذه الطاعة يجزل لهم العطاء ويشيهم، ولكن هذا لطف من الله وفضل منه، وليس حقاً نسترجعه أو نأخذه من الله سبحانه تعالى، بل يجري ذلك تفضلاً منه وتوسعاً بما هو من المزيد أهله.

حقوق المواطن على المسؤول

أيضاً في الخطبة ٣٤ من نهج البلاغة يقول علي عليه السلام: «أيها الناس إن لي عليكم حقاً ولكم علي حق فأما حقكم علي فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلاً تجهلوا وتأديبكم كيماً تعلموا، وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب والإجابة حين أدعوكم. والطاعة حين أمركم»^(٩٦)، أي حقوق متبادلة، فأما حقكم علي فالنصيحة لكم. أيها المسؤول كن ناصحاً للشعب، ويجب أن تكون الإجراءات والقرارات والسياسات مما تصب في خدمة هذا الشعب وحل مشاكله وإنصافه، وإبداء النصيحة والتوصيات الصحيحة وهذا حق للناس على المسؤول، «وتوفير فيئكم عليكم»، والفيء هو الخراج والأموال والضرائب وبيت المال والميزانية العامة، فمن حق الشعب على المسؤول أن تكون أموال الشعب للشعب وليس للسراق، وهذا الكلام الذي يقال في الشارح أحياناً، وهو ليس كلاماً طارئاً أو انفعالياً، وهو كلام ينطبق مع حقوق المواطنة في النظرية الإسلامية، وهو كلام علي بن أبي طالب، حقكم علي وأنا في موقع المسؤولية حفظ أموالكم وأن تُصرف عليكم وليس على الآخرين، حقكم علي أن أقطع يد المفسدين، وألا أسمح بإهدار المال العام، «وتعليمكم كي لا تجهلوا»، فهذا واجب الحكومة وواجب الدولة والمسؤولين أن يوفرُوا فرص التعليم للناس ويخرجوهم من الجهل، وهذا أيضاً حق من الحقوق، كما أن على الدولة أن تعرف الناس بحقوقهم حتى لا يقعوا في الخطأ، لأن (القانون لا يحمي المغفلين) كما يقال، وهذه لها أصول وجذور

٩٥ . المصدر نفسه

٩٦ . نهج البلاغة ج ١ - ص ٨٤

صحيحة، فيجب أن نعلم الناس حتى يكون المواطن قادرا على معرفة التزاماته ليفي بها .

حقوق المسؤول

«وأما حقي عليكم»، ، كما يحدده الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، «فالوفاء بالبيعة»، الوفاء للنظام السياسي والالتزام بالإطار العام للعملية السياسية كما نعبر في تعبيراتنا اليوم، الوفاء بالبيعة، يجب أن تقف وتساند وتدعم، أيها المسؤول انفق أموال الشعب على الشعب، وعلم الناس ووفر الجوانب التعليمية والصحية وحقوق المواطنة وأعطه العزة والكرامة، ويا مواطن عليك أن تكون وفيًا لهذا المسؤول وتقف إلى جانبه وتسانده وهذه هي المعادلة بحسب رؤية الإسلام .

«والنصيحة في المشهد والمغيب»، ليس فقط حق الرعية على المسؤول أن ينصحتها وإنما حق المسؤول على الرعية أن تنصحه، فيا أيها المسؤول لا تنزعج إذا ما وقف أحد المواطنين وقدم لك النصح ووضع اليد على الأخطاء، وأشار إلى مكامن القوة والضعف . لا تنزعج أو تغضب فهذا حقلك على الناس أن ينصحوك حتى لا تصاب بالرجسية وتظن أنك أنت ذلك العبقري الذي جادت به السماء عليهم، فقد كنت كالبقية لا تختلف عنهم، وإنما جاء بك القدر ووضعك في هذا المكان، أو تلك الدائرة أو هذه الوزارة، أو هذا القسم أو ذلك المفصل، فأصبحت نائباً أو وزيراً أو أميراً أو مسؤولاً أو رئيساً، وبالتالي النصيحة في المشهد أمامك وفي غيابك، وكما يجب على المسؤول أن ينصح الرعية، يجب على الشعب أن ينصح المسؤول ويحافظ على المسار، كي لا ينحرف عن المسيرة، ولا تضيع البلد، وإبداء الاهتمام وترك اللامبالاة، فإذا كنت غير مسؤول والآخر كذلك فمن هو المسؤول إذن؟، إن الشعب شعبنا والبلد بلدنا والوطن وطننا ومصالحه مصالحنا، والمسؤول ابننا فيجب أن نكون في موقع النصيحة في المشهد والمغيب .

«والإجابة حين أدعوكم» أي عندما استصرخكم أو أطلب وفقتكم تقفون معي، لأنني مدافع عن مصالحكم وحام لثرواتكم وأموالكم، وحرص على أن تُصرف عليكم، فحق المسؤول على الناس أن يقفوا إلى جانبه «والطاعة حين آمركم»، بأن يطيعوه، لأن هذا المسؤول لا يأمر بخلاف ما أنزل الله وعلى خلاف المصلحة، لأنه نصر لهذا الشعب، ولا يأمر بتبديد الإمكانيات والثروات والميزانيات في غير محلها، لأن فينكم إليكم وأموالكم لكم وليس لغيركم، فهذه هي العلاقة وهذه هي الحقوق المتبادلة بين المسؤول ومن هو مسؤول عنه في الرؤية الإسلامية .

اجتماع القادة السياسيين

شهدنا في الأيام القليلة الماضية اجتماعاً مهماً للقيادات العراقية برعاية فخامة الرئيس الطالباني، حيث اجتمعت جميع القيادات العراقية الكريمة بشخصهم أو بمن يمثلهم في هذا الاجتماع المهم والحيوي الذي مثل خطوة أساسية لتطبيب الخواطر، وتهدة النفوس بين القوى السياسية وتجنب الحملات الإعلامية المضادة، مما شوش الصورة وأربك المشهد السياسي في الأيام الماضية.

كان لمثل هذا الاجتماع وما دار به من أفكار وتصورات وحوارات طيبة دورٌ بناءً في التقريب بين القوى السياسية لتهدة الأوضاع وتخفيف الاحتقان. إننا نؤكد من جديد أن الخيار إنما يتمثل بالحوار والعودة إلى الطاولة المستديرة، كلما حصلت مشكلة أو أزمة في هذا البلد واختلفت الآراء وتعددت التوجهات، لزم علينا أن نجلس إلى طاولة مستديرة نتحاور وجهاً لوجه حتى نعالج هذه الإشكاليات.

إن مثل هذا الحوار سيساعد على تفعيل الاتفاقيات المبرمة بين الأطراف ولا بد من أن نستذكر أنه ليس للعراقيين إلا بعضهم، فيجب أن يتحمل بعضنا بعضاً وأن يفتح بعضنا على الآخر ويُطمئن بعضنا الآخر، ويتفهم كل منا مخاوف وهواجس الآخر، ونستحضر المساحة الواسعة من المشتركات التي تجمع كل القوى السياسية الكريمة، ومواطن الاختلاف التي تبرز هنا وهناك لا بد من تحييدها والذهاب إلى قواعد تنظم عملية الاختلاف في الرأي، والاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية. وما دام العراق يعيش التعددية والديمقراطية فلا بد لنا من أن نستمع إلى الرأي الآخر وإلى المخاوف المتعددة والقراءات والاجتهادات المتعددة، فما لم نضع إطاراً واضحاً نعالج من خلاله الاختلافات في ما بيننا ستبقى هذه المشاكل وتتحول إلى أزمات وتتفجر بوجه المواطنين وتربك المشهد السياسي في البلاد.

ضرورة التهدة

إن من أخطر الأمور أن تصل القوى السياسية إلى خط اللاعودة، فهذا ينزل الجمهور إلى الشارع وذلك يتفوه بكلمات يصعب تفسيرها وتبريرها فيما بعد، ولا بد من إبقاء جسور المودة والصلة والتواصل والحوار والتفاهم أساساً في تنظيم العلاقة بين القوى السياسية المختلفة.

إن تهدة الساحة السياسية تترك آثاراً إيجابية مباشرة في الواقع الأمني وفي الواقع الخدمي، وهما الملفان الأساسيان اللذان يحظيان باهتمام الشارع العراقي، فماذا يريد المواطن اليوم؟

يريد الأمن والخدمات ، يريد الماء ويريد الكهرباء ويريد إكساء الشوارع ويريد تشغيل العاطلين ويريد البطاقة التموينية في وقتها المناسب وأن تصل كاملة وبمواد جيدة وفي وقتها المحدد ، هذه هي مطالب المواطن ، المواطن يريد الأمن ويريد الخدمات ، وكلما هدا الساحة السياسية أمكننا التركيز أكثر على الواقع الأمني والواقع الخدمي .

ولذلك أخطب إخواني القيادات العراقية الكريمة وأطالبهم بمزيد من التفاهم والتواصل في ما بينهم ، والحوار المباشر الذي يبدد المخاوف ويهدئ النفوس ويطيب الخواطر ، ويحول الجميع إلى فريق عمل واحد ، يقفون موقفاً واحداً لخدمة هذا الشعب الوفي ومعالجة مشاكله وتحدياته وهمومه . إن على القيادات العراقية أن تكون بمستوى المسؤولية التي منحها الشعب العراقي لهؤلاء الأكارم حينما صوت لهم ووضع ثقته فيهم ، وهو يتطلع ليخدمهم متماسكين وموحدين يضعون يدا بيد من أجل خدمة هذا المواطن وحل مشاكل الناس ، ولا يتوقع الشعب أن يرى المسؤولين مشغولين بهمومهم وبصراعاتهم وبالتدافع في ما بينهم على الكراسي والمحاصصات والمواقع ، فيما أن المواطن البسيط يعاني الأمرين على المستوى الأمني وعلى المستوى الخدمي .

الهم الكبير

إن الكهرباء تمثل الهم الكبير والأزمة الخانقة التي يعيشها الناس في مثل هذه الأيام ، وانقطاع التيار الكهربائي لساعات طويلة يضغط بشدة على المواطنين ، لاسيما الشيوخ والنساء والأطفال ويجعل المواطن يعيش حالة الاحتقان والاستفزاز المستمر نتيجة هذه الضغوط التي تواجهه جراء انعدام الكهرباء لساعات طويلة . كما أن الحلول الترفيعية في إعطاء الوقود إلى المولدات حتى يوفر الكهرياء لا تستطيع أن تعالج المشكلة بالحد الذي يتطلع إليه المواطن العراقي ، أو تخفف من أعبائه بمستوى معين مما يحتم الذهاب إلى حلول جذرية وحقيقية وسريعة وجوهرية لحل مشكلة الكهرباء .

ولسنا البلد الأول الذي يريد أن يستفيد من الطاقة الكهربائية أو يضع محطات لإنتاج الطاقة الكهربائية ، هذه قضية يعمل بها العالم كله وهناك شركات عملاقة قادرة على أن توفر الطاقة الكهربائية بأسرع وقت إذا ما دخلنا الأمور من مداخلها الصحيحة ، ولم نذهب إلى استحضار مصالح ضيقة فئوية أو شخصية أو حزبية أو منافع خاصة لهذا المسؤول أو ذاك مما يدفع ضريبته المواطن ، وكما لاحظنا كم هي المليارات التي أنفقت في السنوات الماضية دون أن نحصل على الكمية المطلوبة من الكهرباء التي تتناسب مع حجم الإنفاقات التي أنفقت في هذا القطاع الحيوي والحساس .

تقارير المائة يوم

كما أن التقارير التي تقدم بها السادة الوزراء ورؤساء الهيئات المستقلة في الأيام الماضية تجعلنا أمام تحد كبير في كيفية التعاطي معها ، ولما جاء المسؤولون وتحدثوا هل إن القصة انتهت أو إن هناك إجراءات يجب أن تُتخذ على أساس هذه التقارير ، فهناك من تبين أنه قدّم ما عليه وهناك من تلكأ وقصّر في أداء الواجب ، وهناك من طرح مشاكل ظهرت بوجهه تمنعه من الإيفاء بالتزاماته تجاه المواطنين ولا بد من أن يترتب الأثر على هذه التقارير التي أطلقها السادة المسؤولون من وزراء ورؤساء هيئات وما إلى ذلك .

والشعب العراقي اليوم يتطلع وينظر كيف سيتم التعامل مع هذه التقارير . فمن قدم ووفى لشعبه من خلال موقع المسؤولية فلا بد من أن يُشكر ، ومن قصّر في أداء المسؤولية لا بد من أن يعاتب ، ومن تلكأ وفشل في أداء المسؤولية لا بد من أن يحاسب ، ومن تقف بوجهه مشاكل معينة فلا بد من أن تزال هذه المعوقات وهذه المشاكل ، حتى يستطيع أن يقدم الخدمة الحقيقية للناس .

إن الشعب العراقي اليوم يتطلع ليرى كيف ستتعالى الحكومة ومجلس النواب ووسائل الإعلام مع هذه القضية الحساسة التي تلامس الحياة اليومية للمواطن ، هؤلاء لم يتحدثوا عن قضايا نظرية بل تحدثوا عن شؤون تخص المواطنين ، والناس تريد أن ترى أين هم ذاهبون ومتى ستقدم لهم الخدمات؟ . ولذلك فالحكومة والبرلمان ووسائل الإعلام كلهم اليوم على المحك . فكيف سيتعاملون مع هذا الواقع وكيف سينتصرون لمصالح المواطنين وسيقيمون أداء السادة المسؤولين الذين وقفوا وتحدثوا عن إنجازاتهم في المائة يوم؟ وإن كان جزءاً كبيراً مما تحدثوا به لا علاقة له بالمائة يوم ، وهناك من تحدث عن قضايا لا تخص حتى هذه الحكومة وإنما كانت من قبل وزراء سابقين وحكومات سابقة وضعوها ضمن تقاريرهم ، فجزأهم الله خير الجزاء ، وإن كان أبناء شعبنا لحسن الحظ ذكرتهم قوية ، فهم يحفظون الأمور ويعرفون هذه القضية ومن الذي أنجز تلك المشاريع ومتى أنجزت .

مؤشرات خطيرة

إن الملف الأمني يمثل الهاجس الأساسي الذي يضغط على المواطنين ويحظى باهتمامهم بشكل كبير ، لا سيما مع تطور الأحداث الأمنية والتراجع الأمني في مؤشرات التي يجعلنا أمام تحد كبير ، ويدفعنا للتوقع من المعنيين أن يبادروا إلى إجراءات سريعة لوضع حد لنزيف الدم . وفي مقدمة هذه الإجراءات هي تعيين السادة الوزراء

في الوزارات الأمنية التي بقيت شاغرة بعد كل هذه المدة الطويلة، إن ما حصل في محافظة الديوانية من استهداف واحد من أهم المواقع الحيوية في المحافظة المتمثل بمجلس المحافظة، ومنزل السيد المحافظ، وهكذا جاء هذا الحادث الإجرامي الكبير بعد سلسلة من حوادث مماثلة وقعت في الأنبار وفي صلاح الدين وفي ديالى، مما يحمل في طياته رسائل خطيرة من أن الإرهابيين أصبحوا قادرين على أن يصلوا إلى كل موقع حتى في المحافظات التي اتسمت بمستوى عال من الأمن في الفترات السابقة، فأصبحت المفخخات تصل إلى أخطر المواقع وإلى قلب المدن الكبيرة لتستهدف مجالس المحافظات أو المواقع الحيوية في البلاد. وهذا ما يتطلب إجراءات حقيقية ورؤية واضحة وتطمين المواطن العراقي بأن هناك خطراً أمنياً للسيطرة على مثل هذه المستجدات في الواقع الأمني.

الاهتمام بضحايا الإرهاب

إننا نترحم على أرواح الشهداء الذين سقطوا في مجزرة الديوانية، ونتضامن مع ذويهم ومع عوائلهم، ونسأل الله لهم الصبر والسلوان ولشهادتهم الرحمة والرضوان، كما نتمنى لجميع الجرحى الشفاء العاجل، ونستثمر هذه الفرصة لنذكر بواحدة من القضايا الحساسة التي تمس واقعا العراقي ألا وهي ضحايا الإرهاب. على مدار ثمانين سنوات ما أكثر الذين سقطوا ضحية الإرهاب الأعمى بين شهيد وجريح، ودور خربت وأناس هجروا من مواقعهم ومن مدنهم ومن بلداتهم وبقوا دون راع أو اهتمام من الجهات المختصة.

إنني ومن هذا الموقع أدعو السادة أعضاء مجلس النواب لتعديل قانون مؤسسة الشهداء لتكون عامة لكل شهداء العراق تجمع بين ضحايا النظام الصدامي وضحايا الإرهاب الأعمى، فالذي يستشهد اليوم على يد الإرهاب يقال إنه لا وجود لقانون بهذا الشأن، وأقصى ما هناك أن مجلس المحافظة يقدم مبلغا بسيطا من المال وينتهي الأمر، لتبقى جيوش من الأرامل والأيتام من دون معيل أو رعاية معينة، فلا بد من أن نضع حلاً لهذه المشكلة وأن نوسع قانون مؤسسة الشهداء لتشمل هؤلاء الشهداء، فإن أبسط حقوق أولئك الذين ضحوا بأرواحهم ودمائهم وانتقلوا إلى ربهم أن تحظى عوائلهم وأيتامهم وأراملهم بالاهتمام والرعاية من قبل الأجهزة الحكومية المختصة، فتوفر لهم السكن والصحة والتعليم وكفاف المعيشة.

تلوث بيئي

إننا نشهد يوماً تلو يوماً بيئياً هائلاً وخطيراً من خلال حجم المياه الثقيلة ومخلفات المستشفيات والمصانع التي تُرمى في أنهارنا. ولا سيما نهر دجلة مما يتسبب في كوارث صحية وبيئية، ويترك آثاراً وتداعيات خطيرة في الواقع الزراعي والصحي في المحافظات الجنوبية التي تجري فيها هذه المياه الملوثة، وبهذه الكميات الكبيرة من النفايات والمخلفات. وهذا ما يتطلب إجراءات سريعة وواضحة في معالجة المياه الثقيلة ومنع هذه الأخطار البيئية التي تصيب المحافظات الجنوبية.

مائة راتب

كما نشعر بالسعادة من سياسة الإقراض والتسليف التي تعتمدها المصارف الحكومية في هذه الأيام للمواطنين، لا سيما للموظفين، سلفة المائة راتب، وسلفة الزواج للموظفين المستمرين بالعمل، وسلف القطاع الخاص إلى غير ذلك، مما سيساعد على حل جزء من مشاكل المواطنين في ظل هذه الظروف الصعبة التي يمرون بها. ولكن ضخ هذه الكتل النقدية وبهذا المستوى إلى السوق قد يؤدي إلى تضخم كبير في الواقع الاقتصادي، مما يوجب ويحتم أن نحسب حسابه وتتخذ السياسات الملائمة لمواجهة التضخم وارتفاع الأسعار الكبير في المواد الإنشائية والعقارات والسيارات وما إلى ذلك. مما قد يدعو لأن تتحول هذه الحالة التي أردنا أن تكون للتخفيف عن المواطنين لتكون عبئاً إضافياً على المواطن العراقي، حينما يستلزم من الحكومة ويبقى لدينا لهذه المصارف، وتترتب عليه الفوائد المصرفية الزائدة ولم يحقق طموحاته من شراء سيارة أو بيت أو بناء دار نتيجة ارتفاع الأسعار. فهذه قضية يجب أن يحسب لها حساب، فنحن مع التخفيف عن المواطنين ومع تقديم هذه السلف، لكن يجب أن يقرن ذلك بسياسات واضحة تمنع من التضخم وارتفاع الأسعار.

حوادث المرور

كشفت وزارة التخطيط عن أن أكثر من ٧٠٠٠ حادث مروري حصل في العراق في سنة ٢٠١٠ وهي أعلى نسبة من الحوادث المرورية التي مرت بالعراق، راح ضحيتها ما يزيد على ٢٠٠ قتيل و٨٠٠٠ جريح، وما يذكر أن النسبة الأكبر من هذه الحوادث يعزى التقصير فيها إلى سواق العجلات، مما يؤكد على ضرورة الالتزام بشروط السلامة والأمن في حركة العجلات والنظم المطلوبة التي تحافظ على أرواح المواطنين، وتلتزم بشكل أكبر بالنظام العام.

انتخابات اتحاد الكرة

شهدنا مؤخراً إنجاز انتخابات اتحاد كرة القدم بعد تلكؤ استمر لعدة سنوات وصراعات وتراشقات كان يتابعها الجمهور الرياضي في العراق والمراقبون في المنطقة والعالم، وأضرت كثيراً بسمعة العراق وبالواقع الرياضي العراقي. ولكننا سعداء أن هذه الانتخابات تمت بنجاح وعُقدت في بغداد العاصمة لتحمل في طياتها ما تحمل من رسائل طيبة ونتمنى لهذه الانتخابات أن تمثل انطلاقة حقيقية في تطوير الواقع الكروي العراقي.

إن من الأهمية بمكان تجنب الرياضة الصراعات السياسية والحزبية لتبقى الرياضة هي الإطار الذي يجتمع عليه الجمهور الرياضي، مهما تعددت انتماءاته والملاعب هي المواقع التي تنصهر فيها التعدديات المذهبية والدينية والقومية والسياسية ويجتمع الشباب الرياضي في هذه المواقع ليتنصر للاحتراف وللطاقات الوطنية الكبيرة وللإبداع والتميز الذي يقدمه الرياضيون العراقيون.

إن الانفتاح على جميع الأطياف العراقية والانطلاق من الرياضة لتعزيز اللحمة الوطنية بين الرياضيين والتحرك في هذا الإطار الوطني العام بعيداً عن المسالك الضيقة والفئوية، ستمكن من حسن استثمار الواقع الرياضي في تعزيز لحمة العراقيين ووحدهم وتماسكهم، إن على الاتحاد أن يتجاوز سلبات الماضي ويعمل على بناء علاقات رصينة مع سائر المفاصل الأخرى المعنية بالواقع الرياضي ويعتمد على الخبرات والطاقات الوطنية وما أكثرها في قطاع الرياضة، بعيداً عن المحسوبيات والمنسوبيات والمصالح الضيقة التي كادت تضيق الرياضة العراقية وحرمت الشباب الرياضي من حلاوة الانتصارات لمنتخباتنا الوطنية في العديد من المباريات السابقة.

اتباع المعايير العلمية

إن على الاتحاد أن يعتمد المعايير العلمية والمنهجية في اختيار المدربين، ويعمل جاهداً لإيصال الحكام العراقيين إلى المحافل العربية والدولية، ويسعى لتوسيع الهيئة العامة للاتحاد والخروج عن إطارها الضيق الذي رسم منذ سنوات طوال ولا يزال يتحكم بالواقع الرياضي، مع كامل تقديرنا لأعضاء الهيئة الفعلين، وزج الكفاءات العراقية في اللجان التخصصية في الاتحادات العربية والآسيوية والعالمية وإعادة الجسور والتواصل البناء مع هذه الاتحادات، إننا نتوقع من اتحاد كرة القدم العمل على الارتقاء بالثقافة الرياضية لدى اللاعبين والجمهور الرياضي في بلادنا، فإننا أمام مسؤولية كبيرة للتعاطي

مع شريحة واسعة من الرياضيين المتفاعلين والمهتمين بكرة القدم، مما يجعل سقف التطلعات سقفاً عالياً والتوقعات من الاتحاد توقعات كبيرة، كما وأدعو المهتمين بالشأن الرياضي إلى إعطاء الفرصة للاتحاد ومسؤوليه الجدد أن يقوموا بما يلزم لتحقيق تطلعات الجمهور الرياضي، ويقدموا الدعم المناسب له، وهكذا هي دعوتي لوسائل الاعلام أن تتحمل مسؤوليتها في دعم الاتحاد بمسؤوليه الجدد، عساه يستطيع أن ينهض بالواقع الكروي الرياضي في العراق.

الشأن العربي

في الواقع العربي نشهد تصاعداً لنداءات الإصلاحات السياسية في العديد من البلدان العربية، وهي خطوة مهمة تستحق التقدير والثناء، وهي حركة في الاتجاه الصحيح وإن جاءت متأخرة، ولكن أن تأتي متأخرة خير من ألا تأتي أو أن تأتي بفعل الضغوط الداخلية أو الخارجية. ولا بد من أن نؤكد أهمية أن تكون هذه الإصلاحات إصلاحات جذرية وحقيقية وتلامس تطلعات وطموحات المواطنين في هذه الشعوب العربية الكريمة، وألا تأخذ بعداً شكلياً وترقيعياً مما يوحي بأنها شعارات جوفاء لن تزيد هذه الشعوب إلا مزيداً من الاحتقان وردود الفعل الشديدة والعنيفة والقاسية تجاه حكاهمهم، كما لاحظنا ذلك في عدد من البلدان العربية.

وعلى الجميع أن يعتقد بأن إجراء مثل هذه الإصلاحات والتماشي مع مطالب الشعوب الكريمة وتوفير الحقوق والحريات المناسبة للمواطنين، إنما هي مكرمة أخلاقية ومصالحة وطنية وضرورة سياسية لكل أولئك الحكام، إذا ما أرادوا البقاء في السلطة، فعليهم أن يُقدِّموا على ذلك، ولا يكون هناك شعور بأن مثل هذه الإصلاحات إنما هي مؤشر على التنازل أو الضعف أو الوهن لهذه الحكومة أو تلك، إنما هي قيمة أخلاقية مهمة تقدم لصالح الشعوب، وشعوبنا العربية الكريمة معنية أيضاً بإعطاء الفرصة لاستبيان مدى جدية هذه الإصلاحات التي يجري الحديث عنها، وأن تأخذ مأخذها وتطور هذه البلدان دون المخاطرة بالأمن والسلم الاجتماعي أو الوقوع في ما يتقاطع مع إرادة الشعوب وطموحاتها الحققة. نحن مع الشعوب العربية في مطالبيها وفي حقوقها العادلة وفي كرامتها المسلوبة ولكننا نعتقد بأن الفرصة يجب أن تُمنح حتى تتحقق هذه الطموحات مع الحفاظ على المصالح الإستراتيجية لهذه البلدان، وللأمن والاستقرار في المنطقة برمتها.

اليوم العالمي للاجئين

إن يوم العشرين من حزيران يصادف اليوم العالمي للاجئين ، ويجري الاحتفاء بـ ٤٤ مليون لاجئ في العالم مهجرين ومبعدين عن بلدانهم ، إن اللجوء يعني اضطراب المواطن إلى أن يخرج من وطنه خوفاً على نفسه ؛ لأنه ينتمي إلى دين أو طائفة أو قومية أو رؤية سياسية معينة ، هذا هو تعريف اللجوء في المنظمات الدولية ، ووجود هذا العدد الكبير من اللاجئين يمثل مستوى كبيراً من الخروقات التي تشهدها الأنظمة ، على أن الظروف الصعبة في انعدام الأمن الغذائي وتغير المناخ والصراعات أيضاً تدفع بعض المواطنين لمغادرة بلدانهم ، حتى أصبحت ظاهرة كبيرة لا بد من معالجتها وضمان حقوق هؤلاء اللاجئين وتوفير الرعاية المناسبة لهم ، والعمل الجاد على تهيئة الظروف لعودتهم إلى بلدانهم ، لا بد من كلمة شكر وتقدير واثمين لكل البلدان العربية والإسلامية والدولية التي تحتضن هذا العدد الكبير من اللاجئين وتقدم الرعاية لهم ، ونتمنى أن نجد عالماً متحضراً عصبياً يحترم فيه الإنسان وتُعطى الفرصة للجميع في أن يمارسوا حرياتهم دون ضغوط ، سواء كانت دينية أو مذهبية أو قومية أو سياسية .

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١١/٧/٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين
حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين
وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل إختوتي الأكارم، الأخوات الفاضلات، بدايةً أرحب بكم أجمل
ترحيب في مجلسكم هذا مجلس أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين .

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

كان حديثنا في الملتقيات السابقة عن النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة، وذكرنا
أن عهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك الأشرى يمثل اختزالاً لهذه النظرية، وقد استعرضنا
خلال الأشهر الماضية العديد من الدروس التي قدمها الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في الحكم
والإدارة والقيادة، وكنا نتحدث في لقاءات سابقة عن هذه العبارة الكريمة العميقة في
مداليلها بالرغم من قصرها وهي قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ولا تقولن إني مؤمر أمر فأطاع»^(٩٧)، فيا
أيها المسؤول لا تأخذك النرجسية فتصاب بداء الاستعلاء والاستكبار لتقول إنني أصدر
التعليمات والأوامر وعلى الناس الطاعة والالتزام، «فإن ذلك إدغال في القلب»، مثل
هذا الخلق حينما يصاب به المسؤول فهذا إفساد للقلب، «ومنهكة للدين» أي مضيعة
للدين «وتقرب من الغير»، وهذه السلوكية تقرب المسؤول من التغيير وتعرضه للسخط
الشعبي الذي يؤدي به وبنظامه إلى الهاوية، وقد تحدثنا في الإضاءة الأولى عن ظاهرة

٩٧ . نهج البلاغة - ج ٣، ص ٨٤

الاستبداد والترجسية والاعتداد بالرأي ، و كان لكل من هذه المفردات مدلول قد يختلف عن الآخر في مستوياته ولكن يشير إلى توجه معين .

العلاقة بين المسؤول والرعية

إن المسؤول لا يرى إلا نفسه وموقفه ولا يصحح إلا رؤيته ، وهذه الحالة حينما يصاب بها المسؤول فهي من أخطر الأدواء التي يتعرض لها الإنسان حينما يكون في مواقع الخدمة ، وقد تحدثنا في الإضاءة الثانية بتفصيل عن طبيعة المنطلقات القيادية في الرؤية الإسلامية ، وقلنا إنها يجب أن تعتمد على أمرين : العلاقة الإنسانية بين المسؤول ومن هو مسؤول عنهم ، أي أن تكون العلاقة علاقة محبة وألفة ، وليست تكبرا وهيمنة وفرضا ، وليست تسلطا على الآخرين وترويعا وإغراء وشرأء للذمم والضمائر ، بل هي علاقة مودة وثقة ومحبة وعلاقة احترام متبادل حتى تكون نصرة متبادلة في انجاز المهمة ، هذا الجانب الأول . والجانب الثاني هي الحقوق المتبادلة في العلاقة بين الحاكم والشعب ، بين القيادة والتابعين لها ، وليس علاقة من طرف واحد ، فلا يمكن للمسؤول أن يجد لنفسه الفرص في أن يضع لنفسه الحقوق ولا يضع لها الواجبات ، فهناك حق للناس على المسؤول وهناك حق للمسؤول على الناس ، وقد شرحنا هذه العلاقة .

آثار وتبعات الترجسية

الإضاءة الثالثة : إن ظاهرة الاستبداد والترجسية تترك آثارا وتخلف تبعات في سلوك الإنسان ووجوده ، واستعرض الأمير ثلاثا من هذه التبعات والعوارض الأساسية لظاهرة الاستبداد والاستعلاء والاستكبار والهيمنة والترجسية التي يصاب بها المسؤول وهي :

١ . عارض ذاتي فردي ، حيث جاء في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : «إدغال للقلب» ، أي إفساد للقلب وهذه قضية شخصية يصاب بها المسؤول ويفقد الفرصة في الحفاظ على إنسانيته .

٢ . أثر عقيدي ، «ومنهكة للدين» ، أي مضيعة للدين ، أيها المسؤول إن دينك سوف يضع دين الناس من ورائك ، لأن الناس على دين ملوكهم ، وهذا ما سيأتي الحديث عنه ، دين الناس يتعرض للمخاطرة حينما يقع المسؤول في شرك حالة الاعتداد بالذات إلى حد كبير .

٣ . العارض الاجتماعي والسياسي ، إن مثل هذا الاستعلاء والاستبداد يؤدي إلى مزيد من السخط الشعبي ، الذي يدفع باتجاه التغيير ويهز عرش المسؤول حينما يمارس مثل هذا المنهج .

الانزلاق مع الشيطان

على المستوى الفردي كما قلنا تجعل حالة الهيمنة والاستعلاء قلب الإنسان قلباً مظلماً، تغيب عنه المشاعر والأحاسيس وتغيب عنه الفرصة في تحسس آلام الناس، فيصبح الإنسان كدود القز يعيش في عالمه الخاص وينقطع عن آلام وهموم المجتمع، ولا يفكر إلا بنفسه وهمومه وقضاياها، وتنكسر الحواجز النفسية والمعنوية، وإذا انكسرت فسيجد الإنسان نفسه بؤرة للانحراف والضلال، ومستعداً لأن يقوم بكل شيء من أجل الحفاظ على عرشه وكرسيه وموقعه، ويضحى بكل شيء ويهتك كل حرمة من أجل الحفاظ على موقعه.

إن ضياع القيم الإنسانية وغياب الحالة المبدئية مشكلة ومعضلة كبرى يصاب بها الفرد المسؤول، حينما يكون في مثل أجواء النرجسية العالية والاستبداد. لاحظوا ماذا يقول أمير المؤمنين في الخطبة ١٩٢ المعروفة بالقاصعة، أي المحقرة التي تحقر الجبابة لما ورد فيها من التركيز على هذا الجانب، يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الخطبة:

«فاحذروا عباد الله عدو الله أن يعديكم بدائه، وأن يستفزكم بندائه، وأن يجلب عليكم بخيله ورجله، فلعمري لقد فوق لكم سهم الوعيد، وأغرق لكم بالنزع الشديد، ورماكم من مكان قريب»^(٩٨)

«فاحذروا عباد الله عدو الله» في إشارة إلى الشيطان، وداء الشيطان هو الاستكبار، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٩٩)، وهذه مشكلة الشيطان في الجوهر، وأمير المؤمنين يحذرننا من هذا العدو بالأبداً يعدينا بدائه وألا يستنهضنا باتجاه الأخلاق التي يمتلكها إبليس وسيرته السيئة ويخيفنا بجيوشه، في إشارة إلى أعوان السوء.

فاحذر أيها المسؤول أن تحيط بك بطانة السوء التي لا تفكر إلا بمصالحها، وكل ما يهمهم كيف ينتفخون ويبالغون في الاستفادة من الفرص والإمكانات فيحرضون حتى يتزلفوا لك ويظهروا لك المودة، ليس حباً بك ولا خشية من مكروهك، بل لأنهم يبحثون عن الفرص والمواقع والأدوار والامتيازات.

«فلعمري لقد فوق لكم سهم الوعيد»، الفوق موضع الوتر من السهم «وأغرق إليكم

٩٨ . نهج البلاغة - ج ٤ ، ص

٩٩ . سورة البقرة : الآية ٣٤

بالنزع الشديد»، أي القوس حينما يسحب بشدة، في إشارة إلى استعداد انطلاق السهم، «ورماكم من مكان قريب»، لأن الشيطان قريب منك، وقد سحب السهم إلى أقصاه وهو يوجهه إلى صدرك وقلبك، وهذا هو حال الشيطان وموقفه من المسؤول حينما يكون في موقع المسؤولية: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١٠٠)، وهذا قسم للشيطان أقسم به أمام الله سبحانه وتعالى حينما عرف أنه لا مكان له في المقامات العالية في الجنة.

ولما كان الإنسان في موقع المسؤولية كان تركيز الشيطان عليه أكثر وأكبر، هذا الأثر الفردي والنفسي الذي يصاب به المسؤول، فيا أيها المسؤول لا تفرح بالامتيازات التي تحصل عليها. بل عليك وأنت في موقع المسؤولية التفكير في مثل هذه الأخطار التي تترصد بك الدوائر، من عدو لدود موقعه قريب منك، وقد شهر سيفه وسهامه نحوك، وهو على أهبة الاستعداد ليستهدف صدرك وقلبك.

غياب القيم والمعايير

لا يمكن أن يجتمع الخضوع والخشوع لله مع حالة الاستعلاء والتجبر، إن كنت خاضعاً لله فيجب أن تستشعر حالة الخضوع في وجودك وفي نفسك، وهذه الحالة تحصنك من الوقوع في حالة الاستبداد والرجسية والاستعلاء، وإذا وقعت فيها فاعرف أن خضوعك لله وانقيادك لله تعرض إلى مشكلة وهزة، لاحظوا ماذا يقول علي عليه السلام في نهج البلاغة الخطبة ٨٨ ويذكر الأمير فيها أسباب هلاك الناس والحديث عن الجبابة وسلوكهم:

«فيا عجباً وما لي لا أعجب من خطر هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها لا يقتصون أثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي ولا يؤمنون بغيب ولا يعفون عن عيب يعملون في الشبهات ويسبرون في الشهوات المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر عندهم ما أنكروا مفرزهم في المعضلات إلى أنفسهم وتعويلهم في المبهمات على آرائهم»^(١٠١).

أي أنهم لا يبحثون عن معايير أو ضوابط ومقاييس، وكل منهم يريد أن يبرر لنفسه وللآخرين الموقف الذي اتخذته على أنه أفضل المواقف، وصاحبه يفكر أفضل من غيره، والحزب أو الجماعة التي ينتمي إليها والتوجه الذي يؤمن به هو أفضل التوجهات، «لا يقتصون أثر نبي

١٠٠. سورة الحجر: الآية ٣٩

١٠١. نهج البلاغة ج ١، ص ١٥٦

ولا يقتدون بعمل وصي». وليس لديهم حالة اقتداء لمعايير الأوصياء والأولياء، «ولا يؤمنون بغيب»، إن الإيمان بالغيب إذا ما غاب عن الإنسان لن يبقى حجر على حجر، فإننا نؤمن بالله والجنة والنار والدار الآخرة إيماناً غيبياً، وهؤلاء لا يؤمنون بالغيب وكل شيء يروونه بالمنظور المادي.

والواقع أن أثرى أثرياء العالم نصفهم أميون، وتجد بروفوسورا بالاقتصاد لا يملك لقمة عيشه، وليس هذا سيقابل هناك أسباب ومسببات، والأمور تسير بأسبابها الطبيعية، لكن هذه الاستثناءات تلقي الحجة علينا، والله كلمة يقولها تأتي منسجمة مع أغلب السياقات في كثير من الأحيان ولا تأتي في بعض الأحيان، حتى تقول إن الأمر ليس مادياً صرفاً. فأكثر الناس إلحاداً يضعهم الله أمام مواقف محرجة يرون من خلالها أن قواعدهم كلها قد ضربت، ففي الطب هناك معاجز لا أحد يعرف أسبابها، وجاءت نتيجة توسل بالأئمة والاستغاثة بالله، وهذه الأمور كلها جاءت حتى تعطي رسالة لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالغيب.

وهناك من يمتلك الجيوش والمليارات لكن قلوب الناس لا تشتري بالمال، بل الله سبحانه وتعالى يهدي الأنفس والقلوب لتهدى هذا الجانب أو ذاك، وما أكثر من يصرف وينفق ولديه إعلام ووسائل مختلفة، ولكن الناس لا تحبه وهناك من لا يصرف شيئاً ولا يملك المال وتجد قلوب الناس تهواه وتميل إليه، ونرى اليوم أن أكثر الناس محبوبة في هذا البلد الكريم هو الإمام السيد السيستاني وهو لم يصرف ديناراً واحداً ليظهر في وسيلة إعلامية، وقد ألقى الله محبته في قلوب الناس.

الإيمان بالغيب

يجب على المسؤول أن يكون لديه الإيمان بالغيب ولا يأخذه الغرور بالموقع، «ولا يعفون عن عيب»، فهناك من المسؤولين من ينظر ويتحدث في مؤتمرات صحفية ويظهر بعد يومين ويتحدث بخلاف ما قال، وعند متابعتنا للصحف نجد الكثير من أخبار التكذيب للسادة المسؤولين، «يعملون في الشبهات» إذ تجد المسؤولين يبحثون عن الشبهة وخرق القانون وحقوق الإنسان، وهذا الأمر لا ينطبق على كل المسؤولين بالطبع، بل هناك منهم المخلصون والشرفاء ومن يتسم بالنزاهة، وغالباً هؤلاء يحاربون ويطاردون ويهمشون.

ونرى أن أخطر القضايا التي ترجف قلوب المسؤولين هي الاستضافة، مع أنه يجب أن يمتلك المسؤول التبرير الواضح لمواقفه، «ويسرون في الشهوات، المعروف فيهم ما عرفوه» أي أن الشيء الحسن هو ما يروونه حسناً ولا وجود لمعيار تعرض عليه المواقف، بل هناك مواقف تكيف القوانين والدساتير والمبادئ والقيم معها، ومن أخطر الأشياء أن

يكون المسؤول بمستوى يلبس الحالة المبدئية بثوبه وسلوكه وأدائه، وليس أن يعرض أداءه على الثوابت والمبادئ، «والمنكر عندهم ما أنكروا»، أي أن الأمر الذي لا ترغبونه قد يكون هو الشيء أو الموقف الصحيح، «مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم»، فتجده حينما تحصل مشكلة لا يرى إلا رأيه ويتجاهل الخبراء والمستشارين، وهذه مشكلة كبيرة.

مستشارو السوء

«وتعويلهم في المهمات على آرائهم»، أيها المسؤول إن هناك أزمة سياسية كبيرة مع دولة جارة أو قضية أمنية خطيرة أو قضية اقتصادية، وهذه مسائل لا يصلح أن ترجع فيها إلى رأيك الشخصي وتحكمه، إن كنت وزيراً أو مديراً أو وكيلاً، «كأن كل امرئ منهم إمام نفسه»، أي يقتدي بقناعاته وميوله ورغباته، وهذه سمات المسؤول حينما ينحرف ويتجبر ويتكبر.

إن أكبر الأخطاء ليس في خطئه، بل في تقمص الثوب الديني والموقف الشرعي والمبدئي والقانوني في موافقه، وأكبر خطر هم المستشارون القانونيون من مستشاري السوء الذين يبحثون عن الثغرات والمخارج لتصرفات وقرارات المسؤولين، إن خطورة الاستبداد من قبل المسؤول هو أن يكون في ظرف يكيف القانون والثواب والقيم والدستور مع موقفه الشخصي وقناعاته الشخصية. ونرى اليوم الكثير من الجدل السياسي القائم في بلدنا، لأن كلا يستند إلى الدستور، وإذا كان الدستور واحدا فكيف لكل منهم أن يستنبط حكما مختلفاً، إذن هناك رؤية خاطئة.

الشأن العربي

ما زالت المنطقة العربية تعيش الغليان في دول تحررت وفي دول في طريقها إلى التحرر والانعقاد. والكل يعاني من الاستبداد وفرض الرأي من أنظمة صادرت حقوق الشعوب وتسلبت على إرادة وثروات وإمكانات هذه الشعوب لعقود طويلة من الزمن. إن ما يثير القلق في هذه الأيام هي رائحة التقسيم التي تفوح من كلمات وتصريحات بعض القيادات العربية المتورطة في هذه الأزمات.

إن أخطر شيء حينما يجد حاكم من الحكام العرب نفسه عاجزا عن بسط نفوذه على كامل أراضي بلده فيذهب إلى تقسيم ذلك البلد، ل يبقى حاكما على جزء منه ولا يتنازل عن السلطة لصالح شعب ثائر أصبحت له رؤية أخرى تجاه مثل هذه المواضيع. إن الشباب المصري الثائر يقول كلمته ويحقق طموحات شعبه بإرادة وعزم لا يلين،

من خلال استجابة النظام المصري لهذه المطالب، وليس توسيع صلاحيات الحكومة الانتقالية في هذه المرحلة إلا انتصار لهذه الإرادة الشبابية الثائرة، إننا نتمنى لجميع البلدان المتحررة من قيود الأنظمة المستبدة أن تمضي قدما في صياغة الدساتير الدائمة وإجراء الانتخابات النزيهة الحرة المعبرة عن إرادة هذه الشعوب.

ولن تشهد هذه البلدان استقرارا ما لم يعتمد على إرادة هذه الشعوب وقراراتها وتوجهاتها فيمن تختاره لإدارة شؤونها، كما أن الحوار الصادق والجدلي مع القوى المعارضة الأساسية في البلدان العربية هو المدخل الوحيد لاستعادة ثقة الشعوب بحكامها ولا مناص إلا الوقوف عند المطالب الحقة والمشروعة لهذه الشعوب والاستجابة لإرادتها، ومن دون ذلك تفتح المنطقة على خيارات صعبة يكون فيها الحل أمراً عسيرا مما يخاطر بالأمن والاستقرار في تلك البلدان وفي المنطقة برمتها.

إن التشبث بالسلطة والتنكر للإرادة الشعبية الثائرة في العديد من البلدان العربية سوف تزيد من عزلة الحكام، وسوف تجعلهم أمام مخاطر وسخط شعبي متزايد سيؤدي ولو بعد حين إلى فرض إرادة الشعوب والانتهاة من حكم الأنظمة المستبدة. إن التشبث بالسلطة والإصرار على البقاء في مواقع الحكم، أمر لن يعالج الأزمات، وإنما سيزيدها مشكلة وسوف يستمر نزيف الدم مما سترك أثرا كبيرا في شعوب هذه المنطقة والحكام وسمعتهم وما سيسجله التاريخ عنهم بعد حين.

الشأن العراقي

إن الوضع السياسي في العراق لا يزال يشهد تصعيدا مستمرا وتبادلا للتهامات، والتصلب في المواقف من الأطراف السياسية المتقاطعة، مما يؤثر سلبا في واقع المواطنين الخدمي والتنموي، إن المواطن العراقي يتطلع اليوم لمن يقدم الخدمة له وللمن يحل مشاكله ويقف عند همومه، ولقد مل الشارع من هذه المناكفات والصراعات السياسية والتراشق بين أطراف العملية السياسية. إننا بأمس الحاجة إلى تهدئة الأوضاع السياسية العامة، وتوحيد الصف الداخلي الوطني العراقي وإنجاح الحوار بين الكتل السياسية المتقاطعة. كما أن علينا الحرص على الالتزام بالاتفاقات المبرمة بين الأطراف السياسية والإسراع في تسمية الوزراء الأمنيين من المستقلين لهذه المواقع الشاغرة، والتقليل من حدة التصريحات التي يطلقها المسؤولون من هذا الطرف أو ذاك، ولا بد من التفتن في إطلاق رسائل التطمين وإزالة الهواجس والمخاوف لكل من الأطراف تجاه الأطراف الأخرى.

الترشيح الحكومي

يجري الحديث في هذه الأيام وبشكل مكثف عن الترشيح الوزاري، إنها خطوة صحيحة ومهمة وضرورية أن يتم الترشيح في مؤسسة الدولة العراقية، والسياق الذي اعتمد كان سياقاً صحيحاً في أن يتقدم دولة رئيس مجلس الوزراء بطلب إلى مجلس النواب ليأخذ مجلس النواب دوره في المناقشات المستفيضة للتداول في هذا الموضوع الحيوي المهم، إننا نؤكد أهمية الترشيح الحكومي وضرورة اعتماد أصحاب النزاهة والكفاءة والقدرة على الأداء ومراعاة التوازنات في توزيع الأدوار، بما يطمئن جميع الأطراف السياسية. كما أن علينا استذكار أن الترشيح الحكومي لا يعني إطلاقاً العقوبة للمسؤول ممن يشملته الترشيح، ويلغى موقعه ومنصبه أو من الموظفين العاملين في دائرة يشملها الترشيح لتلغى أو تدمج مع دائرة أخرى، وإنما هو إجراء ضروري استجابة للمطالب الشعبية ومراعاة للمصالح العليا، وتسهيلاً لسرعة اتخاذ القرار في خدمة المواطنين وحل مشاكلهم.

نحتاج إلى رؤية شاملة

إن الإشكال الأساسي في موضوع الترشيح إنما هو في طرح هذا المشروع بشكل منقوص وليس بشكل كامل، حيث يجري الحديث اليوم عن ترشيح يبدأ بالغاء وزارات الدولة، ويقال نأتي بمرحلة ثانية وننظر في خطوة أخرى في الترشيح تتمثل في دمج الوزارات التي لها مهام وواجبات متقاربة، ثم نأتي لنضع رؤية للترشيح في خطوة ثالثة وندرس الترشيح على مستوى الوكالات والمدراء العامين وما إلى ذلك، ثم نأتي لندرس الترشيح في مرحلة رابعة ونضع تصوراً ورؤية للترشيح في الهيئات المستقلة، ثم نرجع لننظر في الترشيح في مرحلة خامسة وسادسة وسابعة، وهكذا يجري الحديث عن ترشيح منقوص وضمن مراحل عديدة، وبهذا المنهج يكون الترشيح الذي أريد له أن يكون وسيلة لحل مشاكل البلد وتقديم خدمة للمواطنين، يتحول إلى مشكلة أخرى في البلد ومعضلة أخرى من معضلات القوى السياسية، والجدل الكبير الذي يمكن أن تشغل به الساحة السياسية إلى أشهر طويلة من الزمن.

لذلك ندعو إلى تكوين رؤية موحدة وواضحة بين القوى السياسية، وتحت قبة البرلمان تجاه الترشيح الكامل وليس المنقوص، كيف نرشق الحكومة، وكيف نذهب لترشيح كافة مؤسسات الدولة العراقية، وكيف نمنع من الترهل الكبير في مفاصل الدولة، لنضع هذه الرؤية ويصوت عليها في البرلمان، ثم على مستوى التنفيذ يمكن أن يصار إلى جدول هذا

الترشيح ضمن مراحل عدة، ولكن حينما يجري الحديث عن ترشيح وعن مرحلة معينة، بحيث نذهب لنلغي وزارة الدولة، ثم نجلس ونتحاور ونتشاور، من دون معرفة متى وكم سيستغرق هذا الحوار، فإن القضية التي يمكن أن تعالج مرة واحدة وفي نقاش واحد تتحول إلى قضية جدلية بين الأطراف لتشكل معضلة ومشكلة أخرى، لاسيما أننا ليس أول بلد يريد أن يحكم ويدير شؤون الناس. فهناك دول متطورة في تجاربها المؤسسية وهي أوسع من العراق من حيث المساحة والسكان، وعلينا أن نستفيد من تجاربها في إدارة بلدانها، وكيف تطوروا وتحضروا وكيف استطاعوا أن يقدموا الخدمة السريعة لشعبهم وليس لهم سوى خمس عشرة أو سبع عشرة وزارة.

يجب أن نأخذ العبر والدروس ولا نبدأ من الصفر، بل لنبدأ من حيث انتهى الآخرون ومن حيث نجح الآخرون في تجاربهم، ونحن لاحظنا أن الذهاب إلى حكومة منقوصة جعلنا أمام ظاهرة نادرة في التاريخ السياسي، أن تمر كل هذه الأشهر الطويلة على تشكيل الحكومة العراقية ومازلنا نفتقد وزراء يملؤون أهم الوزارات في الدولة العراقية، وهي الوزارات الأمنية، فإذا كانت حكومة منقوصة يصعب استكمال خطواتها لاحقاً فما بالك بترشيح منقوص، متى نستطيع أن نحقق الرؤية الواضحة في ترشيح الحكومة بكل مفاصلها ومراحلها؟.

توسيع صلاحيات الحكومات المحلية

أعلنت وزارة التخطيط مشكورة عن خطة لتوسيع صلاحيات الحكومات المحلية ومجالس المحافظات، للنظر في المشاريع الخدمية والإستراتيجية المرتبطة بتلك المحافظات، ضمن ميزاتاتها. إنها خطوة في الاتجاه الصحيح تُشكر عليها وزارة التخطيط والحكومة الموقرة، وكنا قد تبيننا منذ أمد بعيد مبدأ الاعتماد على الحكومات المحلية ومنح الصلاحيات الواسعة لهذه الحكومات لإدارة شؤون الناس وتقديم الخدمات وتنمية المحافظات.

إن أبناء المحافظات المنتخبين بانتخاب مباشر من المواطنين أقدر على تشخيص احتياجاتهم من الوزير أو الوكيل أو المدير الجالس في وزارته، فأهل مكة أدرى بشعابها، ولطالما اجتمعت مع المجالس والحكومات المحلية في زيارتي التي قمت بها لاستمع في كل محافظة أن هناك مشاريع كبيرة تنفق فيها أموال طائلة وهي ليست أولوية لأبناء المحافظة، ليس هذا هو الطريق الذي يمكن أن نعالج عبره الواقع الخدمي والتنموي في هذه المحافظات.

إن توسيع صلاحيات مجالس المحافظات، وإناطة كافة المشاريع الخدمية والإستراتيجية لكل محافظة بمجلس المحافظة، هو المدخل الصحيح الذي يضمن خدمة سريعة وتنمية مستدامة لهذه المحافظات. إننا ندعم بقوة هذه الخطوة التي تعزز النظام الاتحادي ونعتقد

بأن الحكومات المحلية يجب أن يناط بها التنفيذ، وأن تكون الحكومة الاتحادية من بغداد مسؤولة على الإشراف والمتابعة والمراقبة للتأكد من حسن الأداء ولتقديم خبراتها للحكومات المحلية.

قانون حرية التعبير والتجمع

استكمل مجلس الوزراء تنظيم مشروع قانون حرية التعبير والتجمع، وهو من أهم القوانين التي ستنظم عملية حرية التعبير وإبداء الرأي من قبل المواطنين، إذا ما وافقوا أو خالفوا الحكومة في قضايا معينة أو الوضع العام، ومن حق المواطن حسب الدستور أن يقول كلمته ويعبر عن رأيه بحرية كاملة، هذا القانون جاء لينظم هذه العملية ولذلك ينظر إليه وطنياً وإقليمياً ودولياً على أنه مؤشر مهم من مؤشرات النظام الديمقراطي والتعددي في العراق، مدى احترامنا للحريات ومدى التزامنا بحقوق الإنسان في العراق كل ذلك يتبين من خلال هذا القانون، فلا بد من التأكد من توفر المعايير الصحيحة المطلوبة في مثل هذا القانون، وهذه مسؤولية أعضاء مجلس النواب أن ينظروا في هذا القانون وينتصروا لحرية المواطن العراقي وينتصروا لمرجعية الشعب العراقي وإرادته الحرة في التعبير عن الرأي في القضايا المختلفة.

ظاهرة الملاهي في بغداد

إلى جانب ذلك لا بد من التأكيد على الالتزام بالآداب العامة وحفظ النظام، إلى غير ذلك مما يضمن المصلحة العامة في العراق. وقد أصبحنا نشاهد سلوكيات ومواقف غير مقبولة وغير مبررة تقاطع إلى حد كبير مع الأعراف والقيم والعادات الطيبة العربية والإسلامية الأصيلة التي نلتزم بها في هذا البلد الكريم، ومنها ظاهرة النوادي الليلية التي بدأت تنتشر وتتكاثر بشكل واسع وكبير في الفترة الأخيرة، من دون أن تستحصل الموافقات الرسمية، مما يعد خطوات غير قانونية وغير مصرح بها من قبل الجهات الرسمية، والشيء المؤسف أن هذه النوادي وهذه الملاهي لا تراعي العادات العامة للناس ولا تحترم المواطن العراقي في مساحاته الواسعة من عوائل وأسر ونساء وأطفال وكبار؛ فهناك شعب يريد أن يعيش في هذه المدن ويتعرض إلى مضايقات كبيرة نتيجة السلوكيات غير المنضبطة التي تمارس في مثل هذه النوادي، أو ممن يرتادها من الناس مما يجعل العوائل في ضيق شديد.

وما يثير الاستغراب الشديد هو التركيز الكبير على منطقة الكرادة، هذه المنطقة

المتحضرة المعروفة بالتزامها الديني منذ تأريخ طويل ونسيجها الاجتماعي الخاص ، أن يتم التركيز على استحداث مثل هذه النوادي في هذه المنطقة بالتحديد ، وقد اطلعت مؤخراً على قائمة للنوادي الليلية غير المرخصة في قاطع الكراة وحده فتبين أنها ٧٢ ملهى وناديا ، ولهذا أصبح يتعذر على العوائل العراقية أن تخرج إلى الحدائق والفضاءات العامة في شارع أبي نواس أو غيره من المرافق الترفيهية في هذه المدينة ، فحين تنقطع الكهرباء لا تستطيع العوائل البقاء في البيوت لذا ترغب بالخروج إلى حديقة أو متنزه وتنفس للأطفال حتى يمرحوا ويلعبوا في هذا الحر اللاهب ، وإذا بهم يجدون مثل هذه السلوكيات المشينة والظواهر السلبية التي تضغط على العائلة العراقية إلى حد كبير لاسيما مع وجود المظاهر الخادشة للأداب العامة والقيم والأعراف التي يؤمن بها أبناء شعبنا .

إن مثل هذه الظواهر تمثل خرقاً واضحاً للقانون واعتداءً سافراً على حرية المساحة الأوسع للمواطنين العراقيين ، وهي ظواهر غريبة وغير متعارف عليها حتى في أكثر الدول انفتاحاً كاللبنان واليونان ، حيث تخضع مثل هذه الأماكن إلى تحديدات قاسية ، وإلى شروط في مواقعها وفي من يرتادها وفي طريقة السلوكيات القانونية ، إلى غير ذلك من الأمور . فإذا كانت الدول الغربية هكذا فكيف بالعراق العربي الإسلامي بأعرافه وقيمه وحضارته؟! هل يُقبل أن يكون في منطقة الكراة ٧٢ ملهى لم تأخذ التراخيص؟! إن هذه القضية تحتاج إلى معالجة حقيقية .

ومع الأسف الشديد إن بعض من يرتاد هذه الملاهي هم من الشخصيات المرموقة والقيادات الأمنية والعسكرية والسياسية ، يرتادونها من ناحية ، ويحمونها بالرغم من أنها على خلاف القانون من ناحية أخرى ، ويمنعون تطبيق القانون بوضع المحددات والشروط للسيطرة على هذه الحركة ، ولتقييم الأداء ووضعه في الإطار الصحيح .

رعاية اليتيم

إن الأمم المتحدة دعت إلى توفير حماية أكبر للأطفال العراق الذين يبلغ عددهم ١٥ مليون طفل ، وآخر الإحصائيات أشارت إلى وجود ٥ ملايين طفل يتيم بما يمثل ١٦ ٪ من سكان العراق ، وثمة تقرير أممي قدم في ٢٠١١ يشير إلى هذا العدد بما يجعل العراق يمتلك النسبة الأكبر من الأطفال الأيتام في الوطن العربي ، فيما نحن لا نمتلك إلا ١٧ من دور الأيتام ، ٤ منها في بغداد والأخرى في المحافظات العراقية .

إننا وفي أجواء الاستقبال لشهر رمضان المبارك شهر المغفرة وشهر الرحمة والغفران

والمودة بين الناس ، ندعو إلى اعتماد شهر رمضان في هذا العام شهر الرعاية اليتيم والاهتمام بالأيتام وحل مشاكلهم ، وتوفير فرص الحياة المناسبة لهم . إنها مسؤولية تتحمل الحكومة جزءاً من تبعاتها ، وتتحمل منظمات المجتمع المدني وميسورو الحال وعموم المواطنين الجانب الآخر من المسؤولية . وأذكركم بما قاله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة»^(١٠٢) ، فليكفل كل منا يتيماً واحداً ، ليرعَ يتيماً واحداً وليضع يده ويمسح على رأس يتيماً واحداً ، وبهذا يمكن أن نعزز التضامن فيما بيننا ، ولنتذكر ما قاله الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في وصيته : «الله الله في الأيتام فلا تغبوا أفواههم ، ولا يضيعوا بحضرتكم»^(١٠٣) . . أسأل الله أن يكون أبناء شعبنا ممن يهتم ويرعى اليتيم .

العودة إلى اتحاد الأدباء العرب

سررنا بخبر إعادة عضوية اتحاد الأدباء العراقيين إلى اتحاد الأدباء العرب بعد ٧ سنوات من تجميد هذه العضوية على خلفيات سياسية ، وتعنت لبعض الأعضاء . ولكن اليوم تفتح الفرصة ليعود اتحادنا إلى اتحاد الأدباء العرب ، وطالما رُفد اتحاد أدباء العراقيين الاتحاد العام بالثقافة العراقية والإنجازات الفنية والأدبية الكبيرة . إنني أهنئ الأدباء العراقيين بعودة اتحادهم إلى الاتحاد الأم ، وأتمنى أن يكون لهم الدور الكبير في هذا الإطار وتحقيق المزيد من الإنجازات الأدبية والثقافية كما أهنئ نقابة المحامين العراقيين بعودتهم إلى اتحاد المحامين العرب بعد انقطاع دام ٧ سنوات ، إن مثل هذه المواقف وعودة العراق إلى الحاضنة العربية ومثل هذه الجهود النقابية والاتحادية تبرهن على أن المشروع العراقي قد انطلق ، وأنه اليوم يسبق أشقاء العرب بما يقرب من عقد من الزمان من تجربته الديمقراطية ، وهي قضية نشكر كل الجهود الطيبة التي ساعدت في تحقيقها .

الزيارة الشعبانية

انتهت الزيارة الشعبانية الكريمة وكان الحضور المدهش لملايين الزوار العراقيين والأجانب ، الذين جاؤوا وقطعوا المسافات الكبيرة في الحر اللهب ليزوروا سيد الشهداء الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بالرغم من كل التعقيدات بما في ذلك التعقيدات الأمنية ، شكرنا وتقديرنا للأجهزة الأمنية على ما بذلته من جهود ، وعتابنا على الخرق الأمني الذي حصل وأدى إلى تفجير العديد من السيارات المفخخة داخل المدينة المقدسة ، مما

١٠٢ . مستدرك الوسائل ، ج٢ - ص ٣٦٣

١٠٣ . نهج البلاغة ، ج٣ - ص ٧٢

تسبب باستشهاد وجرح عدد كبير من الزوار ، نسأل الله أن يتغمد شهداءنا الأبرار برحمته
الواسعة ، ويمن على الجرحى بالعافية والشفاء العاجل .

عيد الصابئة

كما نعيش في هذه الأيام ذكرى رأس السنة لشركائنا وأعزائنا من الصابئة المندائيين .
نهني أعزائنا الصابئة برأس السنة الجديدة لهم ، ونتمنى لهم العيش الرغيد في هذا البلد
الكريم الذي يفخر بهم ويعتز بهذا اللون الديني ، فلا بد من الحفاظ على هذا اللون . إن
هذا النسيج الاجتماعي المتنوع يمثل باقة الورد العراقية التي تزيدنا بهاء وقوة وتلاحماً ،
فتهانينا لأعزائنا الصابئة المندائيين بهذه المناسبة الكريمة .

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٧/٧/٢٠١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين
حبیب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين
وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل إخوتي الأكارم، الأخوات الفاضلات، بدايةً أرحب بكم أجمل
ترحيب في مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين .

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة، وذكرنا
أن عهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك الأشرى يمثل إمامة واضحة بهذه النظرية، والعلاقة
بين المسؤول ومن هو مسؤول عنهم، بين المتصدي لإدارة الأمور ومن يدير أمورهم من
الناس، وهذه العلاقة لا تنحصر بمساحات قيادية معينة، وذكرنا في أكثر من مناسبة في
استعراضنا لهذا العهد أن المنظومة القيادية التي يلحظ فيها من هو متقدم ومن هو تابع،
من هو مسؤول عن قضية ما ومن هو مسؤول عنه في هذه القضية، هذه المنظومة القيادية
لا تنحصر بالزعماء والرؤساء والوزراء وإنما تمتد لتشمل كل من يتحمل مسؤولية معينة
في الواقع الاجتماعي، بدءاً من الأسرة المكونة من شخصين؛ زوج وزوجة، حيث هناك
إدارة للزوج كلف بها في هذه الأسرة، فهذه الضوابط تنطبق على الأسرة وصولاً إلى
مسؤوليات اجتماعية أوسع، كأن يكون الإنسان مسؤولاً عن شركة أو مصنع أو مهمة
اجتماعية معينة، أو شيخاً العشيرة أو غير ذلك .

هذه المواصفات والسّمات وهذه العلاقة تمتد لكل هذه المديّات ولكل منظومة قيادية يراد لشخص أن يكون مسؤولاً فيها عن آخرين ، وانتهينا الى قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ :

«ولا تقولن إني مؤمر أمر فأطاع ، فإن ذلك إدغال في القلب ، ومنهكة للدين ، وتقرب من الغير»^(١٠٤) ، فيا أيها المسؤول يا من تتصدى للمواقع الاجتماعية لا تقل إني بحكم المسؤولية يجب أن استغل هذا الموقع لبسط النفوذ وللتأثير بالطريقة التي أشتتها وأرخصها لنفسي» ولا تقولن إني مؤمر أمر فأطاع ، لا تتحدث بهذا النفس ولا تقو عندك حالة النرجسية ، ولا تنظر إلى الآخرين بنظرة الاستصغار لأنك مسؤول ، فإن ذلك «إدغال في القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير» ، وهذا هو السبب الذي يقربك من النهاية ، فيتغير الحكم وتتغير المسؤولية وتسحب منك المسؤولية حينما تتعامل بهذه الطريقة ، وفي التعقيب على هذه العبارة الكريمة ذكرنا عدة إضاءات .

ثلاث إضاءات

حيث تحدثنا في الإضاءة الأولى حول خطورة الاستبداد حينما يقع فيه المسؤول ، وقلنا إن اخطر ما يواجهه الإنسان في مواقع الخدمة العامة هي الشعور بالاستحواذ والاستفراد وفرض الرأي على الآخرين ، وتقديم قناعاته ورأيه على قناعات الآخرين .

وفي الإضاءة الثانية تحدثنا عن المنطلقات في تنظيم العلاقة بين المسؤول والناس ، وقلنا إن هذه المنطلقات تكمن في أمرين أساسيين ، العلاقة الإنسانية أي علاقة المودة والمحبة والثقة وحسن الظن ، أي أن المسؤول يحسن الظن بالناس وبالشعب والشعب يحسن الظن بالمسؤول ، فالقضية ليست توجيهات بل أن يتعامل المسؤول بطريقة يرسخ من خلالها حسن الظن في ذهن الناس والناس تتعامل بطريقة تجعل المسؤول يحسن الظن بهم . وهناك استحقاقات والتزامات تجعل كلا من الطرفين يحسن الظن بالآخر ، والجانب المهم الآخر هو الحقوق المتبادلة بين الطرفين ، لكل من المسؤول والناس ، وهذه الحقوق يجب أن يلتزم بها كل منهما ، وألا ينظر الإنسان في موقع المسؤولية إلى حقوقه فقط ويهمل حقوق الناس ، فإذا كان على المواطن دفع فاتورة الكهرباء أليس من واجب المسؤول توفير الكهرباء أولاً؟! ، أما أن يأخذ فاتورة الكهرباء ويعطي للمواطن ساعتين فهذه ليست من الحقوق المتبادلة . أعط الكهرباء للمواطن وخذ الضرائب وما

إلى ذلك، إذن هناك حقوق متبادلة واحترام المسؤول من قبل الناس يرتبط بالكيفية التي يتعامل المسؤول بها مع الناس، وتحدثنا طويلاً عن هذا الموضوع.

استغلال الدين

ثم انتقلنا إلى الإضاءة الثالثة وتحدثنا فيها عن العوارض والآثار للاستبداد، وقلنا إن فيها عوارض فردية تخص واقعه الفردي حينما يصاب بالاستبداد وعبر عنها أمير المؤمنين: «إن ذلك إدغال في القلب»، القلب يفسد والحالة المعنوية تضيع، الآخرة تضيع من يدك يا مسؤول حينما تصاب بالتكبر على الناس والاستعلاء، «ومنهكة للدين» أي منقصة للدين، فكيف يمكن أن يجمع الإنسان الخضوع والخشوع بين يدي الله سبحانه وتعالى وبين التكبر على الناس، حالة التكبر وفرض الرأي والهيمنة، هذه الظواهر التي لا تجتمع مع الانقياد الكامل لله والخضوع والخشوع في محضر الربوبية، هذه ظاهرة أخلاقية قد تتواجد في الإنسان فتسلبه الكثير من التوفيق وتضيع عليه الدين.

وقد قلنا إن الخطر هو حينما يصاب المسؤول بحالة الاستبداد فيضيع دينه، وواحد من مظاهر هذه الخطورة هي محاولة تكيف الدين مع شهواته ومع رغباته ومحاولة إضفاء الشرعية على مواقفه، وهذا من أخطر الأمور للمسؤول حينما يتجلبب بجلباب الدين، ويحاول أن يكيّف الدين مع رغباته وميوله ورؤيته، وليس هو الذي يتكيف مع الدين. إن إرادة السماء هي الأساس والمعيار، ومن المفترض أن يعرض المسؤول أعماله على القيم والثوابت الدينية والثوابت الوطنية، إن كانت دستورا أو قوانين أو تشريعات أو نظاما، لا أن يغير القانون على ضوء قناعاته، وإنما قناعاته يجب أن يغيرها على أساس القانون، وهذه هي المفارقة الكبيرة، وكنا قد استعرضنا بعض النصوص في هذا المجال.

الحاكم الجاهل

لاحظوا ماذا يقول علي عليه السلام في هذا الصدد في نهج البلاغة الخطبة ٨٧: «وآخر قد تسمى عالماً وليس به»^(١٠٥) فهناك من يتصور نفسه عالماً يعرف كل شيء ويعطي رأياً في كل مسألة، وهناك من حوله من يشجعه، وهذه مشكلة حينما يكون المجتمع يبحث

عن مصالح خاصة ويصفق لكل مسؤول، فهذه ظاهرة توقع المسؤول في وهم الفهم وأنه مرغوب به، ومجتمعنا يجب ألا يقدم المشاعر والعواطف من دون دليل واعتبار، بل يحترم الناس على قدر عطائهم، «يدعي شيئاً ليس فيه فاقتبس جهائل من جهال»، فيمكن أن تكون حاشية المسؤول من الجهال وبطانة السوء فلا يقدمون له إلا النصائح التي تزيد جهلاً وابتعاداً عن القرارات الصحيحة، «وأضاليل من ضلال»، حينما يكون الإنسان غير سويٍّ وانتهازياً يبحث عن مصالح خاصة ويتزلف إلى المسؤول فسوف يقدم النصيحة التي تعجبه للمسؤول، وليس النصيحة الحقيقية فتكون ضلالاً، وحينما يأخذ بها المسؤول يزداد انحرافاً وضلالاً، «ونصب للناس أشراكاً من حبال غرور». أيها المسؤول حينما لا تكون لديك المعرفة ولا تدري ما هو القرار الصحيح وتحيط نفسك بعدد من الانتهازيين الذين يصفقون لك، ويزيدونك جهلاً وضلالاً، فسوف يوقعونك في مطبات كثيرة وتبتعد عن الشفافية وتخرج عن الوضوح وعن الحرص على مصالح الناس، وتصب همك بفعل تكتيكات تبقيك على كرسي الحكم، وتبحث عن الطرق التي تنصب بها الفخ للناس وتوظف الإمكانيات والامتيازات التي تمنحها لك السلطة، حتى تضرب هذا بذاك وتخلق فتناً بين الناس، وكل ذلك من أجل أن تبقى في السلطة من باب فرق تسد، كما نقلت في سياسة الاستعمار.

التناقض بين القول والسلوك

«وقول زور» أي تخدر الناس بالوعود الفارغة، ولكن إذا ما خدرت الناس فماذا تفعل في ذلك الوقت؟. الواقع أنها سوف تترد عليك بشكل أكبر في نهاية المطاف، والأفضل أن تكون صادقاً مع الناس، وهنا يبدأ مكمن الخطر الكبير «قد حمل الكتاب على آرائه»، القرآن، القيم، المثل، الضوابط، الدساتير، القوانين تحمل على آراءك وليس كما يفترض، أن تعرض آرائك على الكتاب، فتعطي لأفعالك وأقوالك وسلوكك وحديثك سمة القداسة والشرعية وهذا هو الخطر العظيم، «وعطف الحق على أهوائه»، تحمل الحق على أهوائك ولا تعرض رغباتك على الحق.

إن المسؤول حينما يبدأ برؤية نفسه على أنه الحجة الكبرى وموقفه هو الموقف الصحيح، حتى وإن تعارض مع مواد دستورية وقانونية، إذا حينها لا يعتبر القانون هو المسطرة التي تعرض عليها المواقف وإنما يعمل ما بوسعها وبما يرغب، ومن ثم يطالب المستشار القانوني بأن يرى تخريجة لهذه المواقف.

«وعطف الحق على أهوائه يؤمن الناس من العظام»، وهذه ظاهرة خطيرة، الأيمن

سوف يضيع وهو على كف عفريت ، الفساد ينخر بالدولة ، الفقر ، البطالة ، مشاكل لا يبدو أن لها حلولاً من قبل المسؤول ، ومع هذا يقول إنها مشاكل بسيطة ولا يجب المبالغة فيها ، « ويهون كبير الجرائم » ، أي أنه يقلل من قيمة الجرائم الكبرى في أنظار الناس ، كما رأينا في قضية عرس الدجيل التي راح ضحيتها الأطفال والنساء والكبار والصغار وقد ذبحوا كما يذبح الكباش ، وهم أناس مسالمون ، ليخرج لنا البعض ويقول إنها قضية بسيطة ، كيف ؟ ، نصف مليون إنسان قتل في الانتفاضة وفي غضون أسبوعين وفي واحدة من أكبر مجازر التاريخ المعاصر بينما يقول البعض إن هناك مبالغة ، يقلل من قيمة الجرائم وهذه مشكلة كبيرة يقع فيها المسؤول .

« يقول أقف عند الشبهات وفيها وقع » أي التزم بالدستور وأحتكم إلى القانون وأعمالها كلها قانونية ولا أتخطى الحواجز واهتم بالحريات وأتمسك بحقوق الإنسان ، فيما أن هذا المسؤول هو أول من يخرق القانون وأول من يتجاوز على المال العام وأول من يصادر الحريات ، وأول من يسيء إلى كرامة المواطنين ، « ويقول اعتزل البدع وبينها اضطجع » يقول أريد أن أسير على الطريق الصحيح وأرسي معالم الشفافية في البلد وأن أعمل ضمن السياقات الصحيحة ، فيما أن كل سلوكه من أوله إلى آخره بدع وخروج عن المألوف ، وكله تجاوز على السياقات الصحيحة .

إن مثل هذا المسؤول حينما يتلى بهذه السلوكيات يحاول أن يغطي على الرائحة النتنة للهوى وللشهوات وللاستبداد والتكبر على الناس برائحة الدين الطيبة ، حينما يكون كذلك فإن حاله كما يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ : « فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان » ، أي ليس له من الإنسانية شيء إلا الشكل ، فيما الإنسان بقلبه وجوهره وليس بشكله ، « لا يعرف باب الهدى فيتبعه » ، لا يدري أين الموقف الصحيح حتى يتخذه بل تشتبك عليه الأمور ويكثر من حوله المستشارون ، وكل منهم يعطيه تفسيراً ، وكل تفسير يأتي على خلفية مصلحة معينة ، « ولا باب العمى فيصده عنه » ، ولا يعرف أين هي المشكلة حتى يعالجها فالأمور ملتبسة أمامه ، « وذلك ميت الأحياء » . إنه فاقد لسمات الحياة ، رغم انه يأكل ويشرب ويسير ، لأن الحياة ليست أكلاً وشرباً ، فإنسانيتنا ليست بالأكل والشرب ، فالحيوان أيضاً يأكل والنبات كذلك وكل الكائنات الحية ، بل في كون الإنسان قادراً على أن يخطو خطوة في الاتجاه الصحيح وأن يحقق خدمة للناس وأن يزيل مظلمة من مظالم الناس ويقرب الناس إلى ما فيه صلاحهم ، هذه الحياة والذي لا يملك هذه الحالة هو ميت الأحياء كما يعبر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ .

عواقب الاستبداد

الأثر الثالث للاستبداد هو التغيير، فالمستبد حينما يستبد، ولا يعترف بأحد غيره، ولا يقبل بالرأي الآخر، فسوف يتقاطع مع الآخرين وتزداد الاحتجاجات الشعبية، وتتكسر المعارضة السياسية وتكتل القوى الشعبية الأخرى بالصد منه، وفجأة يرى نفسه في وادٍ الشعب في وادٍ آخر، وهذه تجربة الربيع العربي كما يسمونها حيث نرى فيها أن مقدرات الشعوب بيد من حكموا المدة عشرين وثلاثين وأربعين سنة، وحينما بلغت الضغوط على الشعوب مستوى كبيرا أدى ذلك إلى انفجار الأوضاع، فنزل الشعب إلى الشارع، وفي هذا الوقت لم تنفع الدبابات ولا القنابل ولا الجيوش والمنظومات الاستخبارية، فكلها لا تشفع للمسؤول، وقد لاحظنا هذا الأمر في العديد من الدول وبعضها أنجزت وتحررت والبعض الآخر قيد الإنجاز كما يقولون، وليس من استثناء في مثل هذه الظواهر، فكلما زاد الاستبداد والاستحواذ ضاقت الأمور على المسؤول.

وهناك بعض المسؤولين يرى أنه من أجل أن يبسط قبضته ويمسك البلد عليه أن يضع أناسا من حزبه ومن مقربيه في مسؤوليات معينة، وهو لا يدري أنه حين يضعه في هذه المسؤولية ويقبل السابق من جهة أخرى، فإنه سوف يحرض عددا أكبر من الناس عليه ويزداد عدد المعارضين له، حتى تصل الحالة إلى الذروة وحالة التغيير، وهذه سنة إلهية يتحدث عنها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتشير الآيات القرآنية إلى هذه الحقيقة، ماذا يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في غرر الحكم: «احذر الحيف والجور فإن الحيف يدعو إلى السيف والجور يعود بالجلاء ويعجل العقوبة والانتقام»^(١٠٦)، فالقسوة على الناس سوف تؤدي إلى اصطفاف الناس وتمحورها وستعارضك وتشهر سيفها عليك، والضغط يؤدي إلى جلاء الناس وهجرتها، كما أن حالة الضغوط المتزايدة تعجل العقوبة والانتقام الإلهي.

وفي نفس المصدر يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من جارت ولايته زالت دولته»^(١٠٧)، فالذي يكون أساس حكمه على الجور فحكومته تسقط وتنهار، وفي رواية أخرى: «من جار أهل كه جوره»^(١٠٨)، فالظلم يطيح بالحكم والمسؤولية، يقول الله سبحانه وتعالى في سورة القصص: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾^(١٠٩)، فحينما يشيع الظلم ينهار

١٠٦ . غرر الحكم ج١ - ص ١٤٠

١٠٧ . غرر الحكم ج٢ - ص ١٨٧

١٠٨ . المصدر نفسه ص ١٥٨

١٠٩ . سورة القصص : الآية ٥٩

الحكم ويأتي الهلاك ، وعلى العكس من ذلك ففي سورة هود: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِإِيهْلِكَ الْقُرَىٰ يَظْلِمَ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾^(١١٠) ، فإذا كان هناك صلاح وعدالة فإن الله يحفظ ، وإذا كان هناك ظلم فالسماوات تدخل للإطاحة بهذا الحكم ، فالله الله أيها المسؤولون في تجنب الاستبداد ، الله الله في دماء الخلق والترايبية والإصغاء إلى الآخر ، فإنه المدخل لرضا الله ورضا الناس وثقة الناس ولدوام الحكم ، ولا مناص من الدخول إلى هذا المدخل الصحيح وأن نتواضع للناس ونسمع إلى الخبير ونأخذ بكلامه .

حرمة شهر رمضان المبارك

نستعد في الأيام القليلة القادمة للدخول في شهر رمضان ، شهر الصيام والطاعة والمغفرة والرضوان ، هذا الشهر له حرمة عظيمة عند الله ، وفي مجتمعنا الأصيل الملتزم بالقيم الدينية والقيم والأعراف الاجتماعية لا بد لنا من أن نحافظ على حرمة هذا الشهر ، ومن أوضح مصاديق الحرمة هو عدم التظاهر وعدم الجهر بالإفطار حتى لو كان معذورا ، كأن يكون مريضا أو مسافرا أو أي عذر شرعي آخر ، وسواء كنت معذورا أو لم تكن فيجب عليك عدم الجهر في الأكل والشرب ، لأن التجاهر بالإفطار فيه هتك لحرمة شهر رمضان .

نحن نؤيد التوجه الحكومي باتخاذ إجراءات رادعة لمن يهتك حرمة هذا الشهر الفضيل ، ويتجاهر بالإفطار في الأماكن العامة ، وهذه قضية غير مسبوقه في أي بلد من البلدان العربية والإسلامية ، ولا بد للعراق وهو متقدم في الالتزام بالقيم من أن يحافظ على هذه السمات بشكل واضح .

توفير التيار الكهربائي

إن الجهات الحكومية معنية بمساعدة الناس الصائمين في هذا الشهر الفضيل ، والتخفيف من معاناتهم من خلال توفير الخدمات الضرورية وفي مقدمتها الكهرباء في هذا الحر اللاهب . لقد تابعنا باحترام كبير القرار الذي اتخذته حكومة كردستان بتوفير الكهرباء للمواطنين العراقيين في الإقليم لمدة ٢٤ ساعة في اليوم مراعاة لهذا الشهر الفضيل ، وهذه خطوة مهمة ، نتمنى لحكومتنا الاتحادية في بغداد أن تعمل جاهدة لتزويد الناس بأطول وقت ممكن ، لاسيما في ذروة الحر حتى يتمكن الناس من أداء هذه الشعيرة الإلهية والالتزام بهذا الواجب الذي أوجبه الله تعالى .

كما أن الحكومة معنية أيضا بأن تقدم حصة تموينية متميزة في هذا الشهر الفضيل ، فيها مواد إضافية حتى تعينهم على الصيام . إنني أوصي أبناء شعبنا الكريم أن يستثمروا الأجواء الروحية والمعنوية في شهر رمضان بالدعاء والذكر والانقطاع إلى الله تعالى ، وبالحضور في مجالس الدعاء والموعظة ، لأن مثل هذه المشاركة والحضور طهارة للقلب واستئزال للرحمة الإلهية ، حينما يجد الله تعالى شعبا مقبلا عليه ينزل رحمته وعنايته وهذا ما يقلل التحديات ويجعلنا قادرين على مواجهة المشاكل ، نسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعا لصيام هذا الشهر الفضيل وقيامه في لياليه وأيامه .

البرنامج الحكومي أمام البرلمان

لقد قدمت الحكومة الموقرة برنامجها إلى مجلس النواب وهي خطوة تستحق التقدير والاحترام ، لأنها خطوة في الاتجاه الصحيح تعبر عن الالتزام بالواقع المؤسسي في العراق ، إن الحكومة مسؤولة لأن تقدم برنامجا لمجلس النواب ، وأعضاء مجلس النواب اليوم أمام مسؤولية كبيرة ، إذ أصبح البرنامج الحكومي بين أيديهم والشعب العراقي أمانة في أعناقهم ، وعلى اللجان المختصة في مجلس النواب أن تجلس وتصرف الجهد والوقت لدراسة هذا البرنامج والتأكد من انسجامه مع الأولويات التي يتطلع إليها الشارع العراقي مع استحقاقات التنمية المطلوبة في البلاد ، ومع طبيعة التطور المطلوب تحقيقه لخدمة المواطنين .

على مجلس النواب أن ينظر ويقيم ويحلل هذا البرنامج الحكومي ويدقق فيه تدقيقا كبيرا ، ويقدم توصياته للحكومة لتطوير هذا البرنامج إن استلزم الأمر ، وحينما يصادق على البرنامج ويقر حينذاك من مسؤولية مجلس النواب أن يقف ويدعم بقوة الحكومة في تنفيذ البرنامج ، وأن يراقب ويتابع الأداء الحكومي على ضوء هذا البرنامج المقرر ، وسيكون أمامنا معيار لتقييم الحكومة ، هناك من يقول اليوم إن الحكومة ناجحة وهناك من يقول إنها فاشلة ، لماذا ناجحة أو فاشلة ، ليس من دليل واضح تلتزم به الحكومة ، فالحكومة تشير إلى إيجابيات وهي موجودة وتقول هي ناجحة ، ومن يتهمها بالفشل يستند إلى إخفاقات وهي حقيقة موجودة ، إن وجود برنامج حكومي مقر في مجلس النواب سيكون هو الفيصل وهو المعيار في تشخيص نجاح الحكومة أو فشلها ، نسأل الله لها النجاح .

قانون تخفيض رواتب الرئاسات الثلاث

إن قانون تخفيض رواتب الرئاسات الثلاث والدرجات الخاصة أخذ وقتاً طويلاً في رفوف مجلس النواب. وليس مقبولاً أن يتأخر هذا القانون بالرغم من المطالبات الشعبية وتقديرات المصلحة التي تقوم بها المرجعية الدينية في الحفاظ على مصالح هذا الشعب وثرواته. أيها العراقيون الشرفاء هذا مطلبكم فمن حَقكم على مجلس النواب أن يبادروا ويتخذوا الخطوات الكفيلة بحل هذه الإشكالية، يا أعزائي في مجلس النواب أتم ممثلون للشعب وعليكم أن تستجيبوا لإرادة الشعب في هذه القضية، ونحن نتطلع إلى الإسراع بالمصادقة على هذا القانون، مما يعطي رسالة واضحة في تقليل الفجوة بين المسؤولين وعموم المواطنين.

مؤتمر السفراء العراقيين

شهدنا عقد المؤتمر الموسع للسفراء العراقيين في الخارج حينما استضافتهم الخارجية العراقية، فقد عقدت مؤتمراً عدة أيام حصلت فيه مداوالات معمقة ومطولة في مختلف الملفات السياسية ذات الأهمية، وكان لنا شرف استضافتهم والحديث إليهم في هذه الموضوعات الحساسة، إنها خطوة موفقة ومهمة تساعد على تعزيز وتوسيع الدور الدبلوماسي العراقي في الخارج وتطوير الأداء الدبلوماسي في الانفتاح على دول المنطقة والعالم، وهي خطوة تستحق التقدير والاحترام من وزارة الخارجية. ونتمنى أن تتحول إلى سياق عمل في كل سنة بأن يستضاف السفراء وتعقد معهم مثل هذه اللقاءات المطولة بما فيه توحيد للرؤية للسياسة الخارجية العراقية.

إننا بأمس الحاجة إلى خطاب موحد بخصوص الملفات الإقليمية والدولية، ومن المعيب على العراق أن يكون له أكثر من رؤية وأكثر من خطاب، هناك من يتودد لبلد ويأتي آخر ليشن هجوماً لاذعاً ويفتح النار على نفس ذلك البلد، أو بالعكس وهذه ليست ظاهرة صحيحة، لا بد من أن نصل إلى رؤية وطنية واضحة في تعاملنا مع مختلف البلدان، وهذه قضية تحتاج إلى تخصص والجهة المتخصصة في هذا الشأن هي وزارة الخارجية، وعلينا احترام التخصص وعدم تعقيد المهمة على الوزارة من خلال إطلاق التصريحات أو الضغوط التي تواجهها الوزارة من جهات رسمية أو غير رسمية، ولا بد من إنضاج رؤية في التعامل مع كل ملف من الملفات على ضوء الإستراتيجيات العامة التي يضعها قادة البلاد عبر المؤسسات الدستورية.

الزراعة عصب الحياة

إن الزراعة تمثل عصباً حياتياً في كل دول العالم لأنها توفر السلّة الغذائية للشعوب، وتحضن النسبة الكبيرة من المواطنين إذ إن عدد المزارعين في أغلب بلدان العالم يمثل مساحة كبيرة من أبنائها، إننا نشكر المزارعين العراقيين على ما يبذلونه من جهد كبير في تطوير القطاع الزراعي وتنمية المحاصيل الزراعية في ظل الظروف الصعبة والقاهرة التي تمر بهم وبالبلاد عموماً. ولكننا نشدد على أهمية أن يتحمل السادة المسؤولون مسؤولياتهم كاملة في تقديم الخدمة للمزارعين وتسهيل مهمة الزراعة وتوفير المستلزمات والمتطلبات لتحقيق زراعة ناجحة من البذور والأسمدة والمبيدات وغير ذلك من أنواع الدعم، ومن الضرورة بمكان أن يقدم الدعم في الوقت المناسب.

إن أوقات الزراعة محددة، فإذا تحدثنا عن بذور وأسمدة ومبيدات فإن الفلاح يحتاج إليها في وقت محدد، فإذا تأخرت أسبوعاً عن هذا الوقت لن يستفيد منها، إذن فالوزارات المختصة معنية بتوفير هذه الخدمات وأن يكون توفيرها في الوقت المناسب حتى يمكن أن يستفيد منها المزارع ولا تضيع عليه الفرصة. وكذلك في شراء المحاصيل الزراعية، فقد حُدّدت أسعار مجحفّة بحق الفلاحين.

لقد انتصر مجلس النواب للزراعة العراقية والمزارعين حينما أعاد النظر بتلك التسعيرة وأصدر قراراً وقانوناً وتشريعاً في تحديد تسعيرات جديدة كانت مشجعة للمزارعين ومنصفة لجهودهم الجبارة، وما تصلنا من شكاوى من المزارعين تشير إلى أن التسعيرة المقررة في مجلس النواب لم تأخذ حيز التطبيق حتى هذه اللحظة ما مثل إحباطاً لدى المزارعين، نتمنى على السادة المسؤولين في الحكومة الموقرة أن يسرعوا في تنفيذ قرار مجلس النواب، وتسليم مستحقات المزارعين إليهم على ضوء التسعيرة المقررة.

ازدياد عدد الموقوفين

لقد أعلن مجلس القضاء الأعلى عن اعتقال الحكومة ٤٥ ألف متهم في غضون أقل من شهرين، حزيران الماضي وتموز الجاري، وهو رقم مخيف وكبير، وهذا يجعلنا أمام أحد احتمالين، إما أن تكون هذه الاعتقالات عشوائية حتى تصل إلى هذا المستوى الكبير، وهذا ما يجب أن نقف عنده بقوة لتتأكد لماذا تتم هذه الاعتقالات العشوائية ولماذا يعقل أبرياء ويقضون فترات طويلة في السجون ثم يطلق سراهم ويعتذر إليهم بعد حين؟، ويكونون قد تحملوا ظلماً مجحفاً في سمعتهم وفي فقد فرص عملهم وفي الأضرار

المعنوية التي تلحق بعوائلهم إلى غير ذلك مما لا يرتضيه أحد من المخلصين في هذا البلد الكريم . . والاحتمال الآخر أن تكون هناك إجراءات دقيقة وكاملة وأحكام قضائية وتشخيص للجريمة في كل هذه الأعداد ، وهذه هي الطامة الكبرى إذا كان المعدل هو اعتقال ٢٠ ألفا كل شهر على أساس جرائم ثابتة ومدونة ، فهذا يعني أن الجريمة انتشرت في العراق بمستوى خطير وتحولت إلى ظاهرة تحتاج إلى معالجة جذرية وحقيقية .

ومن الخطأ أن نعتبر أن المعالجة معالجة أمنية صرف ، فهذه مسألة خطيرة تحتاج إلى أن يجلس الخبراء والمحللون وعلماء الاجتماع ليحللوا هذه الظاهرة ويتعرفوا على الأسباب التي تدعو هذا العدد الكبير من الناس إلى الجريمة ، وتدفعهم بهذه الاتجاهات وتحتاج إلى معالجات ثقافية واقتصادية وتنموية وأمنية وغيرها . وهي مسؤولية تضامنية ومسؤولية الجميع . إنني في الوقت نفسه استذكر الجهد الكبير الذي تبذله المؤسسة القضائية بالتعامل مع هذا العدد الكبير من المعتقلين والمتهمين والبت في قضاياهم وحسم ملفاتهم ، فإن كان بريئا فليُخرج بسرعة ويُعد إلى أهله ، وإن كان متهما فلتحدد مدة العقوبة المطلوبة وطبيعتها كي لا تبقى الأمور معلقة ، وأقدم شكري واعتزازي وامتناني للمؤسسة القضائية بكل مفاصلها على الإجراءات السريعة التي اتخذت في الفترة الأخيرة لحسم ملفات كانت عالقة منذ أمد طويل ، وأطلب من الجهات المعنية أن تقدم كل الدعم والإسناد للمؤسسة القضائية ، وتسهيل مهمة القضاء في إنجاز هذه الملفات وتخفيف الأعباء عن المواطنين .

الواقع الأمني في ديالى

لقد تابعا بألم كبير الواقع الأمني الذي تعيشه محافظة ديالى ، والتفجيرات التي كان آخرها تفجير المقدادية ، وما أسفر عنه من أضرار في الأرواح والمنشآت . إن الإرهاب بدأ ينشط من جديد في ديالى ومحاولات الشد الطائفي عادت إلى الواجهة من جديد ، وهذا ما يجعلنا أمام مسؤولية كبيرة ، وقد تحمّل أبناء ديالى الأبطال الكثير من الأعباء من أجل مواجهة الإرهاب ويتحملون اليوم ضغوطا هائلة من جراء الوضع الخدمي المتراجع في هذه المحافظة ، ويضاف إلى ذلك تنشيط الإرهاب من جديد وتفعيل جرائمه مما يمثل ضغطا متزايدا على أبناء ديالى .

إننا نتمنى من السلطات الأمنية أن تأخذ كل الإجراءات المطلوبة لاستعادة الأمن والاستقرار ، والحفاظ على السلم الاجتماعي في هذه المحافظة المتآخية بأبنائها . كما لا بد من أن نقف وقفة تضامن مع الأصوات الطيبة التي تنادي بجعل محافظة ديالى محافظة منكوبة ، لحجم الأضرار التي لحقت بها ، فهي محافظة منكوبة بامتياز . ولا بد من أن نقف

جميعاً ومنتصر لهذا العنوان مما سيوفر الدعم المتميز ومعالجة الكثير من الإشكاليات لأبناء هذه المحافظة على المستوى الأمني والمستوى الخدمي .

ربع سكان العراق تحت خط الفقر

أعلنت وزارة التخطيط مؤخراً أن ربع سكان العراق هم تحت خط الفقر ، وذكر ممثل الأمين العام للأمم المتحدة لحقوق الإنسان في العراق أن ٢٨ ٪ من المواطنين العراقيين يعيشون البطالة وعدم توفر فرص العمل ، وإذا ما صحت هذه النسب فهذا يعني أننا بلغنا مرحلة الخطر ، واشتعل الضوء الأحمر في مجتمع وبلد يحظى بهذه الثروات الكبيرة والهائلة والإمكانات العظيمة والإيرادات المالية غير المسبوقة في تاريخ العراق ، والعروض الاستثمارية في بلد ثري وغني ، ولا بد من معالجة الأمر ولا بد من خطط وطنية تنموية واضحة لوضع حد لمثل هذه الإشكاليات والظواهر الخطيرة .

بطء توزيع الأدوية

هناك بطء كبير في توزيع الأدوية المطلوبة في المستشفيات ولاسيما في مستشفيات المحافظات ، وأصبح المرضى أمام احتياجات حقيقية لأدوية غير متوفرة في هذه المستشفيات ، ولاسيما ذوو الأمراض المزمنة كالسرطان وغيرها ، نناشد وزارة الصحة والجهات المختصة أن يذللوا كل العقبات لتوفير العلاج ، فإنها من أوضاع المسؤوليات التي تتحملها الحكومة تجاه المواطنين في توفير فرص العلاج المناسب للمرضى ، إننا في الوقت الذي نشكر فيه وزارة الصحة على ما تبذله من جهد ، نتمنى أن تقف عند هذه المشاكل الحقيقية وتعالجها وتوصل الدواء إلى المستشفيات العراقية .

طريق الموت

إن طريق أم قصر - البصرة أصبح يسمى طريق الموت ، لكثرة الحوادث المرورية وكثرة الأرواح البريئة التي تزهق فيه نتيجة حركة الشاحنات من الميناء إلى البصرة . وهذا ما يجعل الجهات المختصة معنية بمعالجة هذا الموضوع وإيقاف نزيف الدم البريء ، من خلال توسيع هذه الطرقات واتخاذ الإجراءات المناسبة ليتحول إلى طريق آمن يضمن تنقل البضائع دون المخاطرة بأرواح المواطنين .

الإرهاب في النرويج

لقد شهدنا عملاً إرهابياً كبيراً في النرويج قبل أيام راحت ضحيته أعداد كبيرة من المواطنين النرويجيين، ولا سيما من الأطفال والشباب، إننا نتضامن مع أسر الضحايا ونعبر عن استنكارنا الشديد وشجبنا لمثل هذه العمليات الإرهابية الإجرامية، ولكن ما كان ملفتاً هو زوج الإسلام في هذا الحادث بالرغم من أن الحكومة النرويجية هي التي حددت الجاني، وذكرت بأنه مسيحي متطرف على حد تعبيرها.

فإذا كان المجرم من الديانة المسيحية وهو متطرف فما علاقة الإسلام بهذه القضية؟. جاء التعليل من بعض الأوساط في النرويج باعتبار أن الرجل يميني متطرف فهو معاد للإسلام والإسلام حرّكه ليقوم بهذه الجريمة!. لاحظوا كم هو الإجحاف والظلم الذي يتعرض له المسلمون وتعرض له الديانة الإسلامية في العالم، فإذا كان الإرهابي المجرم هو ممن يدعي الانتماء إلى الإسلام قالوا إن المشكلة في الإسلام لأن هذا مسلم، وإذا كان المجرم والجاني ممن يعتنق ديانة أخرى قالوا إن العداوة للإسلام حرّكه فالإسلام هو المشكلة، وهذا منطوق غير مقبول، وسبق أن قلنا مرات عديدة إن الإرهاب لا دين له وإن التطرف ليس ظاهرة دينية وإنما هو ظاهرة إنسانية، فقد يكون المتطرف مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً أو بوذياً أو حتى ملحداً لا يؤمن بدين أو رب، ويكون متطرفاً أيضاً، التطرف ظاهرة إنسانية ومرض يصاب به الإنسان في بعض حالاته وكل الأديان بريئة من مثل هذه الجرائم.

اليوم العالمي للتنوع الثقافي

التاسع والعشرون من تموز هو اليوم العالمي للتنوع الثقافي ومحاربة التمييز العنصري، إنها فرصة مهمة لأن نقف ونعبر عن استنكارنا وشجبنا لكل أنواع التمييز العنصري والمذهبي والديني والقومي والمناطقية والعشائري، وما إلى ذلك. فالمواطنون سواسية لهم من الحقوق والواجبات الشيء الذي يتساوون فيه، كما نعبر عن إيماننا العميق بالتنوع الثقافي والحضاري وتنوع اللغات والشعوب، وهي وسيلة مهمة للتعارف والتواصل: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾^(١١١).

تعزية أسرة البارزاني

لقد انتقلت إلى رحمة الله حرم الراحل الكبير الملا مصطفى البارزاني ، والددة الرئيس مسعود البارزاني تغمدها الله تعالى برحمته الواسعة ، وألهم ذويها الصبر والسلوان . إننا نعزي فخامة الرئيس البارزاني وأسرة البارزاني الكريمة ، وكل المحبين من أبناء الشعب الكردستاني والشعب العراقي لهذه الأسرة الكريمة ، نعزيهم بهذا الحادث الجلل ، ونتمنى للجميع الصبر والسلوان ، ولها الرحمة والرضوان .

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١١/٩/٢١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

سادتي الأفاضل، إخوتي الأكارم، أخواتي الفاضلات، بدايةً أرحب بكم أجمل ترحيب في مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين.

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة، وقلنا إن عهد أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام لمالك الأشرم يمثل اختزالاً لهذه النظرية، كما ذكرنا أننا حينما نتحدث عن الإدارة والقيادة فنحن لا نتحدث عن المواقع القيادية الأولى، عن الملوك والرؤساء والوزراء، وإنما هذه النظرية تضع المواصفات والشروط والمعايير للنجاح في كل إدارة مهما توسعت مساحتها أو تضيق، بدءاً من الأسرة حينما يكون الشخص رباً لأسرة ومسؤولاً عن عائلة وعن عدد قليل من الناس، أو قد يكون مسؤولاً في شركة أو في مصنع، وهكذا كل من يتصدى ويتحمل المسؤولية في أي مستوى كان، وكلما كانت المساحة أوسع كانت هذه المعايير أشد، وكلما كانت المساحة أضيق كان التأثير بحجم تلك المساحات.

إذن، فنحن نتكلم عن نظرية لكل من يتصدى لإدارة أو قيادة أو الاهتمام بشأن من الشؤون، فتشمل هذه الضوابط والشروط والمعايير كل من يتحمل المسؤولية في الواقع

الاجتماعي ، وقد استعرض أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا العهد الشريف كما ذكرنا في اللقاءات السابقة عدة محاور ، كان المحور الأول في أهداف هذا العهد ، ثم انتقل في المحور الثاني ليتحدث عن المعايير الشخصية لمن يتصدى لهذه المواقع ، مواقع الخدمة ، ثم انتقل في المحور الثالث ليتحدث أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الرأي العام وطريقة التعامل معه لمن يتصدى لهذه المواقع ، وفي المحور الرابع حدد الأمير عَلَيْهِ السَّلَامُ العلاقة بين الحاكم والرعية ، بين المسؤول ومن هو مسؤول عنهم ، وأيا كانت هذه المساحات فهناك علاقة متبادلة والتزامات وحقوق وواجبات ، وقد تحدثنا عن هذه المحاور الأربعة ، ثم ينتقل الأمير في المحور الخامس ليتحدث عن بعض الاستحقاقات لموقع التصدي وبعض العوارض والأخطار التي يقع فيها الإنسان حينما يتصدى لمسؤولية عامة .

يبدأ أمير المؤمنين بالإشارة في هذا المحور بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ :

«وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك ، فإن ذلك يطامن إليك من طماحك ، ويكف عنك من غربك ، ويفيء إليك بما عذب عنك من عقلك»^(١١٢) .

كبح الرغبة في التسلط

«وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة» ، إن هذا الموقع ، موقع السلطة ، إن كانت سلطة بلد ، أو هو سلطان بمعنى نائب في برلمان أو وزير في حكومة أو مدير عام ، أو في شركة أو أيا كان ، فإن هذا الموقع الذي أنت فيه والذي يعطيك الفرصة في أن تأمر أحدا وتعطي التوجيهات للآخرين إذا ما أوجد لك شعورا بالأبهة والعظمة والكبرياء أو مخيلة ، والمخيلة من الخيال أي أوجد لك حالة من الخيلاء والعجب «فانظر إلى عظم ملك الله فوقك» ، لكي تسيطر على نفسك ولا تصاب بالعجب وبحالة الاستعلاء ، عليك أن تنظر إلى الله سبحانه وتعالى ومكانته العظيمة ، فهو رب العالمين ، فما قدر قيمتك نسبة إلى الله سبحانه وتعالى ؟ ، «وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك» ، أي استذكر الأشياء التي لا تستطيع القيام بها والتي يستطيع الله فعلها ، وهو سبحانه وتعالى قادر عليها ، فما هي قيمتك في محضر الله ، وما أنت إلا عبد من عبيد الله ، وهذا يؤدي إلى أن تستصغر الموقع الذي أنت فيه ، مهما كان هذا الموقع كبيرا ومهما كان مؤثرا .

«فإن ذلك يطامن إليك من طماحك»، يطامن من التطمين والطمأنة يعني أنه يخفض ويقلل ويهدئ من طماحك، من حالة الطغيان والتمرد التي تشعر بها، وغالبا فإن الإنسان إذا ما تسنم مسؤولية معينة يبدو بحالة أخرى غير التي عهدناه بها، كيف يمكن السيطرة على حالة الطغيان؟. تتم السيطرة عليها باستحضار أن الله فوقك وهو القادر على كل شيء، ولا قيمة لهذا الموقع مهما عظم وكبر نسبةً إلى موقع الله ومكانته سبحانه وتعالى.

«ويكف عنك من غربك» والغرب هي حالة الغضب والحدة، فهذا الاستحضار لمكانة الله سبحانه وتعالى يجعلك تمسك نفسك عن حالة الغضب والاندفاع اللامبرر والانفعالات غير المنضبطة، «ويفيء إليك ما عزب عنك من عقلك»، يفيء بمعنى يرجع وعزب بمعنى غاب أي يرجع إليك ما غاب من عقلك، أيها المسؤول، مالك تخليت عن عقلك بمجرد أن أصبحت مسؤولا وأخذت تتعامل بدون عقل ومنطق ومواقفك غير مبررة عقليا وفقدت توازنك ولم تستطع أن تأخذ القرار الصحيح؟! . إنك حينما تستحضر الله سبحانه وتعالى فوق رأسك وهو القادر والعليم بكل شيء ويديه مقاليد الأمور وهو الذي يرفع من يشاء ويضع من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، فسوف يعود إليك عقلك وتبدأ بالتفكير وتسيطر على نفسك.

إن هذه العبارة على قصرها تحمل مضمونا كبيرا ودرسا مهما في الحياة، لكل من يتصدى ويتحمل المسؤولية، وهناك عدة إضاءات في هذه العبارات الشريفة لأمر المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ .

عوارض السلطة

الإضاءة الأولى: أهمية الالتفات إلى العوارض الناتجة من السلطة والنفوذ، فكما على الإنسان حينما يذهب إلى بيئة معينة يعرف ما هي العوارض المترتبة التي ستواجهه في تلك البيئة، كالذي يريد مثلا الدخول في مسابقة من الواجب عليه أن يعرف من هو الخصم وما هي طبيعته ونقاط قوته وضعفه، وهكذا ما هي العوارض والأخطار التي يتعرض لها الإنسان في كل قضية؟.

إن السلطة والنفوذ والتأثير ومواقع الخدمة العامة فيها عوارض معينة أيضا، وهنا فإن عليا عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول، يا من تتصدى لموقع المسؤولية أمامك عوارض وأخطار، وعليك أن تتنبه إليها، يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه العبارة: «وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك» أحدث بمعنى أنه كان مفقودا ثم تحقق ووجد، وحالة الحدوث هي حالة الوجود بعد

العدم، إذن هي عوارض غير موجودة لمن هو غير متصدِّد للمسؤولية، غير أنه في اليوم الذي يتصدى فيه للمسؤولية فسوف توجد هذه العوارض، إذن هي عوارض السلطة، عوارض الواجهات والمواقع، وعليك أن تنتبه لها، ومن هذه العوارض الكبرياء والعظمة والعجب والاعتداد بالذات، فإياك أن تقع في هذا الفخ وتفقد السيطرة على نفسك.

وهذه رسالة أمير المؤمنين الأولى، لاحظوا قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ في نهج البلاغة الحكمة ١٦٠: «من ملك استأثر»^(١١٣)، فالذي يملك ويصل إلى موقع القدرة والتصدي لشيء يصاب بحالة الاستبداد والكبر وبحالة الاستعلاء، فهذه من العوارض الخطيرة لمن يتصدى للمسؤولية، وفي نهج البلاغة الحكمة ٢١٦ يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من نال استطال»^(١١٤)، يعني أن من يصل إلى مسؤولية معينة استعلى، وهذا شأن من يصل إلى هذه المواقع حيث يُبتلى بهذه العوارض وعليه أن يكون حذرا من ذلك، في سورة الأعراف يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(١١٥)، فمن يتكبر ويستعلي بغير وجه حق فإن عقوبته أن يصرفه الله عن آياته.

عواقب التكبر

وكمصداق لهذا أن يرى المواطن حلولا لبعض القضايا البسيطة في وقت لا يهتدي المسؤول إلى هذا الحل بالرغم من بساطته، لأنه أصيب بالتكبر فلا يستطيع أن يرى الطريق والحل، وبالتالي يفشل ويتلکأ ويتوقف وتزداد الخصومات والسخط الشعبي بوجهه، لأنه لا يرى بعين الله، فلا يرى الحق لأنه تكبر ولم يتجنب الوقوع في عوارض وأمراض الموقع.

وفي سورة الإسراء يقول تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾^(١١٦)، لا تشعر بالبهجة والسرور والكبر حينما تسير، فأنت لا تستطيع أن تشق الأرض، ومهما ترفع رأسك وتدفع بصدرك إلى الأمام فإنك لا تبلغ طول الجبال، وهنا المشي بتكبر هو كناية وإشارة لحالة التبختر والتكبر التي يصاب بها الإنسان حينما يصل إلى مسؤولية معينة، ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾^(١١٧).

١١٣. نهج البلاغة ج٤- ص ٤١

١١٤. المصدر السابق، ص ٤٩

١١٥. سورة الأعراف: الآية ١٤٦

١١٦. سورة الإسراء: الآية ٣٧

١١٧. سورة الإسراء: الآية ٣٨

وفي سورة القصص: ﴿وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم لِنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾^(١١٨)، ذلك أن فرعون لديه مكانة وجيوش حتى طلب من هامان أن يبني له صرحا ليبلغ الأسباب ويرى إله موسى، «وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون»، يتعامل المسؤول بهذه الطريقة ظنا منه أنه سوف يبقى في هذه المسؤولية إلى الأبد، فيا أيها المسؤول لا تعتد على الناس فيعتدى عليك فيما بعد. هناك من المسؤولين بمجرد أن يخرج من المسؤولية يفاجأ بقائمة طويلة من الشكاوى والاعتراضات وتفتح بوجهه الملفات، وكان باستطاعته أن يفكر بهذا اليوم ويتعامل مع الناس بالطريقة الصحيحة.

وفي الكافي عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «الكبر رداء الله والمتكبر ينازع الله رداءه»^(١١٩)، فمن يتكبر ينازع الله في كبريائه وعظمته وله الخزي في الدنيا والآخرة. وعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنما الجبار الملعون من غمص الناس وجهل الحق، وحقهم وتجبر عليهم»، أي الذي يحقر الناس ولا يرى لهم قيمة، واليوم نرى القذافي يرسل بيانات مسجلة ولا ندري في أي حفرة هو جالس، ولا يستطيع أن يتخلى عن منطقته حيث يصف الناس والشعب بأوصاف لا يمكن الحديث بها، فالمسؤول الذي يحقر الشعب والمواطنين ويستخف بعقولهم ويظن أن الناس تنسى ما يقول، فهو ملعون كما يقول الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ابتلاء الأنبياء

عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لما قدم عليه الشيخ يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ دخله عز الملك فلم ينزل إليه»^(١٢٠) وقد اختلفت الروايات في هل أنه كان على كرسي الحكم أو أنه كان صاعدا على ظهر الفرس، لكن بالنتيجة أنه لم يقم من مكانه لأبيه، ومن الطبيعي فإن يوسف نبي من الأنبياء ويتمتع بالعصمة، ولهذا فلا يمكن أن يكون قد داخله الكبر، ولا يمكن أن يكون قصده إهانة أبيه في هذا الموقف.

وربما يكون قد التزم أمام الناس ضمن البروتوكولات، فربما يشعر الناس أن قيامه لشخص آخر غير مسؤول فيه انتقاص من هذا الموقع الذي هو فيه، وكان يجب عليه أن يحافظ على هذا البروتوكول وعلى هيبة الموقع لكي يخدم من خلاله عباد الله ويفعل الموقع

١١٨ . سورة القصص : الآية ٣٩

١١٩ . الكافي ، ج ٢ - ص ٣٠٩

١٢٠ . الكافي ، ج ٢ - ص ٣١١

الذي هو به للخدمة ، فهو لم يقصد أن يتكبر ولم يقصد أن يقلل من قيمة أبيه ، ولكن كان الأولى بيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يقدم احترام الأب على مصلحة الحكم ، فيوسف ترك الأولى ولم يقع في المعصية .

«فهبط جبرائيل فقال يا يوسف أبسط راحتك فخرج منها نور ساطع فصار في جو السماء ، فقال يوسف يا جبرائيل ما هذا النور الذي خرج من راحتي فقال نزع النبوة من عقبك عقوبة لما لم تنزل إلى الشيخ يعقوب فلا يكون من عقبك نبي»^(١٢١) ، أي لأنك تركت الأولى في هذا الموقف فإن الله انتزع النبوة من ذريتك .

لاحظوا كم هي مهمة هذه النزعة لدى الإنسان حينما يكون في مواقع المسؤولية ، عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : «من دخله العجب هلك»^(١٢٢) ، أي أن هلاك الإنسان حينما يصاب بالعجب ، نستجير بالله من ذلك ونسأل الله لكل من يتصدى للمسؤولية أن يمن عليه بخفض الجناح والترايبية والتواضع ، لأنه لا بد من أن يعرف أن هذا الموقع مهما كبر ومهما التفت الناس حوله فلهذه الفرصة والموقع نهاية ، وهذه هي سنة الحياة ، فقد يكون في هذا اليوم بطلا قوميا تصفق له الأمة العربية كلها ، وفي اليوم الثاني ترميه الأمة العربية بالحجارة ، وكما رأينا فإن الأنبياء لم يستثنوا من هذه السنة ، فهناك حروب اشتركوا فيها ولم يكتب لهم الانتصار ، فما بالك بغيرهم؟! . لذلك علينا ونحن في مواقع المسؤولية أن نشعر بأن هذه المسؤولية لا تدوم إلى الأبد ، ويجب على الإنسان أن يكون خافض الجناح للناس . وصلى الله على محمد وآل محمد .

الوضع السياسي في البلاد

إن المشهد السياسي العام في البلاد لا يزال يشهد تقلباته المتكررة ، والمواطنون يتابعون عبر شاشات التلفاز والصحف التصريحات النارية والتهديدات المتبادلة ، وأزمة الثقة المتجذرة بين الأطراف السياسية والتصعيد في اللهجة وفي الخطاب ، كل ذلك يثير القلق للمواطن العراقي الذي يجد صورة فيها الكثير من التوتر بين القوى السياسية وقيادات البلد ، ويتكرس انطباع لدى المواطن أن الطبقة السياسية مشغولة بمصالحها ومشاكلها ، وتركت المواطن يغرق في همومه اليومية دون التركيز على همومه ومشاكله ، لاسيما أن الشعب يتلمس التأثيرات السلبية المباشرة لهذه الصراعات والمناكفات والتدافع في واقعه اليومي ،

١٢١ . المصدر نفسه .

١٢٢ . وسائل الشيعة ، ج ١ ، ص ١٠١

في الخدمات اليومية الضرورية، وفي تحقيق الرفاه الاجتماعي ومعالجة مشاكل المواطنين .
فهي ليست صراعات سياسية تبقى في دائرة محدودة والبلد ماض في بناء وإعمار .
الشعب يتلمس التداعيات الأمنية الخطيرة التي تترتب على مثل هذه الصراعات ومثل هذا
التصعيد والتوتر المستمر ، ولذلك فإن أبناء شعبنا يتطلعون إلى حلول واقعية وجذرية من
المسؤولين المتصدين وليس إلى مهاترات ومزايدات وتراشق إعلامي بين هذا الطرف أو
ذاك .

كما أن نبرة الشد الطائفي والعزف على وتر الطائفية والنعرات الطائفية أصبحت تعلو بشكل
متزايد ، ولاحظنا ذلك بصورة جلية في واقعة النخب مما يشير الكثير من مواطن الأسف من
أن تحصل مثل هذه الأمور وتأخذ مثل هذه المديات ، فإن الصراع الطائفي ومحاولات إثارة
النعرات الطائفية ولت من دون رجعة إلى هذا البلد الكريم بإذن الله تعالى ، وسوف لا نسمح
بأن تعود مثل هذه النبرة وأن يعود التضارب بين أبناء الشعب الواحد والدين والوطن الواحد ،
كلنا عراقيون ونعتز بالانتماء لهذا البلد مهما اختلفنا وتعددت مذاهبنا وأدياننا وتوجهاتنا أو
انتماءاتنا المنطقية ، وعلينا ألا نسمح بمثل هذه الأمور وعلينا استنفاد كل الوسائل وتوظيف
كل الإمكانيات لوأد الفتنة الطائفية والقضاء عليها كلياً وعدم السماح لها بأن تتحرك .

جريمة النخب.. لا تهاون ولا مزايدات

إن موقفنا تجاه حادثة النخب يتلخص في كلمة واحدة (لا تهاون ولا مزايدات)،
لن نهاون مع قطرة دم تراق لعراقي شريف ، وواقعة النخب هي واحدة من هذه الجرائم
الكبيرة والتي يجب أن نواصل الجهد ونصل الليل بالنهار حتى نتعرف على المجرمين ،
وعلى الجناة الذين تورطوا بهذه الجريمة النكراء .

إن قلوبنا لن تبرد حتى نجد أن قلوب أمهات وزوجات وأبناء أولئك الشهداء المغدورين
تبرد ، حينما يجدون أن الأجهزة المختصة تعرفت على الجناة والمجرمين ، وأنزلت
بحقهم القصاص العادل وأصبحوا عبرة لمن اعتبر ، وسوف نستمر ببذل الجهود للتعرف
على أولئك المجرمين من خلال المؤسسات الأمنية المختصة لتتعرف عليهم ونزل
بحقهم القصاص العادل ، ولكننا أيضاً لا نقبل بالمزايدات وردود الفعل الاستعراضية التي
تثير مشاعر المواطنين وتخاطر بمصير الوطن .

إننا نعتقد بأن الحكمة والهدوء واعتماد الوسائل القانونية هي الطريق الصحيح لمعالجة
مثل هذه الأزمات ، إننا نعتقد بأنه لا مستفيد من التصعيد السياسي والصراعات السياسية

القائمة اليوم في البلد ، فنحن أبناء بلد واحد والربح لأي منا هو ربح للجميع والخسارة لأي منا هي خسارة للجميع ، انتصار أي منا انتصار للمجموع وتلكو أي منا تلكو للمشروع الوطني الذي نشترك فيه ، وهذا شأن الشراكات ، الشراكة السياسية والاقتصادية والشراكة في أسرة وعشيرة ، ولذلك لا يظن أي منا أنه يربح بخسران الآخر ويقوى بضعف الآخر .

وقف التصعيد والتراشق

لا يتوهم أي منا أن بإمكانه أن يغيب الآخر ، ولا أحد يستطيع أن يغيب الآخر ، فالكمل حاضر بمشروعه وبقواعده الشعبية وبخطابه ، فالحكمة تقتضي أن نضع يدا بيد . . أن نتعاون وأن نجلس على طاولة الحوار ، أن نحل مشاكلنا بأيدينا من خلال المصارحة والمكاشفة ومن خلال الجلوس على الطاولة المستديرة ونتحول إلى فريق عمل واحد منسجم يكرس كل الطاقات والإمكانات لخدمة الشعب العراقي ، الذي قدم الكثير وضحي بالكثير ، ويتطلع اليوم إلى مسؤوليه ليجدهم مكرسين جهودهم لخدمة هذا الشعب الكريم .

قدرنا في العراق أن نكون متنوعين ومتعدين ، فلنقبل بهذا القدر ونتماش ونسجم معه ، ولنضع يدا بيد كي نحول هذه التعددية إلى مركز حقيقي إلى قوتنا وليس إلى سبب في فرقتنا وضعفنا وتشتتنا والعياذ بالله . من هنا أوصي جميع إخواني وأعرائي من القيادات والقوى السياسية الكريمة في بلادنا أن نضع حدا لهذا التصعيد ولهذا التراشق الإعلامي ولهذه الاتهامات المتبادلة ، لنبتعد عن مثل هذه الأجواء ونجلس على طاولة واحدة ويستحضر كل منا مخاوف الآخر ، وليحاول حينما يقدم مشروعاً أو اقتراحاً أن تؤخذ به مخاوف الآخرين وليس ما يريده فقط ، فكل منا لا يملك القرار العراقي بمفرده وكل منا ليس له الحق أن يستحوذ على العراق بمفرده .

العراق وطن الجميع والقرار قرار الجميع ، فإذا كانت اقتراحاتنا موضوعية وواقعية ومشاريعنا تلحظ بنظر الاعتبار رأي الآخرين ومخاوفهم فسوف نصل إلى ذلك الجامع المشترك والمشروع الذي يجمع العراقيين ، وبخلاف ذلك إذا ما استمر التراشق والتصعيد فهذا سيولد إحباطاً ويأساً متزايداً لدى أبناء شعبنا وسيخاطر بثقة الشعب . والشعب لن يغفر لهذه القوى التي تصعد الموقف وتزعزع الاستقرار السياسي والأمني والخدمي في البلاد ، وسوف تتأثر لنفسها وهذه قضية خطيرة ، إن صبر الناس له حدود وعلى جميع المسؤولين أن يعوا هذه الحقيقة فلا يستهينوا بالشعب أو يقللوا من قيمته أو يتلاعبوا بمشاعره ومصيره ، اللهم اشهد أنني قد بلغت بكل محبة ومودة ، أقول هذه النصيحة

لإخواني المتصددين للعملية السياسية تعاملوا مع هذا الشعب كما يستحق ولا تضغطوا عليه بطريقة تستفزه ليخرج عن صبره لا قدر الله وهذا لا يخدم أحدا في واقعنا العراقي اليوم .

مع مصالح الشعب

إننا نعبر عن دعمنا لحكومة السيد المالكي في خدمة المواطنين ومعالجة مشاكلهم وهمومهم ، وفي وضع حد للتراجع الأمني والخروقات الأمنية المتكررة ، وفي تعميق وتعزيز اللحمة الوطنية والوئام بين العراقيين جميعا ، إننا ندعم هذه الحكومة دعم المصلح والمشفق الذي يقف موقف التأييد والتشجيع والتصفيق لكل خطوة صحيحة فيها خدمة المواطنين وحل مشاكلهم ومعالجة همومهم ، وموقف المتحفظ والناقد بنقد بناء وموضوعي لكل خطوة تسيء لمصالح المواطنين وتبتعد عن واقعهم وهمومهم . ندعم دعما بناء كي نحقق من خلاله خدمة حقيقية لأبناء شعبنا ، ولا يمكن إلا أن نكون إلى جانب هذا الشعب في همومه ومشاكله ومعاناته ، وفي قضايا المصيرية وفي حياته اليومية وخدماته الضرورية ، وسنبقى في كل هذه التفاصيل إلى جانبه ومدافعين عن حقوقه .

أهمية الجهد الاستخباري

إن التدايعات الأمنية ما زالت تشكل عبئا وضغطا متزايدا على المواطنين ، وما زالت الأرواح البريئة تسقط في كل يوم في هذه المحافظة أو تلك بفعل الإرهاب الأعمى ، إننا إذ نشكر ونثمن دور الأجهزة الأمنية والعسكرية والسهر والجهد الكبير المبذول في تحقيق الأمن في البلاد ، وتوفير الاستقرار للمواطنين ، إلا أننا نذكر بأهمية الجهد الاستخباري وتطوير المنظومة الاستخبارية حتى نكتشف شبكات الإرهاب ونفككها قبل ارتكابها الجريمة ، كما نؤكد أهمية تحديث الخطط الأمنية ومراجعتها على الدوام وتطويرها ، لتكون مؤسستنا الأمنية في موقع الفعل والمبادرة وليس ردود الأفعال لما يقوم به الإرهابيون ، كما نشدد على ضرورة محاربة الفساد الإداري والمالي في كل مفاصل الدولة ، ولاسيما في المؤسسات الأمنية والذي له تبعات أخطر بكثير من الفساد في المؤسسات المدنية ، ونذكر بأهمية حسم الوزارات الأمنية الشاغرة للتعاطي مع الملف الأمني من قبل شخصيات حريصة وكفوءة تتحمل المسؤولية الكاملة في إدارة هذا الملف ، إذ إن إبقاء هذه الوزارات شاغرة يضر بالواقع الأمني .

الموقف من تسليح الجيش العراقي

يجري الحديث هذه الأيام عن تجهيز الجيش العراقي في العام المقبل بمنظومة دفاع جوي متكاملة من الرادارات إلى مراكز السيطرة والتحكم إلى سائر الاحتياجات الأخرى مما يجعل العراق قادرا على توفير الأمن إلى أجوائه أيضا وليس لأرضه فقط ، كما يجري الحديث عن صفقات كبرى لشراء الطائرات والأسلحة الحديثة والمتطورة ، وهنا لا بد من أن نشير إلى موقفنا من مثل هذه التطورات المهمة .

أولا/ نحن ندعم تطوير وتحديث الجيش العراقي وتجهيزه بأهم الأسلحة التي يحتاج إليها في توفير الأمن للمواطنين والبلاد وهذا من الحقوق الطبيعية لأي بلد فيه سيادة ، والعراق من حقه أن يتمتع بجيش رصين يمتلك الأدوات الكافية لحماية البلاد من أي عدوان خارجي محتمل .

ثانيا/ إننا بحاجة إلى رؤية شاملة وإلى رسم إستراتيجية واضحة في عملية التسليح بالشكل الذي يراعي التوجه العام الجديد في العراق الذي يبني دولة مدنية وليس عسكرية للدولة والمجتمع كما كان يفعل النظام الصدامي ، مقتضى أننا دولة ديمقراطية يحتم نمطا في عملية التسليح يختلف عن البلدان الديكتاتورية التي تعتمد العسكرية في إدارة شؤونها لكي لا يتحول العراق بتسليحه الجديد إلى مصدر قلق لشعبه أو لدول المنطقة والعالم ، من حقنا أن ندافع عن أنفسنا ومن حق الآخرين علينا أن نقوم بهذه العملية بشكل يطمئن الجميع ولا يثير المخاوف والقلق لدى الآخرين ، وهذا يتطلب رؤية واضحة عن نوعية الأسلحة المطلوب توفيرها وانسجامها مع قدرات الجيش العراقي وتناسبها مع احتياجاته الموضوعية والبيئة العراقية وبيئة المنطقة وما إلى ذلك .

ثالثا/ توفير البنى التحتية لهذا التسليح ، من مدارج للطائرات ومخازن ومعدات وتدريب للطيارين والفنيين ، إذا لم نعد العدة ولم تتوفر لنا هذه البنى التحتية يتحول هذا السلاح إلى عبء إضافي على العراق ولا يستطيع العراق أن يدير هذه التكنولوجيا الحديثة مما يتطلب توفير هذه البنى ووضع الخطط السريعة لتحقيق هذا الأمر المهم .

رابعا/ ضرورة تعدد مناشئ التسليح ولا يمكن أن يكون السلاح من منشأ واحد ، لأن هذا يعني الضغط على العراق وابتزازه ودفع العراق لاتخاذ قرارات سياسية في القضايا المحورية وإلا قطع عنه التسليح وقطع الغيار إلى غير ذلك ، تنوع وتعدد مناشئ التسليح

يساعد على وضع حد لمثل هذه الأخطار وسيحافظ على السيادة واستقلال القرار العراقي في شؤونه السيادية . كما أن علينا أن نبحث عن الأعداء المفترضين المحتملين ونوفر السلاح بما ينسجم مع قدرتنا الدفاعية أمام مثل هذه الاعتداءات ، وأحيانا نذهب ونمارس عملية التسلح بعيدا عن مثل هذه الظروف والبيئة الموضوعية المطلوبة .

خامسا/ الشفافية والوضوح في العقود والصفقات الكبرى لشراء هذه الأسلحة وهي بمليارات الدولارات ، كيف تتم هذه العملية وما هي الأدوات الرقابية وما هي الأدوات التي تضمن نزاهة كاملة في عملية شراء هذه الأسلحة لتكون بعيدة عن التسييس وعن العلاقات الحزبية والشخصية لهذا المسؤول أو ذاك ، فيذهب إلى هذا البلد أو ذاك حتى يستفيد هو أو حزبه أو يكسب شيئا أو ما إلى ذلك .

سادسا/ مراعاة واقع الاقتصاد العراقي والموازنة العامة للبلاد والاحتياجات الضرورية للمواطنين ووضع أولويات صحيحة للتعاطي مع هذا الموضوع ، هناك احتياجات ضرورية وأنية للمواطن العراقي ويجب أن تحظى بأولوية ونحل مشاكل المواطن ، ثم نذهب لتوفير مثل هذه الأسلحة التي تكلف إمكانات مالية ضخمة جدا .

يوم السلام العالمي

في هذا اليوم ، الحادي والعشرين من أيلول ، تحل مناسبة يوم السلام العالمي ، وهو يوم مهم وهناك مداليل كبيرة حينما يوضع يوم من قبل الأمم المتحدة للسلام العالمي ، إنني أهنئ كل الشعوب والعالم الحر بهذا اليوم وأتمنى من كل بلد يرى أن بإمكانه من خلال القوة أن يفرض رأيه على الآخرين أن يستذكر قواعد اللعبة في هذه الحياة وسنن الحياة ، فإن الخراب والدمار والحروب لا يمكن أن توصل أحدا إلى نتيجة وإن الطريق الأمثل لتحقيق الطموحات هو اعتماد السلام والحوار والطريق البناء والوسائل السلمية في تحقيق الغايات .

رعاية الأراامل والأيتام..مسؤولية تضامنية

أكد الجهاز المركزي للإحصاء وجود حوالي مليون أرملة وأربعة ملايين يتيم في العراق ، وهذه الخمسة ملايين تمثل ما يقرب من سدس سكان العراق ما بين أرملة ويتيم وهو رقم كبير يجعلنا أمام مسؤوليات عظمى في التعاطي مع هذه الشريحة المهمة المظلومة المضطهدة التي تحتاج إلى كل الرعاية والاهتمام ، إن استقرار المجتمع حينما تشعر المرأة بالاستقرار ، إن تطور المجتمع بتطور المرأة ، إن قوة المجتمع وتماسكه حينما تحترم

المرأة في ذلك المجتمع ، إن تقدم أي مجتمع من المجتمعات إنما يحصل حينما يقدم للمرأة حقوقها وعزتها وكرامتها ، هذا الموقع المميز للمرأة لأنها نصف المجتمع وهي المرية للنصف الثاني وحينما تتعرض لهذه النكبات والأزمات الكبيرة فلا بد للمجتمع من أن يتحمل مسؤولياته والجهات النافذة في المجتمع تشريعيا وتنفيذيا ومنظمات مجتمع مدني ووسائل الإعلام ، كلنا يتحمل المسؤولية في أن ينتفض وينتصر للأرامل والأيتام ، لهذه الشريحة المضطهدة ، إننا نعبر عن تضامننا ودعمنا الكامل ونقف بكل ما أوتينا من قوة لمعالجة مشاكل وهموم هذه الشريحة .

كتلة المواطن ومنحة الطلبة

تكللت جهود كتلة المواطن النيابية بالنجاح من خلال تعاونها مع الكتل النيابية الأخرى بشيئت قرار منح مئة ألف دينار لكل طالب جامعي من ذوي الدخل المحدود ، ومائة وخمسين ألف دينار لكل طالب في مرحلة الماجستير ، هذا الرقم وإن كان متواضعا نسبيا إلا أنه مهم لحل مشاكل الطلبة ، إنني أشكر وأثمن الجهود التي بذلتها كتلة المواطن والكتل الأخرى التي تعاونت معها لتحقيق هذا الهدف المهم ، وهو خبر سار يقدم إلى طلاب الجامعات وهم في بداية العام الدراسي الجديد ، ونتمنى لهذه الكتلة أن تبقى على العهد الذي قطعته مع شهيد المحراب أن تبتعد عن الصراعات السياسية وأن تتركس همومها لخدمة المواطنين وحل مشاكلهم ولدعم الشرائح المتضررة والفقيرة والمعوزة ؛ لأن مثل هذا الدعم هو الذي يحقق الرضا من الله تعالى والثقة من الشعب ، كما أتمنى على كتلة المواطن أن ترفع شعار الدفاع عن حقوق الأرامل والأيتام في العراق وأن تعمل جاهدة في مجلس النواب على تمرير قانون يضمن رعاية مناسبة لهذه الشريحة لاسيما أننا أمام موازنة تصل إلى (١١١) مليار دولار كما تحدثت عنها الحكومة الموقرة في الأيام القليلة الماضية ، فهذا رقم كبير ومن حق هذه الشرائح أن تحظى بشيء طفيف من هذه الميزانية لحل مشاكلها .

الكرد الفيلية .. جرائم إبادة جماعية

صوت مجلس النواب مشكورا على قرار اعتبار جرائم النظام الصدامي بحق الكرد الفيلية جرائم إبادة جماعية ، إنها خطوة مهمة ونحن نشكر أعضاء مجلس النواب السادة والسيدات على هذه الخطوة الكريمة ، وكنا قد دعونا في هذا الملتقى وفي أكثر من مناسبة الى اعتبار الجرائم التي طالت شريحة الكرد الفيلية ، هذا المكون الكريم والعزيز على

قلوبنا والشريك المهم في العملية السياسية في العراق ، أن تعتبر هذه الجرائم جرائم إبادة جماعية ، ونحن اليوم وبعد إقرار هذا الأمر في مجلس النواب أمام جهد كبير لاتخاذ خطوات أساسية في إزالة جميع المقررات المجحفة والقرارات السلبيّة التي قام بها النظام الصدامي تجاه هذه الشريحة الكريمة في قضية حق الجنسية وحقوق الشهداء واستعادة الممتلكات وغير ذلك من الشؤون ولا بد من اتخاذ خطوات سريعة تضمن لهذه الشريحة حقها فهي تعرضت للاضطهاد مرتين ، مرة على الخلفية القومية ومرة على الخلفية المذهبية ، فكان الاضطهاد لها مضاعفا في عهد النظام ولا بد من أن يكون لها التكريم كسائر العراقيين في هذه المرحلة .

السلطة القضائية.. وحسم الملفات العالقة

إن السلطة القضائية تقدمت بعمل كبير في حسم الملفات العالقة ، وقد أعلن مجلس القضاء الأعلى حسم أكثر من عشرة آلاف وخمسمائة ملف من ملفات الموقوفين في غضون شهر حزيران ، أي في شهر واحد استطاع أن ينظر في هذا العدد الكبير من الملفات مما جعل عدد الموقوفين في العراق بحدود ١٢ ألف موقوف ، وهذا فيه انخفاض كبير لما كانت عليه الأرقام السابقة ، ونتمنى أن نصل إلى مستوى أن ينظر في قضية الموقوف خلال ٢٤ أو ٤٨ ساعة ويرسل إلى المحاكم لاتخاذ الخطوات القانونية وحسم موضوعه ، ولكن ما تفاجأنا به هو ما أعلنته السلطة القضائية عن وجود ١٦٤ محكمة فقط في العراق ، وهو رقم بسيط ومتواضع جدا نسبة إلى واقع العراق وعدد محافظات وتعداد سكانه والظروف الحساسة والاستثنائية ، وهذا العدد من المحاكم لا يمكن أن يفي بالعرض ولا بد من توسيع عدد المحاكم مما يسهل ويمكن سرعة إصدار الأحكام القضائية بحق المتهمين لكي لا يبقى المتهمون لأشهر طويلة وأحيانا لسنوات في المعتقلات .

الشأن العربي

في الملف العربي ما زلنا نتابع التطورات المهمة والدور الكبير للشباب الثائر والتوجه الإصلاحية لبعض البلدان العربية الكريمة ، فلقد شاهدنا قائمة من الإصلاحات السياسية في سوريا ومسودة الإصلاحات الدستورية للرئيس الجزائري وهي خطوات في الاتجاه الصحيح يمكن أن تحقق مستوى من مطالب الشعوب ، ولا بد من أن تستمر مثل هذه التوجهات .

إن الوضع في ليبيا ما زال يخطو خطواته الأخيرة وما زال القذافي قابعا في حفرة ويصدر النداءات ويتكرر المشهد الذي لاحظناه لصدام وستكون النتيجة كما هي وكما

هو المعهود، نتمنى الاستقرار والتنمية والإعمار لهذا البلد العربي الكريم. اليمن ما زال يستمر في صراعه بين حاكم متشبث بالسلطة وشعب بمساحات واسعة له رأي آخر ونتمنى أن تحسم الأمور بما يحقق الاستقرار للشعب اليمني الشقيق. السودان ما زال يعاني من الأزمات والمشاكل والانشطارات الأميية وهذا ما يثير القلق الكبير من ألا تتوقف عملية تقسيم السودان إلى شمال وجنوب وإنما تمتد إلى مساحات أوسع وأوسع في ظل غياب النظام القادر على السيطرة على هذه الإشكاليات.

تحديد موعد الانتخابات في مصر نتمنى له أن يكون خطوة أساسية تخفف من الاختلافات بين المجلس العسكري والقوى السياسية الأخرى الحاضرة في مصر وتكون هذه الانتخابات حدثاً مفصلياً ومعلماً أساسياً في بناء مصر الجديدة، مصر الديمقراطية والرجوع إلى الشعب. وكذلك الحال في الانتخابات التونسية فإننا نتطلع لنجد انبثاق أول حكومة منتخبة بعد التغيير ونتمنى أن يكون سبباً في مزيد من الاستقرار لتونس.

إطفاء الديون العراقية يستحق الشكر والتقدير

كلمة شكر نطلقها للجزائر لإطفاء ٤٠٠ مليون دولار من الديون العراقية العالقة، ونعرف أن الديون العراقية كانت ١٤٢ مليوناً وأضيف عليها ١٦٧ مليوناً فوائدها ٩١ مليوناً غرامات على مدار سنين طوال، فأصبحت ٤٠٠ مليون دولار، إطفاء الديون العراقية من قبل الجزائر خطوة جديدة. نبعث بالشكر والتقدير للحكومة الجزائرية والشعب الجزائري الشقيق ونتمنى لكل الدول الكريمة الدائنة للعراق أن تحذو حذو الجزائر بإطفاء الديون العراقية.

تعاز برحيل الرئيس الأفغاني الأسبق

تلقينا بأسف بالغ نبأ استهداف الرئيس الأستاذ المرحوم برهان الدين رباني الرئيس الأفغاني الأسبق وكان رجل السلام ويحمل مبادرة السلام في أفغانستان ولكنه استهدف من قبل قوى الشر والإرهابيين مما أدى إلى استشهاده، هذه الشخصية الكريمة التي نعزز بها ونبعث بتعازينا الحارة إلى الشعب الأفغاني الشقيق وإلى عائلة وذوي الرئيس رباني فرحمه الله ونسأل الله أن نجد المنطقة خالية من الإرهاب والعمليات الإرهابية والإجرامية.

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٨/٩/٢٠١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

سادتي الأفاضل، إخوتي الأكارم، أخواتي الفاضلات، بدايةً أرحب بكم أجمل ترحيب في مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين.

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

كان حديثنا في الأسابيع الماضية عن النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة، وقلنا إن عهد أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر حين ولاه مصر يمثل اختزالاً لهذه النظرية، وذكرنا أن الحديث عن القيادة والإدارة في الإسلام لا ينحصر بالقيادات من الصف الأول للملوك والرؤساء والأمراء والوزراء وإنما يمتد ليشمل كل من يتصدى لموقع من مواقع المسؤولية بدءاً من الأسرة حينما يكون الشخص رباً للأسرة، وصولاً إلى المستويات الأعلى في إدارة شركة أو مصنع أو مشروع أو عدد من الناس. وبالتالي فهذه المواصفات والشروط والمحددات توضع لكل من يتصدى للعمل الاجتماعي في المجتمع. وقد انتهينا في هذا العهد إلى المقطع الخامس، حيث يشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى مجموعة من المواصفات والخصائص ذات الصلة بتحديات الموقع حينما يكون الإنسان أميراً ومسؤولاً على جمع من الناس، فهذا الموقع يعرض الإنسان إلى مجموعة من المخاطر والأعراض، وهنا يحدد أمير المؤمنين الموقف المطلوب تجاه هذه الأعراض.

عوارض السلطنة

استعرضنا هذه العبارات الكريمة في لقائنا السابق في الأسبوع الماضي ، وهي قول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ : «وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك ، فإن ذلك يطامن إليك من طماحك ، ويكف عنك من غربك ، ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك» (١٢٣) .

«وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة» ، أحدث الموقع شعورا بالعظمة والكبرياء ، «أو مخيلة» أو أحدث شعورا بالعجب والخيلاء ، «فانظر إلى عظم ملك الله فوقك» ، أيها المسؤول الذي يتصدى انظر إلى الله سبحانه وتعالى فوق رأسك ، واعرف أن الله أعظم بكثير من أي موضع كان لديك ، فمهما كبر ستشعر بالتصاغر أمام الله و تستطيع أن تحد من العوارض التي يصاب بها الإنسان في مواقع المسؤولية والتصدي .

«وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك» فالله سبحانه وتعالى هو القادر على أمور أنت عاجز عن تحقيقها ، فأعظم السلاطين والفرعنة ما استطاعوا أن يحققوا ما يريدون ، فمهما كانت مسؤوليتك ومهما كان مستواها ، سوف تجد نفسك عاجزا عن أمور لا يقدر عليها إلا الله تعالى ، ومهما عظمت مسؤوليتك فهي صغيرة في محضر الله سبحانه وتعالى ، وهذه فائدة استحضار الله والاتفات إليه سبحانه ، وأن يكون الإنسان في المشهد الربوبي ، أن يكون الله حاضرا في حياته وفكره وحرركاته وسكناته ، في أقواله وفي أفعاله ، وهذا الحضور لله سبحانه وتعالى الذي ينظم إيقاعات السلوك الإنساني .

«فإن ذلك يطامن إليك من طماحك» ، إن هذا التوجه إلى الله يطامن أي من التطمين ، فيهدئ من طماحك أي من طغيانك وغدرك ورغبتك في الاستحواذ . «ويكف عنك من غربك» ، يخفف حالة الغضب والانفعالات التي تصاب بها وأنت في موقع المسؤولية ، «وفيء إليك بما عزب عنك من عقلك» ويعيد إليك العقل الذي غاب عنك .

وقد أشرنا في الإضاءة الأولى إلى أهمية الاتفات إلى هذه العوارض ، لأن السلطنة والمسؤولية لها عوارض ومن يدخل هذه المواقع ويتصدى دون أن يتعرف ويلتفت إلى العوارض فسوف يبتلى بمطبات كبيرة وعظيمة ، والاتفات إلى العوارض مسألة مهمة ، وقد استعرضنا جملة من الآيات والنصوص الشرعية في اللقاء السابق ، واليوم نتحدث في الإضاءة الثانية .

يشير أمير المؤمنين إلى ثلاثة عوارض في العبارة السابقة وهي :

أولاً / الطماح

من عوارض السلطة حالة النشوز والطغيان والتمرد والغدر والمكيدة، ونقض العهود والمواثيق حتى ذهب البعض إلى أن السياسة في معناها لا تصدق إلا على المكر والخديعة، ولا توجد سياسة شريفة ونبيلة بل السياسة تعني غدرا ونقضا للعهود والمواثيق .

وهذا التفسير ناتج من ملاحظة الواقع الذي يسير على الأرض ، فالكثير من السياسيين على مر العصور والدهور والأماكن والمواقع ينقضون ويكيدون ويتآمرون ويغيرون المسارات ، حتى أصبح البعض يعتقد بأن السياسة ترادف المكر والخديعة ، فإذا وجدوا متدينا يمارس السياسة ينكرون عليه هذا ، متناسين أن السياسة في واقعها على نمطين ، فهناك سياسة مكر وخديعة ولعب ، وهي التي يقع فيها مثل هذا العارض من أعراض التصدي ، ولذلك اعتبر عارضا ومرضا . ولكن هناك سياسة أخرى لمن حصن نفسه فلا يصاب بهذا العارض ، فتكون سياسة الشرف والنبل والقيم والمبادئ والدفاع عن الإنسان والمطالبة بالحقوق ، واستحضار المصالح العامة إلى غير ذلك .

يعبر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في إحدى خطبه بالقول : «وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم»^(١٢٤) فالله أخذ على العلماء أن يتصدوا ، ولا ننسى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذلك السياسي العبقري الذي أسس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة .

ثانياً / الغرب

حالة الحدة والغضب والانفعال والأنانيات ، وكأن المسؤول له الحق في أن يشتم ويسب من يشاء ويهين من يشاء وهذه يطلق عليها في اللغة الغرب ، وتلاحظون أن أباً قد يعذب أبناءه في البيت ، وليس لهذا الأمر علاقة بحجم المسؤولية ، فقد يكون الشخص مسؤولاً عن الآلاف من الناس ولا يتلى بهذا العارض .

ثالثاً / ضياع العقل

يطراً هذا العارض حين يتوهم الإنسان أنه إذا كان في موقع مسؤولية معينة فإن كل قراراته صائبة ، وهنا يتبين أن من عوارض السلطة غياب العقل ، وهذا ما يلاحظه الإنسان

أحيانا من أن ثمة قرارات مصيرية لحكام وإمبراطوريات نقرؤها في التأريخ وبعضها لدول عظمى ، أو أممية كقرارات مجلس الأمن ، تأتي غير خاضعة للمنطق وليس فيها حكمة . يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في الكلمة ٩٨ من كلماته عَلَيْهِ السَّلَامُ : «وَاللَّهِ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدْعُوا اللَّهَ مُحْرَمًا إِلَّا اسْتَحْلَوْهُ»^(١٢٥) وهو يشير إلى بني أمية في هذه الخطبة ، فهم لا يتركون لله حرمة في موافقهم ، ويفعلون ما يريدون وينتهكون الحرمات وعليهم جلباب الدين ويحكمون باسم الدين ، فلا تبقى لله حرمة «وَلَا عَقْدًا إِلَّا حَلْوُهُ» ، أي لا يوجد اتفاق أبرم إلا وتخلوا عنه وتقضوه ، «وَحَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٌ إِلَّا دَخَلَهُ ظَلْمُهُمْ» ، بيت المدر يعني البيت المبني من الحجر ، وبيت الوبر يعني الخيمة ، ويشير عَلَيْهِ السَّلَامُ ببيت الوبر إلى الإنسان الفقير وبيت المدر إلى الغني ، وظلم الإنسان الذي يتسلط ولا يقف ظلمه عند حدود ، فلا يعرف غنيا وفقيرا ، بل يطول ظلمه الجميع .

«وَبَنَّا بِهِ سُوءَ رَعِيهِمْ» ، هذا التعامل السيئ يدعو الناس إلى الرحيل عن هذا البلد إلى مكان آخر ، «وَحَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ بِيَكِيَانِ بَاكِ يَبْكِي لِدِينِهِ وَبَاكِ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ» ، فالظلم يشمل الجميع وكل يبكي على ليلاه بعضهم هدفه دينه وبعضهم دنياه وكلاهما متضرران ، «وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةٌ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كُنُصْرَةَ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ» ، موقف النصرة من الشعب ومن الناس تجاه هذا المسؤول الظالم كموقف النصرة من العبد تجاه السيد ، فالعبد محكوم ومملوك ليس له إلا أن يعبر عن آيات الطاعة والالتزام ، ولكن في حقيقة الأمر فإن قلبه ليس مع لسانه ، «إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ» ، وهذه نتيجة طبيعية حينما يتعامل المسؤول بتجبر وطغيان وبغرور مع الناس ، «وَحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمَكُمْ فِيهَا عَنَاءٌ أَحْسَنُكُمْ بِاللَّهِ ظَنًّا» ، فكل من هو محسن بالله ظنا وهو ملتفت إلى الضوابط والالتزامات الصحيحة كان أكثر بلاء ، «فَإِنْ أَتَاكُمْ اللَّهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوهَا وَإِنْ أُبْتَلِيْتُمْ فَاصْبِرُوا فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ» ، النتيجة إلى خير لكن يجب أن يتحمل الإنسان مسؤولياته في الإصلاح الاجتماعي .

كراهية الغدر

أيضا في موقع آخر من نهج البلاغة يشير عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى هذه الحقيقة بالقول : «لولا كراهية الغدر كنت من أدهى الناس ، ألا إن لكل غدره فجرة ، ولكل فجرة كفر»^(١٢٦) إن المنظومة القيمية هي التي لا تسمح لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يمارس الغدر والدهاء ، فالغدر فيه

١٢٥ . نهج البلاغة ج١- ص ١٩٠

١٢٦ . نهج البلاغة ج٢- ص ١٨٠

فجور وخروج عن جادة الصواب ، والفجور يأخذ إلى الكفر «ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة» ، أي أن كل من يغدر له لواء يوم القيامة وهم مصنّفون حسب أنماطهم .

ومن أشد ما يواجهه الإنسان يوم القيامة هو الفضيحة ، فالفضيحة في الدنيا قد لا تكون إلا في مساحات محدودة ، ومع ذلك فكم هي محرّجة ومريرة فكيف بالإنسان حينما يفتضح أمام الخلائق وأمام مليارات البشر وهي تتفرّج على ما يصدر من هذا الإنسان؟! . نسأل الله أن يكون ذلك اليوم خيرا للجميع ، «والله ما استغفل بالمكيدة» ، فعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يمكن أن يُستغفَلَ بأن يكيد له أيُّ كان ، لكنما هي القيم والمبادئ التي يحملها الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ والقيود والمحددات غير المتوفرة عند الآخرين الذين يبطشون ويعتدون «ولا استغمز بالشديدة» ، وعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يمكن أن يخاف من الجيوش والقوة والأجهزة الأمنية ولكن المنظومة القيمية هي التي تجعل عليا عَلَيْهِ السَّلَامُ يتعامل بهذه الطريقة وليست تلك .

المشهد السياسي

ما زال المشهد السياسي يعيش تقلباته السلبية في مجمل المسارات العامة ، في ظل غياب الرؤية الواضحة والخطوات المدروسة في تطمين الأطراف ، وخلق فرص ومناخات التعاون بين المكونات والقوى السياسية بما يحقق الاستقرار السياسي والانتعاش الاقتصادي ، ويعالج الواقع الخدمي ويوفر الخدمات الضرورية للمواطنين الذين يتحملون كل هذه التبعات نتيجة الواقع السلبي الذي نعيشه في المشهد السياسي .

إن رفاه المواطن العراقي وخدمته إنما يكونان من خلال التعاون بين القوى السياسية وبغياب هذا التعاون لا يمكن أن يتحقق هذا الأمر المهم ، ويصبح المواطن المتضرر الأكبر من هذه الاختلافات القائمة بين السياسيين . ولكن ما يثير التفاؤل هو النظرة الهادئة والدعوات إلى الحوار والتواصل البناء الذي أصبحنا نستمع إليه من الأطراف المختلفة في الأيام القليلة الماضية ، مما يبشر بخير ويؤكد المسارات الصحيحة التي يمكن أن تحل مشاكل البلد .

إننا نؤكد من جديد أنه لا خيار للعراقيين إلا أن يجلسوا بعضهم مع البعض الآخر ويتحاوروا ويتناقشوا ويتصارحوا ويعالجوا مشاكلهم فيما بينهم ، ويحترموا هذه التعدديات في المذهب والدين والقومية والتوجهات السياسية إلى غير ذلك من تعدديات

وضعت في هذا البلد الكريم ، والتي يمكن أن تكون مصدر قوة حقيقية إذا أحسنّا التعاطي معها، فلا بد من أن تعالج الإشكاليات وأن تدرس طبيعة المطالب والتوقعات لكل من هذه الأطراف بمقاييس المصلحة الوطنية وليس بالمقاييس الفئوية والحزبية التي تجعلنا في صدام مع توقعات الآخرين ، وكل يريد أن يحصل على كل ما يريد على حساب شريكه الآخر، إن الالتزام بالدستور يمثل مدخلا مهما يجتمع عليه العراقيون، وإذا ما شككنا بهيبة الدستور وتجاوزنا الدستور فلا تبقى مرجعية نرجع إليها عند الاختلاف لمعالجة المشاكل .

الوضع الأمني

ما زال الواقع الأمني يعيش تلكؤاته المعهودة، ولا يزال نزيف الدم مستمرا، وهذا ما نلاحظه في كل يوم حيث التفجيرات وسقوط الشهداء والجرحى . لقد تابعنا بألم وأسف كبيرين المجزرة التي شهدتها مدينة كربلاء المقدسة حيث سقط العشرات من الشهداء والجرحى ، إن وصول الإرهابيين إلى كل مكان وبالطريقة التي يرغبون فيها ليقوموا باستهداف المواطنين في المواقع الحساسة والمدن المقدسة، وفي المناطق الآمنة والقيام بعمليات مزدوجة لنشهد تفجيرات متكررة في وقت واحد وهي تتفنن في إيقاع أكبر عدد ممكن من الضحايا، هذه قضية تؤكد ما أشرنا إليه في مرات عدة بضرورة المراجعة الحثيثة للخطط الأمنية الموضوعية من قبل الأجهزة المختصة، وضرورة تطوير الجهاز الاستخباري للوصول إلى هؤلاء الإرهابيين قبل إيقاع الجريمة وإيذاء الناس وقتلهم بهذه الطريقة المروعة، وضرورة مراجعة العناصر الذين يتسلمون مواقع حساسة في الجهاز الأمني والتأكد من عدم انتمائهم أو تعاطفهم مع هذه المجموعات الإرهابية، لتحقيق القدر المطلوب من النجاح في العمليات الأمنية .

إننا إذ ندين ونستنكر هذه العملية وغيرها من العمليات الإرهابية التي تحصل في أية منطقة من مناطق العراق نحذر من محاولات إثارة الفتن الطائفية وإظهار أن أي تفجير يحصل في منطقة ما إنما هو رد فعل لتفجير في محافظة أخرى، وإذكاء الصراعات والفتن والنعرات الطائفية التي سوف لا يستفيد منها أحد، إن الإرهاب لا دين له ولا منطقة محددة له، كما أن الإرهاب ليس له توجه سياسي ولا ضمير ولا إنسانية، وكل المواطنين العراقيين الشرفاء لا يمكن أن يكونوا إلى جانب الإرهاب أو معه وإنما هم براء من الإرهاب والإرهابيين، ولا بد من أن نحذر من هذه المحاولات والذرائع للإيقاع بين العراقيين .

اليوم العالمي لمقاومة الحروب والاحتلال

إن الثامن والعشرين من أيلول هو اليوم العالمي لمقاومة الحروب والاحتلال . وفي مثل هذا اليوم لا بد لنا من أن نستذكر أهمية استكمال السيادة العراقية من خلال العمل الجاد لإخراج العراق من البند السابع من ميثاق الأمم المتحدة . فالعراق يزرع تحت هذا البند وتحت الوصاية الدولية منذ مطلع التسعينيات وإلى يومنا الحاضر ولا بد من وضع حد لهذا الأمر لنستعيد سيادتنا الكاملة ، وبهذا الصدد لا بد من التأكيد من جديد على خروج القوات القتالية الأمريكية من خلال تنفيذ كامل لاتفاقية سحب القوات الأمريكية نهاية هذا العام ، وأن يعزز العراق مصالحه مع العالم من خلال الحفاظ على سيادته الكاملة وبالندية الكاملة ضمن تقديراته للمصلحة الوطنية العراقية دون تدخل أو هيمنة من أي طرف إقليمي أو دولي .

بداية العام الدراسي الجديد

بدأ العام الدراسي الجديد وخرج ما يزيد على ثمانية ملايين وأربعمائة ألف طالب وطالبة في العراق إلى مدارسهم ، وهذا الرقم الكبير رسالة مهمة من رسائل الحياة حينما ينبري ربع سكان العراق للتوجه إلى مقاعد الدراسة ، وهو ما يكشف عن الثقل السكاني للفتيان والشباب في العراق ، هذا العدد الكبير حينما يخرج ويطلب العلم والمعرفة إنما يمثل رسالة مهمة للحياة ، وهنا أوجه كلمات ثلاثا .

الكلمة الأولى/ إلى وزارة التربية وملاكاتها الإدارية الكريمة وقيادتها ولمن يضع السياسات التربوية والتعليمية فيها ، وأقول لهم إن هؤلاء الطلبة هم مستقبلنا وهم أملنا وقد ارتبط مصير البلاد في قادم الأيام بهم ، وهم أمانة في أعناقكم ، كيف ستعاملون مع هذه الحشود المليونية الكبيرة؟ وكيف وكم ستبدلون من الجهد في تربيتهم وفي إعدادهم ووضع السياسات الناجحة في التعامل معهم؟ .

إذا صلح التعليم صلح جيل المستقبل وبالتالي صلح البلد ، فصالح العراق من خلال تلك السياسات التي تضعونها في وزارتي التربية والتعليم العالي ، إن هذه المسؤولية التاريخية تدعوكم لتصلوا الليل بالنهار وتعملوا جاهدين بما أوتيتهم من قوة للقيام بالإصلاحات الضرورية في النظام التعليمي في العراق ، وفي المناهج الدراسية بالطريقة التي تواكب التطور العلمي الهائل وتتماشى مع طبيعة المعايير العلمية الدولية في المعلومات التي تقدمها لطلابنا وطالباتنا في هذه المناهج الدراسية ، هذه المناهج التي يجب أن تتماشى مع مبدأ احترام الخصوصيات والتعدديات في العراق ولا بد لأبناء كل

طائفة وديانة وقومية من أن يُسمح لهم بالتعرف على عقائدهم ودينهم وفكرهم وعلى تأريخهم ورموزهم دون احتكار لرؤية أو فرض رؤية على جميع هؤلاء الشباب .

أي ضير في أن تحترم هذه القراءات والتعدديات في إطار بني على أساس التعددية واحترام الخصوصية ، كما يتطلب من وزارة التربية إيجاد الأجواء المناسبة لتحسين وتوسيع البنايات المدرسية والقاعات والمختبرات والخدمات الضرورية لتطوير الواقع التعليمي في البلاد واستخدام الوسائل التعليمية الحديثة في طرائق التدريس علميا وسلوكيا ونفسيا ، كما أن على وزارة التربية وضع الخطط والبرامج التي تساعد على رفع مستوى الأداء والكفاءة لدى الكادر التدريسي من التدريسيين والمعلمين والمعلمات ، ولا بد من أن تكون هناك خطة لتطويرهم على الدوام وجعلهم بمستوى الطموح .

الكلمة الثانية / أوجهها إلى لأساتذة الكادر التدريسي والتعليمي والإشرافي والتربوي في مدارسنا في العراق ، إننا نقف أمام الكادر التدريسي بتواضع وبموقف الإكبار والإجلال لموقعه وما يقوم به من مهمة أساسية وكبيرة ، نقف أمامهم بكل احترام وتقدير مثنين جهدهم شاكرين وقيمتهم في تربية أبنائنا ، ولكن أقول لهم أيها الكرام إن مسؤوليتكم عظيمة أمام الله والمجتمع لإعداد الطلبة ، فمهما كانت مشاكلكم الحياتية واليومية كبيرة وعظيمة ومهما كان التقصير بحقكم من الجهات المختصة كبيرا وواسعا ، ولكن حاشى لكم أن تتساهلوا في تقديم كل ما لديكم من العلم والمعرفة في بناء الجيل الصاعد وتنشئته بالشكل الصحيح ، وغرس حب الوطن والوطنية الصالحة في نفوس أبنائنا وبناتنا .

إن التنشئة الصحيحة والتعليم الجيد وبناء الجيل الواعد تعني تطور البلد وإعمارها وازدهاره ولا طريق إلا من خلال الإنسان لنبني المجتمع ونقدم به إلى الأمام ، أيها الأساتذة الكرام إننا وضعنا ثقنا بكم وبوطنيتكم وإخلاصكم لله وللشعب ، وسلمناكم أبناءنا أمانة في أعناقكم لتربيتهم وتعليمهم وتنشئتهم التنشئة الصحيحة التي تنسجم مع قيمنا الإسلامية والوطنية .

الكلمة الثالثة / أوجهها إلى أبنائي وبناتي من الطلبة والطالبات ، أيها الأعداء إنكم تصنعون مستقبلكم بأيديكم وأصبح مستقبل الوطن أمانة في أعناقكم ومرتبنا بكم ، لننظر كيف تتحملون هذه المسؤولية الكبيرة وكيف تستثمرون كل الفرص في تطوير قدراتكم وقابلياتكم ومهاراتكم العلمية والتربوية وتكريس الإخلاص لله تعالى والحس الوطني

في نفوسكم ، فكلما كان استعدادكم أكبر لذلك الغد المنشود كان العراق بخير ، وكلنا متفائلون بمستقبل هذا البلد من خلال تفاؤلنا بقدراتكم وطاقاتكم ، أيها الأعداء الطلبة والطالبات انطلقوا بهمة الشباب وحماس الفتیان بأمل منشود منكم ومن قدراتكم وحققوا ذاتكم واستعدوا الخدمة وطنكم ، إننا نثق بقدرات الشباب وسنبقى ندافع عن الشباب وعن حقوقهم وهمومهم وعن تطلعاتهم ، سنقف إلى جانبهم وندافع عن قضاياهم .

ذكرى استشهاد المرجع السيد محمد الصدر (قدس)

تقترن هذه الأيام بذكرى حزينة علينا تتمثل برحيل عالم من علماء أهل البيت ، ألا وهو الشهيد السعيد السيد محمد الصدر (قدس) مع ولديه الشهيدان ، هذه الشخصية الكريمة التي خدمت وقدمت لأبناء شعبنا وكانت رائدة في إحياء شعيرة صلاة الجمعة في العراق ، وفي التركيز على إعداد وتنشئة جيل الشباب في وقت كان التعتيم الصدامي والملاحقة من النظام البائد لشبابنا ومنع الحوزات العلمية ومراجع الدين العظام ورجال العلم والمعرفة من التواصل مع الناس بهذه المساحات . كان للشهيد الصدر دور في كسر هذا الحاجز وتقديم عطاءاته العلمية والتربوية ، وهذا هو الدور المنشود من علمائنا ومن مراجعنا حينما نرجع إليهم ونتعلم منهم ، وهم يقدمون ويضحون من أجل هذه الأمة بكل غال ونفيس ، فسلام على الشهيد السيد محمد الصدر يوم ولد ويوم ضحى ويوم قدم من أجل هذا البلد الكريم ، ويوم استشهد مظلوما مع نجليه الشهيدان وتعازينا الحارة للأمة الإسلامية وإلى الشعب العراقي وإلى أبناء وأتباع هذا الشهيد الكريم .

الفساد الإداري والمالي

إن تقرير ديوان الرقابة المالية لعام ٢٠١٠ الذي نشر في وسائل الإعلام مثل صدمة كبيرة لكل المخلصين والحريصين من العراقيين ، لما أشار إليه من أرقام مخيفة في الفساد الإداري والمالي والهدر الكبير للمال العام كما تشير إليه الوثائق المنشورة في الإعلام المحلي . وأقولها بصراحة لا تطور ولا إعمار ولا ازدهار في العراق بوجود هذا الفساد المالي ، وهذه البعثة في الأموال العامة على حساب مصالح الناس . ولا بد من وضع حدٍّ للآثار المدمرة للفساد المالي في بلادنا من خلال خطوات مدروسة ومواقف صلبة ومكافحة حقيقية للفساد الإداري والمالي .

إن النزاهة والصدق مع الناس وصرف إمكانات البلد وميزانياته على المواطنين وعلى أبناء الشعب من المحرومين والمظلومين والشرائح المسحوقة ، وبناء البنى التحتية هو

الطريق الذي يحصل من خلاله المسؤول على رضا الله تعالى وعلى ثقة الشعب به . إن الميزانيات الضخمة التي لا سابق لها في تاريخ العراق ، ميزانية هذا العام تصل إلى مائة مليار دولار وميزانية العام القادم تصل إلى مائة وأحد عشر مليار دولار ، هذه الميزانيات الضخمة ستتحول إلى وبال على الشعب العراقي وعلى المشروع الوطني وستزعزع ثقة الشعب بهذا المشروع ، ما لم توضع في سياقها الصحيح وما لم نضع حدا لظواهر الفساد الإداري والمالي في العراق .

أبعدوا الهيئات الرقابية عن السياسة ولنقف موحدين متعاونين في دعم هذه الهيئات واللجان الرقابية لتمارس عملها في مكافحة الفساد ولتقطع كل يد آثمة تمتد إلى المال العام وتسيء إلى مصالح الناس وقوتهم و ثروتهم . اسمحوالي أن أناشد ومن خلالكم كل المخلصين والحريصين ألا يتساهلوا ولا يسكتوا عن أية ظاهرة من ظواهر الفساد الإداري في البلاد ، ولنحمل المسؤولية كاملة للجهات المختصة الرقابية البرلمانية والحكومية ، بملاحقة المفسدين والقيام بأدوارهم بعيدا عن التسييس والحزبية والفئوية وإنما انتصارا لمصالح هذا الشعب .

شروط مكافحة الفساد

إننا نريد مكافحة للفساد بشروط ثلاثة ؛ أن تكون مكافحة للفساد بلا تسييس ولا تمييز ولا تعطيل . إن المكافحة التي تسعى أن توقف كل العقود وتعطل حركة البلد بذريعة الحرص على المال العام ، هذه المكافحة لا نريدها ، نريد استمرار المشاريع لتعالج مشاكل الناس بسرعة ، مكافحة الفساد بتفعيل بعض الملفات وتجميد بعض الملفات لا نريدها ، نريد مكافحة للفساد عادلة لا تنظر إلى المفسد من أي حزب أو من أية جماعة أو كيان ، وإنما تنظر إلى موقفه إن كان فاسدا تتخذ موقفا تجاهه وإن لم يكن كذلك تضع الحصانة له ، كما نريد للمكافحة أن تكون بلا تمييز .

الأمن الاقتصادي

يمثل الأمن الاقتصادي رافدا من الروافد الأساسية والمهمة في الاستقرار السياسي والانتعاش الاقتصادي في البلد . وهو ما يتطلب نظاما مصرفيا متطورا وحديثا وهو ما نفتقده اليوم في العراق ، فقد أشارت تقارير مدعومة من البنك الدولي مؤخرا إلى أن المصارف الحكومية السبعة تهيمن على ٨٧٪ من الودائع المصرفية في البلاد ، بالرغم من أنها تقدم خدمات محدودة ولا تعمل بواجباتها المصرفية بقدر ما تبعه من السيارات

للناس ، وهذه الخدمات المتواضعة تقدمها في ظل بيروقراطية شديدة وبطء شديد في الخدمات .

إن هذا يترك أثرا سلبيا كبيرا في الاقتصاد العراقي ولا بد للجهات المختصة في الحكومة العراقية من وضع سياسات نقدية صحيحة والإشراف على تطبيق هذه السياسات ، وترتيب الميزانيات العامة لهذه المصارف وتوفير فرص المنافسة الحقيقية بين المصارف الحكومية والقطاع الخاص ، حتى نخرج من الاقتصاد الأحادي ، اقتصاد النفط ، إلى الاقتصاد المتعدد الذي يستطيع أن يوفر ملايين الفرص للعاطلين عن العمل في العراق .

الاتفاقات المشتركة مع الدول المتشاطئة

إن غياب الاتفاقيات المشتركة بين العراق والدول المجاورة له بخصوص المياه والأنهار يمثل اليوم عقبة أساسية في توفير المياه لأبناء شعبنا ، ولا سيما مع الإجراءات التي تتخذها الدول المتشاطئة مع العراق من حيث توسيع استخدام المياه في تلك البلدان وكثرة السدود التي أوجدتها تلك البلدان في أراضيها ، مما سيحرم العراق من ٤٥ ٪ من المياه التي يحصل عليها الآن خلال الأربع سنوات القادمة .

التفتوا أيها الأعداء ، لا أقول ٤٠ سنة ، بل خلال الأربع سنوات القادمة سيحرم العراق من ٤٥ ٪ من المياه التي يحصل عليها في الوقت الراهن بحسب إحصاءات رسمية حكومية ، وهو ما يعرض الواقع المعيشي والزراعي إلى خطر كبير ، إننا لسنا البلد الوحيد الذي يتشارك المياه مع جيرانه فهناك ٣٠٠ اتفاقية دولية تنظم هذه الحقوق المشتركة بين البلدان المتشاطئة على ممرات مائية واحدة ، وعلينا أن نستفيد من خبرة هذه الدول ومن هذه الاتفاقيات وندخل في حوار جاد وصادق وبناء مع الدول المتشاطئة مع العراق ، وإقناعها بالتوقيع على مثل هذه الاتفاقات مما يضمن لنا الحصة العادلة للمياه .

إننا نهيب بالحكومة الموقرة والجهات ذات العلاقة وضع هذا الموضوع الحساس والمصيري لاقتصاد العراق ولحياة العراقيين وزراعتهم على سلم أولوياتهم للتفاوض الجاد والوصول إلى نتائج مرضية لأبناء شعبنا ومصالح بلادنا . إن كل هذه الأمور تحصل في وقت أعلنت فيه وزارة التخطيط أن نسبة ٢١ ٪ من سكان المدن في العراق لا يحصلون على الماء الصالح للشرب في الوقت الراهن و ٤٠ ٪ من سكان الأرياف لا يحصلون على الماء الصالح للشرب في هذا العام ، فإذا كانت هذه النسبة للذين لا يحصلون على الماء

الصالح للشرب مع وجود هذه الوفرة المائية فكيف يكون الحال بعد أربع سنوات حينما نفقد ما يقرب من النصف من الروافد المائية لبلادنا؟! .

تعليق اللعب في الملاعب العراقية

صدم الجمهور الرياضي بقرار الفيفا بتعليق المباريات للمنتخبات الوطنية على الأراضي العراقية، وذلك على خلفية الإشكالية الفنية التي حصلت بين المنتخب العراقي والأردني من انقطاع التيار الكهربائي وتفاصيل أخرى على ملعب أربيل. إنها صدمة كبيرة وطعنة للرياضة العراقية وهناك إحباط للجمهور الرياضي حينما يحرم العراق من استضافة المباريات الإقليمية والدولية، إن هذا الإجراء سوف يحرم العراق من تصنيف بطولات لاحقة كان من المفترض أن يضيفها، كما وسيحرم الجمهور الرياضي العراقي من متابعة هذه المباريات بشكل مباشر على أرضه وتشجيع فريقنا الوطني، كما يحمل وزارة الشباب والاتحاد العراقي لكرة القدم مسؤولية كبيرة في معالجة هذه الإشكاليات الفنية والسعي إلى إقناع الفيفا بالتراجع عن هذا القرار لإعادة البسمة إلى جميع الشباب الرياضي .

انتخابات البحرين التكميلية

جرت في الأيام الأخيرة الانتخابات التكميلية للبرلمان البحريني، ل يتم بذلك تعويض النواب المستقلين من جمعية الوفاق الوطني البحرينية . إنه قرار غير موفق وسيسهم في تعميق الفجوة بين أبناء الشعب البحريني من ناحية والسلطات الحكومية في البحرين من ناحية أخرى، هذه السلطات التي تجاهلت ٦٠٪ من أصوات الناخبين في الانتخابات السابقة التي منحوها للنواب المستقلين، وذهبت لتدير البلاد بمعزل عن كل هذه الشريحة الواسعة والمهمة من أبناء الشعب البحريني .

إننا لا بد من أن نؤكد على حقيقة واضحة، وهي أن الأزمات لا تعالج بهذه الطريقة بأن تقف السلطات في مواجهة الشعوب، ولا بد من الوقوف عند مطالب الشعوب ولا سيما الشعب البحريني الشقيق، وهي مطالب عادلة ومنصفة وموضوعية، فلا بد من الوقوف عندها والاستجابة لها وحل المشاكل عبر الحوار البناء بين الحكومة البحرينية وبين أبناء الشعب البحريني، لا حل يكمن بعيدا عن الحوار، لا حل إلا بالحوار الصادق والبناء بين الحكومة والقوى الشعبية المؤثرة للوصول إلى ما يحقق مصالح الشعب ويعيد الأمن والاستقرار إلى البحرين ويحافظ على النظام السياسي في البحرين .

إن من يبحث عن حلول ومعالجات عبر سياسة فرض الأمر الواقع والوقوف بوجه مطالب الشعب سيجد النتائج العكسية وسيعرف عاجلاً أم آجلاً أنه صعب المهمة على نفسه وعطل الحلول لهذه الأزمة، ولا يزال أفق الحل قائماً، نتمنى للجهات ذات العلاقة في البحرين أن تدرك حساسية هذا الموضوع وتختار الطريق الصحيح الذي يضمن حقوق الشعب البحريني ويعزز الاستقرار في البحرين وفي المنطقة .

ذكرى الانتفاضة الفلسطينية

في يوم الثامن والعشرين من أيلول عام ٢٠٠٠ اندلعت انتفاضة الأقصى التي أطلق عليها الانتفاضة الفلسطينية الثانية، وأثبتت جدارتها بالرغم من التضحيات الجسيمة التي قدمها أبناء الشعب الفلسطيني في هذه الانتفاضة، منذ ذلك اليوم وإلى يومنا الحاضر، حيث سقط ما يزيد على ٤٥٠٠ شهيد و٥٠ ألف جريح خلال هذه الفترة، إن فلسطين ستبقى القلب النابض للأمة العربية والإسلامية وسنبقى متضامنين مع قضية أبناء الشعب الفلسطيني في مقاومته المشروعة ضد العدو الإسرائيلي، وسيكون النصر حليف فلسطين كما أقرته شريعة السماء والسنن والقوانين الإلهية . إننا نجدد التضامن والدعم والإسناد لقضية الشعب الفلسطيني العادلة، وندعو الأمم المتحدة إلى الاعتراف بالدولة الفلسطينية، وهو الحق الطبيعي لأبناء هذا الشعب الجريح، ونسأل الله أن نجد فلسطين محررة، وتعود إلى أهلها وترتفع رايات السلام والإسلام على ربوعها .

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١١/١٠/٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين
حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين
وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل، إخوتي الأكارم، أخواتي الفاضلات، بدايةً أرحب بكم أجمل
ترحيب في مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين .

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة، وذكرنا
أن عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام لمالك الأشتر يمثل إماما واختزالا لهذه النظرية .
وقد انتهينا بالحديث عن هذا العهد إلى المقطع الخامس الذي يتحدث فيه علي عليه السلام
عن استحقاقات التصدي، والعوارض التي تصيب الإنسان حينما يتصدى إلى موقع من
مواقع المسؤولية. وذكرنا أن القيادة والإدارة لا نعني بها موقعا خاصا كأن يكون رئيسا
أو ملكا أو وزيرا إلى ما إلى ذلك، وإنما تشمل كل مستويات التصدي من رب الأسرة
حينما يتصدى لإدارة زوجته وأولاده وصولا إلى الحلقات الأوسع فالأوسع، كالمدير
في مدرسة أو المسؤول في مصنع إلى غير ذلك، فكل من يتصدى لمسؤولية ما عليه
أن يأخذ بنظر الاعتبار هذه الشروط والمحددات والضوابط وأسرار النجاح في أي مهمة
يتحملها الإنسان. في هذا المقطع الذي كنا قد تحدثنا عنه في الأسابيع الماضية يقول أمير
المؤمنين عليه السلام:

«وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإن ذلك يطامن إليك من طماحك، ويكف عنك من غربك ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك»^(١٢٧).

خيلاء السلطة

إن تصديقك وموقعك في المسؤولية على عدد من الناس إذا ما أخذك إلى الشعور بالغرور والإعجاب والكبر والخيلاء كونك مسؤولاً تعطي التعليمات ليطيعها الآخر فهذه هي من عوارض التصدي، أي الشعور بالعجب والخيلاء والرفعة على الناس والاستعلاء عليهم، وهذا الشعور غير صحيح ولكنه من العوارض التي يصاب بها الإنسان في مواقع التصدي، «فانظر إلى عظم ملك الله فوقك» أي استحضر عظمة الله فوق رأسك، فمهما كانت مسؤوليتك كبيرة وعظيمة ومهمة، فلا تعد شيئاً نسبة إلى الله، وهو على كل شيء قدير وبكل شيء عليم، فليس لها قيمة، فتشعر بحالة من التصاغر في محضر الله سبحانه وتعالى. وهذه تحدث عندك حالة من التوازن وبذلك لا تفقد السيطرة على مشاعرك وتوازنك في نفسك.

«وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك»، وتذكر أن الله سبحانه وتعالى يتمكن من أمور أنت غير قادر على تحقيقها لنفسك، فالله أقدر علينا من أنفسنا وأقرب إلينا من جبل الوريد، «فإن ذلك يطامن إليك من طماحك»، أي يطمئن ويخفف من جماحك، والطماح يعني الجماح والطغيان والعناد والتمرد، وهذه الحالة تستطيع السيطرة عليها حينما تستذكر الله سبحانه وتعالى، «ويكف عنك من غربك»، وهذا الشعور يقلل من حالة الشدة والغلظة والتعسف التي تصاب بها من موقع المسؤولية. «وفيء إليك بما عزب عنك من عقلك»، ويعود إليك جزء من العقل الذي غاب عنك فأصبحت تشعر أنك مادمت مسؤولاً فلا تتعب نفسك حتى بالوصول إلى كبد الحقيقة، وهذا يعني أنه قد ضاع عقلك.

هكذا يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فمن العوارض ضياع العقل والمنطق والتفكير، لذا لا بد على المسؤول من إعادة العقل الضائع والغائب بحكم الموقع، وهو إنما يعاد حينما يستحضر المسؤول الله سبحانه وتعالى، ويجده شاهداً وحاضراً أمامه. وقد تحدثنا عن الإضاءة الثانية في هذا الموضوع المهم، وقلنا إن أول هذه العوارض حالة الطماح، أي

حالة التمرد والطغيان التي يصاب بها الإنسان وشرحنا هذا العارض . أما العارض الثاني فهو حالة الغرب ، أي حالة التعسف والشدة والغلظة والحدة .

أهمية التواضع

نلاحظ هنا أهمية هذا الموضوع وضرورة أن يتحلى المسؤول بسمات ضبط النفس والتعامل بهدوء وحكمة ، والخلق الحسن في التعامل مع من هو مسؤول عنهم . لاحظوا في سورة آل عمران : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(١٢٨) ، فلو كنت يا رسول الله قاسيا مع الناس لتفرق الناس من حولك ، فهذا اللين والتعامل الطيب مع هؤلاء الناس كان السبب في التفاهم من حولك ليقبوا قريبين منك وملتزمين بتوجيهاتك ، فلو كان المسؤول معصوما نبيا مرسلا ، بل خاتم النبيين وسيد المرسلين بحجم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، فهو أيضا بحاجة إلى هذا النوع من التعامل اللين ، وإلا لانفضوا من حوله ، فما بالك بمن هو دونه في المواصفات ، ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(١٢٩) ، فهذه المشورة تعلمهم المشاركة في الرأي والقرار ، والشراكة في القرار مبدأ قرآني ، حتى لو كان المسؤول والقائد نبيا مرسلا ، ولو كان معصوما ، حتى لو كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أيضا ، فعليه أن يشرك الآخرين ويتشاور معهم ، «فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» ، لكن لا تتردد يا رسول الله ، فبعد المشاورة اعزم وتوكل وامض ، لأن القرار القيادي دائما هناك من يعارضه ، فإذا ما توقفت عند كل معارضة وكل حديث فإنك لا تستطيع أخذ القرار ، كما لا تستطيع أن تخطو خطوة واحدة ، فإن اتخذت هذه الإجراءات فامض على بركة الله ، إن الله يحب المتوكلين .

مذمة الغرور

في الغرر عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ : «الخرق شر خلق»^(١٣٠) ، والخرق أي حالة الحدة والشدة ، إن أسوأ الأخلاق أن يكون الإنسان شديدا وعنيفا ، غليظا في التعامل مع الآخرين . وفي الغرر أيضا : «من خشنت عريكته أفقرت حاشيته»^(١٣١) ، أي من ساءت أخلاقه فإن أنصاره

١٢٨ . سورة آل عمران : الآية ١٥٩

١٢٩ . من الآية السابقة .

١٣٠ . غرر الحكم ، ج ١ - ص ٢٠٠

١٣١ . غرر الحكم ، ج ٥ ص ٣٢٥

تقلّ وتذهب إلى غيره ولا يبقى معه أحد، فلا تستطيع الناس تحمل الشدة والغلظة، بل من دأب الناس أنها تريد محبة ولطفا ورعاية.

وفي نهج البلاغة الحكمة ٤٧٦: «استعمل العدل واحذر العسف»^(١٣٢)، احذر من التعامل بالشدة والغلظة بغير وجه حق، «والحيف»، الحيف هو الخروج من العدل، والظلم، فلا تتعسف ولا تضغط على الناس ولا تظلمهم، فلا تخرج عن العدل في التعامل معهم، «فإن العسف يعود بالجلاء»^(١٣٣)، فالضغط المستمر على الناس يسبب هجرتهم وجلاءهم، «والحيف يدعو إلى السيف»، وإذا ما تجاوزت العدل وظلمت الناس فسيكون للمظلوم موقف إزاءك، حتى لو كنت طاغية كطغيان صدام حسين، لأن الضغط المستمر سوف يوصل الناس إلى مستوى من الاحتقان ويجعلها ثور، وقد لاحظنا ما حصل مع أبناء شعبنا، كما نلاحظ اليوم التحولات العربية ونجد كيف تتعامل بعض الشعوب مع الحكام الذين ظلموها واعتدوا وتجاوزوا عليها، فمهما كنت أيها الزعيم والمسؤول قويا ومتفرعا، لكن حينما تتكون الإرادة الجماعية لدى الشعب فلن تقف بوجهه الدبابات ولا الجيوش ولا الأجهزة الاستخبارية والمنظومات الحديدية.

الغضب والانفعال

في الكافي عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل»^(١٣٤) فالغضب والانفعالات والشدة والقسوة تفسد الإيمان وتخرج الإنسان عن جادة الصواب، وفي رواية أخرى عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «مكتوب في التوراة في ما ناجى الله عز وجل به موسى، يا موسى أمسك غضبك عمن ملكتك عليه أكف عنك غضبي»^(١٣٥).

فإذا أراد المسؤول أن يتخلص من غضب الله فعليه أن يكظم غيظه ويمسك أعصابه حينما يتعامل مع من هو مسؤول عنهم. وفي رواية أخرى أيضا عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كف نفسه عن أعراض الناس أقاله الله نفسه يوم القيامة»^(١٣٦)، أي أن الله تعالى سيقبل الإنسان يوم القيامة إذا ما كف عن هتك أعراض

١٣٢. نهج البلاغة ج٤- ص١٠٩

١٣٣. المصدر نفسه.

١٣٤. الكافي، ج٢ ص٣٠٢

١٣٥. الكافي، ج٢- ص٣٠٣

١٣٦. وسائل الشيعة ج١٢- ص٢٩٨

الناس والحديث عن أسرارهم وعيوبهم ، وهذه ظاهرة سيئة ، فيحتمل أن يخطئ الإنسان أو يشذأ أحيانا عن الطريق ، وحينما تطلع على ذلك فمن المفروض أن تحافظ على حرمتهم ولا يجوز لك أن تشيع أسرارهم ، «ومن كف غضبه عن الناس كف الله تبارك وتعالى عنه عذاب يوم القيامة» ، فالله سبحانه سيبعده عن العذاب يوم القيامة إذا ما أحسن التعامل مع الآخرين ، فالطريق إلى الله يمر من خلال خدمة العباد والتواضع للناس والعمل الصالح لهم والتعامل الرقيق معهم .

العارض الثالث: عزوب العقل

«وفيء إليك بما عزب عنك من عقلك» ، إن عزوب العقل هو أن يصبح الإنسان المسؤول في حركته غير خاضع لمعايير العقل والمنطق فتكون قراراته ارتجالية ليس فيها شيء من التعقل والدراية والمنطق . لاحظوا الحكمة ٢١٢ في نهج البلاغة : «عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله»^(١٣٧) ، فالعجب يصبح أحد الحساد لعقل الإنسان ، يحسده ويرميه جانبا ، فالارتجاليات والنرجسيات تأخذ الإنسان المسؤول إلى اتخاذ مواقف بمعزل عن العقل والتدبر .

في الحكمة ٢١١ في نهج البلاغة يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ : «كم من عقل أسير تحت هوى أمير»^(١٣٨) ، حيث يصبح الهوى والشهوات وحب الذات أميرا والعقل أسيرا لديه . وفي الكافي من خطبة أمير المؤمنين المعروفة بخطبة الوسيلة قال عَلَيْهِ السَّلَامُ : «أيها الناس من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره»^(١٣٩) ، إن انشغالك بتفحص عيوبك - وسبحان من لا عيب له - سوف يشغلك عن الاهتمام بعيوب الناس .

وفي رواية عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس»^(١٤٠) ، الأفضل أن يشتغل الإنسان بنفسه لينظر ما هي عيوبه وما هي أخطاؤه ، ويذهب إلى تصحيحها خير من أن يترصد عيوب الآخرين ، «ومن رضي برزق الله لم يأسف على ما في يد غيره ، ومن سل سيف البغي قتل به ، ومن حفر بئرا لأخيه وقع فيها . ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن نسي زلله استعظم زلل غيره ، ومن أعجب

١٣٧ . نهج البلاغة ج٤ - ص٤٩

١٣٨ . نهج البلاغة ج٤ - ص٤٨

١٣٩ . الكافي ، ج٨ - ص١٩

١٤٠ . وسائل الشيعة ج١٥ - ص٢٨٩

برأيه ضل ، ومن استغنى بعقله زل ، ومن تكبر على الناس ذل^(١٤١) ، إذا ما شهرت سيفك في الاعتداء على الآخرين والإساءة إليهم فقد تستطيع أن تحقق مكاسب معينة وتشوش على الحقيقة لكن هذا السيف نفسه سوف يذبحك ، والإشاعة التي أطلقتها واتهمت الآخرين في أعراضهم وأموالهم وأخلاقهم وسلوكهم من خلالها هي نفسها ستعود لتشملك وتستهدفك بسهمها أنت أو ذريتك أو أقربائك ، فلا تكن البادئ ، فالبادئ أظلم كما في بعض النصوص .

«ومن حفر بئرا لأخيه وقع فيها» ، وهذه سنة إلهية ، وليس بوسع أحد الإفلات منها ، إنما المسألة مسألة وقت ، « ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته » ، فيا أيها المسؤول عليك بستر أعراض الآخرين ، فإن الله سيستر عورتك بحكم مسؤوليتك ، وقد تصلك تقارير أمنية وعن تفاصيل داخلية فلا تذهب بها إلى وسائل الإعلام وتهتك أعراض الناس لمعلومة قد تكون غير صحيحة ، فمثل هذا الأمر سيرتد عليك ذات يوم ، « ومن نسي زلله استعظم زل غيره » أي أن الذي لا يرى أخطائه تكبر بعينه أخطاء الآخرين ، لكن الذي ينشغل بعيوبه ينشغل بذلك عن عيوب الناس ، « ومن أعجب برأيه ضل » ، هنا الشاهد ، فالإعجاب بالرأي يؤدي إلى الضلال والانحراف وضياع العقل ، « ومن استغنى بعقله زل » ومن شعر بالاستغناء عن الرجوع إلى العقل والتدبر والترث والتأمل والتبصر فمصيره أن يزل ويتعد عن طريق الصواب ، « ومن تكبر على الناس ذل » ومن يتكبر على الناس يذله الله لأن إرادة الله أن تبقى الشعوب وأن يبقى المجتمع ، فمن يرد أن يتكبر على الناس فليترقب الذل والهوان والعياذ بالله .

السيطرة على عوارض السلطة

والإضاءة الأخيرة التي استعرضناها في طي هذه الإضاءات هي طرق السيطرة على عوارض السلطة والنفوذ ، كيف يمكن الحد منها وكيف يمكن علاجها وكيف نمنع من تأثيراتها؟ . جاءت هذه الكلمة لتشير إلى العلاج : « فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك » ، فهذه هي التي تجعلك تسيطر على مشاعرك وتتجاوز هذه العقبات والتحديات التي تقف بوجهك .

فمن لا يستطيع إصلاح نفسه كيف باستطاعته أن يصلح شخصا آخر ، فضلا عن أن يصلح مجتمعا بأكمله؟! ، كلا ، فأنت يا مسؤول إذا أردت من الناس أن تلتزم بالقانون

فلا بد من أن تبدأ من نفسك ، وإذا أردت من الناس أن تلتزم بالقيم فلا بد من أن تبدأ من نفسك ، فإذا بدأت من نفسك وأصلحت سريرتك حينذاك بإمكانك أن تتوقع إصلاح سريرة الآخرين .

ومن لا يدرك جلال الله وجبروته ومن لا يستحضر عظمة الله سبحانه وتعالى لا يستطيع أن يكتشف نفسه وحقيقة وجوده ، وهل من إمكانية للفصل بين المخلوق وخالقه؟ ، لا يمكن ذلك بطبيعة الحال ، وكل واحدة ملازمة للثانية ، فكلما تعرفت أكثر على عظمة الله ، تعرفت على نفسك وعلى جوهرك ووجودك وحقيقتك ، ومن لا يدرك حقيقته لا يعرف قيمتها ، ومن لا يعرف دوره في هذه الحياة ومنزلته ومكانته في هذا الكون فلن يستطيع أن يسيطر على نفسه وسوف يقع في الزلل والانحراف وسيسيء إلى الآخرين ويعتدي عليهم ، وسيصاب بالغرور ويتوهم أن الدنيا كلها من خلال هذه اللقطة القصيرة التي يراها لنفسه وهو وزير أو مسؤول أو ما إلى ذلك .

فمن لا يعرف نفسه سوف يقع في الغرور وينحرف ومن ينحرف سوف يهزم من الهوى ومن الحالات النفسية والنجسيات التي يصاب بها . والمسؤول حينما يكون مهزوما داخليا لن يستطيع أن يبعث الأمل والحماس والحياة في المجتمع وفي من هو مسؤول عنهم . لذا ترون هذه الحلقات مترابطة ، أيها المسؤول إذا أردت النجاح عليك أن تبدأ من نفسك وأن تعرف قيمتك ومنزلتك كإنسان وليس كمسؤول ، حتى يتلاشى الهوى وتقف أمام العوارض وحتى تكون قويا وتمنح القوة للآخر ، وتحقق النجاح في منظومتك القيادية ، ومن دون ذلك لا يمكن أن يتحقق النجاح .

المشهد السياسي المحلي

مازلنا نشهد التوتر في ما بين بعض الأطراف السياسية في بلادنا ، وأصبح الهم السياسي يمثل واحدا من الأعباء الإضافية التي يواجهها المواطن العراقي ، إضافة إلى أعبائه الأمنية وهمومه الخدمية والمعيشية ، إن معالجة هذا الواقع تتطلب مرونة وتنازلا من الجميع . ومادام السياسيون يتصلبون في مواقفهم وقناعاتهم وطموحاتهم ولا يتعاملون بمرونة فلا بد من أن نتوقع استمرار هذه المشاكل والأزمات ، وحتى لو حصلت حلول معينة ومعالجات فستبقى هذه الحلول ترقيعية ووقفية ، وسنبقى نعالج الأزمة بأزمة أخرى حتى نصل إلى مستوى من القناعة بضرورة التنازل للشريك وللآخر والقبول بالآخر شريكا حقيقيا ، والتعامل المرن في مجمل الأوضاع العامة في بلادنا ، إن على الجميع أن ينتصر للعراق وأن ينتصر للشعب ويتجاوز المصالح الضيقة الشخصية والحزبية والفئوية ،

فالشعب العراقي قدم الكثير من التضحيات ويستحق أن يعيش ظروفا أفضل مما يعيشها اليوم، في ظل هذه التوترات السياسية والأمنية والضعف في الجانِب الخدمي الذي نلمسه في مختلف مناطق البلاد.

مبادرة الحوار الوطني

إننا على استعداد كامل للقيام بأي جهد يحقق حالة الوثام والتقارب بين الأطراف السياسية، ويساعد على تخفيف هذا التوتر والتحول إلى الفريق الواحد، الذي يضع يدا بيد لخدمة المواطن وحل مشاكل الشعب. إننا كما كنا عبر تأريخ طويل، منذ شهيد المحراب وعزيز العراق وإلى يومنا الحاضر، نمارس هذا الدور في التقريب بين الأطراف، وتخفيف الاحتقان وإزالة التوتر من المشهد السياسي، لنشهد الجميع متماسكين ومتراصين في ظل هدف واحد وغاية واحدة، هي خدمة الناس والوقوف إلى جانبهم وحل مشاكلهم.

ولا يمكن أن نصل إلى حلول واقعية إلا من خلال حوار جاد وبناء، لا بد من أن نخوضه من خلال جلوس القادة العراقيين والقوى السياسية المؤثرة على طاولة واحدة للحوار، لتجلس وتتحدث وتتجاوز وتعالج المشاكل العالقة في ما بينها. إن الحل من وجهة نظرنا لإزالة التوتر في المشهد السياسي إنما يكمن في الالتزام بحوار وطني شامل، يعتمد على مبادئ خمسة، إذا ما التزمنا بها فستتحقق النتائج ويخف التوتر ويطمئن الجميع، وتجعلنا أمام واقع صحي جديد، بإمكاننا أن ننطلق بالبلد وأن نعزز الخدمة لأبناء شعبنا. وهذه المبادئ الخمسة هي :-

المبدأ الأول/ أن نجتمع ونتحاور، ولكن ليس للحوار وللمجاملات السياسية، وإنما للخروج بحلول حقيقية وجذرية للمشاكل العالقة في ما بيننا. ولا بد من أن نتعامل بصراحة ومكاشفة ووضوح وبنوايا صادقة وثقة متبادلة بين الأطراف، وبنبرة هادئة في هذا الحوار والابتعاد من المناورات السياسية والتكتيكات الضيقة والقصيرة حتى نستطيع أن ننجح الحوار الوطني الشامل.

المبدأ الثاني/ أن يكون الجميع مستعدا للتنازل عن بعض طموحاته ورغباته ومطالبه للوصول إلى الحل الوسط، وليبنى هذا الحوار على أساس تقديم مصالح الوطن والشعب على أية مصالح جزئية أخرى، إن الحوار يجب ألا يكون على أساس الربح والخسارة، فلا ربح لشريك بخسارة شريكه الآخر ولا ربح لأحد إذا خسر العراق، وأقولها بصراحة إذا ربح العراق فسيربح الجميع حتى لو فقدوا بعض الامتيازات هنا أو هناك، وإذا خسر

العراق فسوف يخسر الجميع حتى لو حصلوا على بعض الامتيازات هنا وهناك ، ربنا جميعا بريح العراق وخسارتنا جميعا بخسارة العراق وإذا انتصرنا للعراق وشعبه سينتصر العراق لنا أيضا .

المبدأ الثالث/ يجب أن يكون هذا الحوار الوطني شاملا على أساس تفكيك الأزمات وتذويبها ، وليس التصعيد في الأزمات ومعالجة كل أزمة بخلق أزمات أخرى . وهو يتطلب أن نحدد المساحات الواسعة من الالتقاء والمشاركات المهمة في ما بيننا ، نحددها ونجتمع عليها ونضع يدا بيد ونمضي قدما في تحقيقها مادامت قضايا متفقا عليها ، ولنحدد مواطن الاختلاف ولنجلس ونتحاور ونعالج هذه الاختلافات ونوحد رؤيتنا ونصل إلى نتيجة واحدة في حل هذه الإشكاليات ، وإن هذه الحلول إنما تصح حينما ننظر إلى الواقع بنظرية السلة الواحدة ، من يبحث عن حلول خاصة لحزبه أو فئته أو طائفته أو قوميته لا يستطيع أن يجد هذه الحلول ، الحلول الصحيحة هي الحلول العامة التي تنتصر لجميع العراقيين بكل شرائحهم وتوجهاتهم ، وقد يخسر البعض شيئا في مكان ولكنه يربح في مكان آخر حينما ننظر إلى حلول السلة الواحدة . إن الحلول الجزئية والترقيعية لا تستطيع أن تعالج مشاكل البلد ، وإنما علينا أن نذهب إلى رؤية متكاملة في حلول جذرية شاملة .

المبدأ الرابع/ اعتبار الدستور هو السقف الذي نتحاور تحته وعلى أساسه ، من دون أن نحمله تفسيرات وتحويرات وتحليلات بعيدة عن الفهم الطبيعي لمواده وفقراته ، ومن دون أن نركز على بعض موادّه ونتغافل عن البعض الآخر من هذه المواد ، الدستور إنما أصبح مظلة لجميع العراقيين لأنه لاحظ حقوقهم في هذه المادة أو تلك ، فحينما ننظر نظرة تجزيئية لهذا الدستور ونبحث عن المواد التي نخدم كلا منا ونأخذ بها ونهمل المواد الأخرى سنكون قد ابتعدنا عن الإنصاف ، وبدأنا في الاختلافات التي لا يمكن أن تضع حدا لهذا التوتر ، إذن القبول بالدستور بشكل كامل وليس بطريقة تجزيئية ، وهذه مسألة في غاية الأهمية .

المبدأ الخامس/ تجنب الاتفاقات السرية والتفاهات الثنائية والصفقات تحت الطاولة ، والذهاب إلى حوار وطني شامل وواضح والخروج باتفاقيات وطنية واضحة تعلن في الملأ على الشعب العراقي ، ليتعرف أبناء شعبنا على ما تم الاتفاق عليه بين القوى الوطنية . وحينذاك سيكون الشعب العراقي هو الضمانة الحقيقية لتنفيذ هذا الاتفاق ، لأنه سيعرف على ماذا اتفقوا وكيف وضعوا يدا بيد ، وإذا ما حصل خروج عن تلك الاتفاقات ونقض للالتزامات سيتبين لأبناء شعبنا من الذي نقض ومن الذي تخلف عن هذه الاتفاقات .

إن هذه المبادئ الخمسة بحسب ما نعتقد تمثل الخطوة الأساسية والمظلة التي يمكن أن تضمّن جميع الأطراف ، وأن توجد المناخ الصحي لحوار وطني ناجح وبناء يوصل إلى نتائج حقيقية تضع حدا لهذه التوترات والمشاكل ، حتى أصبح المواطن يشعر بالإحباط من كثرة التراشقات الإعلامية بين القوى السياسية .

أيها الأعراء لنستذكر جيدا أننا جميعا عراقيون وطيون ولا يمكن أن تحل مشاكل البلد إلا حينما نعترف بعضنا بالآخر ، ونجلس على طاولة واحدة ، ونعالج مشاكلنا بأنفسنا ونبتعد عن الاتهامات بعضنا بحق الآخر بالعمالة والارتباط بالأجنبي والتأمر وما إلى ذلك من اتهامات تطلقها الأطراف بعضها على بعض . إنني أوجه ندائي لجميع القوى السياسية والقيادات العراقية الكريمة وأقول لهم أمامكم وأمام الشعب العراقي ، ليقف كل منكم ويقل كلمته في هذا الحوار وفي هذه المبادئ الخمسة ، فمن كان مقتنعا بهذا الحوار الوطني وبهذه المبادئ فليفصح وليجهر وليتحدث بها أمام الناس وأمام الشعب ، ومن لا يرتضي الحوار أو لا يرتضي هذه المبادئ أو له تعديلات عليها فليخرج إلى الشعب ويقل كلمته حتى يكون الشعب العراقي على وضوح وبينه ممن يريد أن يتحاور ويحل مشاكل البلد ، ومن له رؤية أخرى في التعاطي مع هذه التوترات السياسية . فالشعب أفضل من نعود إليه ونحتكم له لحل هذه الإشكاليات .

الفساد أخطر من الإرهاب

إن الفساد أصبح خطرا عظيما يخاطر بالدولة العراقية وهو أخطر من الإرهاب بكل صوره . لأن الإرهاب يأتي من العدو والإرهاب أصبح مكشوفاً أمام الشعب العراقي في أهدافه وغاياته وفي وسائله والطرق التي يعتمد عليها في استهداف المواطنين والإساءة إليهم . بل أصبح الإرهاب سببا إضافيا لتوحد الشعب في مواجهته ، الإرهاب يوحدنا ويجعلنا جميعا في خندق واحد لمواجهته والقضاء عليه ، ولكن الفساد حينما يصدر في بعض حالاته من مسؤولين لهم مواقع مهمة في الدولة العراقية ، وحينما يصدر الفساد من شخصيات وضع الشعب ثقته بها حينما حملهم المسؤولية المباشرة أو من خلال ممثليهم في مجلس النواب ، مثل هذا الفساد لا يمكن أن يبرر ولا يمكن أن ندافع عنه فهو من ظلم ذوي القربى ، وظلم ذوي القربى أشد مضاضة .

والفساد اليوم ظاهرة يتحرك في بعض حالاته داخل البيت ، ولذلك يمثل خطرا كبيرا على تجربتنا العراقية . إننا في الوقت الذي ندين ونستنكر بأقصى العبارات كل ظواهر الفساد الذي يجري الحديث عنها في البلاد ، لكننا نحذر أيضا من لون آخر من الفساد ألا

وهو الشعارات التي ترفع لمكافحة الفساد، إن تسييس ملف الفساد هو الآخر فساد يجب أن نقف بوجهه ونواجهه ونكافحه، إن استخدام قضية الفساد كورقة وسلاح لمواجهة الخصوم السياسيين والضغط عليهم، واستهداف الحكومة والمسؤولين في الحكومة تحت يافطة الانتصار للنزاهة ومكافحة الفساد أو استخدام الحكومة لهذا الموضوع للضغط على من يختلف معها في الرأي، يمثل ظاهرة أخرى يجب الوقوف عندها ومعالجتها.

ومن هذا المنطلق أعتقد بأنه يجب أن نفكك بين مكافحة الفساد ضمن الوسائل الدستورية والسياقات القانونية وبين منطق التشهير والفضائح ونشر الغسيل والانتهاكات المتبادلة عبر وسائل الإعلام، دون تمحيص وثبت وتأكيد مما يقال من قبل المؤسسات القضائية المختصة. إن هذا يعتبر تلاعبا بسمعة الناس وبسمعة المسؤولين وقد يكون الشخص بريئا وقد يكون له مبررات يقدمها للجهات القضائية والمسؤولة، ولكنها حينما تطلق في وسائل الإعلام كيف له أن يدافع عن نفسه وقد سقطت حرمة بين الناس.

إن حرب الوثائق المزعومة التي تجري اليوم عبر وسائل الإعلام والتي تصل في بعض حالاتها إلى كسر العظم السياسي بين بعض الأطراف تجاه البعض الآخر تمثل مصداقا واضحا من مصاديق استخدام الوسائل الفاسدة لمكافحة ظواهر الفساد المزعومة، إن حرمة الإنسان وكرامته وهيبة الدولة ومؤسساتها والمسؤولين العاملين فيها تتطلب اعتماد الوسائل الدستورية والقانونية في ملاحقة ظواهر الفساد المحتملة بعيدا عن التشهير واستخدام وسائل الإعلام في هذه المسألة الحساسة والخطيرة.

تطورات المشهد العربي

مازلنا نرصد التطورات الإيجابية في المشهد العربي والتحويلات التي تتراكم في بعض البلدان التي شهدت هذه التحويلات، ومن الملفت هو الاستفادة من التجربة العراقية الوليدة في بناء التجارب الجديدة في الوطن العربي، نقف في موضع الاعتزاز أمام الشقيقة تونس وهي تستعد لإجراء الانتخابات في ٢٣ من الشهر الجاري لتشكيل المجلس التأسيسي، الذي سيُكَلَّف بصياغة الدستور التونسي، إذن في تونس لم يقبلوا لأنفسهم أن يصاغ الدستور بأياد معينة وإنما أصروا على أن يشكلوا مجلسا تأسيسيا منتخبا ليصوغ الدستور بأياد منتخبة، كما أصرت المرجعية الدينية في العراق على أن يصاغ الدستور العراقي بأياد منتخبة، وهذا ما حصل في تشكيل مجلس نواب منتخب قام بصياغة الدستور فيما كان للقوات الأجنبية رأي في صياغته بأياد معينة.

كما لاحظنا في تونس أيضا تشكيل الهيئة العليا المستقلة للانتخابات لتمارس إدارة العملية الانتخابية، وليس وزارة الداخلية التونسية التي كانت تجري هذه الانتخابات في ظروف سابقة، على غرار المفوضية العليا المستقلة للانتخابات التي تدير العملية الانتخابية بشكل مستقل عن الوزارات الحكومية في العراق.

أما الوضع في ليبيا، فالمجلس الانتقالي الليبي هو الذي يدير شؤون البلاد على غرار مجلس الحكم الانتقالي في العراق ونتمنى، كما تجاوز الشعب العراقي مرحلة مجلس الحكم بسرعة إلى حكومة انتقالية ثم حكومة منتخبة، نتمنى لأشقائنا في ليبيا أن يوفقوا بسرعة لتشكيل حكومة ليبية قادرة على توحيد الجيش والشرطة والأجهزة الأمنية وباقي مؤسسات الدولة، وتأخذ بالبلاد إلى بر الأمان وخدمة أبناء الشعب الليبي. في الجزائر نتابع في هذه الأيام المصادقة وإقرار مشروع قانون يلزم القوى السياسية بإعطاء الكوتا للمرأة وإلزام هذه القوى بترشيح ٣٠٪ من مرشحيهم من السيدات لضمان التمثيل النسوي في البرلمان الجزائري على غرار الكوتا التي كانت في تجربتنا العراقية، وكان العراق البلد العربي الوحيد الذي تلزم تشريعاته وقوانينه بحضور نسبة معينة لا تقل عن ٢٥٪ وتجاوزت ٣٠٪ في عدة دورات من التمثيل للشريحة النسوية.

اليوم العالمي للمدرسين والمعلمين

في الخامس من تشرين الأول نحتفل باليوم العالمي للمدرسين والمعلمين، هذه الشريحة المهمة، ونعرف أن هناك ما يزيد على ٦٠ مليون مدرس ومعلم في العالم يقدمون الخدمة لأكثر من مليار طفل في مختلف مناطق العالم، وأغلب هؤلاء في الدول النامية وفي البيئة الفقيرة. إننا نوجه من جديد التحية والاحترام والتقدير لكل أولئك الذين يبذلون الجهد في تعليم أبنائنا في العالم عموما وفي العالم العربي على وجه الخصوص وفي العراق على وجه أخص، ولاسيما أننا في العراق فخورون بوجود ما يقرب من مليون شخص بين معلم ومدرس وأستاذ جامعي ومشرف تربوي وكوادر عاملة في قطاع التعليم، نعتقد بضرورة العمل على تحسين ظروفهم المعيشية وتطوير مهاراتهم وقابليتهم التعليمية ليكونوا في خدمة الجيل الجديد وبنوا جيلا يضمن لنا مستقبلا زاهرا بإذن الله.

اليوم العالمي للسكن

في الأول من شهر تشرين الأول نحتفل باليوم العالمي للسكن، وقد أصبحت أزمة السكن من الأزمات الكبيرة في عالمنا اليوم، إذ إن هناك أكثر من مليار إنسان في العالم يعيش في بيوت الصفيح والطين، وفي ظروف خدمية معدومة. إن من حق الإنسان أن

يحظى بفرصة سكن لائق يحترم كرامته ويوفر الرفاه بحدوده المعقولة ويستوفي المعايير الدولية للسكن بوجود ضمانات قانونية للحياسة، ولا يبقى الإنسان في أماكن التجاوز، ومن الممكن في كل لحظة أن يتعرض إلى مشكلة، فالحياسة والضمانات القانونية للحياسة واحد من أهم حقوق الإنسان في موضوعة السكن، وكذلك توفير الخدمات الضرورية للسكن وتقديم التسهيلات من قبل الحكومات في العالم التي تمكنهم من حياسة المساكن والوصول إلى مساكن ضمن قدرتهم الشرائية وظروفهم المعيشية.

ولا بد من ملاءمة السكن مع الواقع الثقافي للشعوب والأمم، هذه هي المعايير الدولية التي وضعت للسكن، ونتمنى أن نجد هذه المعايير في العراق أيضا. إننا سعداء بما قامت به الحكومة العراقية الموقرة من تخصيص ملياري دولار لسنة ٢٠١٢ لبناء السكن في العراق، وما أعلنته الهيئة الوطنية للاستثمار من أنها منحت خلال السنتين الماضيتين ٥٤٢ إجازة استثمارية تقدر بقيمة ٢٤ مليار دولار، نصفها تخص السكن في العراق، أي ١٢ مليار دولار، وهناك ملياران من الحكومة، وهذا يعني ١٤ مليار دولار، وهو رقم كبير من الممكن أن يساعد على بناء عدد كبير من الوحدات السكنية.

إننا نشكر ونتمن دور الحكومة بموضوع السكن للمواطنين العراقيين وتخصيص هذه الميزانيات الكبيرة على نحو التخصيص الحكومي أو المنح والإجازات الاستثمارية، ونتمنى وضع خطة طموحة تمكن من حياسة كل عائلة عراقية لوحدة سكنية لائقة ومناسبة. ونتمنى أيضا بذل الجهود في توزيع عادل لهذه الوحدات السكنية القليلة الكلفة، التي يفترض أن تبنى بشكل واسع خلال السنين القليلة القادمة. إننا نعبر عن تضامننا مع الشرائح المسحوقة والفقراء والمحرومين ومن لا يمتلك الفرصة لسكن كريم وعزيز ينسجم مع ظروفه وواقعه وعائلته، ونتمنى أن نشهد نهاية حاسمة لظاهرة بيوت الصفيح في العراق وفي الوطن العربي بشكل عام.

نناشد بدور ثالث للطلبة

بظهور نتائج امتحانات الدور الثاني للمدارس والجامعات أصبحنا أمام طلبات ملحّة لعدد كبير من الطلبة والطالبات. إذ يطالبون بمنح فرصة كما كان في سياق سابق، من خلال دور ثالث في الاختبارات، مما قد يتيح الفرصة لعدد كبير من هؤلاء أن يتجاوز هذه الأزمة ولا يضطر لإعادة سنة دراسية كاملة، إننا إذ نشيد بالدور المهم الذي تمارسه وزارتا

التربية والتعليم العالي ، ونشكرهم على جهودهم الكبيرة في القطاع التعليمي في العراق ،
وإذ نشدد على أهمية تطوير المستوى العلمي في البلاد مما يجعل العراق بلدا متطورا في
واقعه التعليمي ، إلا أننا نناشد السادة المسؤولين من خلالكم إضافة إلى الاتصالات التي
أجريناها مع الوزارتين الكريمتين أن يمنحوا هذه الفرصة لطلابنا وطالباتنا ولأبنائنا وبناتنا
بأن يخوضوا دورا ثالثا في الامتحانات ويجربوا فرصتهم في اجتياز المعدلات المطلوبة
للنجاح .

لا بد لنا من أن ننظر بواقعية إلى واقع طلابنا ، من الظروف المعيشية الصعبة ، والواقع
السياسي المتوتر ، والواقع الأمني والخدمي ، وهي جميعا تشكل ضغوطا كبيرة على طلابنا
وطالباتنا وأعزائنا في فترة الدراسة والامتحانات ، مما يجعل الطالب العراقي في ظروف
غير مستقرة فيخفق البعض في تحقيق درجات النجاح ، وهذا ما يتطلب تفهما لهذا الظرف
الاستثنائي ، وإذا كانت الدولة العراقية في مجمل سياساتها وخطواتها تلحظ هذا الظرف
الاستثنائي في ملفات كثيرة وكثيرة فلماذا لا تلحظه في هذا العدد الكبير من الطلاب
والطالبات الراغبين في أن يخوضوا امتحان الدور الثالث ، تمنياتنا على الحكومة الموقرة
والوزارات المختصة أن تهتم بمنح هذه الفرصة لأبنائنا الأعزاء .

ارتفاع إنتاج النفط

بسعادة كبيرة استمعنا إلى إعلان وزارة النفط بلوغ إنتاج النفط العراقي ٢,٩٠٠,٠٠٠
(مليونين وتسعمائة ألف) برميل في اليوم الواحد . وهو أعلى إنتاج يحققه العراق منذ
٢٠٠٣ وإلى يومنا الحاضر ، إنها خطوة مهمة ونحن نعبر عن شكرنا وتقديرنا لوزارة
النفط وكل العاملين في هذا القطاع المهم والحيوي على هذا الإنتاج المهم ، وكلنا أمل
في أن تتواصل الجهود لرفع مستوى الإنتاج النفطي بشكل سريع بما يوفر إيرادات مالية
متعاظمة يمكن أن تدعم الموازنة العراقية ، ولكن القلق كل القلق من أن هذه الأموال
الكبيرة الناتجة من تصدير النفط لن تصرف ضمن خطط إستراتيجية تشعر المواطن
البيسط بفائدتها ، ويرى آثارها في حياته ، من خلال الخدمات والرفاه والعيش الرغيد
الذي يحصل عليه عبر هذه الميزانيات الكبيرة ، إن الحكومة الموقرة أمام تحد كبير ؛ كيف
تستثمر هذه الأموال بما يعزز الخدمة لأبناء شعبنا؟ .

مهرجان بغداد السينمائي

افتتح مهرجان بغداد السينمائي الذي يضم ١٥٠ فيلماً وثائقياً من ٣٢ دولة، وهو أضخم مشاركة عربية ودولية يشهدها هذا المهرجان العراقي في تاريخه، بهذه المناسبة أهني القائمين على هذا المهرجان للجهود المضنية التي بذلوها لإنجاحه، ليكون بهذه الحلة المهمة المؤثرة ولتعود السينما العراقية، ويعود الفنان العراقي ليأخذ موقعه المتصدر في مجمل العملية الفنية في الوطن العربي وفي المنطقة وفي العالم برمته، كما نشكر الدول والشركات والمنتجين الذين شاركوا في هذا المهرجان بمساهماتهم.

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١١/١٠/١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل، إخوتي الأكارم، أخواتي الفاضلات، بدايةً أرحب بكم أجمل ترحيب في مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين .

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة، وذكرنا أن عهد أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام لمالك الأشر حين ولاه مصر يمثل اختزالاً لهذه النظرية . وقد تحدثنا عن مجمل هذا العهد وعن المقاطع العديدة التي تحدث فيها أمير المؤمنين عن تفاصيل هذه النظرية، وكان الحديث في المقطع الخامس من هذا العهد وهو قوله عليه السلام: «إياك ومساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته فإن الله يذل كل جبار ويهين كل مختال»^(١٤٢)، وهنا يحذر أمير المؤمنين مالكا الأشر، ويحذر كل مسؤول من خلاله يتصدى للمسؤولية، من أن يسامي ويجاري الله في العظمة ويتشبه بالله سبحانه وتعالى في الجبروت، فإياها المسؤول إن الجبروت والعظمة والفخر لله وحده، فلا تتشبه بسمات الله، وعليك أن تحافظ على تواضعك وتخضع الجناح للناس الذين أنت مسؤول عنهم وهذا الشرط السادس من شروط نجاحك في هذه المهمة .

خدمة الرعية

لقد تحدثنا عن طبيعة العوارض التي يصاب بها الإنسان عندما يتصدى للمسؤولية، ونحدث اليوم عن هذا المقطع المهم وهو التشبه بالله وحالة الكبرياء والعظمة، حينما يصاب بها الإنسان المسؤول في مواقع المسؤولية، حيث يرى نفسه أفضل من غيره، وهذا مرض عضال ومشكلة مزمنة تدفع الإنسان إلى مزيد من النرجسية.

أيها المسؤول بحكم مسؤوليتك اهتم بتدبير الأمور وتدبر مسارات العمل في مساحة مسؤوليتك، فمن واجبك أن تضع الخطط والبرامج لإنجاح ما أنت مسؤول عنه، ومن واجبك أن تحشد الإمكانيات وتعبئ الطاقات لتحقيق ذلك الهدف المرجو منك. أنت يا وزير الكهرباء عليك أن تضع الخطط والثوابت وعليك أن تسخر كل الإمكانيات المتاحة في هذه الوزارة لتوفير الكهرباء للناس، وأنت يا وزير التجارة عليك أن توفر البطاقة التموينية للناس، وأنت يا وزير الصحة يجب أن تضع الخطط للمستشفيات كي تعمل بشكل صحيح لتوفير الرعاية الصحية للناس، أيها المسؤول أنت من واجبك أن تمارس الإشراف والرقابة على سير العمل، وأنت من واجبك أن توجه العاملين ليعرفوا واجباتهم ومهامهم، حتى تُعبأ الطاقات لتحقيق الهدف المرجو.

فمن مسؤوليتك أن تخلق الدوافع وتوجد المحفزات الذاتية التي تجعل الجميع يسعون من أجل تحقيق هذا الهدف، وأن توجد وتنظم علاقات وثيقة مع فريق العمل، إن العلاقة بين فريقك ليست علاقة حاكم ومحكوم، وليست علاقة متسلط ومتسلط عليه، بل علاقة راع برعيته، فأنت خادم تخدم، والناس هم الرعية الذين يستحقون منك هذه الخدمة التي تقدمها لهم.

التصاغر أمام الله

لاحظوا ماذا يقول علي عليه السلام في الخطبة ٢١٦ في شرح هذه النقطة، وقد خطبها في صيفين، أي في أجواء الحرب والتحشيد والتعبئة، يقول علي عليه السلام: «إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظَّمَ جَلَالَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِهِ وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ»^(١٤٣)، إن من تعظم مكانة رب العالمين في عينه فمن حق الله عليه «أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ كُلُّ مَا سِوَاهُ». من يرى الله كبيرا يجب أن يصغر الآخرون في عينه، أيها المسؤول إذا كنت ترى الله كبيرا في عينك فلا بد من أن يصغر ما دونه، أيها المواطن إذا كان الله كبيرا فإن المسؤول لا يساوي شيئا في مقابل

الله تعالى ، « وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ » ، فكلما كبرت نعمة الله على الإنسان كان شعور الإنسان هو التصاغر أمام الله ، وهذه نراها حتى في الظواهر البشرية ، فحينما يقدم لك أحدهم خدمة فإنك تشعر بالشكر والامتنان وحينما يقدم لك خدمة كبيرة فحينها تشعر بالامتنان الكبير له ، وهكذا فالله عز وجل كلما كانت نعمته على العباد أعظم كان على العباد واجب استشعار التصاغر أمام الله والشعور بعظمته أكبر .

فهذا المسؤول إنما وصل إلى هذا المكان الذي هو فيه بتوفيق من الله ، فعليه أن يستشعر عظمة الله أكثر من الإنسان البسيط «وَلَطْفَ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أزدَادَ حَقُّ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظْمًا»^(١٤٤) ، فكلما كان حق الله أكبر كان استشعار العظمة أكبر ، ثم يأتي الشاهد هنا ، «وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ الْوَلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبَرِ» .

مدمة حب الثناء

حين يصبح انطباع المواطن حول هذا المسؤول أنه يحب الفخفة ويحب الكراسي المذهبة ، فإن هذه من أسخف حالات الولاة ، «وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالٌ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أَحَبُّ الْإِطْرَاءِ» ، أيها الناس كثيرا ما يشعر علي بن أبي طالب بالأسف أن يظن أحد منكم أنه عليه السلام يحب الإطراء والمدح ، «وَاسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ» ، إن الثناء لا يعني لعلي بن أبي طالب شيئا بل هو تشبهه بالسلطين وأنا لا أريده «وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ وَلَوْ كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ أَنْحَطًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ» ، فلو صادف أن تعرضت لهذه الحالة فإن عليا عليه السلام يتركة تواضعا لله عز وجل «عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعِظْمَةِ وَالْكَبْرِيَاءِ وَرُبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ» ، فالناس بطبيعتهم حينما يقومون بعمل مهم يحبون أن يشكروا عليه «فَلَا تَثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ آدَائِهَا وَفَرَائِضٍ لَا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا» ، فأنا علي بن أبي طالب في موقع الخلافة والمسؤولية لا أتوقع منكم هذا الثناء ، وإني أعاقب نفسي وأشد عليها في حقوق أشعر أنني مهما قدمت فقد قصرت في آدائها ، وأن هناك واجبات كثيرة حتى الآن لم أؤدها .

هذا علي بن أبي طالب الذي قدم الغالي والنفيس وبذل كل ما في وسعه من أجل الله ومن أجل الناس ، يقول إني أرى نفسي لم أؤد كل الحقوق . «فَلَا تَكْلُمُونِي بِمَا تَكْلَمُ بِهِ

الْجَبَابِرَةُ» لا تخاطبوني بطريقة الجبابة والفراعة «وَلَا تَحْفَظُوا مِنِّي بِمَا يَتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْمَبَادِرَةِ» وأهل المبادرة هم أهل الغضب ، وهنا يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لا تكلموني كما تكلمون أصحاب الغضب الذين لا يستطيعون الكلام بحضرتهم وتبيان آرائكم إليهم «وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ» لا تحتاجون إلى التكلف والبحث عن العبارات والتصنع حينما تتحدثون معي أنا علي بن أبي طالب .

وإذا كان علي هذا شأنه فما هو شأن من دونه في مواقع المسؤولية؟! «وَلَا تَطُّوا بِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقِّ قِيلَ لِي» ولا تصوروا أنها ثقيلة علي أن أسمع الحق حتى لو كان مرا ، «وَلَا التَّمَّاسَ إِعْظَامَ لِنَفْسِي» ولا تشعروا بأني أطلب العظمة لنفسي فتتوقفون في ما تريدون قوله «فَإِنَّهُ مَنْ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ» هذا الذي صعب عليه أن يسمع كلام الحق «أَوْ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ» ولم يتحمل أن يعرض عليه العدل والإنصاف «كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ» . هذا الذي لا يستطيع أن يسمع الحق فكيف يستطيع العمل به ، فمن ثقل عليه الاستماع فمن الطبيعي أن يثقل عليه الفعل ، وهذا غير المستعد أن يسمع النقد كيف له أن يأخذ بالنصيحة ويعمل على تصحيح المسار . «وَلَا تَكْفُوا عَنْ مَقَالَةِ بَحَقٍّ» ، لا تتوقفوا أمام المسؤول عن أن تقولوا الحق أمامه . «أَوْ مَشُورَةَ بَعْدَلٍ» وإذا كانت لديك مشورة أو رأي قلها ولكن بعدل وإنصاف وليس بظلم أو إجحاف «فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ» ، وأنا كشخص حتى لو كنت خليفة للمسلمين ، فلست فوق القانون والمسؤولية فلا تعطوني حصانة من الخطأ .

لا عصمة للمسؤول

إن مواقع التصدي لا تمنع الإنسان من أن يقع في الخطأ ، وحينما يكون مسؤولاً ويخطئ فإن خطأه يكون أكبر بكثير من الإنسان العادي «وَلَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي» أنا ليس عندي حصانة كاملة كمسؤول ليكون فعلي على الدوام فعلاً صحيحاً ، فقد اتخذ إجراءات خاطئة ، فيجب على الناس الحديث والتوضيح .

ومن المؤكد أن علي بن أبي طالب أمام معصوم ، وفعله وفكره صائب ولكن إنما يضع لنا هنا الضوابط والقواعد والأطر الصحيحة في التعاطي مع المسؤول «إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي» الله أملك وأكثر ملكية لأنفسنا من أنفسنا ، فالله أقرب إلى الإنسان من جبل الوريد ، يعني إلا ما عصم ربي ، لكن المسؤول في موقع المسؤولية كائناً

من كان قد يخطئ وعلى الناس أن يشرحوا وينقدوا حتى يصحح المسار «فَأِنَّمَا أَنَا وَاتَّعَمُّ عَيْبِدُ مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ لَّا رَبَّ غَيْرُهُ يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ»، وإذا توفقتنا في خطوة وإذا توفقتنا في فكره فهذه إنما بتوفيق الله وتسديده «فَأَبْدَلْنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالهُدَى وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى» فالهداية من الله سبحانه وتعالى .

فيا من تفكر بشكل صحيح ويا من تتحدث بشكل مؤثر، ويا من تخطو خطوات جريئة صحيحة، كل ذلك إنما بتوفيق الله والله جعل في ذلك البركة والتوفيق، فكل خير من الله، وكل شر مردود علينا وعلى أنفسنا نتيجة تقصيرنا. انظروا إلى هذه الثقافة لو أنها تشيع بين المسؤولين فإن البلد يتحول إلى جنة من الجنان، فالمسؤول يتواضع ويسمع ويأخذ الكلام من الآخرين ويصحح مواقفه ويكون في خدمة الناس، وهذا هو الإسلام وهذه النظرية الإسلامية في إدارة البلاد وفي تحمل أية مسؤولية من المسؤوليات. لذلك فالمشكلة إن حصلت فهي فينا وليست في ديننا وإسلامنا، ولا نحمل تبعات أخطائنا للدين والإسلام، بل نحن من يتحمل الخطأ، فلو أخذنا بهذه التعاليم الإسلامية لكانت الأمور مختلفة.

حتمية إذلال المتكبر

إذن فعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ يشير في هذه العبارة: «فإن الله يذل كل جبار ويهين كل مختال» إلى العوارض المترتبة على حالة النرجسية والتشبه بجبروت الله، وهذه هي الإضاءة الثالثة، ونرى أن الله تعالى لا يمهل في هذه القضية فيذل الله المسؤول في الدنيا قبل الآخرة، ويريه نتائج هذا الفكر والكبرياء التي قد تحصل عنده.

في الخطبة القاصعة، الخطبة ١٩٢ في نهج البلاغة يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبَسَ الْعِزَّ وَالْكَبْرِيَاءَ، وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ»^(١٤٥) إن هذه أشياء لا يعطيها الله لغيره بل هي من شأن الله «وَجَعَلَهُمَا حِمَى» والحمى تعني الحماية من وصول الآخر إليه، «وَحَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ»، أي حرهما على الآخرين ومنع من الوصول إليهما «وَأَصْطَفَاهُمَا لَجَلَالِهِ وَجَعَلَ اللَّغْنََةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ» فكل من ينازع الله سبحانه وتعالى في الكبرياء والفخر والعلو والسمو والرفعة فإن الله سبحانه وتعالى سينتقم ويعاقبه، نستجير بالله من ذلك ونسأل الله أن يهدينا إلى سبيل الرشاد.

تراجع الوضع الأمني

مازلنا نشهد الخروقات الأمنية المتكررة، من تفجيرات وعبوات ناسفة واغتيالات في العديد من المحافظات العراقية، وصولاً على محافظات كانت تتسم بمستوى مقبول من الأمن ولكن الإرهاب اليوم يطولها. وقد باتت المجموعات الإجرامية قادرة على دخول هذه المحافظات لتقوم بعمليات الاغتيال لمعتدي المراجع العظام، لشيوخ العشائر، لنخب وأساتذة وعقول إلى غير ذلك، إن طبيعة هذا الاستهداف تتطلب أن نقف وقفة طويلة، لماذا يُستهدف العلماء؟ ولماذا يُستهدف وكلاء المراجع وشيوخ العشائر وأساتذة الجامعات والعقول وصولاً إلى الضباط ورجال الأمن والمسؤولين وعموم المواطنين؟. إن هذه الحالة تحتاج إلى وقفة لكي نتعرف على الجهات التي تقف وراء هذه الاغتيالات والتفجيرات، والسبب لمثل هذه العمليات الإرهابية.

إننا إذ نجدد إسداننا ودعمنا لقواتنا الأمنية المسلحة الباسلة ونجدد شكرنا وثنميننا للجهود الكبيرة التي يبذلونها لاستتباب الأمن في البلاد، إلا أننا نشد على أيديهم في اتخاذ الإجراءات الكفيلة للحد من هذا التراجع الأمني من خلال خطط غير تقليدية، وإجراءات سريعة ومسك زمام المبادرة بتفكيك وملاحقة وضرب شبكات الإرهاب وتطوير القدرات الاستخبارية، التي ستجعل الأجهزة الأمنية والعسكرية قادرة على القيام بواجباتها وحماية البلاد والمواطنين.

لقد لاحظنا قرارات جيدة خرجت بها خلية الأزمة مؤخراً، وأتمنى أن تجد فرصتها للتنفيذ والتطبيق؛ لأن القرار الصائب إنما يكون مؤثراً ومفيداً حينما يتم تطبيقه بشكل صحيح، إن اتخاذ القرارات الصحيحة خطوة والعمل والحرص على تنفيذ هذه القرارات هي الخطوة الأساسية التي نتمنى لها المساعدة في إيقاف نزيف الدم والحد من التراجع الأمني المستمر في بلادنا، حتى يطمئن المواطن العراقي وتطمئن الشركات العراقية والأجنبية العاملة في العراق، وتستمر وتيرة وعجلة البناء والإعمار وتوفير الخدمات للمواطنين بشكل أفضل.

الوضع السياسي في البلاد

إن خدمة المواطن وحل مشاكل المواطنين وتوفير الخدمات الضرورية لهم تمثل أولوية أولى ويجب على جميع المسؤولين الالتفات إليها والعمل لأجلها، ولا يمكن أن تتحقق هذه الخدمة وتتوفر الرفاهية لجميع المواطنين العراقيين إلا حينما تجتمع القوى الوطنية وتتفاهم فيما بينها وتحل مشاكلها، حتى تكون فريق عمل واحد في خدمة

الناس ، ولذلك نعود لنؤكد من جديد أن الحوار والتواصل والمصارحة ومناقشة الأمور بجدية كبيرة بين القيادات السياسية والقوى الوطنية في البلاد، تمثل مدخلا أساسيا لحل مشاكل البلد وخدمة المواطنين ومعالجة همومهم .

كما أن علينا أن نقف طويلا في هذه الظروف الحساسة عند الخطاب الوطني الذي يتجاوز إثارة النعرات الطائفية والقومية والمناطقية ويؤلب مشاعر المواطنين بعضهم ضد البعض الآخر، إننا بحاجة إلى خطاب وطني أصيل يهدئ النفوس ويطيب الخواطر ويقرب المواطنين بعضهم من بعض، ويخلق حالة من الوثام الوطني التي تساعد على التقدم إلى الأمام، وتبعث الأمل والحماس في المواطنين، وتشيع الفرص الكبيرة في بناء واقعنا والخروج من الأزمات في هذه المرحلة الحساسة والحرجة . إن خلق مثل هذه الأجواء هي مسؤولية الجميع بدون استثناء وإذا ما حصل خرق في هذا الأمر فعلينا جميعا أن يذكر بعضنا بعضا لنعود إلى خطاب وطني وليس خطابا تحريزيا، يمكن أن يترك آثارا سلبية في وحدة العراقيين .

حرائق الوزارات

سمعنا مؤخرًا نشوب حريق في إحدى الوزارات السيادية الحساسة، وبين فترة وأخرى يطلع المواطن العراقي على مثل هذه الحرائق المتكررة في مفاصل حيوية داخل الوزارات العراقية، وكلما شكلت لجنة للتحقيق خرجت بأن السبب تماس كهربائي، ولا نعرف أية صدفة هذه في أن يحدث التماس الكهربائي دائما في صالات الأرشيف وأماكن حفظ الوثائق والملفات الحساسة والعقود إلى غير ذلك من الوثائق المهمة في هذه الوزارات . إنني أدعو السادة المسؤولين لتشكيل لجان تنظر بشكل جدي في مثل هذه الحرائق لتتأكد من الحقيقة، خشية من أن تكون هذه الحوادث تغطية على ظواهر فساد يراد إخفاؤها من خلال مثل هذه الحرائق، وتحت ذريعة الحريق تتلف الوثائق التي تشير إلى تورط هذا المسؤول أو ذاك بعمليات الفساد التي أصبح العراق يئن منها، ولا بد من وضع حد لمثل هذه الإشكاليات .

تشريعات لحماية الدستور

إن الدستور يمثل العقد الاجتماعي الذي يحمي الدولة ويضمن حرية المواطنين وحقوقهم، ولكن الدستور عبارة عن مبادئ عامة وضعت لتحديد المسار العام في البلاد، ولا يمكن أن يطبق الدستور ومواد الدستور إلا من خلال قوانين وتعليمات تفسر

هذه المواد وتضع السياقات التنفيذية لتطبيق الدستور ، فإذا أردنا أن نحمي الدستور علينا أن نبادر إلى تشريع هذه القوانين التي تفسر مواد الدستور وبنوده ، كما أن علينا إخضاع جميع القوانين السارية في بلادنا لمواد الدستور وتوجهاته ، فما كان منها موافقا للدستور أخذنا به وما كان مخالفاً أبعدناه والتزمنا بالدستور وليس بتلك القوانين على حساب الدستور .

إن مثل هذه الخطوة ستجعل السلطات القضائية والتشريعية والتنفيذية تسير في الاتجاه الصحيح ضمن ما أراده المشرّع في الدستور واستفتى عليه الشعب العراقي ، ولكن أمامنا أكثر من ٥٠ مادة دستورية لا بد من تفسيرها وتحديد وسائل تطبيقها بقوانين ، ومما يؤسف له أن أكثر هذه المواد لم تفسر ولم تنظم آليات العمل بها بقوانين حتى الآن مما جعل الدستور معطلاً في مساحات مهمة منه ، نتيجة غياب هذه التشريعات والقوانين المنظمة لهذه المواد الدستورية وما زال يرجع في هذه المساحات إلى قوانين مجلس قيادة الثورة والجهات التشريعية الأخرى في عهد النظام البائد كي يُعمَل بها لعدم وجود تشريعات في العراق الجديد منسجمة مع مواد الدستور العراقي ، إن هذا الأمر يدعونا لأن نرفع شعار حماية الدستور عبر تشريع هذه القوانين وتحديد هذه اللوائح والسياقات التي من خلالها يتمكن من العمل بالدستور وتطبيق كل مساراتنا وتوفيق كل خطواتنا مع فقرات الدستور ومواده .

المجلس الاتحادي

إن الدستور العراقي في مادته الـ ٦٥ أكد ضرورة إنشاء المجلس الاتحادي ، الذي اعتبر الغرفة التشريعية الثانية المكملة لدور مجلس النواب كما في العديد من البلدان الديمقراطية . إن المجلس الاتحادي هو المجلس الذي يُقاس به مدى فاعلية قوانين وتشريعات مجلس النواب ، وفي الدورة السابقة كان مجلس الرئاسة يعنى ببعض واجبات المجلس الاتحادي ، حيث تعرض على مجلس الرئاسة التشريعات التي كان يصادق عليها أو ينقضها ويعيدها إلى مجلس النواب من جديد ، ولكن مجلس الرئاسة انتهى في الدورة السابقة واليوم رئاسة الجمهورية ليس لها مثل هذه الصلاحيات ، وفقدنا عنصر التوازن والتأكد من صحة المسارات والتشريعات التي تشرع في مجلس النواب ، وقد اعتبرنا المجلس الاتحادي هو الجهة المخولة بحسب دستورنا العراقي ، إن أهمية هذا المجلس تحتم الإسراع في تشريع قانونه الذي سيحدد مهمة وطبيعة تنفيذ بعيداً عن الترضيات السياسية والمحاصصات القُتوية ، نريد مجلساً اتحادياً متوازناً يضمن حقوق المحافظات والأقاليم ويكون عنصراً أساسياً في التأكد من صحة المسارات التشريعية التي يقوم بها مجلس النواب .

فضائيات تخدش الذوق العام

إن العراق بلد الالتزام بالقيم الدينية والوطنية والأعراف الاجتماعية الصحيحة، والشعب العراقي هو ذلك الشعب الملتزم المعترف بمنظومته الأخلاقية وبعاداته وأعرافه. ومع الأسف الشديد لوحظ مؤخرا قيام بعض القنوات الفضائية العراقية ببث برامج تخدش الذوق العام، وتسيء إلى الأعراف والمنظومة الأخلاقية التي يؤمن بها أبناء الشعب العراقي.

إننا في الوقت الذي نشدد فيه على أهمية الحفاظ على حرية التعبير وإعطاء الفرصة لوسائل الإعلام في التعبير عن رأيها وتنوير الرأي العام بحرية كاملة، إلا أننا نؤكد أيضا على أن الحرية لا تعني الانحلال والانحطاط الخلقي وتجاوز القيم الدينية والاجتماعية التي يؤمن بها أبناء الشعب العراقي. ولذلك في الوقت الذي نشكر ونقدر الدور الكبير الذي تقوم به وسائل الإعلام في تنوير الرأي العام إلا أننا نتمنى من وسائلنا الإعلامية الوطنية المرئية والمسموعة والمقروءة أن تلاحظ هذه الآداب العامة والمعايير الأخلاقية للشعب العراقي.

البعثات الدراسية

تلقينا باعزاز الأبناء التي تحدثت عن اعتزام وزارة التعليم العالي إرسال بعثات دراسية إلى الجامعات العالمية الكبيرة. إنه خبر سار وخطوة موفقة، لذا نشكر ونشكر وزارة التعليم العالي عليها، فالعراق اليوم بأمس الحاجة إلى أن يستفيد من التطور العلمي الهائل في الجامعات العالمية الكبرى، ليذهب أبناؤنا وبناتنا ويدرسوا في هذه الجامعات، وينقلوا هذه الخبرة العلمية الكبيرة إلى داخل العراق.

إن العزلة التي فرضت على الشعب العراقي لسنوات طوال حالت دون مواكبة الجامعات العراقية للتطور العلمي الكبير الموجود في العالم. إن مثل هذه البعثات الدراسية ستساعد على الاستفادة من هذه التجارب ومن التطور العلمي، ولكن ما يثير الاهتمام هو كيفية توزيع هذه البعثات الدراسية، إننا نتمنى من الوزارة الكريمة أن يكون التوزيع على أسس علمية ومنهجية بعيدا عن المحاصصات والمنسوبيات والمحسوبيات، فالطالب الذي حاز على الدرجة العالية هو الأنسب والأجدر لأن يستفيد من هذه الفرص، إبعاد الأكفاء والمتميزين من الطلبة وإعطاء هذه الحصص على خلفيات حزبية ومنسوبيات معينة سيربك الوضع كثيرا، تتبدد الثروة العراقية ولا نحصل على الخبرات العلمية المطلوبة، لذلك

أناشد الوزارة الكريمة أن تضع معايير شديدة وحازمة تعطي هذه الفرصة للكفاءات وللمن يحمل الدرجات العليا وليس إلى أحزاب ومجموعات وفئات ومحسوبيات ومنسوبيات ، وكذلك نريد توزيعاً عادلاً لهذه الزمالات والبعثات الدراسية بين المحافظات حسب النسب السكانية فيها .

المعانة المالية للطلبة في الخارج

هناك معاناة كبيرة يستشعرها الطلبة الدارسون في الخارج ، وهو التلكؤ في صرف مستحققاتهم المالية . وهذا ما يؤثر بشكل كبير في واقعهم التعليمي وأحياناً يدفعهم للتخلي عن الدراسة والعودة إلى الوطن بحكم الغلاء المعيشي في تلك الدول ، وحينذاك تقع في مشكلة كبيرة ، طالب ذهب ودرس لسنوات وأنفقت الحكومة عليه إمكانات كبيرة لكنه لا يستطيع إكمال دراسته ، والبلد فقد فرصة الاستفادة من هذه الطاقة وتبددت كل الإمكانيات التي صرفت عليه في السنوات الماضية ، فالعراق يخسر مرتين حينما تتلصق عملية الدفع المالي والاستحقاقات التي يستحقها الطلبة ، إن ذلك يحتم اتخاذ إجراءات صحيحة من وزارة التعليم بالحفاظ على هؤلاء الطلبة وإيصال الدعم في الوقت المناسب لهم .

قانون الاستيفاء

هناك مطالبات حثيثة من طلبة السادس الإعدادي بتطبيق قانون الاستيفاء أسوة بإقليم كردستان ، وهو يعني إذا ما فشل الطالب في الدور الثاني فلا يعتبر ذلك رسوباً كاملاً في كل الدروس في تلك السنة ، ويحق للطالب الامتحان في الدروس التي رسب فيها دون الدروس التي نجح فيها ، وهو قانون معمول به اليوم في إقليم كردستان ، وهناك رغبة ملحة من طلابنا في العمل به في كل مناطق العراق . إننا نتمنى من وزارة التربية أن تنظر في اقتراح هؤلاء الشباب والنظر في مدى إمكانية تطبيق هذا القانون للتخفيف من أعباء طلابنا ، فهناك شريحة كبيرة من مجتمعنا العراقي من هؤلاء الأبناء والبنات وعوائلهم وهم يعيشون ظروفًا نفسية قاسية نتيجة ارتفاع نسبة الرسوب في هذا العام ، ولا بد من البحث عن مخرج نحفظ من خلاله المستوى العلمي المطلوب في مدارسنا وفي واقعنا التعليمي ونلاحظ أيضاً حجم الضغوط التي تتعرض لها هذه العوائل والفرص والمخارج التي يمكن أن نخفف من خلالها الأعباء النفسية لهؤلاء الطلبة وعوائلهم .

اليوم العالمي للغذاء

إن يوم ١٦ من تشرين الأول اعتبر يوماً عالمياً للغذاء، وهو فرصة نقف فيها عند واحد من أهم الاحتياجات الإنسانية والمتمثلة بالغذاء. ففي الوقت الذي صرح فيه المدير العام لمنظمة الفاو في هذه السنة بأن الغذاء المنتج في العالم يكفي لإطعام سكان العالم بالكامل ولكن الإحصاءات تشير إلى وجود أكثر من ٨٥٠ مليون جائع في العالم، وهو رقم هائل وكبير يحدد حجم المسؤولية التي نحملها تجاه هذه الشريحة المظلومة والمضطهدة، وتتحدث الإحصاءات عن تراجع المخزون العالمي للقمح لأدنى مستوياته خلال الـ ٢٦ سنة الماضية، كل هذا التراجع في ظل تزايد مستمر لسكان العالم وهناك إحصائيات تشير إلى أن سكان العالم البالغ عددهم ٦ مليارات نسمة اليوم سيصل إلى ٩ مليارات نسمة في عام ٢٠٥٠ وهذا يجعل العالم أمام مسؤوليات كبيرة في توفير الغذاء المناسب لكل هذه الأعداد البشرية الهائلة. ومن المؤسف أن نجد هذا الحجم الكبير من الجوع في العالم في وقت ينفق سنوياً ٨٧٠ مليار دولار على شراء أسلحة القتل والدمار الشامل، وينفق ٤٠٠ مليار دولار في السنة على المخدرات وينفق ١٠٠ مليار دولار على المشروعات الروحية في القارة الأوروبية وحدها.

اليوم العالمي للقضاء على الفقر

اعتبر يوم ١٧ من تشرين الأول يوماً عالمياً للقضاء على الفقر، إن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ضمن لكل شخص في العالم الرفاه في المأكل والملبس والمسكن والرعاية الصحية والرعاية الاجتماعية الضرورية. فقد نصت المادة ٣٠ من دستورنا العراقي على هذا المضمون وأصبح التزاما من الحكومة العراقية أن توفر هذا الحق الإنساني لجميع المواطنين العراقيين، فيما كشفت وزارة التخطيط عن أن نسبة الفقر في العراق تصل إلى ٢٣٪ أي ربع سكان العراق، وهذا يتطلب وضع الخطط المناسبة لخلق التوازن بين الإيرادات المالية الكبيرة والمتعاظمة في العراق، وبين خلق فرص العمل لتشغيل العاطلين، حتى تقلل نسبة الفقر في العراق عاماً بعد آخر. نتمنى أن نشهد عالماً خالياً من الفقر والفاقة والبؤس والحرمان، يعيش فيه البشر بعضهم إلى جانب بعض، وتنفق فيه الإمكانيات لخدمة الإنسان ونشر التسامح والوئام وليس القتل والدمار.

تدويل جرائم النظام الصدامي

إن وزارة الخارجية العراقية بمساعدة وزارة حقوق الإنسان تعمل على تدويل جرائم النظام البائد. إنها خطوة تستحق الشكر والتقدير، فالجرائم التي ارتكبتها النظام البائد بحق أبناء الشعب العراقي لا يمكن أن تصدق ولا بد من أن تطرح في الأروقة الدولية، ليعترف بهذه الجرائم دولياً وتوثق وتبقى إشارة وضياء لأبناء شعبنا بما ضحوا وقدموا خلال ذلك الحكم الجائر. إننا ندعو وزارة الخارجية إلى الاهتمام بملف المقابر الجماعية، وهي تلك الجرائم المدوية التي لا نظير لها في العالم في مساحاتها وحجمها إلى جانب جرائم حلبجة والأنفال وغيرها من الجرائم الكبيرة التي ارتكبتها النظام البائد.

حرية الأسرى الفلسطينيين

عشنا ساعات الفرح والسعادة والسرور والبهجة في عالمنا العربي والإسلامي لقرار إطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين، فقد أطلق ما يقرب من نصفهم فيما أن النصف الآخر يفترض أن يطلق سراحهم خلال الشهرين القادمين وفق الاتفاق بإطلاق ١٠٢٧ أسيراً فلسطينياً من السجون الإسرائيلية. إنه قرار مفرح وخطوة أثلجت الصدور وأفرحت قلوب كل تلك العوائل الكريمة التي كانت تتربص عودة أبنائها الذين سجنوا ظلماً في تلك السجون المظلمة الإسرائيلية، إننا نشعر باعتزاز حينما نسمع بأن السجون الإسرائيلية خلت من أية امرأة فلسطينية ولا يوجد سجيناً واحدة الآن بعد إطلاق سراح السجينات الكريزمات، وإننا نشعر بالفرح حينما نجد أن المفاوضات من موقع القوة استطاعت أن ترغم الإسرائيليين على إطلاق أكثر من ١٠٢٧ سجيناً وأسيراً فلسطينياً من السجون الإسرائيلية.

إن هذا إنجاز عظيم تحقق بجهود المخلصين، إننا نشكر ونثمن كل الجهود الخيرة التي بذلت لتحقيق هذا الأمر المهم ولاحظنا كيف أن رئيس الوزراء الإسرائيلي يقف في حفل الاستقبال لذلك الأسير ويقول بأن الثمن كان باهظاً، إن هذا الاعتراف يثير الاعتزاز بقوة المفاوضات والانطلاق من مواقع القوة بالتفاوض مع العدو لتحقيق هذه الإنجازات وهذه الانتصارات، نتمنى أن نشهد إطلاق سراح كل الأسرى الفلسطينيين من السجون الإسرائيلية، وإطلاق سراح كل مظلوم قابع في السجون في العالم لأننا نحب السلام ونتمنى أن يشيع السلام في كل مناطق العالم.

المرأة العربية ونوبل للسلام

كما سعدنا بفوز السيدة نعمة بنت جميل في انتخابات مجلس الشورى العمانية ، فهذه السيدة الكريمة وإن كانت الفائزة الوحيدة في هذه الانتخابات النيابية بسلطنة عمان من بين ٧٧ مرشحا رشحوا أنفسهم للانتخابات ، إلا أنها تمثل خطوة مهمة في الاتجاه الصحيح . إننا نؤمن بدور المرأة العربية وضرورة مشاركتها في القرار السياسي وإدارة البلاد ، ونتمنى أن تكون مثل هذه الخطوات بدايات جيدة ، ونعرف أن العراق يمتلك أكبر نسبة من السيدات في مواقع التشريعية والنيابية وحضورهن في أكثر مفاصل الدولة . كما سعدنا كثيرا قبل ذلك بفوز السيدة اليمنية المناضلة السيدة توكل كرمان بجائزة نوبل للسلام ، وهي أول امرأة عربية تحوز على هذه الجائزة . من يتعرف على تأريخ هذه السيدة وشجاعتها ومواقفها في الدفاع عن حقوق الشعب اليمني يعرف جيدا أهمية واستحقاق هذه السيدة الكريمة لجائزة نوبل ، فنقدم التهنئة لها وللشعب اليمني الشقيق وللشعوب العربية جميعا على هذه الخطوة ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن نجد النساء والرجال في عالمنا العربي والإسلامي يقفون مواقف بطولية ويحظون بالتميز المطلوب في بناء مجتمعاتهم .

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١١/١١/٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين
حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين
وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل، إخوتي الأكارم، أخواتي الفاضلات، بدايةً أرحب بكم أجمل
ترحيب في مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين .

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

كان حديثنا في الأسابيع الماضية عن النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة، وذكرنا
أن عهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك الأشر حين ولاء مصر يمثل اختزالاً لهذه النظرية .
ولذلك شرعنا في تفاصيل هذا العهد لتتعلم دروساً في الإدارة وفي القيادة، واستذكرنا
أن الإدارة والقيادة في الرؤية الإسلامية لا تختص بالمواقع العليا، فلا نعني بالإدارة
والقيادة حلقة الملوك والرؤساء والأمراء والوزراء وحدهم، نعم مسؤوليتهم أكبر ولكن
هذه النظرية تشمل كل حالات التصدي، بدءاً من الأسرة حينما يكون الشخص مسؤولاً
لأسرة، أو رئيساً لشركة أو مسؤولاً لمتجر أو مصنع أو أي مشروع، أو رئيساً لعشيرة، أي
تصد وأي مسؤولية يتحملها الإنسان مهما كانت ومهما توسعت أو تضيقت فهي مشمولة
بهذه القواعد وهذه الرؤية، التي يتحدث عنها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد أنهينا خمسة

مقاطع من هذا العهد الشريف وندخل اليوم في المقطع السادس من هذا العهد، حيث يقول أمير المؤمنين: - «أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعبتك»^(١٤٦).

متلازمة العدل والإنصاف

يتحدث هذا المقطع عن المحسوبيات والمنسوبيات، وعن الظلم والإجحاف الذي يتعرض له المواطنون من المسؤول. حيث يذكر فيه أمير المؤمنين أهمية الإنصاف «أنصف الله وأنصف الناس» وكأن هناك ملازمة بين الأمرين، كيف لك أن تنصف الناس دون أن يكون في ذلك إنصاف لله سبحانه وتعالى؟ وكيف تحقق الإنصاف لله دون أن تراعي الناس وتحل مشاكلهم وتعالج همومهم؟. هذه مترابطة، فإذا أردت رضا الله يجب أن تراعي الناس وهذا الإنصاف يكون من نفسك يا مسؤول، امتيازاتك، مخصصاتك، حياتك الخاصة، طريقة تعاملك في أمورك وشؤونك، يجب أن تكون كلها قريبة من حالة الناس، فكونك مسؤولاً فهذا لا يعني أنك تتجاوز القانون فيما تلزم الآخرين بتطبيقه، بل الأولى أنك أنت من تلتزم بالقانون، ماذا تريد وتتوقع من المواطنين؟، يجب أن ترى نفسك أولاً؛ هل أنت تطبق هذا الأمر وتعمل به، ثم توقع من الآخرين العمل به.

«ومن خاصة أهلك» الإنصاف ليس من نفسك فقط بل من أولادك وأقربائك وأرحامك، فلا يكفي أن يكون المسؤول منصفاً بل يجب عليه أن يسيطر على أقربائه، «ومن لك فيه هوى من رعبتك»، فقد يكون للمسؤول بعض الناس الذين له فيهم هوى وهم من جماعته أو من حزبه أو من عشيرته أو من طائفته أو قوميته، فهؤلاء أيضاً لا بد من أن يكون هناك إنصاف في تعاملهم ولا يميزون أنفسهم عن الآخرين، «فإنك إن لا تفعل تظلم» تكون قد وقعت في الظلم، فليس هناك محسوبيات ومنسوبيات بل هناك ضوابط ومعايير يجب أن تنطبق على الجميع؛ من المسؤول إلى ذويه إلى جماعته إلى عموم الناس.

عدم التمييز بين المواطنين

هذه هي رؤية الإسلام في الإدارة والقيادة، ومن أهم ميزاتها عدم التمييز بين المسؤول وسائر الناس.. ماذا نستفيد من هذه الكلمات المعبرة لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام.

أولاً: أهمية الإنصاف

تبرز أهمية الإنصاف في العلاقة بين المسؤول والناس، في عدم استغلال الموقع للوصول إلى مآرب شخصية وخاصة. وعدم التعدي على الآخرين. لأن المسؤول لديه وجهة وتأثير، وإن عدم تمييز نفسه عن الآخرين هو المنهج، وهذه هي أهمية الإنصاف في نجاح العملية القيادية والإدارية، لاحظوا في غرر الحكم عن علي عليه السلام: «الإنصاف زينة الإمرة»^(١٤٧) إن زينة المسؤول والتقدم في المسؤولية والإمارة هو الإنصاف في تعامله، وهذا الإنصاف يخلق حالة من المحبة والمودة والتقارب بين المسؤول والناس. فالتناس حينما ترى مسؤولاً يخدم الجميع ومنصفاً لا يفرق بينهم سيحترمون ويحبونه ويتقربون منه، ولا تبقى فجوة بين المسؤول وعموم الناس.

الإنصاف تأليف للقلوب

وعن علي عليه السلام في الغرر أيضاً: «الإنصاف يؤلف القلوب»^(١٤٨)، وفي صفحة ٢٦٩ «الإنصاف يستديم المحبة»، فالقلوب تؤلف وتتقارب من خلال الإنصاف، وفي المصدر نفسه «الإنصاف يرفع الخلاف ويوجب الائتلاف»^(١٤٩) هذه هي فائدة الإنصاف العظيمة، فالإنصاف يوجد أيضاً حالة من الثقة بين المسؤول والناس، فكلما كان المسؤول أكثر إنصافاً كانت ثقة الناس به أعظم وأشد.

في تحف العقول عن علي عليه السلام: «أنصفوا الناس من أنفسكم يوثق بكم»^(١٥٠)، فإذا أردتم الثقة أنصفوهم، فالإنصاف هو طريق الثقة، والثقة إذا فقدت فهذا يعني أن الإنصاف ارتبك؛ لأن الإنصاف أينما حل تحل الثقة، لاحظوا في نهج البلاغة الكتاب ٥١ حيث يخاطب أمير المؤمنين عماله على الخراج في كلمة طويلة نقتبس هذا المقطع منها: «فأنصفوا الناس من أنفسكم واصبروا لحوائجهم فإنكم خزان الرعية»^(١٥١) فهذه الأموال أموال الشعب وأنت يا مسؤول وثق بك الشعب وأعطاك مفاتيح الخزينة، ولأن المفتاح بيدك فهذا لا يعني أن تمد يدك وتأخذ منها ما شئت، فهذه أموال الشعب وما أنت إلا مؤتمن عليها، لأن المفتاح بيدك لا يعني أن تنفق هذه الأموال بمزاجك فتعطي من

١٤٧. غرر الحكم- ج١، ص ٢٣٠

١٤٨. الغرر- ج١- ص ٢٩٤

١٤٩. المصدر السابق، ج٣، ص ٣٠

١٥٠. تحف العقول ص ١٤٩

١٥١. نهج البلاغة ج٣- ص ٨٠

تشاء وتمنع من تشاء، كلا إنما أنت مؤتمن ويجب أن تصرف بعدل وإنصاف على الشعب نفسه.

هذه هي تربية علي، «ووكلاء الأمة» أي أنتم ممثلون عن الناس، فيا عضو مجلس النواب ويا وزير ويا عضو مجلس محافظة، إنما أنت وكيل عن الناس تمثلهم، فكل عضو في البرلمان هناك ١٠٠ ألف انتخابه، وهم من يقف له على الصراط يوم القيامة، فالله يعينه!!.

«ووكلاء الأمة وسفراء الأئمة» أنتم تمثلون علي بن أبي طالب وتمثلون الحاكم والمسؤول الأول، فكيف تتعاملون مع الناس؟. «ولا تحشمو أحدا عن حاجته» أي لا تغضبوا أحدا، فهناك من يتفنن في كيفية إيجاد مشكلة بسيطة لعرقلة أمر الناس، وهناك من يتفنن في تمشية أمور الناس وحل مشاكلهم ويبحث عن الثغرات القانونية لحل المشاكل ويعالج قضاياهم وفق القانون، فالقانون واسع وفيه من الفرص الكثير، «ولا تحبسوه عن طلبته» إذا كان لديه مطلب لا تضيقوا عليه، فأبي مطلب مشروع للمواطنين يجب أن يقضى، وأية حاجة صحيحة للمواطنين يجب أن تلبى، قوتك أيها المسؤول ليست في تعطيل أمور الناس، بل قوتك في كيفية تمشية أمورهم وتسهيلها لهم، سهلو أمور الناس وخففوا عليهم في هذه الظروف الصعبة، ولا تتحول البيروقراطية الإدارية إلى أداة معطلة تجعل الإنسان يشعر بالعجز لحل مشكلة أو قضاء حاجة ما.

ثانيا: مساحة الإنصاف

الإضاعة الثانية: هي مساحة الإنصاف، وهي لا تنحصر بالمسؤول نفسه وإنما تمتد لذويه ولجماعته، فحينما يعتبر المسؤول نفسه غير معني بجماعته لا تكفي نزاهته بحجة أنه لا تزر وازرة وزر أخرى، فإذا علمت بأن المشكلة سببها من هو محسوب عليك وعلى الجهة التي تنتمي إليها، فلا بد لك أيها المسؤول من اتخاذ إجراءات حازمة وشديدة ضده، وحينما يرى الآخرون أن المسؤول قام بتوبيخ وعقوبة من هم مقربون منه أينما أساءوا وأخطؤوا فسيكون ذلك رادعا، وتسهم مثل هذه الخطوات في جعل الأمور تسير بالشكل السليم.

لاحظوا في نهج البلاغة الكتاب ٤٥ حيث يقول علي عليه السلام لواليه في البصرة عثمان بن حنيف: «لَوْ شِئْتُ لَأَهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ وَلِبَابِ هَذَا الْقَمْحِ وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَرِّ وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ وَيَقُودَنِي جَشْعِي إِلَى تَخْيِيرِ الْأَطْعَمَةِ وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ

أَوْ الْيَمَامَةَ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشَّبَعِ أَوْ آيَّتِ مِبْطَانًا وَحَوْلِي بَطُونٌ غَرَّتِي
وَأَكْبَادٌ حَرَى أَوْ أَكُونُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَبَيْتَ بِيْطَنَةً وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقَدِّ

أَأَفْنَعُ مِنْ نَفْسِي بَأَنَّ يُقَالَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أَشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ أَوْ أَكُونُ
أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ؟» (١٥٢).

هل يقتنع الإنسان من نفسه بأن تُضفى عليه الألقاب كفخامة الرئيس ودولة الرئيس ومعاللي الوزير، «ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش»، فالمسؤول لا يكون مسؤولاً إلا إذا اهتم بالناس وعاش ظروفهم، حينها تشعر الناس بالثقة، ولا حظوا اليوم كيف أن مراجعنا العظام تُجبي لهم الحقوق الشرعية وهي أموال طائلة ينفقونها على المصالح العامة، ولا يأخذون منها إلا القليل، وأغلب مراجعنا بيوتهم إيجار وهي صغيرة وقديمة وذات أثاث بسيط، هكذا هم يعيشون ويتعاملون، وحرّي بنا أن نطبق هذا المنهج العلوي في حياتنا.

في بحار الأنوار روى بكر بن عيسى قال، كان علي عليه السلام يقول: «يا أهل الكوفة إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتي ورحلي وغلامي» وهذا يعني أن علياً أول مسؤول قدم لائحة بممتلكاته وهي راحلة ورحل وغلان، «فأنا خائن»، الله أكبر انظر ماذا يقول علي عليه السلام: «وكانت نفقته تأتيه من غلته من المدينة في ينبع»، فحتى إفاقاته الشخصية والبيئية لا يأخذها من بيت المال بل من مزرعته بينبع، «وكان يطعم الناس الخبز واللحم ويأكل هو الثريد بالزيت» (١٥٣)، والثريد الخبز اليابس المبلى بالزيت، الخبز اليابس لعلي بن أبي طالب والخبز الجيد واللحم للمواطنين، هذا هو منطق علي وهذا هو منهجه وعدالته، فقد كان منصفاً عادلاً، ولذلك أصبح أسطورة، نسأل الله أن يجعلنا من السائرين على نهجه ومنواله.

إقليم صلاح الدين

تابع الشارع العراقي باهتمام كبير توجه مجلس محافظة صلاح الدين نحو تشكيل الإقليم في المحافظة، على خلفية ما وصفه بالإهمال والإقصاء وضعف الاهتمام بالمحافظة من قبل الحكومة الاتحادية في بغداد. إن تشكيل الأقليم والفيدرالية الإدارية

١٥٢. نهج البلاغة ج ٣- ص ٧٢

١٥٣. بحار الأنوار ج ٤١، ص ١٣٧

هو حق كفله الدستور العراقي لكل محافظة أو أكثر في أن تشكل إقليمًا ضمن سياقات وإجراءات حددها الدستور .

ولذلك ، فالحديث عن تشكيل الأقاليم هو حديث عن حق دستوري لا نقاش فيه ، وكل خطوة دستورية يجب أن تحظى باحترامنا سواء كنا نرغب بها أو كانت لنا ملاحظات وتحفظات عليها ، ولكن يجب ألا يتحول هذا الحق الدستوري إلى أداة للابتزاز أو وسيلة لتمرير مشاريع شخصية أو سياسية أو نخبوية ضيقة ، ويجب ألا تتحول الفيدرالية إلى كلمة حق يراد بها شيء آخر .

كما لا بد من تقييم الظروف الموضوعية والحساسيات والتوترات التي نشهدها في ساحتنا العراقية والمرحلة الحساسة التي نمر بها ، ونحن نستعد لخروج القوات الأمريكية من العراق نهاية هذا العام . إن كل ذلك يدعونا لأن نتساءل هل إن توقيت تشكيل الإقليم في هذه المحافظة الكريمة جاء منسجما مع هذه التعقيدات والحساسيات والظروف الاستثنائية التي يمر بها العراق؟ ، وهل إن التعدد القومي والمذهبي والسياسي في محافظة صلاح الدين منسجم مع هذه الخطوة وقد تبايننا في بناء العراق الجديد على أن نتوافق فيما بيننا في كل خطوة نخطوها في بناء العراق؟ .

لقد لاحظنا في تجارب كثيرة حينما يخرج أي منا عن هذا المبدأ ، ويختار طريقا بمفرده ليتخذ قرارا مصيريا من دون الرجوع إلى شركائه وإخوانه ، فإنه سيواجه العديد من الإخفاقات والتلكؤات والإشكاليات في مسار البناء والعملية السياسية وواقعنا العراقي الجديد . ولذلك أدعو أهلي وأعزائي في صلاح الدين إلى تجنب المواقف الانفعالية والارتجالية في هذا الموضوع ودراسة عملية تشكيل الإقليم دراسة مستفيضة للتأكد من مصلحتهم ومصصلحة العراقيين جميعا في هذه الخطوة ، لتكون سببا في مزيد من الوحدة والتلاحم بين أبناء الشعب العراقي وتطمين الجميع والاستمرار في الإعمار والازدهار في محافظتهم وباقي المحافظات العراقية .

إن علينا التمييز بين الحق الدستوري ، وآليات تنفيذ هذا الحق وتوقيتاته ، وهو ما نتحدث عنه اليوم . إننا من الداعين إلى بناء دولة المؤسسات وأول من رفع شعار المواطن أولا في مجمل سياساتنا وفي تعاملنا في إدارة الدولة ، ومن هذا المنطلق سنكون إلى جانب أبناء شعبنا وسنصطف مع إرادة وتطلعات أبناء شعبنا أيًا كانت ، ونعتقد بأن القرارات المصيرية والخطوات الاستراتيجية يجب أن يقول الناس كلمتهم فيها أولا ، ثم يتحدث الساسة في إبداء وجهات نظرهم في مثل هذه الأمور .

الجهوزية الأمنية.. تضارب التصريحات

تابع الشارع العراقي بقلق واستغراب تضارب التصريحات من القيادات الأمنية بخصوص حجم الاستعدادات الأمنية والعسكرية ونحن على أعتاب خروج القوات الأمريكية من البلاد. وتفاجأ الجميع بحديث بعض القيادات الأمنية من المجال الجوي من أنه سيقى مكشوفاً بخروج القوات الأمريكية، فيما نفت قيادات أمنية ذلك الأمر وبينت أن العراق لديه الاستعداد لتحقيق الأمن لهذا البلد والشعب الكريم.

إن هذا الموضوع الحساس يمثل قضية مصيرية وحساسة ترتبط بأمن دولة وشعب بأكمله، فهي ليست قضية شخصية أو سياسية تعود لهذا المسؤول أو ذاك، ومن حق أبناء شعبنا أن يعرفوا على الحجم الواقعي لقدراتنا الأمنية وإمكاناتنا في مواجهة التحديات الأمنية التي تستهدف البلاد، ومن حق أبناء شعبنا أن نبتعد عن سياسة التقييد في تسريب المعلومات وإعطائها للناس، وتقديم رؤية واضحة وشاملة للمواطنين تعرفهم بالإمكانات المتاحة لنا لتحقيق الأمن حتى يتحمل الشعب العراقي مسؤولياته الكبيرة في هذا الملف الحساس.

إننا اليوم لا نتكلم عن أصل الانسحاب، لأن انسحاب القوات الأمريكية أصبح حقيقة لا مناص منها، ولكننا نتحدث عن الحلول والمعالجات المطلوب تحقيقها من قبل العراقيين، بالاعتماد على أنفسهم أو بالاستعانة بالغير من أجل تحقيق الأمن وتعزيز السيادة وتوفير الفرص الملائمة لمزيد من الاستقرار في البلاد، كما يتحتم توحيد الرؤية الأمنية بين المسؤولين في مؤسساتنا الأمنية في مثل هذه الموضوعات الحساسة والشائكة حتى لا يرتبك الشارع العراقي بالاستماع إلى تقييمات متضاربة، فهذا يقول لدينا القدرة على تحقيق الأمن وذلك يقول ليس لنا القدرة على تحقيق الأمن، ليقى المواطن حائراً تجاه أي من التقييمات يأخذ بها، وهل لدينا القدرة الكافية أو لا؟.

المطالبة بسياسة أمنية مؤسسية

لوحظ تحريف واضح لبعض أحاديثنا في الأيام الماضية، ومن المعروف أنه ليس من طباعنا الرد على المتقولين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، ولكن خطابنا لأبناء شعبنا ولقواعدا الشعبية ولكل الحريصين على الواقع العراقي، لذا فلا بد من أن نوضح الحقائق وأن نذكر بما قلناه من أن الأمن خط أحمر، فلا يمكن التساهل أو المساومة عليه، وما

قلناه أيضا من ضرورة أن تكون مؤسساتنا الأمنية ذات مهنية عالية حتى لا تسلب منها منجزاتها، وقلنا إن البعث الصدامي ولى إلى مزبلة التاريخ من دون رجعة ولا تسامح مع الخلايا السرطانية التي يجب اقتلاعها مهما كانت في بدايتها. ولكن علينا ألا نتعامل ببساطة مع هذه الخلايا ونقدم لها دعاية مجانية من خلال مواقف لم يحسب لها الحساب الكافي.

إننا اليوم نطالب بسياسة أمنية مؤسسية مبنية على فكر استخباري حقيقي، سياسة أمنية تخضع الواقع الأمني إلى عمل مهني محترف وتقلل من خلاله نسبة الخطأ إلى حد بعيد، سياسة أمنية لا تعتمد على الجهد العسكري والاستخباري فحسب وإنما تركز على الجهد الثقيفي والتعبوي والتوجيهي بشكل كبير، سياسة أمنية لا تقتصر على إصدار أوامر الاعتقال وإنما تستخدم التأثير النفسي المترتب لمثل هذه المواقف وردود الأفعال المحتملة لأولئك المشمولين بعمليات الاعتقال، حتى نخرج بحصيلة نضمن من خلالها السيطرة الكاملة على واقعنا الأمني ونحافظ على نظامنا السياسي ونقف وقفة حقيقية أمام الصداميين وأمام كل من يريد أن ينال ويستهدف تجربتنا العراقية.

فيجب ألا يقلق البعض من مثل هذه الكلمات حينما نتكلم على مؤسسة أمنية تدار بعقلية المؤسسات، وتوضع لها الخطط الإستراتيجية الصحيحة. إن ذلك سيساعدنا على بناء دولة قوية منسجمة فاعلة قادرة على الوقوف بوجه الضغوط والمنغصات التي تتعرض لها حتى تشق طريقها وتمضي إلى الأمام.

ذكرى مجزرة كنيسة سيدة النجاة

تمرّ علينا الذكرى الأولى لمجزرة كنيسة سيدة النجاة التي وقعت في بغداد قبل عام من الآن، والتي سقط فيها العشرات من العراقيين المسالمين من الأطفال والنساء والشيوخ ومن الشباب بعمر الورود، سقطوا وهم يؤدون مناسكهم وشعائرهم الدينية في دار عبادة وليس في ثكنة عسكرية أو مقر حزبي. وفي هذا إشارة واضحة إلى طبيعة العقلية الظلامية التي يتحرك بها أولئك الإرهابيون، وما بين ذلك التاريخ والذكرى السنوية الأولى لم يسلم أبناء شعبنا بكل طوائفهم وقومياتهم من مثل هذا الاستهداف، فسقط الكثير من الشهداء، وفي حالات مشابهة نجد بصمات نفس أولئك الظالميين على هذه المجازر والعمليات الإرهابية.

إننا ننتهز هذه الفرصة لنؤكد من جديد أن إخواننا المسيحيين يمثلون جزءاً أصيلاً من شعبنا العراقي في جذورهم الراسخة الممتدة في تربة هذا الوطن الحبيب، ومهما كانت المحاولات

المظلمة والمضللة لاستهدافهم والنيل منهم كبيرة لكنهم سيقون معترزين بانتماهم للعراق وصامدين وثابتين في هذا الوطن الكريم . إن أقصى ما يحققه الإرهاب من مثل هذه المجازر هو ألم نعيشه في قلوبنا ودموع نذرفها على أحبائنا ممن نفقدتهم في هذه العمليات الإرهابية ، ولكننا نزيد إصرارا وعزيمة وثباتا على مواصلة المسير في مواجهته والقضاء عليه وفي بناء هذا الوطن بما يضمن مصالح جميع العراقيين ، وبما يحقق الحرية والعدالة والاستقلال والازدهار في العراق . إننا نثمن الدعم المادي الذي قدمته الحكومة في إعادة بناء كنيسة سيدة النجاة ، ولكننا ندعو أيضا إلى اتخاذ الخطوة الأهم في بناء الثقة مع المكون المسيحي ، وسائر المكونات العراقية من خلال المواقف والتشريعات والخطوات العملية الصحيحة ، وفرص التعيين العادلة وليس بالأقوال والادعاءات فحسب .

صدمة نقل خليجي ٢١ من العراق

تلقى الشارع الرياضي بأسف وصدمة كبيرة قرار الاتحادات الخليجية نقل بطولة الخليج من البصرة إلى المنامة ، وعلى الرغم من أنه لا يوجد فرق بين البصرة والمنامة ، فكلا المكانين أهلنا والشباب هم شبابنا ، ولكن البصرة كانت تتطلع إلى إخوتها في الخليج في أن يعيدوا الابتسامة إلى وجهها ويساهموا بنهضتها وانطلاقتها .

وقد لا تكون فنادق البصرة بالمستوى الذي يطمح إليه الزائرون ، وقد لا تكون البصرة مدينة ناطحات السحاب والبنائات الجميلة ، ولكن البصرة تحاول بإصرار وثبات أن تنفض عنها آثار الحروب ومخلفات الأحداث وعقاب الديكتاتورية ، وكان الأجدد بالإخوة في الخليج أن يمدوا أيديهم لمساعدة البصرة على النهوض بواقعها ، لا أن يضيفوا جرحا إلى جروحها النازفة من خلال موقفهم هذا . ولذلك نقولها بوضوح إن إخواننا في الخليج لم يكونوا موفقين بهذه الخطوة ، وهذا القرار الذي اتخذوه ، فأرسلوا رسالة خاطئة ما كنا نتمناها لهم .

ولكن أدعو أهلنا في البصرة إلى أن يحولوا هذا القرار المجحف إلى عزيمة كبيرة وأن ينهضوا بمدنيتهم بقوة ، فهذه البصرة الفيحاء مدينة الخير وهي رثة العراق والخير الكبير للعراقيين جميعا ، وليس من العدل والإنصاف أن تقوم البصرة بإطعام جميع العراقيين من ثرواتها فيما أن أبناء البصرة يعيش عدد منهم الجوع والفقر والفاقة ، وليس من الإنصاف أن يبني العراق كل العراق من ثروات البصريين فيما أن البصرة لا تحظى بالدعم الكافي للمساهمة في بنائها من قبل الحكومة الاتحادية والإمكانات المخصصة لها ، وكان لنا شرف زيارة أهلنا في البصرة مؤخرا والحضور في العديد من الفعاليات النخبوية

والشعبية، وكان هناك حفل كبير تزوج فيه ١٠٠٠ شاب وشابة، وقد تشرفنا بالحضور في هذه المناسبة، وحظينا بالاهتمام والتكريم والتقدير من أهالي البصرة الكرام، فشكرا لهم على مشاعرهم الطيبة.

التضخم وانخفاض قيمة العملة

إن واحدة من المشاكل الأساسية التي نواجهها اليوم في الجانب الاقتصادي هو استمرار تصاعد التضخم النقدي بشكل مستمر في البلاد، مع انخفاض القيمة الشرائية للعملة العراقية، وفي مقابل ذلك نجد أن رواتب المتقاعدين مازالت ثابتة ولم تتغير بما ينسجم مع هذا التضخم الكبير، ورواتب المعوزين المشمولين بالرعاية الاجتماعية هي الأخرى مازالت قليلة لا تستوعب الاحتياجات الحقيقية لهذه الشرائح وهذه العوائل، فيما تتسع البطالة يوما بعد آخر بحكم طبيعة الظروف التي يمر بها العراق.

إن هذا التضخم من ناحية وهذه المشاكل من ناحية أخرى تؤدي إلى ضغط كبير على شريحة مهمة وواسعة من أبناء الشعب العراقي، ولا بد من سياسات نقدية ناجعة وسريعة تعالج هذا التضخم وتخفف من أعباء المواطنين، كما أن الملاحظ في ميزانية هذا العام ٢٠١١ ضعف الاهتمام بالقطاعات الاستثمارية والإنتاجية، إذ خصص للصناعة ما يزيد على ٢٪ بقليل وخصص للزراعة ما يقل عن ٨٪ بقليل، أي كل ما خصص لأهم قطاعين وهما الزراعة والصناعة لا يزيد على ١٠٪ من الميزانية العامة في البلاد. وهذه الموازنة لم تجد الوسائل الصحيحة في التقليل من البطالة المتفاقمة في بلادنا، إن ذلك يتطلب اتخاذ إجراءات سريعة وواضحة تتمثل بنقاط عديدة، منها: -

أولا/ يتطلب العمل على تنمية الموارد البشرية كي تستطيع أن تلعب دورا أساسيا ومحوريا في تقديم الخدمات الصحية والتعليمية والخدمية للمواطنين، وتدريب القوى العاملة مما سيؤثر في خفض معدلات البطالة واستثمار الموازنة التشغيلية الكبرى التي تصل الى ٦٨٪ من موازنة العراق من خلال كوادر كفوءة قادرة على أن تأخذ البلاد إلى الأمام وتعالج مشاكل الناس.

ثانيا/ يتطلب التركيز على القطاع الخاص وتوفير المستلزمات لنهوض هذا القطاع، وتمكينه من أداء واجبه الكبير والمحوري في إعادة إعمار العراق وتنمية الاقتصاد العراقي.

ثالثا/ يتطلب أيضا إعادة تشغيل الشركات الإنتاجية التي تأثرت بئها التحتية بشكل كبير، بعد دراسة الجدوى الاقتصادية من إعادة تشغيل هذه المشاريع.

رابعاً/ تشجيع إنشاء المشاريع الصناعية الصغيرة والمتوسطة ، وإيجاد آليات تمويلية ملائمة لها، حتى يتمكن الناس من أن يدخلوا ويمارسوا هذه الأدوار ، وتفعّل الصناعة من جديد بما لها من تأثير عظيم في واقعنا الاقتصادي .

مشكلة السكن

وما دمنا نتحدث عن التنمية فلا بد لنا من أن نستذكر مشكلة السكن ، وهي من المشاكل العويصة في بلادنا ومن المعضلات الكبيرة التي يواجهها المواطنون العراقيون . إننا نشيد بمشاريع الاستثمار الكبيرة التي تحصل في هذا القطاع ، والتي ركزت على بناء وحدات سكنية حديثة من الدرجة الأولى وهي أمر جيد وطيب يحتاج إليه البلد . ولكن لا بد من أن يُردف ذلك ببناء وحدات سكنية واطئة الكلفة وبشكل سريع وبيعها بأسعار مدعومة من الحكومة إلى المواطنين من أصحاب الدخل المحدود ، وبأقساط طويلة الأمد بفوائد مصرفية متواضعة ، حتى يستطيع الجميع أن يحظى بفرصة السكن المناسب والملائم في هذا البلد الطيب .

كما أن علينا توزيع المساكن والبيوت بين الفقراء المتضررين من عوائل الشهداء والسجناء وضحايا الإرهاب ، حتى يتمكنوا من معالجة مشاكلهم ؛ لأن هؤلاء لا طاقة لهم حتى على دفع الأقساط ، وهذا من حق الناس على حكومتهم التي تمتلك هذه الميزانيات الضخمة في أن توفر وحدة سكنية لهذه العوائل التي قدمت الغالي والنفيس وضحت بالكثير من أجل هذا الوطن .

معرض بغداد الدولي

افتتح معرض بغداد الدولي في دورته ٣٨ بحضور ١٧ دولة و ٤١٣ شركة عربية وأجنبية ، مما يعتبر طفرة وخطوة مهمة إلى الأمام في مثل هذه المشاركات ، ويعكس رغبة حقيقية من الشركات العربية والعالمية في الاستثمار في العراق . إننا نبارك هذه الخطوة ونثمن موقف الحكومة في إعلانها دعم القطاع الخاص وحماية المشاريع الاستثمارية وخلق المناخ المناسب الذي ينشط دور الاستثمار والقطاع الخاص في البلاد ، وإزاحة العراقيل والمعوقات والمصدات المانعة من توسع القطاع الخاص والمشاريع الاستثمارية في العراق .

إن رجال الأعمال والشركات والمستثمرين يتطلعون إلى تشريعات وإجراءات وضوابط وقوانين تساعدهم على التقليل من الموانع التي تحول دون عملهم وسرعة إنجازهم في

هذا القطاع المهم ، ونتمنى أن نشهد حضورا عربيا وإسلاميا متزايدا في السنوات القادمة في هذا المعرض ، فالشركات الأجنبية والغربية كانت أكثر حضورا في هذا المعرض من الشركات العربية والإسلامية .

انتشار ظاهرة المخدرات

تحدث التقارير عن تصاعد تجارة وتعاطي المخدرات في العراق ، بل بلغ الأمر إلى حد اكتشاف الأجهزة الأمنية لمزارع تزرع فيها المخدرات في البصرة وديالى وأخيرا في كركوك ، مما يثير مخاوف كبيرة حول انتشار هذه الظاهرة المدمرة في المجتمع . ولا بد من وضع حد لهذه الظاهر الخطيرة من خلال القوانين الخاصة بتجريم تجارة المخدرات وتعاطيها ، وتشريع قانون جديد لمكافحة المخدرات ينسجم مع طبيعة الظروف التي تشهدها البلاد والتطورات التي نعيشها في واقعنا السياسي .

ذكرى تأسيس اليونسكو

نعيش في يوم الرابع من تشرين الثاني ذكرى تأسيس منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة اليونسكو . هذه المنظمة الدولية التي أسست في سنة ١٩٤٦ لتحقيق السلام من خلال التربية والثقافة على قاعدة البحث عن الوئام الحضاري من خلال الاختلاف الثقافي . هذه المؤسسة التي تحتضن اليوم ١٩٥ دولة كأعضاء كاملي العضوية ، وتهتم بالمشاريع الثقافية والعلمية وحقوق الإنسان ، أولا نهئى الأمين العام لهذه المنظمة وسائر الدول الأعضاء والمجتمع الدولي والمهتمين بالثقافة بهذه المناسبة المهمة ، كما نهئى بشكل خاص الشعب الفلسطيني الكريم الذي حاز العضوية الكاملة في هذه المنظمة مؤخرا بتصويت ١٠٧ دول ، فيما تحفظت ٥٢ دولة واعترضت ١٤ دولة في مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية التي لم تكتفِ بالاعتراض فقط ، بل جمدت كل دعمها لهذه المنظمة بعد أن منحت العضوية الكاملة لفلسطين ، وهذا الدعم الأمريكي كان يمثل ٢٢٪ من ميزانية هذه المنظمة .

إنه موقف مؤسف ومنحاز من الولايات المتحدة تجاه فلسطين وتجاه هذه القضية العربية والإسلامية المهمة ، كيف للولايات المتحدة الأمريكية أن تكون وسيطا في عملية السلام وهي تمارس هذا الانحياز الواضح في هذه القضية؟ وهذا ليس حديثا عن مقاومة ، وليس حديثا عن سلاح ، وليس حديثا عن حرب مع إسرائيل ، إنه حديث عن منظمة دولية تعنى بالثقافة ، فاتخاذ مثل هذه الإجراءات التعسفية في الاعتراض على عضوية فلسطين أولا ، ومن ثم في معاقبة هذه المنظمة الدولية بهذه الطريقة لأنها منحت العضوية لفلسطين

تمثل موقفا مؤسفا للولايات المتحدة سوف يفقدها الفرصة في أن تكون وسيطا في ملفات السلام وغيرها من الخطوات التي تخص القضية الفلسطينية .

إنصاف حملة الشهادات العليا

هناك شكوى مريرة من حملة الشهادات العليا الموظفين في وزارات الدولة ، فيما عدا وزارة التربية والتعليم والتعليم العالي ووزارة الصحة ، إن ذوي الشهادات العليا في الوزارات الأخرى غير هذه الوزارات الثلاث لهم شكاوى كبيرة حول عدم حصولهم على المستحقات المالية كأقرانهم في الوزارات الثلاث ، مما يتسبب لهم بمعاناة مادية كبيرة . فحامل شهادة الماجستير في الوزارات الأخرى يحصل على نصف الراتب الذي يحصل عليه حامل شهادة الماجستير في هذه الوزارات الثلاث مما يعتبر حالة من الإجحاف بحق عدد كبير من حملة الشهادات والكفاءات والعقول العراقية . إنني أدعو الجهات المختصة في الحكومة وفي مجلس النواب إلى معالجة هذا الإجحاف وضرورة المساواة بين هذه الشريحة الكفوءة والمؤثرة في العطاء وفي الامتيازات ، مما سيبعث فيهم الحماس لتقديم المزيد لهذا الوطن الكريم .

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٣/١١/٢٠١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل، إخوتي الأكارم، أخواتي الفاضلات، بدايةً أرحب بكم أجمل ترحيب في مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين .

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

كان حديثنا في الأسابيع الماضية عن النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة، وذكرنا أن عهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك الأشرى يمثل اختزالاً لهذه النظرية، وانهينا إلى المقطع السادس من هذا العهد الشريف الذي يتحدث عن واحد من المحاور الأساسية في نجاح العملية القيادية والحكم، ألا وهو الابتعاد عن المحسوبية وعن التعدي والظلم للناس ولحقوقهم . وذكرنا في الملتقى الماضي هذه العبارة عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله :

«أنصف الله وأنصف الناس» . أيها المسؤول عليك بالإنصاف، فلا تستطيع التفكيك بين الإنصاف لله والإنصاف للناس، لأنهما في سياق وطريق واحد، إنصاف الناس من خلال إنصاف الله وإنصاف الله هو مراعاة الناس ومراعاة المواطنين وحل مشاكلهم والتخفيف من همومهم، وإعطاء كل ذي حق حقه «أنصف الله وأنصف الناس من نفسك» .

لا محسوبية في الإسلام

فعلى مستوى سلوكك الشخصي عليك أن تكون منصفاً لله وللناس . «ومن خاصة أهلك» ، فأنت أيضاً مسؤول عن أقبائك وذويك ، فأنت وأقربائك شيء واحد ، فكما عليك أن تحافظ على نزاهة نفسك ، عليك أن تحافظ على نزاهة ذويك وأقبائك ، «ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك» ومن الناس الذين لك رغبة بهم وهم من حزبك أو قوميتك أو من عشيرتك أو من أبناء مدينتك ، أيا كانت هذه الاعتبارات ، فأنت مسؤول عن نفسك وعن أقبائك ، وكذلك الذين تميزهم عن الآخرين وتراهم أقرب إليك من غيرهم ، إن الإنصاف لله والإنصاف للناس يتحقق في هذه المساحات الثلاث .

«فانك إلاّ تفعل تظلم» فإذا لم تحقق الإنصاف للناس من نفسك ومن أقبائك ومن خاصتك ومن الناس القرييين والمحسوبين عليك ، فحينئذ سوف تقع في الظلم . إذن في الرؤية الإسلامية لا توجد محسوبيات ومنسوبيات ، ولا توجد محاباة لأحد من الناس على حساب الآخر ، بل يجب أن توضع الأمور في نصابها الصحيح ولكل ذي حق حقه ، هذه نظرية الإسلام . وقد تحدثنا في اللقاء السابق عن أهمية الإنصاف ودور الإنصاف في نجاح المنظومة القيادية ، وتحدثنا عن مستويات الإنصاف الثلاثة في النفس وفي الأقرباء ، وفي من هم قرييون .

لا اعتبار للقرابة في المسؤولية

لاحظوا هذا الكتاب ٤١ في نهج البلاغة الذي يتحدث فيه علي عليه السلام مع أحد أولاد عمه ، الذي كان رجلاً مضحياً ومناضلاً ، قاتل مع علي عليه السلام وحصل على ثقة علي عليه السلام وسلمه مسؤولية ولاية منطقة ، ودخل علي في هذه الحروب وتوترت الأوضاع وانشغل أمير المؤمنين عليه السلام في شؤون الحروب ، وكان ذلك الرجل في مكانه ورأى أن القضية فيها فرص فاغتر بهذه الامتيازات وهذه الفرص والدنيا لعبت بعقله ، فانحرف ووصل خبره إلى الإمام علي عليه السلام .

ولم يضع علي عليه السلام أي اعتبار للقرابة ، انظروا ماذا قال علي عليه السلام في هذا الكتاب : «أما بعد فإنني كنت أشركتك في أمانتي» المسؤولية أمانة وليست تشريفاً ، «وجعلتك شعاري وبطانتي» فالناس لا ترى المسؤول بل ترى هذه الأذرع والجماعات المحيطة بالمسؤول «ولم يكن في أهلي أوثق منك في نفسي» ولا يوجد أحد من أقبائي أقرب لي منك «لمواساتي ومؤازرتي» ، ورأيتك تقف لتتصرني في الحق الذي أدافع عنه «وأداء

الأمانة إلي» ورأيتك وفيلا لا تتخلى عني في ساعة الضيق ولذلك أعطيتك المسؤولية «فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب» وحينما اشتدت الأمور على علي عَلَيْهِ السَّلَامُ واحتوشه الأعداء من كل صوب وحذب وحاصروه وضيقوا عليه «والعدو قد حرب وأمانة الناس قد خزيت». أي أن أمانة وحقوق الرعية ضاعت، فالكل حصلوا على حقوقهم وامتيازاتهم إلا المواطن المسكين «وهذه الأمة قد فتنت وشذرت» ولا أحد يطالب بحقوق الناس، وبقي ظهر الأمة مكشوفاً، «قلبت لابن عمك ظهر المجن ففارقت مع المفارقين» تركته وذهبت مع من تركوه. وهناك من الانتهازيين الذين يبقون حول المسؤول ما دام قويا وحينما يضعف يبحثون عن قوي غيره.

«وخذلت مع الخاذلين وختته مع الخائنين» هكذا تعاملت مع علي «فلا ابن عمك آسيت ولا الأمانة أديت وكأنك لم تكن الله تريد بجهدك». أين هذا الجهاد والتأريخ والتضحيات ومشاركتك في الحروب؟، ويبدو أن هذا الجهاد لم يكن هو الغرض والهدف الأساسي من حركتك والتأريخ وحده لا يكفي، فيجب أن يكون متصلاً بالحاضر وأن يعبر عن نفسه إلى آخر لحظة من حياة الإنسان.

التأريخ لا يشفع

نرى أن الحر بن يزيد الرياحي كان من مدرسة أخرى، وحياته حياة عداء لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ولكن في اللحظة الأخيرة «أخير نفسي بين الجنة والنار لا والله لن أختار على الجنة شيئاً»^(١٥٤)، وجاء مطأطأ برأسه نحو الحسين معتذراً نادماً وقبل الحسين توبته، والواقع أن الحر هو الذي جمع بالحسين وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في هذه المنطقة، لكن في اللحظة الأخيرة وفي المقطع الأخير من الصورة كان الوفاء والنصرة فأصبح من أصحاب الحسين.

بينما كان الشمر من أصحاب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وقاتل معه في صفين وتأريخه تأريخ ولاء ومحبة ونصرة لأهل البيت، لكن في اللحظة الأخيرة من حياته وقف ليحز رأس الحسين معادياً أبا عبد الله واليوم يُلعن الشمر ويُترحم على الحر بن يزيد الرياحي، إذن فالتأريخ وحده لا يكفي والجهاد وحده لا يكفي، هكذا يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لابن عمه، «وكانك لم تكن الله تريد بجهدك وكانك لم تكن على بينة من ربك»، الظاهر أن موقفك لم يكن عن بصيرة ولا عن وعي بل حشر مع الناس عيد، فالمجاهد الحقيقي لا يغيره الكرسي

الدوار ودواليب الزمن «وكانك إنما كنت تكيد هذه الأمة عن دنياهم» فكل ما كان منك هو مجرد شكليات ومسرحية للتغريب بالناس لتحصل على ثقتهم وأصواتهم «وتنوي غرتهم عن فيئهم» إنما أنت بالمرصاد لهؤلاء الناس لسرقة أموالهم حينما يغفلون «فلما أمكنتك الشدة من خيانة الأمة، أسرعت الكرة وعاجلت الوثبة» حينما رأيت الفرصة مؤاتية ذهبت مهرولا للاعتداء على حقوق الناس «واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم»، هذه أموال الفقراء والأيتام وهذه أموال الشعب التي اعتديت عليها «اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى الكسيرة»، اختطفت حقوق الشعب على حين غرة لما رأيت الناس مشغولة بآلامها وحروبها.

المال للشعب لا للمسؤول

«فحملته إلى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير متأثم من أخذه كأنك - لا أبا لغيرك - حدرت إلى أهلك تراثك من أهلك وأمك» وكان هذه الأموال إنما هي ميراث أهلك وأمك لتأخذها بهذا الشكل «فسبحان الله أما تؤمن بالمعاد أو ما تخاف نقاش الحساب» يوم القيامة حينما يسألونك عن كل ما تملك فماذا تقول؟ من أين لك هذه الأموال وهذه الفنادق والمشاريع والقصور ومن أين لك هذه الممتلكات؟ والواقع أن راتبك لا يكفي لتشديد كل هذه، «أيها المعدود كان عندنا من أولي الأبواب كيف تسيغ شرابا وطعاما وأنت تعلم أنك تأكل حراما وتشرب حراما وتبتاع الإماء وتنكح النساء من أموال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين» هذه أموال من وقف وجاهد وقدم، فكيف أقبل هذا السلوك منك، وكيف أرتضيه حتى وإن كنت ابن عم لي «الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال وأحرز بهم هذه البلاد» في حفظ الأمن والاستقرار، فالفقراء هم من وقفوا وثبتوا الأمن والاستقرار وليس أنت. فالمضحون والمجاهدون هم من وقفوا، وهم من حقق ودافع وثبت، فكيف لك الآن أن تحصد كل ذلك لأنك ابن عم علي بن أبي طالب؟.

«فاتق الله واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنك إن لم تفعل، ثم أمكنني الله منك، لأعذرني إلى الله فيك، ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحدا إلا دخل النار،» لأن عليا مع الحق والحق مع علي، فسيف علي أينما أصاب فإنما أصاب الباطل ولا يمكن أن يصيب الحق، انظروا إلى منهج علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، «والله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت، ما كانت لهما عندي هوادة، ولا ظفرا مني بإرادة حتى آخذ الحق منهما، وأزيح الباطل عن مظلمتها» حتى لو كانوا أولادي وقد ظلموا الناس لكنت حاسبتهم حتى انتزع حق المظلوم منهم، «وأقسم بالله رب العالمين ما يسرنني أن ما أخذت من

أموالهم حلال لي أتركه ميراثاً لمن بعدي ، فضح رويداً» ، فكر بالذي قلته لك «فكأنك قد بلغت المدى» تصور أنك قد بلغت أجلك ففكر ماذا تصنع في ذلك اليوم «ودفنت تحت الثرى ، وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة» ، وجاؤوا لك بأعمالك وظلمك للناس واستحوذك على حقوقهم وممتلكاتهم في ذلك الوقت ليس لك إلا الحسرة «ويتمنى المضيق الرجعة» أي تمنى العودة حتى تعالج ما فعلته ، «ولات حين مناص ، والسلام»^(١٥٥) أي ليس هناك من طريق للرجعة .

الاقتداء بنهج علي عَلَيْهِ السَّلَامُ

هذه مدرسة علي ونهج الإسلام إزاء المحسوبة والمنسوبة ، فلا خصوصية للقريب ولا خصوصية للصديق ولأبناء الحزب والجماعة الواحدة ، بل الخصوصية للشعب والناس وللمواطنين ، جاء لعلِّي عَلَيْهِ السَّلَامُ أحد شيعته واسمه عبد الله بن زمعة يطالب بأموال ، فانظروا ماذا قال له عَلَيْهِ السَّلَامُ من نهج البلاغة : «إن هذا المال ليس لي ولا لك وإنما هو فيء للمسلمين» فهذه غنائم المسلمين «وجلب أسيافهم» وهذه الأموال جاءت بسيفهم وبتضحياتهم وبجهادهم وحروبهم وتصديهم «فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم وإلا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم»^(١٥٦) ، أما إذا لم تكن مشاركا معهم فالذي يحصلون عليه لا يكون إلا لأفواههم ، فمال الشعب للشعب ، هكذا يقول علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ «فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم» أي أن مال الشعب للشعب ، لذلك علينا أن نقف عند هذه المدرسة المعطاء لتتعلم الكثير من نهج علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وعدم محاباته لأقرب الناس إليه .

استقبال شهر محرّم

نستعد في هذه الأيام لاستقبال شهر محرّم الحرام ، شهر التضحية والفداء والعطاء لنهله من مدرسة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مدرسة الإباء والعطاء ومدرسة الإنسانية . في هذين الشهرين الفضيلين محرّم وصفر لا بد من أن نقف عند مدرسة سيد الشهداء ونستلهم الدروس والعبر في بناء ذواتنا ومجتمعاتنا وبناء بلداننا .

إن المواكب والهيئات الحسينية والخطباء ، الشعراء والروايد ، وخدمة الحسين لهم الدور الكبير في إحياء شعائر الحسين واستثمار هذا الموسم الكبير لتعريف الناس

١٥٥ . نهج البلاغة ج٣ - ص ٦٥

١٥٦ . نهج البلاغة ج٢ - ص ٢٢٦

بثورة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأبعاد هذه الثورة وربط الناس بالإمام الحسين عبر الشعائر الحسينية، إننا إذ نشيد بأصحاب المواكب والهيئات الحسينية وخدمة الحسين على جهودهم الكبيرة والعبارة في خدمة زوار ومحبي الحسين، نتمنى لهم مزيداً من الجهد والعطاء في خدمة هذه الشعائر ومزيداً من الخدمة والتواصل مع أبناء شعبنا والتعريف بقضية الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا بد لنا من أن نستذكر شهداء طريق كربلاء أولئك الذين سقطوا في عهد النظام الصدامي من قبل النظام نفسه، وأولئك الذين وقعوا ضحية للإرهاب الأعمى ما بعد سقوط النظام الصدامي في السنوات الماضية، وإننا نترحم على أولئك الشهداء وسنبقى أوفياءً للحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ولإحياء شعائر الحسين وسنواصل هذا المسار وهذا المشوار حتى تثبت الرؤية الحسينية والمنهج الحسيني في واقع هذه الأمة وهذا الشعب.

كما نشيد بأداء الأجهزة الأمنية واستعداداتها الكبيرة لتوفير الأمن لزوار الحسين والمشاركين في المجالس الحسينية والهيئات والمواكب في كل مناطق العراق. ونتمنى أن نكون أمام موسم بعيد عن الخروقات الأمنية، وتوفر فيه فرصة التعبير عن حنا الصادق ولولائنا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته الكرام عَلَيْهِ السَّلَامُ عبر إحيائنا للشعائر الحسينية.

الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يختص بطائفة أو ديانة

كلمة أوجهها لأبناء شعبنا، للحسينيين رجالاً ونساءً، شيباً وشباباً، كباراً وصغاراً، استثمروا هذا الموسم المهم واحضروا وشاركوا في المواكب والهيئات، وعبروا عن حبكم للحسين وللرسول وأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، واستزيدوا من المنابر ومن الدروس العظيمة، ومن أجواء إحيائنا للشعائر الحسينية.

إن الحسين لا يختص بطائفة أو ديانة، الحسين في فكره وفي نهجه وفي سلوكه وتطلعاته وتضحياته وهمومه إنما جسّد الهدف الحقيقي من حياة الإنسان، وعبر عن تطلعات الشعوب والأمم، فهو قتيل الإنسانية وهو الضحية الكبرى للإنسانية جمعاء. لذلك فالمسلمون بكل مذاهبهم والديانات الأخرى مدعوون جميعاً إلى إحياء شعائر الحسين والحضور في هذه المناسبة الكريمة.

كما أوصي جميع أعزائي من المواكب والهيئات والحسينيين بضرورة تجنب الطبقة الاجتماعية والتفاخر في المجالس الحسينية، فالمسؤول والمواطن البسيط والغني

والفقير والوجيه وغيره من المواطنين كلهم سواسية في مجلس الحسين، ولا فرق بين الناس، فلا تقسموا الناس على أساس طبقات أو أجناس، لنجلس جميعا موحدين كما نمارس ذلك في شعائر إسلامية أخرى، كشعيرة الحج، فالكل يرتدي زيا واحدا ويمارس سلوكا واحدا في العبادة لله تعالى. إن الارتباط بالحسين والثأر للحسين والتعلم من الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، إنما هو منهج إنساني إسلامي أصيل يجب ألا نختلف فيه على اعتبارات وفوارق طبقية واجتماعية.

كما أشدد على ضرورة تجنب الخصومة والتدافع بين المواكب والهيئات والحسينيين أثناء تفاصيل الممارسة الحسينية وإحيائهم لشعائرها، وإنما ليتنافسوا في الخير وتقديم المزيد من الخدمة والرعاية لعشاق الحسين والزوار، ولنتعلم أكثر من المدرسة الحسينية دروس العطاء والمثابرة والإيثار والتعاون في ما بيننا، ونعطي صورة رائعة نربي فيها أنفسنا ومجتمعنا.

كرنفال تأسيس المجلس الأعلى

شهدنا في الجمعة الماضية الكرنفال الكبير الذي أقامه قادة وكوادر وتنظيمات المجلس الأعلى بمناسبة الذكرى الـ ٢٩ لتأسيس المجلس، وقد تم الكرنفال بمستوى عال من التنظيم والتزام كبير بتلك الحشود المليونية التي حضرت هذا الكرنفال المهيب، وفي تجمع غير مسبوق في العراق على مدار السنوات التسع الماضية من حيث حجم الحشود وطبيعة ومستوى التنظيم. حيث شاركت ١٢ محافظة في برنامج مركزي واحد يحدث لأول مرة في العراق، وقد تم بأفضل صورة والحمد لله.

ومما يلفت النظر هو الحضور الحاشد والنسبة الساحقة من المشاركين الشباب والشابات من أبناء وتنظيمات المجلس الأعلى، مما مثل طفرة كبيرة في الحلة الجديدة التي ظهر بها المجلس الأعلى ليكون وفيا لأبناء شعبه بما وعد به من التطوير والتغيير في بنيته التنظيمية، وفي أدائه على الأرض.

إني أشكر وأثمن لكل قيادات وكوادر وتنظيمات المجلس الأعلى هذا الجهد الكبير والعمل الرائع الذي قدموه لأبناء شعبهم، حينما عبروا عن قوتهم وتنظيمهم العالي بالمستوى الذي تابعه أبناء شعبنا. إن قوة المجلس الأعلى هي قوة للشعب العراقي وبالتالي فالعراقيون سيفرحون حينما يرون قوى منظمة وملتزمة تجاه هذا الشعب والوطن تمارس دورها بحرفية عالية وبشكل كبير وواسع.

ونتمنى أن نشهد كرنفالات مشابهة لمؤسساتنا الأخرى في تيار شهيد المحراب يعبرون فيها عن حجم تنظيماتهم وحضورهم الفاعل والمؤثر في ساحتنا العراقية . كما وأتقدم بالشكر والتشمين للأجهزة الأمنية والأجهزة الحكومية التي ساعدت على توفير الأمن ، وأسهمت في خلق هذا المناخ الآمن الذي مكن تنظيمات المجلس الأعلى من إقامة هذا الاحتفال الكبير دون حادثة أو خرق يذكر . والشكر موصول لجميع القيادات السياسية والاجتماعية والشعبية والعشائرية والمسؤولين الحكوميين على تهانيمهم وتفاعلهم وتبريكاتهم للمجلسيين بهذه المناسبة العطرة ، وبهذا العمل الكبير والرائع .

لا بد لي من أن أثنى الاستجابة السريعة التي لاحظناها من العديد من القوى السياسية للمبادرات التي أطلقها المجلس الأعلى في هذا الكرنفال ، فقد لاحظنا تقبلا وتفهما والتزاما من العديد من القوى السياسية بهذه المبادرات ، وهذا ما يجعلنا متفائلين لأن نضع يدا بيد متعاونين متراصي الصفوف ونمضي قدما في خدمة أبناء شعبنا لحل التوترات والإشكاليات العالقة في ساحتنا . شكر خاص للعديد من الدول في المنطقة والعالم الذين تواصلوا وعبروا عن فرحهم وسعادتهم لما يشهده المجلس الأعلى من تطور كبير .

موازنة ٢٠١٢ .. موازنة المواطن وليس المسؤول

إن المصادقة على الموازنة العامة للبلاد تعتبر مدخلا أساسيا يمكن الوزارات والحكومات المحلية من تنفيذ المشاريع وتقديم الخدمة لأبناء شعبنا ، ولذلك فإن الإسراع في المصادقة على الموازنة العامة يمثل خطوة أساسية وضرورية لخدمة أبناء شعبنا .

ومما يؤسفنا أن طبيعة الظروف حالت دون أن تصل هذه الموازنة حتى الآن إلى مجلس الوزراء ، وبعد مصادقة مجلس الوزراء تذهب إلى مجلس النواب وتناقش لتقرر قبل نهاية العام ، إن هذا التأخير ينذر أننا قد لا نتمكن من إنجاز هذه العملية خلال هذا العام وتأخر المصادقة على الموازنة إلى العام المقبل ، ما ينعكس سلبا على تنفيذ المشاريع وبالتالي يؤثر بشكل مباشر في الواقع الخدمي للمواطنين ، لذا أتمنى من كل الجهات المختصة الحكومية والنيابية بذل الجهد والإسراع في المصادقة على الموازنة لتكون الرؤية بيّنة للحكومات المحلية والحكومة الاتحادية ، وتبدأ إحالة المشاريع وتنفيذها مطلع العام المقبل .

كما نتفاءل خيرا بما صرح به معالي وزير التخطيط من أن الموازنة للعام المقبل ستكون ١٢٠ مليار دولار وتحدثت الأنباء عن مسارين إيجابيين في هذه الموازنة ، هما منح

الأولوية للكهرباء وإعفاء المواطنين من فوائد القروض ، وهي مسارات مطمئنة ونتمنى أن تتحقق في الموازنة القادمة . إننا نشدد على ضرورة أن تكون الموازنة القادمة موازنة للمواطن وليس للمسؤول وتضع أمامها المواطن هدفاً وغاية ، وكيف تخدم المواطن وتبني المشاريع لخدمته وتسهّل تسيير شؤونه ، فإن مثل هذه الميزانية الفلكية قادرة على فعل الكثير لأبناء شعبنا وتخفيف معاناتهم ، حذار من أن تصرف هذه الأموال في مجالات بعيدة عن احتياجات المواطن ليبقى يعيش الأمرين من ضعف الخدمات كما نواجهه في الظرف الراهن .

الثروة النفطية ملك للشعب

إن الدستور العراقي أكد ملكية الشعب للثروة النفطية ، وهو يتطلب توزيع الثروة النفطية التي هي الرافد الأساسي لموازنتنا في كل عام حسب النسب السكانية للمحافظات ، وحسب نسب المحرومية والمشاريع الإستراتيجية ، وبذلك نكون قد أنصفنا أبناء شعبنا ووزعنا الثروة على جميع أبناء شعبنا بشكل عادل ، كما نشدد على أهمية الشفافية في عرض الموازنة على الشعب وإطلاعهم على نسب المشاريع الخدمية التي ستقدمها الحكومة من خلال هذه الموازنة الكبيرة ، حتى يمكن للمواطن المشاركة في المشاريع وصيانتها واستثمارها ، ويشعر بالتفاؤل في إمكانية حل جزء من معاناته ومشاكله وهمومه .

كما نطالب بتخصيص ميزانية لعناوين تخص المواطنين كالسلف التي تقدم لبناء مساكنهم أو زراعة أراضيهم أو ما يقدم للشباب والتعليم وما يقدم للقطاع الخاص ، وهو الرافد الأساسي لتشغيل أكبر عدد من العاطلين عن العمل ، وبهذا يتم القضاء على الروتين الإداري المعطل للاستفادة من السلف الحكومية لعموم المواطنين ، ويمنع من مناقلة هذه الأموال والاستفادة منها في مشاريع أخرى على حساب حقوق المواطن ، كما حصل في سنة ٢٠١٠ . كما نطالب كتلة المواطن وجميع الكتل النيابية الكريمة المنسجمة مع رؤيتنا في مسارات الموازنة بالعمل على تحقيق النقاط التالية :-

أولاً/ الحفاظ على المكاسب التي حققتها كتلة المواطن في موازنة الأعوام السابقة بمساعدة الكتل النيابية الأخرى ، كمشروع البترودولار للمحافظات المنتجة للنفط ومشروع تخصيص نسبة من سمة دخول الزوار لإعمار المدن المقدسة مما تركت أثراً كبيراً

في إعمار تلك المحافظات ، وتحدث الأخبار اليوم عن أن محافظة كركوك استطاعت أن توفر ٢٠ ساعة من الكهرباء لأبنائها بفضل البترودولار الذي يمنح للمحافظة .

ثانيا/ توجيه الموازنة لتشغيل الأيدي العاملة وليس لتوظيف بطالة مقنعة ، من خلال زيادة مخصصات القروض والمشاريع الصغيرة ، وبناء السكن ودعم قطاعات الزراعة والصناعة وتحويل الشركات العامة إلى شركات مساهمة ، إلى غير ذلك من الإجراءات .

ثالثا/ الاطلاع على المشاريع المخصصة من الوزارات في المحافظات ، والتعرف على نسب الإنجاز والعراقيل التي تقف في وجه هذه المشاريع ، لتؤخذ بنظر الاعتبار وتعالج من خلال موازنة السنة القادمة .

رابعا / التعرف من خلال ممثل الرقابة المالية في الوزارات على مكامن الخلل في المشاريع المتبناة من الوزارات العراقية لأخذها بنظر الاعتبار في تخصيصات ومسارات الموازنة للسنة القادمة .

خامسا/ التوجه نحو مزيد من التخصص والإجراءات العلمية في موازنة العام المقبل ومناقشتها من خلال الاستفادة من الخبراء والاقتصاديين والماليين في البلد .

تعديل رواتب الموظفين والمتقاعدين

إن ارتفاع التضخم إلى ما يقرب من ٨٪ وارتفاع الأسعار لأغلب السلع والبضائع يؤكد أهمية تعديل قانون الرواتب ، الذي يستفيد منه مليونان وستمئة وخمسون ألف مواطن عراقي من الموظفين المدنيين والعسكريين في البلاد ، للوصول إلى رواتب توفر الحد المقبول من المعيشة وحل مشاكل هذه الشريحة الكريمة ، وذلك عبر تقليل الفجوة الكبيرة في سلم الرواتب بزيادة رواتب الدرجات الدنيا وتعديل قانون الرواتب رقم ٢٢ لسنة ٢٠٠٨ بإضافة مخصصات تجاهلها ذلك القانون ، كمخصصات الخطورة ومخصصات الشهادة العليا ، لتساوى بذلك جميع مؤسسات الدولة .

كما أن هناك مليوني متقاعد مدنيين وعسكريين يستحقون إعادة النظر في سلم رواتبهم لرفع المستوى المعاشي لهم ، كي يستطيعوا أن يعيشوا بعزة وكرامة ويوفروا ما يحتاجون إليه في عمر متقدم ، من رعاية صحية وإنسانية . هناك أيضا ٨٥٠ ألف مستفيد من شبكة الحماية الاجتماعية يجب إعادة النظر في حمايتهم ورواتبهم ، إذ إن المساعدات التي تقدم لهم مساعدات رمزية لا توفر لهم أدنى مستويات العيش الكريم .

اليوم العالمي للطفولة

إن يوم ٢٠ من تشرين الثاني اعتبر يوماً عالمياً للطفولة، وهي فرصة نقف فيها عند معاناة الطفل العراقي والظروف الصعبة التي يمر بها، في ظل غياب برنامج واضح لرعاية وتأهيل الأطفال مما يحدو بالعديد من العوائل العراقية لإجبار أبنائها على التسول، والعمل في مهام لا تتناسب مع أعمار هؤلاء الأطفال، إن تدافع هؤلاء الأطفال في البيع في الشوارع وتعريض حياتهم للخطر إنما يعبر عن الوضع المعاشي السيئ لعوائلهم، مما يدفع بهم إلى الشوارع للارتزاق بهذه الطريقة.

وفي هذه المناسبة لا بد لنا من أن نشير إلى ضرورة سن قوانين تمنع من استغلال الأطفال القصر في أعمال لا تتناسب مع أعمارهم وقدراتهم وضرورة مكافحة البطالة والعمل على معالجة الفقر والتشرد وتحسين مستوى المعيشة للمواطنين، مما ينعكس بشكل واضح على حياة الأطفال في بلادنا. ويجب العمل على ملاحقة عصابات الاتجار بالأطفال محلياً وإقليمياً ودولياً ومكافحة دور البغاء والدعارة والتشديد بأحكام القوانين ذات الصلة بهذا الموضوع.

مناهضة العنف ضد المرأة

إن يوم ٢٥ من تشرين الثاني هو اليوم العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة، وقد دعت الجمعية العمومية للأمم المتحدة إلى إطلاق حملة ١٦ يوماً لمناهضة العنف ضد المرأة، تبدأ من يوم ٢٥ تشرين الأول وتنتهي في ١٠ كانون الأول، وهو اليوم العالمي لحقوق الإنسان.

وقد كان عزيز العراق (رحمه الله) قد اقترح أن يكون يوم الأول من صفر يوماً إسلامياً لمناهضة العنف ضد المرأة، إنها مناسبة مهمة أن نقف ونتضامن مع المرأة في العراق والوطن العربي وفي العالم برمته، ونرى كل الإجراءات الاحترازية للوقوف بوجه تعنيف المرأة والإساءة لكرامتها وسلب حقوقها في مجتمعنا وسائر المجتمعات الأخرى، وقد انتخبت مؤسسة شهيد المحراب عضواً في اللجنة التنفيذية لوضع المرأة في المجلس الاجتماعي والاقتصادي للأمم المتحدة وكلفت بملف العنف ضد المرأة لنشاطاتها الكبيرة في هذا المجال، وهو هدف عظيم ليس لهذه المؤسسة وحدها وإنما لكل منظمات المجتمع المدني في العراق، حينما تحظى منظمة غير حكومية عراقية بفرصة العضوية في مثل هذه الأنظمة الدولية لتمارس أنشطة ليست عراقية حسب، وإنما لها مساحات تعم العالم برمته.

تثمين موقف مفتي الديار المصرية

تابعنا باهتمام ما تطرق إليه مفتي الديار المصرية فضيلة الشيخ علي جمعة من مهاجمة الفئة الضالة الداعية إلى هدم قبور الأنبياء وأهل البيت والأولياء والصالحين . إننا نشتم هذا الموقف الإسلامي الأصيل ونجد فيه خطوة مهمة للتقريب بين المسلمين ووحدهم وتلاحمهم ووحدة صفوفهم لمواجهة كل التحديات التي تستهدفهم وتستهدف وحدتهم ، إن مثل هذه الخطوات تقرب النفوس وتطيب الخواطر وتشدنا جميعاً إلى الثبات والتمحور حول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته وأصحابه النجباء .

محصول الشلب والتسعيرة الحكومية

يبدأ في هذه الأيام تسويق محصول الشلب من المزارعين في العديد من المحافظات العراقية ، والأنظار شاخصة إلى التسعيرة الحكومية التي يتم من خلالها شراء هذه المحاصيل الزراعية . وكان مجلس النواب قد أقر تسعيرة تزيد على التسعيرة الحكومية السابقة لهذه المحاصيل ، ولكنها لم تُفعل مع الأسف الشديد من قبل الجهات المختصة في الحكومة الموقرة ، إن ذلك سوف ينعكس سلباً على المزارع العراقي والذي يتحمل من الصعاب والتكلفة أكثر مما يحصل عليه من التسعيرة الحكومية ، حينما يبيع محاصيله الزراعية .

وبذلك قد نخاطر بقطاع الزراعة وندفع الكثير من المزارعين للبحث عن فرص أخرى لتأمين فرص العيش الكريم لأنفسهم ، وبذلك نكون قد خاطرنا بقطاع حيوي واستراتيجي مهم كقطاع الزراعة وفقدنا فرصة مهمة لتشغيل المساحات الواسعة من الأيادي العاملة وتوفير السلة الغذائية وطنياً ، بما يعزز الاستقلال والسيادة الوطنية وبما يسهم بدرجة كبيرة في مكافحة الفقر والبطالة .

إتلاف المواد الغذائية الفاسدة

قامت الجهات المختصة بإتلاف ٨٠ طناً من المواد الغذائية الفاسدة التي كانت تباع بأسعار زهيدة في الأسواق من دون رخص صحية . إننا نشتم من الجهات الحكومية هذه الخطوة ولكننا نشدد على ضرورة اتخاذ الإجراءات الصارمة التي تمنع دخول المواد الغذائية الفاسدة إلى داخل البلد والمخاطرة بالواقع الصحي لأبناء شعبنا ، كما وندعو الجهات المختصة في وزارة الصحة إلى أخذ الحيطة والحذر والدقة الكافية في توفير

الأدوية واللقاحات المستوردة من الخارج لكي لا تكون سببا في عوارض جانبية ، وفي الإساءة إلى المواطنين وصحتهم لاسيما للأطفال كما حصل مؤخرا .

معاناة منتسبي حماية الطاقة الكهربائية

هناك أكثر من ١٢ ألف منتسب على الملاك الدائم لحماية منظومة الطاقة الكهربائية في البلاد ، وهؤلاء الكرام المخلصون والمناضلون ألحقوا بوزارة الداخلية مؤخرا ، وهي خطوة حسنة ولكن الملفت أن خدمتهم التي زادت على ست سنوات قبل التحاقهم بوزارة الداخلية لم تحسب لهم بعد هذه الخطوة ، وقد عاشوا الأمرين وواجهوا الإرهاب في تلك الظروف الصعبة من عام ٢٠٠٦ وما بعده ، فحريّ بنا أن نقف إلى جانبهم ونكرمهم ، وأن نحترم تضحياتهم في السنوات الست الماضية ، إنني أدعو الجهات المختصة إلى النظر في هذا الموضوع الحساس ، ومعالجة هذه الإشكالية ليأخذ كل ذي حق حقه ، ويجد هؤلاء الأحبة التكريم اللائق من الجهات المختصة في الدولة .



الأمسيات الرمضانية





الأمسية الأولى - بتاريخ ٢٠١١/٨/٣



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (١٥٧) .

شهر الضيافة الإلهية

أيها الأعداء الأفاضل بداية أبارك لكم هذا الشهر الفضيل، شهر الصيام، وشهر القيام، شهر ضيافة الله سبحانه وتعالى . ماذا نقول في شهر رمضان؟ وأي منزلة وأي فضل وأي كرامة من فضائل وكرامات هذا الشهر يمكن أن نقف عندها ونحدث عنها؟ . فهو شهر الضيافة الإلهية، حينما نذهب إلى ضيافة نرى أنه كلما كان المضيف أكثر كرما كان أكثر عطاءً، في بيوتنا نتفنن في الطعام والشراب وأدوات الراحة للضيف، وكلما بالغنا في تقديم هذه الخدمة عبرنا عن مدى احترامنا واهتمامنا بهذا الضيف، والتزامنا بسياقات الضيافة . فكيف إذا كان المضيف هو الله سبحانه وتعالى، الجواد الكريم، المعطاء، جوده مطلق، عطاؤه دائم، فضله عميم، ماذا سيكون حال هؤلاء الضيوف الذين يفدون على الله سبحانه وتعالى؟ .

إن الضيافة الإلهية في جوهرها وفي مضمونها تختلف عن ضيافة البشر، ضيافتنا ضيافة طعام وشراب . . فكلما كان الضيف أعزّ وأهمّ تنوّعت الأطعمة والأشربة، ولكن

الضيافة الإلهية ضيافة الإمساك عن الطعام والشراب، على الإنسان أن يصوم، أن لا يأكل ولا يشرب، فلماذا هذه الضيافة بهذه الخلفية؟ لماذا نتعذب حينما نكون في ضيافة الله؟ ونعيش العطش ونعيش الجوع ولا سيما في هذه الأيام حيث الحر اللاهب وانقطاع الكهرباء طوال النهار التي اجتمعت على العراقيين وعلى المؤمنين في هذه المنطقة عموماً وإن كان همُّ العراقيين أكثر من غيرهم؟ ما هي فلسفة هذا الصيام؟ والله هو المعطي الذي يعطي بغير حساب لأنه الجواد الكريم؟ .

الصيام ونتائجه

في هذا درس عظيم وكأن الله سبحانه وتعالى يأخذ منا شيئاً ليعطينا أشياء، هو درس في أن الأمور لا تحصل إلا بعناء فلا يستطيع أحد أن يحصل على شيء في هذه الدنيا إن كان يطلبها أو كان يطلب الآخرة، لن تحصل الأمور بدون عناء، وبدون مشقة .

تريد الوصول إلى الدنيا وتحقق تطوراً في وضعك العلمي أو تحقق تطوراً في وضعك الاقتصادي، أن تكون صاحب مشروع . . إذن عليك أن توصل الليل بالنهار . تريد أن تحقق ذاتك وتحقق الكمال المنشود لك في عملية التكامل الإنساني وتصل إلى الله، عليك أن تصل الليل بالنهار . من أراد الدنيا عليه أن يعمل ومن أراد الآخرة عليه أن يعمل أيضاً، لا يوجد شيء من دون جهد مقابل، يقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(١٥٨) أي أن المؤمنين يتساءلون: «متى نصر الله؟» كما تتساءلون: إلهي لقد ضاقت صدورنا، متى تأتي الكهرباء؟ متى تتوفر الخدمات؟ متى نرى حال العراق كحال بقية البلدان؟ . في الآية من يسأل ليس الناس البسطاء، بل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والذين آمنوا معه من المؤمنين، وهم الثلاثة المخلصة فهؤلاء من تضيق صدورهم ويسألون: (متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب) . . في ذروة الضيق وفي شدة الألم والمحنة والقلق، في تلك الذروة يأتي النصر الإلهي ويأتي العطاء الرباني .

إذن لا شيء من دون مقابل . . وفي شهر رمضان شهر ضيافة الله يريد الله سبحانه وتعالى أن يعطينا سرا من أسرار القوة، مفتاحاً مهماً من مفاتيح النجاح في الحياة، وهذا

العطاء ليس من دون عناء، وهو هنا الإمساك عن الطعام والشراب وكل المفطرات المعروفة، حتى تحصل على هذا المفتاح. . ولكن ما هو هذا السر؟ إن هذا السر هو الإرادة، كل مطبات الإنسان ناتجة من ضعف الإرادة.

وضوح الحق وضعف الإرادة

(فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ)^(١٥٩)، الله تعالى يقيم الحجة على عباده. ويجعل الكل يتعرّف على الحق، فهو سبحانه يضعه أمام كل إنسان ليراه ويتعرّف عليه، فالحق حاضر بين للجميع. . ولكن إذا كان الحق واضحاً فلماذا لا يسلكه الإنسان؟ لماذا يوجد الضلال والانحراف والفساد والاعتداء؟ إذا كان الحق واضحاً والطريق بيّناً فلماذا لا يسلكه الجميع؟ إنه بسبب ضعف الإرادة، ولذلك نرى أن الإنسان كلما صدرت منه والعياذ بالله معصية وذنب ووقع في الانحراف والخطأ شعر بالندم في قلبه، وهذا يعني علمه بأنه وقع في الخطأ. وحين يُسأل لماذا وقعت في الخطأ والانحراف؟ يكون جوابه أنه لم يستطع أن يمنع نفسه، إنه ضعف الإرادة.

الانحرافات الكبرى في تأريخ الإنسانية كانت وليدة ضعف الإرادة، نرى الفرزدق. . بماذا يصف أولئك القوم الذين غدروا بالحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، حين يسأله سيد الشهداء عَلَيْهِ السَّلَامُ كيف رأيتمهم؟ فيقول: (إن قلوبهم معك)، والقلب لا يكون مع الحسين إذا لم يكن يدري أن الحق مع الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ. . والإنسان دائماً يحب الحق، إن القلب والمشاعر والعواطف حينما تكون مع الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ فهذا يعني أنهم كانوا يعرفون من هو على الحق ومن هو على الباطل، كانوا عارفين بهما. ولكن (سيوفهم عليك)^(١٦٠). . إذا كانوا يعرفون أن الحق مع الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو ابن بنت رسول الله وهو الإمام المعصوم، وديعة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الناس، فلم يشهروا السيوف بوجهه؟ لماذا تقاتلون الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنتم تعلمون أنه أفضل الناس وأفضل البشر؟. كلما تحققت إنجازات كبرى فهو دليل على قوة الإرادة، وكلما تحققت إخفاقات وتلكؤات فهذا دليل على ضعف الإرادة. إذن مشكلة الإنسان في الحياة إن أراد الدنيا أو أراد الآخرة، فهو يحتاج إلى إرادة قوية.

١٥٩. سورة الأنعام: الآية ١٤٩

١٦٠. تأريخ الإسلام للذهبي، ج ٢- ص ٥٨

الصيام تدريب على الطاعة

وشهر رمضان دورة تخصصية، مضغوطة، مكثفة، مجانية، لتقوية الإرادة. الإرادة الفردية والإرادة الجماعية، تقوى هذه الإرادة حين يعطش المرء فيهمُّ بشرب الماء، ولكنه صائم فيصبر ويتحمل، يقف أمام الضغط، ضغط الرغبة لشرب الماء، ولا يشرب. . . تقوى إرادته. وحين يجوع فلا يُقَدِّم، يرغب بأمور أخرى محرمة في الصيام فيحجم عنها ويتوقف عنها.

هذا ترويض للأداء، ترويض للإرادة. . . تماماً كما يفعل الرياضيون حين يتدربون، فيسافرون لخوض دورة تدريبية في بلد ما، لأجل أن يتمرّنوا ويرفعوا لياقتهم وتأهيلهم. ونحن في دورة تدريبية واسعة لكل المسلمين، إذ يدخلون هذه الدورة لتقوية الإرادة. إن الله سبحانه وتعالى يعطينا هذا المكسب الكبير، وهذا المفتاح من مفاتيح النصر، ومن مفاتيح النجاح والتوفيق، والتألق والتميز؛ الإرادة القوية من خلال شهر رمضان.

الأبعاد الاجتماعية للصيام

ما أكثر الفوائد في هذا الشهر، وما أكثر المعطيات والدروس في مدرسة الصيام، ولكن واحداً من هذه الدروس المهمة والأساسية هو الدرس الاجتماعي. ففي شهر الصيام، شهر رمضان، أبعاد اجتماعية مهمة. أساساً حينما يتذوق الإنسان الجوع والعطش وعندما يعيش هذه الحالة فهي في جوهرها حالة تضامنية. هناك فقير معتاد على الجوع والعطش على الدوام، لكن ثمة ميسور الحال والغني الذي لا يعرف ماذا يعني الجوع، فالله أنعم عليه بالرزق، وهنا في شهر الصيام الكل سيعرف ماذا يعني الجوع. عليك أنت أيها «الملياردير» أن تصوم وعليك أيها «المليونير» أن تصوم لتعرف الجوع وعندها قد يرق قلبك للفقراء، وتفتح على هؤلاء وتساعدهم وتقدم لهم بعض الخدمات. فهناك تأثير اجتماعي للصوم وحالة تضامن. . . حالة مواساة بين الغني والفقير، بين مختلف الطبقات الاجتماعية.

ثقافة رمضان

هذا سوى التأكيد الكبير على البعد الاجتماعي في شهر رمضان كصلة الرحم، وإفطار الصائمين، التواصل بين الناس، الحضور في مجالس الدعاء والذكر، فمثل هذه المجالس محببة عند الله سبحانه وتعالى وعند أهل البيت، يسأل الإمام الصادق صلوات

الله وسلامه عليه : أتجلسون وتتحدثون فيما بينكم بالموعظة والنصيحة؟ بالعمل الصالح؟
بتبادل المعلومات الجيدة؟ بذكر مناقب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؟ قيل له : نعم ، فقال الإمام
الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : إني أحب هذه المجالس ، أحيوا أمرنا رحم الله من أحيى أمرنا^(١٦١) .

هذه مجالس محببة وثمة تأكيد عليها ، على الجلوس معا . فالإنسان أحياناً في انفراده
ليس له تلك الرغبة وذلك الخشوع وليس لديه توجه عميق لله . . وقد لا تنزل الدمعة من
عينيه عند الدعاء ، ولكن حينما يكون في مجلس عام واحد تكون ثمرة رغبة وحافز ، وحين
يرق قلبه تنزل ملائكة الرحمة وعندها يأتي الجود الإلهي . وفي مجالس عامة كهذه قد لا
يكون لإنسان توجه لله ، ربما يكون لديه جفاء تجاه الله سبحانه ، وإذا ما تنزلت الرحمة
على غيره فالله يعممها على الجميع ، فيكون هو مشمولاً بها . وكذلك الجهاد في سبيل
الله ، الذي ورد في هذا الشهر الفضيل ، فنحن نعرف أن غزوة بدر وهي من أهم الغزوات
الإسلامية كانت في هذا الشهر الفضيل . إذن هذه تشكل ثقافة ، وأما هذا التصور من أن
شهر رمضان هو شهر الراحة والنوم وعدم العمل وأن ساعات الدوام تقلّ وساعات العمل
تنخفض فهذا خلاف التوجه العام ، شهر رمضان شهر حركة ، شهر نشاط ، شهر حيوية ،
شهر حماس ، شهر اندفاع ، شهر يحقق فيه الإنسان الكثير . هذه كلها أبعاد اجتماعية .

التماسك الاجتماعي

وطالما كان البعد الاجتماعي من أهم معالم هذا الشهر الفضيل فكان لا بد لنا في
هذه الليالي من أن نتحدث عن موضوع يرتبط بالواقع الاجتماعي ، ورؤية الإسلام تجاه
المجتمع والعلاقات الاجتماعية ، وتنظيم هذه العلاقات . تعرفون أنّ من أهم عناصر
القوة في أي مجتمع هو حالة التماسك ورض الصفوف ، عندما يكون المجتمع متماسكاً
يكون قوياً ، اليد الواحدة لا تصفق ، وحين تتبعثر الجهود واحد يشرق وآخر يغرب ، واحد
يذهب يميناً وواحد يذهب يساراً ، سوف تضع وتبتدد الإمكانيات ، ولكن حينما يكون
المجتمع يداً واحدة ، حينما تكون العشيرة متماسكة ، حينما تكون الأسرة متماسكة ،
حينما يكون الإنسان قوياً ومتماسكاً دائماً ، يصبح المجتمع قوياً فرداً ومؤسسات
وجماعات ، التماسك دليل قوة ، منطلق مهم للبناء . . كيف نحقق التماسك في إطار
الفرد الواحد؟ كيف نجعل منه متماسكاً في كل قواه؟ في كل التجاذبات التي يعيشها
الإنسان من حالة فرح ، حالة غضب ، حالة حماس ، حالة إحباط ، في كل هذه الجوانب

التي يعيشها الإنسان في وجوده كيف يتماسك المجتمع؟ كيف تتماسك المجتمعات في ما بينها؟ كيف تتوحد وتتماسك؟ كيف نحقق هذا التماسك؟ .

لا قوة بلا تماسك، إذن نحن بحاجة إلى التماسك. التماسك حينما يحصل فمن خلال الترابط، والترابط يحصل حينما تكون هناك قاعدة وضوابط، وحقوق مرسومة لكل من الأطراف. عندما تعرف أنت ما لك وما عليك في المجتمع والآخر يعرف ما له وما عليه. . . حين تحترم الآخر والآخر يحترمك، ستكون ثمة قواسم مشتركة. ولكن حين يعتدى طرف على الآخر، ويتجاوز على الآخر، ويظلم الآخر، ويتجاهل الآخر ويقسو عليه ولا يتقبله، تظهر هذه المشاكل الكبيرة والكثيرة، ولكن حينما يتقبل كل منا الآخر ويفتح على الآخر ويعرف حدود الآخر ويعرف حدود نفسه فهذا ما نسميه بالحقوق، فكل منا له حق والآخر لهم حقوق، فإذا تعرفنا على هذه الحقوق انتظمت العلاقات بين الناس، وحتى في إطار الشخص، الإنسان الفرد الواحد، حين يعرف ما هو حق لسانه وما هو حق عينه وما هو حق يده وما هي حقوق جوارحه عليه وما هو حق قلبه وما هو حق ربه؟، حين يتضح ذلك كله يكون الإنسان مستقيماً يسير ضمن إطار سليم. .

معرفة الحقوق

الجيوش دائماً تكون مضربَ مثل في النظام، لأن هناك حقوقاً واضحة وسياقات واضحة، كاحترام الوقت واحترام المسؤول الأعلى ولا شيء جزافاً في النظام العسكري فهناك قيود، فيكون الجيش منظمًا ليكون قوياً. القوة من النظام، والنظام من الرؤية الواضحة في الحقوق. إذن معرفة الحقوق مدخل مهم للتماسك والتماسك هو السبب الأساسي في قوة المجتمع، فإذا أردنا مجتمعاً قوياً لا بد من أن نتعرف على الحقوق في ما بيننا.

إن ضياع الحقوق، الغموض في الحقوق، يدفعنا إلى الكثير من المطبات، هذه الحقوق وهذه الالتزامات يجب أن تتوضح بين الإنسان وربّه، بين الإنسان ونفسه، جوارحه أعضائه إلى آخره. . بين الإنسان والآخرين. لا بد من أن نتعرف على الحقوق، فإذا تعرفنا على هذه الحقوق والتزمنا بها وصلنا إلى المجتمع المتماسك القوي المتراص الذي لا يستطيع أحد أن يهزمه، هذا هو مدخل القوة.

وفي شهر الصيام، في الشهر الذي نقف لنعزز فيه الروابط الاجتماعية لا بد لنا من أن نتدارس موضوعة الحقوق. الحق لكل فرد يعني التزام الآخرين تجاه هذا الفرد، من حقّي

أن أتحرك في هذه المساحة ، فهذه القطعة من الأرض من ممتلكاتي فلي بها صلاحياتي وأدواري . . بمجرد أن نقول إن هذا حق فإذن هناك التزام على الآخرين ، وحينما يقال للآخر إنه لك حق يعني أن الآخرين عليهم أن يلتزموا ويفوا بالتزامات هذا الحق .

معادلة الحقوق والالتزامات

دائماً ترافق هذه الالتزامات حقوق سواء كان الحق الفردي أو الحق الجماعي ، حينما نتحدث عن موضوع الحقوق فنحن نتحدث عن الالتزامات الاجتماعية والجماعية تجاه هذه الحقوق ، والأخذ بها والوقوف عندها ، ماذا يقول علي عليه السلام في خطبته ٢١٦ . . يقول عليه السلام : (ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض فجعلها متكافأ في وجوهها ويوجب بعضها بعضاً ولا يستوجب بعضها إلا ببعض .) (١٦٦) . فلا تكون هذه الحقوق واجبة للآخر إلا أن تكون واجبه عليه أيضاً ، يجب لك ويجب عليك ، هناك شيء لصالحك . . هو حقك ، والآخر عليه أن يلتزم به ، وهناك حق الآخر الذي يجب عليك أن تلتزم به . . وهذه العلاقة المتبادلة هي التي تضعنا أمام منظومة الحقوق في الرؤية الإسلامية ، ماذا قالوا في الحقوق ؟ قالوا إن الحق سلطة فعلية ، لماذا هو سلطة ؟ لأن من يتجاوز على حقك تستطيع أن تذهب وتقاضيه في المحكمة لتجوزه على حقك حتى وإن تجاوز على شبر واحد ، إذن فأنت أصبحت صاحب سلطة في ما هو حق لك . والآخر عنده سلطة في ما هو حقه ، الحق سلطة ، الحق مصلحة ، الحق فائدة يجنيها الإنسان لنفسه ، وله الحق في ذلك إذا مارعى حقوق الآخرين في منظومة متكاملة .

الأساس هو الكرامة الإنسانية

الحق هو مجموعة من القواعد والأسس والضوابط التي تشكل مجموعها منظومة تراعي فيها الناس بعضها بعضاً ، أو الأعضاء بعضهم بعضاً . . هذه الحقوق كما قلنا في إطار الفرد الواحد ، حق بين الإنسان وربه ، بين الإنسان وجوارحه ، إن هذا الحق يكون في دوائر اجتماعية تبدأ بالدائرة الضيقة ، الزوج والزوجة ، الأب والأولاد ، الأولاد والأب ، كلها متقابلة وهكذا في إطار العشيرة ، وفي إطار القبيلة ، وفي إطار العمل ، وفي إطار الجوار ، وفي إطار كل من يتواصل الإنسان معه ، يمكن للإنسان أن ينظم الحقوق بينه وبين ذلك الآخر .

إن منظومة الحقوق في الإسلام تعتمد على أساس الكرامة الإنسانية، هذه الحقوق لا تضيع، لا تهين ولا تذلل الناس، دائما الحقوق بين الناس أساسها الكرامة والعزة . . ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(١٦٣)، هذا هو أساس الحقوق وكذلك الرؤية الصحيحة والعقيدة الصالحة، لا يوجد ضلال وانحراف وظلم وتعدُّ وفساد في منظومة الحقوق بحسب الرؤية الإسلامية، في هذه المنظومة عقيدة صحيحة وسلوك مستقيم، وليست علاقة هيمنة، وليست علاقة تسلط من أحد على آخر، وليست علاقة إذلال من طرف لآخر . . لا، علاقة فيها تكافؤ وفيها سلوك مستقيم، فيها شيء مبدئي وفيها قيمية، وفيها مثل .

منظومة الحقوق في الإسلام تبنى على هذه الأسس المهمة وتبتعد عن التبعض وعن التمييز. في منظومة الحقوق لا يُميَّز الأبيض عن الأسود والعربي عن الكردي والتركماني وغيره، والمسلم عن غيره . . إن الإسلام والإيمان يمثلان حقوقا إضافية، ولكن الأصل أن هناك منظومة من الحقوق الإنسانية المشتركة بين الناس وهي لا تميَّز على أساس القبيلة أو المنطقة أو التنوع المذهبي أو الديني أو القومي إلى غير ذلك .

هذه الاعتبارات لا يؤخذ بها، الملاكات والاعتبارات في التفاضل بين الناس مختلفة . . ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١٦٤) . . «التقوى». ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١٦٥) . . «العلم». ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^(١٦٦) . . «الإيمان». ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١٦٧) . . «الجهاد». قد نرى إنسانا غنيا ولديه الأموال ولكن لا يفضل هذا الشخص على غيره، لا تمييز بين الناس على أساس الثروة الطبقية، الحالة الاجتماعية، المذهبية، القومية . . وما إلى ذلك . إنما التمييز على الأسس الصحيحة . نعم الانتماء إلى الله سبحانه وتعالى والالتزام بالعقيدة الصحيحة تفضّل الإنسان على غيره بالتقوى والإيمان إلى غير ذلك . لذلك نجد أن منظومة الحقوق في الرؤية الإسلامية تأتي منسجمة مع الفطرة، ليس فيها حالة من التحميل ومن التكلف، بل تأتي منسجمة مع الفطرة الإنسانية، ومع رغبات الإنسان في إطارها الصحيح .

١٦٣ . سورة الإسراء : الآية ٧٠

١٦٤ . سورة الحجرات : الآية ١٣

١٦٥ . سورة الزمر : الآية ٩

١٦٦ . سورة السجدة : الآية ١٨

١٦٧ . سورة النساء : الآية ٩٥

الحق الأكبر طاعة الله

لقد مثّلت رسالة الحقوق لإمامنا وسيدنا علي بن الحسين السجاد صلوات الله وسلامه عليه رؤيةً موجزةً ومضغوطةً عن منظومة الحقوق في الرؤية الإسلامية، وتحدثت عن حقوق الإنسان مع ربّه، حقوق الإنسان مع نفسه، حقوق الإنسان مع بني البشر. . بل حتى مع الحيوان والجماد. الإنسان لديه مسؤولية تجاه الآخرين، وتجاه الكون وثمة مسؤولية حتى تجاه الشجرة، وهناك حقوق يجب أن تُراعى تجاه غير الإنسان أيضاً.

ولذلك ترون أن منظومة الحقوق في الرؤية الإسلامية منظومة متكاملة واضحة بيّنة، فيها ملاحظة لكل هذه الاعتبارات مما يمكننا من الوصول إلى المجتمع المتماسك القوي. إن الحق الأول الذي يذكره الإمام السجاد ويبدأ به رسالة الحقوق، يقول: (فأما حق الله الأكبر) حق الله هو الحق الأكبر ويبدأ من حق الله على الإنسان في رسالة الحقوق: (فإنك تعبد لا تشرك به شيئاً)، المطلوب هو حق الله عليك، العبادة الخالصة لله التي ليس فيها شرك مع الله تعالى، (فإذا فعلت ذلك بإخلاص)، إذا عبدت الله عبادة خالصة (جعل لك على نفسه) لا حظ أن الله سبحانه وتعالى له الحق المطلق، ونحن لا نبيع ونشتري مع الله، فنقول هذا حقك وهذا حقنا منك، لا حق لنا نحن العبيد، وهو الرب. . ولكن الله هو من جعل على نفسه حقاً، مقابل العبادة الخالصة جعل لك على نفسه (أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة ويحفظ لك ما تحب منها)^(١٦٨).

ما تريده من الدنيا وما تريده من الآخرة فالله يعطيك إياه مقابل العبادة الخالصة، وخذ ما تحب من دنياك وآخرتك، وأي فوز أعظم من أن يحصل الإنسان على مبتغاه في الدنيا والآخرة. هذا هو الحق الأول. .

العبادة الخالصة وأركانها

يبدأ الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ إذن بالتأكيد على حق الله على العباد، وهو من أعظم الحقوق، وهو أكبر الحقوق وأهم الحقوق، ولا بد من أن نقف عنده وهي العبادة، العبادة هي حالة الخضوع والتذلل ولا يستحقها إلا الله سبحانه وتعالى. الله هو من نخضع له، من نتذلل له، لأن طبيعة العلاقة بين الإنسان والله هي علاقة خضوع وتذلل، تذلل الفقير أمام الغني المطلق، خضوع الوجود الناقص، وهو وجودنا البشري، أمام الوجود الكامل المتمثل بالذات الإلهية. مسألة العبادة ليست طقوساً فقط، نصلي ونصوم. . لكن

١٦٨. رسالة الحقوق للإمام السجاد، ص ١٠

العبادة في مفهومها أوسع من طقوس ، العبادة منهج ، والعبادة رؤية ، لا يمكن أن تكون متعبداً إذا كنت لا تمتلك هذه الرؤية . من هو الله؟ من هو الرب؟ ما هو مقام الربوبية؟ ومن هو الإنسان العبد وما هو موقع ومقام العبودية؟ إذا لم تستطع أن تفرز ولم تستطع أن تعرف ما هو مقام الربوبية وما هو موقع العبودية وما هي علاقة الرب بالمربوب . . علاقة الرب بالعبد ولم تستطع تشخيصها فلن تقوى على أن تعبده .

العبادة في جوهرها متوقفة على فهم هذا الأمر ، ما هي العلاقة بين الخالق والخلق؟ ما هي طبيعة هذه العلاقة وعمقها؟ حينما يكون عندك فهم دقيق عن هذه العلاقة تكون العبودية متحققة ، والعبادة لله سبحانه وتعالى ممكنة . وكلما كان الفهم أعمق كان للعبادة مرتبة أوسع وأعلى . في هذا الموضوع ما هي حقيقة العبادة؟ كيف تتحقق العبادة؟ والعبادة فيها ركنان أساسيان :

الركن الأول : هو حالة الشعور العميق لانصياع الإنسان إلى الله ، أن يعرف من هو الرب وما هو مقامه وما هو استحقاقه وما هو دوره ، والعبد وما هي مرتبته أمام الله وما هو موقعه في هذا الكون . . ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١٦٩) هذا الفهم لا بد من أن يتوفر للإنسان . . هذا الركن الأول .

الركن الثاني : هو العمل على أساس هذا الشعور ، فعندما نفهم نحن بأننا عبيد ، وأن الله سبحانه وتعالى هو الرب ، هو المعبود ، هو المقتدى ، هو كل شيء ، فهل أن الله سبحانه وتعالى يبقى معلومة في أذهاننا أم يترتب على ذلك أثر؟ لنبسّط المسألة . . حين يكون ثمة مسؤول في دائرة وأكون أنا موظفاً فيُفترض بي أن أستمع لكلامه والتزم بتوجيهاته ، أما أن يكون هو المسؤول وأقر بأنه مسؤولي فهل من الجائز أنني لا أقيم له وزناً واعتباراً؟! وكالابن مع أبيه ، يتحدث الابن عن الأب ودور الأب واحترامه ولكن لا يطيعه ولا يقدره! فإذا كنا في علاقاتنا الإنسانية البسيطة نأخذ بنظر الاعتبار هذه الأمور ، ويجب أن نأخذ بها ولولاها لاختلت الأمور ، كما سنتحدث في منظومة الحقوق ، فكيف بنا مع الله سبحانه وتعالى؟ نعم نؤمن بأن الله هو المعبود وهو الرب ولكن نعصيه ولا نطيعه ولا نلتزم بتعليماته ، لا نلتزم بواجب ولا نتخلى عن حرام والعياذ بالله . . إذن أين هذا الإيمان وأين العبودية؟ هذا الإحساس والشعور يجب أن يتحوّل إلى عمل ، في كل فكرة ، وكل قول ، وكل حركة ، وكل سلوك . . أي شيء نفعله يجب أن يكون منبثقا من ذلك الشعور ، لأننا عبيد لله الواحد الأحد ، إذا حققنا ذلك تحققت العبودية لله .

المعرفة شرط العبادة

إذن العبادة في حقيقتها تحتاج إلى رؤية وتحتاج إلى تطبيق وتجسيد في الواقع العملي وفي حياة الإنسان، وبهذا يتبين أن العبادة ليست هي في صرف الطاعة، الطاعة لا تكفي، فالطاعة تقع في أمور لا تقع فيها عبادة. الغنم تركض وراء الراعي وهذه لغويا طاعة ولكنها ليست عبادة، أحيانا يسير عضو من فريق خلف المدرب فهل هذه عبادة؟ ليست كل طاعة عبادة.

الطاعة هي التي تنبثق من فعل اختياري ومن رؤية واضحة في علاقة العبد والمعبود والخالق والرب. أساس العبادة هي المعرفة، فيجب أن يعرف الإنسان العبادة، وهي لا تحتل حالة الغفلة والسهو، تسمعون كلاما من قبيل أن هؤلاء المعممين يضحكون على الناس وهم يخيفونهم بوجود الله لأجل مصالحتهم، وأن الدين يتحرك في إطار المغفلين، على العكس، فالعبادة لا تكون عبادة إلا مع العلم والمعرفة، وكلما ازدادت المعرفة كانت العبادة أدق، وكلما قلت المعرفة ذهب الإنسان إلى مداخل بعيدة عن جوهر العبادة. فالعبادة الحقيقية تحتاج إلى علم، وتحتاج إلى معرفة، وتحتاج إلى رضا وحب، أما بالشعور والإحساس فقط فلا تتحقق معهما عبادة كما قلنا، فلا بد من قناعة حقيقية.

الإرادة والاختيار

لا تحقق العبادة من دون الرضا بأن يكون الإنسان عبدا لله سبحانه وتعالى، العبادة لا تحقق بدون الحب الحقيقي لله سبحانه وتعالى. الرضا، والحب، والعلم والمعرفة، هذه أسس مهمة في تحقق معنى العبادة. أما في حالات السخط والقهر والإذلال والغفلة والسهو، ففي هذه الحالات لا تحقق العبادة، ولذلك نقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١٧٠)، يا إلهنا ويا ربنا نحن نعبدك، إذن هناك حالة إرادية وحالة اختيارية، وهناك حب، ولذلك أُعتبر أن العبادة تمثل جوهر الوجود، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١٧١).

العبادة هي الغاية من خلق الجن والإنس، سبب الوجود هو العبادة، فهذا دورها وهذه مكانتها وهذه منزلتها. إذن العبادة تحتاج إلى ثلاث مراحل؛ أولا المعرفة العقلية، أي يجب أن تعرف تعبد من وما هي سمات هذا المعبود، وطبيعة علاقتك بهذا المعبود، حين

١٧٠. سورة الفاتحة: الآية ٥

١٧١. سورة الذاريات: الآية ٥٦

توجد معرفة عقلية فإنها تدفع إلى التفاعل الوجداني والمشاعري والعاطفي ، فيحدث حب من عرفت ، إن الخير كله من هذا المعبود ، كل شيء من الله سبحانه وتعالى ، نعمة البصر من الله ، السمع من الله ، الصحة أعطاني إياها الله ، المال الذي عندي من الله ، كل ما لدينا عطاء من الله تعالى . . من تحقق لديه هذا الإدراك وهذا الفهم الصحيح تحركت مشاعره وعواطفه فأصبح هناك حبّ وتعلق بالله سبحانه وتعالى .

الالتزام العملي

إذا تحقق هذا التفاعل الوجداني يتبعه الالتزام بالسلوك والعمل ، فالإنسان حين يحصل لديه حب لله سبحانه وتعالى يلتزم بما يأمر الله ، هذا ما يريد وهذا ما لا يريد ، هذا واجب وهذا حرام ، هذا مستحب وهذا مكروه ، هذا شبهة (اتقوا مواضع التهم والشبهات) (١٧٢) ، وهذا لديّ شكّ به ، يشك الإنسان في دخول وقت المغرب فيؤجل صلاته خمس دقائق ، هنا يحتاط لنفسه ، يحتاط لدينه ، (احتط لدينك بما شئت) (١٧٣) .

في الحب يتفنّن الإنسان في أن يأتي بالأمر على أحسن وجه لها . إذن العبادة في هذه الأركان الثلاثة المهمة ، وسنبقى نتواصل في هذا البحث المهم في منظومة الحقوق في الرؤية الإسلامية في الليالي القادمة بإذن الله تعالى . . اكتفي بهذا المقدار واستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

١٧٢ . يراجع تفسير الرازي ح ١٢-١٤ ص ٧٤

١٧٣ . البحار ج ٢- ص ٢٥٨



الأمسية الثانية- بتاريخ ٢٠١١/٨/٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل . . . إخواني الأكارم . . . أخواتي الفاضلات . . . أرحب بكم أجمل ترحيب وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل أعمالكم في أيام هذا الشهر الفضيل ولياليه، وأن يوفقنا إلى المزيد من الطاعة والانقياد إليه سبحانه وتعالى .

الحقوق المتبادلة

كان حديثنا في الليلة الماضية عن الحقوق في منظومة العلاقات الإنسانية، وذكرنا أن الجميع يبحث عن مجتمع قوي، ولا قوة إلا بالتماسك والتلاحم والانسجام. ولا يمكن تحقيق هذه المفاهيم من دون حقوق واضحة ومعروفة بين أبناء المجتمع .

وحينما نتحدث عن الحق إنما نتحدث عن الالتزام؛ لأن حق أي طرف هو التزام من الآخرين بهذا الحق، وهكذا تتبادل الحقوق والالتزامات بين أفراد المجتمع، فنصل إلى إطار يوحد المجتمع على أساس حقوق متبادلة والتزامات متبادلة. وذكرنا هناك أن منظومة الحقوق في رؤية الإسلام تبنى بالدرجة الأساس على الكرامة الإنسانية وعلى العقيدة الصحيحة والسلوك المستقيم، تجتمع هذه المفردات الثلاث لتشكل منظومة الحقوق في الرؤية الإسلامية .

وتمثل رسالة سيدنا ومولانا الإمام السجاد عليه السلام في الحقوق رؤية شاملة ومتكاملة لمنظومة الحقوق من وجهة إسلامية، وقد تشمل هذه الحقوق حق الإنسان مع الله سبحانه

وتعالى ، وحق الله على الإنسان ، وتشمل علاقة الإنسان وحقوقه على نفسه وجوارحه ، وتشمل علاقة الإنسان مع الآخرين والحقوق المتبادلة في ما بينهم أيا كانت عناوينهم ، ولكل عنوان حق خاص ، فالأب والابن بينهما علاقة خاصة وحقوق متبادلة ، والزوج والزوجة والجار مع جاره وصولاً إلى مجمل العلاقات الإنسانية . وحاول إيماننا السجادة عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرسالة أن يؤشر على هذه الحقوق المتكاملة .

أبواب السعادة

يُعد الالتفات إلى هذه الحقوق والإلمام بها والتعرف عليها المدخل الأساسي في بناء المجتمع المتناسك ، فالمطلوب أن يعرف كل منا حقوقه والتزاماته تجاه الآخرين ، ولا يمكن أن نفكك الحقوق والالتزامات بعضها عن الآخر ، فكلما تحدثنا عن الحق تحدثنا عن التزام الآخر بهذا الحق وما شابه .

وبدأنا باستعراض هذه الحقوق ، حيث كان الحق الأول وهو حق الله سبحانه وتعالى ، وذكرنا هذه العبارة التي وردت في رسالة الحقوق «فأما حق الله الأكبر فانك تعبد لا تشرك به شيئاً»^(١٧٤) ، حق الله ألا تشرك معه شيئاً ، فالعبادة والطاعة هي حق الله سبحانه وتعالى على عباده «فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة ويحفظ لك ما تحب منها» أيها العابد حينما تحسن العبودية ، فاعلم أن الله سبحانه قد أخذ على نفسه أن يعطيك ما تحب من شؤون الدنيا والآخرة ، فإذا عرفنا أن الإنسان لا هم له إلا أن يحظى بالسعادة في الدارين نعرف أن العبادة هي المدخل لهذه السعادة . إن أردت الدنيا فعليك أن تصلح علاقتك مع الله وأن تفي بالتزاماتك تجاه الله ، وإذا أردت الآخرة فطريقها أيضاً العبادة لله سبحانه وتعالى ، وذكرنا هناك أن العبادة في جوهرها تستند إلى ثلاث مراحل :

١- المعرفة العقلية

٢- التفاعل الوجداني والمشاعري والعاطفي

٣- الالتزام ، السلوك المستقيم الذي يراعي الله في كل شيء ويعمل بما يحب ويمتنع عن السلوكيات التي يبغضها الله سبحانه وتعالى . يسعى الإنسان على الدوام لرضا صديق أو قريب له ، وهو الحبيب المجازي فكيف بالحبيب الحقيقي ، ولا يوجد من يستحق الحب الحقيقي إلا الله سبحانه وتعالى ، فهنيئاً لكم أيها المحبون .

١٧٤ . رسالة الحقوق .

لا دين بلا معرفة

تحتاج العبادة إلى وعي وبصيرة وفهم عميق، وهي ليست قضية يُعنى بها المغفلون والبسطاء. يصور البعض أن الدين يتحرك دائماً في أوساط المغفلين والبسطاء، وهؤلاء الذين يسمونهم بسطاء هم أكثر الناس معرفة وعلماً، ولو لم تكن لهم هذه المعرفة الحقيقية ما عبدوا الله حق عبادته. الدين إذن، يستند إلى المعرفة والعلم والرؤية الصحيحة والتي تستتبع المشاعر والمشاعر تستتبع السلوك، هذه هي المراحل في بيان حقيقة العبادة.

وأولى العبادات وأهمها هي المعرفة الصحيحة، فلذلك نجد القرآن الكريم يكرس آياته الشريفة لبث هذه المعرفة. وجاءت الرسالات السماوية ترسخ معرفة الإنسان والتزاماته تجاه الله سبحانه وتعالى، وأي عبادة كالصلاة مثلاً، إذا لم تكن مستندة إلى معرفة وتوجه تصبغ في ما بعد كنقر الغراب، والله سبحانه وتعالى يقول ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١٧٥). إذا كنا نصلي ولم ننته عن الفحشاء والمنكر فصلاتنا ليست صلاة حقيقية ولو كانت كذلك لنهتنا عن الفحشاء والمنكر، فهي ليست صلاة العابدين والعارفين ولم تكن عن وعي وعن بينة، بل هي مجرد ممارسة وسلوك لا تترك أثرها الأخلاقي في وجود الإنسان.

نصلي ونصوم ونتلو القرآن ولا تترك هذه العبادات الأثر، وهذا ما يجعل التركيز في الإسلام على النوع وليس الكم. اقرأ صفحتين أو آيتين من القرآن الكريم بتدبر وتأمل توجد في نفسك من الآثار ما لا توجده قراءة جزء كامل على مستوى التصفح السريع، فالمسألة ليست بحجم ما نقدم بل بالتوجه والالتفات.

لا تتحقق العبادة إلا من خلال الوعي والمعرفة الصحيحة، وهي أولى العبادات في رؤية الإسلام فمن لا رؤية له لا دين له. وربما يمارس الفرد طقوساً معينة ولكنه يفتقر إلى جذور التدين ويسقط من أول تحد، ولا يتزلزل الإنسان الذي يمتلك الجذور الإيمانية والرؤية الواضحة والمعرفة مهما اشتدت التحديات وتضافرت الشبهات، فإن لم يكن كذلك فإنه سرعان ما ينهار أمام أي شبهة أو إغراء، ولذا نرى مساحات في مجتمعاتنا يشرقون ويغربون سواء كان ذلك في البعد الاجتماعي أو السياسي أو الديني. وهذا يؤكد حاجتنا إلى ثورة معرفية يمكنها أن تجذر الوعي وتصل بمجتمعنا إلى آفاق المعرفة. وهذا ما تميز به أصحاب سيد الشهداء حين شهد العدو قبل الصديق بأنهم من أهل البصائر.

١٧٥. سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

الشرك هو الجهل الغليظ

نحتاج إلى بصيرة وعين مفتوحة تحلل وتقرأ ما بين السطور وتتعرف على ما وراء الحدث، وإذا استطاع المجتمع أن يقرأ ما بين السطور ولا يتأثر بالإشاعات فيمكننا حينذاك أن نحكم عليه بالقوة والتماسك.

تعتبر المعرفة المدخل الصحيح لتمتين وتكامل علاقتنا مع الله ومع النفس والمجتمع، فلا غنى للفرد عن الرؤية والبصيرة والتحليل العميق، والولوج في خفايا الأحداث والوقوف على جوهر الأمور، لذلك نرى أن القرآن الكريم يبشر بغفران كل خطيئة إلا الجهل الغليظ وهو الشرك، ويعرف الشرك بأنه جهل مركب، جهل غليظ. وهذا هو الشيء الوحيد الذي لا يغتفر، لأن الله يغفر ما دون ذلك لمن يشاء، كما في قوله تعالى، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾^(١٧٦)، كل شيء دون الشرك من الممكن أن يكون مورداً للمغفرة، طبعاً لمن يشاء الله، ومشية الله تعالى مبنية على خلفية وضوابط وقواعد، فالمغفرة تنال من قلبه طاهر، من يندم، من يستغفر، من يراجع، من يصلح، الله يعيد النظر في عقابه ويبقى الشرك وهو الجهل الغليظ هو الشيء الوحيد الذي لا يغفره الله.

منهج القرآن في إعداد الإنسان

لا إثم أعظم من الجهل، ولذلك نرى أن منهج القرآن في إعداد الإنسان وتربيته هو منهج المعرفة والعلم والبيئة. لاحظوا هذا المشهد اللطيف، فحين يريد الله تعالى أن يعرف بنفسه سبحانه ويلفت الإنسان إلى وجوده فإنه يذكره بما أعطاه ويستعرض المظاهر الكونية التي تشهد على قبح الشرك من الإنسان، بهذه الصورة الجميلة في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ تحتاج كل هذه الحقوق إلى التزامات تجاه رب العالمين ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ من أجل تحقيق كمالكم المعنوي أو حاجاتكم المادية ولا يعرف الإنسان قيمة النعمة إلا بعد فقدانها، فحينما تفقد الأب تعرف قيمته، ومادام موجودا لا تعرف قيمته وقد تسيء إليه، ولا يعرف الإنسان قيمة ونعمة جوارحه إلا بعد فقدانها وهكذا.

١٧٦. سورة النساء: الآية ٤٨.

وحتى في مسيرة الإنسان المعنوية فقد هيا الله تعالى له الأنبياء والرسل وفي مسيرته الدنيوية وفر له كل شيء ، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ فإذا توفر للإنسان كل ذلك ، فأين المشكلة إذن؟ هل المشكلة في الهداية الإلهية؟ وقد يسر الله كل أسباب الهداية . أم إنها في الفطرة؟ والفطرة سليمة ويمكنها أن تتحرك بالاتجاه الصحيح ، أم إن المشكلة في نقص الطبيعة؟ وقد أعطى الله تعالى للإنسان كل شيء ، إذن أين هي المشكلة؟ .

ظلم كفار

ثم تعقب الآية بقوله تعالى : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ لتبين سر التراجع الذي يعيشه الفرد والمجتمع ، وهو ما يصدر من الإنسان من ظلم واعتداء وإقصاء وتجاوز على حقوق الآخرين . لم ينشأ الفساد في الكون ولا الانحراف في سلوك الإنسان من قصور في ربوبية الله تعالى ، لأن الله أفاض علينا كل شيء ، وليس من قصور في إنسانية الإنسان بعد أن فطره الله تعالى على الفطرة السليمة ، ولا يمكن تعليق المشاكل والفساد على الشروط المحيطة بهذا الإنسان واحتياجاته لأن الله سخر الطبيعة بكل مواردها لخدمة هذا الإنسان . فالمشكلة إذن في كون الإنسان ظلوما كفارا . حينما يكفر الإنسان إنما يعرض بوجهه عن الله سبحانه وتعالى وبالتالي يُعرض عن نعم الله فيعيش الفراغ والأزمة ويسقط في الظلام والانحراف .

تشير الأرقام إلى تزايد حالات الانتحار بين الأغنياء والميسورين ويمكننا تفسير ذلك بوجود الكآبة والشعور بالضيق الذي ينشأ من خلو قلوبهم من ذكر الله ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١٧٧) ، ولم يدخل نور حب الله إلى قلوبهم فيصابون بالكآبة .

وإذا كانت مشكلة الإنسان في الظلم والكفر فعليه أن يحترم حقوق الآخرين ولا يكفر بالله ، بل يجب أن تتمحور حول الله ونتفنن في عبادة الله فنحصل على المبتغى في الدنيا والآخرة ، كما سمعنا في وعد إمامنا السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ . لاحظوا هذا المقطع القرآني الآخر في سورة النمل الآية ٥٩ وما بعدها وفيه المقارنة والتوبيخ ، في أن الله عز وجل أعطى للإنسان ما أعطى بينما يشرك الإنسان بالله تعالى : ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ الأنبياء هم عباد الله الذين اصطفاهم لقيادة البشرية ، فسلام عليهم لأن هؤلاء

قدموا خدمات جليلة للبشرية وفي ذلك درس كبير في وجوب شكر كل من يقدم خدمة ، قال تعالى : ﴿لَيْنُ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَيْنُ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(١٧٨) .

تم تسترسل الآيات في تعداد النعم الإلهية فتقول : ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِقَوْمٍ يَعِدُلُونَ﴾ فهم قوم ينحرفون عن الفطرة الإنسانية السليمة وعن جادة الصواب ، ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَّ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِقَوْمٍ لَا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ . وتستمر الآيات بتوجيه الأسئلة إلى وجدان الإنسان لترجعه إلى فطرته .

الرؤية الصحيحة كمدخل للعبادة

جاء أحدهم يسأل الإمام عن الدليل على وجود الله فقال له الإمام ، هل صادف أن انقطعت بك السبل وأنت في منتصف البحر حيث لا أحد ينجيك ولا أحد يسمع صوتك وشارفت السفينة على الغرق؟ فقال الرجل : نعم ، فقال له الإمام : ألم تلجأ وتتوجه في نفسك إلى من ينقذك؟ قال لا أدري ولكن توجهت إلى وجود حيث لا أحد ينقذني ، فقال له الإمام : هذا الوجود هو الله سبحانه . وفي تلك اللحظة تحصل حالة الانقطاع إلى الله ويعرف الإنسان عمق العبودية لله ويعرف أهمية الالتفات إلى موقع الربوبية الإلهي . ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ الله مكنكم للعيش في هذه الأرض ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِقَوْمٍ يَعِدُلُونَ﴾ ، وهل من العقل والحكمة أن يتخذ الفرد إليها آخر مع الله وهو يرى كل هذه النعم الجزيلة؟ .

يتجلى في هذه الآيات المنطق والأسلوب الهادئ في الإقناع ، والرؤية الصحيحة وأسلوب التذكير والتبيين ، وهذا يدل على أن الوعي والرؤية الصحيحة هي المدخل للعبادة المبتنية على أسس عميقة ﴿فَلْيَلْأَمَّا تَذَكَّرُونَ﴾ لماذا تغفل أيها الإنسان عن الالتفات إلى الله سبحانه وتعالى ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ حينما تسير في ظلمات البر والبحر جعل الله لك النجوم لتتهدي بها ﴿وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِقَوْمٍ يَعِدُلُونَ﴾ وخلق الله الرياح وأوجدتها بكل مالها من تأثير في الحياة ، وبعد كل ذلك تشرك بالله ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الله أعلى وأسمى مما ينظر إليه هؤلاء

١٧٨ . سورة إبراهيم : الآية ٧ .

الجاهلون ، ﴿أَمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ يَعْزَمْ اللَّهُ قَوْلَهُ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ، فإذا كنتم تشركون بالله الذي يهب الحياة ويعيدها ويهيئ لكم أسباب الرزق من السماء والأرض فعليكم أن تقدموا الدليل والبرهان على ما تدعون .

وهذا هو المنهج القرآني ، منهج العلم والبصيرة والرؤية الذي يجعل الإنسان يتعلق بربه على أساس هذه الرؤية الواضحة . قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « يَا مُعَاذُ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ . قَالَ : قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا »^(١٧٩) . فحقه تعالى هو الطاعة والعبادة وحق العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا ، لا عذاب لمن يعبد الله ، فالطريق إذن ، هو العبادة وهذا حق الله علينا ، وأن لا نشرك به شيئا ، وقد أخذ الله على نفسه أن يعطينا ما نريد من خير الدنيا والآخرة ، وللحديث صلة .



الأمسية الثالثة- بتاريخ: ٢٠١١/٨/٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل، إخوتي الكرام، فرصة سعيدة وثمانية في رحاب هذا الشهر الفضيل وفي لياليه العامرة بذكر الله سبحانه وتعالى أن نعقد مثل هذا الملتقى الليلي والأمسيات الرمضانية في هذه الدار العامرة، لأخينا سماحة الشيخ الدكتور همام حمودي حفظه الله ورعاه . وبهذه الثلة الطيبة من أبناء الوطن الحبيب من النخب والكفاءات، وقد يُسجل لسماحته رعايته واهتمامه بهذه الشريحة المهمة منذ عدة سنوات .

الخلط في المفاهيم

كنت أتأمل في ماذا نتحدث في هذه الليلة، ولا سيما أننا نعيش في ظل تحولات كبرى في واقعنا العربي . إضافة إلى التحولات والمتغيرات الكبيرة التي يشهدها واقعنا الوطني في العراق، ولاحظت أن واحدا من المفاهيم المهمة التي يكثر تداولها ولعلنا نعيش فيها شيئا من الخلط المفاهيمي هي قضية الطائفية .

مرّ الكثير على العراق وعصفت بهذا البلد الطاهر أزمات كثيرة، اعتبرت نتاجا للمسار الطائفي في البلاد . واليوم حينما نشهد التطورات في الوطن العربي نجد أن العديد من هذه الساحات المهمة يُظنّ أن الخلفيات الطائفية وراء ظروفها وتحولاتها . ليس بمقدورنا، ونحن ننظر إلى ما يجري في البحرين وسوريا وبمستوى ما في اليمن ولعله حتى في مصر وفي بلدان أخرى، أن نشاكل بين المسلمين وغيرهم . إن الطائفية كانت إلى حد ما سببا

معينا بمستوى معين في مثل هذه التغيرات والتحويلات . وهذا ما يجعلنا نقف عند هذا المفهوم ، لأننا نجد أن هناك خلطاً كبيراً بين الطائفة والطائفة ، ويكاد الكثيرون لا يميزون بين هذين الأمرين .

تحديد معنى الطائفة

فقد أصبح اليوم الحديث عن الخصوصية المذهبية حيث يقف شخص ويقول إنني شيعي أو إنني سني يكاد يكون أمراً معيماً ويشعر صاحبه بالإحراج حينما يعبر عن خصوصيته . . ولكن لماذا؟ يقال إن هذه طائفة ونحن يجب أن نتجنب الطائفة ، ونبعد عن الطائفة ، ولا نجعل من الأمر شيعة وسنة ، هذا الانتقاد يصل أحياناً إلى حد التعبير عن الشعائر الدينية أو المذهبية لهذا المذهب أو ذلك ، فيشعر البعض بإحراج من هذه الشعائر . . يقال هذه والله طائفيات لا تناسبنا . . ولا سيما لدى شريحة من أرباب الفكر ، وهذه الشريحة أيضاً هناك ضغوط كثيرة توجه إليها ، وإذا كان البسطاء يمارسون طائفيات وشعائريات فهذا لا يليق بأستاذ وبمفكر . . إذ يسأل لماذا تهتم بمثل هذه القصص؟! .

نجد أن الخلط كبير بين الطائفة والطائفة ، ومن ثمَّ تحمّل هذه القضية الشيء الكثير ، ونرى أن هناك من يعزو الكثير من الفشل والتلكؤ الذي يحصل في مسارنا السياسي إليها ويعتبره وليدا لهذه الطائفة . ما هي الطائفة؟ . يقال إن الطائفة هي حكم الدين أو حكم المتدينين على الاختلاف في التفاسير بينهم . إنهم يرون المشكلة في الحكومة التي تُبنى على أسس دينية ومفاهيم دينية ، أو يقودها متدينون ، لذلك يُطرح البديل الذي يمكن أن يُخلص من هذه المشاكل ، وهذه الحروب ، وهذه الاختناقات ، البديل في الحكم العلماني الذي ليس هو الابتعاد عن الدين فقط ، بل العلمانية بمعناها المتجذرة في الوقوف بوجه الدين ، وبما أن الانتماء الديني هو المشكلة فكلما ابتعدنا عن هذه الأجواء ووجدنا حكماً يبعد الدين ويقصي المفاهيم الدينية ، استطعنا أن نوحّد بين الناس .

إذن الطائفة تفرّق ، والطائفة هي الطائفة والطائفة هي الانتماء الديني والخصوصية الدينية ، إذن الدين هو المشكلة ، والمتدينون هم المشكلة . فلا بد لنا من أن نتخلص من هذه الظواهر ، من خلال حكم علماني ، حتى تستتب الأمور . إذن طائفة . . طائفة . . علمانية . . هذه مفاهيم تكاد تترايط بعضها مع بعض لتشكّل إشكالية كبيرة ، والخلط بين هذه المفاهيم هو الذي يوقع في هذه الإشكاليات فيما لو أردنا أن ننظر بواقعية .

التعبير عن الخصوصية

الطائفة هي تعبير عن خصوصية الانتماء إلى قراءة دينية معينة ، هذه القراءة بتعددتها سنصل إلى حالة من التنوع ، في القراءات ، وفي الفهم للواقع الديني ، وفهم الدين للمجتمعات والتحويلات التي تحصل في المجتمع ، والالتزامات المتبادلة في الإطار الاجتماعي إلى غير ذلك . إذن تعدد الطوائف يعبر عن حالة من التنوع في القراءات ، في الثقافات ، في الحضارات وفي الفهم لمجريات الأمور . وبهذا يصبح تعدد الطوائف هو مصدر غنى وإثراء حضاري وثقافي للمجتمعات الإنسانية . وليس التعدد عبئاً يمكن أن يعيق مسيرة التقدم لهذه المجتمعات .

وأساساً فإن المجتمع إنما يُسمى مجتمعا حينما يجتمع عدد من الناس ، وتكون بينهم حالة من التفاعل ، وكما يذكر أن صرف الاجتماع لا يجعل الناس مجتمعين ، ولا يجعل هذا الاجتماع مجتمعا . يمكن أن يجتمع ألف شخص أو ألفان . . عشرة آلاف ويعيشون في منطقة ما ، لكن لا يوجد أي تفاعل فيما بينهم ، هذا لا يسمى مجتمعاً . إنهم أناس مبعثرون موجودون في مكان ما ، ولكن هؤلاء الناس حينما يتفاعلون بعضهم مع بعض حين ذاك تتكون ظاهرة المجتمع .

أسُ البناء الاجتماعي

إذن المجتمع يتطلب وجود أناس ويتطلب تفاعلا وأخذا وعطاء بين هؤلاء الناس ، والتفاعل لا يكون إلا حينما يتفاوتون في كفاءاتهم وفي قدراتهم وفي فهمهم وفي صلاحياتهم ، إذا لم يوجد تفاوت وكلهم يفكرون بطريقة واحدة ولهم قدرات واحدة شأنهم شأن بضاعة يصدرها مصنع معين ، فتكون كل هذه الأعداد الكبيرة لونا واحداً ولن يحصل التفاعل المطلوب ، التفاعل أخذ وعطاء ، أن يكون لدي شيء أعطيك إياه وأن تعطيني شيئاً متوفراً عندك . . وهكذا كل يمتلك قدرة معينة ، وفهماً معيناً ، وعنده مساحات يتحرك من خلالها ، عنده فكر يعطي ، وعنده قراءة معينة يقدمها . . إلى غير ذلك .

إذن المجتمع لا يكون إلا بالتفاعل ، والتفاعل لا يحصل إلا بالتفاوت ، والتفاوت يعني تنوعاً وتعددًا في الفكر وفي الثقافة وفي العطاء وفي ما يمكن أن يقدمه الإنسان . وهذه سمة عامة نجدها حتى في أصغر المجتمعات كما يعرفونها وهي الأسرة . فهناك زوجة وهناك أولاد ، وكل منهم يمثل دوراً معيناً . . تتكامل الأدوار فيصبح لدينا مجتمع صغير اسمه «أسرة» . وهكذا تتوسع هذه الدائرة لتشمل المساحات الأوسع ، وهنا يتبين

أن التنوع والتعدد فيه إثراء وليس سببا في الفرقة ، وليس سببا في التلكؤ ، على العكس ، فهو ضرورة ملحة للبنية الاجتماعية ، لا مجتمع ولا حالة اجتماعية إلا بهذا التعدد ، وهذا الاختلاف والتنوع في القراءات وفي الرؤى ، الذي يوجد حالة التفاعل والأخذ والعطاء في الإطار الاجتماعي . وهنا يأتي الحديث عن الطوائف ، الطائفة قراءة ، ورؤية ، وفهم معين ، وثقافة معينة ، وخلفيات معينة ، والشعائر لأي طائفة من الطوائف هي طقوس وممارسات تعبر عن هذه الثقافة .

الاستفادة من تعددنا

إذن تعدد الطوائف يثري حالة التنوع ، وهي الشرط الأساسي في البناء الاجتماعي . لذلك فإن تعدد الطوائف نعمة ، لأنه يمثل هذا العصر ، ويمثل تكامل الأدوار بين الرؤى والأفكار والثقافات المختلفة . وهو إثراء حقيقي حضاري ثقافي إلى غير ذلك كما أشرنا ، بل تعتبر الطوائف كالنوافذ المتعددة التي تتجاوز المصلحة الوطنية والإطار الوطني ، لتبتعد إلى ما وراء الحدود . اليوم واحد من أهم العناصر في العراق هو التنوع في هذا البلد ، فشعبة العراق هم المدخل والجسر بين جميع العراقيين وكل منطقة يتواجد فيها المسلمون الشيعة ، لأنهم جسر ، ومن خلال هذا التواصل وهذه العلاقات يمكن أن يتواصلوا مع هؤلاء ، وسنة العراق هم جسر مهم لكل الدول ذات الغالبية السنية المحيطة بنا ، في أن تؤخذ الرؤية الصحيحة للعراق ، وأن يدعوا هؤلاء للانفتاح والتواصل مع العراق ، والمسيحيون في العراق هم جسر مهم لكل المجتمعات ذات الأغلبية المسيحية . وهكذا بقية الطوائف والأديان . هنا يمكن أن توظف هذه العلاقات وهذه الأواصر وهذه الثقافة المشتركة التي تجمع أبناء كل طائفة ، إن كانوا في العراق أو في ما وراء الحدود العراقية ، في أن تربط بينهم فيتحول هذا التعدد إلى فرصة حقيقية للتوسع في بناء الصلات والعلاقات الوثيقة .

التعددية في القرآن الكريم

نجد أن القرآن الكريم أيضا يشير ويؤكد على فكرة التعدد في الطوائف . ويهتم بهذه القضية ويرسخ هذه الحقيقة ، فنجد كل نبي يأتي يصدّق الأنبياء والرسالات السابقة عليه ، وبعضهم يبشّر بالأنبياء اللاحقين ، مما يجعل القضية ليس فيها تقاطع ، وليس فيها تصادم ، بل فيها تكامل . وهذه الحالة وهذه المنظومة تتكامل مع بعضها البعض .

نلاحظ مثلا في سورة المائدة الآية ٤٨ حينما يأتي الخطاب الإلهي لجميع الأنبياء

في هذه الآية بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾. فالله تعالى يستطيع أن يجعلنا أمة واحدة، ورسالة واحدة، وديناً واحداً، ولوناً واحداً، وقراءة واحدة، ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾. . ولكن الله سبحانه وتعالى يريد أن يجعل فيكم هذا التنوع والتعدد، ويوظف هذه التعددية من أجل أن يحوّل هذه النزعات السلبية الشريفة في وجود الإنسان التي تدعوه إلى الخصومات، يحوّلها إلى روافد لمزيد من التواصل والتنافس واستباق الخير والتقدم في تقديم ما فيه خير لهذه الأمة. وهذا بحد ذاته يعبر عن منهج قرآني مهم في كيفية التعاطي وتأطير هذه التعدديات وهذا التنوع، بما يحقق هذه الوحدة المتكاملة والمنظومة التي يخدم بعضها بعضاً، ويتكامل بعضها مع بعض، ولذلك فالتعدد والتفاوت في الشرائع السماوية اعتبر سبباً في مزيد من التكامل والإثراء والاندفاع لمسيرة الإنسان، وليس التقاطع كما يظن من الفهم الأول الانطباع الموجود عن الطائفية. وبالطبع، فهذه الرؤية الإيجابية، وهذا الفهم صحيح بأن تعدد الطوائف لا يمنع من استغلال هذا المفهوم من البعض لتحقيق مآرب خاصة، ولوضع حلة القداسة وحلة الحرمة التي يحظى بها الدين على سلوكيات انتهازية وفيها استغلال معين، ولكنها عوارض محتملة لكل شيء في هذه الدنيا. كل شيء مفيد يمكن أن يوظف توظيفات غير صحيحة، هذه السكين قد تنفذ حياه الإنسان وقد تستخدم أيضاً لقتله.

وهكذا الكثير من الأمور، كالعلم والتكنولوجيا، بعضهم يصنع قنبلة نووية ليقتل مئات الآلاف من الناس والبعض الآخر يستخدمها ليوفر طاقة هائلة وكبيرة تساعد البشرية على التنمية والتطور، وغير ذلك. . . كل شيء في هذه الدنيا يمكن أن يُستغل استغلالاً سيئاً. فالبعض يأخذ جلباب الدين ليغطي سلبياته، ويغطي انتهازياته، ويغطي على سلوكه الخاطئ بحلة دينية، هذا لا يعني أن المشكلة في الدين، هذا لا يعني أن الخصوصية المذهبية وتعدد القراءات على ضوء الفهم الديني هو المشكلة في إدارة المجتمعات. .

ظواهر أخرى

إن هذا التعدد هو واحد من أهم المقومات في البنية الاجتماعية. وتلك السلبيات هي عوارض تحصل لأية قضية إيجابية وأية ظاهرة من الظواهر. إذا كان تعدد الطوائف سبباً في العزلة بين الناس، وتقسيم الناس إلى كاتنونات، وتحويل الحالة الاجتماعية الموحدة إلى حالات مجزأة ومقسّمة، حينئذ يتحوّل إلى حالة سلبية، ويحتاج إلى معالجات. ولكن مادام تعدد الطوائف يمثل تبادل الخبرة في الفهم، وفي التجارب، وفي المعرفة، وفي الفهم للحياة والكون والدين وما إلى ذلك. . فهي روافد إيجابية، وهي قوة لأي مجتمع من المجتمعات.

هذه المشكلة التي نعبر عنها بالطائفية أي باستغلال الدين لتقسيم الناس ولعزل المجتمعات ضمن كاتنونات معينة، هذه المشكلة لا تخص ظاهرة الطوائف فقط، وإنما تشمل عدة ظواهر أخرى لا أحد يتحدث عنها اليوم، مثلا المسألة الحزبية وتعدد الأحزاب أيضا فيها بعد إيجابي، فهي توجد الحراك وتعزز الديمقراطية، وتوفر فرصا للرأي الآخر، وكلنا ننادي بالتعددية في العمل السياسي، وفي الكيانات السياسية، وفي الأحزاب، ولكن في أحيان كثيرة، أو لعل واقعا اليوم يشهد مثل هذه الظواهر، تتحول ظاهرة التعدد الحزبي من ظاهرة إثراء وتكامل ورقابة وتنافس في الخير إلى حالة من التنافر والانتهازيات والفتويات والمحاصصات وبالرغبة في الحصول على المزيد من الفرص والاستئثار بالمواقع إلى غير ذلك.

فهل تُرفع اليد عن الأحزاب وعن العمل السياسي وعن العمل الحزبي؟ وما هي البدائل الأخرى؟. أليست هنا مشكلة من هذا النوع وهي مشكلة مستعصية ومستفحلة واليوم نعاني منها الكثير، ولكن لا أحد يتحدث ان التعدد الحزبي السبب في المشكلة؟! بل يُصَبُّ غضبُ البعض على الطوائف، وعلى القراءات الدينية. إلى آخره. ليعتبر الطائفية هي المشكلة.

كذلك الطبقة كحالة واقعية في المجتمع، هناك طبقات اجتماعية من حيث المستوى الثقافي والمستوى المعيشي والمالي إلى غير ذلك. هذه طبقات كانت ومازالت وستبقى سنة طبيعية للحياة، هذه الطبقة قد تستثمر أحيانا في نوع من التنوع لإثراء كل طبقة للطبقة الأخرى، وتستغل في أحيان كثيرة للسيطرة والهيمنة وفرض الرأي وإقصاء البعض، فالغني يسيء ويضغط على الفقير، ومن له مواقع معينة وسلطة يضغط ويسيء لمن ليس له مثل هذه المواقع، وما شابه ذلك. هذه الطبقة لا تُحْمَلُ مسؤولية وتبعات كل هذه العوارض الكبيرة التي تحصل، بل الاستغلال السيئ في هذا المجال هو من السبب.

الدين والتواصل بين المجتمعات

كذلك القومية. ماذا يعني قوم؟، هم جماعة من الناس لهم ثقافة مشتركة ولهم الآم وآمال متقاربة. عندهم رؤية متقاربة للحياة، وهذه هي سمات تجمعها لغة واحدة للناس، حينما يكونون من لغة واحدة تكون ثقافتهم، رؤيتهم، روافدهم، تحدياتهم متقاربة لحد ما، فالقومية عنصر إيجابي، وركيزة قوة، وتعدد القوميات كتعدد الطوائف ظاهرة صحية في المجتمع. ولكن أحيانا تُستغل لتفضيل فئة على أخرى والتمييز بين الناس وجعل المواطنين درجة أولى ودرجة ثانية على أساس انتمائهم لهذه القومية أو تلك أو ما شابه ذلك.

ولكن لا تُحمّل القوميات أيضاً تبعات كل هذا الإرباك الذي يحصل لاستغلال القومية بشكل غير صحيح من البعض. تلاحظون الحزبية، والطبقية، والقومية إلى غير ذلك. كل هذه الأمور فيها عوارض أشبه ما تكون باستخدام الدين لمآرب خاصة، ولكن التركيز كله على الطائفية، ولا يركز كثيراً على الجوانب الأخرى، ونعرف أن المفهوم الصحيح للدين لا يمنع الناس من التواصل، ولا يعزل الناس، بل الدين والإسلام بشكل خاص يدفع الناس لمزيد من التواصل والتلاحم والترابط. مما يؤدي إلى حضور فاعل للإنسان، إن كان ينتمي إلى الإسلام أو إلى القراءة الإسلامية الصحيحة المتمثلة بنهج أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا لم يكن مانعاً للمسلمين من التواصل، بل اعتبر الخدمة لخلق الله، حتى من يختلف معنا في الدين، فهو (أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)، الخدمة لخلق الله اعتبرت رافداً من أهم الروافد في تعزيز الكمال الإنساني والوصول إليه، وبلوغ السعادة الإنسانية.

ميزان الحقوق في المجتمع التعددي

نأتي إلى بعض المجتمعات التي تعيش حالة من التنوع والطوائف والمذاهب، هنا أحياناً يحصل تمدد من طائفة على أخرى، تصادر حقوق لأناس لأنهم ينتمون لقراءة مذهبية معينة. فتأتي حلول معينة في مقابل هذا الأمر لإيقاف هذا التمدد، باعتبار أن الواجبات والحقوق في هذا المجتمع يجب أن يلحظ فيها هذا التنوع الاجتماعي في هذا المجتمع أو ذلك، فيقال هؤلاء حرموا وصودرت حقوقهم، وتمّ التجاوز عليهم لأنهم ينتمون إلى هذا اللون أو ذلك اللون، فمن أجل ألا تحصل مثل هذه المشكلة لنربط موضوعة الحقوق والواجبات وهي قضية متعارف عليها في كل مجتمع، لنربطها بهذه التكوينات الاجتماعية حتى نضمن عدالة وتكافؤاً في الفرص وتوازناً في الحقوق والواجبات بين أبناء المجتمع، وتمنع من الوقوع في حالات التمدد والطغيان والظلم والاعتداء والاستفراد والاستحواذ، وما شابه ذلك.

ما يقال، وهو ما قد يعبر عنه اليوم في مصطلحاتنا السياسية بالشراكة، حينما نتحدث عن الشراكة، هي شراكة مكونات وهي شراكة قراءات، مجتمع له قراءات متعددة، فيلزم المعنيون بإدارة هذا المجتمع بإشراك هذه التعدديات في الإطار الواحد، ولكن ليس هذا من الطائفية في شيء، أي ليس استغلالاً للدين في فرض رأي أو في ظلم لأحد، وإنما هو توزيع للأدوار بشكل عادل، ومتى ما خرج عن هذا الإطار فقد يكون قد خرج عن السياق الصحيح الذي يجب أن يُعتمد.

الطائفية منهج سياسي

حاول الدستور العراقي أن يوفر ضمانات وفرصاً لمثل هذا التنوع في إدارة هذا البلد من خلال الشراكة الحقيقية لمختلف المكونات وتوزيع منظومة الحقوق والواجبات على أساس هذه المكونات المتعددة. ولكن الطائفية التي نتحدث عنها والتي تعني تغليب طائفة على أخرى ومصادرة حقوق الناس أو الاستحواذ على جوانب معينة على خلفية طائفية ومذهبية معينة، هذا ليس أسلوباً ومنهجاً دينياً ولا علاقة له بالدين، هذا منهج سياسي يمكن أن يُعتمد من بعض السياسيين، ومما يؤكد ذلك أن الكثير ممن يحمل هذا الشعار ويلتزم المنهج، منهج الطائفية السياسية الإقصائية، هم أناس غير متدينين، يُدعى انتماءهم لهذه الطائفة أو تلك. ولكن ليس لديهم التزام ديني. مما يعني أن الخلفية في هذه الممارسة ليست انتصاراً للدين أو حكم الدين بقدر ما هي مصالح خاصة واستغلال المشاعر الطيبة للناس، بإلباس حركتهم حُلّة دينية وإعطائها لوناً من ألوان القداسة.

إذن الطائفية ليست منهجاً دينياً، الطائفية منهج سياسي. ولذلك فنحن ليس لدينا طائفية سياسية أو طائفية من لون آخر. كل طائفية فهي سياسية وليست دينية لأنها تعبر عن حالة إقصائية، والدين بعيد عن مثل هذا الإقصاء.

العلمانية منهج سلوكي

كما أن العلمانية ليست نظاماً لإدارة الحكم وإدارة البلاد. وخير شاهد على ذلك أن هناك علمانيين يقودون الدول بديمقراطية، وهناك علمانيون يقودون أنظمة دكتاتورية، فإذن هذا يكشف عن أن العلمانية لا علاقة لها بالنظام. النظام قد يكون ديمقراطياً أو قد يكون دكتاتورياً، والعلمانية منهج سلوكي اجتماعي، وفهم خاص لمنظومة القيم الاجتماعية إلى غير ذلك. بل العلمانية بمعنى محاربة الدين، فهذا يستهدف حتى الحصانة المطلوبة والمناعة للمجتمعات التي تحافظ على إنسانية الإنسان.

الإنسان عنده مناعة في ما يخص الأبعاد الروحية والمعنوية، والنظام الذي يُدار من قبل العلمانيين يستهدف هذه المناعة الروحية والأخلاقية للمجتمع. ويعرض المجتمع إلى إشكاليات كبيرة، فإذن الحديث عن نظام علماني هذا حديث غير صحيح، لا يوجد عندنا نظام علماني. . العلمانية ليست نظاماً، العلمانية رؤية في الفهم القيمي.

النظام المدني

هناك شيء آخر يطلق عليه بالمدنية، النظام المدني كما يُعبّر عنه، وهو ليس متقاطعا مع الدين، وليس مُستهدفاً للدين، وإنما يسعى إلى إصلاح شؤون الناس وإدارة شؤونهم، والناس من حقهم أن يكونوا بحلة دينية أو لا يكونوا. وأعتقد بأن الدستور العراقي حاول أن يرسم صورة من هذا النوع، حكومة مدنية تحترم الهوية الإسلامية، ولكن المدنية شيء والعلمانية المعروفة التي تأخذ مديات وأداءً معيناً على الأرض، هي شيء آخر.

بهذا يتبين أن المشكلة ليست في الطائفة، وليست في القراءات المتعددة للدين، وإنما المشكلة في سلوك سياسي يمارس باسم الدين أحياناً، ويسعى ليستغل الدين أو المتدينين لإعطاء الشرعية لسلوكه وأدائه واستحوازه على المواقع. المشكلة في الطائفة وهي عملية الاستغلال والاستثثار واستبعاد الآخرين، وليست المشكلة في الطائفة. إذن الطائفة نعمة وعلى الجميع أن يرفع رأسه ويقول أنا شيعي، أنا سني، أنا مسلم، أنا مسيحي، ولا ضير في ذلك ولا عيب فيه، فهذه الخصوصية يجب أن تكون مصانة ومحترمة للإنسان، كما أن كل الالتزامات الأخرى مصانة.

مضارقة غريبة

هناك مضارقة غريبة، فأولئك الذين يعيبون علينا؛ لماذا هذه الطائفيات؟ لماذا تقولون أنا سني وأنا شيعي يمارسون الحريات الشخصية بطريقة غير منضبطة، وبما يؤدي إلى الاعتداء على حريات الآخرين، ومصادرة حريات الآخرين. وإذا قلت لهم إن كنت تريد حرية شخصية فاذهب إلى بيتك وافعل ما تشاء. . . تقوم الدنيا ولا تقعد. . . تريدون جعلها قندهار!، إنكم تفرضون رأيكم علينا!، إلى آخره مما تسمعون وترونه، مع أن الظواهر الشاذة مع الأسف تأخذ مساحات واسعة في المجتمع، ويكفي أن يقول الإنسان كلمة في هذا الصدد: لديكم حريات ولكن غيركم له حريات أيضاً فاحترموا حريات الآخرين. . . لكن تقوم الدنيا ولا تقعد!! . . . مثل هؤلاء الناس الذين لا يتعاملون بقبول الرأي واحترام حريات الآخرين تجدهم أشد الناس فتكاً وبطشاً واعتراضاً على من يعبر عن خصوصيته المذهبية، وهي حق من أوضاع الحقوق، فأبسط الحقوق هي أن يعتقد الإنسان بما يراه وبما ينسجم مع فهمه للحياة وللكون.

أتمنى أن أكون في هذه المجال قد وفقت لتسليط الضوء ولو بإيجاز على مفهوم الطائفة

والطائفية والعلمانية والخلط الموجود بين هذه المفاهيم ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لأن نبني مجتمعاً على أسس صحيحة ، تُحترم فيه الخصوصيات ولا تلغى . النظام السابق كان يعتمد على مبدأ إلغاء الخصوصيات . . لا تقل شيوعي لا تقل سني ، لماذا؟ فأنا عراقي وأعتزّ بهويتي الوطنية ، ولكنني بالإضافة إلى ذلك عربي وشيوعي . . ومن المحافظة الفلانية ، وأنا من القبيلة الفلانية ، هذه كلها خصوصيات يجب أن تُحترم . فالعراق الجديد عراق تُحترم فيه الخصوصيات ولا تلغى الخصوصيات . اكتفي بهذا المقدار وترك المجال إلى مداخلات الإخوة الكرام . . شكرا لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الأمسية الرابعة - بتاريخ ٢٠١١/٨/٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين
حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين
وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل . . . إختوتي الأكارم . . . أخواتي الفاضلات . . .

أرحب بكم أجمل ترحيب وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل أعمالكم في أيام هذا
الشهر الفضيل ولياليه ، وأن يوفقنا إلى المزيد من الطاعة والالتقاد إليه سبحانه وتعالى .

كان حديثنا في الليالي الماضية عن رسالة الحقوق لسيدنا ومولانا الإمام علي بن
الحسين السجاد عَلَيْهِ السَّلَام . وقلنا إن هذه الرسالة تختزل الرؤية الإسلامية في منظومة
الحقوق بين الإنسان وربه ، والإنسان ونفسه ، والإنسان والآخرين . وكان حديثنا في
الحق الأول من هذه الحقوق وهو حق الله سبحانه وتعالى على عباده ، ولكن قبل أن
نواصل الحديث عن هذه الحقوق ، فإن هناك حقاً في هذه الليلة لعزير العراق ، راحلنا
الكبير سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد عبد العزيز الحكيم (طاب ثراه) . هذه
الليلة هي ليلة الخامس من شهر رمضان ، ليلة وفاته . وفي مثل هذه الليلة قبل سنتين
كانت ليلة شاقة على عزير العراق ، وكنا إلى جواره في مشفاه حيث يواجه مرارة المرض
في الساعات الأخيرة من حياته الشريفة . فلا بد لنا من أن نقف ولو وقفة عابرة على هذه
الشخصية المهمة ، الشخصية الكبيرة التي تحملت الكثير وقدمت الكثير وبقيت مجهولة
طوال حياتها .

عزیز العراق، جهاد خلف الأضواء

تحمل عزیز العراق في تاريخه الطويل مسؤوليات غاية في الأهمية، ولكنه كان يعمل خلف الأضواء جهاداً وتضحية وعطاء وفداء لإسلامه ولدينه ولقضيته، حتى أن الكثير من الناس لم يتعرفوا على شكل عزیز العراق في ذلك التاريخ الطويل. ولم يظهر إلى العلن ولم يمارس أدواراً سياسية واضحة إلا في الأشهر الأخيرة قبل سقوط النظام، حينما كُلف من قبل شهيد المحراب بإدارة الملف السياسي في تلك الظروف الحرجة التي كانت تتطلب تعاملًا مع الأطراف الدولية والسفر إلى دول مختلفة ومنها الولايات المتحدة الأمريكية. وكانت هذه الأمور غريبة في ذلك الوقت، فليس من المتعارف أن يذهب شخص في مثل هذا الموقع المعنوي إلى تلك البلدان ويجلس مع أولئك الساسة، ولكنها كانت خطوات ضرورية لإنقاذ الشعب العراقي وللدفاع عن حرية هذا الشعب واستقلاله وكرامته.

لقد ضحى عزیز العراق بتأريخ طويل، وكان عرضة للاستهداف بسبب توليه مسؤولية الملف الجهادي في كل تلك السنوات التي زادت على عقدين من الزمن، ولكنه كان مستعداً للتضحية بسمعته إذا كانت القضية تتطلب ذلك، وإذا توقف إنقاذ شعبنا المظلوم على هذه الخطوة. تعرف الشعب العراقي على عزیز العراق بشكل واضح في هذه السنوات القليلة، حينما برز رئيساً للمجلس الأعلى ومتحرراً في هذه الساحة ولاسيما بعد استشهاد شهيد المحراب (قدس).

مثال الصبر والاستقامة

كان عزیز العراق مثالا في الصبر وفي الاستقامة وفي الثبات، فلم يُسمع منه طوال السنتين (الفترة الزمنية لمرضه كانت سنتين وبضعة أشهر) لم يُسمع منه أنين ولا شكوى، فلا يلهج بغير الذكر، وحينما كان يشتد به الألم أحياناً يرفع صوته بذكر الله، يهلل ويسبح ويذكر الله سبحانه وتعالى. وفي ذلك درس عظيم إذ كان يصارع المرض بهذه الهمة العالية.

اشتكى الأطباء في أكثر من مناسبة، وكانوا يقولون، إن السيد يتعاطى الجرعة الكيماوية، وهذه الجرعة الشديدة تحتاج إلى راحة، مما يستدعي بقاءه في المستشفى ليوم أو يومين لحين تأقلمه مع هذه الجرعة واستجابته لها، ويمكنه بعد ذلك الخروج، ولكن عزیز العراق لم يكن يرتضي لنفسه أن يبقى يومين في المستشفى.

كان يأخذ الجرعة ويتوجه بعدها إلى المطار ليعود إلى بغداد . فكان الأطباء يطلبون منه أن يبقى فترة أطول ، ولكنه يقول : إخواني وحدهم في ساحة المعركة وشعبنا بحاجة إلى أن نقف إلى جانبه . ويعيد الأطباء المحاولة مرة أخرى ويقولون له ، سيدنا أنت مريض ومعدور ، وشعبك يعذرك ، فيجيبهم : لعل الشعب يعذرنني ، ولكنني لا أعذر نفسي ولا بد من أن استنفد كل وقت وكل فرصة في خدمتهم . وكنت شاهداً على محاولات إخوانه من قيادات المجلس الأعلى لإقناعه في أن يبقى فترة أطول للعلاج لكنه كان يرفض ، فبمجرد أن يأخذ الجرعة يعود ليزاول مهامه . واستمرت هذه القضية معه لأكثر من سنتين .

لقد اشتد به المرض في الأشهر الأخيرة ولم يكن يستطيع الحركة ، وكانت تحصل بعض المفاجآت في العلاج . ولم تكن فرص العلاج متوفرة بالشكل الكافي مما جعله يقضي فترة أطول في صراعه مع المرض .

يعلمنا عزيز العراق درساً عظيماً من هذا الصبر ، وهذا الثبات وهذه الاستقامة ، من ذكر الله سبحانه وتعالى الذي لم ينقطع عن لسانه في كل وقت ، كيف يكون الإنسان شامخاً وهو في ضعفه ومرضه ؛ لأن الشموخ والقوة والصلابة ترتبط بإرادة الإنسان ومشاعره وبالهدف الذي يضعه الإنسان لنفسه ، وهذه هي السمات التي وجدناها في عزيز العراق .

مرحلة التأسيس

تحمل شهيد المحراب (قدس) مسؤولية كبيرة في زمن المعارضة في تعبئة الطاقات لمواجهة النظام الديكتاتوري وبذل الغالي والنفيس من أجل هذا الأمر . وساهم في تأسيس المؤسسات السياسية والعسكرية الكبرى التي ساعدت وساهمت في إسقاط النظام الصدامي ، وانفتح على القوى السياسية المهمة ، لقد كانت تلك مرحلة مهمة ، طابعها العام هو التخطيط لإسقاط النظام ، والتفكير في كيفية إنقاذ هذا الشعب المظلوم المجروح بجروح ذلك النظام الديكتاتوري ، الذي غيبه في المقابر الجماعية وغياب السجون والمعتقلات ، ولكن ما إن سقط النظام وعاد شهيد المحراب إلى أرض الوطن ، وبدأ يضع ملامح مرحلة جديدة هي مرحلة تأسيس الدولة وبنائها ، مرحلة العراق الجديد ، عراق الديمقراطية ، عراق الحرية ، عراق الشراكة وتكافؤ الفرص بين الناس ، حتى طالته يد الإرهاب في الأشهر الأولى من عودته الميمونة ليذهب إلى ربه شهيداً فنهياً له ، ولكن المسؤولية كانت كبيرة في هذه المرحلة الجديدة .

كسر المعادلة الظالمة

تصدى عزيز العراق ليتحمل أعباء المرحلة الجديدة ، فكان له الدور المهم والريادي وكان لبنة أساسية في بناء الدولة العراقية بسماحتها الجديدة . ويشهد له بذلك كل المنصفين ، سواء من يتفق معه بالرأي أو من يختلف بالدور المحوري الذي لعبه ووفى به عزيز العراق في هذه المرحلة هو وإخوانه من قيادات المجلس الأعلى وشركاؤه وإخوانه في العملية السياسية في العراق .

وتأتي صعوبة المرحلة من الفارق الكبير بين مشروع المعارضة وإسقاط النظام الذي كانت تبناه القوى الإسلامية والوطنية قبل عام ٢٠٠٣ ، وتأسيس الدولة وبناء العراق الجديد ، فالمعركة مختلفة تماما في كلا المرحلتين . تتمثل المعركة هنا في كسر المعادلة الظالمة التي حكمت العراق ، وبناء المعادلة العادلة التي تنصف جميع العراقيين مهما كانت توجهاتهم وانتماءاتهم الدينية والقومية والمذهبية والسياسية والمناطقية ، ويتبنى هذا المشروع توفير الفرص لكل عراقي في الحكم والعيش الكريم ، وفسح المجال أمام الجميع وضمان حقوقهم في هذا البلد الطاهر ، بلد العراقيين جميعا .

أراد الأعداء للعراق أن يمضي في تأريخ طويل بنظرة أحادية ومنطق أحادي ورؤية واحدة ، فيحكم بالحزب الواحد والقائد الضرورة ، ليشهد تأريخا طويلا من المعاناة ، ولكن العراق الجديد هو عراق التنوع ، باقة الورد كما يسميها عزيز العراق ، التي تضم كل الألوان والأطياف ، وكل هؤلاء يجب أن يكون لهم دور وفرصة وموقع ، وأن يساهموا في إدارة البلاد .

لقد تبنى النظام البائد معادلة حكم الحزب الواحد الذي تجاوز وتناول وتعدى على شعب بأكمله ، يستهدف هذه الجماعة تحت يافطة طائفية ، ويعادي تلك تحت شعار القومية إلى غير ذلك ، ولكنه يبقى حكم الحزب الواحد الذي يستهدف الجميع . فكان لا بد من أن تؤسس معادلة جديدة في الحكم ، تعتمد العدل والإنصاف ، وهذا ما قام به العديد من المخلصين وكان في مقدمتهم عزيز العراق .

معركة الدستور

إن من أكبر المعارك التي خاضها المخلصون في العراق الجديد هي معركة الدستور ، التي تضمنت كتابة دستور يضمن حقوق الجميع ويشكل صمام الأمان لهذا الشعب مهما تغيرت الظروف ، فبقطع النظر عن الجهة التي ستصل لاحقا إلى مواقع القرار ، فلا بد

من وجود دستور يحمي العراقيين جميعا ويحفظ لهم حقوقهم . ومع أن المعركة كانت كبيرة، لكن الدستور كتب بتوجيهات ورعاية المرجعية الدينية وموقف أبناء شعبنا، وبجهود القوى السياسية، وفي مقدمتهم الائتلاف العراقي الموحد آنذاك، الذي كان محوره عزيز العراق .

وبالرغم مما نسمعه اليوم من الملاحظات التي يذكرها هذا الفصيل السياسي أو ذاك، أو هذا المكون أو ذاك على بعض بنود الدستور، ولكن أصبح وثيقة مهمة يرجع ويستند إليها الجميع، وهذه بحد ذاتها تعتبر خطوة أساسية ومهمة .

الانتخابات ورفض الطائفية

يمكننا وصف الانتخابات في العراق بالانتخابات الحقيقية، الانتخابات الحرة، الانتخابات المعبرة عن إرادة الشعب، الانتخابات التي نحتكم إليها لاختيار من أراه الناس، وصوتوا له في الأوراق التي وضعوها في صناديق الاقتراع . وقد تجرى انتخابات في دول أخرى ولكنها بعيدة عن الواقعية، وإنما هي ممارسة شكلية في الأعم الأغلب، لكن الانتخابات في العراق كانت حقيقية ومعبرة عن إرادة الشعب . وهذه خطوة أخرى أساسية ومهمة كان لعزير العراق دور رائد فيها .

إن من السمات المهمة التي كان يفترض أن تكرر في مشروعنا العراقي الجديد، والتي كان لعزير العراق الدور الأساسي فيها، هي موضوعة الشراكة الوطنية، وأن يكون العراقيون متكافئين في الفرص، شركاء في إدارة أمورهم، متساوين في الحقوق والواجبات .

فقد وقف عزيز العراق بوجه الطائفية، وكان له دور كبير في هذا الموضوع، وكان يرفع شعار الوحدة الوطنية التي ينشدها العراقيون جميعا، وينادي بالعدل والإنصاف في التعامل مع الجميع وإن اختلفت توجهاتهم وانتماءاتهم .

مساحتان للعمل

لقد اهتم عزيز العراق بمساحتين، المساحة الأولى: الدفاع عن خصوصيات الشعب المسلم، فمن حقه أن يعبر عن إسلامه وكذلك من حق المسيحي والصابئي والأيزيدي أن يعبر عن انتمائه، فيا أيها المسلمون شيعة وسنة، ارفعوا رؤوسكم وقولوا نحن شيعة أو سنة، فهذا من حقوقكم وهذه هويتكم قولوها بصراحة، وليس من العيب أن يعبر الإنسان عن عقيدته وانتمائه ورؤيته وفهمه للحياة، وللعرب والكرد والتركمان وغيرهم الحق أن

يعبروا عن أنفسهم . لقد خاض عزيز العراق هذه المعركة في وجه المخطط الذي رسمته الأنظمة البائدة التي كانت تمنع إعلان الانتماء المذهبي السني والشيعي بحجة الطائفية ، وأي مشكلة في الإعلان عن خصوصياتنا ، واحترام خصوصيات شركائنا في هذا الوطن . لقد كانت هذه معركة لعزيز العراق في الدفاع عن خصوصيات أبناء شعبنا .

والمعركة الثانية هي الدفاع عن الحس الوطني والإطار الجامع الذي يجمع العراقيين جميعاً ، فلا ضير في أن ندافع عن عراقيتنا ونتمسك بخصوصياتنا المنطقية ، الدينية ، والمذهبية ، والقومية ، والعشائرية والسياسية ، ولا بد من احترام وصيانة كل هذه الخصوصيات ، ويجب أن يرفع كل عراقي رأسه ويحترمه الآخرون ويقدرها خصوصيته ، مع الاحتفاظ بعراقيتنا الجامعة التي تمثل الخيمة التي نستظل بها . وهذه أيضاً مسألة أساسية دافع عزيز العراق عنها ، وكان يتحرك في كلا الجبهتين ، جبهة الدفاع عن خصوصيات هذا الشعب ، وجبهة الدفاع عن وحدة هذا الشعب والتأكيد على المظلة الوطنية التي تجمع العراقيين جميعاً .

كان لعزيز العراق وقفة مهمة في مواجهة الإرهاب الذي أراد أن يهز العراقيين ويفت في صلابتهم ، وعمل على انتهاك حرمان الناس ، وأراد أن يُخضع ويُركع هذا الشعب ، لقد وقف عزيز العراق سدا منيعاً في وجه هذا الإرهاب ، ليجهض ويفشل كل تلك المخططات الظلامية التي كانت تسعى لثني إرادة الشعب العراقي ، وبقي الشعب العراقي عزيزاً كريماً مرفوع الرأس واستطاع أن يتجاوز واحدة من أكبر المحن التي مرت على هذا الشعب الكريم .

السمات الأخلاقية لعزيز العراق..

نقف قليلاً عند بعض السمات الأخلاقية والاجتماعية وبعض الإضاءات والأوصاف غير الواضحة للناس لعزيز العراق .

صلة الرحم

من صفاته الاهتمام بعوائل الشهداء وبأيتامهم ، فقد كان يصرف وقتاً معتداً به في رعايتهم ومتابعة أحوالهم في شدة الظروف السياسية القاهرة التي يمر بها ، ولم ينقطع في يوم من الأيام وفي فترة من الفترات عن التواصل والسؤال والمتابعة لعوائل الشهداء من أسرته . وكان يشعر بمسؤوليته عن بنات وأبناء الشهداء من إخوانه وأبناء إخوانه ، وما أكثر هؤلاء الشهداء في أسرته .

كما كان يراعي ويهتم بعوائل الشهداء من عموم العراقيين والأسر الشريفة، وكلما سمع أن هذا ابن شهيد أو التقى عائلة شهيد كان يحترق ويتفاعل ويطلب المساعدة لهؤلاء، ويطلب من إخوانه والعاملين معه أن يهتموا بعوائل الشهداء ويتابعوا أمورهم، وكان يشرف شخصياً ويتابع الكثير من هذه التفاصيل في خدمة عوائل الشهداء. وكان لعزير العراق قصص وشواهد يستغرب الإنسان إذا ما اطلع عليها في هذا الموضوع الحساس.

تمتلك عوائل الشهداء الحق الكبير علينا، ولكن وللأسف الشديد، يوجد نوع من التجاهل وقلة الاهتمام بهذه العوائل في حكم الظروف والتعقيدات والانشغالات. يخلق البعض الأعذار ويبرر لنفسه عدم الاهتمام وعدم الاكتراث بعوائل الشهداء. المجتمع الذي يتجاهل دور الشهيد ويضيع فيه حق اليتيم تسلب منه الرحمة، فالله سبحانه وتعالى يستنزل الرحمة في موقع يجد فيه الناس متراحمين، متحابين، متفاعلين في ما بينهم ومنفتحين على بعضهم، يتحسس بعضهم آلام الآخر، مما يدعوننا إلى الاهتمام بعوائل الشهداء وبالأيتام الذين يجب ألا يشعروا بالحاجة والضياع، وألا يقل الاهتمام بهم في حركتنا اليومية.

فراصة المؤمن

كان عزير العراق كثير التأمل والتفكير، يجلس أحياناً لساعات يفكر ويقلب الأمور ويتفحص المواقف ويستذكر المقولات والأحاديث. كنا نجلس معه وكان يبدأ بالتحليل العميق ويخرج بحصيلة ليستشرف بها المستقبل ويقراً ما بين السطور ويكتشف مخططات الآخرين، ويتنبأ بما يفكرون وما يريدون، فالمرء مخبوء تحت لسانه، ولكل واحد عشرة. لكنه كان يجلس ويفكر ويتأمل ويراجع ويقف عند الكلمات ويصطاد النافع منها، ويجمع بعضها مع البعض الآخر، حتى يكتشف ماذا يريد الآخرون، وكيف يفكرون، فكان يتنبأ بمخططات الآخرين ومشاريعهم في وقت مبكر، وكان يعمل على عدم السماح لأعداء العراق بأن يسيئوا إليه، أو يفوتوا الفرصة على أبناء شعبنا في بناء تجربتهم وكان يثير اهتمامي كثيراً في بعض التفاتاته المهمة في هذا المجال.

الثقة بالله

الثقة العالية بالله سبحانه وتعالى في الشدائد والمحن والتحديات، وحينما تضيق السبل وتنقطع على الإنسان، كان كثيراً ما يردد هذه الكلمة، وهو يتأمل في هذه المشاكل ثم يرفع رأسه يقول: ((الله موجود))، كان يقولها بثقة وثبات وقوة فكانت تترك أثراً كبيراً

في نفوس إخوانه والعاملين معه فيشعرون بالقوة وبالتقوة، بفضل القوة التي يتمتع بها ويستمددها من الله سبحانه وتعالى .

الجدية والمثابرة

كان عزيز العراق شديد الحرص والمثابرة، يدخل في التفاصيل ويتابع الأمور وما أكثر ما سمعت من إخواني من القيادات الكبيرة في المجلس والعاملة مع عزيز العراق طوال سنوات، عن شدة حرصه ومتابعته، فهو شديد المتابعة وقليل السفر، مرابط يبعث الحماس في إخوانه من أجل خدمة هذا الشعب الكريم .

الحزم في لين

كان يتمتع بالحزم والجدية الشديدة ويحاسب ويعاتب إذا ما تأخر البعض بالوفاء بالتزاماتهم، ومن ناحية أخرى كان رقيق المشاعر والعواطف، يحن إلى إخوانه، ويُسمعهم الكلمات الرقيقة ويشعرهم بأهمية العمل الذي أنجزوه، وربما تعامل معهم بحزم في فترة إنجاز العمل، ويتودد إليهم بعد إنجاز العمل، ويتعامل معهم بلطف وبغفوية تامة، وكان يحسن الجمع بين هذين الأمرين، بين الحزم واللين، ويوفق بين الوضوح والجدية من جهة والمشاعر والعواطف والمحبة والألفة من جهة أخرى، ولذلك استطاع أن يخلق جوا من العطف والانسجام مع كل الذين عملوا معه، بالرغم من حزمه وجديته في التعامل معهم، لكنهم كانوا يعشقونه وينشدون إليه؛ لأنهم كانوا يعرفون أن هذا التعامل لم يكن لمصلحة شخصية وإنما كان نابعا من حرصه على الشعب والمشروع والبلد. وهذا هو الذي يدفعه لأن يكون جادا معهم، وحينما يتعامل معهم بالمشاعر والعواطف ويسمعهم الكلام الرقيق، فكان هذا أيضا ينبع من القلب .

استنهاض الهمم

كان دائما يستنهض إخوانه في الأزمات والشدائد؛ يقول لهم إن علياً الأكبر وقف في ليلة عاشوراء وقال كلمته الشهيرة: «لمثل هذا اليوم ادخرنى والدي»، وأنا هذا اليوم هو يومي، اليوم يجب أن أقف وأخدم ولمثل هذا اليوم ادخرنا، لا تقصروا في خدمة هذا الشعب ولا تقصروا في الإيفاء بالتزاماتكم تجاه هذا الشعب وقدموا له كل ما تستطيعون، يستنهض همم إخوانه بمثل هذه العبارات وكان في مقدمتهم ولم يتخلف عنهم .

مسؤوليات ومظلومية كبيرة

هذه سمات قيادية ومهمة استطاع عزيز العراق من خلالها أن يؤسس لواقع مهم وأن يربي جيلا من المخلصين الأكفاء المثابرين المجاهدين في سبيل الله الذين يصلون الليل بالنهار من أجل خدمة هذا الشعب الكريم ، ونتيجة لقوة هذا الرجل وحرصه على المشروع الوطني في العراق توجهت له السهام والنبال من القريب والبعيد . ولا عجب من موقف العدو تجاهه ، ولكن العتب والعجب من القريبين الذين كانوا يشعرون بأنه منافس لهم . ويخشون قوته وعزمه اللذين يتركان آثارا يظنون أنها تؤثر بشكل من الأشكال في مساحتهم أو عملهم وحركتهم . فلذلك كنا نجد مظلومية كبيرة في الأروقة الخاصة وفي وسائل الإعلام في طبيعة تناولها لهذه الشخصية الكريمة .

عاش غريبا ورحل إلى ربه غريبا ولكنه معروف في السماء ، لأن العبد الصالح والإنسان المتقي يُعرف في السماء أكثر مما يعرف في الأرض . وكان يحمل مسؤوليات كبيرة بصفته زعيم الائتلاف العراقي الموحد الذي تصدى للمهمة الحكومية . فكل الأخطاء وكل الإشكاليات والتلكؤات كانت ترمى بوجه عزيز العراق ، في الوقت الذي تسجل الإنجازات لأصحابها فحسب . كان يتحمل ويصبر ويعض على الجراح ويلم الأطراف ويسعى لدفعهم إلى الهدف الأساسي والمحوري وهو خدمة هذا الشعب وتثبيت ركائز هذا المشروع الوطني .

يقف الكثيرون اليوم ليستذكروا عزيز العراق ويعددوا مناقبه ويتحدثوا عن صورة أخرى غير تلك الانطباعات التي كانوا يحملونها في ذلك الحين . ويبدو أن هذه سنة الحياة لأننا لا نعرف قيمة رجالنا إلا حينما نفقدهم ، ففي كثير من الحالات هكذا تكون الأمور . رحل شهيد المحراب وعرف الكثيرون قيمته بعد رحيله ورحل عزيز العراق وبعد رحيله عرفوا قيمته وهكذا علينا أن ندرك أهمية هذه الشخصيات الكريمة ودورها المهم في بناء هذه التجربة الرائدة .

تكملة رسالة الحقوق للإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ

نعود إلى رسالة الحقوق والدروس البليغة لإمامنا السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كان حديثنا في حق الله على العباد وهو العبادة كما في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ (فأما حق الله الأكبر فإنك تعبده لا تشرك به شيئا ، فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة)^(١٨٠) وتحدثنا في الليلتين الماضيتين عن هذا الحق العبادي ، وحقيقة العبادة وأركانها ، ولا بد لنا من أن نواصل الحديث في أنماط العبادة .

الطاعة التكوينية

يشير القرآن الكريم إلى شكلين من أشكال العبادة ، هما :

١- الطاعة الجبرية ، الطاعة التكوينية ، ولا مجال للعصيان في هذا القسم من أقسام الطاعة ، فالسما والأرض وكل الكائنات تطيع الله سبحانه وتعالى ، وهذا يعني أن الله سبحانه وتعالى جعل نظاما صارما لهذا الكون ، تخضع له كل الموجودات وكل الكائنات ، ولا يمكنها تجاوزه . تتحرك أعضاء الإنسان بصورة لا إرادية استجابة لهذا النظام ، وتعمل أجهزته التنفسية والهضمية والدموية وغيرها من تلقاء نفسها منسجمة مع هذا النظام الذي وضعه الله سبحانه وتعالى لهذا الكون ، وهذا ما نعبر عنه بالطاعة التكوينية أو الطاعة الجبرية .

يعبر القرآن الكريم عن الانقياد لهذا النظام بالسجود والخضوع لله سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا لَهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾^(١٨١) ، وستحدث عن الطاعة الطوعية لاحقا ، وأما الطاعة الجبرية ، السجود كرها ، فهو تعبير عن النظام الصارم الذي يحكم الجميع ، ولا يستطيع أحد أن يتخلف عن هذا النظام الكوني الذي وضعه الله سبحانه وتعالى ، بل تذهب الآية الكريمة إلى ما هو أبعد من ذلك فتقول : (وَظُلْمًا لَهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ) فحتى الظل يسجد لله سبحانه وتعالى ، بالغدو أي عند الصباح وفي الأصال ، عندما ينكسر الضوء عند الأصيل ، فحتى الظل يسجد ويخضع لإرادة الله ، مع أن الظل ليس وجودا واضحا وإنما هو انعكاس لوجود .

يتكرر التأكيد على هذه الحقيقة في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي

١٨٠ . بحار الأنوار - ج ٧١ ، ص - ١١ .

١٨١ . سورة الرعد : الآية ١٥

السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴿١٨٢﴾، لا ينحصر السجود بالإنسان والحيوان، بل حتى الجماد وكل الكائنات وكل موجود، سواء أكان كائناً حياً أم لم يكن فإنه يسجد لله سبحانه وتعالى . فسجود الجبل والليل والنهار وسجود القمر والنجوم هو الخضوع لإرادة الله وللنظام الذي جعله الله سبحانه وتعالى في هذه الأرض .

ثم تقول الآية: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ ولم تقل كل الناس، وهذا يدل على أن هناك طاعة أخرى وهي الطاعة الاختيارية أي السجود الاختياري . ثم قالت: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ كثير من الناس لا يسجدون، ويعصون الله سبحانه وتعالى . وجاء التعقيب مبيناً النتيجة التي يستحقها أهل العصيان ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ﴾ فالله يهين العاصي بمعصيته، فالمعصية ذل وهوان، ولا كرامة ولا عزة لمن يصدر منه الذنب والمعصية، لأن العزة والكرامة في عبودية الله سبحانه وتعالى، والشموخ في الخضوع لله سبحانه وتعالى، وكلما كنت أكثر خضوعاً وأكثر ذلة أمام الله كنت أكثر عزة وكرامة، هذه هي القاعدة كما نلمسها في القرآن الكريم .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ فالسجود الجبري يشمل الكون كله، فالجميع ساجد ومطيع وخاضع لإرادة الله سبحانه وتعالى .

تواجهنا هذه الحقيقة في سورة الرحمن، قال تعالى: ﴿وَالتَّجْمُ وَالشَّجْرُ يَسْجُدَانِ﴾﴿١٨٣﴾ وهذه الآية تشير بوضوح إلى النمط الأول من الطاعة، وهو السجود والخضوع التكويني . وهناك النمط الآخر من الطاعة وهو الطاعة الاختيارية التي سيأتي الحديث عنها .

١٨٢ . سورة الحج : الآية ١٨

١٨٣ . سورة الرحمن : الآية ٦ .



الأمسية الخامسة - بتاريخ ٢٠١١/٨/٧



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

أجدد لكم العزاء بذكرى رحيل عزيز العراق وأشكر لكم كل هذه المشاعر الطيبة ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا أوفياء لكل تلك الشخصيات والذوات الكبيرة التي طالما ضحت وقدمت الكثير من أجل الإسلام ومن أجل العراق ، فأخذت موقعها في نفوس وقلوب المؤمنين جميعاً .

نظرية الحقوق في الرؤية الإسلامية

تحدثنا في الليالي الماضية عن نظرية الحقوق في الرؤية الإسلامية ، وقلنا إذا أردنا أن نتحدث عن مجتمع قوي و متماسك ، فالقوة والتماسك يأتيان من خلال إشاعة منظومة الحقوق بين الناس ، حينما يتعرف كل إنسان على حقه الذي يجب أن يراعى في هذا المجتمع وحق الآخرين . وتعرفنا هناك على العلاقة بين الحق والالتزام ، فدائماً ما يحتاج الحق إلى الالتزام به من قبل الآخرين . توجد منظومة من الحقوق والواجبات والالتزامات تنظم علاقة الإنسان مع ربه وعلاقته مع نفسه وعلاقته مع الآخرين .

وهذه المنظومة هي التي تحدد الإطار والسياق الصحيح الذي يحقق مجتمعا قويا و متماسكا ، خالياً مع الظلم والعدوان ، لا تميز فيه على أساس ديني أو مذهبي أو قومي أو سياسي أو مناطقي أو عشائري أو غير ذلك من العناوين التي تفرق بين الناس . يسود

فيه العدل والإنصاف واحترام الآخر وقبوله والتعاطي معه . ولا يحصل كل ذلك إلا من خلال منظومة الحقوق .

حق الله الأكبر

تمثل رسالة الحقوق لسيدنا ومولانا الإمام علي بن الحسين السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ إمامة بهذه النظرية في كل أبعادها . في حقوق الله سبحانه وتعالى على العبد ، وحقوق الإنسان تجاه نفسه وجوارحه ، وحقوق الإنسان مع أخيه الإنسان ، في كل العناوين المختلفة التي قد يكون فيها هذا الآخر أبا أو ابنا أو زوجة أو زوجا أو جارا أو غير ذلك ، فلكل من هذه العناوين حق في الفهم الإسلامي . ولا يمكن أن نتحدث عن مجتمع يلتزم بتعاليم الإسلام ، ويريد أن ينظم أموره على ضوء قيم الإسلام النبيلة ، إلا حينما نتعرف على هذه الحقوق وملتزم بها ونحترمها .

كان حديثنا في الحق الأكبر ، وهو حق الله سبحانه وتعالى على العباد ، حيث يقول الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ «فأما حق الله الأكبر فإنك تعبد لا تشرك به شيئا فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة ويحفظ لك ما تحب منها»^(١٨٤) ، فحق الله سبحانه وتعالى على عباده هو العبادة والطاعة ، ويجب أن تكون هذه الطاعة طاعة مخلصة ليس فيها شرك ، فلا يشرك مع الله آلهة أخرى أو غاية أو هدفا آخر ، وإنما يأتي بهذه العبادة خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى ، وقد وعد الله عباده المطيعين ، الذين يلتزمون بالحق ويعبدونه عبادة مخلصة بأن يعطيهم ثواب الدنيا والآخرة ، وهذا ما نجده في قوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(١٨٥) وإذا أراد الآخرة ، فالحصول عليها مرهون بالطاعة .

نمطا الطاعة

تحدثنا في لقاء الأمس عن نمطين من أنماط الطاعة وهما :

١- الطاعة الجبرية القسرية وهي غير منحصرة بالإنسان وحده ، بل الكون كله مجبور على هذه الطاعة ، فهي طاعة جبرية ، ليس لأحد أن يتنصل عنها . يعبر القرآن الكريم عن

١٨٤ . بحار الأنوار - ج ٧١ / ص - ١١ .

١٨٥ . سورة الأعراف : الآية ٢٣ .

هذه الطاعة بالسجود والخضوع، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١٨٦)، فكل ما في الوجود من شمس وقمر وجبال وشجر وبحار وأنهار وحتى الإنسان في بعض أبعاده يسجد لله تعالى، ويعني هذا السجود وهذه الطاعة الجبرية الانسجام مع إرادة الله ومع نظام هذا الكون، فالإنسان لا يتحكم بجوارحه بل هي تتحرك لا إراديا، كالقلب الذي ينبض والرئة التي تتنفس بدون اختياره، فهذه إذن حركة ليست طوعية بل هي طاعة جبرية.

٢- الطاعة الاختيارية، إذ يمكن للإنسان أن ينسجم مع هذه الطاعة ويمكنه أن يتخلف. ففي شهر رمضان مثلا، تستطيع أن تصوم أو تفطر لأي سبب من الأسباب، وهذه الطاعة هي التي يختص بها الإنسان دون غيره، وتبقى الموجودات الأخرى محكومة بالطاعة الجبرية، فهي مسيرة في إطار ما، أما الإنسان فقد تميز بالقدرة على الاختيار بين الطاعة والمعصية، وهذا هو المقصود من الطاعة التي ذكرها الإمام السجادة عليه السلام. تتحقق الطاعة الاختيارية في الامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى، فإذا أطعت الله يعطك ما تريد لديناك وآخرتك، فالحديث عن الطاعة الاختيارية إنما هو الحديث عن فضيلة خص الله سبحانه وتعالى بها الإنسان دون غيره من الكائنات.

نقاط الالتقاء

تشير سورة آل عمران إلى قضية مشتركة متفق عليها بيننا نحن أبناء الرسالات السماوية والمؤمنين بالسماء فنقول: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾^(١٨٧). فالعبادة إذن، هي العنصر المشترك بين الرسالات السماوية كلها، وهي ما نجتمع عليه مع غيرنا من أهل العبادات الأخرى، هي عبادة الله سبحانه وتعالى بشرط أن تكون عبادة مخلصمة لا شرك فيها: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فلا رب إلا الله ولا خضوع إلا لله، وليس لأحد أن يتخذ أي شيء سوى الله ربا وغاية حتى لو كان نبيا من الأنبياء أو حبرا من الأحرار، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. فإن أعرضوا عن العبادة المخلصمة لله واتخذوا من دونه شركاء حتى لو كان نبيا أو وصيا أو وليا، فاشهدوا أن المؤمن الحقيقي والموحد المخلص هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، لأنهم لا يشركون مع الله آلهة أخرى.

١٨٦. سورة الرعد: الآية ١٥.

١٨٧. سورة آل عمران: الآية ٦٤.

تشير هذه الآية إلى أن المشتركات إنما تكتشف من خلال الحوار، فعلينا أن نتحاور، حتى نتعرف على نقاط الالتقاء، (تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ) تعالوا إلى الطاولة المستديرة التي تجمع أصحاب الديانات السماوية من مسلمين ومسيحيين ويهود. ولم تكن طاولة الحوار المستديرة بدعة نبتدعها وإنما هي منهج قرآني، فإذا أردت أن تتعرف على المشتركات بينك وبين الآخر فعليك بالحوار الذي سيكشف عن الكثير من التقارب بينكم. ويعارض هذا المنهج منهج آخر يتمسك به البعض الذي يتمثل بالوقوف عند نقاط الاختلاف.

المنهج القرآني

يدعونا القرآن الكريم إلى البحث عن المشتركات مع الآخرين، والنظر إلى الجزء الممتلئ من الكأس، لأن الاختلاف في الفكر لا يلغي اشتراكنا في القومية والوطن أو في العقيدة والنسب أو في أي شيء آخر، وإذا مارسنا الحوار وفتشنا عن المشتركات مع الآخر سنجد أنفسنا قريبين من كل الناس.

ويمكننا التدليل على ذلك من خلال استعراضنا لمنهج علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فهو منهج الإسلام الأصيل. ويؤكد المنهج العلوي على مراعاة نقاط الالتقاء، فإن الناس مهما اختلفوا في عقائدهم وقومياتهم ومبنياتهم الفكرية فهم صنفان: «إمّا أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق»^(١٨٨)، فلا بد إذن، من وجود مشترك مع كل إنسان وإن اختلفنا معه في التفاصيل الأخرى. ، وما أحوجنا إلى هذا المنهج القرآني.

يتجلى هذا المنطق في منهج الأنبياء عَلَيْهِ السَّلَامُ، ففي إحدى القصص التي وردتنا عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يجوب البلدان ويسير معه بعض تلامذته وحواريه، روي أنه مر وأصحابه على جيفة، فقال له بعضهم ما أنتن ريحها! فقال عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما أبيض أسنانها.^(١٨٩) فأراد عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يؤدبهم ويقول لهم، ابحثوا عن محاسن الآخرين وليقع نظركم عليها. فحتى الجيفة فيها حسنة، وهو تعبير عن ضرورة التركيز على الجوانب المضيئة، وهذا هو ديدن الأنبياء ومنهج السماء، ونحن بأمس الحاجة في مجتمعنا إلى أن نبحث عن الإيجابيات والمشاركات مهما كان الآخر خصماً نختلف معه في أشياء، لكن لنبحث عن المشتركات معه ونتفق معه وسنجد حينذاك، أن مساحة المشاركات كبيرة وفيها رأس المال الكبير.

١٨٨. نهج البلاغة - مصدر سابق

١٨٩. البداية والنهاية - ج ٢ - ص ١٠٦

فضيلة الاختيار

والطاعة الاختيارية هي التي تجعل الإنسان إنسانا ، ولا يكون الإنسان إنسانا بما يأكله ويشربه ، لأن الدواب أيضا تأكل وتشرب وتنام وتتناسل وتتكاثر . ما يجعل الإنسان إنسانا هو هذه الحالة الاختيارية ، فبإرادته يطيع ويلتزم فيرقى ويتكامل ، لاحظوا ماذا يقول علي عليه السلام : « طاعة الله مفتاح كل سداد وإصلاح كل فساد »^(١٩٠) .

فكل موقف صائب مدخله وسببه الطاعة لله ، والطاعة لله تنور القلب وتفتح الذهن ، وتعطي الإنسان القدرة على تشخيص الأمور والإمكانية على فرز المسائل ، فلا تختلط عليه الأوراق ولا يتأثر بالإشاعات والالتهامات والفوضى ، وتمده بالوضوح والسداد وتجعله على بينة من أمره . وإصلاح كل فساد . فالفرد المطيع نير القلب ، واضح البصيرة ، رابط الجأش ، يتمتع بالجرأة والإقدام ، ويسير في الطريق الصحيح لا تأخذه في الله لومة لائم ، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾^(١٩١) .

فمهما عبأ الناس وحشدوا ، فإن الإنسان المؤمن لا يشعر بالضيق والعزلة ؛ لأنه مرتبط بالله سبحانه وتعالى ، وهذا هو تأثير الطاعة التي تجعل الإنسان قويا وصلبا أمام كل التحديات ، وإلى ذلك يشير رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في قوله : « احذر سكر الخطيئة ، فإن للخطيئة سكرة كسكر الشراب ، بل هي أشد سكرة منه يقول الله تعالى : ﴿ صُمُّ بُكْمٌ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ »^(١٩٢) يمثل رسول الله الخطيئة بالسكر ، فهي تسكر الإنسان كما يسكره الشراب الذي يسبب النشوة والفرحة الوقتية . فإذا مارس الإنسان الحرام يجد في ذلك فرحة يمكن أن يستشعرها خلال دقائق .

آثار سكر المعصية

(بل هي أشد سكرة منه) ، فسكر المعصية أشد من سكر الشراب ، ويعلل ذلك قول الله تعالى الذي يستشهد به رسول الله ، « صم بكم عمي فهم لا يرجعون » ، يفتقد الإنسان الذي يُبتلى بالمعصية الأذن التي تسمع واللسان الذي ينطق والعين التي تبصر ، فهم لا

١٩٠ . ميزان الحكمة - ج ٦ - ص ١٨ .

١٩١ . سورة آل عمران : الآية ١٧٣ .

١٩٢ . بحار الأنوار - ج ٧٤ - ص ١٠٢ .

يرجعون أي لا يعودون إلى رشدهم ، أما الذي يشرب المشروبات الكحولية «أجلكم الله» فإنه يعود إلى رشده بعد حين ، فهي فترة معينة يسكر فيها ويعود ، ولكن سكر المعصية يطمس البصيرة ويحجب القلب فيكون كالحجارة أو أشد قسوة ، لا يخضع ولا يخشع ولا ينكسر ، لا يرى عيباً في المعصية ولا يندم عليها ، وقد ذهب في طريق اللاعودة فتأخذه العزة بالإثم ، يبالغ في المعصية وفي الرذيلة ثم بعد ذلك يبحث عن أناس مثله ، فالطيور على أشكالها تقع .

يقول أحدهم : زرت رجلاً غنياً جالساً في غابة ، مبتعداً عن الناس ، ولما جلست عنده حدثته عن الموت ونصحته بمساعدة الفقراء وذكرته بالموت وأهوال الآخرة . فإذا بالرجل يمتعض ويستشيط غضباً ويقول : أرجوك أن تسكت فإن حديثك أخافني وأزعجني ، لا خير فيك ولا بارك الله فيك ، ولا تأت إلي ثانياً .

قد يصل الإنسان إلى مستوى لا يريد فيه أن يسمع الموعدة ولا يريد أن يذكر بأخطائه . لذلك يكون سكر المعصية أشد من سكر الشراب .

حين تتحول المعصية إلى شرك

حينما يتخلف الإنسان عن الطاعة فإن هذه المخالفة تكون على أحد نمطين :

الأول : مخالفة عملية لحكم من أحكام الشريعة دون إنكار أصل الحكم الشرعي ، كالذي يقر بوجوب الصوم ولكنه لا يصوم . وهذا ما يُسمى بالمعصية التي يعبر عنها القرآن الكريم بالفسق .

الثاني : وهناك مرتبة أشد منها ، تتجاوز مخالفة الحكم الشرعي إلى إنكار الأحكام الشرعية والتشكيك في أصلها والاعتراض عليها ، وتنفير الناس من العبادات كالصلاة والصيام والخمس والزكاة وغيرها بحجة أننا في عصور متقدمة ، وهذا يطلق عليه القرآن صفة الشرك بالله ، والعياذ بالله ، وهذا ما نلاحظه في قوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾^(١٩٣) ، فالحيوان الذي يؤكل يجب أن يذكى بالطريقة الشرعية ويُذكر عليه اسم الله ، ويُذبح حتى يكون حلالاً ، فإذا ذبحته بطريقة غير شرعية وغير مستقبل القبلة يصبح ميتة ويحرم أكله ، «وانه لفسق» إذا أكلت الميتة فهذا فسق ومعصية ، وهذا هو النمط الأول .

١٩٣ . سورة الأنعام : الآية ١٢١ .

أما النمط الثاني فنجده في تمة الآية الكريمة إذ يقول جل ذكره: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾^(١٩٤) لكن الشياطين يحركون جماعتهم حتى يجادلوكم ، وهذا ينطبق على التوجه الموجود اليوم في بعض الدول الغربية التي أخذت تمنع ذبح الحيوان بحجة الرفق به ، ودفاعا عن حقوق الحيوان ، ولذا يقومون بإطلاق عيار نار عليه حتى يموت بسرعة! . يبدأ الجدل للتشكيك بأصل التشريع . فإذا استدركتم أيها الناس إلى هذه المجادلات وأصبحتم تشككون بالأحكام الشرعية «إنكم لمشركون» شركا في طاعة الله سبحانه وتعالى وإياكم أن تقفوا في الشرك .

دوافع العبادة

يدفعنا الحديث عن الطاعة إلى التساؤل عن دوافع العبادة ، فلماذا نطيع وما هو الذي يدفعنا للطاعة والعبادة ؟ . تختلف دوافع الطاعة من شخص لآخر ، بحسب واقعه ومنزلته وقربه من الله . فهناك من يطيع بدافع الطمع والرغبة بلطف وعناية وعطاء الله في الدنيا والآخرة . فحينما يمر الفرد بمشكلة دنيوية ، تراه منكسر القلب غزير الدمعة ، يصلي الصلاة في أول وقتها ويكثر من قراءة القرآن ، وعندما تنقضي المشكلة يبدأ العد التنازلي للطاعة والعبادة .

وقد يكون الطمع في ما أعده الله لعباده من وافر الجزاء كما في قوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(١٩٥) وفي قوله سبحانه : ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١٩٦) وغيرهما من الآيات . فإذا كنت تريد الجنان والسعادة الأخروية والراحة فإن الطريق هو الطاعة لله سبحانه وتعالى .

والدافع الآخر هو الخوف من عذاب الله ، ومن آثار المعصية ، لأن للذنوب آثارا في الدنيا وفي الآخرة ، فهي سبب في قصر الأعمار وتضييق الرزق وزوال الحب من قلوب الآخرين ، وحتى لو أحبه البعض من الناس فهو لا يحبه لنفسه وإنما يحبه لنزوات معينته ، فالمعصية تفقد الإنسان الكثير . وكل ذلك يدفع البعض إلى ترك المعاصي التي تؤدي إلى مثل هذه المشاكل الدنيوية والأخروية .

١٩٤ . الآية نفسها

١٩٥ . سورة المائدة : الآية ٩ .

١٩٦ . سورة النساء : الآية ١٣

شواهد قرآنية

أشار القرآن الكريم إلى هذا الدافع في جملة من الآيات ، منها قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾^(١٩٧) وهي يعلل ترك المعصية بالخوف من العذاب العظيم . وهذا ما نلاحظه في شاهد قرآني آخر من سورة الإنسان ، إذ يقول تعالى مادحا بعض عباده الصالحين : ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾^(١٩٨) ، فهي تبين دوافع الطاعة بالخوف من ذلك اليوم الشديد العصيب . وتجمع سورة السجدة بين دوافع الطمع والخوف في قوله جل شأنه : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾^(١٩٩) فهؤلاء المؤمنون يقومون من فرشهم ويهجرون النوم وينقون أموالهم ويدعون ربهم خوفا من عذابه وطمعا في رحمته وثوابه .

ونجد ذلك أيضا في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٢٠٠) ، فليس عيبا أن يكون الإنسان طامعا بلطف الله فيطيعه طمعا في لطفه تعالى ، وليس عيبا أن يكون الإنسان خائفا من عذاب الله تعالى فيطيع خوفا من المعصية ، ولكن يبقى هناك دافع آخر أسمى وأرقى وأكمل من الخوف والطمع وهو ما سنتحدث عنه في الليلة القادمة .

١٩٧ . سورة الزمر : الآية ١٣ .
١٩٨ . سورة الإنسان : الآية ١٠ .
١٩٩ . سورة السجدة : الآية ١٦ .
٢٠٠ . سورة الأعراف : الآية ٥٦ .



الأمسية السادسة - بتاريخ: ٢٠١١/٨/٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين
حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين
وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل . . . إخواني الأكارم . . . أخواتي الفاضلات . . .

أرحب بكم أجمل ترحيب وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل أعمالكم في أيام هذا
الشهر الفضيل ولياليه ، وأن يوفقنا إلى المزيد من الطاعة والانقياد إليه سبحانه وتعالى .

تحدثنا في الليالي الماضية عن نظام الحقوق في الرؤية الإسلامية وذكرنا أن رسالة
الحقوق لسيدنا ومولانا الإمام علي بن الحسين السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ تُوْشِرُ إلى هذه المنظومة
المتكاملة . وإذا أردنا أن نتحدث عن قوة المجتمع فلا بد لنا من أن نتلمس هذه القوة في
تماسكه ، وإذا أردنا أن نصل إلى مجتمع متماسك فلا بد من تعريف واضح بالحقوق
بين أبناء هذا المجتمع ، إن مدخل القوة وسر النجاح والتحول إلى فريق واحد لتحقيق
الأمجاد والتألق المستمر في واقعنا إنما يكون بمراعاة بعضنا للآخر والالتزام بحقوق
بعضنا تجاه الآخر ، فالحديث عن نظام الحقوق في الرؤية الإسلامية ليس حديثاً ترفيهاً
وإنما هو حديث يرتبط بصلب الاهتمامات الاجتماعية والواقعية في علاقة الإنسان مع
ربه وفي علاقته مع نفسه وفي علاقته مع الآخرين .

دوافع الطاعة

ما زال الحديث في الحق الأول والأكبر من هذه الحقوق ، وهو حق الله سبحانه وتعالى تجاه العباد . وقد ذكرنا ما أشار إليه الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ في رسالته في الحق الأول حيث قال : «وأما حق الله الأكبر فأنتك تعبه لا تشرك به شيئاً فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة ويحفظ لك ما تحب منها»^(٢٠١) ، فمن أراد خير الدنيا فعليه أن يفني بحق الله وهو العباد ، ومن أراد خير الآخرة فعليه أيضاً أن يؤدي هذا الحق .

وتحدثنا في عدة موضوعات تخص العباد وكان حديثنا في الليلة الماضية عن دوافع العباد والطاعة لله سبحانه وتعالى . وقلنا هناك إن العباد قد تصدر من الفرد بدافع الطمع في عطاء الله سبحانه وتعالى والرغبة في الحصول على لطف الله وعنايته في الدنيا والآخرة ، لأن الطاعة لها أثر وضعي وتؤدي إلى سعادة الدارين ، وقد أشارت إلى ذلك العديد من الآيات القرآنية . ويوجد دافع آخر وهو الخوف من العذاب ، والخشية والرهبة من عذاب الله ، فالسخط والغضب من الآثار الوضعية المترتبة على المعصية ، وقد يجتمع الطمع والخوف في وقت واحد ، فيكون الإنسان طامعاً بعطاء الله وخائفاً من غضب الله . وهناك دافع آخر لم يسع الوقت للحديث عنه في الليلة الماضية ، نتحدث عنه في هذه الليلة الشريفة ، وهذا الدافع أسمى من الطمع وأسمى من الخوف .

عبادة الأحرار

يشعر هؤلاء الذين يطيعون الله وفقاً لهذا الدافع بمنزلة الربوبية لله تعالى ، ويعيشون حقيقة العبودية له سبحانه ، فيستهدفون وجهه الكريم في عبادتهم دون أن يلتفتوا إلى الجنة أو النار . إن الشعور بمقام الربوبية يدفع بالإنسان إلى أن يقف وقفة ذل وخضوع وخشوع ورهبة تجاه هذا المقام العظيم ، لأن هذا المقام له أهلية الطاعة ، وكل نعمة وكل حركة هي من الله ، وهذا الدافع لم يرتكز لا على الجنة ولا على النار ، فلا طمعاً في الجنة ولا خوفاً من النار وإنما ترتبط المسألة بأهلية هذا المقام للعبادة شكراً والتزاماً بهذا الموقع .

وهذه العباد أعلى وأهم من عباد الطامعين أو عباد الخائفين ، لاحظوا ماذا يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ مولى الموحدين وسيد المتقين عَلَيْهِ السَّلَامُ : «إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا

طمعاً في جنتك ، بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»^(٢٠٢) ، أنت يا إلهي أهل للعبادة ، وإذا لم نخضع لله فإلى من نخضع ؟ ، فأنت تستحق أن يخضع لك ويخضع لك وأن تطاع .

وعن الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ : «إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار ، وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة»^(٢٠٣) ، إذن أفضل دوافع العبادة هي التي تدعو الإنسان إلى عبادة الله شكراً لمقام الربوبية .

وعن الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ : «إن العبادة ثلاثة ، قوم عبدوا الله عز وجل خوفاً فتلك عبادة العبيد وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب فتلك عبادة الأجراء وقوم عبدوا الله عز وجل حباً له فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة»^(٢٠٤) ، فالله يُحب ويُعشق وتهوى إليه النفوس ، فهو الرب ونحن المربوبون وهو الخالق ونحن المخلوقون وهو المولى ونحن العبيد . وإذا كانت العبادة بهذا الدافع ، شكراً ، ومحبة ، ولأهلية الله للعبادة ، فهي أفضل العبادة .

والعبادة التي يكون دافعها الشكر والمحبة تجعل الإنسان بكل وجوده يركز على ما يرضاه الله سبحانه وتعالى ولا يخطو أي خطوة حتى يراعي الله فيها فتتنظم حياة الإنسان وسلوكه وتصبح أفكاره وأفعاله وسلوكه منتظمة وفق مشيئة الله وما يريد الله سبحانه وتعالى ، ولذلك يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ : «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه»^(٢٠٥) فالشعور بحق العبودية يجعل الإنسان لا يرى سوى الله ويستحضر على الدوام رضا الله وتتحكم إرادة الله بمسار الإنسان ، وهذا هو الجانب الأول ، وهو حق الله على العباد أن يعبدوه .

الإخلاص في العبادة والعمل

الركن الثاني في هذا الحق هو الإخلاص «فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة»^(٢٠٦) فالعبادة وحدها لا تكفي بل لا بد من الإخلاص فيها . فقد يتصدق الإنسان على الفقراء ويخدم الناس ويحسن إليهم ولكنه يستهدف في ذلك المدح والثناء والتظاهر . إذا كان العمل خالصاً لوجه الله فهنيئاً لك يا مؤمن وهذه هي

٢٠٢ . بحار الأنوار ج ٦٧ صفحة ١٨٦ .

٢٠٣ . في تحف العقول - ص ٢٥٠ .

٢٠٤ . الكافي - ج ٢ - ص ٨٤ .

٢٠٥ . مسند الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ - ج ١٨ - ص ٨ .

٢٠٦ . بحار الأنوار - ج ٧١ / ص ١١ .

العبادة التي يترتب عليها الأثر الكبير، وإذا كان لغير الله فلا قيمة له. فالعبادة بمفردها غير كافية، ولا بد من أن تكون عبادة خالصة، لأن أي عبادة يغيب عنها الإخلاص يطولها الشيطان، فالشيطان دخل في التزام مع الله سبحانه وتعالى وضمن لنفسه الحياة بأن يبقى إلى يوم الدين ويكرس وجوده لإضلال الناس وانحرافهم، ولكن الفئة الوحيدة التي لا يطولها انحراف الشيطان هي الفئة المخلصة من الناس.

يحدثنا المشهد القرآني الرائع عن هذا الحوار بين الله سبحانه وتعالى وإبليس في سورة ص الآية ٧١ وما بعدها: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾^(٢٠٧) وهنا يعلن الله سبحانه وتعالى للملائكة عن إرادته بأن يخلق بشرا جنسه من الطين، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(٢٠٨) هذا الإنسان الذي خلقته من طين أريد أن أجعله أفضل الخلق وأنتم يا ملائكة بمنزلةكم العظيمة أريدكم أن تسجدوا لهذا الإنسان وأريد أن أكرمه وأريد أن أجعله في منزلة رفيعة ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢٠٩) فاستجاب الملائكة أما إبليس فإنه استكبر أي ترفع وتكبر، ولم يستجب للأمر الإلهي وكان من الكافرين، لأنه خرج عن طاعة الله سبحانه وتعالى، وهنا يبدأ الحوار، ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾^(٢١٠) فهذه إرادتي تعلقت بخلق الإنسان فما هي دوافعك في تركك للسجود لهذا الإنسان مع أنني أمرتك بالسجود؟! ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(٢١١) وهنا يتحجج إبليس المخلوق من النار بأفضليته على هذا الموجود الذي خلق من طين ويدعي إبليس أن الإنسان أقل منه قيمة ومقدارا.

المصير الأسود

انظروا إلى التكبر والتعالي الذي أهلك إبليس أين يصل بالإنسان، فقد يشعر الشخص بأنه أحسن من غيره بمجرد أن يمتلك الإمكانيات والثروة، ويغفل عن كون هذه الإمكانيات مسؤولية وتفويضا. وهي لا تعني أنك أفضل من غيرك. فرب فقير لا يملك قوت ليلته ولكنه أفضل وأحسن منك بمراتب. قد تصبح مديرا ولكن هذا لا يعني أن الموظفين

٢٠٧ . سورة ص : الآية ٧١ .

٢٠٨ . سورة ص : الآية ٧٢ .

٢٠٩ . سورة ص : الآيتان ٧٣ - ٧٤ .

٢١٠ . سورة ص : الآية ٧٥ .

٢١١ . سورة ص : الآية ٧٦ .

الذين يعملون تحت أمرتك أقل قيمة . قد يحصل الإنسان على مقامات عظيمة عند الله فيُعرف عند ملائكة السماء بعمل وبكرامة إلهية وبمنزلة رفيعة .

على الإنسان أن يحذر الغرور والاستعلاء عندما يكون في موقع ما ، وتصبح لديه إمكانات معينة ، ولينظر ماذا فعل هذا الاستعلاء بالشيطان بمجرد أن خرج عن طاعة الله . ونعرف أن إبليس كان من العُباد ، وكما تشير الروايات أنه كان يعبد الله تعالى أربعة آلاف سنة (٢١٢) .

ولا ندري أهذه السنين من سنواتنا أم من سنوات الجنة ، لأنه كان في الجنة ، ونعرف أن الزمن في ذلك العالم يختلف عما نحن عليه في عالم الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (٢١٣) . أربعة آلاف سنة يعبد الله في الجنة ولكن التكبر والاستعلاء والنجسية وتفضيل نفسه على الآخرين أوصلته إلى هذا المصير الأسود ، ﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ (٢١٤) أنت مطرود مادمت قد عصيت ولا مكان لك في الجنة ، فالجنة ليست مكانا للعصاة ، ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٢١٥) ، اللعنة الإلهية سوف تتابعك إلى يوم الحساب ، لأنك خرجت عن الطاعة ووقعت في مرض التكبر والاستعلاء .

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴾ (٢١٦) مادمت تريد أن تخرجني من الجنة وتعاقبني فأعطني أجر السنين الطويلة التي عبدتك فيها وهو الحصول على الحياة إلى يوم القيامة ، ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ (٢١٧) ، إلى قيام الساعة ، وهو يوم معلوم عند الله تعالى ، وبعد ما ضمن البقاء والحياة ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٢١٨) فسوف أغوي كل عبادك وأسعى في انحرافهم وفي إضلالهم وأبذل جهدي في إخراجهم من الطاعة وحرمانهم من الجنة ، وهذه صفات اللئيم الذي أخذ على نفسه أن يغوي ويضل الناس أجمعين ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (٢١٩) لا يمكنني أن أتقرب من المخلص ؛ لأنه يملك الحصانة والمناعة .

٢١٢ . ينظر بحار الأنوار - ج ١١ - ص ١٤٢ .

٢١٣ . سورة المعارج : الآية ٤ .

٢١٤ . سورة ص : الآية ٧٧ .

٢١٥ . سورة ص : الآية ٧٨ .

٢١٦ . سورة ص : الآية ٧٩ .

٢١٧ . سورة ص : الآيتان ٨٠ - ٨١ .

٢١٨ . سورة ص : الآية ٨٢ .

٢١٩ . سورة ص : الآية ٨٣ .

قد تأتي تهمة ما إلى المواطن البسيط ، وعلى الفور يؤخذ إلى السجن ويبقى فيه سنة أو سنتين وربما أكثر ، ولكن هذا المتهم لو كان نائبا أو وزيرا ومهما تكن التهمة كبيرة وواضحة والوثائق بينة فلا أحد يتعرض له إلا بعد سحب الحصانة منه حتى يمكن اتخاذ إجراء بحقه . يمتلك الإنسان المخلص حصانة إلهية بحكم إخلاصه ولن يتمكن الشيطان منه ولا يستطيع أن يضلّه أو يحرفه ، لأن الإخلاص نور والشيطان ظلام ولا يستطيع الظلام أن يهيمن على النور ، والإخلاص طهارة ونقاء وصفاء ، والشيطان لا يملك الفرصة في أن يغوي المخلصين ، ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(٢٢٠) يقول الله تعالى أنا أعطيت فرصة للناس يصلون من خلالها إلى الكمال ، وأرسلت لهم الأنبياء والرسل ووضّحت لهم الطريق وجعلتهم مختارين ، فإن اختاروا الطاعة فالجنان أمامهم ، وإن اختاروا المعصية وساروا وراءك يا إبليس فالنار مثوى لك ولهم .

ثمرات الإخلاص

ويتكرر التأكيد على دور الإخلاص في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ ما على الإنسان إلا الطاعة والعبادة ، ولكن أي عبادة ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾^(٢٢١) ، هذا دين الأمة المستقيمة ، العبادة المخلصة ، إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة والالتزام بما أمر الله به . ولا يرجو العبد لقاء الله إلا إذا عمل صالحا مقرونا بالإخلاص كما في قوله سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾^(٢٢٢) ، فإذا أردت لقاء الله وأردت السعادة في الآخرة فعليك بالعمل الصالح والإخلاص الذي ليس فيه شرك لله سبحانه .

وقد ورد بشكل مستفيض في الروايات الشريفة هذا المضمون : «ما أخلص عبد الله عز وجل أربعين صباحا إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»^(٢٢٣) ، هذا الإنسان المخلص إذا مر عليه أربعون يوما وهو يعيش الإخلاص في فكره وفي قوله وفعله وسلوكه فالله تعالى يجري الحكمة على لسانه ، نرى أحيانا أناسا بسطاء ، ولكن حديثهم مليء

٢٢٠ . سورة ص : الآيتان ٨٤ - ٨٥ .

٢٢١ . سورة البينة : الآية ٥ .

٢٢٢ . سورة الكهف : الآية ١١٠ .

٢٢٣ . ميزان الحكمة - ج ٣ - ص ٣٧ .

بالحكمة والعظة والعمق وفيه ما ينم عن فهم عميق للحياة . وربما يحدثونك عن أمور لا يدرك أبعادها حتى المتخصصون والعلماء ، وذلك لأن الله يجري الحكمة على لسان من يعيش الإخلاص .

النجاة في الإخلاص

في رواية أخرى : «الناس كلهم هالكون إلا العالمين» فكل إنسان جاهل لا يستطيع النجاح والفوز ، والعالم يمكن أن يتفوق ؛ لأن الله يمنحه البصيرة ، «والعالمون كلهم هالكون إلا العالمين» ، فالعلم وحده لا ينفع وإنما نحتاج إلى موقف وعطاء ، وتكمن قيمة الإنسان في أن هذا العلم يتحول إلى عمل وإلى سلوك وأداء وخدمة وهداية ، ولذلك يا عالم إذا لم تكن عاملا فأنت هالك ، ولا فرق بينك وبين الجاهل ؛ لأنك تختزن المعلومة فحسب ، واختزان المعلومة لا يكفي ، المعلومة التي ليس فيها عمل ولا ثمار أو معطيات ليس لها أثر ، «والعالمون كلهم هالكون إلا المخلصين» العامل الذي يعمل ولكن ليس لله فإن عمله لا قيمة له ، العمل إنما ينفع إذا كان لله أما إذا كان لغير الله فلا قيمة له ، العمل حينما يكون خالصا لله يترك أثرا ، «والمخلصون على خطر عظيم» يا مخلص لأنك توفرت فيك عناصر الإخلاص عليك ألا تتوهم أنك أصبحت معصوما ، في أي لحظة قد تتعرض لأمر يودي بإخلاصك ، لان الإخلاص أيضا أمامه تحديات ، المهم كيف تحافظ على إخلاصك .

وفي وصايا لقمان لابنه : «أخلص العمل فإن الناقد بصير»^(٢٢٤) ، الناقد هو الذي يميز العملة الخالصة عن المزورة ، والله هو الناقد لنوايا الإنسان ويمكنه تشخيص الخالص عن غيره ، فهو بصير وعليم ويشخص حتى أقل مقدار من الغش وعدم الخلوص ، فإذا كان الناقد بصيرا فهو لا يقبل العمل المغشوش والمخلوط بالرياء والعجب ، فأخلص العمل وإلا فهو غير مقبول ، فإذا نقص الإخلاص ولو قليلا فسد العمل وهذا ما يتطلب المزيد من الدقة والحرص على العمل المخلص ، فحق الله تعالى على عباده هو العبادة المخلصة ، الخالصة من كل قصد غير وجهه الكريم ، ويبقى السؤال الملح والمهم وهو كيف نحافظ على هذا الإخلاص؟ وما هي التحديات التي تقف بوجه الإنسان في هذا المجال؟ وهذا ما سنتحدث عنه في الليلة القادمة بإذن الله تعالى .



الأمسية السابعة- بتاريخ ٢٠١١/٨/٩



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل . . . إخواني الأكارم . . . أخواتي الفاضلات . . .

أرحب بكم أجمل ترحيب وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل أعمالكم في أيام هذا الشهر الفضيل ولياليه ، وأن يوفقنا إلى المزيد من الطاعة والانقياد إليه سبحانه وتعالى .

تحدثنا في الليالي الماضية عن منظومة الحقوق في الرؤية الإسلامية وذكرنا هناك أن وضع الإطار العام للحقوق بين الإنسان وربّه ، بين الإنسان ونفسه ، بين الإنسان والآخرين ، يمثل المدخل الضروري والأساس لبناء مجتمع قوي ومتماسك ومنسجم ، يعرف كل فرد من أفراد هذا المجتمع حقوقه تجاه الآخرين كما يعرف التزاماته تجاههم . فلا يمكن أن نفكك بين منظومة الحقوق والواجبات والالتزامات ، لأن الاعتراف بحقوق البعض يوجب على الأطراف الأخرى أن تحترمها وتدافع عنها بل وتؤديها إليهم . وبذلك نعلم ، أن منظومة الحقوق تستتبع منظومة الواجبات والالتزامات بين أبناء المجتمع .

كان حديثنا في الحق الأول من تلك الحقوق التي أشار إليها الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ في رسالته الشهيرة ، رسالة الحقوق بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « فأما حق الله الأكبر فأنت تعبدّه لا تشرك به شيئاً فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفئك أمر الدنيا والآخرة ويحفظ لك ما تحب منها»^(٢٢٥) ، وقلنا إن حق الله سبحانه وتعالى على الناس هو العبادة ، ولا بد من أن تكون هذه العبادة خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى ، لا يشوبها

شرك بالله ، فإذا كملت العبادة الخالصة فإن الله أخذ على نفسه أن يعطيك ما تحب من خير الدنيا والآخرة . وتحدثنا في عدة ليالٍ عن حقيقة العبادة وأركانها وأنماطها إلى غير ذلك . وتحدثنا أيضا عن الإخلاص وهو الشرط الأساسي والضروري في قبول العبادة . وبقي أن نتحدث عن الموانع التي تقف بوجه الإخلاص والآفات التي تأكل الإخلاص وتضعفه .

آفة العجب

تعتبر حالة العجب من أهم المعوقات التي تقف بوجه الإخلاص . فلا يجتمع العجب مع العبادة الخالصة ، فالعبادة خضوع وتسليم وانكسار أمام الله سبحانه وتعالى ، أما العجب فهو حالة من الاعتداد بالذات ، فلا يجتمع الاعتداد بالذات مع انكسار النفس بين يدي الله سبحانه وتعالى والخضوع والخشوع المطلوب من الإنسان في علاقته مع الله . وكيف يمكن للفرد أن يجمع بين الاستعلاء والعجب والخضوع والخشوع من جهة وحالة التذلل المطلوبة في علاقة الإنسان مع الله سبحانه وتعالى من جهة أخرى ؟ .

حينما يبتلى الإنسان بالعجب فإنه يشعر بالرضا والراحة في قرارة نفسه ، ويظن أن له المنة على الله ، وأنه أطاع الله حق طاعته ، ويظن أنه حقق ما مطلوب منه ، وهذا الشعور لا يدفع الإنسان لمزيد من العمل . المطلوب من الإنسان أن يشكر الله سبحانه وتعالى على ما وفقه من النعمة وأن يشعر بالتقصير أمام الله ، فكل ما تقدمه ليس له قيمة نسبة إلى النعم الجزيلة التي تنعم بها الله سبحانه وتعالى علينا . ولا يتحقق الإخلاص في العبادة إلا إذا شعر الفرد بالتقصير والحاجة إلى المزيد من التفرغ للعبادة والطاعة .

في الصحيفة السجادية للإمام السجاد زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ في الدعاء العشرين يقول : (وَعَبَدْنِي لَكَ وَلَا تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ)^(٢٢٦) فالعجب يفسد العبادة ويضعفها ، والإمام السجاد يسأل الله سبحانه وتعالى ألا تُفْسِدَ عِبَادَتَهُ بِالْعُجْبِ ، وهو عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس ممن يصاب بالعجب ولكنه يريد أن يعلمنا درسا في الإخلاص .

العجب يفسد العمل

يشير القران الكريم إلى نتيجة العجب الوخيمة في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾^(٢٢٧)

٢٢٦ . الصحيفة السجادية - دعاء مكارم الأخلاق - ص ٩٣ .

٢٢٧ . سورة الكهف : الآيتان ١٠٣ - ١٠٤ .

وهنا عبّر الله سبحانه وتعالى عن هؤلاء بالأخسرين ، وهذا يعني أن هذه الحالة هي أشد حالات الخسران ، لأن أعمالهم ضائعة وطاقاتهم مرفوضة ، وهم مع ذلك يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ولذلك يصابون بالعجب والرضا عما حققوه .

ويشهد لذلك قصة ذلك العالم الجليل ، صاحب الخدمات الكبيرة والمؤلفات القيمة ، وحينما ارتحل إلى عالم الآخرة ، رآه أحدهم في عالم الرؤيا وسأله عن حاله ، فقال له ، مرت عليّ ظروف صعبة . فتعجب هذا الرجل من قوله ، وسأله عن السبب ، فقال العالم ، لما ذهبت روحي إلى النشأة الأخرى جاء الملكان المقربان ليسألا عن أعمالي فبدأت أعدد لهم سنوات صلاتي وإمامتي للجماعة ، ولكن اتضح أن هذه الأعمال كلها مرفوضة بسبب حالة العجب والرضا بتلك الأعمال ، يقول العالم ، فذكرت لهم مؤلفاتي العديدة ، ففوجئت برفضها للسبب نفسه ، فإذا بصحيفتي خالية من كل أعمالي ، فطأطأت برأسي ، وهنا قال الملكان ، إن هناك عملا مقبولا لم تذكره وهو في غاية الأهمية ، فإنك في يوم ما اشتريت فاكهة وأثناء مرورك في الطريق صادف أن مر بك يتييم فوقفت وقبلته وأعطيته من الفاكهة وأدخلت السرور على قلبه وكان هذا العمل رغم بساطته خالصاً لوجه الله يخلو من العجب ، وهذا العمل كاف لأن يدخلك الجنة .

فالعجب إذن ، يفسد العمل ويضيعه على الإنسان : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾^(٢٢٨) ، الذي يصاب بالعجب يُحرم من جزاء الآخرة ، ولكن الله لا يضيع عمل العاملين ، فالذي يعمل لديناه يعطيه على قدر قصده ، والذي يعمل للآخرة ينال ثواب الدنيا والآخرة .

رب سيئة خير من حسنة

وعن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه ، وهو محبط للعمل)^(٢٢٩) . وقد عد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة من أسباب الهلاك وهي :

١ : شح مطاع ، فالشح سبب واضح لعناء عائلة البخيل والمحيطين به . قد يصاب الفرد بالبخل ولكنه لا ينسجم مع هذه الحالة ويحاول جاهداً أن يكسرها ويزيلها من نفسه ، ولكنك قد تجد بخيلاً استفحلت فيه حالة الشح وسيطرت على ماله وخلقه ، وهذا

٢٢٨ . سورة الكهف : الآية ١٠٥ .

٢٢٩ . بحار الأنوار- ج ٦٩ - ص - ٣٢١ .

هو الشح المطاع، فالشح والبخل لا ينحصر دائماً في المال، وإنما قد يمتد إلى سلوك الفرد، وحينما يتماشى الإنسان مع هذه الظاهرة فهو هالك كما تشير هذه الرواية عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

٢: وهوى متبع، لكل إنسان نزعات وشهوات، قد يقف بوجهها ويعارضها، وقد يأتمر بأمرها ويتبعها، فإذا اتبعها فهذا هو الهلاك، وإذا وقف بوجهها وكانت لديه الإرادة القوية ينجو.

٣: (وإعجاب المرء بنفسه) فالإعجاب بالنفس والرضا بالعمل ثالث المهلكات كما يشير الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وفي رواية أخرى عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك؛ العجب) (٢٣٠) فالعجب أكبر من المعصية نفسها، وأكبر من الذنب نفسه. فقد تذنب وتستغفر الله عز وجل، ولكن قد لا تصدر منك المعصية لكنك تصاب بالعجب كونك لا يصدر منك الذنب فتعجب بنفسك. وعن علي عليه السلام: (سيئة تسوؤك خير عند الله من حسنة تعجبك) (٢٣١) حينما ترى السيئة خطأً تتجنبها وتتعد عنها، وحتى لو ارتكبتها (لا سمح الله) فيمكنك تجاوزها بالتوبة والاستغفار. ولكن المشكلة في الحسنة المخلوطة بالإعجاب فإنها وإن كانت باطلة ولكن الفرد لا يلتفت إلى ذلك ولا يفكر في تداركها.

دعوة إلى التوبة

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «دخل رجلان المسجد أحدهما عابداً والآخر فاسقاً، فخرجا من المسجد والفاسق صديقاً والعابد فاسقاً، وذلك أنه يدخل العابد المسجد مدلاً لعبادته يدل بها فتكون فكرته في ذلك وتكون فكرة الفاسق في الندم على فسقه، ويستغفر الله مما صنع من الذنوب» (٢٣٢)، يدخل الفاسق للمسجد مطأطئ الرأس ليس لديه ادعاء وليس له دالة على أحد ويخرج بقلب منكسر وعين باكية، يشعر بالتواضع والذل أمام الله سبحانه وتعالى، فيغفر الله له فيخرج صديقاً، أما العابد فتنتيجة لحالة العجب التي يصاب بها يضيع عمله فيخرج فاسقاً وهذه هي المفارقة الكبيرة.

٢٣٠. بحار الأنوار - ج ٦٩ - ص - ٣٢٩.

٢٣١. نهج البلاغة - الحكمة - ٤٦.

٢٣٢. بحار الأنوار - ج ٦٩ - ص - ٣١١.

وعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أوحى الله تعالى إلى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ يا داود بشر المذنبين، وأنذر الصديقين، قال: كيف أبشر المذنبين وأنذر الصديقين؟ قال: يا داود بشر المذنبين بأني أقبل التوبة وأعفو عن الذنب، وأنذر الصديقين أن يعجبوا بأعمالهم فإنه ليس عبد يعجب بالحسنات إلا هلك»^(٢٣٣). بشر المذنب حتى ترجعه إلى صوابه، وهذه دعوة للعودة إلى الله، فالله تعالى يصفح عنا ويغفر - وأنذر الصديقين ألا يعجبوا بأعمالهم، ليحذر هؤلاء الصديقون الذين يقدمون أعمالاً جليلة وعبادة عظيمة من أن يفسدوا أعمالهم بالعجب فإنه ليس عبد يعجب بالحسنات إلا هلك.

درجات العجب

وعن علي بن سويد عن أبي الحسن الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «سألته عن العجب الذي يفسد العمل فقال: العجب درجات منها أن يزين للعبد سوء عمله، من مراتب العجب أن العمل يُزِين للإنسان ويراه لطيفاً» فيراه حسناً فيعجبه، «يأخذ العجب بعمله وعبادته» ويحسب أنه يحسن صنعا وهنا الإمام استخدم نفس مفردات الآية الشريفة ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾^(٢٣٤)، «ومنها أن يؤمن العبد بربه فيمن على الله (عز وجل) والله عليه فيه المن»، يتباهى ويتحدث أنه صلى صلاة الليل وقدم هذا المبلغ للفقير الفلاني، وسعى في قضاء حاجة فلان من الناس، يعجب بها ويمن على الله فيما أن الله الفضل والمنة.

وعن اسحق بن عمار عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «أتى عالم عابداً فقال له كيف صلاتك فقال (العابد) مثلي يسأل عن صلاته؟» كيف تسألني وأنا العابد الذي أفنى حياته كلها في الصلاة؟، اذهب وأسأل إنساناً بسيطاً «فقال وكيف بكأوك، قال أنا أبكي حتى تجري دموعي من خشية الله» وأخذ يشرح له عن الدمعة وكيف تنزل وما إلى ذلك. فقال له العالم «إن ضحكك وأنت خائف أفضل من بكائك وأنت مدل على رب العالمين، إن المدل لا يصعد من عمله شيء» فما دمت معجبا بعملك فلا يصعد منه شيء. يبدأ العجب بتناسي المعصية والتغاضي عن العمل السيئ، وهذه هي الخطوة الأولى، والخطوة الثانية هي حالة الشعور بالعجب والرضا والمنة على الله تعالى لأنه قام بهذا العمل أو ذاك.

٢٣٣. بحار الأنوار - ج ٦٩ - ص ٣٢١.

٢٣٤. سورة فاطر: الآية - ٨.

معيار الالتزام

وقد يسأل سائل عن الفرق بين العجب والتكبر، لأنهما يشتركان بصفة الاعتداد بالنفس. والفرق بين العجب والتكبر هو في إظهار هذا الاعتداد بالذات، فالمتكبر يظهر ذلك، ويرى نفسه أكبر من الناس في حركاته وسكناته، أما المعجب بنفسه فإنه يرى في قرارة نفسه أنه أحسن من غيره ولكنه لا يظهر ذلك للآخرين، بل قد يظهر نوعاً من التواضع ولكنه في الواقع يرى نفسه الأفضل، ويقلل من قيمة عمل الآخرين في الوقت الذي ينظر فيه إلى أهمية عمله وكماله. فالفرق إذن بين التكبر والعجب يكون في طبيعة إظهار ذلك وليس في أصل الحالة والمَلَكة النفسية والعياذ بالله.

المشكلة الأخرى التي يبتلى بها المخلصون، والتي غالباً ما يقع فيها الإنسان المطيع لله تعالى وتخر في حالة الإخلاص، هي حالة الرياء. إذ يتظاهر الإنسان بالعبادة ولكن باطنه يضمم واقعاً آخر، فإذا كان لوحده تكون صلاته كنقر الغراب، ولكنه لو أداها أمام الناس وعلى مرأى ومسمع منهم فستجده في صورة أخرى، يصلي متأنياً في القراءة، يحسن الركوع والسجود، مع أن الله ينظر إلى كلا الصلاتين، وستكون الصلاة الأولى بشكل والثانية بشكل مختلف، إذن هذه الصلاة ليست لله وإنما للآخرين.

يدفع الرياء ببعض إلى التظاهر بالتعب والسهر والخشوع. يقوم البعض في زماننا بوضع التربة بعد أن تحمى بالنار على جبهته ليوحي للآخرين بأنه ممن يحيي الليل بالعبادة والسجود الطويل. وربما تمر هذه الخدعة على عدد من الناس البسطاء، ولكن هل سينجح هذا الجاهل بتمريرها على رب العالمين؟!.

يوجد الكثير من التصرفات التي يحاول البعض من خلالها إيهام الناس بتدينهم، ومنها اللحية الطويلة والمسبحة والتختم بعدد من الخواتم، وكأن هذه الأمور هي المقياس والمعيار للتدين والالتزام!.

تصحيح المفاهيم

يصحح القرآن الكريم هذا المفهوم بقوله تعالى في سورة الماعون: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ فهم متساهلون في صلاتهم ولا يقيمون لها أي وزن ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ﴾ يراؤون يعني يتظاهرون بخلاف الواقع ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾^(٢٣٥) يمنعون

٢٣٥ . سورة الماعون : الآيات (من ٤ إلى ٦)

الآخرين من ضروريات حياتهم، يمنعون الناس من حقوقهم، وهؤلاء ويل لهم، يصلي البعض في وقت الدوام وفي وقت حاجة المواطن له لإنجاز معاملته، يذهب للصلاة ويترك المواطنين ساعة أو ساعتين في الحر، حتى يقول الناس إن فلانا يصلي، وهذا يؤدي إلى تنفير الناس من الصلاة لأنها تعطل مصالح الناس.

وتعطي سورة النساء وصفا دقيقا للمنافقين الذين يبطنون خلاف ما يظهرون: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ يريدون أن يخدعوا الله ولكن الله يخدعهم، ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ فالمنافق لا يصلي عن اندفاع ورغبة ولكنه يريد أن يخدع الآخرين ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ الغرض من صلاة هؤلاء هي المراعاة ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢٣٦) ليس عندهم توجه حقيقي نحو الله سبحانه وتعالى.

قيمة العمل العبادي

وإذا غابت العلاقة المخلصة مع الله فلا قيمة للعمل وإن كان عملا عباديا في صورته الظاهرية، وهذا ما نقرأه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ وهي تشهد بوضوح على بطلان العمل الذي يشوبه المن، فلا يمن أحد على الشعب في ما قدم له من خدمة أو إذا سجل إنجازا، لأنها من أموال هذا الشعب، والفضل لله تعالى ولهذا الشعب الذي اختار فلانا وفلانا، وأصبح مسؤولا أو وزيرا أو أميرا حتى يخدم الناس، ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ الرياء المرءاة، من الرؤية، يعطي وينفق أمواله حتى يقول الناس انظروا لفلان كم يصرف وينفق ويطعم الفقراء، هدفه الأساسي ليس خدمة الناس وليس في سبيل الله وإنما الحصول على السمعة، ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الدافع شخصي حتى يمتدحه الناس، ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ الصفوان الصخرة الملساء الصلدة التي إذا أصابها المطر الشديد فسيغسل التراب وسوف تظهر الصخرة كما كانت من قبل ويضيع العمل ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ فعملك هباء وفاشل، وأنت يا مرائي، ويا من تعمل من أجل السمعة حتى هذه السمعة لن تحصل عليها وسوف ينكشف أمرك، فاعمل لله، والله تعالى هو الذي يجلب لك السمعة، «فمن أحبه الله ألقى محبته في قلوب الناس»، عندما تعمل لله فسوف يلقي محبتك في قلوب الناس، ولكن لو صرفت مليارات من أجل أن

يحبك الناس فستنكشف على حقيقتك في أول قضية ، كذلك الذي يزرع على الصخر ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ .^(٢٣٧) عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الرياء»^(٢٣٨) ، وعبر عنه في روايات أخرى بالشرك الخفي ، ويمثله بالنملة السوداء على صخرة صماء في ليلة ظلماء ، فكيف يمكن للفرد أن يراها؟ ، وهكذا هو الرياء الذي يصاب به الإنسان .

فالإخلاص إذن ينافي العُجب ويعارض الرياء ، فمن أراد العبادة الخالصة فعليه أن يجتنب العجب والرياء .

٢٣٧ . سورة البقرة : الآية ٢٦٤ .

٢٣٨ . بحار الأنوار - ج - ٦٩ - ص ٣٠٤ .



الأمسية الثامنة- بتاريخ: ٢٠١١/٨/١٠



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

الحق الثاني حق النفس

سادتني الأفاضل إخوتي الأكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب في هذه الأمسية الرمضانية، وقد كان حديثنا في الليالي الماضية عن الرؤية الإسلامية في نظام الحقوق، وكان الحديث في الليالي الماضية عن الحق الأول والأكبر، وهو حق الله سبحانه وتعالى على العباد، وفي هذه الليلة نتقل إلى الحق الثاني، وهو حق النفس على الإنسان. فيشير إمامنا السجاد سلام الله عليه بقوله: (وأما حق نفسك عليك فأن تستوفيها في طاعة الله، فتؤدي إلى لسانك حقه وإلى سمعك حقه، وإلى بصرك حقه، وإلى يدك حقه، وإلى رجلك حقه، وإلى بطنك حقه، وإلى فرجك حقه وتستعين بالله على ذلك)^(٢٣٩)، أن تستوفيها في طاعة الله. . حق النفس على الإنسان أن يوظفها وأن يستثمرها ويكرس قدراتها في طاعة الله سبحانه وتعالى، «فتؤدي إلى لسانك حقه»، اللسان له حق، وسيأتي الحديث تفصيلاً عن هذه الحقوق، حق اللسان على الإنسان. . «وإلى سمعك حقه» السمع له حق على الإنسان، «وإلى بصرك حقه»، البصر له حق، «وإلى يدك حقه»، اليد لها حق على الإنسان «وإلى رجلك حقه وإلى بطنك حقه وإلى فرجك حقه وتستعين بالله على ذلك» . .

٢٣٩ . رسالة الحقوق - مصدر سابق

حق النفس، ومن ثم حق الجوارح على الإنسان ضمن التفاصيل التي سنشرحها ونفصل بها في الليالي القادمة بإذن الله تعالى. إذن بعد الحديث عن حق الله سبحانه وتعالى يجري الحديث عن حق النفس، وإذا أردنا أن نتعرف على حقوق النفس فلا بد أولاً من أن نتعرف عن النفس ذاتها. ماذا يُراد بالنفس؟ وما هي حقيقة النفس الإنسانية؟ لأن معرفة الشيء مقدمة لمنحه الحقوق والالتزام بحقوق ذلك الشيء؟ الكلام نفسه الذي مرّ في الحق الأول، إذ قلنا إذا أردنا أن نفي بحق الله سبحانه وتعالى فلا بد من أن نتعرّف على الله، لأن معرفة الله مقدمة للإيفاء بحقه سبحانه وتعالى على عباده.

مقدمة التعريف بحق النفس

معرفة النفس مقدمة ضرورية للإيفاء بحقها على الإنسان، وهذا هو العدل، العدل وضع الشيء في موضعه، فحينما نتعرف على النفس وحقيقتها سيكون بإمكانك أن تفي بالتزاماتها وتلتزم بالحقوق التي أقرها الله سبحانه وتعالى لها.

فيما يرتبط بحق الله وارتباطه بمعرفة الله نلاحظ في بحار الأنوار الجزء ٦٧ صفحة ٣٩٣ عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (من كان بالله أعرف كان من الله أخوف)، كلما كانت معرفتك بالله أكبر وأوضح وأعمق كانت مخافة الله وطاعة الله وعبادة الله والتزامك بحق الله أكبر وأوثق وأعمق. فهناك تلازم بين المعرفة بالشيء والإيفاء بحق ذلك الشيء، وهذا ما نراه في هذه الرواية بخصوص حق الله وهو ينطبق على حق النفس، فلا بد من وقفة للتعرف على حقيقة النفس.

هناك رؤيتان تجاه النفس وحقيقتها:

أولاً/ الرؤية المادية: وهي الرؤية التي تسعى إلى أن تحلّل وتفسر كل ظواهر الحياة تفسيراً مادياً، ولا ترى شيئاً ما وراء المادة ولا تؤمن بشيء ما وراء المادة، فتختزل الوجود الإنساني بالحياة المادية، وترى الإنسان وجوداً مادياً. هذه الرؤية لا تستطيع أن تفرق بين الروح والجسم والبدن، فتراها حقيقة واحدة وحالة واحدة وهي حالة مادية. فحياء الروح بولادة هذا البدن وممات الروح بوفاة هذا البدن. فالإنسان حينما يحيا تحيا الروح معه وحينما يموت أيضاً تنعدم الروح وتنتهي ولا يبقى لها وجود. هذه الرؤية المادية لا تؤمن بنشأة أخرى ولا تؤمن بما هو أوسع من إطار المادة. وهذا التفسير يُعمّم ليشمل الإنسان أيضاً في حركته وأبعاده.

ثانياً/ الرؤية الروحية: وهي في مقابل هذه الرؤية المادية، تؤمن بما وراء المادة

وهي تفصل وتميّز وتفكّك حقيقتين في وجود هذا الإنسان، وليس حقيقة واحدة. تميّز بين الجسم المادي الذي له ولادة وله نمو وله وفاة في يوم من الأيام وبين الروح وبين النفس. . وهذه الروح ﴿ونفخت فيه من روحي﴾^(٢٤٠)، هذه النفس وهذه الروح هي هبة الله سبحانه وتعالى، وهي امتداد وتعبير عن الارتباط بذلك الوجود الكامل ما وراء المادة، هذه الروح لا تغيب ولا تضيع ولا تنعدم ولا تموت بموت الإنسان في حركته المادية.

لذلك فالرؤية الإلهية السماوية، رؤية القرآن الكريم، رؤية الإسلام إلى وجود الإنسان تُميّز بين هذين الركنين الأساسيين ولا تعتبرهما حقيقة واحدة. لاحظوا ماذا يقول علي عليه السلام: (إن الله عز وجل ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم)^(٢٤١). ليس للملائكة نزعات شهوانية وميول وهوى، وجودهم مجرد ليس إلا العقل، (وركب في البهائم شهوة بلا عقل)، أما البهيمة فعلى العكس من ذلك، هي وجود مادي صرف. البهيمة لا تستطيع أن تفكر ولا تستطيع أن تتدبر في ما حولها، أو أن تتعقل، وهي مجبولة على الحالة المادية وعلى الشهوة في الأكل والشرب والنوم والتكاثر والتناسل، هذه هي حركة البهيمة كما أرادها الله سبحانه وتعالى. . لكن عظمة الإنسان في أنه: (وركب في بني آدم كليهما).

بين الرقي والانحدار

فالوجود الإنساني وجود مركب من العقل ومن الحالة المادية الشهوانية إلى غير ذلك، (فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة) أي من أمسك لجام شهواته ونزواته، وينظر إلى القيمة أكثر من نظرته إلى رغباته فهو خير من الملائكة، يرقى ويرقى ليكون خيراً وأكمل من الملائكة. لماذا؟ لأن الملائكة ليس لها طريق إلى الشهوة، وما كانت مخيرة لتختار، فهي مجبولة على أن تكون عقلاً بلا شهوة كما أشرنا. لكن هذا الإنسان المركب من العقل والشهوة حينما يختار العقل فضله أكبر وأعظم من الملائكة.

(ومن غلبت شهوته عقله فهو شرٌّ من البهائم)، إن العاقل يستطيع أن يفكر ويتدبر وأن يتعرف على كنه المصالح، وحين يتخلى عن عقله، هذا المفتاح السحري المهم، وعن هذه الوسيلة للكمال ويبقى كالبهيمة، فسيكون أشدّ بؤساً من البهيمة، لأنها مجبولة

٢٤٠ . سورة الحجر: الآية ٢٩

٢٤١ . بحار الأنوار، ج٥٧-ص٢٩٩

على أن تتحرك بشهوانية وليس لها من عقل ، لكن العاقل حين يتعامل بطريقة البهائم فهو سيحكم على نفسه بأنه شرٌّ منها . ثمة فرق بين من يفقد نعمة البصر ويعثر بمطب ، ومن يملكها ليقع في العثرة نفسها ، مثل هذا الشخص لا يَلْمُ إلا نفسه ، هناك قاعدة قانونية معروفة في أحكامنا الوضعية أن القانون لا يحمي المغفلين ، جوهر القاعدة و فلسفتها وعمقها هي هذه الحقيقة التي تقول أيها الإنسان إنك حينما مُنحت نعمة العقل ونعمة التدبر والتعمق في الأمور فعليك استخدام هذه النعمة ، حتى لا تندم على قضية ما وعلى قرار تتخذه . في سورة الأعراف الآية ١٧٩ : ﴿قَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ .

مسؤولية العقل

إن هذا الإنسان الذي لا يوظف نعمة العقل لا يُحمى من السماء ، ويتحمل مسؤولية قراره ، وقد ورد في الرواية أن الإنسان إذا جاء يوم القيامة دون عمل صالح يُقال له : هل علمت؟ فإن قال : نعم ، قيل : فهلاً عملت بما علمت؟ وإن قال : لا ، قيل له : أفلا تعلمت حتى تعمل^(٢٤٢) . تقول الآية الشريفة ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ . القلب والنفس والعقل والروح كلها مفردات تشير إلى حقيقة متقاربة ، وإن كان فلسفياً ثمة فروق بين هذه المفاهيم ، لكن هذه المفردات تشير إلى حقيقة متقاربة هي حقيقة الإنسان الذي لا يستخدم عقله ولا يوظفه ، وكذلك لديهم ﴿أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ وبالطبع فالعين ليست عين البصر فقط وإنما البصيرة والرؤية . ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أي صموا آذانهم ولا يريدون أن يسمعوا الحق .

حجة الله البالغة

«الله الحجة البالغة» وليس لأحد إنكار معرفته بالحجة وتجاهلها؟ . كنا ذات يوم في رحلة إلى إندونيسيا قبل عشرين سنة للتبليغ ، وكنا نتنقل من مدينة إلى أخرى ، وإندونيسيا ١٧ ألف جزيرة و ٢٢٠ مليون نسمة ، فهي منطقة كبيرة ومدن واسعة وشاسعة ، وقد عثرنا هناك في منطقة جبلية نائية على مجموعة من أتباع أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، كان استبصارهم على يد

رجل أصبح من مدرسة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بعد أن حدث له أن حجَّ إلى بيت الله الحرام، ووسط شح المياه بحث عن ماء للوضوء، فلم يجد سوى شيخ كبير رآه يتوضأ بقدر فيه كمية قليلة من الماء، فقال إن هذا الأمر استوقفه فسأله من أين جاء بهذه الطريقة في الوضوء؟ فأجابته بأنه على وفق أهل البيت سلام الله عليهم، فيما نعلم أن إختوتنا يستخدمون كميات أكبر من الماء للوضوء، فقال إنه في تلك اللحظة شعر أن ثمة مصداقية، لأن هذا الموقف جاء منسجماً مع مشكلة وأزمة يعيشها في ذلك الوقت.

ومن هنا بدأ اهتمامه بالبحث والاستقصاء في الكتب ليقراً ويتعرف ليجد الحقيقة وكان ذلك سبباً في انتمائه إلى مدرسة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. . النتيجة أن الحجّة يقيمها الله على العباد حتى لو كان المرء في الصحراء، الله يجعل الحق أمام الإنسان ليتعرف عليه ويصله في أي مكان كان. . إذا استفاد من تلك الحجج التي يضعها الله نصب عينيه فهيناً له، وإذا لم يستفد فالمشكلة كبيرة، ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾، فهذا الذي منحه الله العقل والتفكير والرؤية وأقام عليه الحجّة ولا يريد أن يراها فهو لا يرغب في الانتفاع من نعمة العقل، ليس له إلا شهوته وهذا شأن البهائم ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(٢٤٣) طبعاً هذا الذي يكون كالبهيمة أو أشد من البهيمة يعيش أعلى مستويات الغفلة نستجير بالله من ذلك، وحينما تتوفر له النعمة ولا يستفيد منها.

الوجودات واستحقاقها

النفس الإنسانية تعبر عن مرتبة وجودية معينة، والجسد، الجسم، البدن، بحكم ماديته أيضاً يعبر عن مرتبة أخرى دنيا. لكل من هذه المراتب استحقاقات، ولكل من هذه المراتب التزامات واحتياجات وضرورات، كما أن البدن يحتاج إلى غذاء فالروح تحتاج إلى غذاء أيضاً. . وكما أن البدن يحتاج إلى ترفيه، إلى استرخاء، فالنفس أيضاً تحتاج إلى استرخاء وإلى راحة وهكذا. . لا بد من أن نفي بالتزامات وحقوق النفس الإنسانية كما أننا نفي بالتزامات البدن في مجمل أوضاعه. ننتبه كثيراً إلى المرض الجسدي فنذهب إلى الطبيب، لكن هل نفكر أن النفس مريضة أو صحيحة ومستقيمة؟. لذلك لا بد من الإيفاء بهذه الاستحقاقات.

عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: (نال الفوز الأكبر من ظفر بمعرفة النفس)^(٢٤٤). ذلك لأن هذا هو سرّ النجاح وسر التوفيق، هذا هو المدخل والبداية الصحيحة والضرورية لتحقيق كل

٢٤٣. سورة الأعراف: الآية ١٧٩

٢٤٤. ميزان الحكمة ج٦-ص ١٥٣

الإنجازات، وكل الانتصارات، واستثمار واقع الحياة بشكل صحيح. وعنه صلوات الله وسلامه عليه أيضاً: (رحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعدَّ طوره)^(٢٤٥)، كل مرحلة لها استحقاقات والروح لها ظروفها وواقعها. والإنسان عليه أن يعرف قيمته ويعرف قدره. . ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(٢٤٦) فالإنسان مخلوق مكرم في المحضر الربوبي، وقد طلب الله من الملائكة أن يسجدوا لهذا الإنسان، وقد سجدوا إلا إبليس أبى واستكبر فتعرض بسبب ذلك إلى ما تعرض إليه كما أشرنا في الليالي الماضية. لهذا على الإنسان أن يعرف قيمته وألا يقع في مطبات الذنوب والمعصية ليقفل من قيمته هذه، وقد منح الله العقل والروح والنفس الإنسانية لترقى ولتتكمّل، لتكون أفضل من الملائكة.

فوائد معرفة النفس

ما هي الفوائد وما هي المعطيات العملية الواقعية لمعرفة النفس؟

الفائدة الأولى: إنها مدخل لمعرفة الله.

معرفة النفس هي الطريق إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، فهذه المعرفة هي المدخل الحقيقي للتعرف على طريق الهداية والكمال الإنساني، حتى نحسن الطاعة والعبودية لله سبحانه وتعالى. يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)^(٢٤٧)، يتفرع على معرفة النفس معرفة الرب، فالفاء الواردة هي فاء التفريع كما هو معروف لغوياً وحين تأتي بعدها (قد) تفيد التحقيق جزماً.

المعطى الأول: إذن، أن تتعرف على نفسك فهو مقدمة ضرورية للتعرف على الله سبحانه وتعالى، وهذه الفاء أيضاً تشير إلى التراتبية فلا يمكنك معرفة الرب إلا إذا عرفت المربوب. يمكن التمثيل لذلك والأمثال تضرب ولا تقاس بتوقف معرفة الابن على معرفة الأب، أي لمعرفة البنوة لا بد من معرفة معنى الأبوة، ومثلها توقف معرفة الظلام على معرفة النور ومعرفة الزوج غير ممكنة إذا لم تكن هناك زوجة. وهكذا نرى هذا الترابط بين مرتبة الربوبية ومرتبة المربوبية.

المعطى الثاني: إن معرفة النفس تمثل سر النجاح والانسجام مع واقع الحياة، فهي في واقع التعامل بمثابة العين التي يرى بها الإنسان ما حوله. فكما لا يستطيع الضير التعرف

٢٤٥. نهج البلاغة - شرح ابن أبي الحديد، ج ١١- ص ١٩٨

٢٤٦. سورة الإسراء: الآية ٧٠

٢٤٧. بحار الأنوار، ج ٢- ص ٣٢

على الألوان والأشكال وتحسس مواطن الجمال ومباهجه ، فكذلك الأمر مع النفس الإنسانية ، فهي العين التي يرى من خلالها الحياة في جوهرها وواقعها . يقول الله تعالى : ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ﴾^(٢٤٨) والمراد بهذه العين هي النفس الإنسانية التي ترى بالبصيرة والرؤية العميقة واقع الحياة من حولها .

معرفة النفس هي المصدر لكل الطاقات والكفاءات والقدرات التي يتمتع بها الإنسان ، فحين نتحدث عن الضمير فنحن بصدد حالة وجدانية ، لا نتصور وجودها بدون النفس . وكذلك الوعي الإنساني ، فمثل هذه المفاهيم كلها إنما تأخذ معانيها من معرفة النفس والولوج إلى دواخلها ، ومن خلال استثمارها وتوظيفها بالشكل الصحيح . . إن المدركات الحسية والعقلية لا يمكن إدراكها إلا بهذه النفس . معرفة النفس هي مدخل لفهم الحياة في بعدها الحسي وفي بعدها الواقعي والعقلي . كل صلاح من خلال معرفة النفس وكل فساد من خلال الجهل والغموض في معرفتها . فالجهل بها يوقع في الانحراف والفساد .

المعطى الثالث : معرفة النفس تخلق التوازن في شخصية الإنسان ، وتسهم هذه المعرفة في استقرارها وثباتها ، فلا تغدو عرضة للتقلب والتغيير بفعل العوامل الخارجية . إننا نرى أشخاصاً يحافظون على توازنهم مهما كانت المغريات المادية والمناصب والإمكانات التي تتوفر لهم . شاهدت في كربلاء في إحدى الزيارات شخصاً ذا ملامح غير عراقية يجمع أحذية الزوار ، وتبين أنه ملياردير هندي يقوم في كل زيارة بارتداء ثياب متواضعة تقرباً لله تعالى . شخص آخر وهو تاجر كبير يعمل على جمع القمامة ويتقرب بخدمة زوار الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وهناك أشخاص على العكس من ذلك تؤثر فيهم المغريات وتحولهم إلى أشخاص متعاليين ويفقدون شخصياتهم . إذن فالتوازن في الشخصية الإنسانية إنما يتم من خلال معرفة النفس ، السعادة والشقاء بمعرفة النفس . . ومن ها تبرز أهمية معرفة النفس التي يجب أن نوليها الاهتمام المناسب بأن نستكشف أغوارها ونتعرف على حقيقتها . عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ : (من لم يعرف نفسه بُعدَ عن سبيل النجاة)^(٢٤٩) فمن لا يعرف نفسه كان بعيداً كل البعد عن النجاة .

٢٤٨ . سورة الأعراف : الآية ١٧٩

٢٤٩ . ميزان الحكمة ، ج٣-ص ٩٠

في نهج البلاغة الحكمة ١٤٩ : (هلك امرؤ لم يعرف قدر نفسه) هلاك المرء في جهله بنفسه وضياع الفرص الحقيقية في الكمال الإنساني ، معرفة النفس هي المدخل المهم . . وللحديث صلة ، نواصله في الليالي القادمة ، أكتفي بهذا المقدار وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الأمسية التاسعة- بتاريخ: ٢٠١١/٨/١١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل، إخوتي الأكارم، الأخوات الفاضلات . . نواصل الحديث في البحث الذي ابتدأنا به في هذا الشهر الفضيل .

الفائدة الثانية: الوقاية من الضلال

اليوم نتحدث عن الفائدة الثانية من فوائد معرفة النفس، وهي الوقاية من الضلال والانحراف، إذا أردت عدم الانحراف وعدم السقوط في الهاوية فعليك بمعرفة النفس، حينما تتعرف على نفسك وعلى مقدارك ومنزلتك وعلى الكرامة التي خصك الله تعالى بها، حينذاك تجد نفسك أعظم وأكبر وأشرف من أن تنزلق إلى الهاوية، وتقع في الذنوب والمعاصي .

لاحظوا الرواية عن علي عليه السلام: (من عرف شرف معناه صانه عن دناءة شهوته وعن زور مناه)^(٢٥٠)، من تعرف على حقيقته ونفسه، وشرف وكرامة هذه الحقيقة، فمثل هذا الإنسان لا يقع في الشهوات الدنيئة، فهذه الخسة والمعاصي والدنائة لا تليق بقيمة الإنسان، لأن الله تعالى أراد الإنسان أن يكون كريما شريفا وعزيفا، لا يقبل لنفسه أن ينزل إلى أقل من ذلك، إلى الأماني الباطلة والطويلة وغير الواقعية، الأماني التي تبعد الإنسان وتجعل له أهدافاً أخرى غير هدفه في الكمال، من حق الإنسان أن يعيش وأن يرتزق

وأن يكون له طموح في هذه الدنيا . ولكن لا يجعل لنفسه آماني وأهدافا تبعده عن طريق الطاعة والعبادة وعن طريق الكمال لله تعالى .

أقسام العلم

في الكافي ج ١ صفحة ٥١ عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : (وجدت علم الناس كله في أربع)، الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ بعلمه وهو المعصوم يقول العلم يقسم إلى أربع، (أولها أن تعرف ربك) معرفة الله فيها الخير والبركة والهداية والسلوك المستقيم، (والثاني أن تعرف ما صنع بك)، أن تكون لك معرفة بصنع الله بك بعنايته بك في بدنك وجسمك والأسرار العظيمة لهذا الوجود المركب المعقد الدقيق العميق . وكذلك في بعدك الروحي والمعنوي وفي مقدرتك على أن تسير وتتكامل، وهذا أيضا نوع ثان من العلم، علم الإنسان بما صنع الله فيه في بعده المادي والمعنوي، (والثالث أن تعرف ما أراد منك)، ماذا يريد الله منك من واجبات والتزامات، من محرمات عليك أن تنتهي وتبتعد عنها وتجنبها، حينما تعرف ماذا أراد الله منك تستطيع أن تلتزم بهذه الإرادة، (والرابع أن تعرف ما يخرجك من دينك)، العلم الرابع هو أن تعرف أين هي الخطوط الحمر، وهذه سنة من سنن الحياة، إذا أردت النجاح والتألق في أي مكان وفي أية قضية عليك أن تعرف ما هي الحدود وما هي الخطوط الحمر، وأين هي الممنوعات والمحظورات في هذه العملية، في كل مرافق الحياة هناك ضوابط وحدود وحين تتجاوز هذه الحدود تكون قد وقعت في المحذور.

التركيز القرآني على معرفة النفس

وعلى هذه الخلفية يتبين أن معرفة النفس قضية في غاية الأهمية، وقد أولى القرآن الكريم هذه المسألة اهتماما عظيما، نجد أن (٦٥) آية في القرآن الكريم تحدثت عن الإنسان، واستخدمت مفردة الإنسان، وبالطبع هناك حديث عن الإنسان ولكن في مفردات أخرى، مثل قوله سبحانه (يا بني آدم) و (يا أيها الناس) . . وغيرها، فستكون مئات من الآيات .

وهذا ما يكشف عن مدى اهتمام القرآن بالإنسان، وبمعرفة واقعه وجذوره وآفاقه ونشأته إلى غير ذلك من التفاصيل التي تعرضت لها هذه الآيات الشريفة . هناك ٦٤ آية من مجموع ٦٥ آية ذكرت الإنسان مع الألف واللام: «الإنسان»، وهناك آية واحدة لم ترد بالألف واللام، بل وردت بعد كل، «كل إنسان . .» لتأخذ هذا البعد الشامل، وهذا

المورد الذي لم يأت بالألف واللام جاء في سورة الإسراء آية ١٣ ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾، «طائره» أي عمله، العمل الذي لا ينفك عنه، واستخدمت مفردة العموم «كل إنسان» في هذه الآية، ﴿ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا﴾، منشور أي غير مطوي ومفتوح.

من أهم موارد الإحراج الذي يقع فيه الإنسان هو أن كل أعماله يراها الآخرون، في حياة كل منا هناك أسرار شخصية، فما بالك إذا وقع البعض في المعصية والذنب وفي العدوان، وهناك أفكار معينة لدى كل واحد منا فيها اعتداء على الآخرين، وهذه كلها لو تكشفت وتبينت (لو تكاشفتما لما تدافتم) (٢٥١)، لو تنكشف حقائق بعضكم للبعض الآخر لا تمتنع أحدكم عن دفن الآخر. حينما تظهر وتنكشف هذه الأسرار تحدث مشكلة كبيرة وعويصة. أما في يوم القيامة فعمل كل شخص منشور، ذلك أن كل الاعتبارات الاجتماعية وغيرها تزول ويخضع جميع البشر للحساب.

إن هذه الرؤية تغير قناعات الإنسان، وتدفعه إلى سلوك ينسجم مع مثل هذه المسائل، الإنسان دائما أمام عدسات التلفاز يكون تعامله مختلفا عما لو كان بعيدا عن الأنظار، في الملبس والسلوك، يراعي هذا الاعتبار، إن معرفة الإنسان أن كل أعماله ستكون منشورة ومعروفة ومفضوحة للآخرين تدعوه إلى مزيد من الدقة والحذر في تعاملاته. نأخذ نماذج من الآيات الشريفة التي تدلل على كيفية تركيز القرآن على الإنسان وحقيقته وجذوره وتكوينه.

نشأة الإنسان

في سورة مريم آية ٦٧ ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾، أيها إنسان لماذا أنت متكبر على الناس ومتكبر على رب العالمين وأصبحت بالاستعلاء! من أنت؟! أين كنت؟! من خلقك وسواك؟! . ويقول الله تعالى للإنسان نحن خلقناك وعملنا منك رجلا، الشعور بأنه لم يكن شيئا مذكورا، وأن الله هو الذي أوجده وخلقته، وكل ملكات الإنسان من الجمال وحسن الحديث والفكر والوجاهة والاعتبار والغنى هي من الله تعالى، كل ما لدينا مما نتفاخر به بعضنا على بعض هو من الله.

في سورة الحجر آية ٢٦ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾، أي

أنه مخلوق من الطين اليابس الآسن، في إشارة لنطفة الإنسان، هذه هي حقيقة وجود الإنسان، في رواية «أوله جيفة»^(٢٥٢) في إشارة للسائل المنوي «وأخره جيفة» بمجرد أن يموت يذهبون به إلى القبر حتى لا تخرج منه رائحة غير طيبة، «وما بينهما حامل الجيف» إذا أصابه داء يمنعه من قضاء الحاجة.

في سورة العلق آية ١ وما بعدها ﴿أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾، العلق هو كتلة الدم المتجمد وهي تعلق في الرحم لتصبح البداية لتكوين ونشأة الإنسان، على الإنسان ألا ينسى أصل تكوينه ونشأته وهي العلق، اليوم لتكن من تكون في أي موقع، وأي امتيازات وظروف وإمكانات، يجب ألا تنسى أن أصلك علق. كم كرية دم استقرت في رحم فأصبحت أنت الإنسان، لاحظ كم تعطي الإضاءة رؤية وبصيرة وكم تجعل الإنسان يشعر بالخضوع والخشوع والذلة أمام الله تعالى حينما يتذكر أصله وحينما يتعرف على خصوصياته.

في سورة المؤمنون آية ١٢ وما بعدها وهي تشير إلى المراحل التي يمر بها الإنسان في عملية الخلق: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، هذا الطين الجامد يتحول إلى نطفة منوية فيها مقومات الحياة والتحول إلى الوجود، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) وهذا السائل المنوي نضعه في الرحم بطريقة تفاعلات غاية في الدقة وفي مكان آمن، حتى يتحول إلى موجود وإلى كائن بشري.

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾، هذه النطفة البسيطة تتحول إلى علقة، وهي كما قلنا الكتلة من الدم المتجمد، ﴿خَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ وهذا الدم المتجمد يتحول إلى دم غليظ، ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾، والدم الغليظ يتحول إلى عظام ثم يأتي اللحم ليكسو هذه العظام ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾، ثم يتحول من هذه الحالة إلى حالة جديدة فيكون بمثابة الجنين، وتبدأ ملامح الإنسان تظهر فيه، وتنمو شيئاً فشيئاً، وهو في رحم أمه. ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، انظر إلى عظمة الله كيف تجلت بهذه التحولات من خطوة إلى أخرى إلى أخرى يتحول الإنسان من ذلك السائل المنوي إلى أن يكون إنساناً حسن الخلق، تمنى أن نملك حسن الصورة وحسن السلوك والأداء.

الكمال الفطري

في سورة التين آية ١ وما بعدها: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ وَطُورِ سَيْنِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾، يقسم الله بهذه الفواكه ذات الفوائد العظيمة، و﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾ الله يقسم بذلك الجبل الذي تجلى به لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ مكة المكرمة، البلد الآمن والبلد الذي يحمل أمانة الوحي، لماذا كل هذا القسم؟. الله يقسم بالتين والزيتون وطور سينين وبمكة البلد الأمين، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، الله يقسم بكل هذه الأمور أنه خلق الإنسان على أفضل حال، وأكمل صورة وأحسن شكل، في بعده المادي في شكله، وفي بعده المعنوي بروحه وكماله، وفي قدرته على التأدب، ليكون أفضل من الملائكة كما أشرنا في الليلة الماضية.

وهذا لطف من الله وهذه كرامة لهذا الإنسان أن يكون بهذه الرفعة، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ ولكن هذا الإنسان الذي يتألق في صورته وشكله وبدنه وفي روحه ونفسه معرض للانهيارات والتراجع، لأن يكون أسفل السافلين، وليكون أحط المنحطين وأسوأ من البهيمة، هكذا يمكن أن يقع حينما يبتعد عن السياقات الصحيحة، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الإيمان والعمل الصالح، الانسجام مع الفطرة والحياة والانسجام مع الدور الذي أراد الله تعالى لهذا الإنسان، إذا آمن وعمل الصالحات سيكون أفضل من الملائكة، ولكن إذا تجاوز كل هذه النعم حينذاك يمكن أن يكون أسفل السافلين وأحط المنحطين، ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أجرهم دائم غير منقطع.

هداية السبيلين

في سورة الإنسان آية ١ وما بعدها: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾، ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ سؤال ولكنه ليس للاستفهام، إنه سؤال تفريري، الإنسان لم يكن شيئاً وجئت به وربيتّه وعلمته وشغلته وأصبح مقامه كبيراً، والآن يأتي هذا الإنسان كي يتنكر لهذه الحقائق،

﴿هَلْ أُنِيَ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ هل كان الإنسان في وقت سابق شيئاً غير مذكور؟ والجواب نعم، عندما تُسأل كم عمرك تقول مثلاً ٣٠ سنة ولكن قبل الثلاثين أين كنت وهكذا، بدأت من السائل المنوي نطفةً، ثم كبرت أيها الإنسان.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾، أمشاج يعني الخليط، حينما يختلط السائل المنوي للذكر مع الأنثى تكون بداية الإنسان، ثم أصبح على ما هو عليه الآن، ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ تطورت وتحولت في هذه المراحل المتعددة إلى أن أصبحت إنساناً تسمع وترى وأصبح لديك إدراك وشعور ومنزلة، وأصبح لديك حضور وتقدير من الناس، أصبحت موجوداً متكاملًا متطوراً ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ نحن أعطيناك المدركات الحسية والإرادة الحرة حتى تختار وتقرر بأي اتجاه تذهب، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ إما أن تختار طريق الهداية والطاعة أو طريق الشرك والضلال والعياذ بالله.

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾، ما دمنا أعطيناك قدرة الاختيار فإذا اخترت طريق الضلال فإننا اعتدنا لك السلاسل والقيود والسعير، ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾، ولكن إذا اخترت طريق الصلاح والهداية والفلاح والنجاح والكمال فإنك تحظى بالثواب الجزيل، ومن وجوه النعيم في الجنة الكؤوس التي فيها من الشراب الطيب ذي الرائحة الزكية، الذي تأنس بشره، عليك الاختيار وعليك تحمل التبعات المترتبة على اختيارك.

مصدق الكمال الإنساني

في سورة الإنسان آية ٨ و ٩: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾، قال الفخر الرازي في تفسيره الكبير: (والواحدي من أصحابنا ذكر في كتاب البسيط أنها نزلت بحق علي عليه السلام)، وصاحب الكشاف ذكر هذه القصة عن ابن عباس «رض» (إن الحسن والحسين عليهما السلام مرضا فعادهما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في أناس معه، فقالوا لعلي: يا أبا الحسن لو نذرت علي ولدك. فنذر علي وفاطمة وفضة «وهي جارية عندهم» إن شفاهما الله تعالى أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا فاستقرض علي من شمعون اليهودي الخيري ثلاثة أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعاً واختبرت خمسة أقراص على عددهم ووضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم أهل بيت محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مسكين

من مساكين المسلمين فأطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فأثروه وباتوا ولم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صائمين ، فلما أمسوا وضعوا الطعام بين أيديهم ووقف عليهم يتيم فأثروه ، وجاءهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك ، ثلاثة أيام علي وفاطمة عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وفضة رضوان الله عليها يفطرون على الماء ولا يأكلون شيئاً من الطعام ، (فلما أصبحوا في اليوم الرابع أخذ علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بيد الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ودخلوا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : ما أشد ما يسوؤني ما أرى بكم ، فانطلق معهم فرأى فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها فساءه ذلك ، فنزل جبرائيل فقال خذها يا محمد هنأك الله في أهل بيتك فأقرأها السورة) (٢٥٣) ، وتلا هذه الآيات الشريفة فكانت هدية عظيمة من السماء ، من الله تعالى لرسول الله ، وشهادة بحق أهل البيت الذين قدموا كل هذا العطاء من أجل الله سبحانه وتعالى . . وللحديث صلة تأتي في الليالي القادمة ، أستغفر الله لي ولكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الأمسية العاشرة- بتاريخ ٢٠١١/٨/١٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل ، إخوتي الأكارم ، الأخوات الفاضلات

استعرضنا من خلال الليالي الثلاث الماضية الحديث في معرفة النفس وخصائصها وفوائد هذه المعرفة ، وكيف أنها الطريق لمعرفة الله سبحانه تعالى . وكيف أنها الطريق للكمال الإنساني المطلوب . ثم استشهدنا بنموذج راقٍ من نماذج الإنسان المتألق ورد في سورة الإنسان ، الآية الثامنة والآية التاسعة : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ ، عن ابن عباس أن هذه الآيات الشريفات قد وردت في حق علي وفاطمة والحسن والحسين وفضة ، وهي جارية لهم ، هؤلاء الخمسة الذين صاموا لثلاثة أيام ، وكلما حان وقت الإفطار يطرق الباب سائل أو يتيم أو أسير فيقدمون له الطعام ويقون لثلاثة أيام يفطرون على الماء . هذا العطاء من أجل الله هو المصدق والنموذج المتميز في تقديم الإنسان كل ما في وسعه وكل ما في يديه ، ومن الجود بذل الموجود ، حينما لا يكون لهم إلا هذا الطعام يقدمونه للسائل ولليتيم وللأسير ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ (٢٥٤) .

ابتغاء وجه الله تعالى

كما ورد في سورة الليل الآية السابعة عشرة وما بعدها: ﴿وَسَيَجَنَّبُهَا الْأَتَقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾^(٢٥٥). . إن الأتقى أي التقي الصالح الورع المطيع لله سبحانه وتعالى سيتجنب نار جهنم وعذابها، ولكن من هو هذا الصالح الورع المتقي؟. تذكر الآية الكريمة أنه الشخص الذي ينفق من ماله ويعطي ما لديه من أجل أن يطهر نفسه ويطهر ذلك المال، فالمتقي هو الذي ينفق ويصرف ويتصدق ولا ينتظر جزاء من أحد. . (وما لأحد عنده من نعمة تجزى)، فهو يعطي من دون أن يكون للآخر حق عليه، فليس هناك نعمة واجبة الجزاء وواجبة الإيفاء عليه للآخرين كي يتوجب أن يعطي من حقه.

إن الهدف من هذا العطاء هو (ابتغاء وجه ربه الأعلى). . فهو يبتغي رضا الله سبحانه وتعالى ويطلب الكمال من خلال هذا العطاء والجود والإنفاق، وهنا يعد الله سبحانه وتعالى مثل هذا العبد بأنه سيرضى (ولسوف يرضى)، والرضا هنا هو من أسمى المقامات، وقد تحدثنا في الليالي الماضية أن هناك من يطيع الله طلبا وطمعا بالجنة، وهناك من يعبد الله خوفا من النار، وحين تؤدي العبادة على الوجه الصحيح فإن الله تعالى سيعطي الجنة لمن عبده طمعا فيها، ويجنب النار من عبده خوفا ويبعده عنها. . وثمة نمط ثالث ذكرناه من العبادة، وهي عبادة الأحرار حين لا تكون طمعا ولا خوفا، بل تكون شكرا والتزاما وحباً لله سبحانه وتعالى، كما لاحظنا في هذه الآيات الشريقات من سورة الليل، و من سورة الإنسان، وهؤلاء يمنحهم الله مقام الرضا والقرب الإلهي، والجوار الإلهي، وأن يكون الإنسان شاهدا وحاضرا في المحضر الربوبي.

هذه منزلة ومقام أسمى من الجنة يعطيه الله سبحانه وتعالى لهؤلاء الذين يعطون لا لشيء إلا لوجهه الكريم. وبما أن أهل البيت سلام الله عليهم هم المصداق البارز والواضح لحالة الإنسان الكامل الذي يقدم كل شيء من أجل رضا الله سبحانه وتعالى، جاء الأمر الإلهي باتباعهم بالالتزام بنهجهم: (إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا)^(٢٥٦). التمسك ليس بأحدهما ونحن لسنا ممن يقول حسبنا كتاب الله، ذلك أن الكتاب أحدهما والثاني هو أهل البيت. إن من لا يضع أية اعتبارات شخصية أو مصالح سيسير بك إلى الهدى إن اتبعته، ويأخذ بيدك إلى

٢٥٥ . سورة الليل : الآية ١٧ - ٢١

٢٥٦ . البحار ج ٢ - ص ١٠٠ ، والوسائل ج ٥ - ص ١٤

سبيل الرشاد ، ليس في هذا الطريق ضلالة وليس في هذا الطريق انحراف ، فلا بد من أن نتمسك بهما ؛ بكتاب الله وبأهل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

محاسبة النفس

من المواضيع المهمة في سياق الحديث عن حق النفس هو موضوع محاسبة النفس . فهذه النفس تحتاج إلى مراقبة ومحاسبة وعملية إعادة تقويم مستمرة ، حتى يحرز الإنسان لها الطهارة والنقاء . غالبا ما يبدأ الانحراف من زاوية بسيطة ومن ثم يأخذ مديات أوسع وأوسع ، فإذا كان طريق الألف ميل في الصلاح يبدأ من خطوة واحدة فطريق الألف ميل في الضلال والانحراف والعياذ بالله يتحقق في الخطوة الأولى .

إن من يحاسب نفسه ويراقبها يسهل عليه إزالة تلك النقطة السوداء التي يتمكن بسهولة من رؤيتها ، باستغفار الله تعالى يستطيع أن يعود قلبا أبيض نقيا ، وحتى لو لا سمح الله أخطأ خطأ آخر فبالمحاسبة المستمرة وبالتوبة لن تتراكم تلك النقاط في قلبه ونفسه ، وتحصل له حالة مناعة من الوقوع في الحرام . لذلك فحالة المحاسبة تساعد الإنسان على البقاء بمأمن من الانحراف .

لاحظوا قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في وصيته لأبي ذرّ الغفاري : (يا أبا ذر حاسب نفسك قبل أن تُحاسب) (٢٥٧) . استبق الحدث وعاتب نفسك قبل أن تُعاتب ، (حاسب نفسك قبل أن تُحاسب فهو أهون لحسابك غدا وذن نفسك قبل أن توزن ، وتجهز للعرض الأكبر يوم تُعرض لا تخفى على الله خافية) ، وكان رسول الله يقول يا أبا ذر حاسب نفسك وراجع أمورك وصف حساباتك أفضل مما لو وصلت إلى الحساب في يوم القيامة .

فعلى الإنسان أن يزن نفسه قبل أن يوزن وأن يجهز نفسه ويستعد ليوم القيامة يوم لا تخفى منه على الله خافية ، حيث يجد المرء كتابه منشورا بكل تفاصيل أعماله ومواقفه وحركاته وسكناته . فيجب أن يكون مستعدا ليوم الحقيقة الكاملة التي تظهر ليس أمام الله فقط بل وأمام كل الخلائق . إلى أن قال : (يا أبا ذر ، لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك ، فيعلم من أين مطعمه ومشربه ؟ ومن أين ملبسه ؟ أمن حلّ أو من حرام؟) (٢٥٨) .

٢٥٧ . الأمالي للطوسي ج ٢ - ص ١١٠

٢٥٨ . المصدر نفسه

يوصي رسول الله أبا ذر أن يكون قاسياً في محاسبة نفسه قسوة الشريك لشريكه ، ثم يعطي الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شواهد على تلك المحاسبة ومنها أن يسأل نفسه ليعلم من أين مطعمه ومشربه ومأكله ، أمن حلال أم من حرام؟ . . فمن أين جاء بالمال لشراء هذه اللقمة ، فلقمة الحلال تؤدي إلى طهارة في القلب ، وإلى رقة في القلب ، وإلى نزعة نحو الطاعة ، أما لقمة الحرام والعياذ بالله فهي توجد حجاباً على قلب الإنسان وتوجد القسوة .

إن أثر الحرام يتجلى في نزعة الإنسان وانقياده إليه حيثما كان . وهو يحبط من الرغبة في الطاعة والعبادة . . هذا أثر الحرام في وجود الإنسان ، فيما يعكس الحلال والطاعة لله على الإنسان حتى ورد في الروايات أن النظر إلى وجه المؤمن عبادة^(٢٥٩) . إن الإنسان يستطيع أن يقف وينظر إلى نفسه أمام المرأة ليرى هل يتذكر الله تعالى والآخرة؟ نرى اليوم شيوع مظاهر غريبة وتعليقات عجيبة لا تذكر إلا بأشياء بعيدة عن الطاعة لله . إن المظهر مسألة مهمة جداً وتعبر عن حالة الاتزان ، ومع تفهمنا للروح الشبابية ونزعتها ، ولكن يجب أن تكون ضمن السياق العام الذي لا يخرج الإنسان عن سمات المؤمنين وسمات الصالحين .

التدقيق والمراجعة

وعلى أية حال يجب التدقيق في التفاصيل ، التأكد من المأكل والمشرب هو إشارة إلى ذلك التدقيق وضرورة عدم التساهل في جميع الأمور . فرسول الله يوصي بالدقة في التفاصيل : (يا أبا ذر من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله عز وجل من أين أدخله النار) . وكأن رسول الله يقول من يتساهل حصيلته أن تكون نهايته إلى العذاب وإلى نار جهنم .

إن نفس المرء تحتاج إلى مراجعة يومية ، يقول الإمام الكاظم صلوات الله وسلامه عليه : ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم ، فإن عمل حسناً استزاد الله منه وحمد الله عليه ، وإن عمل شراً استغفر الله وتاب إليه^(٢٦٠) .

إن التوبة اليومية تجعل الإنسان مستقيماً في عمله ، فعن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه : (إذا أراد أحدكم أن لا يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه فليأس من الناس كلهم ولا يكون له رجاء إلا من عند الله عز وجل فإنه إذا علم الله تعالى ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلا أعطاه)^(٢٦١) .

٢٥٩ . البحار ج ٧١ - ص ٢٨٠

٢٦٠ . الاختصاص ، ج ٥ - ص ١٣

٢٦١ . الأمالي للمفيد ، ص ٢١١

إن عقد الرجاء على الله تعالى وعدم المراهنة على الناس كفيل بأن يجعل الدعاء مقبولاً ، وأن يعطى الإنسان كل ما يطلبه ويدعو به . لا مؤثر في حركة الوجود سوى الله تعالى ، ولكن يتوجب على الإنسان أن يتحرك ويبني علاقاته مع الآخرين للحصول على مبتغاه عبر وسائل وأسباب طبيعية ، وهذه الأسباب تكون مؤثرة ومنتجة أحياناً ، وأحياناً لا تكون كذلك ، هو أمر متعلق بإرادة الله . فيجب أن ننظر بأن الله بيده كل شيء ، فإذا علم الله عز وجل ذلك من قلبك لم تسأله شيئاً إلا أعطاك إياه .

يقول الإمام : (فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، فإن أمكنة القيامة خمسون موقفاً كل موقف مقام ألف سنة ، ثم تلا هذه الآية ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (٢٦٢) . فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها ، إن بوسع المرء أن ينظر إلى نفسه وإلى نواياه ليراها فيما إذا كانت صالحة ومخلصة أم لا . . هل رجاؤك معقود على رب العالمين أو على الناس ؟ فإن الحساب المنتظر يوم القيامة عسير وهناك خمسون موقفاً ، ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ (٢٦٣) .

العاقل وتقسيم الوقت

عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رواية طويلة يقول : (. . وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً أن يكون له ثلاث ساعات : ساعة يناجي فيها ربه عز وجل ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر فيما صنع الله عز وجل إليه ، وساعة يخلو فيها بحظ نفسه من الحلال ، فإن هذه الساعة عون لتلك الساعات ، واستجمام للقلوب وتوزيع لها) (٢٦٤) .

هنا يخاطب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العاقل ولم يقل المؤمن ، فبمقتضى العقل أن يكون وقته مقسماً إلى ساعة يناجي فيها ربه ، ومراجعة علاقته وتوثيقها مع الله تعالى ، ألا تتشاغل بأمور أخرى على حساب طاعة الله وألا يسوّف مثلاً في وقت صلاته لأجل قضاء بعض الحوائج ، وساعة ثانية للمحاسبة والمراجعة ، وساعة ثالثة يتفكر في صنع الله . « وساعة يخلو فيها بحظ نفسه من الحلال » ، كلقاء الأصدقاء والذهاب إلى المجالس الصالحة ، قضاء الوقت مع العائلة والترويح عن النفس . . والإنسان يحتاج إلى شيء من الترويح ، وهو ما سنتحدث عنه لاحقاً ، فهذه واحدة من المسائل المهمة في حقوق النفس ، « فإن هذه الساعة عون لتلك الساعات » وهي ساعة الراحة في إطار الحلال ، هذه

٢٦٢ . المصدر نفسه

٢٦٣ . سورة البقرة : الآية ٢١٤

٢٦٤ . البحار ج١٢-ص ٧١

الساعة عون لتلك الساعات واستجمام للقلوب ، فالقلب يحتاج إلى الراحة ويحتاج إلى الاستجمام «وتوزيع لها» ، إذ يجب أن تفرغ هذه الشحنات الجدية والعمل الدؤوب كي لا توجد حالة من الشد يقل ويضعف معها أداء الإنسان الذي هو بحاجة إلى الترويح كما في هذه الرواية عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

الرؤية وبعد النظر

وعن الإمام العسكري صلوات الله وسلامه عليه في تفسيره عن آبائه عن علي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، هذه الرواية كما هو واضح من روايات السلسلة الذهبية ، يقول رسول الله : (أكيس الكيسين من حاسب نفسه لما بعد الموت) (٢٦٥) ، هذا مبدأ عام في أن نفكر بما هو أبعد من اليوم ، أن نخطط تخطيطاً استراتيجياً ، وهذا النوع من التخطيط يختلف عن الأماني الطويلة التي تحرف الإنسان عن مساره .

هذا يصدق على مستوى الأفراد والجماعات في أن يفكروا ماذا يعملون بعد عشر أو عشرين سنة قادمة ، نحن كبلد أيضاً يجب أن نعرف العراق إلى أين يتجه خلال الخمسين سنة القادمة ، ألا تبقى سياستنا هي سياسة إطفاء النيران ، هنا مشكلة فنرقيها وهناك أزمة فتموّه عليها ، لنبقى دائماً في دوامة وتمر السنوات دون أن تثمر عن أية نتائج كما يحصل اليوم على مستوى الخدمات . . يجب توفر رؤية واضحة بعيدة الأمد . رسول الله يقول بأنه لا بد من وجود رؤية بعيدة النظر ، ليس ليومك فقط وإنما للمستقبل . . فمن الآن تتساءل ماذا سيكون الاستحقاق بعد الموت كي أجهز نفسي ؟ .

الرواية السابقة ينقلها الإمام علي عن رسول الله فيسأله أحد الجالسين : يا أمير المؤمنين كيف يحاسب الرجل نفسه؟ فقال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ : (قال : إذا أصبح ثم أمسى رجع إلى نفسه فقال : يا نفس إن هذا يوم مضى عليك لا يعود إليك أبداً ، والله تعالى يسألك عنه فيما أفينته ، فما الذي عملت فيه؟ أذكرت الله أم حمدته؟ أفضيت حوائج مؤمن؟ أنفست عنه كربة؟ أحفظته بظهر الغيب في أهله وولده؟ أحفظته بعد الموت في مخلفيه؟ أكففت عن غيبة أخ مؤمن بفضل جاهك؟ أأعنت مسلماً؟ ما الذي صنعت فيه؟ فيذكر ما كان منه (٢٦٦) . أي قبل أن ينام يراجع الإنسان نفسه ويسألها في ما قضت يومها . . ؟. اليوم الذي يمضي لن يعود ولكن الله سيسأل العبد عما أفناه وعمله فيه ، هل ذكر الله أم حمدته؟ وهل

٢٦٥ . بحار الأنوار ، ج ٦٧ - ص ٧٠

٢٦٦ . المصدر نفسه

قضى حوائج المؤمنين وحل مشكلة أو قضية ما؟ هل نفس عن كربة أحدهم وحفظه في غيبته في أهله وولده . . هذه هي المحاسبة، أن يجلس الإنسان ويفكر في ما عمله في كل يوم يمر عليه .

الألفية الحادية عشرة - بتاريخ ٢٠١١/٨/١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل إختوتي الأكارم الأخوات الفاضلات نواصل في هذه الليالي الرمضانية الشريفة البحث الذي ابتدأنا به في الليالي الماضية حول منظومة الحقوق في الرؤية الإسلامية، وذكرنا أن رسالة الحقوق لإمامنا وسيدنا زين العابدين صلوات الله وسلامه عليه، تمثل الإطار العام لمنظومة الحقوق بحسب رؤية الإسلام .

وتحدثنا عن الحق الأول والأكبر، وهو حق الله على عباده، وانتقلنا للحديث عن الحق الثاني، وهو حق النفس وقلنا إن معرفة النفس مقدمة ضرورية لأداء حقها، لأننا إذا أردنا أن نؤدّي حقاً ما فعلينا أن نتعرّف على صاحب الحق لنقدم له حقه .

ماذا يراد بالنفس؟ وما هي حقيقة النفس؟ وكيف نصل إلى معرفة النفس لندخل في أعماقها ونتعرف على استحقاقاتها؟ تحدثنا في الليالي الماضية بشيء من التفصيل واستعرضنا الآيات والنصوص في هذا المجال، كما تحدثنا عن فوائد معرفة النفس وانتقلنا للحديث عن لإنسان، وأهمية الإنسان، ودور الإنسان، بحسب رؤية القرآن الكريم، وما يقدمه من نماذج متطورة في الإنسان الكامل، متمثلاً بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم .

الترويح عن النفس

لا بد لنا من أن نتحدث أيضاً عن جانب آخر مهم، يخص النفس وهو ترويح النفس، هذه النفس التي اعتبرناها مدخلا ومفتاحا لمعرفة الله سبحانه وتعالى، للتعاطي والتعامل

مع الكون ، للتعامل مع مختلف ظواهر الحياة . وقلنا إذا صلحت النفس صلح الإنسان ، وسار في طريق الكمال ، وإذا تلكأ الإنسان في نفسه ، وفي أدائه ، وفي فهمه يمكن أن ينعكس ذلك على مجمل حركته في واقعة الاجتماعي ، وفي علاقته تجاه الله سبحانه وتعالى ، وفي تعاملاته مع نفسه ، وفي تعامله مع الآخرين . . إلى غير ذلك .

هذه النفس المهمة المستوى لا بد من أن نريحها بين فترة وأخرى ، حتى لا يحدث الكلال والملل والتعب والإعياء والإرهاق النفسي ، وما يمر به الإنسان يجب ألا يؤثر في حركتها التكاملية ، لأنها بمثابة العين للإنسان ، والعين إذا فقدت فإن الإنسان يحرم من أن ينظر إلى أشياء كثيرة في هذه الحياة ، النظرة الواقعية ، والنظرة الروحية والمعنوية من خلال النفس ، فهذه النفس يجب أن تكون دائما على وهجها ، على نشاطها ، على حيويتها ، وهذا ما يتطلب راحة لهذه النفس .

مداخل الترويح عن النفس

ولذلك فالرؤية الإسلامية كما اهتمت بمعرفة النفس ، بالجوانب المعنوية والروحية والتكاملية لهذه النفس ، اهتمت بجانب الترويح ، وعرضت العديد من المداخل والطرق لترويح النفس ، من هذه الوسائل السفر ، فهناك تأكيد كبير على السفر وأهمية السفر ، وأن الإنسان حينما يسافر يخرج من الحالة التقليدية والاعتيادية التي مارسها في حياته اليومية ، وكل شيء فيه رتبة يؤدي إلى ملل ، تخرج صباحا إلى الدوام وتكمل عملك ثم تعود في المساء ، في اليوم الثاني ، اليوم الثالث . . اليوم الرابع يتكرر كما هو ، فيصاب الإنسان بالملل .

السفر هو خروج عن المألوف ، هو خروج عن هذه المنظومة التي جعلها الإنسان لنفسه . واحدة من فوائد السفر هو ترويح النفس ، الإنسان يرتاح في السفر حينما يذهب ويخرج إلى مكان ما ، إضافة إلى الفوائد الأخرى كما سيتبين في العديد من النصوص التي أتلوها على مسامعكم ، في بحار الأنوار الجزء ٧٦ الحديث الخامس ، قال أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه لابنه الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ : (ليس للعاقل أن يكون شاخصا إلا في ثلاثة الشخوص هو الخروج ، السفر ، وليس للعاقل أن يكون شاخصا ، أي أن من يسافر لغير هذه الثلاثة ، شك بعقله بحسب هذه الرواية ؛ لأن العاقل لا يسافر إلا لهذه الثلاثة ، (مرمة لمعاش) : يسافر حتى يصلح وضعه الاقتصادي ، ويمكن أن يكون عمله السفر كسائق أو طيار أو غيرهما ، فهو يذهب ويأتي ، وهذا عمله السفر . وقد يكون عمله في السفر ، كأن يكون تاجرا أو مطالبا بمهام معينة تتطلب أن يسافر من بلد لآخر ، فيذهب

في سفرة عمل ، لإنجاز عمل من الأعمال يخصّه ، وحياته المعيشية مرتبطة بهذا السفر .
 (أو خطوة لمعاد) : يذهب إلى الحج ، رزقنا الله وإياكم حج بيت الله الحرام في عامنا هذا ، وفي كل عام ، عجيب التأكيد على الحج في أدعية شهر رمضان ، ربما يقول الواحد منا أن الحج من خلال القرعة وأسمائنا لم تظهر هذا العام والتسجيل انتهى ، فماذا سيؤثر هذا الدعاء؟! لا ، أثبتت التجارب أنه في اللحظات الأخيرة يمكن أن يرزق الله سبحانه وتعالى الإنسان ، وما أكثر أولئك الذين كانوا على القائمة وقد ربّوا أوضاعهم تماما ولكن في اللحظة الأخيرة وهو في طريقه إلى المطار وقع وانكسرت ساقه ، أو حدثت لديه مشكلة ، عندها امتنع وحُرم من الزيارة ، فيما شخص آخر لم يكن على باله ولا على خاطره أن يذهب فتأتيه مكالمة وخلال أقل من ٢٤ ساعة يرى نفسه راكبا في الطائرة ومتوجّها إلى حج بيت الله . وعلى أية حال فهذه أمور بيد الله ، سواء إلى الحج أو العمرة أو زيارة مشهد من المشاهد المشرفة ، الغرض من السفر يكون العبادة ، طاعة الله ، وعبادته ، هذا هو الغرض الثاني .

التلذذ المباح

الغرض الثالث وهو الشاهد الذي نتحدث عنه في هذه الليلة قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : (أو لذة في غير محرم) : لذة محللة ، يسافر ليرتاح ويروّح عن نفسه ، لكن بالحلال ، بالمباح ، لا أن يسافر إلى مكان ليعصي الله فيه والعياذ بالله ، أن لا يسافر إلى مكان يتعرض فيه للمعصية والعياذ بالله . مرة يسافر المرء وهو مبيّت النية على فعل المعصية ، الله يجيرنا جميعا ، ومرة لا ، ليس لديه نية مبيّنة ، لكنه يسافر إلى مكان وبيّنة ملوثة ، من يذهب إلى مكان كله فيروسات وميكروبات فلا بد من أن يتعرض للمرض . فعلى الإنسان أن يتعد ويسافر إلى أماكن بعيدة عن مظان التهمة والشبهة ، والوقوع في الحرام فيرتاح . . ليس واجبا أن يسافر إلى جزيرة فيها شجرة معينة وثمة محرّمات هنا ، يمكنه أن يسافر إلى أماكن أخرى فيها مائة شجرة ، يستطيع المرء أن يختار مكانا لا يكون فيه موضع للوقوع في الحرام .

عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن آبائه . . يروي الإمام الصادق عن آبائه ، عن الأئمة الأطهار قال : «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ» ، إذن هذه من روايات السلسلة الذهبية التي يرويها معصوم عن معصوم عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ :

«سافروا تصحوا . . .»^(٢٦٧)، لدينا رواية «صوموا تصحوا»^(٢٦٨)، الصوم فيه صحة وعافية للبدن، ينظم جهاز الهضم عند الإنسان إلى آخره، والسفر صحة للنفس. نسبة كبيرة من أمراض الإنسان لها مناشئ نفسية، كآبة، ألم، انزعاج، اعتصار قلبي، ضيق يؤثر في البدن، البدن لحم ودم ومشاعر وعواطف، فالجانب النفسي يلعب دورا كبيرا في مرض الإنسان، أو في خلاصه من المرض.

تلاحظون أحيانا أحد الأشخاص لا يشكو من شيء، فإذا اتفق عليه مجموعة من الأصدقاء يسألونه لماذا وجهك أصفر؟ يسأله الأول والثاني ثم الثالث والرابع . . حين يسأله الخامس يبدأ رأسه بالصداع، سؤال شخص سادس قد يسبب له رجفة في جسده. هذه حالة نفسيه معروفة، والعكس صحيح حين يقال للإنسان إنك مرتاح، بصحة جيدة . . أخبرني أحدهم قائلا إن شخصا أوقف مزرعة وخصص عائداها لتصرف على أناس مهمتهم الذهاب إلى المستشفى ليرفعوا من معنويات المرضى، يرددون لهم كلمات وعبارات إيجابية، الحمد لله، صحتك الآن أفضل، أنت تتحسن . . وهكذا . . وبالفعل فإن لهذا تأثيرا كبيرا وأكثر ربما من الأدوية الطبية.

الترويح بالسفر

السفر بما فيه من تغيير للأجواء العامة فيه صحة للإنسان، الإنسان يمكن أن يكون متعبا مرهقا يشعر بمرض أو بكسل فيسافر ليتخلص من كل هذه الأمور، (سافروا تصحوا وجاهدوا تغنموا) . . الجهاد في سبيل الله فيه الفائدة والغنيمة في الدنيا، وما هو أهم، الغنيمة في الآخرة؛ الأجر والثواب. قديما كانوا في المعارك يتقاسمون ما يحصلون عليه من العدو، في زماننا الحاضر يحتسبون له خدمة، خدمة خمس سنوات، عشر سنوات . . بالحقيقة هذه هي السنوات التي قضاهها في الجهاد (وحجوا تستغنوا)^(٢٦٩)، عجيب تريد الذهاب إلى الحج عليك أن تدفع أربعة ملايين، فكيف يستقيم القول «تستغنوا»؟ نعم، الله سبحانه وتعالى يجعل البركة في هذه السفرة، إذا سافرت فإن الله يسهل عليك العديد من الأمور، ليس فقط أن تسدد الديون بل قد تترتب لك الأمور وتجد نفسك مستغنيا. وتخلص من الفقر وهذه من المسائل التي ترتبط بالإيمان بالغيب. الإنسان يدفع أموالا لكنه في الحقيقة يكسب، يعوضه الله عن ذلك.

٢٦٧. المستدرک، ج ١١-ص ٩

٢٦٨. المصدر السابق، ج ٧-ص ٣٧٧

٢٦٩. المصدر نفسه.

اختيار الرفيق

هناك تأكيد في قضية السفر على الرفيق ، لا تسافر وحدك ، خذ أحدهم معك . . سافر مع آخرين . أصل الرفيق مهم ، وثم تأكيد على صفات هذا الرفيق كي لا يكون رفيق سوء يأخذك إلى مكان ما ، كنت أطلع رواية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كان في المسجد مع أصحابه فدخل شخص افتقدوه منذ زمن ، فسألوه أين كنت طوال هذا الوقت؟ فقال : كنت مسافرا إلى المدينة الفلانية في البلد الفلاني ، في تلك الأيام لم تكن هناك وسائل نقل كالطائرة فالسفرات كانت تطول لشهر وشهرين . ثم قال : يا رسول الله ، كنت ذاهبا إلى المدينة الفلانية ، فسأله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عما رآه؟ فقال إنه رأى مساجد عامرة بذكر الله وبالمؤمنين المصلين الصالحين . إنها صورة جميلة ، فقال النبي : صدقت .

بعد ذلك دخل شخص آخر كان قد افتقدوه أيضا ، وحين سأله تبين أنه قد سافر إلى المدينة نفسها . سأله الرسول عما رآه فيها : فقال فجور ومعصية ، فقال الرسول : صدقت . فتساءل أصحاب النبي عن سرّ هذا التناقض الذي فهموه . كيف يصدق الوصفان على مدينة واحدة؟ فقال بما معناه إن الطيور على أشكالها تقع ، وكل واحد من الرجلين كان يبحث عما يريد ، الأول بحث عن المسجد والمؤمنين وأينما يذهب يرى هذه الأمور ، والناس الطيبين ، أما الثاني فيبحث عن الحرام والمعصية ، وهي موجودة في كل المدن ، لذلك كلاهما صادقان لأنهما ينقلان جزءاً من الصورة بحسب ما رأيا وما يبحثان عنه . لذلك فالرفيق يلعب دورا كبيرا ولا بد من الدقة في هذا الأمر .

آداب الرفقة في السفر

في نهج البلاغة في الرسالة الحادية والثلاثين من رسائل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ، في وصيته للحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ : (سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار) ، فقبل أن تضع خريطة لسفرك و تبحث عن الطريق وكيف تصل عليك أولا أن تختار رفيقك .

و حين تشتري أو تستأجر مكانا عليك أن ترى من هو جارك . في الكافي ، الجزء الرابع ، صفحة ٢٨٦ ، الحديث الثالث عن أبي عبد الله جعفر الصادق سلام الله عليه : (وطن نفسك على حسن الصحبة بمن صحبت) أحسن الصحبة مع رفيقك وصاحبك في السفر ، وهذا درس في الحياة ليس في السفر فقط ، حينما تصطحب أحدا معك فعليك أن

تكون أخلاقك حسنة معه في التعامل ، وفي السلوك ، وفي الكلمات ، طريقة العلاقة مع الآخر ، يجب أن تكون علاقة حسنة ، بأخلاق صالحة وطيبة .

و(كفّ لسانك) لا تتكلم بكلمات جارحة ، فالكلام الجارح يحزّ في القلب . . لذلك دقّق في كلماتك ماذا تقول وكيف تقول ، وما هي العبارة المناسبة التي تستخدمها ، هذه مسألة مهمة في الصحبة و(اكظم غيظك) ، في السفر كما في الحياة ثمة مفاجآت ، كيف تتعامل مع هذه المفاجآت؟ بالانفعالات ، بالغضب؟! . . لا ، ما أن تهدأ حتى تشعر بأنك قد اعتديت على صاحبك وأذيته ، إذن كظم الغيظ مسألة مهمة .

و(أقل لغوك) ، ترون البعض ما شاء الله وكأنه كاسيت! لا يستطيع أحد إسكاته ، إن كثرة الحديث والثروة أمر غير مقبول ، ومن كثر حديثه كثرت زلّته ، كلما تحدثت كانت أخطأوك أكثر وأكثر ، فالدقة بالحديث ، وقلة الحديث ، مسألة مطلوبة . هذه في ثقافة الإنسان وفي تربيتنا . ونحن دائما نميل على الجنس الآخر ، ونرى أن النساء يتحدثن كثيرا .

تنسج حول ذلك العديد من الطرائف ، يقال إن مجموعة من النساء حُكِم عليهن بالمؤبد لعشرين عاما وكنّ في زنزانه واحدة ، ويوم أطلق سراحهنّ وقفن عند الباب يتحدثن ويتبادلن أرقام الهواتف ليكملن أحاديثهن فيما بعد . . ! في الواقع هذا ليس سمةً للنساء وحدهنّ ، قد تكون هناك سيدة تتحدث وقد يكون هناك رجل يتحدث ، كثرة الحديث واحد من الأمراض التي قد يبتلى بها الإنسان فيكون سببا في زلات كثيرة له وتسبب إحراجا للآخرين ، والآخر لا يستطيع أن يطلب منه السكوت ، وعلى كل حال فإنه في السفر لا بد من الدقة في هذا الأمر ، وحتى في الحضر ، و(تفرش عفوك) حاول أن تتساهل في السفر وأن تغض الطرف عن بعض الأمور والمشاكل البسيطة ، و(تسخو نفسك) من السخاء ، كن سخيا لا بخيلا ، وعليك أن تريح نفسك وأصحابك .

الصحبة من الإيمان

عن أبي ربيع الشامي قال كنا عند أبي عبد الله الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ والبيت غاصّ بأهله ، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : (ليس منا من لم يحسن صحبة من صحبه ، ومرافقة من رافقه ، ومخالحة من مالحه ، ومخالقة من خالقه) (٢٧٠) .

هذه من مقومات الانتماء للإسلام والى أهل البيت ، أن يكون الإنسان حسن الرفق

والصحة مع الآخرين، ومخالقة من خالقه. . أحسن العشرة، أحسن التعامل، أحسن العلاقة مع الآخر. عن علي عليه السلام: (لا تصحب في سفرك من لا يرى لك من الفضل عليه كما ترى له عليك)^(٢٧١). هناك من لا يقدر ما تقوم به له ولا يرى فضلا لما تقدمه، يريد دائما أن يأخذ ولا يعطي، كسول وهذا غير ممكن أحيانا في السفر. هذه ليست ظاهرة صحيحة بحسب هذه الرواية عن أمير المؤمنين، يقول لا تصاحب مثل هؤلاء الناس في السفر وفي الحضر، لا تصاحب هذا الذي يأخذ منك كل شيء ولا يعطي. يرى أنه واجبك تجاهه أن تقدم له الخدمات ولا يرى فضلا لما تقدمه من خدمة.

التعامل مع الرفيق

عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: قال لقمان لابنه: (إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتك إياهم)^(٢٧٢)، طبعاً الإمام الصادق حين يروي هذه الحكمة يعني أنها تمثل الإسلام، استشر جماعتك، لا تسر وحدك ولا تأخذ قراراتك بمفردك. عليك أن تستشيرهم وتشرکہم. . أين نذهب ومتى نذهب وإلى أي مكانٍ نتوجه، ولا تتفرد بقرارك فتأمر أنت وتقرر وتريد من الآخرين أن يكونوا تبعاً لك.

الشراكة لها استحقاقات مادام هناك شريك لك في السفر أو الحضر، في مشروع، في قضية، فحقه عليك المشورة، استشره في أمرك وأمورهم ولا تقل إن هذه القضية تخصني. صحيح هذه قضية تخصك لكن ما دام هناك شركاء معك في العمل فليس من ضير، بل فيه الاستفادة من عقولهم وإشعارهم بأنك وإياهم فريق واحد، الشراكة في القرار والشراكة في الإدارة من مستلزمات المعية ما دمت في فريق أيا كان. . فريق كرة قدم، فريق عمل سياسي، فريق إدارة، فريقاً في شركة، في سفرة، فريقاً في أي شيء. . الشراكة تتطلب مشورة مع الآخر سواء في أمرك أو في أمورهم، تعطي رأيك في القضايا التي تخصهم ويعطون رأيهم في القضايا التي تخصك. خذ برأيهم تستفد وتطور وضعك في ذلك.

(وأكثر التبسم في وجوههم): التبسم كذلك. . لنكن كرماء في تقاسيم الوجه، فالمؤمن هشّ بشّ، فمن طبيعة الإنسان أن يشعر بالراحة للوجوه المبتسمة ويقلق وينزعج من الوجوه العابسة. الابتسامة تخفف من الاحتقان ومن الشد والتوتر، فالجانب العاطفي

٢٧١. من لا يحضره الفقيه، ج٢-ص ٢٧٩

٢٧٢. الكافي ج٨-ص ٣٤٨

والجانب النفسي له دور كبير في منظومة العلاقات الاجتماعية ضمن الرؤية الإسلامية .
تفنن في اختيار الكلمة وفي تعبيرات الوجه ، تفنن في إشعار الآخر بأهميته عبر
الإنصات إليه والتفاعل معه جهد الإمكان . الإقبال الاستماع ، الاهتمام بالنظرة ، بتقاسيم
الوجه ، بالعبارات الرقيقة اللطيفة ، كلها تدل على شعورنا باهتمام بعضنا ببعض . وكل
هذا يخلق المحبة والعلاقة الإنسانية فيما بيننا ، حين يشعر الإنسان بأن له قيمة في مكان ما
مع رفقاء وزملاء في محل عمل فهذا يجعله ينتمي إليهم ويتواصل معهم ويدافع عنهم ،
يشعر بالانتماء لهذه المجموعة . لذلك علينا أن نهتم بهذه الجوانب المتعلقة بالمشاعر
الإنسانية .

(وكن كريما على زادك): الكرم أن يكون من مالك الخاص وليس من دخل
المجموع . . ليس من أموال الآخرين ، أن تبادر إلى دعوة رفيقك في السفر إلى تناول
الطعام . . على كل حال ، الكرم من مالك الخاص وليس من المال الجماعي . . (وإذا
دعوك فأجبهم): عليك أن تلبي حتى دعوة الفقير وتستجيب لها كي لا تشعره بالنقص ،
وأن تقدّر ما يقدمه ويتناسب مع وضعه المادي . . وهذا شيء مهم . (وإذا استعانوا بك
فأعنه): أي في قضاياهم إذا ما طلبوا مساعدتك ومعونتك في شيء ما ، في قضية ما ،
فلا تبخل ولا تتردد في ذلك .

أخلاق المرافقة في السفر

(واغلبهم في ثلاث ، بطول الصمت ، وكثرة الصلاة ، وسخاء النفس بما معك من
دابة أو مال أو زاد): قلل حديثك وأفسح المجال لغيرك أن يتحدث ، وأكثر من الصلاة ،
فالصلاة طهارة ونقاء وصفاء . . تقدّم على الآخرين بالعبادة وبالطاعة لله . . واغلبهم
كذلك بسخاء النفس والكرم . أغدق على الآخرين بما معك «من دابة» ، طبعاً كانت الدابة
في العصور الماضية ، فقد يكون لدى أحدهم حصان والبقية ليست لديهم راحلة .

في زماننا اليوم هناك السيارة فاحمله معك في سيارتك ذات الموديل الحديث ، «أو
مال» انفق وأعدق عليه مما رزقك الله فهو محدود في إمكاناته . . (وإذا استشهدوك على
الحق فاشهد لهم ، وأجهد رأيك لهم إذا استشاروك): أي اشهد بالحق لنصرة إخوانك
الذين ترافقهم ، واجتهد في إبداء المشورة لهم إذا سألك ، أعطهم من وقتك لتقديم
المشورة الصحيحة ، ويجب أن تهتم بما يشغلهم وكأنها قضيتك الشخصية .

(ثم لا تعزم حتى تثبت وتنظر): أي لا تقدم على إعطاء المشورة ولا تتسرع في إبداء

رأيك حتى تثبت من الموضوع وتقلب وجوهه كلها وتفكر مليا فيه . فالمشورة أمانة وعليك تأدية الأمانة على الوجه الحسن . (ولا تجد في مشورة حتى تقوم فيها وتقع وتنام وتأكل وتصلي وأنت مستعمل فكرك وحكمتك) . عدم الاستعجال والتسرع في تقديم المشورة ، فلا تعطها حتى تتأمل في ما تشير به على الآخرين وتفكر فيه على أحوالك في النوم والأكل والصلاة . (فإن من لم يمحض النصيحة لمن استشاره سلبه الله رأيه ونزع عنه الأمانة) . . من لم يمحض أي يصدق ويدقق في النصيحة وما يقدمه من المشورة سلبه الله تعالى رأيه الصحيح ، وأفقدته القدرة على فهم الأمور ، ونزع عنه الأمانة ، فالناس إنما تستشيرها لأنها ترى فيه إنسانا أميناً وذا فهم للأمر . وحين لا يدقق ولا يمحص في نصيحته ويبدو غير مكترث ويعطي آراء غير مدروسة يسحب الله منه تلك النعمة .

التعاون بين الرفقاء

(وإذا رأيت أصحابك يمشون فامش معهم وإذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم) : أي الانسجام مع الفريق في أي شراكة وفي أي معية ، فلا بد من أن تنسجم ، امش معهم ولا تكثر من الاعتراض والمخالفة لأرائهم ، انسجم مع الآخرين . . (وإذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم ، وإذا تصدقوا وأعطوا قرضا فأعط معهم) . . اشترك في أعمالهم ولا تقف بعيدا عنهم مكتفياً بمراقبتهم ، وشاركهم بالخدمات وفي الأوضاع المختلفة ، إن ساعدوا أحداً فأنت مطالب بالاشتراك في تلك المساعدة . وإن قاموا بمهمة معينة فعليك أنت أيضا أن تشاركهم في هذه المهمة .

وهذا الانسجام مع الفريق من مقتضيات الشراكة ، ألا يكون الإنسان معطلا وألا يكون معرقلا . . ألا يكون دائما ممن يسجل الملاحظات وممن يعترض على الأمور فيعكر على رفقائه وزملائه وإخوانه . (واسمع من هو أكبر منك سنا) إن تجارب الحياة تجعل الإنسان يفتح على آفاق أوسع ويرى إلى مسافة أبعد ، فكلما كان الإنسان عمره أكبر كانت تجربته أكبر ، فاستفد ممن هو أكبر منك سنا وتعلم منه وخذ بكلامه ونصيحته . . على الشباب أن ينظروا بهذه الصورة إلى آبائهم وأجدادهم وليس من خلال القول إنهم لا يعرفون شيئا وقد خلّقوا لزمان غير زماننا ، فربما كان لديهم ما لست ملتفتا إليه . . خذوا بكلام من هو أكبر منك سنا .

الانسجام مع الآخرين

(وإذا أمروا بأمر وسألوك فتبرّع لهم وقل «نعم» ولا تقل «لا» فإن «لا» عيٌّ ولؤم): قل نعم دائماً، حتى يكون مسارك الاستجابة فيما هو حلال ومباح. مع الفريق الذي تنتمي إليه. فإن «لا» لؤم وقولها في كل شيء يعقد الأمور، إن هذه الـ «لا» تخلق الفجوات بين الشركاء، كما نرى اليوم هناك من يقول دائماً «لا»؛ دعونا نعمل هذه القضية. . «لا». لنحل المشكلة الفلانية. . «لا». لنشرع هذا القانون. . «لا». لنحاسب هذا الفاسد. . «لا». لنستجيب لقرار مجلس المحافظة. . . . في الاجتماع قالوا لنجعل «فلانا» قائداً شرطة ميسان. . ثم تصل الأمور إلى استخدام الدبابات ومهاجمة مجلس المحافظة!

الأمور لا تدار بهذا الشكل، الانسجام ضروري مع الفريق وقضية مهمة. ومن الخطر بمكان أن نذهب إلى خيارات استخدام الجيش لفرض آرائنا. نحن اليوم نريد أن نبني الدولة الدستورية، دولة المؤسسات. . مجلس محافظة ميسان بالإجماع يقول نريد هذا قائداً للشرطة، والقانون يقول مجلس المحافظة هو الذي يختار ووزارة الداخلية تصادق. . يا وزارة الداخلية إن أردتم الاعتراض على قرارهم فهناك محكمة اتحادية، اذهبوا وقدموا شكاوى وهي تنظر لمن الحق، ويُسْتَوْفَى بالمؤسسات الدستورية، إن كان لمجلس المحافظة أو لوزارة الداخلية، الحق من خلال المحكمة الاتحادية وليس من خلال الدبابات والهمرات والجيوش.

استخدام الجيش في حل المشاكل الإدارية بين مؤسسات الدولة أمر خطير، وله مضاعفات كبيرة. وإذا استُخدم اليوم في هذه القضية فغداً سوف يستخدم في مائة قضية أخرى. . والجيش ليس ملكاً لرؤية جهة، الجيش العراقي ليس ملكاً لحزب أو جماعة، وليس ملكاً لمفصل من مفاصل الدولة. هذه المؤسسة العسكرية هي الحامي للعراق، للدولة العراقية، الجيش هو الكيان الحامي للشعب العراقي، الجيش هو الركيزة المهمة لتحقيق الأمن في هذا البلد الكريم، الأمن العام. . أما الخلافات والنزاعات والمشاكل فتحل عبر الدستور والمؤسسات الدستورية والمحكمة الاتحادية وما إلى ذلك من سياقات وُضِعَتْ لحلّ المشاكل. استخدام القوة في فرض الرأي من أي طرف من الأطراف هو خطيئة كبيرة، ستدفعنا إلى المزيد من المضاعفات ومن المشاكل.

فوائد السفر

ماذا يقول علي عليه السلام في الديوان المنسوب إليه؟ الأبيات المنسوبة إليه :

تَغْرَبُ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَى وَسَافِرٌ فِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
تَفْرُجُ هَمًّا، وَاكْتَسَابُ مَعِيشَةٍ وَعِلْمٌ، وَآدَابٌ، وَصُحْبَةُ مَا جَدِ
فَإِنْ قِيلَ فِي الْأَسْفَارِ ذُلٌّ وَمِحْنَةٌ وَقَطْعُ الْغِيَا فِي وَارْتِكَابِ الشَّدَائِدِ
فَمَوْتُ الْفَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ بَدَارِ هَوَانٍ بَيْنَ وَاشٍ وَحَاسِدِ

إذن العلي تطلب حين يغادر المرء مكانه وبيئته، ويتعرف على ما حوله في العالم. ومن خلال السفر ينفرج الهم ويزول وهذا ما تحدثنا عنه. . واكتساب معيشة أيضا، وهو سبب في الارتزاق كما شرحنا، وعلم تجنيه من السفر بالاطلاع على الثقافات والحضارات ورؤية الناس الذين يفكرون ويتعاملون بطريقة أخرى. . فزيارة كل بلد هي معرفة جديدة، ثقافة جديدة، رؤية جديدة، حضارة جديدة، فهو علم وآداب. . الآداب الاجتماعية والأعراف والسنن، لكل قوم أعراف، تدخل لأي بلد فتري مسائل كثيرة وتتعلم أشياء جديدة. وصحبة ماجد، حيث يصحب الإنسان أناسا آخرين يعرفهم في السفر، فالإنسان قد يتصنع في الحضر خلاف طبائعه لكنه في السفر يظهر على حقيقته، فتتعرف على الأخلاء وعلى الناس من خلال السفر.

نسأل الله أن يوفقنا لأن نروح عن أنفسنا بما هو محلل وبما هو مباح وضمن الإطار الصحيح الذي يرسمه لنا أهل البيت سلام الله عليهم، ورسول الله عليه وعلى أهل بيته الكرام أفضل الصلاة والسلام. . وللحديث صلة تأتي تباعا، وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الأمسية الثانية عشرة - بتاريخ ٢٠١١/٨/١٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل إخوتي الأكارم، الأخوات الفاضلات، كان حديثنا في الليالي الماضية عن منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية، وقلنا إن الكل ينشد إلى بناء مجتمع قوي و متماسك، وقوة المجتمع حينما تنتظم العلاقة بين أبنائه، وحينما يتعرف كل منهم على حقوقه ويتعرف على حقوق الآخرين، وكلما تحدثنا عن الحق تحدثنا عن الالتزام تجاه حقوق الآخرين، كما أن لكل منا حقا، فللآخر حق أيضا، التزام الآخر بما هو حق لي، والتزامي بما هو حق للآخر . إذن منظومة الحقوق تلازمها منظومة الواجبات والالتزامات، لاحق بلا واجب ولا واجب بلا حق . ما دام أمامي واجبات فهي حقوق للآخرين، إذن لا بد من أن يكون للآخر واجب تجاهي بما هو حق لي .

في معرفة النفس

هذه المنظومة يشير إليها الإمام السجاد سلام الله عليه، ويستعرضها في رسالته الشهيرة رسالة الحقوق، وتحدثنا عن حق الله سبحانه وتعالى تجاه عباده وعن الحق الثاني وهو حق النفس، وقلنا إذا أردنا أن نتعرف على حق النفس ونحسن أداء هذا الحق فلا بد من أن نتعرف أولا على صاحب هذا الحق، وهو النفس فتحدثنا في الليالي الماضية عن معرفة النفس وعن فوائد هذه المعرفة، وعن طبيعة الكمال الذي يمكن أن تسير فيه هذه النفس أو الانحطاط والتسافل والعياذ بالله الذي يطول هذه النفس .

هذه النفس يمكن أن ترقى لتكون خيرا من الملائكة ويمكن أن تتسافل وتتهاوى

وتراجع لتكون أهون من البهائم، بيد الإنسان أن يتحكم بهذه النفس وبأي اتجاه وبأي مسار يدفعها. ثم انتهينا للحديث عن ترويح النفس، إن هذه النفس أمام التزامات تجاه الله، التزامات تجاه الإنسان نفسه، التزامات تجاه الآخرين واستحقاقات كثيرة. . ظروف المعاناة والمحن في الشؤون المادية والشؤون المعنوية، تتعب فلا بد من ترويح لها، حتى تعود إلى نشاطها وإلى حيويتها وإلى فاعليتها. وذكرنا أن أول الأمور التي يشار إليها في الروايات لترويح النفس هو السفر، وذكرنا أهمية السفر وهو وإن كان لأغراض متعددة لكن واحدا من أغراض السفر الترويح عن النفس وصحة البدن إلى غير ذلك. واستعرضنا مجموعة من النصوص في هذا المجال.

الترويح بالدعابة

الأمر الثاني الذي تشير إليه الروايات لترويح النفس هو الدعابة والمزاح والضحك، وما إلى ذلك. . فكأن المطلوب في حياة الإنسان ألا تكون كلها حياة جدية وعملا دؤوبا، الإنسان يحتاج إلى أن يخرج عن الجدية إلى حالة من المزاح والدعابة والضحك والتندر في ما بين الإخلاء، وفي ما بين الأصدقاء. وهذه قضية مطلوبة تشير إليها مجموعة من الروايات والآيات الشريفة.

لاحظوا في سورة عبس الآية ٣٨ و٣٩: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾، إذن مطلوب من الإنسان أن يعبر عن حالة السعادة والبهجة، هناك وجوه حين تراها تشعر بالأمل والتفاؤل، الإنسان بحاجة إلى الابتسامة، الترحيب اللطيف إلى آخر هذه الأمور التي تخرجه عن الجدية، أن يكون مبتسما مشرقا مستبشرا متفائلا. التفاؤل جزء من عملية تحقيق الإنجازات والمواجهة للتحديات التي تقف بوجه الإنسان.

في سورة هود الآية ٧١: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾. . امرأة إبراهيم عليه وعلى نبينا وآله السلام قائمة فضحكت واستبشرت وفرحت حينما نزل العذاب على المنحرفين من قوم لوط، الإنسان يعبر عن السعادة ويعبر عن الفرح حينما يجد أن سنن الله تمضي، وأن الطغاة يزولون وأن المحنة تزول، وأن النصر يأتي فيعبر الإنسان عن سعادته. (فضحكت فبشّرناها بإسحاق. .) وهذه «الفاء» فاء التفرّيع في ظرف البشارة وفي ظرف الراحة، وفي ظرف الانتصار والقضاء على الظالمين والمنحرفين، في ذلك الظرف بشرها الله تعالى بإسحاق وهي عجوز، وبعد أن تلد إسحاق من ورائه يعقوب، وأن إسحاق سيكون له ولد آخر.

الدعابة من حسن الخلق

عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (ما من مؤمن إلا وفيه دعابة، قلت وما الدعابة قال المزاح) (٢٧٣). لاحظوا أن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ ينفي الإيمان عمن ليس فيه حس الدعابة. البعض يرى أن مثل هذه الصفة ليست من صفات المؤمن، فيقول لك دعها للآخرين. بينما حديث الإمام صريح بآلا تقول أنا مؤمن إذا لم يكن عندك دعابة، إذا لم يكن لديك مزاح مع أقرانك، والمؤمن هسّ بش. الخروج من طور الجدية من مقومات الشخصية الإيمانية.

في نفس المصدر الحديث الثالث عن يونس الشيباني: (قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: كيف مداعبة بعضكم بعضاً؟ قلت: قليل قال: فلا تفعلوا فإن المداعبة من حسن الخلق وإنك لتدخل بها السرور على أخيك، ولقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يداعب الرجل يريد أن يسره). أكثروا من التندر والمداعبة بينكم فإن المداعبة من حسن الخلق، وإنك تدخل بها السرور على أخيك، إذن من مقومات المزاح السرور المتقابل بأن يكون بطريقة تسرّ وتسعد الطرفين. و«قد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يداعب الرجل يريد أي يسره»، فرسول الله كان يداعب ويمزح مع أصحابه، مع المؤمنين ممن يحيطون به ويدخل السرور على قلوبهم بمثل هذه المداعبة. وهناك الكثير من الروايات التي أشارت إلى بعض هذه المداعبات والمزحة التي كان يمزح بها رسول الله مع المؤمنين.

حدود الممازحة

القضية التي تشير إليها الروايات بشكل واضح هي الضوابط الشرعية في المزاح، ليؤدي هذا المزاح دوره، لا أن تخترق كل الالتزامات والحدود الشرعية، أن يصل المزاح إلى الكذب والفحش واستخدام عبارات غير مهذبة وغير لائقة، هذا ليس مزاحاً فقد خرج عن حد المزاح وتجاوز الحدود الشرعية.

لاحظوا هذه الرواية عن عبد الله محمد الجعفي قال: (سمعت الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه يقول: إن الله عز وجل يحب المداعبة في الجماعة بلا رفث) (٢٧٤)، بلا فحش، بلا إساءة، بلا تطاول وبلا عدوان، ما دامت المداعبة في حدود اللياقات

٢٧٣. الكافي، ج ٢ ص ٦٦٣

٢٧٤. المصدر السابق

الأخلاقية فهي مرحب بها، بل هي من علامات الإيمان. ولكن إذا تجاوزت هذه الحدود وأدت إلى حالة من الاستخفاف بالآخر والوقوع في الحرام فهذا لا يجوز.

ورد عن الحسين بن زيد قال: (قلت لجعفر بن محمد عليهما السلام: جعلت فداك، هل كانت في النبي مداعبة؟ فقال: لقد وصفه الله بخلق عظيم في المداعبة، وإن الله تعالى بعث أنبياءه فكانت فيهم كزازة وبعث محمدا بالرفقة والرحمة وكان من رأفته لأمتة مداعبته لهم، لكيلا يبلغ بأحد منهم التعظيم حتى لا ينظر إليه)^(٢٧٥).

فالإمام الصادق يفسر هذه الآية «الخلق العظيم» بأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كان يداعب ويمازح، كان سهلا في السلوك وفي التعامل مع الآخرين حين يدخلون عليه فلا يشعرون بالتكلف. . ويذكر الإمام أن الله بعث أنبياءه فكانت فيهم كزازة أي الجدية والحزم والانتباض، هكذا في اللغة، وبعث محمدا بالرفقة والرحمة، لكن نبينا محمدا كانت السمة العامة له هي الرحمة والهدوء والاسترخاء في التعامل، وكان من رأفته لأمتة مداعبته لهم، ومن مصاديق وشواهد هذه الرفقة أنه كان يداعب أصحابه لكي لا يبلغ بأحدهم التعظيم حتى لا ينظر إليه، وحتى لا تصل الجدية إلى مستوى يهابون رسول الله بحيث لا يستطيعون أن يرفعوا رؤوسهم في محضره تعظيماً وإكباراً وإجلالاً لتلك الشخصية العظيمة جدا. .

احترام الآخرين

للأسف نرى اليوم البعض ممن يصبح وزيرا فيتغير سلوكه وتعامله، وحجته أنه لن يحظى بالاحترام والتقدير ولن يسمع أحد كلماته وتوجيهاته فيما لو كان لنا مبتسما سهل التعامل مع الآخرين. . غريب هذا المنطق، من قال إن الإنسان لا يستطيع أن يفرض احترامه في قلوب الآخرين إلا بالتعالي والعنتريات وحده الصوت؟! لماذا هذه الاستهانة بالناس وبمشاعرهم؟! إن الناس تحترم من يحترمها ويقدرها ويتواضع لها مائة ضعف أكثر من الذي يتكبر بوجوههم. . مسؤول ينزل إلى الشارع، يتواصل مع الناس، يدخل في أماكن تجمعهم يتبسط معهم، يسألهم عن حاجاتهم وعن رؤيتهم وعن قضاياهم، ليكبر بعين الناس. كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يتعامل هكذا، يمزح ويداعب حتى يكسر دائما الحواجز النفسية بين المسلمين وبينه صلوات الله وسلامه عليه.

ثم قال حدثني أبي محمد الباقر صلوات الله وسلامه عليه عن أبيه الإمام علي السجاد عن أبيه الحسين عن أبيه علي أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، إذن هذه من روايات السلسلة الذهبية

كما أشرنا، قال علي: «كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ليسر الرجل من أصحابه إذا رآه مغموما بالمداعبة»^(٢٧٦). حين يرى أحدكم من صحبه مغموما كثيرا غير مرتاح فليدخل السرور على قلبه بأن يمازحه ويلطف الأجواء، ويكسر حالة الرتابة والضيق حتى يُبعد الهم عن نفسه وعن قلبه.

ممازحة النبي

وفي ما ذكر من الروايات عن مداعبات الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقال: «رأى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جملا عليه حنطة وينتقل من مكان إلى مكان، فقال تمشي الهريسة»^(٢٧٧). لأن الهريسة من الحنطة، وهكذا كان يمازح أصحابه صلوات الله وسلامه عليه. قالت عجوز من الأنصار للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أدع لي بالجنة، فقال: إن الجنة لا تدخلها العجوز، فبكت المرأة فضحك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وسلم وقال: أما سمعت قول الله تعالى: (إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا)^(٢٧٨). وكان قصد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن المرأة حين تدخل الجنة لا تدخلها عجوزا، بل تدخلها شابة بكرا.

مقت الإفراط والخفة

الاعتدال في المزاح وعدم المبالغة، لأن المبالغة في المزاح تخرج الإنسان عن طوره وتحوّله إلى إنسان فاقد للهيبة والاحترام في المجتمع. جاء في الكافي الجزء الثاني صفحة ٦٦٤ عن عنبسة العابد، قال سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ الصادق يقول: (كثرة الضحك تذهب بماء الوجه)، وماء الوجه الهيبة والوقار، هذه قضية يجب على الإنسان المؤمن مراعاتها، فكثرة الضحك والمزاح والمداعبة وبشكل مفرط تخرج الإنسان عن حالة الهيبة والوقار.

عن أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه قال: (إذا قهقهت فقل حين تفرغ اللهم لا تمقتني)^(٢٧٩)، فالقهقهة تتسبب بالابتعاد عن حال الوقار المطلوب للإنسان، فالابتسامة جيدة والضحك جيد والمزاح جيد. ولكن ضمن حدود الاعتدال وليس أكثر من ذلك. فإذا قهقهت لسبب فقل اللهم لا تمقتني، لأن القهقهة تنزل مقت الله وغضب الله على الإنسان. فإذا نعم للمزاح ونعم للضحك، ولكن كلا لحالة الخفة التي تخرج الإنسان

٢٧٦. المصدر نفسه

٢٧٧. البحار ج١٦-ص ٢٩٤

٢٧٨. المستدرک، مصدر سابق

٢٧٩. الكافي، ج٢-ص ٦٦٤

من هيئته ووقاره، هذه أيضا النقطة الثانية في ترويح النفس، المزاح والمداعبة والضحك.

الترويح بالرياضة

النقطة الثالثة التي تشير إليها الآيات القرآنية الشريفة والروايات، في قضية الترويح للنفس الرياضة. الرياضة فيها قوة للبدن، وحيوية ونشاط للإنسان، فيها خروج عن السياقات الرتبية في حياة الإنسان، فتعطي القوة البدنية وتعطي الراحة النفسية وتسهل عملية الصحة في بدنه. لذلك فالنفس في حالة من الراحة نتيجة الرياضة وقوة البدن وحركة البدن، مع قوة معنوية للنفس. . هذه حينما تجتمع يصل الإنسان إلى مستوى من التوازن الذي يمكن من خلاله أن يحقق الكمال المنشود في حركته الدنيوية وفي حركته التكاملية والأخروية.

إن الرياضة بالمعنى المألوف اليوم مثل كرة القدم والطائرة والتنس واللجنة الأولمبية واللجان الرياضية ومؤسسات رياضية ووزارة رياضة وشباب، على ما يبدو من خلال مجمل النصوص الشرعية لم تكن قضية مفروزة بهذا الشكل في ذلك الزمان، وإنما هناك تأكيد على قوة الجسم والبدن وتأثيراته، وإن هذه القوة يمكن أن تستخدم في إطار إيجابي ويمكن أن تستخدم في إطار سلبي. إنسان يستخدم قوته في الحرام بالاعتداء على الآخرين أو يستخدم قوته في ما فيه منفعة للناس، هذا مذكور في الآيات الشريفة، الحديث عن قوة البدن، قوة الجسم، غير القوة المعنوية. . هناك إشارات عديدة في الآيات القرآنية والنصوص الشرعية، وثمة تأكيد في الروايات المأثورة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعن أهل البيت على أنماط من الرياضة، وليس التركيز على أصل موضوع الرواية، هناك تأكيد على الرماية وعلى السباحة مثلا. . نجد تأكيدا في الروايات على ركوب الخيل.

هذه عناوين ثلاثة؛ ركوب الخيل والرماية والسباحة جرى التنصيص عليها. فإذا كان هناك حديث عام عن قوة البدن وحديث عن ممارسات رياضية محددة كانت مألوفة في ذلك الزمان، فيمكن لنا أن نعمم على كل ما يقوي البدن ضمن دائرة المباح، وبما لا يوقع الإنسان في الحرام، وعندها تكون ممارسة مقبولة وصحيحة. هذا مجمل ما نجده في النصوص الشرعية حول الرياضة. نتلو الآيات القرآنية الشريفة في هذا الموضوع، لاحظوا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢٨٠)، أي خذوا ما آتيناكم بقوة وتحملوا الأمانة، تحملوا

واجباتكم ومسؤولياتكم من خلال القوة التي تتوافر عندكم . إذن مطلوب للإنسان أن يكون قويا في جسمه ، حتى يحقق مثل هذه الإنجازات .

توظيف القوة

في سورة فصلت الآية الخامسة عشرة: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ ، هنا استخدام القوة في بعدها السلبي وليس الإيجابي ، فهؤلاء استكبروا والمستكبر يستخدم القوة ويسيء إلى الآخرين من خلال هذه القوة . ولكن تكشف الآية الكريمة عن أن هذه القوة هي التمكن ، وهذا سلاح قوي ذو حدين ، إذا استخدم في الإطار الصحيح يوظف لانتصار أهل الحق ، لإلحاق الهزيمة بأعداء الله ، للانتصار للشعوب . وإذا استخدمت في الإطار السلبي والخاطئ يمكن أن تتحول إلى هزيمة أهل الحق ، الإساءة إلى الناس ، الاعتداء على الناس إلى غير ذلك .

ومن مظاهر التمكن التي نراها اليوم أن مسؤولا يقطع الشوارع وتنتشر حمايته كي يسيئوا للناس ويعتدوا على المواطنين ، وأحيانا حتى هذا المسؤول المسكين لا يدرى ، ولكن هؤلاء يتعاملون بطريقة يتحمل هو من جرائمها التبعات والمسؤوليات لمواقفه . (وقالوا من أشد منا قوة) ، من هو الأقوى منا؟ . فنحن أقوى قوة في العالم وباستطاعتنا أن نهزم كل الجيوش ، تباه عجب بالقوة ونسوا أن الله سبحانه وتعالى هو من منح هذه القوة ، وبما منحوا من هذه القوة استكبروا حتى على الله تعالى . (أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) .

إن من أعطاك هذه القوة أقوى منك ، ونحن نرى بعض الظواهر في المجتمع التي يتباهى فيها الإنسان ، الشباب بقوتهم العضلية ويستعرضونها أمام الآخرين . . يجب عدم الاغترار بالقدرات التي يحصل عليها الإنسان ، إن من المهم عدم استغلال القوة بطريقة خاطئة ، وعدم الوقوع في حالة الإعجاب والاستكبار والتعالي على الآخرين ؛ لأنك تمتاز عنهم في مكن من مكن القوة البدنية . قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾^(٢٨١) ، القدرة التي تأتي من رب العالمين ، النعمة التي يحصل عليها الإنسان في قوته وفي إمكانية تغلبه على الخصم وعلى العدو هي بركة الله وبفضل من الله سبحانه وتعالى . هذه هي الرؤية الصحيحة في التعاطي مع

القوة، هذه القوة من الله، إذن لتجتمع هذه القوى الصالحة وتتكاتف لتحقيق ما فيه الخير والصلاح لتمنع من الإساءة لكم والاعتداء عليكم.

الاضطرار لاستخدام القوة

في سورة هود الآية ٨٠: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، إذن هنا أيضاً تُطلب القوة وتُعتبر هي المدخل الصحيح، وإلا فالإنسان إذا لم تكن لديه عناصر القوة الكافية للنزال فلا بد من أن يذهب إلى حيث لا يواجه. في سورة النمل الآية ٣٣: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾، نحن أصحاب قوة، أصحاب قدرات بدنية كبيرة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين يا بلقيس وكيف ستتعاملين مع سليمان؟ هل تستخدمين القوة أو لا تستخدمينها؟ أم تأخذين بخيار الحوار والتفاوض.

وبلقيس كانت عالمة حكيمة من نساء الدولة لو صح هذا التعبير في مقابل وصف رجال دولة، على كل حال، فهي من الشخصيات التي كانت تقود قيادة ناجحة، فقدرت الموقف، ورأت أن هذه القوة تُستخدم عند الضرورة، وما دام سليمان أرسل إليهارسولا ليحاوِر إذن لتذهب وتحاوِر. فالقوة لا يمكن استخدامها في كل مناسبة، القوة مطلوبة أحياناً للتلويح بها وليس لاستخدامها. فإذا عرف المقابل أن لدينا قوة مكافئة سنذهب بحالة متكافئة إلى طاولة الحوار والتفاوض، هذا هو المنهج الصحيح الذي يحدثنا عنه القرآن الكريم؛ ألا تستخدم القوة إلا عند الضرورة، وفي ما سوى ذلك فلا بد من استخدام الوسائل الأخرى.

لكن الوصول إلى القوة والتمكن من القوة والاستعداد للمفاجآت وللخصم حينما يبرز، هذه قضية مطلوبة كما نلاحظها في هذه الآيات الشريفة، وللحديث صلة تأتي لحاقافي الليالي القادمة. أكتفي بهذا المقدار من الحديث، وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الأمسية الثالثة عشرة - بتاريخ ٢٠١١/٨/١٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل إخوتي الأكارم، الأخوات الفاضلات، كان حديثنا في الليالي الماضية عن نظرية الحقوق في الرؤية الإسلامية، وذكرنا أن رسالة الحقوق لسيدنا ومولانا وإمامنا علي بن الحسين الإمام السجاد صلوات الله وسلامه عليه تمثل الإطار العام لمنظومة الحقوق في الرؤية الإسلامية . وتحدثنا عن الحق الأول والأكبر وهو حق الله على عباده، وعن الحق الثاني وهو حق النفس على الإنسان، ونبتدئ من هذه الليلة بالحديث عن الحق الثالث من هذه الحقوق، وهو حق اللسان .

آداب الحديث

يقول إمامنا السجاد سلام الله عليه : (وأما حق اللسان فأكرامه عن الخنى، وتعويده الخير، وحمله على الأدب وإجمامه إلا لموضع الحاجة والمنفعة للدين والدنيا)^(٢٨٢)، حق اللسان أن يكون أجل وأكرم من استخدام كلمات السوء، وتعويده على الخير، أن تُعوّد هذا اللسان على أن يتحدث بالخير، أن يكون سببا في إشاعة الخير، هذه العادة أو هذا التكرار يتحول إلى ملكة، اللسان لا ينطق إلا بالخير ولا يتحدث إلا بما هو خير .

حق اللسان على الإنسان حمله على الأدب، أن يستخدم ويراعي الآداب العامة في ما يتحدث وفي ما يتلفظ، الأدب والآداب التي يراعيها الإنسان في سلوكه تعتبر من القضايا

الأساسية، وحقه إجمامه أي منعه من الحديث إلا لموضع الحاجة والمنفعة للدين والدنيا. على الإنسان ألا يتحدث إلا بما فيه منفعة في دينه أو في دنياه، لا يتحدث إلا إذا كانت هناك حاجة للحديث. الثثرة وكثرة الحديث والحشو في الحديث، الإكثار من الحديث، توقع الإنسان في مطبات كثيرة وزلات عديدة، ومن كثر حديثه كثرت زلته، كما ورد في العديد من الروايات.

ومن حق اللسان (إعفاؤه عن الفضول الشنعة القليلة الفائدة التي لا يؤمن ضررها مع قلة عائدتها)، ففاضل الحديث هو الحديث الزائف الذي ليس فيه منفعة، والإكثار من الحديث لاسيما في قضايا غير مدروسة يؤدي إلى الندم، وربما يلفتنا اليوم في البيانات السياسية كثرة التوضيحات والتبريرات وحتى الأزمات التي تنتج من التسرع في إطلاق التصريحات دون التدقيق فيها وإنعام النظر فيها. ومثل هذه الأحاديث المتسارعة غير المدروسة التي لا يفكر الإنسان فيها عند إطلاقها ليس لها منفعة وعائدتها قليلة.. بل أحيانا لا يؤمن ضررها على قائلها. فلا بد إذن من التدقيق في ما يقوله الإنسان.

شهادة اللسان على العقل

(ويعد شاهد العقل والدليل عليه)، اللسان هو شاهد على عقل الإنسان والدليل عليه، فالمرء مخبوء تحت لسانه، فلا يعرف الإنسان إلا إذا تحدث، يُنقل عن رجل من أهل العلم أنه دخل عليه شخص حسن الهندام بلحية كثة ومظهر حسن، وبعد وقت قضاه في الصمت سأله وقد تأمل في المكتبة أمامه: مولاي هل قرأت كل هذه «القرائين»؟! .

وعلى العكس من ذلك فقد يبدو المرء بمظهر رثّ وهيئة متواضعة لكن ما ان يبدأ بالحديث ويتكلم حتى تشعر بغزارة علمه ورجاحة عقله وسعة فكره ورؤيته، ودقته في تحليل الأمور، ومثل هذا الشخص يحظى بالاحترام والتقدير بغض النظر عن الهيئة التي يبدو فيها. وخلاف ذلك أن يكون امرؤ بمظهر جذاب ولكنه حين يتكلم تنكشف طريقة تفكيره وعقليته وزلاته وتضح أخطأؤه.. إذن فاللسان هو الدليل وهو الشاهد على عقل الإنسان.

(وتزين العاقل بعقله وحسن سيرته في لسانه ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.) إن زينة العقل تظهر وتنعكس عبر حسن كلام الإنسان وفي حسن حديثه، لاشك في أن العقل زينة للإنسان وكلما كانت دراية الإنسان وعقليته أوسع كانت قيمته أعظم، ولكن كيف تتعرف على هذه الزينة؟. إذا كان لسانه حسن السيرة من خلال كلماته ومفرداته

وأولوياته . . إذا كانت ضمن السياق معبرة عن ذلك العمق في الرؤية ، وكان متدبرا واعيا بصيرا عميقا فحين ذاك يمكن أن يعبر عن هذه الزينة ، عن زينة العقل في الإنسان ، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فالله هو القوي وهو العلي وهو العظيم والقوة من الله . فيا من تحسن الحديث ويا من تتكلم بشكل طلق ، ولديك القدرة على إيصال أفكارك لا تأخذك حالة الغرور بنفسك ، فإن هذه القوة إنما جاءت من الله سبحانه وتعالى .

هذا مختصر عن حق اللسان في فهم الإسلام ومن منظور إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه . ماذا نفهم من هذه العبارات الكريمة؟ . نفهم أن اللسان سيف ذو حدين يمكن أن يستخدم ليكون زينة ورفعة وسببا في هداية الناس وإرشادهم ، وبالتالي كمال الإنسان ، الإنسان يتكامل حينما يحول ويوظف هذا اللسان لخدمة عبادة الله ، فيكون لسانا يشيع الخير وتنطلق منه الأفكار والرؤى الصحيحة لهداية الآخرين . . هناك طريق آخر ، فهذا اللسان نفسه حينما يوظف توظيفاً غير صحيح يكون سببا في إشاعة الفحشاء والضلال والتحريض والانحراف وتهيج المشاعر وضرب الناس ببعض ، ويتحول إلى نقمة . هذا اللسان يمكن أن يكون نعمة ، ويمكن أن يكون نقمة .

وظائف اللسان وأهميته

اللسان لديه أربعة واجبات ، الواجب الأول هو التدوق باعتباره العضو الذي نتدوق به ونتعرف من خلاله على الطعم . . والمهمة الثانية أنه آلة للمضغ والبلع والهضم ، فلا يستطيع الإنسان أن يمضغ أو يبلع ولا حتى أن يهضم بلا لسان ، فهو عنصر أساسي في حياتنا . وثمة وظيفة أخرى للسان هنا هي اللمس ، سواء لدى الإنسان أو بعض الحيوانات حيث تكون الظاهرة أكثر وضوحا . وهذه المهمة الثالثة . أما المهمة الرابعة وهي المهمة الأساسية فهي النطق والكلام .

المرء بأصغريه

اللسان هو الآلة التي يجري الحديث من خلالها . ويمكن أن تكون نعمة أو نقمة كما أسلفنا . هذا اللسان على صغره هو سبب في سعادة الإنسان أو شقائه ، سبب للخير أو للشر . ولذلك نجد اهتماما كبيرا في النصوص الشرعية ، وفي الروايات بموضوع اللسان لأهميته . إذ يمكن أن يكون سببا في ضلال الإنسان ، وفي انحرافه ووقوعه في الذنوب .

وقد أخصيت الذنوب التي منشؤها اللسان فكانت أكثر من سبعين ذنبا، أكثر من سبعين نمطا من أنماط المعاصي والذنوب منشؤها وسببها اللسان، هذا في الحقيقة يعبر عن سلاح فتاك يمكن أن يستخدم في الخير أو الشر بحسب طبيعة ونوعية استخدامه.

يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «المرء بأصغريه قلبه ولسانه»^(٢٨٣). المرء بهذين العضوين الصغيرين قلبه ولسانه، القلب هو الجزء الصغير لكن حياه الإنسان متوقفة عليه، واللسان أيضا فيه كمال الإنسان وسعادته، شقاؤه أو تسافله وانحداره، فكلها ترتبط بهذا اللسان. ولذلك الله سبحانه وتعالى يتباهى بهذا اللسان حين يتحدث عن عظمته وعن النعم العظيمة التي منحها لهذا الوجود، فيذكر اللسان كجزء أساس في هذه العملية.

نعمة البيان

لاحظوا في سورة الرحمن الآيتين الثانية والثالثة؛ الله سبحانه وتعالى يشير فيهما إلى خلق الإنسان، ولكن حينما يتحدث عن خلق الإنسان يتحدث إلى جانبها عن البيان ويربط بين الأمرين بعضهما مع الآخر، هذا الوجود الجميل العجيب الأطوار المعقد في تركيبته الذي اعتبر أفضل من كل الخلائق الأخرى حتى من الملائكة حينما أمروا بالسجود لأدم كما أشرت في لقاءات سابقة، ماذا تقول الآية الكريمة حوله؟ يقول تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾، إذن حينما يجري الحديث عن خلق الإنسان يجري الحديث عن نعمة البيان في هذا الإنسان.

واللافت في هذه الآيات ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ أنه ليس هناك من عطف بين الآيتين، معنى ذلك أن خلق الإنسان هدفه وسببه هو البيان، فالبيان هو الذي يميز الإنسان. لو وردت واو العطف لكان الخلق والبيان حقيقتين منفصلتين، ولكن عدم ورودها دل على أن السبب في خلق الإنسان هو قدرته على البيان. إذن يعتبر ذلك الميزة التي تجعل من الإنسان إنسانا.

أيضا في موقع آخر حينما يتحدث الله سبحانه وتعالى عن خلق السموات والأرض، يتحدث عن تعدد اللغات واللهجات والقوميات والأعراق إلى غير ذلك، مما يجعل هذه في مصاف تلك ولها نفس القيمة، لاحظوا في سورة الروم الآية ٢٢ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتَلَفَ الْأَلْسِنَتِكُمْ وَاللُّوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾. هذه هي قيمة البيان وقيمة اللسان في المنطق القرآني.

فضيلتا العقل والمنطق

أيضا حينما يتباهى الله سبحانه وتعالى من خلال النعم ويستعرض النعم التي أنعم بها على الإنسان نجد أنه يشير ويؤكد على موضوعه اللسان والعين . . لاحظوا في سورة البلد الآية الثامنة وما بعدها: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾، العين الجميلة على صغرها هي المدخل والنافذة التي ننظر من خلالها إلى الحياة وإلى الجمال والواقع المحيط بنا، ويتباهى الله بأنه منحنا نعمة اللسان بما يمكن من البيان .

والشفة هي عنصر أساسي في النطق، فحركة الشفاه وخروج الهواء بانتظام هو الذي يوجد الحروف، القدرة على الحديث ليست للسان وحده وإنما للشفتين، ولذلك حين يتكلم المرء تتحرك شفاهه وهذه الحركة ضرورية لتنظيم عملية الحديث، ولولاها لما استطاع أحدنا أن يتحدث. فهذه نعمة عظيمة مغفول عنها، «وهديناه النجدين»: الهداية الفطرية، الهداية التكوينية . . والهداية التشريعية، من خلال بيان طريق الصلاح والهداية، وطريق الضلال والانحراف. ومنح الإنسان الإرادة الحرة ليختار هذا الطريق أو ذاك .

هذه هي النعم العظيمة التي يتحدث عنها الله سبحانه وتعالى حينما يتباهى بنعمه . لاحظوا في نهج البلاغة، الحكمة الثامنة: (أعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم، ويتكلم بلحم، ويسمع بعظم، ويتنفس من خرم)^(٢٨٤). ما أعجبه من موجود! هذا الكائن المركب والدقيق والعجيب الأطوار، حتى إنه يمارس كل هذه المهام بأبسط الوسائل المتاحة. عن علي عليه السلام: (للإنسان فضيلتان عقل ومنطق)، الإنسان عنده عقل وعنده منطق وقدرة على البيان، فبالعقل يستفيد، والعقل هو الذي ينظر ويتعلم ويتعرف، لاقطة الإنسان المعرفية هو العقل. والمنطق من خلال هذا اللسان، فالخزين المعرفي يمكن نشره من خلال اللسان، أن يتحدث ويقول ويعبر عن فهمه للمسائل .

اللسان في منظومة الحقوق

نتيجة أهمية هذا اللسان والدور المحوري والكبير الذي يلعبه نجد أن المسؤولية تجاه هذا اللسان مسؤولية عظيمة. وقلنا إن نظام الحقوق ونظام الواجبات والالتزامات وجهان لعملة واحدة، فلا نستطيع أن نتحدث عن حق دون أن نتحدث عن الالتزام، لأن ما هو حق لي هو التزام عليك، وما هو حق لك هو التزام عليّ. فكل ما كانت هذه النعمة أعظم، وكل ما كانت قدرته أكبر كانت مسؤوليته أعظم. إن مسؤولية الأغنياء مثلا ليست

كمسؤولية الفقراء فهي أكبر ومسؤولية المسؤول تكون بحجم مكانته ومسؤوليته ، وهكذا كلما ارتفعت المسؤولية ارتفعت الالتزامات .

واللسان هذا العضو المهم الذي يمكن أن يكون سببا في سعادة الإنسان أو شقائه تكون مسؤوليته بحجم المهمة التي يؤديها ، لاحظوا ما ورد في سورة (ق) الآية ١٨ : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ، فكل كلمة تنفوه بها ثمة رقيب يتابع ويرصد ويكتب ويسجل كل ما تقول . في الكافي الجزء الثاني صفحة ١١٥ الحديث الثالث عشر عن علي بن الحسين الإمام السجاد سلام الله عليه ، قال : (إن لسان آدم يشرف على جميع جوارحه كل صباح فيقول : كيف أصبحتم؟ فيقولون : بخير إن تركتنا ، ويقولون : الله الله فينا ، ويناشدونه ويقولون : إنما نثاب ونعاقب بك) . اللسان سيد الجوارح وهو يسألها كل صباح فيستحلفونه بالله أن يتركهم ، وهو تصوير رمزي بارع لأهمية هذا العضو وتأثيره . هذه الأعضاء تقول للسان إنما نثاب ونعاقب بك .

صون اللسان وحفظه

في رواية أخرى في نفس المصدر جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : (يا رسول الله أوصني فقال : احفظ لسانك ، قال : يا رسول الله أوصني ، قال : احفظ لسانك ، ويحك وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم) (٢٨٥) .

فالناس يكبون على وجوههم في النار حصيلة ونتيجة وحصاد ألسنتهم ، والكلمات التي يتفوهون بها في غير محلها . عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال : (قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يعذب الله اللسان بعذاب لا يعذب به شيئا من الجوارح فيقول : أي رب عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئا ، فيقال له : خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها ، فسفك بها الدم الحرام وأنتهب بها المال الحرام وانتهك بها الفرج الحرام ، وعزتي وجلالي لأعذبك بعذاب لا أعذب به شيئا من جوارحك) (٢٨٦) .

فالله سبحانه وتعالى يقسم بعزته وجلاله في ما يرويه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مخاطبا للسان لأعذبك بعذاب لا أعذب به شيئا من الجوارح . . لا تتوقع أن حالك حال

٢٨٥ . الكافي ج ٢- ص ١١٥

٢٨٦ . المصدر نفسه

غيرك من الجوارح، فعذابك مختلف، عذابك عظيم وكبير؛ لأن الجريمة التي تُرتكب من خلالك لا تقاس بالجرائم الأخرى. كلمة واحدة قد تنطلق فتسبب بمفاسد عظيمة، وهذا ما رأيناه بالعراق ٢٠٠٦ و ٢٠٠٧ حين يخرج أحدهم ويتكلم بحديث غير محسوب فيتسبب في تأزيم الأوضاع. وقد نرى في أي مكان عددا كبيرا من الناس يُقتلون وتزهق أرواحهم وتنهب ممتلكاتهم نتيجة كلمة تطلق من هنا أو هناك. وكثيرا ما كان البعض يعزف على وتر الطائفية ليقوع الناس بعضهم ببعض في الوصول إلى مكاسبه الخاصة. . إن من يقوم بمثل هذه الأدوار لا يرى خيرا في الدنيا والآخرة.

انتهاك المقدسات

نقول ذلك ونحن في شهر رمضان، شهر الطاعة، شهر المغفرة، شهر احترام الآخر، شهر صلة الرحم، ليأتي من ينتج مسلسلا يتحدث عن قضايا إشكالية تثير الحساسيات، كالمسلسل الذي يتحدث عن الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام بنظرة ظالمة، وغير موضوعية متهما طائفة من المسلمين، وهم أتباع أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بأن أصولهم وجذورهم يهودية تابعين إلى عبد الله بن سبأ تلك الشخصية الأسطورية. . أن ينتهك حرمة صاحب هذا الشهر الفضيل، أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، هذا الرجل العملاق الذي يعتبر ملمحا من ملامح شهر رمضان، حيث حادثة استشهاده في هذا الشهر الفضيل. . تنتهك حرمة علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ويظهره في المسلسل كإنسان منغل لا يقوى على السيطرة على أعصابه. . بطريقة تُعدّ تجاهلا للحقيقة. أية مصلحة في مثل هذه الأمور التي تثير مشاعر الناس بهذه الطريقة وتطرح مائة علامة استفهام؟.

تبنت بثّ هذا المسلسل بالتحديد ثماني فضائيات في الوطن العربي. . ! وهو ما لم يحدث مع مسلسلات أخرى. . ! إن الأزهر الشريف قال كلمته، المرجعية الدينية قالت كلمتها، العلماء قالوا كلمتهم، ومع ذلك فثمة إصرار على تجاوز كل هذه المرجعيات في العالم الإسلامي. ومواصلة البث في هذه القنوات الثمان من أجل ضرب الناس بعضهم ببعض.

هل بإمكاننا أن نفسر هذه القضية بمعزل عن الفتنة الطائفية التي يراد ترويجها في الوطن العربي لحسم النزاعات في مواقع وساحات الصراع بطريقة أو بأخرى لصالح هذا الطرف أو ذاك؟! هذه جريمة كبيرة بحق الإنسانية وجريمة كبيرة بحق الإسلام، وجريمة بحق

أولئك الذوات العظيمة والكبيرة في تاريخ المسلمين ، وجريمة لا تغتفر وخطيئة كبرى حينما نوقع الناس بعضهم ببعض .

واعتابنا ينصب بالدرجة الأساس على قنوات تحمل اسم بغداد والعراق وتنشر وتبث مثل هذه المسلسلات وتتجاوز على إرادة الشعب العراقي التي تمثلت بنوابه حينما رفعوا أياديهم بالإجماع رافضين أن يستمر البث ، وشكرنا وتقديرنا لمجلس النواب ، ولكل الكتل الكريمة وكل أعضاء مجلس النواب بكل تلاوينهم حينما أجمعوا في أن يرفعوا أياديهم رافضين استمرار بث هذا المسلسل الذي يثير النعرات الطائفية ويؤجج المشاعر ويظلم طائفة كبيرة من المسلمين في عالمنا اليوم . وليس هناك من مستفيد في مثل هذه الخطوات غير المسؤولة وغير الموقفة .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لتعزيز اللحمة والمحبة والألفة والتقارب بين الناس ، وأن نتفنن في تهدئة النفوس وفي تطيب الخواطر وفي الانتصار لمصالح هذا الشعب العظيم وكل الشعوب العربية والإسلامية الكبيرة . لنجد السلام والوثام والأمن والاستقرار والمحبة بين الناس ببركه هذا الشهر الفضيل ، نسأل الله أن يحقق الآمال .

وللحديث صلة تأتي لحاقا في الليالي القادمة . . أكتفي بهذا المقدار وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الأمسية الرابعة عشرة- بتاريخ ٢٠١١/٨/١٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل إخوتي الأكارم ، الأخوات الفاضلات ، في أمسية رمضانية أخرى ، ولكن تختلف عما سواها لأنها ليلة شريفة ومباركة وقد ازدادت بهاءً من خلال صاحب هذه الليلة ، حيث في مثل هذه الليلة نحتفي برجل عظيم وبشخصية عملاقة في تاريخ المسلمين وتاريخ الإنسانية ، ألا وهو إمامنا وسيدنا الحسن المجتبي صلوات الله وسلامه عليه ، في مثل هذه الليلة ، نحتفل بذكرى مولده ، فتغمرنا السعادة والسرور والبهجة بهذه الولادة الميمونة .

مشاعر الفرح والحزن

ولكن شاء الله أن يمتزج الفرح والسعادة بالحزن والألم لأبناء شعبنا ، في هذا اليوم كان هناك استهداف إرهابي واسع طال عشر محافظات في هذا البلد الكريم ، مفخحات وعبوات وأحزمة ناسفة ، راح ضحيتها المئات بين شهيد وجريح مما يشعر الإنسان بكثير من الحزن والأسى والألم . لا بد من أن نتضامن مع أسر أولئك الشهداء ، ومع المصابين والجرحى ، ونسأل الله أن يُمّنّ عليهم جميعاً بالشفاء العاجل . . وهكذا تعودنا نحن في العراق ، أن يمتزج الحزن والألم بالفرح والسرور وهذا هو نهج الإسلام الأصيل ، يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ، فنحزن لما يستحق الحزن ونفرح لما يستحق الفرح ، ونتواصل ونتضامن ، ونستمر بإذن الله تعالى لبناء تجربة عراقية قادرة على أن تلي طموحات أبناء شعبنا . ولكن لا نستطيع أن نمرّ مرور الكرام على هذا الحدث الإرهابي الكبير .

ماذا يعني في ساعات متقاربة تحصل مثل هذه التفجيرات المدوية في عشر محافظات

في آن واحد؟ . هل إن هذه التفجيرات حدثت صدفة ولكل تفجير قصة خاصة به ومجموعة إرهابية خطت له على انفراد؟! من الصعب تقبل أن تكون هذه التفجيرات غير مترابطة مع بعضها البعض ، لأن وقوع كل هذه التفجيرات في وقت واحد في يوم واحد يدل على أن هناك عقلا واحدا يخطط ، وأن هناك امتدادا وترابطا بين هذه المجاميع الإرهابية ، إذا تأكدت هذه الفرضية من الجهات الأمنية فهذا يعني أن الإرهاب في العراق مازال يتحرك ويمتلك الأذرع ليتواصل في أغلب المحافظات . . حتى ما كنا نطلق عليها المحافظات الآمنة ، ولهم حضور ولهم خلايا نائمة أو مستيقظة لتتحرك وتقوم بمثل هذه العمليات الإرهابية .

هذا جرس إنذار يعبر عن حالة تحتاج إلى وقفة حقيقية ومراجعة للخطط الأمنية والتأكد من صوابية الوسائل والآليات المستخدمة في ضبط الأمن في بلادنا . إنها رسالة توجه إلى الحكومة العراقية الموقرة ، إلى الأجهزة الأمنية على أن تراجع وتحدد الخطط وتتأكد من صحة ودقة هذه الخطط ، حتى لا نشهد مثل هذه الخروقات الأمنية الكبيرة على هذه المساحات الواسعة في قادم الأيام . وهذا ما يؤكد أن المؤسسة الأمنية يجب أن يكون لها قادة يتفرغون في إدارة شؤونها ، حتى لا نجد مثل هذه الثغرات وضرورة ملء الشواغر الوزارية في الوزارات الأمنية ، المكابرة وعدم ملء هذه الشواغر لأي سبب من الأسباب ستؤدي إلى مزيد من المضاعفات وإراقة الدم البريء ، ويبقى العراق يعيش هذه الظروف الصعبة والمواطن العراقي يعيش هذه المحن ، وهذه الآلام .

ظهر بعض ذوي الضحايا عبر الشاشات وتابعتهم بألم شديد ، واحتقرت قلوبنا وهم صيام يتعرضون إلى مثل هذه الهزة ، شهيد يسقط ولديه عائلة . . فتمرل زوجته ويتيم أولاده ، عنده أقارب وأرحام وأصدقاء ، عنده زملاء وعنده جيران ، شخص واحد يستشهد ولكن جمع من الناس يتضررون لأجله أضرارا معنوية وأضرارا نفسية وأضرارا مادية . . إلى غير ذلك . فما بالك حينما تكون الضحايا بالمتات كما حصل في مجزرة اليوم ، نسأل الله أن يتعمد أولئك الشهداء برحمته الواسعة ، وأن يمنّ على ذويهم بالصبر والسلوان ، وعلى الجرحى بالشفاء العاجل إن شاء الله تعالى .

ولادة المجتبي .. معان ودلالات

نعود لنعيش حدث هذه الليلة ومناسبتها . . ماذا تعني ولادة الإمام الحسن المجتبي؟ هذه الولادة لم تكن كأى ولادة أخرى بعد السنين العجاف ، ١٣ سنة في مكة من دعوة سرية إلى تحضير لتوسيع مساحة الدعوة ، حتى كانت الهجرة إلى مدينة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، وفي بدايات التأسيس كما هو في بداية أي مشروع معاناة ومحنة

وحصار وملاحقات ، إذن ثلاث سنوات بعد الهجرة أيضا مرت بهذه الحالة ، و ١٣ في مكة ، هذه ١٦ سنة ، والمسلمون في عناء مستمر ، وفي ألم وفي محنة ، ومن ثم جاء هذا الخبر السار ، وجاءت هذه الولادة الميمونة لتعبر عن فرحة غامرة تكسر كل تلك المحنة وتلك الآلام التي عاشها المسلمون على مدار ست عشرة سنة .

والإمام الحسن المجتبي أول ذرية لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من بنته الزهراء ، ويمثل تجسيدا للوعد الإلهي الذي وعده لرسوله الكريم ، بقوله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^(٢٨٧) ، يا رسول الله نحن نعطيك الخير الكثير ، ونجعل ذريتك من بنتك الزهراء لتبقى ذرية رسول الله حاضرة في هذا العالم ، وفي هذه النشأة ، (إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتى) ، يقولون لك أبتى ليس عندك ذرية؟ لا . . ستستمر ذريتك من بعدك وسيستمر ذكرك عبر ذريتك وسنجعل في ذريتك الخير الكثير ، والآخر هو من سيكون أبتى .

السماء تهني بولادة الإمام

كان الحسن المجتبي يمثل التجسيد العملي لهذا الوعد الإلهي ، بدأت هذه الذرية بإمامنا المجتبي صلوات الله وسلامه عليه ، فلذلك كانت الفرحة كبيرة والسعادة غامرة بهذا الحدث العظيم ، وحصلت هذه الولادة الميمونة . ونجد أن رسول الله كان له اهتمام في أن يسمي هذا الوليد ولم يتقدم عليه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أو فاطمة .

ولكن رسول الله أيضا لم يشأ أن يسمه وترك تسميته إلى السماء ، كما نلاحظ في هذه الرواية التي أتلوها على مسامعكم من بحار الأنوار الجزء ٤٣ الصفحة ٢٣٨ : (عن زيد بن علي عن أبيه علي بن الحسين السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قال لما ولدت فاطمة الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ قالت لعلي سمي يا علي ، فقال ما كنت لأسبق باسمه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، فجاء رسول الله فأخرج إليه في خرقة صفراء فقال ألم أنهكم أن تلفوه في خرقة صفراء؟ ثم رمى بها وأخذ خرقة بيضاء فلفه فيها ، ثم قال لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ هل سميت؟ فقال ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله . . أنت سمته ، فقال رسول الله وما كنت لأسبق باسمه ربي عز وجل ، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرائيل انه قد ولد لمحمد ابن فاهبط فاقراه السلام وهنئه) .

إذن هذا الوليد تهني به السماء ، الله يهنئ رسوله الكريم بهذا الوليد السعيد ، (وقل

له إن عليا منك بمنزلة هارون من موسى فسمه باسم ابن هارون^(٢٨٨)، لأن عليا منك يا رسول الله بمنزلة هارون من موسى، فإذا سم ابن هارون ليكن اسما لابن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، (فهبط جبرائيل فهناه من الله عز وجل ثم قال إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تسميه باسم ابن هارون، قال وما كان اسمه؟ قال شبر، قال لساني عربي، قال سمه الحسن، فسماه الحسن^(٢٨٩))، وشبر في اللغة تعني الحسن بحسب اللغة العبرية، فكان أن سماه الحسن، وكان الوليد الثاني حسينا، وهو شبير لأن هارون كان لديه ولدان شبر وشبير، فُسِّمِي حفيدا رسول الله حسنا وحسينا، هذا وجه التسمية وهذه أجواء التسمية، فالحسن سُمِّي حسنا من الله سبحانه وتعالى والسماء تدخلت، أي وليد هذا تتدخل السماء لوضع اسمه؟.

اهتمام الرسول بالحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ

حين نراجع الروايات الكثيرة الواردة في طريقة تعامل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مع الحسن والحسين، نرى أن هذا التعامل كان مميزا، يختلف عن كثير من التعاملات الأخرى، فيه احترام، فيه مودة، فيه محبة، فيه تقدير، فيه إبراز لهذين الصغيرين آنذاك في عمريهما، إبراز لهما بين المسلمين وتعمد من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يوقر الحسن والحسين، ويرعى الحسن والحسين ويهتم بالحسن والحسين في سلوكه معهما بين المسلمين. وهذا ما يطرح سؤالاً كبيراً لماذا هذا الاهتمام؟ وهذه الرعاية من رسول الله، هذا الإنسان العظيم وهذا النبي الكريم لطفل صغير؟.

إنه درس عظيم من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الاهتمام بالرعاية للرحم، بالأبناء، أيها الإنسان إن الرجولة والعزة والكرامة لا تتقاطع مع أن تكون رقيقا مع أولادك، مع أن تكون لطيفا مع أبنائك، تتواصل معهم وتقبلهم. كان العربي الجاهلي يعتقد بأن هذه السلوكيات لا تتلاءم مع رجولة الإنسان، وكان بعضهم يتفاخر على بعض بأن لديه عشرة أولاد وُلِدُوا وكَبُرُوا وتزوجوا ولم يقبلهم قبلة واحدة ولم يحتضنهم. . كان يفتخر بذلك، وهذا هو جزء من مفهوم الرجولة لديهم في ذلك الزمن. . من قال إن الرجولة في القسوة والجلادة في التعامل؟!.

رسول الله ث أراد أن يعطي درسا بليغا للمسلمين، ليقول لهم إن التعامل مع الرحم والتعامل مع الأبناء يجب أن يكون فيه شفقة ومودة ومحبة، فيه احترام وتقدير، فهذه سنة

٢٨٨ . البحار ج ٤٣ - ص ٢٣٨

٢٨٩ . المصدر السابق

مهمة وهذا هو ما ينسجم مع الفطرة الإنسانية . والإسلام في تعليماته وتشريعاته دائما ينسجم مع الفطرة ، الفطرة تجنح والقلب يرنو ويفتح على أبنائه ويحبّ الابن ويأنس في مثل هذه المداعبة والتواصل مع الأبناء .

الامتداد النسبي والرسالي

الأمر الثاني الذي دعا رسول الله لهذا الاحترام الكبير والمميز أنه كان ث يرى أن الحسن والحسين هما امتداد الذرية . من خلالهما تستمر ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلذلك كان رسول الله يجد وجوده وامتداده النسبي من خلال الحسن والحسين .

وهذا كان مدعاة الرعاية ، دائما يحظى الابن الأكبر الذي يكون من خلاله امتداد الذرية باحترام وباهتمام ورعاية خاصة ، ولكن حجم هذا الاهتمام كما سنتعرف عليه في روايات سأتلوها على مسامعكم في هذه الليلة أكبر من أن يختزل في محبة أب لابنه ، أو في امتداد ذرية بشرية لشخص في أولاده . هذا الاحترام وهذا التكريم والكلمات التي وردت بحق الحسن والحسين أكبر من أن تُختزل في البعد البشري ، وفي الجانب المشاعري ، وفي الأحاسيس التي أطلقها رسول الله صلى الله عليه وآله تجاه الحسن والحسين .

هناك بعد آخر ، فرسول الله كان يرى في الحسن والحسين امتدادا رسالياً وليس امتدادا نسبيا فقط . مشروع الرسالة ، مشروع الإسلام كان يجده ممتدا عبر الحسن والحسين ، وهذا ما جعل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يولي الاهتمام الكبير للحسن والحسين والرعاية الخاصة والتميزة لهما ، كما سنستعرض بعض شواهداها .

الرؤية الإسلامية للعاطفة

ولكن هذا بحد ذاته يكشف عن منهج إسلامي عظيم وورصين وهو كيف توظف العاطفة ، وكيف تُستثمر المشاعر والأحاسيس من أجل تحقيق الأهداف والغايات السامية . رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من خلال العاطفة ومن خلال المشاعر ، من خلال ممارسات سلوكية فيها قمة في الأخلاق ، أراد أن يربط الناس بالحسن والحسين ، وأراد أن يعمق ويجذر ويكرس موقع أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في قلوب الأمة ، وفي ضمائر الأمة .

وهو ابتكار بديع في أن توظف كل هذه المشاعر من أجل تحقيق الأهداف والغايات السامية ، الفكر والاستدلال والأدلة العقلية والفلسفية ليست هي الطريق دائما لتثبيت حق من الحقوق ، هي مفيدة لشريحة معينة من النخب ، هؤلاء الناس المفكرون أصحاب

رأيي ويأمنون بالدليل والبرهان والبراهين العقلية، ويجادلون فيها. ولكن الحالة العامة بين الناس تبحث عن المشاعر، تبحث عن العواطف، قال رسول الله: «عليكم بدين العجائز»^(٢٩٠). أي دين الفطرة كالعجوز التي تحوك وقد سئلت عن دليل لوجود الله فتمثلت بما في يدها من آلة للحياكة تتوقف إذا رفعت يدها عنها، وهذا الكون بعظمته يسير دون توقف فلا بد من أن يكون هناك من يسيّره، وعليه فهناك راع له هو الله، لاحظوا هذا الدليل البسيط، عجز أمة تستدل على وجود الله.

وهذه الكلمات نفسها تدخل في مباحث فلسفية وعقلية وأدلة واحتجاجات كبيرة ومجادلات. ولا يفهم شيئاً منها سوى عدد محدود من الناس ٥٪، ٣٪ من المجتمع. أما الأغلبية ٩٥٪ فإن ما يفهمونه ويؤثر فيهم هذه الكلمات الواضحة والصريحة، المشاعر والعواطف.

ولذلك نرى القرآن الكريم استخدم أسلوب القصص، وبيّن مفاهيمه العظيمة من خلال قصص الأنبياء، القرآن الكريم مليء بها، لأن القصة يتفاعل معها الإنسان وبذلك يمكن أن تصل المعرفة إلى المبتغى الصحيح، وكذلك اعتبر ما يميز رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسلم خلقه وليس أبحاثه الفلسفية ومجادلاته العقلية. (إنما بُعث لأتمم مكارم الأخلاق)^(٢٩١)، الهدف الذي بعث لأجله رسول الله أن يتمم مكارم الأخلاق، أن يعلم الناس كيف يتعاملون بخلق القرآن، لذا حين يمدح الله تعالى رسوله الكريم يقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢٩٢). ابتسامه، كلمة رقيقة، موقف معين، يمكن أن يقلب قناعات أناس لا تتغير قناعاتهم ولو بمائة دليل فلسفي ومائة دليل عقلي. إذن منهج القرآن هو الجمع بين الجوانب العقلية والفلسفية من ناحية، والجوانب المشاعرية والعواطف والأحاسيس من ناحية أخرى.

الشعائر الحسينية

هذا ما يجعلنا نهتم بموضوعة الشعائر، ترون الشعائر وما لها من قيمة كبيرة في مجتمعاتنا. ربما لو دعوت هؤلاء الناس إلى أن يجلسوا في مؤتمرات فكرية لمناقشة ثورة الإمام الحسين بأبعادها الفلسفية والعقلية وما إلى ذلك ونحلل هذه الثورة بمعطياتها

٢٩٠. ينظر البحار ج ٦٦-ص ١٣٥

٢٩١. سنن البيهقي، ج ١٠-ص ١٩٢

٢٩٢. سورة القلم: الآية ٤

وتأثيراتها على مسار الإنسانية وحركة البشرية، فقد نجد قاعة بمائتي كرسي ربما تمتلئ وربما لا. لكن حين تقام شعائر عامة ترى عشرة ملايين أو اثني عشر أو أربعة عشر مليون نسمة، كل هؤلاء الناس يشاركون ويعبرون بطريقتهم. إذن العواطف والمشاعر لها دور كبير في تحقيق الغايات والأهداف من خلال الرؤية الإسلامية.

مودة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

وهذا ما عبّر عنه رسول الله ﷺ في تعامله مع الحسن والحسين بطريقة مميزة، وهذا ما نجده قد حقق الأثر العظيم، فلذلك تلاحظون أن قضية حب ومودة أهل البيت من القضايا الاجتماعية المتفق عليها بين جميع المسلمين. حتى أصبح الخروج عن هذه المودة والمحبة نطلق عليها بالنصب، والناصب هو الذي يخرج عن حب أهل البيت، يخرج عن الإسلام بإجماع المسلمين، هذه القضية ليس فيها تعدد رؤى. كل المسلمين وبكل انتماءاتهم يعتقدون بأن النواصب خارجون عن الإسلام، وأن مودة أهل البيت هي جزء لا يتجزأ من هوية المسلم ومن شخصيته، وتكرست هذه القناعة وهذه الحقيقة من خلال هذه المشاعر والعواطف أكثر منها عبر الدليل العقلي والبراهين وما إلى ذلك.

والقرآن الكريم اعتمد هذا المنهج بشكل واضح: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٢٩٣)، أجر الرسالة محبة أهل البيت ومودتهم، المودة في القربى، وهذه المودة موقع ومقام ودور يختلف عن دور المرجعية الدينية لأهل البيت الذي يشير إليه حديث الثقلين: (إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي)^(٢٩٤). ذلك يشير إلى مقام آخر من مقامات أهل البيت، هذا مقام المودة والمحبة الذي يتفاعل مع البعد العاطفي والمشاعري لأهل البيت سلام الله عليهم. إذن إذا أردنا أن نوحّد المسلمين علينا أن ندخل من هذا المدخل، مدخل العاطفة ومودة أهل البيت هي المحور الأساسي الذي يتوحد عنده المسلمون جميعاً، وحدثهم وعزّتهم وانسجامهم وقوتهم من خلال التمحور حول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام.

اسمحوا لي من أجل أن نستبين أهمية هذا البعد العاطفي أن أتلو على مسامعكم بعض الروايات في تعامل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مع صاحب هذه الليلة، مع الإمام

٢٩٣. سورة الشورى: الآية ٢٣

٢٩٤. البحار ج ٢-ص ١٠٠، والوسائل ج ٥-ص ١٤

الحسن المجتبي عَلَيْهِ السَّلَامُ . . في المصدر نفسه (بحار الأنوار) في صفحة ٢٦٢ لاحظوا هذه الرواية: (بينما الحسن والحسين يصطرعان عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال النبي: إيها حسن فقالت فاطمة: يا رسول الله تعين الكبير على الصغير؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: جبرائيل يقول: إيها حسين وأنا أقول: إيها حسن)^(٢٩٥). هذان الطفلان الصغيران يتصارعان أحدهما يشجعه جبرائيل والثاني يشجعه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، هنيئًا لهذه الأسرة، هنيئًا لهذه الشخصيات العملاقة والكبيرة.

سيدا شباب أهل الجنة

عن الإمام الصادق عن أبيه الإمام الباقر قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما)^(٢٩٦)، هذه منزلة الحسن والحسين وهذه منزلة علي عَلَيْهِ السَّلَامُ. في رواية أخرى في ٢٧٥ من نفس الجزء^(٢٩٧) عن سلمان المحمدي، سلمان الفارسي، قال: (سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول في الحسن والحسين عليهما السلام (اللهم إني أحبهما . .) وكان الرسول يشهد في محضر الله، (اللهم إني أحبهما فأحبهما) يدعو الله أن يكون الحسن والحسين محبوبين عند الله (وأحب من أحبهما) ورسول الله يطلب أن يكون من يحب الحسن والحسين محبوبا من الله سبحانه وتعالى. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (من أحبّ الحسن والحسين أحبته ومن أحبته أحب الله ومن أحب الله أدخله الجنة ومن ابغضهما أبغضته ومن أبغضته أبغضه الله ومن أبغضه الله أدخله النار)^(٢٩٨).

إذن الجنة والنار بحب علي والحسين وببغض علي والحسين كما يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، اللهم صل على محمد وآل محمد. وعن عبد الله بن بريدة، قال سمعت أبي يقول: (كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يخطب على المنبر فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران فنزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من المنبر، فحملهما ووضعهما بين يديه)^(٢٩٩)، فالرسول حملهما وعاد ليواصل خطابه، هذا السلوك كان حدثًا عجيبًا بالنسبة للمسلمين، فرسول الله بعظمته وأثناء خطابه، يقطع الخطاب

٢٩٥ . البحار ج٤٣-ص٢٦٣

٢٩٦ . البحار ج٢٥-ص٣٦٠

٢٩٧ . المصدر نفسه

٢٩٨ . المصدر نفسه

٢٩٩ . المصدر نفسه

وينزل حتى يعانق الحسينين ، ويأخذ بهما ويعود إلى المنبر ، لم تكن هذه حالة مألوفة في تلك الظروف .

الحسن من صلب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

ولاحظوا هذه الرواية التي وردت في معجم الطبراني بإسناده عن ابن عباس ، وفي تأريخ الخطيب بإسناده إلى جابر بن عبد الله الأنصاري ، وهم من خيرة أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، قال : (إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي من صلبه خاصة وجعل ذريتي من صلبي ومن صلب علي بن أبي طالب إن كل بني بنت ينسبون إلى أبيهم إلا أولاد فاطمة فإنني أنا أبوهم) . في إشارة إلى فاطمة الزهراء ، فما يولد من الزهراء هو من صلب رسول الله ومن صلب علي . إن كل بني بنت ينسبون إلى أبيهم ، والعرب لا تنسب الابن إلى أمه بل ينسبونه إلى أبيه . . وهذا ما قالوه عبر تأريخ طويل :

بنونا بنو أبائنا وبناتنا بنوهنّ أبناء الرجال الأباعد

فابنك هو ابن ابنك ، أمّا أبناء البنت فلا يحسبون عليك . . ولقبه هو لقب والده لا لقب عائلة الأم . هكذا كانت الأمور إلا أولاد فاطمة عَلَيْهِ السَّلَامُ كما يقول رسول الله فإنني أنا أبوهم ، وهذه من النصوص الصريحة التي تدل على أن رسول الله ذريته تمتد من خلال بنته فاطمة صلوات الله وسلامه عليها .

ريحانة الرسول

رواية أخرى أيضا عن أبي بكرة : (كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يصلي بنا وهو ساجد فيجيء الحسن وهو صبي صغير حتى يصير على ظهره أو رقبتة فيرفعه رفعا رفيقا فلما صلى صلاته قالوا : يا رسول الله إنك لتصنع بهذا الصبي شيئا لم تصنعه بأحد ، فقال : إن هذا ريحانتي) (٣٠٠) .

إذن ، كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يصلي فيجيء الحسن وهو صبي صغير حتى يصبح على ظهره أو رقبتة والرسول في حال السجود ، فيحمله على مهل ويرفعه رفعا رفيقا ، فسألوا رسول الله إنك لتصنع بهذا الصبي شيئا لم تصنعه بأحد؟ هذه سلوكية خاصة جدا ، النبي يميز بها الحسن . لاحظوا هذا الإعداد ، هذا تثبيت للدور المميز للإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ في الأمة بحيث أن المسلمين يدؤون يتساءلون عن هذا التعامل الخاص مع

الحسن من قبل الرسول؟. فيقول لهم إن هذا ريحانتي ، وهذه الكلمة كان المسلمون يتداولونها في ما بينهم من أن الحسن ريحانة رسول الله .

وهكذا كلما تلونا روايات في هذا المجال وجدنا عظمة الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه . عن أبي عبد الله الصادق عليه أفضل الصلاة والسلام قال : (قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الولد الصالح ريحانة من الله قسمها بين عباده وإن ريحانتي من الدنيا الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما) (٣٠١) .

وعن سلمان قال : (أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فسلمت عليه ، ثم دخلت على فاطمة عَازِمَةَ السَّلَامِ فقالت : يا عبد الله هذان الحسن والحسين جائعان يبكيان من الجوع ، والزهراء لم يكن لها طعام تطعم الحسن والحسين ، فخذ بأيديهما فاخرج بهما إلى جدّهما ، فأخذت بأيديهما وحملتهما حتى أتيت بهما إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال : ما لكما يا حسناي قالا نشتهي طعاما يا رسول الله فقال النبي اللهم أطعمهما اللهم أطعمهما اللهم أطعمهما ثلاثا ، قال فنظرت فإذا سفرجلة في يد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ شبيهة بقلة من قلال هجر أشد بياضا من الثلج وأحلى من العسل وألين من الزبد ففركها رسول الله بإبهامه فصيّرها نصفين ، ثم دفع إلى الحسن نصفها وإلى الحسين نصفها ، فجعلت أنظر إلى النصفين في أيديهما وأنا اشتيهما ، قال يا سلمان هذا طعام من الجنة لا يأكله أحد حتى ينجو من الحساب) (٣٠٢) . هكذا تعامل رسول الله مع الحسن والحسين .

مكانة خاصة

وهذه رواية أخيرة لنختم بها الحديث : (دخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دار فاطمة عَازِمَةَ السَّلَامِ فقال : يا فاطمة إن أباك اليوم ضيفك ، فقالت عَازِمَةُ السَّلَامِ : يا أبت إن الحسن والحسين يطالباني بشيء من الزاد فلم أجد لهما شيئا يقتاتان به ، ثم إن النبي دخل وجلس مع علي والحسن والحسين وفاطمة عَازِمَةَ السَّلَامِ ، وفاطمة متحيرة ما تدري كيف تصنع ، ثم إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نظر إلى السماء ساعة ، وإذا بجبرائيل قد نزل ، وقال : يا محمد العلي الأعلى يقرئك السلام ، ويخصك بالتحية والإكرام ، ويقول لك : قل لعلي وفاطمة والحسن والحسين : أي شيء يشتهون من فواكه الجنة؟ .

فقال النبي : يا علي ، ويا فاطمة ، ويا حسن ، ويا حسين ، إن رب العزة علم أنكم

٣٠١ . الكافي ج٦-ص٢

٣٠٢ . البحار ج٤٣-ص٣٠٨

جياح فأى شيء تشتهون من فواكه الجنة؟ فأمسكوا ولم يردوا جوابا حياء من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال الحسين: عن إذنك يا أبتاه يا أمير المؤمنين، وعن إذنك يا أماه يا سيدة نساء العالمين وعن إذنك يا أخاه الحسن الزكي أختار لكم شيئا من فواكه الجنة فقالوا جميعا: قل يا حسين ما شئت فقد رضينا بما تختاره لنا فقال: يا رسول الله قل لجبرائيل إنا نشتهي رطبا جنيا فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: قد علم الله ذلك ثم قال: يا فاطمة قومي وادخلي البيت وأحضري إلينا ما فيه، فدخلت فرأت فيه طبقا من البلور، مغطى بمنديل من السندس الأخضر، وفيه رطب جنى في غير أوانه فقال النبي: يا فاطمة أنى لك هذا؟ قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب كما قالت مريم بنت عمران.

فقام النبي وتناوله وقدمه بين أيديهم ثم قال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ثم أخذ رطبة واحدة فوضعها في فم الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: هنيئا مريئا لك يا حسين، ثم أخذ رطبة فوضعها في فم الحسن وقال: هنيئا مريئا يا حسن، ثم أخذ رطبة ثالثة فوضعها في فم فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ وقال لها: هنيئا مريئا لك يا فاطمة الزهراء، ثم أخذ رطبة رابعة فوضعها في فم علي وقال: هنيئا مريئا لك يا علي. ثم ناول عليا رطبة أخرى والنبي يقول له: هنيئا مريئا لك يا علي ثم وثب النبي قائما ثم جلس ثم أكلوا جميعا من ذلك الرطب.

فلما اكتفوا وشبعوا، ارتفعت المائدة إلى السماء بإذن الله تعالى. فقالت فاطمة: يا أبه! لقد رأيت اليوم منك عجبا فقال: يا فاطمة أما الرطبة الأولى التي وضعتها في فم الحسين، وقلت له: هنيئا يا حسين، فإني سمعت ميكائيل وإسرافيل يقولان: هنيئا لك يا حسين، فقلت أيضا موافقا لهما في القول ثم أخذت الثانية فوضعتها في فم الحسن، فسمعت جبرائيل وميكائيل يقولان: هنيئا لك يا حسن، فقلت: أنا موافقا لهما في القول، ثم أخذت الثالثة فوضعتها في فمك يا فاطمة فسمعت الحور العين مسرورين مشرفين علينا من الجنان وهن يقلن: هنيئا لك يا فاطمة، فقلت موافقا لهن بالقول. ولما أخذت الرابعة فوضعتها في فم علي سمعت النداء من الحق سبحانه وتعالى يقول: هنيئا مريئا لك يا علي، فقلت موافقا لقول الله عز وجل، ثم ناولت عليا رطبة أخرى ثم أخرى وأنا أسمع صوت الحق سبحانه وتعالى يقول: هنيئا مريئا لك يا علي ثم قمت إجلالا لرب العزة جل جلاله، فسمعته يقول: يا محمد وعزتي وجلالي، لو ناولت عليا من هذه الساعة إلى يوم القيامة رطبة رطبة لقلت له: هنيئا مريئا بغير انقطاع). صلوا على محمد وآل محمد. (٣٠٣)

هنيئا لكم يا محبي أمير المؤمنين، ويا محبي الحسن والحسين، هنيئا لكم على

هذا الحب وهنيئًا لكم على هذا الولاء، وهنيئًا لكم على هذا الارتباط برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وبأهل بيته الكرام. ونسأل الله أن يحيينا ما حيينا على ولايتهم وأن يميتنا حين يميتنا على محبتهم وولايتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. نكتفي بهذا المقدار واستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الأمسية الخامسة عشرة - بتاريخ ٢٠١١/٨/٢١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين
حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين
وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل . . . إخوتي الأكارم . . . أخواتي الفاضلات . . .

أرحب بكم أجمل ترحيب وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل أعمالكم في أيام هذا
الشهر الفضيل ولياليه ، وأن يوفقنا إلى المزيد من الطاعة والانقياد إلى الله سبحانه وتعالى .

في رحاب الوصي

هذه الليلة الثانية من الليالي المنسوبة لسيدنا ومولانا سيد الوصيين وإمام المتقين وقائد
الغر المحجلين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه الليالي الحزينة المؤلمة التي نستذكر
فيها فجيعة المصاب بسيدنا علي عَلَيْهِ السَّلَامُ . وقد تحدثنا في الليلة الماضية واستعرضنا
العديد من النصوص والروايات الواردة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في فضل علي
عَلَيْهِ السَّلَامُ وفي الخصال التي توافرت في علي وهي خصال الأنبياء ، فقد شبهه رسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالعديد من الأنبياء في خصالهم . وقلنا إن عليا عَلَيْهِ السَّلَامُ في حياته الرسالية
مرّ بأربع مراحل :

المرحلة الأولى : هي السنوات العجاف التي كان فيها في ركاب رسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قبل الهجرة في مكة المكرمة ، التي بلغت ثلاثة عشر عاما قضاها مع
رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في عملية الدعوة والإرشاد والتبشير بالرسالة الإسلامية .

المرحلة الثانية: السنوات العشر التي قضاها علي مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في تأسيس الكيان الإسلامي في مدينة رسول الله والتي تبدأ من أول الهجرة النبوية إلى حين وفاة الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

المرحلة الثالثة: التي تمتد لأكثر من ربع قرن مرت على علي عَلَيْهِ السَّلَامُ من حين وفاة رسول الله إلى أن تسلم الخلافة.

المرحلة الرابعة: هي التجربة السياسية للإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في إدارة دفة الحكم ورعاية شؤون الدولة الإسلامية واستمرت هذه المرحلة أربع سنوات.

شخصية عملاقة وتحديات كبيرة

حينما ينظر الإنسان إلى شخصية عملاقة وإلى أسطورة بحجم علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، مع قطع النظر عن الجوانب الغيبية والمعنوية والعدالة المطلقة التي نعبر عنها بالعصمة لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ كما نعتقد، لو أردنا أن نضع هذه الأبعاد جانبا، وتأملنا في شخصية تمتلك حنكة علي وعلمه وحلمه وشجاعته وخبرته، وأخذنا بنظر الاعتبار طبيعة الظروف والتحويلات التي مرت على علي عَلَيْهِ السَّلَامُ خلال هذه العقود من الزمن والتي راكمت لديه الخبرة إلى حين تصديده لإدارة الحكم في السنوات الأربع الأخيرة من حياته، مع أنه تعلم من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ منذ نعومة أظفاره، حينما ينظر الإنسان إلى شخص يمتلك هذه القدرات والطاقات والإمكانات الكبيرة يظن للوهلة الأولى أن هذا الشخص سيتمكن من إدارة الأمور بشكل لا بد من أن يكون فيه هذا القائد رجل دولة من الطراز الأول وتبرز قدرته على إدارة دفة الحكم بأفضل ما يمكن.

ولكن حينما نراجع هذه السنوات الأربع فإننا نراها مليئة بالحروب والاضطرابات مع الناكثين والقاسطين والمارقين في النهروان والجمل وصفين، ومشحونة بالمشاكل والتحديات والأزمات، يشير هذا الوضع السؤال التالي، لماذا لم يستطع علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يهدئ الأوضاع وأن يدير البلاد بالشكل المناسب دون أن ينجر إلى مثل هذه الحروب الدامية التي راحت ضحيتها أعداد كبيرة من المسلمين من كلا الطرفين؟، وتختلف هذه الحروب عن تلك الحروب والغزوات التي خاضها مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، بأن تلك المعارك كانت في مواجهة الكفار والمشركين ولكن الحروب التي خاضها علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في مرحلة حكمه كانت مع الداخل الإسلامي، وهذه كانت ظاهرة جديدة طرأت بحكم الظروف والتحويلات التي عاشها علي في تلك الحقبة.

فلماذا لم يستطع علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يقود التجربة الإسلامية من دون أن ينجر إلى مثل هذه الحروب؟، وهذا سؤال مهم وحيوي . ويشتد الاستغراب حينما نتعرف على قدرات علي وطاقاته، فشخص بهذه الطاقات والقدرات يفترض أن يتمكن من تذليل العقبات وإدارة البلاد من دون الوقوع في مثل هذه الحروب والأزمات .

إذا أردنا أن نستجلي الإجابة عن هذا السؤال فلا بد لنا من أن ننظر إلى الكتل المنافسة لمنهج الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ والخارطة السياسية في عهده، والوقوف على توجهاتها والتزاماتها وردود أفعالها، لأن عليا كان جزءا من كل، وكان يتعامل مع المجتمع الذي عاصره بكل شرائحه ومكوناته، فلا بد من أن نتعرف على هذا المجتمع وطبقاته ونسيجه الاجتماعي وتوجهاته السياسية حتى نتعرف على السبب الذي حال بين علي وإدارة الوضع من دون الانجرار إلى هذه الحروب والمواجهات .

عقبة الانتهازيين

الخط الأول: الخط الانتهازي: إذا راجعنا أحداث تلك المرحلة، نجد أن هناك توجهها وكتلة سياسية وخطا عاما كان حاضرا في ذلك المشهد، يمكن أن نطلق عليه بالخط الانتهازي . وهؤلاء الانتهازيون لا يعرفون ماهي المصلحة العامة، وهذا المفهوم غير وارد في قاموسهم وكل ما يعرفونه مصالحهم الخاصة، ويتحركون مع الامتيازات والفرص والمواقع ويميلون إلى أي طرف يمكن أن يوفر لهم المكاسب والامتيازات والمواقع والفرص .

ويصطف الانتهازي دائما مع من يعطيه أكثر، ويبحث عن دنياه ويدافع عن مصالحه الشخصية ومنافعه الحزبية والفئوية والطائفية والقومية، ولعل من أبرز الانتهازيين في حقبة علي عَلَيْهِ السَّلَامُ هو عمرو بن العاص الذي كان متفاعلا مع علي وكان عارفا بحقه في صفين، فحينما قُتل عمار بن ياسر رضي الله عليه تذكر الناس مقولة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بحق عمار حيث قال: (يا عمار تقتلك الفئة الباغية)^(٣٠٤)، وحينما انتشر الخبر واستعاد الناس ما كانوا قد سمعوه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حصلت بلبلة في الجيش الأموي في صفين وعرفوا أن جيش الشام هو الفئة الباغية كما عبّر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، إلى أن خدعهم عمرو بن العاص المستشار الخاص لمعاوية بن أبي سفيان، الذي لم يدخر جهدا في تقديم النصيحة وتثبيت أركان حكم معاوية وإضعاف

جبهة علي عَلَيْهِ السَّلَامُ نتيجة الإغراءات المادية ، فقد أعطي عمر بن العاص من خراج مصر والمواقع وجعل المستشار الخاص وباع دينه لهذه المواقع والفرص .

سمات النفعيين

يملك رجال الخطة الانتهازي عادة ، الخبرات والقدرات التي تقرهم من السلطة والحاكم وتجعلهم في مواقع القرار ، وهذا ما نراه في كل زمان ، وفي زماننا هذا أيضا ، حيث نرى أناسا كانوا متصدرين في زمن النظام البائد ويلبسون (الزيتوني) ويرعبون الناس ويستأسدون على المواطنين ، واليوم يعودون إلى نفس المواقع ويمارسون ذات التصرفات ، فكيف حدث ذلك في نظامين مختلفين؟ ، فذاك النظام نظام ديكتاتوري وهذا نظام ديمقراطي ، كيف يعود هؤلاء ويتصدرون ويظهرون في واجهة الأحداث؟ لا ندري كيف حدث ذلك؟ .

تسع سنوات مضت يتعاقب فيها الوزراء على الوزارات ، فما إن يأتي وزير من جهة إسلامية إلا وترى اللحى تطول وتكثر الخواتم ، ثم يذهب هذا الوزير ويأتي وزير علماني ، حيث تحلق اللحى وتلغى مظاهر التدين ويبقى هؤلاء النفعيون يقدمون فروض الطاعة ويتسلمون ذات المواقع ، وحينما نتساءل عن توجهات هؤلاء نرى أن المصلحة تحركهم ، فإذا كان المناخ دينيا فهم أول المتدينين أما إذا تحول باتجاه آخر تحولوا معه أيضا ، فهذه هي سمات الخطة الانتهازي .

يُحاصر المؤمنون في العديد من دوائر الدولة ويضيق عليهم من قبل نفس الأشخاص الذين كانوا متنفذين في العهود السابقة والمعروفين بكتابة التقارير الكيدية على الناس ، والذين يملكون القدرة الإقناعية الكبيرة ، إذ يصل أحدهم إلى المسؤول ويقنعه بإخلاقه وحرصه ، ويتظاهر بالعمل على تثبيت أركانه وإبعاد كل الخصوم والمنافسين في تلك المساحات ، هذه هي أبرز سمات الخطة الانتهازي الذي كان حاضرا بقوة في زمن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ .

الظاهرة المتجذرة

الخط الثاني : هو خط النفاق ونستجير بالله من المنافقين ، وهو أشد خطرا من الخط الأول ، لأن الشخص الانتهازي واضح ويعلم عن نفسه أما المنافق فهو كتلة من العقد والأمراض النفسية ، يظهر شيئا ويبطن آخر . إن خط النفاق هو خط الازدواجية ، والداهليز المظلمة ، خط المواقف العشوائية . وقد يضحي المنافق بمصلحته في سبيل منع الآخرين

من الوصول إليها . أستطيع ومن خلال متابعتي الشخصية أن أجزم بأن الجزء الأكبر من التوترات التي تعيشها القوى السياسية والأطراف الوطنية ناتج من هؤلاء المنافقين الذين يهمس أحدهم في أذن هذا شيئاً ويهمس في أذن الآخر شيئاً آخر ، ويوقع الناس بعضهم البعض ، فتتراكم المواقف على خلفيات ومعلومات مغلوطة .

تعد ظاهرة النفاق وللأسف الشديد من الظواهر المتجذرة في المجتمع الإسلامي منذ اليوم الأول وإلى يومنا الحاضر ، وحينما نراجع القرآن الكريم نجد أن ١٠٪ من آيات القرآن الحكيم ، أي ما يساوي ست مائة آية وردت في النفاق .

يكشف القرآن الكريم عن طبيعة المرض الذي يعيشه المجتمع ويشخص العلة كما يشخصها الطبيب ، ولأنه كتاب هداية فقد جاء ليعالج معضلات وأمراض المجتمع الأخلاقية والاجتماعية ، فلهذا يكرس القرآن الكريم عشر آياته لمناقشة ظاهرة النفاق ، حيث يستعرض المنافقين وأوصافهم ويتناول طبيعة سلوكياتهم ، كيف يتعاملون؟ وما هي طرق الخلاص منهم والخطط السليمة للتضييق عليهم؟ توجد سورة نزلت في القرآن الكريم اختصت بظاهرة النفاق ، هي سورة (المنافقون) ولكن آيات الذكر الحكيم في شأن النفاق وفي معالجة ظاهرة النفاق مبثوثة في أغلب السور القرآنية .

لقد شكلت هذه الشريحة الحساسة خطأ آخر من الخطوط التي واجهها علي عليه السلام ، فهي الكتلة السياسية الثانية في حكومة (الشراكة الوطنية) لعلي عليه السلام بعد كتلة الانتهاز .

الاستقواء بالنصوص

الخط الثالث : هو خط أهل الحديث ، الذي يتصف بالقشرية والسطحية والنظرة البسيطة الساذجة للأمور ، ويحرم هؤلاء كل ما لم يكن موجوداً في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد عُرفوا بالجمود على النص والتقولب بقوالب محددة ثابتة . وقد غاب عن هؤلاء ارتباط الأحكام الشرعية بالمصالح والمفاسد ، فأينما وجدت المصلحة يكون الفعل مستحبا ، وكلما تأكدت هذه المصلحة تحول الفعل إلى واجب ، أما إذا أدى الفعل إلى مفسدة ما فهو محكوم بالكراهية وكلما عظمت هذه المفسدة صار هذا الفعل حراما ، فالأحكام الشرعية إذن مبنية على وجود المصالح والمفاسد .

وقد جمع علماؤنا الروايات التي تحدثت عن علل الشرائع والفواكتبا في ذلك ، ولم يأخذوا الأمور على ظاهرها . من رؤوس أهل الحديث في عهد علي عليه السلام هو أبو موسى الأشعري ، الذي كان عالما وله كلمة مسموعة في الناس وكان عليه أن يظهر الحقائق للناس وينصر عليا

عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ، وَكَانَتْ حِجَّتُهُ أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّهُ «سَتَأْتِي مِنْ بَعْدِكُمْ فِتْنٌ الْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ الرَّابِكِ وَالْجَالِسُ خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ وَالْقَاعِدُ خَيْرٌ مِنَ الْوَاقِفِ وَالنَّائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي»^(٣٠٥) وَنَحْنُ مَالِنَا وَالْفِتْنُ ! . وَهَذَا كَلَامٌ عَجِيبٌ ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ وَصْفُ تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ بِالْفِتْنَةِ مَعَ وَضُوحِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، فَهَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَهُوَ وَصِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَخُوهُ وَهَذِهِ مَكَانَتُهُ وَمَنْزِلَتُهُ ، وَهُوَ لَا يَدْخُلُ فِي مَعَارِكِ طَمَعًا فِي قَضَايَا شَخْصِيَّةٍ وَمَصَالِحِ فِتْوَيَّةٍ ، فَعَلِي عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدَافِعُ عَنِ بَيْضَةِ الْإِسْلَامِ ، وَعَنِ التَّجْرِبَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ . فَهَذِهِ أَيْضًا ظَاهِرَةٌ مِنَ الظُّوَاهِرِ الَّتِي مَرَّتْ عَلَيَّ عَلِي عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهَذِهِ كِتْلَةٌ أُخْرَى مِنَ الْكُتْلِ السِّيَاسِيَّةِ فِي عَهْدِ عَلِي عَلَيْهِ السَّلَامُ .

السياسة في مفهومها الإسلامي

هناك من يقول لا علاقة لنا بالسياسة، ولكن ما هي السياسة التي يقصدها هؤلاء؟، فالسياسة نوعان وصفغان، وهما:

الأول: سياسة المكر والخديعة والتدافع على الدنيا، ونحن جميعا ضد هذا النوع من السياسة، كالتي يتحدث عنها علي عَلَيْهِ السَّلَامُ حين يقول «والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر»^(٣٠٦)، طبعاً مثل هذه السياسة غير مقبولة؛ لأنها ليست ذكاءً أو شطارة، فهناك من يمتلك القيم والمبادئ والمنظومة الأخلاقية، وهناك من لا يمتلك مثل هذه القيم ويفعل ما يريد.

الثاني: في المقابل توجد سياسة أخرى تمثل المعنى الصحيح للسياسة. وقد عبرت عنها الزيارة الجامعة عن رسول الله وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بسياسة العباد، بمعنى خدمة الناس والاهتمام بالمصالح العامة والوقوف عند القضايا الأساسية والجوهرية للأمة، وعلى رأسها إحقاق الحق ونصرة المظلوم.

فكل ذلك يدخل تحت عنوان السياسة بمفهومها الصحيح، فأى سياسة ينفونها المتدين المعترض على الدخول في ذلك؟! أليس أنت مع الناس ومع هموم الأمة، أين أنت من هذه السياسة في معناها الحقيقي، أين أنت من نصرة الحق، نرى مراجعنا العظام يمارسون هذه السياسة التي هي السعي لرفع هموم الناس، فهم يتحدثون ويطالبون بخدمة الناس وحل مشاكلهم. يتصدى مراجعنا وعلماؤنا لهذه المسؤولية، ويهتمون بأمور المسلمين، «من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم». فأين أنت أيها المؤمن من هذه السياسة؟ أين أنت مما يجري؟ وأين دورك وموقفك ووقفك مع الحق؟ ومن

٣٠٥ . تأريخ الطبري - ج ٣ ، ص ٢٨ .

٣٠٦ . نهج البلاغة ٢ : ١٨٠ كلام ٢٠٠ .

كل ما تقدم نعرف أن أبا موسى الأشعري خذل عليا عَلَيْهِ السَّلَامُ تحت يافطة عدم التدخل في السياسة . وهذه هي الكتلة الثالثة التي واجهها علي عَلَيْهِ السَّلَامُ .

المنهج الدوغمائي

الكتلة الرابعة: هو خط الخوارج ، والخوارج أناس أشداء ليس لهم مصلحة شخصية ولكنهم منغلِقون ، ولا يرون الحق إلا من زاوية قناعاتهم ، لا يدعون مجالاً للحوار والكلام والمناقشة ، ولا يعيرون للمصالح والعناوين الثانوية أي اهتمام . فيما راعى الإسلام فقه الأولويات ونوّه بقانون التزاحم ، ولكنهم متشددون و متمسكون برأيهم ، ولا يؤمنون بأي مقترح يعارض قناعاتهم .

ويمكن أن تكون نية أحدهم طيبة ولكن فهمه للأمور فهم خاص ، فهو منغلِق على حالة معينة وغير مستعد لأن يسمع أي شيء آخر . ومما يميز أصحاب هذا الخط أنهم أشداء مستعدون للتضحية بأنفسهم ويقدمون كل شيء . ولعل بعض الظواهر التكفيرية وليس جميعهم ينحدرون من هذا النمط ، لأن بعضاً منهم أصحاب أجندة . لذلك تجد أن عليا عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول «لا تقاتلوا الخوارج من بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه»^(٣٠٧) . وهذه شهادة من علي على أن هؤلاء الخوارج كانوا يطلبون الحق ولكنهم ذهبوا بالاتجاه الخاطئ ، وهؤلاء ليسوا كمن طلب الباطل فأصابه ، فهناك من يملك أجندة ومشاريع ومؤامرات ومخططات للنيل من التجربة السياسية واستهدافها ، ولكن هناك أيضاً من يفهم الأمور بطريقة أخرى وهو لا يقبل أن يسمع أي شيء آخر ، وهؤلاء أيضاً جماعة ابتلي بهم أمير المؤمنين .

نتائج التمرد

حينما رفعت المصاحف بوجه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في تلك المكيدة التي دبرها معاوية بمشورة مستشاره الخاص عمرو بن العاص وقالوا هذا حكم بيننا وبينكم^(٣٠٨) ، جاء الخوارج لعلي وقالوا هل نقاتل كتاب الله! ، وكلما حاول علي أن يفهمهم بأن هذا المصحف رُفِع لمآرب خاصة ، وأنه هو عَلَيْهِ السَّلَامُ القرآن الناطق ، عارضه الخوارج ورفضوا القتال وأرادوا التحكيم حتى كادوا أن يقتلوا عليا ، ولكن عليا عَلَيْهِ السَّلَامُ اضطر تحت هذه الضغوط أن

٣٠٧ . بحار الأنوار - ج ٣٣ - ص ٤٣٤ .

٣٠٨ . ينظر الكامل في التاريخ - ج ٣ - ص ١٩٢ وما بعدها .

يستجيب لهم وذهبوا للتحكيم . اختار علي عبد الله بن عباس وهو شخصية مرموقة وحكيم العرب ولكن الخوارج رفضوا هذا المقترح بحجة أنه من أقرباء الإمام . وعندما أراد علي أن يستبدله بمالك الأشتر رفضوه أيضا وفرضوا أبا موسى الأشعري على علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوة السلاح وحدث ما حدث .

ولكن الخوارج حينما رأوا أنهم قد خسروا الصفقة ورأوا نتائج التحكيم المهينة رفعوا سيفهم بوجه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بحجة تقصير علي في إدارة الأمور ، ونسوا أنهم هم الذين عصوا أمر علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بالقتال واختاروا التحكيم ، ورفضوا الشخصيات التي عيَّنها علي وهم الذين أتوا بأبي موسى الأشعري . فهؤلاء هم الخوارج ، الذين لا يسمعون الرأي الآخر ولا يعرفون طريقا للحوار ولا يعرفون شيئا من فقه الأولويات ، وهذه هي الكتلة الرابعة في حكومة الشراكة الوطنية لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ .

لهذا يتصدى المخلصون

الكتلة الخامسة : خط علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وهم الذين يملكون المنظومة القيمية والأخلاقية ، ويتحركون مع المبادئ وليس لهم مصالح خاصة ، يريدون الخير لهذا الشعب ويعملون ليل نهار من أجل عباد الله ، يفهمون منظومة الأولويات ، عُرفوا بالاتزان والانضباط ، والعمل وفق القواعد والأصول ، يمتلكون رؤية ومشروعاً . ولكنهم لا يملكون من المقاعد الحكومية ما تملكه الخطوط والتيارات الأخرى (خط الانتهاز ، والنفاق ، وخط أصحاب الحديث ، والخوارج) وكان أصحاب خط علي لا يستطيعون أن يتقدموا بشيء ، ولذلك لم يتصد علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لإدارة الأمور وبقي يصلح ويرشد حتى انهال الناس عليه بعد مقتل الخليفة الثالث وطالبوه بان يتصدى وكان رافضاً وأصروا عليه في التصدي لإدارة الحكم .

في حديث معروف لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول : «أَمَّا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ إِلَّا يُقَارُوا عَلَى كُظَّةِ ظَالِمٍ وَلَا سَغْبَ مَظْلُومٍ ، لِأَلْفَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوْلِهَا وَلَا لَفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مَنْ عَفَطَ عَنِّي»^(٣٠٩) أي لولا كثرة الناس وإصرارهم على تصدي علي للحكم «وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ» الحجة الشرعية قامت على علي ، «وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ إِلَّا

يُقَارُوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلَا سَعَبٍ مَظْلُومٍ لِأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسٍ أَوْلَهَا وَلَا لَفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنَزٍ». أي لولا هذا العهد الذي أخذه الله على العلماء في الانتصار للمظلومين وفي الوقوف بوجه الظالمين ، «لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسٍ أَوْلَهَا وَلَا لَفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنَزٍ». فقد أخذ الله تعالى على العلماء أن يتحركوا حينما يكون هناك ناصر، وعلي كان يعرف أن هذه الأجواء وهذه التركيبة غير منتجة للنتيجة التي يريجوها ويتمناها في خدمة الناس، ولكن كان لزاما عليه أن يتحمل المسؤولية.

يعبر علي عليه السلام عن هذا الامتعاظ بقوله: «فَمَا رَاعَنِي» الروع حالة الفلق والخشية، «فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الصُّبُعِ إِلَيَّ يَتَنَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ» الناس حاصروا البيت حتى يستجيب لهم في التصدي وإدارة شؤون الدولة، «حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانَ وَشَقَّ عِظْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ»^(٣١٠)، كان علي عليه السلام يدرك أن هذه الظروف لا تساعد على الانطلاقة الحقيقية، ولا توجد فرصة لتحقيق النجاح، ولكن الحجة الشرعية هي التي دفعت عليا عليه السلام، وفي ذلك درس عظيم بوجود تصدي الناس المخلصين للمسؤولية وخدمة الشعب، ولم يتراجع علي عن أداء دوره في خدمة الناس وتحمل كامل المسؤولية، وتصدى لإدارة الأمور وهو الذي يعرف كل هذه التعقيدات التي عاشها المسلمون في تلك الحقبة الزمنية.

هذه هي مجمل الخارطة السياسية التي عاشها علي عليه السلام وهذه هي التعقيدات التي رافقت التجربة. علي عليه السلام كان يعرف أن النجاح أمر عسير وصعب وغير ميسر، إلا أن قيام الحجة الشرعية بالتفاف الناس وتمحورهم حوله عليه السلام دفعه ليتصدى ويتحمل المسؤولية.



الأمسية السادسة عشرة - بتاريخ ٢٢/٨/٢٠١١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين
حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين
وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل . . . إختوتي الأكارم . . . أخواتي الفاضلات . . .

أرحب بكم أجمل ترحيب وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل أعمالكم في أيام هذا
الشهر الفضيل ولياليه، وأن يوفقنا إلى المزيد من الطاعة والانقياد إليه سبحانه وتعالى .

علي عَلَيْهِ السَّلَامُ .. قدر الأمة

عظم الله أجورنا وأجوركم بمصابنا بسيد الوصيين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين
علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ . في هذه الليلة الحزينة والأليمة، ليلة الحادي والعشرين
من شهر رمضان المبارك، التي تقترن فيها ليلة القدر مع ليلة استشهاد سيدنا ومولانا
أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ . وكما ذكرنا أن هذا الاقتران بين ليلة القدر، ليلة التقدير، ليلة
المراجعة، ليلة الوقفة مع النفس، ليلة التدقيق في ما مضى والنظر في ما هو آت، مع
ذكرى استشهاد علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يحمل رسالة من السماء مفادها أن عليا هو قدر هذه الأمة .
وتحدثنا في الليالي الماضية عن هذا النموذج الأسطورة والشخصية العظيمة وتناولنا هناك
ما يرتبط بفضائله التي خصه بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وبخصاله التي شابها خصال
الأنبياء والأولياء والصالحين، فهو وصي لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

الارتباط الفكري

أثرنا في الليلة الماضية سؤالاً مهماً يخطر في أذهاننا عن سبب اندلاع الحروب الداخلية وتفشي الأزمات السياسية والأمنية في فترة حكم علي عليه السلام، مع أنه وبقطع النظر عن أبعاده المعنوية والمقامات الخاصة التي نؤمن بها لعلي من العدالة المطلقة والعصمة لهذه الشخصية العملاقة، فهو مع ذلك رجل مخضرم مرت عليه عقود مليئة بالمواقف والتجارب وكان قبل ذلك إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم منذ نعومة أظفاره وإلى حين رحيله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقد تجاوز علي الستين من العمر يوم تصدى لخلافة المسلمين الخلافة الظاهرية، فكانت حياته الشريفة مليئة بالتضحية والجهد والعطاء والظهور في صلب الأحداث.

وكم من الخبرة والتجارب يمكن أن تتراكم لدى الإنسان حتى لو كان إنساناً عادياً وكيف إذا كان بمنزلة علي؟، رجل بهذه الخبرة والحكمة وهذه القدرات الفاتكة ولكنه حين يتصدى إلى إدارة الحكم نجد السنوات الأربع التي حكم فيها سنوات مليئة بالحروب والاضطرابات والمشاكل السياسية والأمنية. وهذا سؤال مهم يطرح في تقييم شخصية علي، وإنما نتحدث بمثل هذه الأبحاث في هذه الليالي الشريفة لأننا نؤمن بأن الارتباط بعلي لا يراد له أن يكون ارتباطاً عاطفياً صرفاً، وإنما ارتباطاً فكرياً منهجياً نتعرف فيه على حقيقة علي، ونقف فيه على منهجه ومشروعه، ليتسنى لنا أن نقف به عليه السلام.

إننا ندع ونؤمن لعلي بالإمامة، ولكن لنا أن نسأل عن خصوصية الإمام. ونجد ما يمكن أن يجيب عن ذلك في صلاة الجماعة، فإذا كبر إمام الجماعة كبر الناس معه، وإذا ركع ركع الناس، وإذا سجد سجد الناس معه، فالإمامة تعني الاقتداء وتعني السير على نهج الإمام، ولا قيمة للحب لعلي إلا حينما يكون حبا عن بينة وبصيرة واتباع لعلي ولنهجه ومشروعه. وكما ورد في الحديث القدسي عن الله سبحانه وتعالى: «من أحبني أطاعني». تعتبر الطاعة المعيار والمقياس الحقيقي للحب وصدق الادعاء. فيا من تدعي حب علي عليه السلام، ويا من تلهج بذكر علي عليه السلام عليك أن تتفهم وتتعرف على مشروع علي ونهجه، حتى تسير خلفه وتكون هذه المحبة محبة صادقة وحقيقية ومتجذرة.

الخلافة مسؤولية شرعية

ونعود للسؤال الذي أثرناه، لماذا لم يستطع شخص بخبرة علي وكفاءته أن يدير دفة الحكم؟، وتكون فترة حكمه مليئة بالاضطرابات والحروب والمشاكل. استعرضنا في

الليلة الماضية التيارات السياسية الفاعلة في عهد علي والمشاركة في حكومة الشراكة التي أسسها علي مع هذه التيارات. وهذه الخطوط هي خط الانتهازيين، وخط النفاق وخط أصحاب الحديث، وخط الخوارج، ويضاف إلى هذه التيارات الأربعة تيار خامس وهو تيار الاستقامة والثبات، تيار علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وتشكلت حكومة الشراكة من هذه الكتل الخمس، الأمر الذي لا يسمح لعلي بأن يتحرك بمفرده أو بجماعته على قلتهم مع هذه التيارات المعارضة لنهجه وسياسته التي أسهبنا في الحديث عنها في الليلة الماضية وعن سماتها وذكرنا أبرز رجالها إلى غير ذلك، وانتهينا إلى علة تصدي الإمام إلى الحكم مع رصده ومعرفته للمشاكل والعقبات التي تحول بينه وبين الوصول إلى الحكومة الناجحة والعادلة، إذ كان يمكنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يعتزل الأمر كما جلس في بيته قبل ذلك لخمس وعشرين سنة. وكان يمكنه التنصل والاعتذار ورفض التصدي للمسؤولية في ظل هذه الظروف المعقدة.

وعرفنا أن عليا عَلَيْهِ السَّلَامُ صنع ذلك ورفض، ولكن أقيمت الحجة عليه باجتماع الناس والتفافهم حوله، وقد بين ذلك بقوله: «لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ إِلَّا يُقَارُوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلَا سَغَبَ مَظْلُومٍ حَبَلَهَا عَلَى غَارِبَهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوْلِيهَا» فالخلافة في نظر علي لم تكن مكسبا وامتيازات وإنما هي مسؤولية شرعية، وكانت حجة لله على علي عَلَيْهِ السَّلَامُ تأكدت بالتفاف الناس حوله، فكان لزاما عليه أن يتصدى لما أخذه الله على العلماء في ألا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لأن موقع العالم ودور المؤمن يوجب التصدي وتحمل المسؤولية تجاه الناس ويعارض السكوت على مظلومية يقع فيها مظلوم ولا يداهن الظالم في ظلم يرتكبه بحق الناس. يجب أن ترتفع الأصوات اليوم في الانتصار لكل ظلامة، والوقوف بوجه كل ظالم ومظلومة يقوم بها أي من الناس، وهذا ما أخذه الله من التزام علي العلماء والمؤمنين وعلى الصالحين.

الدرس الكبير

كان علي مضطرا إلى قبول هذا المنصب مع علمه بالنتائج، وفي ذلك درس عظيم يدعوننا إلى عدم التنصل عن المسؤولية، والذي يتنصل عن المسؤولية بحجة الابتعاد عن السياسة والزهد في الحكم فإنما يبحث عن راحته ويريد الابتعاد عن المشاكل، وإذا ابتعد الصلحاء فمن يتصدى لهذه المواقع؟ وإذا انسحب المخلصون والشرفاء والوطنيون

والطيبون والصالحون من مواقع المسؤولية وتركوا الساحة للانتهازيين والمنافقين والخوارج والمتشددين والمتطرفين وأصحاب المكائد والأجندات والمؤامرات وما إلى ذلك، فمن الذي يقف للناس ويحل مشاكلهم وينتصر لقضاياهم؟ لقد تصدى علي عليه السلام لمسؤولية الحكم بالرغم مما كان يعرفه جيدا عن النتائج بعد أن قامت الحجة بوجود الناصر والتفاف الناس فتحمل أعباء المسؤولية وشد العزيمة في المضي قدما في هذا المشروع.

المبادئ أولاً

وينفتح هنا سؤال آخر وهو، بعد أن قرر علي عليه السلام أن يتصدى لإدارة شؤون البلاد والعمل في المنظومة السياسية، ما الذي جعله يعرض عن مستلزمات الحكم المتعارفة وقواعد السياسة التي لا يتخلى عنها الحكام إلى يومنا هذا؟ ومن أبجديات تلك القواعد هو ضمان الولاء وكسب التأييد من الزعماء السياسيين والوجوه الاجتماعية من خلال الهبات المالية ومنح المناصب والامتيازات، وهذا ما لم يعمله علي ولم يكن في يوم من الأيام جزءاً من سياسته.

يأتيه طلحة والزبير ويجلسان عنده ويتحدثان عن أدوارهما ومواقعهما وعرضا ثمن تأييدهما لعلي عليه السلام، وبينما هم عنده يعمد إلى السراج فيطفئه، ويقول انتظرا قليلا فموضوعكما خاص وهذه الشمعة المشتعلة من أموال المسلمين، وأشعل شمعة أخرى من ماله الخاص. وكانت هذه رسالة مدوية، واستأذنا على إثرها وخرجا من عنده. فلماذا لم يقربهما ولم يعط لهما المناصب تمشية للأمر؟. والجواب، لقد شخّص علي عليه السلام حجم الانحراف وحجم الإرباك في المشهد السياسي آنذاك والعادات الخاطئة التي تشبّع بها الناس في تلك المرحلة، فوجدها أكبر من أن تمكنه من الاحتفاظ بالحكم مع الاحتفاظ بالمبادئ، فلا سبيل إلى تعزيز الملك وتقوية أركان الدولة الفتية إلا باستخدام الوسائل والأدوات التي تتعارض مع مبادئه وقيمه، والتي تتقاطع مع الأهداف التي دفعته إلى تسلّم منصب الخلافة.

بين خيارات ثلاثة

فكان عليه السلام بين خيارات ثلاثة وهي:

١: الانسحاب من التصدي لهذا الموقع، وهو خيار غير ممكن بعد أن قامت الحجة الشرعية باجتماع الناس من حوله.

٢: أن يسير باستحقاقات الحكم ويتنازل عن مبادئه، وأي قيمة للحكم الذي يجعل علياً يتنازل عن مبادئه، في الوقت الذي يتصدى فيه استجابة للموقف الشرعي والتزاماً بمبادئه؟، فكيف له بعد ذلك أن يتنصل عن تلك المبادئ؟.

٣: ويبقى الخيار الأوحده، أن يستمر أمير المؤمنين في الحكم ولكن ليس للاحتفاظ بالحكم وإنما لإيصال رسائل أخرى ولتثبيت حقائق أهم من دوام الخلافة، بعد أن أعرض عن تلك الخلافة التي لا تثبت إلا ببعض المساهمات والمساعدات والامتيازات المحدودة لهذا أو ذاك. يمتلك علي من الصلاحيات الشرعية ما يمكنه من أن يقدم مثل هذا العطاء وأن يبقى بعض الناس وأن يجري بعض التعديلات، ونحن نعرف أن علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ أبقى وثبت كل القضاة الذين كانوا على العهد السابق إلا شريحاً القاضي، مما يعني أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ وظف هذه الصلاحيات. وتختلف شروط التعيين في منصب القضاء في العهد الذي سبق خلافته عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الشروط التي حددها لاختيار القضاة، لكنه مع هذا أبقى على أولئك القضاة، فالمسألة لا تنحصر بتنازلات متواضعة أو بسيطة، بل كانت ترتبط بتنازلات ترتبط بمبادئ علي التي لا يسمح أبداً بالمساس بها فضلاً عن التنازل عنها. فما هي الأهداف التي استهدفها علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الفترة؟.

لم يعمل علي للبقاء في الحكم والاحتفاظ بالسلطة، لأن هذا الأمر يحتاج إلى سياقات وإجراءات غير الإجراءات التي اتخذها علي عَلَيْهِ السَّلَامُ. ويمكن تلخيص الأولويات التي استهدفها علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في ثلاثة أمور:

دين الله لا يقاس بالرجال

١- الدفاع عن الإسلام، الحفاظ على عقيدة المسلمين، وقد كرّس علي عَلَيْهِ السَّلَامُ حياته من أجل بقاء العقيدة الإسلامية عقيدة ناصعة وواضحة لجميع المسلمين. وهذا ما نلاحظه اليوم في بعض المقتطفات من أقواله في نهج البلاغة، وهي مليئة بالعلم والمعرفة والرؤية والتحليل والتدقيق في شؤون الحياة وفي شؤون العقيدة من وجهة نظر الإسلام.

فكان ناطقاً رسمياً باسم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يشرح ويوضح ويبين ويحلل من أجل أن يتفقه الناس في دين الله ويفهموا ما جاء به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فالإسلام كعقيدة كان موضع اهتمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا المنهج يكشف عن ارتباط كل سلوك منحرف بالمسلمين وليس هو مشكلة الإسلام، يوجد اليوم عدد من المتدينين في مواقع الحكم، فمنهم الرئيس والوزير والمدير، فهل يتحمل الدين تبعاته من ينحرف من هؤلاء؟. لا يؤاخذ الدين بأخطاء المتدينين فهي لم تصدر بقرار ديني لكي يتحملها

الدين ، فحينما تكون هذه الأخطاء نتيجة هوى ورغبات وانطباعات واجتهادات لهؤلاء الناس فلا يتحمل الدين تبعات أخطائهم . اليوم يدان الإسلام بأخطاء بعض المتدينين ، والذين يلبسون حلة الدين والدين منهم براء ممن لم يتعرفوا على الدين إلا حينما ارتبطت مصالحهم به ، كما يقول الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ : «الدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت مصالحهم فإذا محّصوا بالبلاء قل الديانون»^(٣١١) . فالحفاظ على العقيدة الإسلامية وصيانة الشريعة كانت هدفا من أهداف علي عَلَيْهِ السَّلَامُ .

مهمة الترشيد

٢- رعاية الكيان الإسلامي ، فقد اهتم علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذا الأمر في كل الغزوات التي شارك فيها من قبل ، وضحى بالغالي والنفيس وقدم في هذا السبيل وجوده الطاهر من أجل الحفاظ على الكيان الإسلامي ، ولم يتخل عن مهمة الترشيد والتقويم والنصيحة التي قدمها للخلفاء بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لحين تسلمه مقاليد الحكم في مدة تقرب من خمسة وعشرين عاما ، وتشير الكلمات المشهورة التي صدرت من الخلفاء إلى دوره البارز في ذلك ، ومن أشهرها ما ورد عن عمر بن الخطاب «لولا علي لهلك عمر»^(٣١٢) ، «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن»^(٣١٣) وغير ذلك من الأقوال التي قالها الخلفاء والصحابة .

ولم يقف علي هذه الوقفة إلا من أجل رعاية الكيان الإسلامي ، فهو القضية الأهم ، فالحفاظ على الدولة الفتية هي المسألة المهمة وإن حصل اختلاف في التفاصيل ، وهذا ما نعبر عنه اليوم في مصطلحاتنا بالاهتمام وصيانة المشروع السياسي ، وتسريع العملية السياسية وحماية الدولة وكيانها ، وكان علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يحرص على المحافظة على هذا الكيان .

خيار المواجهة المسلحة

٣- الحفاظ على الإسلام كأمة ومجتمع ، وقد اهتم علي عَلَيْهِ السَّلَامُ برص صفوف الأمة وتوحيدها . يفسر لنا هذا الهدف إعراض علي عَلَيْهِ السَّلَامُ عن خيار المواجهة المسلحة لاستعادة حقه في الخلافة ، فهو الخليفة المنصوب بنص رسول الله وطالما ذكر المسلمين

٣١١ . بحار الأنوار - ج ٤٤ - ص ٣٨٣ .

٣١٢ . بحار الأنوار - ج ١٠ - ص ٢٣١ ، ج ٣٠ - ص ١١١ .

٣١٣ . بحار الأنوار - ج ١٠٩ - ص ٣٦ .

بهذا الحق في كلماته وخطبه . ولكنه عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يتحرك وهو الشجاع والقادر على إرباك الأوضاع لاستعادة حقه الضائع . لعل من الأسباب الأساسية التي أبعدت هذا الخيار هو أن المسلمين كانوا حديثي عهد بالإسلام ، وأنتم تعرفون أن القطاع الأكبر من المسلمين انتحلوا الإسلام في عام الفتح ، يقول تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (٣١٤) ، وعام الفتح هو نفس العام الذي توفي فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحِينَمَا رَجَعَ مِنَ الْحَجِّ فِي شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ تُوُفِّيَ فِي صَفَرٍ ، وعليه هناك مساحات كبيرة من المسلمين لا تعرف من الإسلام إلا بعض المعلومات العامة وتوفي رسول الله . فلو دخل علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في معركة داخلية قد يترد الناس عن الإسلام لما يرونه من قتال بين المسلمين أنفسهم .

تثبيت المبادئ

رأى علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه إذا دخل في معركة فماذا يمكن أن يقول الناس؟ ، هل هذا هو الإسلام ، هل هؤلاء هم أصحاب رسول الله الذين يتقاتلون ويتصارعون فيما بينهم؟! وهذا ما قد يجعل البعض يترد عن الإسلام . وقد يطول الوقت حتى يفهم هؤلاء أن هذه المعركة ليست من أجل الكراسي والمناصب وإنما هي لقضية مبنية على حق واعتبارات وامتدادات ترتبط بالدفاع عن نظرية معينة ، كما يقول الصحابي الجليل سلمان الفارسي : «والله لو وليتموها عليا لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أرجلكم» (٣١٥) ، فعمد علي عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى تجميد حقوقه وجلس في داره وبدأ يتعامل بإيجابية لتقويم الأمور وتصحيح المسارات حفاظا منه على الأمة الإسلامية وعلى وحدتها وتماسكها وارتباطها بالإسلام . فالإسلام إذن ، عقيدة وكيانا وأمة ، يمثل أولوية أساسية لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ في تصديه لهذا الموقع . واليوم وبعد ألف وأربعمائة سنة تجد المستشرقين والمسيحيين والناس البعيدين عن أجواء علي ، حينما يراجعون حكم علي بن أبي طالب يكتبون ويؤلفون مؤلفات تعبر عن دهشتهم لهذا المنهج في الحكم الذي يستهدف تثبيت المبادئ .

ومن هذا المنطلق ، يجب أن تثبت الدستور ونعريف الناس عليه بقطع النظر عن الاختلافات وعن وجهات النظر المتعددة في بعض مواده ، ومن بعد ذلك يتم تقويم السلوك الخاطئ في وقت آخر . ولكن إذا فقدت البوصلة وضاع الدستور وانتهكت حرمة فلن يبقى حجر على حجر ، في بلدنا مثلا ، حينما تتخاصم أطراف معينة يتم الرجوع

٣١٤ . سورة النصر : الآيات ٣ ، ٢ ، ١ .

٣١٥ . الاحتجاج للطبرسي ١/١٥٢

إلى الدستور وإذا حصل اختلاف في تفسير فقرات الدستور يتم اللجوء إلى المحكمة الاتحادية، فالمهم هو وجود مرجعية معينة وإطار واضح يُرجع إليه، فإذا حصل اختلاف في السلوك يمكن أن يعالج، ولكن الأمر الخطير حينما تغيب الرؤية ويضيع المشروع ويتلكأ فهم هذا المشروع.

لقد رأى علي عليه السلام الواقع المنحرف الذي لا يمكن معالجته أو تصحيحه، فاتّجه للحفاظ على الرؤية وعلى الإسلام وقدم رعاية الكيان الإسلامي والحفاظ على الدولة الإسلامية، وحافظ على وحدة الأمة وعلى وحدة وتماسك الشعب، وبعد ذلك يمكن اللجوء إلى تقويم الخلل، وهذا هو المبدأ الأول والأولوية الكبرى التي اعتمدها علي عليه السلام في فترة حكمه.

حقوق المواطنة

الهدف الثاني هو المساواة وهو ما نطلق عليه اليوم حقوق المواطنة، فما دام المواطن في هذه الدولة فله حق وعليه التزامات، ومن غير الصحيح أن تختل هذه المعادلة ويفرق بين مواطني البلد الواحد على أسس قومية أو دينية أو مذهبية، ويتم التفاضل في العطاء والاختلال في الحقوق، يتساوى الجميع في أيام الحرب ويقفون سواسية للدفاع عن الوطن وتقديماً للتضحيات دون أن يلتفتوا إلى عريية هذا المواطن أو أعجمية ذاك.

ولم تقتصر التضحيات على حزب بذاته ولا جماعة دون غيرها، فالجميع يقاتلون ويقدمون التضحيات. واليوم وحينما يحين وقت بناء الدولة ويحل زمن الحصول على الامتيازات يتم التمييز بين المواطنين، فيحصل الفرّاش مثلاً حينما يعمل في الرئاسات على الملايين في حين يحصل المدير العام في دائرة أخرى على مئات الألوف، فأين وجه العدالة في هذه القضية؟! أليس الكل يعمل في الدولة العراقية كموظفين، فلماذا هذا الفارق؟!.

لقد طرح علي عليه السلام مبدأ المساواة ووقف يدافع عنه حتى الموت، إلى الحد الذي يأتيه أخوه عقيل وهو الرجل الصالح الطيب الذي كان مكفوف البصر ولا يستطيع العمل، وأولاده يتضورون من الجوع، وهو مع ذلك لا يريد أموالاً من أجل السياحة في دولة أخرى، بل غاية ما طلبه بعض الشعير لصبيته الجوعى، فما كان من علي عليه السلام إلا أن جاء بحديده حامية وقربها من عقيل الذي ظن أنها أموال يعين بها أولاده وأهله الجياع، فمسكها وصرخ من ألم حرارة الحديد، فسأله عقيل عن السبب في هذا العمل، فقال له

علي عَلَيْهِ السَّلَامُ إن هذه حديدة أردت أن أمازحك بها ووضعتها قليلا على النار ولكنك لم تتحملها فكيف تريد مني أن أتحمل نار يوم القيامة^(٣١٦).

إذا لم أطبق المساواة على نفسي وعلى أخي وعلى عائلتي فلن أستطيع تطبيقها وتحقيقها على الآخرين، فالكل سواسية عند علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ولا فرق بينهم في هذا الموضوع، إن المساواة في الحقوق والواجبات مبدأ مهم من المبادئ التي دافع عنها عَلَيْهِ السَّلَامُ ورسخها خلال فترة حكمه.

الحرية السياسية

المبدأ الثالث الحرية السياسية، نجد في سيرة السابقين مبدأ يقول: من كان معنا فمرحبا به ولكن من لم يكن معنا فسوف يتعرض للمشاكل حتى لو كان أبا ذر الغفاري، الذي نفوه إلى الريدة بعدما كان ينتقد ويعترض على الخروقات التي حصلت بعد وفاة الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وكذلك الصحابي عمار بن ياسر حينما اعترض على قضية معينة أرسلوا الجند وداسوا على بطنه حتى أصيب بالفتق وغيرهما كثير.

أراد علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يضع أساسا جديدا في حرية التعبير عن الرأي، فمن حَقك أن تعترض وتختلف معي حتى لو كنتُ على صواب وأنت على خطأ، فإذا كان لدي منطق يمكن أن أقنعك ولكن من حَقك أن تعبر عن رأيك، لقد شجع عَلَيْهِ السَّلَامُ على حرية الحديث والمعارضة السلمية للحاكم. وهذه هي سيرته مع الخوارج الذين بدؤوا معارضتهم بالكلام، وأخذوا يبثون الإشاعات ويخلقون المشاكل، ولكن عليا عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يواجههم بأكثر من النصيحة والموعظة وتوضيح الأمور، ولما حملوا السلاح وقطعوا الطريق تصدى لهم وشهر السلاح بوجههم. تحمّل أمير المؤمنين الأمرين وكان بإمكانه ألا يعطيهم الفرصة في المعارضة وخلق المشاكل.

توجد نصوص كثيرة في تراثنا الإسلامي تمثل توجهات وقراءات إسلامية أخرى تشير إلى أن الحاكم يجب أن يطاع في كل الأحوال؛ لأنه ولي الأمر، ولا يخفى أن هذه الثقافة نشأت في عهد معاوية الذي كان يدفع الأموال لأناس محددين حتى يتقولوا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بمثل هذه الأقاويل وينسبوا له هذه الروايات التي تمنحه الحصانة.

لم يكن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ محتاجا لوضع الأحاديث واختلاق الروايات، فالناس كانوا معتادين نتيجة السلوكيات والأداء السابق على هذه الطريقة من تكميم الأفواه ومصادرة

الحرية وحرمة الاعتراض على الحاكم والوقوف بوجهه ، وكان بمقدور علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يسير على هذا النهج ما دام الناس معتادين على ذلك ، ولكن علياً لم يكن يفكر بمصالحة الشخصية ولم يكن يفكر في تسهيل مهمة الحكم لنفسه وإنما كان يفكر في كيفية وضع الضوابط السليمة والإطار الصحيح الذي يعمل به اللاحقون . واليوم حينما نقف ونقول إن الإسلام يدعم الحرية السياسية فإنما نستند إلى النصوص من ناحية وإلى سلوك علي من ناحية أخرى في الحرية السياسية .

لقد وضع علي مثل هذا الإطار وهذه الرؤية في الحكم وفي إدارة الأمور التي جعلت العالم ينظر له بدهشة ، وقدم بذلك صورة ناصعة بقيت واضحة شفافة بالرغم من كل السلوكيات الخاطئة والمشاكل التي لاحظناها خلال ألف وأربعمائة سنة ، من أعمال ومواقف وردود أفعال جاءت باسم الإسلام ولكن الإسلام منها براء . ووضع الأسس الصحيحة في بناء الدولة والمجتمع والأسس السليمة في العقيدة الخالصة بين الإنسان وربه .

علي أمة في رجل

ونحن في هذه الليلة الشريفة نستذكر منهج علي ، «علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار»^(٣١٧) . الحق يدور مع علي ، كلنا ندور حول الحق والحق يدور حول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لأن علياً منهج ، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْعَالِيُونَ﴾^(٣١٨) القرآن يعبر عن علي بالذين آمنوا ، بالجمع ؛ لأن علياً أمة وهو مشروع وهو لا يمثل شخصه ، والذي ينتهج نهج علي ويسير في طريقه ويدور في فلكه فقد سلك الطريق الصحيح وهدى إلى الصراط المستقيم .

المنهج الصحيح هو منهج علي ؛ لأنه منهج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، منهج الإسلام ، والمشروع الصحيح هو مشروع علي الذي يجسد مشروع رسول الله ، مشروع الإسلام ومشروع السماء ، وهذا الذي يجب أن نعمل به . فسلام عليه يوم ولد ويوم ضحى وقدم وجاهد ويوم استشهد لترتفع روحه إلى السماء شهيداً له هذه المكانة العالية وهو معروف في السماء قبل الأرض . سلام عليه وجعلنا الله من السائرين على نهجه ومن الآخذين بمشروعه ، مشروع الإسلام الأصيل ، مشروع الوسطية ، مشروع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

٣١٧ . ميزان الحكمة - ج ٦ - ص ١٥ ، بحار الأنوار - ج ٣٨ - ص ٢٩ ، ٣٩ ، ١٨٨ .

٣١٨ . سورة المائدة : الآية ١٥٥ ، ١٥٦ .

الأمسية السابعة عشرة - بتاريخ ٢٣/٨/٢٠١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين
حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين
وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل . . . إختوتي الأكارم . . . أخواتي الفاضلات . . .

أرحب بكم أجمل ترحيب وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل أعمالكم في أيام هذا
الشهر الفضيل ولياليه، وأن يوفقنا إلى المزيد من الطاعة والالتقياد إلى الله سبحانه وتعالى .

سلاح ذو حدين

كان حديثنا في الليالي الماضية من هذا الشهر الفضيل عن منظومة الحقوق في النظرية
الإسلامية وقلنا إذا أردنا أن نتحدث عن مجتمع قوي فالقوة تكمن في تماسك المجتمع
وانسجامه، وإذا أردنا أن نصل إلى مجتمع متماسك فالتماسك والانسجام إنما يكون في
حقوق معرفة لأبناء هذا المجتمع، وكلما تحدثنا عن الحقوق فعلياً أن نتحدث عن الواجبات
والالتزامات؛ لأن الحق لأي منا هو التزام من الآخرين تجاهنا بهذا الحق والعكس صحيح،
فالحديث عن منظومة الحقوق في الرؤية الإسلامية هو حديث عن الواجبات والحقوق،
والحقوق والواجبات وجهان لعملة واحدة ولا يمكن التفكيك بينهما .

وقلنا إن هذه الحقوق قد تكون حقاً لله سبحانه وتعالى على عبده وقد تكون حقاً
للنفس على الإنسان وقد تكون حقاً للجوارح على الإنسان وقد تكون حقاً للإنسان على
الإنسان بعناوينه المختلفة، كحق الأب على الابن وحق الولد على أبيه والزوجة على
زوجها وبالعكس وحق الجار على الجار إلى غير ذلك .

وانتهينا للحديث عن حق اللسان على الإنسان ، وقلنا إن اللسان نعمة عظيمة ، ولكنه سلاح ذو حدين يمكن أن يوظف توظيفاً صحيحاً لطاعة الله ونشر الهدى ونقل المعرفة والمعلومة في الإطار الصحيح فيكون سبباً في سعادة الإنسان ويمكن أن يوظف لا قدر الله ، في اتجاهات خاطئة فيكون سبباً في الضلال والانحراف ويؤدي بالإنسان للشقاء في الدنيا والآخرة .

المسؤولية المضاعفة

قلنا إن الله سبحانه وتعالى في قرآنه حينما يتباهى بنعمه يذكر نعمة البيان «علمه البيان» ، وتشير الآيات القرآنية إلى أن اللسان والبيان يمثلان حالة متميزة في النعم الإلهية تستحق أن تقارن بخلق السموات والأرض ، كما ذكرنا في الآيات الشريفة . ونتيجة لهذه الأهمية الكبيرة للسان نجد أن المسؤولية الملقاة على اللسان مسؤولية مضاعفة وكبيرة وعظيمة وجليلة . والسبب في ذلك ، أن هذا اللسان مهم جداً وتأثيره كبير في حياة الإنسان سلباً أو إيجاباً ، فالمسؤولية المترتبة عليه مسؤولية عظيمة ، نتيجة لحجم الأخطار التي يمكن أن يقع فيها الإنسان من جراء اللسان .

نجد أن هناك تأكيداً كبيراً على موضوع الصمت والسكوت وعدم الحديث إلا عند الضرورة . لنقرأ أولاً العبارات التي يتحدث فيها إمامنا زين العابدين الإمام السجاد عليه السلام في قضية حق اللسان فيقول «وأما حق اللسان فأكرامه عن الخنى وتعويده الخير ، وحمله على الأدب ، وإجمامه إلا لموضع الحاجة والمنفعة للدين والدنيا وإعفاؤه عن الفضول الشنعة القليلة الفائدة التي لا يؤمن ضررها مع قلة عائدتها ويعد شاهد العقل والدليل عليه وتزين العاقل بعقله وحسن سيرته في لسانه ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»^(٣١٩) .

قلنا إن الخنى هو كلام السوء وهذا اللسان أجل وأكرم من أن يتفوه بالسوء ، ويجب أن تجله وتكرمه عن الوقوع في حديث السوء «وتعويده الخير» عود لسانك على أن يكون سبباً في إشاعة الخير ، وأن يكون حديثه حديث خير وبركة وتذكير بنعم الله سبحانه وتعالى ، «وحمله على الأدب» ، فكلمة واحدة وقضية جانبية تقال بطريقة متشنجة يمكنها أن تخلق مشكلة عويصة وكبيرة وتتسبب في نزاع وخصومة وربما تسفك بسببها الدماء . ويمكن أن تطرح نفس الفكرة وتكرر الكلمة ذاتها ولكن بطريقة مهذبة فتكون سبباً في الألفة والمحبة والاحترام والتقدير .

«وإجمامه إلا لموضع الحاجة»، فالمطلوب هو منع اللسان من الحديث إلا إذا اقتضت الحاجة «والمنفعة للدين والدنيا» أو إذا كان هناك مصلحة دينية أو دنيوية، فلا بأس أن تطلقه بمقدار ما يحقق تلك المصلحة، «وإعفاؤه عن الفضول الشنعة» أغفه عن الحديث الذي يمتاز بالزيادة السلبية، الذي فيه ثرثرة وإزعاج وحديث غير موفق، «القليلة الفائدة التي لا يؤمن ضررها»، حينما يكثر الحديث تكثر الزلات والأخطاء والمشاكل وقد يقتنص الآخرون من حديثك ما يضرك ويسيء إليك «مع قلة عائدتها» فلا تعود عليك تلك الأحاديث الجانبية بفائدة تستحق الخوض فيها، بل قد تجلب لك بعض المشاكل والتبعات.

التشجيع على الصمت

ويعد - أي اللسان - «شاهد العقل والدليل عليه»، اللسان دليل على العقل و«المراء مخبوء تحت لسانه»^(٣٢٠)، ما إن يتحدث حتى تعرف قيمته ووزنه، «وتزين العاقل بعقله وحسن سيرته في لسانه» ويمكننا معرفة وزن هذا الإنسان من خلال سلوكه وتعامله وحديثه وحسن لسانه، فإذا تحدث بحديث جيد وكريم فهذا دليل على أن هذا الإنسان يحكم عقله ويفكر به وإلا فإن عقله معطل، ومع الأسف هناك الكثير من هذا النوع. قد يجمد البعض عقله فيقع في مطبات فعلى الإنسان التأمل والتفكير قبل اتخاذ أي موقف من المواقف، «ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، يتعوذ الإمام زين العابدين بالله من أجل السيطرة على اللسان وتوظيفه في الاتجاه الصحيح.

إن استخدام اللسان بطريقة عشوائية ليتحدث بما يريد وينطق بما يشتهي لا ينتج إلا المشاكل، وهذا دليل على أهميته وخطورة دوره. ونلاحظ أن الثقافة الإسلامية هي ثقافة التشجيع على الصمت وقلة الحديث إلا عند الحاجة، كما لاحظنا في هذه العبارة التي ذكرها الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ. فحينما يكثر حديثك سوف تتحدث بأمر خارجة عن الإطار الصحيح وتقع في مطبات أنت في غنى عنها، كالذي يتنزه في حقل من الأغنام.

ومتى ما أطلق اللسان صار مظنة الوقوع في المخاطر. فلا تكثر الحديث غير المفيد أو غير الضروري. وإلى هذا يدعو الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله: «لا يزال الرجل المؤمن يكتب محسنا ما دام ساكتا فإذا تكلم كتب محسنا أو مسينا»^(٣٢١)، فما دام الإنسان المؤمن

٣٢٠. نهج البلاغة، ج ٤ - ص ٣٨

٣٢١. بحار الأنوار - ج ٦٨ - ص - ٢٧٧، ٣٠٧.

ساكتا فهو في قائمة المحسنين ، لكن نفس هذا الإنسان إذا تحدث فقد يبقى في قائمة المحسنين وقد يتحول إلى قائمة المسيئين بحسب طبيعة الكلام الذي يصدر منه .

ثمرات حفظ اللسان

وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضا ، قال : « قال لقمان لابنه : يا بني إن كنت زعمت أن الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب »^(٣٢٢) . وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أمسك لسانك ، فإنها صدقة تصدق بها على نفسك »^(٣٢٣) ، فالإمساك عن الكلام صدقة ، ومدخل لكمال الإنسان ، وهي صدقة تقدمها لنفسك حينما تمسك اللسان وتخلص نفسك ، لأنك إذا نطقت لا تعرف إلى أين يصل بك الكلام ، ثم قال : « ولا يعرف عبد حقيقة الإيمان حتى يخزن من لسانه »^(٣٢٤) . تظهر حقيقة الإيمان حينما تمسك اللسان وتسيطر عليه ولا تطلقه إلا بالمفيد وعند الحاجة .

وعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال « نجاة المؤمن في حفظ لسانه »^(٣٢٥) ، ما دمت حافظا للسانك فإن النجاة مضمونة ومحفوظة لك ولكن ما إن تطلق اللسان بطريقة عشوائية حتى تستعد للباء والمشاكل . وعن أبي بصير قال سمعت أبا جعفر الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول : « كان أبو ذر (رحمه الله) يقول يا مبتغي العلم إن هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر ، فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك »^(٣٢٦) . فكما يخزن الإنسان الأشياء الثمينة أيضا ، فلا بد له من أن يحفظ لسانه ولا ينطلق إلا عند الحاجة والضرورة ، أيضا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه »^(٣٢٧) .

العورة والخلل والثغرة تظهر حينما يطلق هذا اللسان بأحاديث لا تورث إلا الندم ولا يفيد حينئذ التبرير ، والموقف الذي تتخذه ساعة الانفعال موقف غير مدروس ، فاكظم الغيظ في ساعة الغضب إلى أن تهدأ ، وفي ذلك الوقت تستطيع التفكير بالقرار الصحيح والخطوة الصائبة لمعالجة هذا الموضوع أو ذاك ، يقع العذاب حينما تحصل

٣٢٢ . بحار الأنوار - ج ٦٨ - ص ٢٨٨-٢٨٩ .

٣٢٣ . بحار الأنوار - ج ٧٥ - ص ١٧٨ .

٣٢٤ . ميزان الحكمة - ج ٤ - ص ٢٠ .

٣٢٥ . الكافي ج ٢ - ص ١٦٧ .

٣٢٦ . ميزان الحكمة - ج ٤ - ص ١٧ .

٣٢٧ . عوالي اللآلي - ج ١ - ص ٤٠ .

الزلة والانحراف وما دام الإنسان غاضبا فهو في مظنة الوقوع في الانحراف في كل وقت .
«ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره»^(٣٢٨) ، فالله سبحانه وتعالى يقبل عذر المستغفرين
والمنيين . جعلنا الله وإياكم من التائبين ومن المستغفرين في هذا الشهر الفضيل .

الصمت عبادة

عن صفوان بن سليم قال ، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «ألا أخبركم بأيسر العبادة
وأهونها على البدن ، الصمت وحسن الخلق»^(٣٢٩) ، فالصمت عبادة ، وحسن الخلق
عبادة ، فهذه الابتسامة يجب أن تكون حاضرة . فعن أمير المؤمنين : «الله الله في القرآن
لا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ»^(٣٣٠) . لو أراد أحدنا اليوم أن يدخل في ميدان التسويق فعليه
أولا أن يدخل دورة تسويق ، فأول مفتاح من المفاتيح في نجاح العمل هو أن تبسم ،
كلما قال لك الزبون شيئا ، يجب أن تقول له نعم ، حتى لو كان ما يقول خطأ ، فعليك أن
تقول هذا صحيح ، يجب أن تكون صبورا ويجب أن تكون مبتسما وتعطي الحق للزبون
في كل الأحوال ، ولكن هذه هي قواعد ومبادئ الإسلام ، «المؤمن هس بش» . تفنن في
استخدام المفردات الرقيقة واللطيفة ، حسن الخلق عبادة ؛ لأنه يحل مشاكل كثيرة ويوثق
عرى العلاقة والصدقة بين الناس .

وعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثر
ذنوبه ومن كثر ذنوبه كانت النار أولى به»^(٣٣١) ، فكلما تكلم الإنسان كثيرا تكثر معه
السقطات «ومن كثر سقطه كثر ذنوبه» الذنوب هي السقطات والخروج عن جادة
الصواب «ومن كثر ذنوبه كانت النار أولى به» ، فلا بد من أن نسيطر على هذا الأمر .
ونتيجة لهذه الأخطار العظيمة والفادحة جاءت التوصية بالصمت وقلة الحديث ؛ لأن
الحديث والكلام واستخدام اللسان تفتح علينا طريقا لها أول وليس لها آخر من مشاكل
وتحديات وألغام .

استثمار الوقت

ومن الآفات والأخطار التي يمكن أن يقع فيها الإنسان جراء استخدام اللسان .

٣٢٨ . عوالي اللالكلي - ج ١ - ص ٤٠ .

٣٢٩ . جامع الأحاديث - ج ٢ ص ٤٣٤ ، فيض القدير ج ٣ ص ١٠٣ .

٣٣٠ . نهج البلاغة - الكتاب ٤٧ .

٣٣١ . شرح أصول الكافي ج ١ - ص ٣٥٠ .

أولاً: الحديث بما لا يعنيه. ومن ذلك حب الاستطلاع والدخول في خصوصيات الناس، وكثرة السؤال والتدخل في الشؤون الشخصية للآخرين وبلاستفسار عن قضايا الآخرين، وهذا كله يوقع الطرف المقابل في إحراجات كثيرة. يأمرنا المنهج الإسلامي بترك السؤال عن كل قضية لا تعيننا ولا تخصنا، لندع الآخرين وخصوصياتهم وشؤونهم الشخصية ولا نتدخل فيها. هذه الأمور فيها مضیعة للوقت وفيها مخاطر للإنسان حينما يتفحص ويتعرف على خصائص الناس وأسرارهم وقد يقع في الحرام ويوقع الآخرين في الحرام والمعصية.

ولذلك لاحظنا في حديث الإمام السجاد «وإجمامه إلا لموضع الحاجة والمنفعة للدين والدنيا» عند الحاجة والمنفعة وأكثر من هذا لا تطلق اللسان. عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إن أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكراً». الإنسان الصالح يكون سكوته ذكراً؛ لأنه يسكت عن وعي كامل ولا يتفوه ولا يتحدث «ونظروا فكان نظرهم عبرة». فالمؤمن لا ينظر إلى كل شيء، وإنما يركز على ما فيه فائدة وفيه درس له في حياته، هناك من يضع كرسيه في الطريق وينظر للذاهب والمقبل ويبحث عن عشرات الآخرين بلا مبرر، بحجة قتل الوقت، مع أن الوقت ثمين ويجب استثماره في أمور مفيدة، «ونطقوا فكان نطقهم حكمة». الإنسان الصالح لا ينطق إلا حينما يكون هناك منفعة للحديث وحكمة يقولها للآخر ويفيد الآخرين بكلامه، «ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة»^(٣٣٢). يكون حضوره حضور خير وبركة وفائدة فحيثما حل حلت البركة معه، وفي الآية الشريفة ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ﴾^(٣٣٣)، البركة تحل بوجوده؛ لأنه ليس له مواقف عشوائية.

سلامة الصدر

عن محمد بن كعب قال، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة» بينما رسول الله كان جالسا مع أصحابه فأخبرهم بأن أول شخص يدخل من هذه الباب هو من أهل الجنة، فترقب المسلمون مجيء هذا الشخص، «فدخل رجل اسمه عبد الله بن سلام فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله فأخبروه بذلك وقالوا أخبرنا بأوثق عملك في نفسك ترجو به» ما هو أفضل عمل قمت به وتعتقد بأن هذا

٣٣٢. بحار الأنوار ج٦٦ - ص ٢٨٩

٣٣٣. سورة مريم: الآية ٣١.

العمل هو الذي يدخلك الجنة، «فقال أنا لضعيف» أنا إنسان بسيط وليس عندي أعمال خاصة ولست من العباد والزهاد المعروفين ولست من العلماء، «وإن أوثق ما أرجو به الله سلامة الصدر وترك ما لا يعينني» عندي في هذه الدنيا سلامة الصدر، قلب نظيف وحسن الظن بالآخرين والصفح عنهم، فليس عندي أحقاد ضد أحد من الناس، وهذا يذكرنا بمن يقاطع أخاه لعشرين سنة، لا يسلم عليه ولا يصله ولأسباب تافهة، ثم يضيف هذا الصحابي شيئاً آخر وهو، «ترك ما لا يعينني»، فلا أتدخل في القضية التي لا تعينني ولا أقترّب منها، هذا شعاري في الحياة، فضمن الجنة بهاتين الخصوصيتين. دخول الجنة ليس بالأمر الصعب ولكنه في نفس الوقت ليس بالأمر الهين ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(٣٣٤)، فالقلب الطاهر النظيف وعدم التدخل في ما لا يعنيه أدخلنا هذا الرجل البسيط الجنة.

وقال أبو ذر رضي الله عنه: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن، ثقيل في الميزان؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: هو الصمت، وحسن الخلق، وترك ما لا يعينك»^(٣٣٥)، العمل بهذه العناوين الثلاثة يضمن الجنة ويثقل ميزان الأعمال عند الله تعالى، نسأل الله تعالى أن يوفقنا لذلك وألا نتحدث إلا بالمفيد وعند الحاجة وألا نتدخل في شؤون الناس وخصوصياتهم.

٣٣٤ . البقرة - ٢١٤ .

٣٣٥ . إحياء علوم الدين - ج ٤ - ص ١٨٤ .

الأمسية الثامنة عشرة - بتاريخ ٢٤/٨/٢٠١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل . . . إخواني الأكارم . . . أخواتي الفاضلات . . .

أرحب بكم أجمل ترحيب وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل أعمالكم في أيام هذا الشهر الفضيل ولياليه ، وأن يوفقنا إلى المزيد من الطاعة والانقياد إليه سبحانه وتعالى .

قال الله في كتابه العزيز ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ : إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿ صدق الله العلي العظيم^(٣٣٦) .

نزول القرآن بين مفهومي

نقف في هذه الليلة العظيمة بين يدي الله سبحانه وتعالى ، فهي ليلة المغفرة والتوبة والإنابة التي تفتح فيها أبواب السماء وتنزل الملائكة من السماء إلى الأرض ، تبحث عن المقبلين على الله سبحانه وتعالى بعيون دامعة وقلوب منكسرة ، الذين يعيشون حالة الخشوع والخضوع لله سبحانه وتعالى . إنها ليلة الأجر ، ليلة العبادة والطاعة ، فهنيئاً لمن يدرك هذه الليلة ويعيش أجواءها الروحية والمعنوية ولمن يعطيها حقها .

ليلة تحسم وتقدر فيها أمور كثيرة ترتبط بوجود الإنسان كما سنشير ، ليلة القدر ليلة

٣٣٦ . سورة القدر ١-٥ .

التقدير وحرى بنا ونحن نستعد لإحياء هذه الليلة أن نتهياً نفسياً وروحياً ، حتى نحظى بالسعادة العظمى ونأخذ الأجر والجزاء العظيم من الله سبحانه وتعالى على ما قدمنا من صيام وقيام في هذا الشهر الفضيل .

لاحظنا في هذه السورة الكريمة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أن القرآن نزل في ليلة القدر ، والمفهوم من هذه الآية الشريفة ، أن القرآن بمجمله قد نزل في ليلة القدر وهذا ما يعبر عنه بالإنزال من باب إفعال أنزل يُنزل إنزالاً ، حيث يستخدم للحالة الدفعية ، الفجائية . حينما تقوم بالشيء دفعة واحدة تقول (أنزلنا) ، وحينما تقوم به على مراحل ، أي بالتدريج ، يقال (نزلنا) فتستخدم باب التفعيل (نزل ينزل تنزيلاً) ، فالحالة الدفعية يستخدم فيها (إنزال) ، والحالة التدريجية يستخدم فيها (تنزيل) ، ولذلك نجد أن الآيات القرآنية تتحدث تارة عن إنزال القرآن وتارة عن تنزيل القرآن . ويمكن الجمع بين المفهومين بناءً على أن جوهر القرآن وحقيقته والإطار العام والخطوط العريضة للرسالة الإسلامية وللقرآن الكريم نزلت على قلب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مثل هذه الليلة ، ثم جاء التفصيل خلال ثلاثة وعشرين عاماً حيث نزلت تفاصيل هذه الحقيقة في مناسبات مختلفة .

كيف نحدد ليلة القدر

يؤكد هذا النزول الدفعي في ليلة القدر أيضاً ما ورد في سورة الدخان ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾^(٣٣٧) والمقام هنا ليس مقام إخبار بل هو مقام إنذار (إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ) وإلقاء الحجة على العباد ، يا عباد الله حقيقة القرآن نزلت في مثل هذه الليلة فاعرفوا قيمة هذه الليلة وتعاملوا معها بما تستحق .

ويقابل ذلك آيات تحدثت عن تنزيل القرآن التدريجي خلال ثلاثة وعشرين عاماً ، ومنها قوله تعالى : ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^(٣٣٨) ، (أي : فصلناه ، وبيناه وشرحناه) ، وهنا يأتي دور التدريج ، فلا يتلاءم النزول الدفعي مع تفصيل هذه الحقيقة تفصيلاً يرتبط بهموم الناس وقضاياهم اليومية والحياتية إلى غير ذلك .

ويؤكد ذلك ما يعرف بشأن النزول ، فكل آية من الآيات نزلت في سبب ما على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هناك إذن تفصيل وتبيان وشرح لهذه الآيات . ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ وقد استخدم في هذه الآية لفظ ﴿تَنْزِيلًا﴾ دون ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ ؛ لأن

٣٣٧ . سورة الدخان : الآية ٣ .

٣٣٨ . سورة الإسراء : الآية ١٠٦ .

الحديث فيها عن النزول التدريجي للقرآن الكريم على مدار ثلاثة وعشرين عاما في مقابل النزول الدفعي في ليلة القدر ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ و﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبَارَكَةٍ﴾ .

يشير القران الكريم بوضوح إلى نزول القرآن في شهر رمضان في قوله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ أما الآيات السابقة فتقول إن القرآن نزل في ليلة القدر ، وبالجمع بين الآيتين ، نعرف أن ليلة القدر هي واحدة من ليالي شهر رمضان المبارك ، ولا يحدد القرآن الكريم أي ليلة من شهر رمضان هي ليلة القدر ، وإنما الروايات الواردة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته الكرام هي التي تشير وتحدد ليلة القدر من بين ليالي شهر رمضان .

وإذا سألت سائل هل أن القرآن الكريم يؤكد أن ليلة القدر في شهر رمضان ، نقول نعم ؛ لأن القرآن الكريم يؤكد أن القرآن نزل في شهر رمضان ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ ويقول في سورة أخرى إن القرآن نزل في ليلة القدر ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ فلا بد من أن تكون ليلة القدر في شهر رمضان ، ولكن أي ليلة من لياليه؟ هذا ما لم يتحدث عنه القرآن الكريم .

ليلة التقدير

ماذا تعني ليلة القدر؟ ، القدر يعني التقدير ، وهذا يعني أن في هذه الليلة تُحسم أمور الإنسان ويقدر له ما ستؤول إليه أموره خلال السنة القادمة ابتداءً من هذه الليلة إلى ليلة القدر من السنة القادمة ، من سعادة وشقاء وحياة وموت ، ومن مرض ، ومن زواج ، من حج ومن شراء بيت أو حدوث مشكلة أو انفراج هم ، في هذه الليلة يقدر للإنسان ما ستؤول إليه أموره من خير أو شر ، من تطور أو تراجع ، وهذا يدل على أهمية وعظمة هذه الليلة . يحاول الإنسان في ليلة الامتحان أن يستعد للنجاح والعبور ، لذا نراه يعيش حالة القلق في يوم الامتحان ويجد ويجتهد ليحصل على الدرجة المناسبة .

ونسأل الله ألا يتبلي أحداً بمثل ما ابتلي به شبابنا في العراق ، حيث أن بعض الأساتذة يتفنون في وضع أسئلة لا تنتج إلا رسوب الطالب ، وكأن هذا هو الهدف المنشود . ونجد وللأسف نسب النجاح نسباً متواضعة ، فهل المشكلة في الطلاب؟ ، شبابنا العراقي لا يفهم؟ ، عقولهم ناقصة؟ أشك في ذلك ، فالعراقيون معروفون بتفوقهم والحمد لله . بل هناك مشكلة في الوسائل والآليات وفي طبيعة الاختبار إلى غير ذلك . على كل حال ، كما نقلق في يوم الامتحان ، لأنه يمثل حصيلة سنة بكاملها ، فعلينا أن نقلق في ليلة القدر ،

فنحن لا نعلم ماذا سيكتب لنا وما يقدر في سنة قادمة من هذه الليلة إلى ليلة القدر في السنة القادمة .

يشير القرآن الكريم إلى أن ليلة القدر هي ليلة الحسم ، ليلة التقدير ، كما في سورة الدخان : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(٣٣٩) . ومعنى يُفْرَقُ : يُفْصَلُ ، ويُحْصَمُ ، إذن في هذه الليلة يُحْصَمُ ويتخذ القرار الإلهي في ما ستؤول إليه أمورنا خلال سنة كاملة أخرى ، وحين ترد الأفعال بصيغة المضارع يحسم ، يتخذ قرار معين ، يفرق ويقدر ، فهذا دليل على أن هذه الليلة ليلة متكررة في كل عام وليست ليلة واحدة في العمر ، ففي كل سنة هناك قرار وحسم .

فيا أيها الإنسان تدارك واستفد من هذه الفرصة وتعامل بطريقة سليمة وانفتح على الله بنحو تضمن لنفسك السعادة خلال السنة القادمة . وهذا ما نفهمه من الآية الشريفة أيضا ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ ﴾ ، فيفرق فعل مضارع يدل على الاستمرارية والتجدد ، يفرق أي يفصل في كل سنة في ليلة القدر ويحسم ويفرق أمر الإنسان لسنة قادمة أخرى .

ينقل الشيخ الطوسي عن تفسير البرهان عن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله القدر شيء يكون على عهد الأنبياء ينزل عليهم فيها الأمر فإذا مضوا رفعت ؟ قال : « لا بل هي إلى يوم القيامة »^(٣٤٠) . يدل هذا الحديث على استمرار ليلة القدر في كل عام إلى يوم القيامة في شهر رمضان من كل سنة قمرية . وفي ذلك إشارة إلى عظمة ليلة القدر وأهميتها ، إذ يُحدد مصيرنا في هذه الليلة خلال سنة كاملة .

الحرمان الحقيقي

لاحظوا ماذا تقول هذه الرواية الشريفة عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ في جوابه لسليمان المروزي : « يا سليمان ليلة القدر يقدر الله عز وجل فيها ما يكون من السنة إلى السنة ، من حياة أو موت أو خير أو شر أو رزق فما قدره في تلك الليلة فهو من المحتوم »^(٣٤١) .

ويوجد في بعض الروايات أن الذي لا يدرك ليلة القدر ليس لديه فرصة للتدارك إلا في يوم عرفة ، إذ يمكن للفرد أن يعوض ما فاته من بركات هذه الليلة حينما يقف للدعاء

٣٣٩ . سورة الدخان : الآيات - (٤ ، ٥ ، ٦)

٣٤٠ . الميزان - ج ٢٠ - ص ١٨٧ .

٣٤١ . بحار الأنوار - ج ٩٤ - ص ١٤ - الحديث ٢٤ - نقلًا عن عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ ج ١ ص ١٨٢ .

في عرفة . ولكن هذه الليلة مازالت بين أيديكم ونحن في أولها أيضا . قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هذا شهر رمضان شهر مبارك افترض الله صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنان ، وتصفد فيه الشياطين ، وفيه ليلة خير من ألف شهر ، فمن حرمها حرم »^(٣٤٢) . فالذي يحرم من إدراك ليلة القدر ، ولا يعرف قيمتها والذي لا يحييها الإحياء الصحيح ، ولا يستثمرها ، ولا يوظفها للدعاء وللتضرع إلى الله والصلاة فهذا هو المحروم .

وقد أشار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ذلك في خطبته التي خطبها في آخر جمعة من شهر شعبان حيث يقول : « الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر الفضيل »^(٣٤٣) . فالذي يحرم من ليلة القدر هذا هو المحروم . مسكين هذا الإنسان فإنه سيضيع سنة كاملة من يده ؛ لأنه حرم من هذه الليلة ، ويكرر ذلك رسول الله ثلاث مرات . فالحرمان الحقيقي لمن يحرم من حقيقة ليلة القدر . وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضا : « من صام شهر رمضان إيمانا واحتسابا . . . »^(٣٤٤) ولم يقصد به الرياء بل يصوم هذا الشهر إيمانا واحتسابا ، وتقول إلهي أصوم هذا الشهر طاعة لوجهك الكريم وقربة لك يا الله ، مخلصا لله سبحانه وتعالى .

صوم الشاكرين

نسمع في هذه السنة عن كثير ممن يتجاهرون بالإفطار ويبحثون عن أسباب للإفطار قد لا يكون الكثير منها صحيحا ، وقد أراد الله منا هذه الطاعة فكيف يمكن لنا أن نفطر ثم نتجاهر بالإفطار . أيها الشاب ، أيها العزيز ، أيها الشيخ الكبير . . . ، إن الله يستحق أن نتحمل قسطا من الجوع والعطش طاعة له وشكراله على النعم التي أنعمها علينا وحصولا على هذا الأجر العظيم والثواب الجزيل . وحتى لو أراد البعض أن يعصي والعياذ بالله ، يبقى الوفاء شيئا طيبا ، ويجب على الإنسان أن يكون وفيا ، فإذا أنعم عليك إنسان بنعمة تشعر أنك مدين له ، فإن كل ما لدينا هو من الله فكيف يكون الوفاء له سبحانه ، لكن لو أراد شخص لسبب ما أن يعصي بل حتى لو كان من ذوي الأعذار فلا يجوز له أن يتجاهر بالإفطار أمام الناس .

أيها الإنسان حافظ على حرمة هذا الشهر الفضيل ، اتق الله في شهر رمضان . يبين رسول الله نتيجة هذا الصوم الخالص بقوله « غفر الله ما تقدم من ذنبه » ، تخرج من شهر

٣٤٢ . بحار الأنوار - ج ٩٣ - ص ٣٦٦ .

٣٤٣ . بشارة المصطفى - ج ٣٦ - ص ١١ ، ميزان الحكمة - ج ٤ - ص ١٢٣ .

٣٤٤ . بحار الأنوار - ج ٧٩ - ص ١١٥ نقلا عن أمالي الطوسي ج ١ ص ١٤٩ .

رمضان وذنوبك كلها مغفورة ليعود الإنسان كيوم ولدته أمه لا ذنب له . ويأخذ الجائزة في يوم العيد وهو أبيض نقي طاهر إذا كان صيامه خالصا لوجه الله سبحانه وتعالى ، ثم يعقب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالقول : «ومن صلى ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر الله ما تقدم من ذنبه»^(٣٤٥) الليلة ليلة المغفرة لكل ما تقدم من ذنوب قد صدرت من الإنسان ، في هذه الليلة إذا قمت بالأعمال خالصة لوجه الله الكريم سبحانه وتعالى أخذ الله على نفسه ألا يبقى لك ذنبا وتخرج في فجر هذا اليوم ولا ذنب لك ، فهنيئا لكم أيها المؤمنون .

لا يأس مع التوبة

توجد آية شريفة في القرآن لا تخاطب المؤمنين وإنما تخاطب العصاة والمذنبين ، فالله سبحانه وتعالى يريد أن يتكلم مع عباده العصاة من المسلمين وليس الكفار أو المشركين فيقول : «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ» لم يقل تعالى قل للعصاة أو للمذنبين ، بل قل لعبادي ولكن الذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تيأسوا من رحمة الله ، لا يوجد في التعامل مع الله شيء ليس فيه خط رجعة ، فمهما صدر منك يا إنسان تذكر قول الله لا تقنطوا ، وسبب عدم القنوط في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ ، مهما يكن من أمرك فهناك فرصة للعودة والرجوع ، وليلة القدر هي يوم العودة وعلى كل واحد منا أن يراجع نفسه وأن يفكر ويتأمل ويطلب الصفح والغفران من الله تعالى فالاعتراف بالخطأ فضيلة .

الاعتراف بالذنب في محضر الله وليس في محضر آخر يمنع إشاعة الفاحشة . يجب عليك أن تحاسب نفسك وتراجع عملك بينك وبين الله في هذه الليلة ، وتذكر الأخطاء والمعاصي لا سمح الله ، من أجل أن تتطهر وتتركى . قل لعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله ، لا تيأسوا من رحمة الله مهما كان الذنب الذي صدر من الإنسان ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٣٤٦) ، تذكر هذه الآية العصاة والمذنبين بوجود فرصة للتدارك ، وليلة القدر هو الوقت المناسب لأن يقطع الإنسان عمله المحرم ويرجع إلى مكانه الصحيح .

٣٤٥ . المصدر السابق

٣٤٦ . سورة الزمر : الآية ٥٣

الليلة المباركة

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ هذا ليس سؤال، وإنما هو بيان لأهمية هذه الليلة، ولذلك نرى استخدام الاسم وتكرار استخدامه وهو دليل على الأهمية، إن تكرار لفظ ليلة القدر بالاسم الظاهر لثلاث مرات متتالية رسالة تكشف عن أهمية ليلة القدر. ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أفضل من ألف شهر في العبادة، يعني أن الأجر والثواب للعبادة في هذه الليلة الواحدة يعدل الأجر والثواب لألف شهر فيما سواها، وهو شيء عظيم لمن يدرك ذلك وهو ما يعبر عنه في سورة الدخان ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾ ومن أسباب بركاتنا ما نقرأه في سورة القدر، ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ﴾ يعني تنزل الملائكة ﴿وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ ويمكن أن نفهم هذا الروح من قوله تعالى في آية أخرى ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (٣٤٧).

فالملائكة والروح تنزل في هذه الليلة الموصوفة بأنها ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾. السلام والسلامة تشمل الصحة من المرض البدني ومن المرض المعنوي، لأن الذنوب والمعصية مرض، عصيان الله والتمرد عليه سبحانه مرض، وفي ليلة القدر يحصل الإنسان على السلامة والصحة من جميع هذه الأمراض في إشارة إلى العناية الإلهية في هذه الليلة.

عن زرارة قال: قال أبو عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «التقدير في ليلة تسع عشرة، والإبرام في ليلة إحدى وعشرين، والإمضاء في ليلة ثلاث وعشرين». تشير هذه الرواية إلى وقت ليالي القدر، وهناك روايات كثيرة تشير إلى أن ليلة القدر هي إحدى ليال ثلاث أو كلها، والليالي هي ليلة التاسع عشر وليلة الحادي والعشرين وليلة الثالث والعشرين.

التقدير والإبرام والإمضاء

وتقول بعض الروايات إن ليلة القدر إحدى هذه الليالي الثلاث دون أن تحدد واحدة منها. فيما تشير روايات أخرى إلى أن هذه الليالي الثلاث كلها ليلة القدر كما في الرواية التي ذكرناها الآن، ففي كل ليلة يتم جزء من التقدير والحسم في أمور الإنسان. بعض الناس كانوا يلحون على النبي والأئمة الأطهار بأنهم لا يستطيعون إحياء هذه الليالي

الثلاث فكان التخيير بين إحدى ليلتين فقط ومن ثم همس النبي في أذن بعض الصحابة الذين لا يستطيعون إحياء ليلتين أن احيوا ليلة الثالث والعشرين وهي ليلة القدر الكبرى .

وبالعودة إلى الرواية السابقة، يقول الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «التقدير في ليلة تسع عشرة» في هذه الليلة تقدر الأمور «والإبرام في ليلة إحدى وعشرين»^(٣٤٨) الاختيار والفلتره والمراجعة تكون في الليلة الحادية والعشرين «والإمضاء في ليلة ثلاث وعشرين» يعني المصادقة النهائية على تقدير الأمور لسنة كاملة تكون في هذه الليلة .

وعن أبي جعفر عليه السلام: «إِنَّ الْجُهَنِيَّ أَتَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ لِي إِبْلًا وَغَنَمًا وَغِلْمَةً، فَأَحَبُّ أَنْ تَأْمُرَنِي لَيْلَةَ أُدْخِلُ فِيهَا، فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَدَعَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَسَارَهُ فِي أُذُنِهِ. قَالَ: «فَكَانَ الْجُهَنِيَّ إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ، دَخَلَ بِإِبِلِهِ وَغَنَمِهِ وَأَهْلِهِ وَوُلْدِهِ وَغِلْمَتِهِ الْمَدِينَةَ فَإِذَا أَصْبَحَ خَرَجَ بِأَهْلِهِ وَغَنَمِهِ وَإِبِلِهِ إِلَى مَكَانِهِ»^(٣٤٩) مما يعني أن الرسول قال له إذا لم تستطع أن تأتي في ليلتين فيكفيك المجيء في ليلة الثالث والعشرين .

يصاب الإنسان بحالة من الكسل والنعاس والتعب في ليلة القدر، وهذا ما نلاحظه في دعاء أبي حمزة الثمالي، ويتعلق هذا الأمر بما نسميه بالتوفيق، إذ تحتاج ليلة واحدة تقدر فيها شؤون العباد لسنة كاملة إلى مزيد من التوفيق الإلهي لإحيائها ويساعد الدعاء الجماعي على إحيائها بعيدا عن الكسل والخمول بالإضافة إلى متابعة الفضائيات التي تحيي هذه الليلة بالدعاء والزيارة وما إلى ذلك؛ لأن بقاء الإنسان مستيقظا في هذه الليلة هو بحد ذاته سبب لنيل الرحمة الإلهية .

شهر الدعاء

نرى في الآية التي نتحدث عن الصيام وعن شهر رمضان في سورة البقرة: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾^(٣٥٠) . . . ثم تأتي بعدها آية عجيبة لا نظير لها في القرآن الكريم، فريدة ووحيدة بهذا النفس وبهذه الطريقة وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا

٣٤٨ . الكافي - ج ٤ - ص ٢٢٣ .

٣٤٩ . انظر: بحار الأنوار ٧٨: ١٧ ح ٢٣ .

٣٥٠ . سورة البقرة: الآية ١٨٥ .

دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿٣٥١﴾ . هذه الآية الوحيدة التي يستعمل فيها ضمير المتكلم المفرد سبع مرات .

ثم إن النسبة إلى الذات تكشف عن القرب والصلة وعن المحبة والمودة وهي حالة عامة تشمل الإنسان وغيره . ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾ لم تقل سألك الناس أو المؤمنون ، بل قالت (عبادي) وهذا هو الضمير الأول ، ثم قالت (عني) ، لم يقل (الله) بل قال عني ، ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ ، لم يقل إذا سألك فقل لهم أنا قريب ، لا بل هو يقول ويوجه الخطاب مباشرة إلى السائل ، يا رسول الله إذا سألك عني فإنني قريب ، ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ أجيب فعل مضارع وفيه دلالة على أن هذه الاستجابة مستمرة ، متى ما طلبوا فأنا أجيب ، ﴿إِذَا دَعَانِ﴾ الداعي هو الذي يدعو ، ولكن الآية حصرت الإجابة بالداعي الذي يدعو (إذا دعان) ويمكن أن نفهم منه وجود داع يدعو وداع لا يدعو ، فهناك دعاء لا يعدو كونه لقلقة لسان ، يخلو من التوجه الحقيقي ، أو يكون مشتتلا على الطلب من الله تعالى أمورا تعجزية وليس فيها مصلحة ، ويفتقر إلى شروط الدعاء ومن هذه الشروط أنك حينما تطلب شيئا فيجب استحضار الأسباب الطبيعية له ، لأن الدعاء يجعل الأسباب مؤثرة في تحقيق النتائج .

نهاية الظلم

القذافي يحكم ليبيا لأربعين سنة وهو يقاتل حتى الموت ، وها نحن نرى أكثر المدن الليبية تحررت ومنها طرابلس وما يزال القذافي جالسا في المربع الرئاسي ويقصف الناس بالدبابات عسى أن يطول به الحكم ولو لدقائق أو ساعات أخرى ! أما كلفة هذا الإصرار على البقاء في الكرسي من القتل والأضرار فلا تعني عنده شيئا يذكر .

أنت ترى البلد انتهى فإما أن تكون عندك الشجاعة وتسلم نفسك ، أو أن تبقى في مكان مختبئ حتى يخرجوك منه كالجرذ كما أخرجوا صديقك السابق صدام حسين ، سبحان الله ، لقد استخدم القذافي مفردة الجرذان بحق شعبه حتى يوم أمس أول ، حيث خرج وقالها مرة أخرى ووصف شعبه بالجرذان ، ومن الصلافة أن يخرج زعيم دولة ويتكلم على أبناء شعبه ويصفهم بالجرذان ، ويظهر أن هذه هي قيمة البشر عنده ، ولهذا نراه يقتل الناس كما تقتل الحشرة .

هكذا يتعامل مع شعبه، ولكن أين وصلت الأمور الآن، انتهى به المطاف ليكون متخفياً من مكان إلى آخر، وضافت عليه الأرض بما رحبت^(٣٥٢)، بعد أربعين سنة من حكمه الذي كانت الناس تتخفى منه وتتجنبه، فكل إنسان عنده رؤية معينة أو وجهة نظر تختلف مع وجهة نظر القذافي يتخفى منه، أما اليوم فالناس أصبحوا أحراراً فيما يختفي القذافي في حفرة أو في مكان معين بعيداً عن أنظار الشعب الذي سوف يخرجها منها، وفي ذلك درس وعبرة، فلو كان قد استثمر العروض التي قدمت له قبل ثلاثة أو أربعة أشهر ليخرج معززاً مكرماً هو وعائلته مع إعطائه ضمانته بعدم الملاحقة القانونية، مضافاً إلى العروض التي جاءت من دول عدة تقضي بتهيئة قصر له ولعائلته، ولكن المكابرة والإصرار والتشبث بالدنيا والاستهانة بسنن الحياة منعت من ذلك.

مشكلة هؤلاء القادة أنهم لا يقرؤون التاريخ ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٣٥٣) ولو دامت لغيرك لما وصلت إليك، وهذه هي سنة الحياة، إذ يأتي أناس ويذهب آخرون. ولا يبقى إلا الذكر الحسن والاستقامة في الطريق والمواقف الصائبة، وتباً لأولئك الطغاة والظالمين الذين عاثوا في الأرض فساداً وأزهقوا الأرواح البريئة وسجنوا الناس، وصادروا الحريات وانتهكوا الحرمات، ولكن للظالم نهاية. نحن لا نشمت بالقذافي وأولاده وعشيرته وبأسرته، وليس من شيمنا أن نشمت بأحد، ولكنها عبرة نتأملها في هذه الليلة.

٣٥٢ . اقتباس من قوله تعالى - وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ (التوبة - ٢٥) .
٣٥٣ . سورة آل عمران : الآية ١٤٠ .

الأمسية التاسعة عشرة- بتاريخ ٢٥/٨/٢٠١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين . سادتي الأفاضل . . . إخواني الأكارم . . . أخواتي الفاضلات . . . أرحب بكم أجمل ترحيب وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل أعمالكم في أيام هذا الشهر الفضيل ولياليه .

حق اللسان

كان حديثنا في الليالي الماضية عن النظرية الإسلامية في منظومة الحقوق وقلنا إن الحديث عن مجتمع قوي ومتماسك إنما يمكن أن يتم حينما نتحدث عن منظومة الحقوق والواجبات التي تنظم العلاقة بين الناس . والعمل بما هو حق لله سبحانه وتعالى على عباده وبحق النفس على الإنسان والاعتراف بحقوق الجوارح والأعضاء وحفظ حق الإنسان على أخيه الإنسان ، تمثل هذه الحقوق مجتمعة المسار العام الذي ينظم العلاقة بين أبناء المجتمع .

وبدأنا بالحديث عن حق الله سبحانه وتعالى على الإنسان وحق النفس ، وكان حديثنا في الليالي الماضية عن حق اللسان وذكرنا أهمية اللسان في الآيات القرآنية والروايات الشريفة والمخاطر الكبيرة التي من الممكن أن يقع فيها الإنسان من ذنوب ومعاص ومشاكل معنوية وأخلاقية كبيرة جراء اللسان ، مما يجعل عملية الحديث كالمشي في ساحة الألغام ، فكما أن الإنسان في ساحة الألغام يحذر ويحتاط أين يضع قدمه ، كذلك هو حينما يريد أن يتحدث ، عليه أن يكون محتاطا وحذرا . وعلى هذه الخلفية نجد التأكيد الكبير على السكوت كما ورد «إن كنت زعمت أن الكلام من فضة ، فإن السكوت

من ذهب»^(٣٥٤). وذكرنا العديد من النصوص الشرعية التي تبين أهمية السكوت وعدم الحديث إلا عند الحاجة، فليس من الصحيح أن يكون الإنسان كالطماطم حاضرا في كل طعام، فإذا لم تكن هناك ضرورة لأن يتحدث فعليه أن يكتفي بحديث الآخرين.

ثم قلنا علينا أن نستعرض أهم الآفات والعوارض التي يقع فيها اللسان، ونوهنا بضرورة استعراضها والوقوف عندها، والخطر الأول الذي تحدثنا عنه في الليالي الماضية هو الحديث بما لا يعني، والذي يوقع الإنسان في مطبات كثيرة مما يرجح ابتعاد الإنسان عن الحديث في ما لا يعنيه، وهذا هو الخطر الأول الذي يمكن أن يقع فيه الإنسان حينما يتحدث بما لا يعنيه.

فضول الكلام

نتقل اليوم إلى الحديث عن الآفة الثانية والخطر الآخر للسان وهو الحديث الفضفاض، الحديث الزائد الذي نسميه الثثرة. فمن كثر حديثه كثر زلته، وكلما زاد الكلام زادت المشاكل والهفوات ومن ثم نبحت عن الترتيش والتبرير. إن كثرة الحديث من المسائل غير المرضية التي يقع فيها الإنسان، ولذلك لاحظنا في العبارة التي يتحدث فيها الإمام زين العابدين عن حق اللسان يشير إلى هذا الجانب حينما يقول: «وإعفاؤه عن الفضول الشنعة» (امنع من الحديث بالفضول الشنيعة والفضول هو الفاضل، أي الزائد غير المفيد، «القليلة الفائدة التي لا يؤمن ضررها مع قلة عائدتها»^(٣٥٥)).

يمكن أن يكون فاضل الكلام مضرا وعلى أقل تقدير غير مفيد، فالأفضل للإنسان أن يتجنب الحديث الزائد، في سورة النساء يقول تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٣٥٦) والنجوى تعني الحديث السري والهمس بالأذن، فكثرة الحديث والهمس لا خير فيها بحسب القرآن الكريم، أما إذا كانت هذه الكلمة فيها خير ومساعدة للناس وحل مشاكلهم، فيها إصلاح ذات البين، في هذه الحالة لا بأس به، فالحديث في هذه الأمور شيء جيد، ولكن الحديث الذي يتجاوز هذا الموضوع يكون من فضول الكلام ومن الثثرة المنهي عنها في هذه الآيات والروايات الشريفة. قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ما أوتي رجل شرا من فضل في لسانه»^(٣٥٧)

٣٥٤. مقتبس من وصية لقمان لابنه - بحار الأنوار - ج ٦٨ - ص ٢٩٨.

٣٥٥. بحار الأنوار - ج ٧١ - ص ١١.

٣٥٦. سورة النساء الآية ١١٤.

٣٥٧. إحياء علوم الدين - ج ٣ - ص ١١٥.

فكل ما يصل الإنسان من شر فهو من هذه الثروة والحديث الكثير الذي يصدر من الإنسان من دون أن يكون محتاجا إليه .

مجالس السوء

وفي سورة النساء يقول سبحانه : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾^(٣٥٨) ، تنهى الآية عن الجلوس في مجلس ليس فيه كلام مفيد ولا حديث نافع ، بل فيه استهزاء بالقيم والمبادئ وفيه تناول على الثواب ويعتدي على الله سبحانه وتعالى وينتهك الحرمات ، لا تجلسوا حتى يخوضوا في حديث غيره .

ونفهم من هذه الآية أن الخطر لا يقتصر على التفوه بالحديث الباطل وغير المفيد ، لأنك إذا استمعت إلى الآخرين الذين يخوضون بمثل هذه الأحاديث تكون شريكا في إثم المتحدث حينما تسمع ولا تتخذ موقفا معارضا ومعبرا عن عدم الرضا ولو كان هذا الموقف هو ترك الجلوس مع هؤلاء . لأن هذا الحضور والاستماع بحد ذاته هو مشاركة في الإثم ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى له بها رضوانه إلى يوم يلقاه » ، وإذا به يكسب رضا الله سبحانه وتعالى بهذه الكلمة أو العبرة أو الحكمة التي تحدث بها ، هذا في الجانب الإيجابي ، أما في الجانب السلبي فيقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه »^(٣٥٩) ، يبقى الله غاضبا على الإنسان ، لأنه نطق وتفوه بهذه الكلمة إلا أن يتوب ويستغفر ربه ويعالج آثارها .

رب كلمة أنتجت فتنة

وقد قلناها في الليالي الماضية ، رب كلمة تقال يترتب عليها ما يترتب من آثار سلبية قد تصل إلى إراقة الدماء ، ورب خطاب تحريضي يمكن أن يشعل الشارع ويوقع الناس بعضهم مع البعض . ومن يتحمل كل هذا الصراع والقتل والذبح وهذه الدماء؟ يتحملها من نطق بتلك الكلمة وحرص الناس بعضهم على البعض . وفي بعض الأحيان والشارع يغلي ، يظهر من يتحدث بكلمة يهدئ بها النفوس ويطيب الخواطر ، وهذه كلمة خير

٣٥٨ . سورة النساء : الآية ١٤٠ .

٣٥٩ . ميزان الحكمة - ج ٩ - ص ٦٢ .

يبقى الله راضيا عنها إلى يوم القيامة . وهناك من يتحدث بكلمة يؤجج المشاعر ويحرض الناس بعضهم على بعض ويوقع العداوة والبغضاء بين الناس فيستوجب سخط الله إلى يوم القيامة .

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إن الرجل يتكلم بالكلمة يضحك تسقط الإنسان إلى الهاوية»^(٣٦٠) . فانتبه أيها المؤمن إلى ما تقول وتعلم كيف تقول وماذا تتحدث . وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل»^(٣٦١) . هؤلاء الذين اهتموا أكثر في الحديث بعثرات الآخرين وتعقبها ، وتحدثوا بالحديث السيئ مشكلتهم أصعب المشاكل ، لأن كثرة الحديث والثرثرة من الزلات والآفات ، ومن الأمراض التي يقع فيها اللسان ، ولا بد له من أن يحذر منها وعليه أن يعرف مقدار الحاجة ثم يسكت ويترك للآخرين المجال في أن يتحدثوا . تعلمنا الثقافة الإسلامية ألا نتحدث إلا بال مفيد ، وإذا تحدثنا نتحدث بقدر الضرورة وما زاد عليها نسكت . وهذه ثقافة مهمة نحن بأمس الحاجة إليها .

قد يتحول الكذب إلى ملكة

نتقل إلى آفة ثالثة من آفات اللسان وهي الكذب ، أن يقول الإنسان خلاف الواقع ، ويصف الأمور على خلاف واقعها وهو يعلم ذلك . إن الصدق رأس مال كبير في الرؤية الإسلامية ، ويجب ألا نتنازل عن الصدق لأي سبب من الأسباب ، نعم ، يختلف الأمر عند الضرورة ، فإذا كانت حياة الإنسان في خطر يجوز له أن يقول ما هو خلاف الواقع حتى يحافظ على نفسه ، ولكن عموما يجب على الإنسان أن يكون صادقا .

توجد آيات وروايات في هذا الموضوع كثيرة جدا ، وأنا حاولت أن أتصفحها وأختار نماذج منها حتى نتبرك في هذه الليلة الشريفة بهذه النصوص ، ومنها ما جاء في الكافي ، عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : «كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول لولده : اتقوا الكذب الصغير منه والكبير ، في كل جد وهزل ، فإن الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير ، أما علمتم أن رسول الله قال : ما يزال العبد يصدق حتى يكتبه الله صديقا ، وما يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذابا»^(٣٦٢) .

فإذا تعود الإنسان على أن يتحدث بالكذبة الصغيرة يتحول هذا الأمر إلى إدمان على

٣٦٠ . بحار الأنوار - ج ٦٩ - ص ٢٥٧ .

٣٦١ . ميزان الحكمة - ج ٤ - ص ٢٤ .

٣٦٢ . بحار الأنوار - ج ٦٩ - ص ٢٣٥ .

الكذب ويتجرأ على أن يكذب الكذب الكبير، فتكرار الكذبة الصغيرة يجعل الإنسان يتجرأ ليقول كذبة أكبر ولو بعد حين. والإصرار على الكذبة الصغيرة من شأنه أن يحول هذا الإنسان إلى إنسان كذاب. فالإصرار على الصغائر يؤدي بالإنسان إلى الكبائر وهذا ما يقوله علماء الكلام. الإصرار على الصغائر هو بحد ذاته ذنب كبير يجعله من الكبائر.

وعن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضاً: «إن الكذب هو خراب الإيمان»^(٣٦٣) إيمانك يخرب بالكذب، ويجب على الإنسان ألا يتورط بالكذب بحال من الأحوال. وعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجدّه»^(٣٦٤) لا يستشعر العبد طعم الإيمان ولا يشعر به إلا أن يترك الكذب في الجد والهزل. وعن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وسلم يكون المؤمن جبانا؟ قال: نعم، قيل: ويكون بخيلاً؟ قال: نعم قيل: ويكون كذاباً؟ قال: لا»^(٣٦٥)، فالكذب يتقاطع مع الإيمان، إذ يمكن أن يكون المؤمن بخيلاً أو جبانا لكنه لا يمكن أن يجتمع الإيمان مع الكذب.

سمات النفاق

عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «أربع من كنّ فيه، فهو منافق، وإن كانت فيه واحدة منهنّ، كانت فيه خصلة من النفاق، حتّى يدعها: من إذا حدّث كذب»، الكذاب الذي يقول خلاف الحقيقة هي صفة من صفات النفاق ولذلك بمجرد أن يعتاد الإنسان على الكذب يقترب من مساحة المنافقين، وتتوفر فيه صفة من صفات المنافق. «وإذا وعد أخلف» يجب أن يكون الإنسان عند وعده وعند كلمته حتى لو كان الطرف الآخر مشركا كما في قوله تعالى، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾^(٣٦٦) فحين يلوذ بك المشرك تعطيه الأمان. «وإذا عاهد غدر» فالمنافق لا يلتزم بالعهود والمواثيق والاتفاقات، من صفات المنافقين تجاوز العهود والغدر. «وإذا خاصم فجر»^(٣٦٧)، بمجرد أن يحصل الاختلاف يبدأ اختلافه معك، وينسى هؤلاء أننا وإن اختلفنا في قضية إلا أننا متفقون في مئة قضية، فلماذا يلجؤون إلى هذه الأعمال من التشهير والتسقيط وغيرها. من حقل أن تنتصر لرأيك ولكن أعطني الحق لأنتصر لرأيي وأعبر عن قناعاتي.

٣٦٣. بحار الأنوار - ج ٦٩ - ص ٢٤٧ .

٣٦٤. بحار الأنوار - ج ٦٩ - ص ٢٤٩ .، ميزان الحكمة - ج ٩ - ص ٦ .

٣٦٥. مسند الإمام الرضا - ج ١ - ص ٤٨٩ .

٣٦٦. سورة التوبة: الآية ٦ .

٣٦٧. بحار الأنوار - ج ٦٩ - ص ٢٦١ .

ليس عيباً أن نختلف، ولكن العيب أن يجزنا الاختلاف إلى التدافع والتراشق والوقوع في المعصية ونشر الغسيل كما يعبرون، فكل ذلك ليس من شيمة المؤمن وإنما من سمات المنافقين كما تشير هذه الرواية الشريفة.

التحية توجب الألفة

قال معاذ، قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إني أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة» يجب الحفاظ على أموال الناس وأعراضهم وأسرارهم، وفيها أيضاً «وخفض الجناح وبذل السلام»^(٣٦٨) فالتواضع وإفشاء السلام من سمات المؤمنين، قال تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾^(٣٦٩). إفشاء السلام يوجد محبة وألفة بين الناس.

ينقل عن بعض العلماء أنه إذا دخل مجلساً لم يكتف بالسلام عليهم، وإنما كان يخصهم واحداً واحداً بالسلام، وهكذا يشعر كل واحد من مجلسه أنه مورد احترام واهتمام. وهذه هي السمات التي أوصى بها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من حلف على يمين كاذبا» كمن يقدم تقريراً كيدياً كما نعبّر عنه اليوم، من أجل الإضرار بالآخرين، يريد أن ينتزع حقاً من شخص ما، يشهد شهادة زور، يكذب في قضية من القضايا «بقتطع بها مال أخيه» قد يكون مالا أو شيئاً آخر، بسبب تقرير كيدي يتحمل الإنسان بضع سنين في السجن ثم يخرج، من يتحمل هذه المعاناة التي تحملها؟... «لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان»^(٣٧٠).

درس في التربية

قال عبد الله بن عامر: «دعنتي أُمي يوماً ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطك، فقال لها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمراً، فقال لها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة»^(٣٧١). وهذا درس في التربية، فحتى لو كان القصد من الكلام إسكات الطفل فحسب فلا تكذب عليه، فمادام الأمر خلاف الواقع فعليك ترك ذلك.

٣٦٨ . بحار الأنوار ١٢٧/٧٤

٣٦٩ . سورة النساء : الآية ٣٦ .

٣٧٠ . وسائل الشيعة - ج ٢٣ - ص ١٨١ ، ٢١٠ .

٣٧١ . ميزان الحكمة - ج ٨ - ص ٤٠٣ ، مسند أحمد - ٢٤ - ص - ٤١٠ .

وفي البحار قالت أسماء: «سمعت امرأة تسأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، إن لي ضرة وأنا أتكثر من زوجي بما لا يفعل» من أجل إغاضتها وبيان أنه يهتم بي أكثر منها، أدعي بأمور ليست حقيقية «أضارها بذلك»، تعني أشاكسها أو أزعجها بهذا الكلام «فهل لي فيه شيء؟» هل علي شيء مما أقوم به من عمل لمجرد النكايه بهذه الضرة «فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ المتشعب بما لم يعط كلابس ثوبي زور»^(٣٧٢).

فهذه شهادة باطلة وكذبة، وهذا الأمر لا يختص بالضرة، فكل واحد منا في حياته يريد أن يوحى إلى الناس بأنه مهم ويبدأ بالكلام الكذب الذي يدعي فيه اهتمام الناس به وترحيبهم الشديد، وينقل بذلك صورة غير واقعية. وعلى كل حال هذه كلها من صور المتشعب بما لم يعط، كما يعبر رسول الله ويبدو أن هذا الذي يظهر أنه مورد اهتمام الآخرين مصاب بعقدة نقص، فهذا الذي يرى نفسه غير مهم يحاول أن يعبر عن موقعه ودوره واهتمام الآخرين به من خلال اختلاق أحداث غير موجودة.

الكذب المباح

يُستثنى من الكذب، وأن يقول الإنسان شيئاً خلاف الواقع وهو مسموح به في موارد منها، إصلاح ذات البين. لاحظوا هذه الرواية عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الكافي الجزء الخامس صفحة ٢٤٥، روي عن أبي كاهل قال: «وقع بين رجلين من أصحاب النبي كلام حتى تصادما فلقيت أحدهما فقلت: مالك ولفلان؟ فقد سمعته يحسن الشئاء عليك، ولقيت الآخر، فقلت له مثل ذلك حتى اصطلحنا ثم قلت: أهلكت نفسي وأصلحت بين هذين، فأخبرت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال: يا أبا كاهل أصلح بين الناس ولو بالكذب»^(٣٧٣)، يعني حتى لو تطلب ذلك بيان ما هو خلاف الواقع، لقد أقر الرسول هذا المنهج بعد ما سمع منه النبي أنه تكلم خلاف الواقع طلباً للإصلاح، ففي هذا المورد لا بأس بأن يتحدث الإنسان بهذا الحديث.

لاحظوا الآية الشريفة ماذا تقول: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ﴾^(٣٧٤) نسأل الله أن يجعلنا من الصادقين الذين يصدقون القول والفعل وممن

٣٧٢ . بحار الأنوار - ج ٦٩ - ص - ٢٥٥ .

٣٧٣ . بحار الأنوار - ج ٦٩ / ص - ٢٥٤ .

٣٧٤ . سورة المائدة : الآية ١١٩ .

يكون عند كلامه ولا ينطق إلا بالحق ، جدا كان أو هزلا ، مع طفل كان كلامنا أو مع الزوجة ، مع كبير أو الصغير ، فليعلم الإنسان نفسه ألا يقول إلا الصدق ؛ لأنه طريق النجاة ، نسأل الله أن يحقق هذه الملكات في أنفسنا .

الأمسية العشرون - بتاريخ ٢٦/٨/٢٠١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل . . . إخواني الأكارم . . . أخواتي الفاضلات . . .

أرحب بكم أجمل ترحيب وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل أعمالكم في أيام هذا الشهر الفضيل ولياليه .

رُبَّ كلمة تضمن الجنة

كان حديثنا في الليالي الماضية عن منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية ، وذكرنا أن رسالة الحقوق لسيدنا وإمامنا زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ تمثل اختزالاً لهذه الرؤية وهذه النظرية . وتعني الحقوق ذلك الإطار الذي ينظم العلاقة بين الناس ، ولا يمكن أن نصل إلى مجتمع قوي إلا إذا كان هذا المجتمع متماسكاً وموحداً .

ولا يمكن أن نصل إلى هذا المجتمع المتماسك إلا إذا كانت العلاقة بين أبنائه علاقة واضحة ومعروفة ويعرف كل منا ما هي حقوقه ، وما هي الواجبات والالتزامات المسجلة عليه التي تمثل حقوق الآخرين . وينبغي الالتفات إلى العلاقة المتبادلة بين الحقوق والواجبات ، فما هو حق لي هو التزام على الآخر ، وما هو حق للآخر هو التزام علي ، فمنظومة الحقوق دائماً تستتبع الحديث عن الواجبات والالتزامات .

تحدثنا عن حق الله سبحانه وتعالى على العباد وعن حق النفس وكان الحديث

في الليالي الماضية عن حق اللسان، هذا العضو الصغير في حجمه ولكن الكبير في مضاعفاته الإيجابية أو السلبية، فُرب كلمة يطلقها الإنسان في محلها يضمن لنفسه بها الجنة والسعادة، ويقرب بها بين الناس ويحبب الناس بعضهم إلى بعض، وربما تطلق كلمة، -لا قدر الله- لتخلق فتنة تراق من أجلها الدماء إلى غير ذلك. وتعرضنا هناك إلى خطورة اللسان، هذا الجرم الصغير ولكن جرمه كبير، وثم تحدثنا عن الأخطار والأمراض والآفات التي يقع فيها اللسان وتحدثنا عن عدة آفات.

مرض الغيبة

اليوم نتحدث عن مرض جديد وهو من الأمراض المستعصية للسان، نسأل الله أن يجيرنا منه وهو مرض الغيبة. والغيبة هي أن تذكر الآخرين بما يكرهون، ويشعرون بالإساءة بسبب كلامك. كل كلمة إذا وصلت إلى مسامع المعني فارتاح لها وقبلها فهذا شيء جيد، وإذا كان غير راض عنها ومستاء منها فهي من الغيبة، فالمعيار إذن، هو أن الآخر إذا لم يقبل ويتأذى من الكلام فهذا يعتبر غيبة؛ لأنك تذكره بسوء. والسوء هنا قد يكون أحيانا كلمة تقال ترتبط ببدن الإنسان من طول أو قصر في قامته، أو سمته إلى غير ذلك من الصفات التي ترتبط ببدن الإنسان، إن الله سبحانه وتعالى يبتلي العباد بأشياء في أبدانهم وهي خارجه عن اختيارهم.

وأذكر أنني كنت مدعوا عند إحدى الشخصيات السياسية الكبيرة في الوطن العربي، وقالوا اليوم نحضر لك مفاجأة يا سيد عمار، وكنت أنا ضيف الشرف في تلك الدعوة، وقالوا لدينا ضيوف آخرون، وحينما جاؤوا وإذا بهم أطول رجل في العالم وأقصر رجل في العالم، وكانت تلك مقارنة غريبة، حينما ينظر الإنسان يرى أن هذا مبتلى بطوله وهذا مبتلى بقصره وليس بيد الإنسان أن يكون طويلا أو قصيرا، بل هذه هي تقديرات رب العالمين. والنتيجة، يعتبر ذكر الآخرين بمنقصة في بدنهم غيبة محرمة. كما ويعد الحديث عن منقصة في النسب والتفكير بها غيبة أيضا، وربما تذكر أخاك في منقصة خُلقية وهذا أيضا من مصاديق الغيبة، وقد تكون المنقصة في فعله، كالذي يبحث عن عثرات الناس ويتحدث بها.

تهمة العمالة

تنتشر اليوم بين الناس تهمة العمالة والخيانة ، ولا يعلم ذلك المتحدث كبر هذه الكلمة عند الله عز وجل ، وكم لها من مداليل كبيرة يوم القيامة ، وبذلك يطول وقوفه بين يدي الله تعالى ؛ لأنه لا يملك الدليل على ذلك ، وكل ما يعرفه هو أنهم قالوا على صفحات الفيسبوك ، أو ذكرها مصدر مطلع ، حتى لو كان مجهولاً أو وهمياً ، فلو كان موجوداً لصرح باسمه . وهكذا يتم تناول أعراض الناس والاعتداء على سيرتهم ، وهذا كله غيبة ، ومن الغيبة أيضاً أن نشير إلى منقصة في ثوب الإنسان أو مظهره الخارجي ، فالقاعدة العامة هي ، كل كلمة تزعج الطرف الآخر لو سمعها فهي غيبة ، وعلينا أن نتجنب الحديث بما يكرهه الآخر .

انظروا إلى هذه الآية الشريفة من سورة الحجرات : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، يجب على الإنسان أن يحمل أفعال الآخرين على الصحة ويحسن الظن بهم ، وهذه مسألة مطلوبة ، وأن يجتنب الظنون والأوهام والاتهامات الباطلة ، وإن بعض هذه الظنون والاتهامات إثم ، وسوء الظن معصية وذنب ، فلا تسيء الظن بإخوانك في المجتمع ، فالمجتمع لا يبنى على نظرية المؤامرات والظنون السيئة ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ ومع هذا النهي القرآني نجد اليوم أحد الوزراء يصرح ويقول : إن نسخة من هواتفكم قد أرسلت إلى الجهاز الفلاني أو الجهة الفلانية .

ولا ندري من الذي سمح لكم بالتجسس على الناس ؟ ، فالدستور يقول إن التجسس على هاتف مواطن أو بيته أو كلامه لا يتم إلا بقرار قضائي له مبرراته المنطقية ، كأن يكون هذا الشخص لديه التحركات المشبوهة والمخلة بالنظام والأمن وما شابه ذلك ، فيسمح لفترة قصيرة بأن يتابع ويلاحق ويرصد للتأكد من ذلك ، أما أن تراقب اتصالات شعب بكامله فهذا لا يجوز ولا يقبل ، وهذه خصوصية شخصية للمواطنين . ومن حق كل إنسان أن يحتفظ بخصوصياته . ﴿ وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ أيها الناس لا يغترب بعضكم الآخر ولا يسيء بعضكم للبعض الآخر . ﴿ أَيُّجِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ .

يشبه القرآن من يغتاب أخاه المسلم بمن يأكل لحم أخيه ميتاً ، فما هو انطباعك عن هذا الشخص ؟ هل هو وحشي بربري ؟ وهل تستطيع أن ترى هذه الحالة أو حتى تتصورها . يشبه الله تعالى الغيبة حينما تذكر الآخر في غيبته بسوء فكأنه ميت وأنت تأكل من لحمه . ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ بَرُّهُ ﴾ (٣٧٥)

الغيبية أشد من الزنا

يقول تعالى في سورة النساء: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيْعًا عَلِيْمًا﴾^(٣٧٦)، لا يحب الله أن تتحدث وتعلن للآخرين عن سيئات البعض، لا تخض في مثالب ونواقص الآخرين ويستثنى من ذلك فيما لو كان الإنسان مظلوماً، فله أن يتحدث عن مظلوميته ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيْعًا عَلِيْمًا﴾.

وقد عرّفت الروايات الغيبة ومنها ما ورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «هل تدرّون ما الغيبة؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أ رأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته»^(٣٧٧). فإن كان صدقاً ما تقول به فهذا غيبة وإن لم يكن كذلك فأنت قد تقولت عليه وهذا بهتان، والبهتان هو اتهام الشخص بما ليس فيه. أما الغيبة فهي ذكر منقصة واقعية موجودة فيه وإن كنت صادقاً فيما تقول، وهذه نقطة مهمة.

وعن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من قال في مؤمن ما رآته عيناه وسمعته أذناه فهو من الذين قال الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾»^(٣٧٨)، يشير الإمام إلى الآية الثامنة عشرة من سورة النور، ويطبّقها على المغتاب الذي يستحق العذاب الأليم.

وورد في الوسائل، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «إياكم والغيبة، فإن الغيبة أشد من الزنا، إن الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه»^(٣٧٩)، ولأن الغيبة تجاوزت على حقوق الناس، لهذا لا يكفي في غفرانها مجرد الاستغفار، وإنما لا بد من أن تقترن التوبة بإرضاء الشخص الذي ذكرته بسوء، وهذا يفسر كون جريمة الغيبة أعظم من جريمة الزنا؛ لأنّها حقاً للناس.

الغيبة أخطر المعاصي

وفي بحار الأنوار قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مررت ليلة أسري بي بقوم لهم أظفار من نحاس يخدشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟

٣٧٦ . سورة النساء : الآية ١٤٨

٣٧٧ . مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ، ج ١٠ ، ص - ٤٠٨ .

٣٧٨ . وسائل الشيعة - ج ١١٢ - ص ٢٥٧ - ٢٨١ .

٣٧٩ . بحار الأنوار - ج ٧٢ - ص ٢٢٢ .

قال: هم الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»^(٣٨٠). فهذا حال من ينتهك الحرمات وهذا هو مصيره، نسأل الله أن يجيرنا وإياكم من ذلك. وأوحى الله تعالى إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار»^(٣٨١). انظروا خطورة وهول هذه المعصية الكبيرة.

وعن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اجتنب الغيبة فإنها إدام كلاب النار»^(٣٨٢). نستجير بالله من ذلك. وعن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، في حديث المناهي - أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نهى عن الغيبة والاستماع إليها، وقال: «من اغتاب امرأ مسلماً بطل صومه»، وهذا البطلان ليس بطلاناً فقهياً بل هو بطلان أخلاقي، يعني خسران الأجر المترتب على الصوم، «ونقص وضوئه» وهو تعبير عن زوال الطهارة المعنوية بالوضوء ولكنه يستطيع الصلاة بهذا الوضوء والأفضل له أن يتوضأ من جديد «وجاء يوم القيامة يفوح من فيه رائحة أتت من الجيفة يتأذى به أهل الموقف»، تفوح رائحة كريهة من الإنسان الذي لا يهتم بنظافة فمه، ومن يستغيب الناس ستخرج من فمه في يوم المحشر رائحة نتنة كرائحة الجيفة ويلوث المكان بهذه الرائحة إلى الحد الذي «يتأذى به أهل الموقف».

ثم تبين هذه الرواية التبعية الكبيرة لفاعل هذه الموبقة فتقول، «وإن مات قبل أن يتوب مات مستحلاً لما حرم الله عزَّ وجلَّ»^(٣٨٣). نستجير بالله من الغيبة. النقطة المهمة في الغيبة أنها لا تنحصر بالكلام فقط، بل يمكن أن تتحقق حتى بالغمز والإشارة والمحاكاة والكناية. فالغيبة هي إيصال مفهوم فيه منقصة للآخر. وكل طريقة ووسيلة تصل بها هذه الفكرة عن شخص ما تدخل تحت عنوان الغيبة. الغيبة إذن أوسع من الإساءة إلى الآخرين بالكلام، بل قد يكون التمثيل أشد وقعا من الكلام والمبالغة في إيصال النقص الموجود في الآخر.

غيبة المرائي

وأخطر أنواع الغيبة هي غيبة المرائي الذي يجمع بين فاحشة الغيبة وفاحشة الرياء، وهذه مشكلة يقع فيها المؤمنون أكثر من غيرهم، كالذي يذكر شخصاً بسوء دون تسميته ولكن الجميع يعرفونه، وقد تكون بصيغة الدعاء، يدعو ألا يكون كفلان الذي فعل

٣٨٠. بحار الأنوار - ج ٧٢ - ص ٢٢٢.

٣٨١. مستدرک الوسائل - ج ٩ - ص ٩٤.

٣٨٢. بحار الأنوار - ج ٧٥ - ص ١١٧.

٣٨٣. وسائل الشيعة - ج ١٢ - ص ٢٨٢ - ٣٠٧.

كذا وكذا، وهذه أيضا غيبة، وأحيانا بصيغة المدح أو بصيغة الشفقة كأن يتأسف على شخص؛ لأن به كذا وكذا، والهدف من ذلك ليس حرصا عليه وإنما يريد تسقيطه وإن تظاهر بالشفقة عليه، وهذه كلها من مصاديق الغيبة وليس المهم طريقة العرض، فأى طريقة تؤدي إلى إيصال رسالة إلى الآخر عن منقصة أو عيب في شخص ما تعتبر غيبة محرمة.

أن تنصر أخاك في غيبته

حينما يُذكر المؤمن الغائب بسوء فإن مسؤوليتنا هي الدفاع عنه والانتصار له وعدم القبول بذلك؛ لأن «سامع الغيبة شريك المغتاب»^(٣٨٤)، يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من أذل عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق»^(٣٨٥). وعنه أيضا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من رد عن عرض أخيه بالغيبة كان حقا على الله عز وجل أن يرد عن عرضه يوم القيامة»^(٣٨٦) وهذه هي الفائدة العظيمة والكبيرة للدفاع والانتصار للمؤمن حينما يُذكر بسوء.

وعنه أيضا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من ردّ عن عرض أخيه بالغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار»^(٣٨٧)، يقول الله له لقد كنت وفيا ووقفت مع أخيك في غيابه وانتصرت له فالنار حرام عليك ما دمت وفيا مع إخوتك.

وعن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من تطوّل على أخيه في غيبة سمعها عنه في مجلس فردّها عنه ردّ الله عنه ألف باب من الشر في الدنيا والآخرة، وإن هو لم يردّها وهو قادر على ردّها كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرة»^(٣٨٨). يغرس هذا الحديث حالة النصر والنخوة والتلاحم التي راعاها الإسلام في الكثير من أحكامه، فكل إنسان في المجتمع هو ظهير لأخيه المسلم في غيبته. إن لفكرة النصر ومفهوم الوفاء والوقوف مع المظلوم تأثيرا كبيرا وجذورا عميقة في الفهم الإسلامي.

٣٨٤. غرر الحكم - ص ١٤٣.

٣٨٥. بحار الأنوار - ج ٧٢ - ص ٢٢٦.

٣٨٦. المصدر السابق.

٣٨٧. المصدر السابق.

٣٨٨. المصدر السابق.

يوم القدس العالمي

يوافق يوم غد آخر جمعة من شهر رمضان، التي عينها الإمام الخميني (قدس) هذا الرجل العظيم يوماً عالمياً للقدس. إن الشعب الفلسطيني المظلوم الذي انتهكت حرمانه وضاعت هويته وغصبت أرضه، شعب عربي مسلم يجب الانتصار له، ونخصص له يوماً في السنة نخرج فيه ونقول كلمتنا وننصر هذا الشعب. وقد استعرضنا الروايات التي تبين الآثار الكبيرة المترتبة على ترك الانتصار لإنسان بسيط حين يذكره الآخرون بسوء، فكيف إذا تعرض شعب بأكمله إلى محنة طويلة بدأت من سنة ١٩٤٨ واستمرت حتى يومنا الحاضر، شعب يعيش أزمة وتشريد وملاحقة وقتل وسجن وتعذيب، شعب تصادر كل كرامته وحرية وعزته وأراضيه، أفلا يستحق مثل هذا الشعب أن يُنصر في الرؤية والفهم الإسلاميين، لا شك في أن واجبنا هو نصره هذا الشعب المظلوم الوقوف معه.

استهداف الهوية الفلسطينية

كانت المرجعية الدينية أول مؤسسة وقفت وانتصرت للشعب الفلسطيني. وكان الإمام السيد محسن الحكيم (قدس) أول مرجع في ذلك الوقت، في مطلع الستينيات أفتى بجواز دفع الزكوات لدعم القضية الفلسطينية، وسمح بتقديم كل الدعم والعون وصولاً إلى الدعم العسكري لنصرة الشعب الفلسطيني. وكان للمراجع العظام على طول الخط مواقفهم في البعد الشرعي لنصرة القضية الفلسطينية، يتبعهم في ذلك كل الشرفاء والمخلصين الذين وقفوا وساندوا وانتصروا للقضية الفلسطينية.

ولاحظنا موقف الإمام الخميني، هذا الموقف المبدئي الذي سارت عليه إلى اليوم الجمهورية الإسلامية في إيران ومعها الكثير من الشعوب الحية الصالحة الطيبة والعربية والإسلامية، التي وقفت ودعمت الشعب الفلسطيني المحاصر. وهناك كلمة لطيفة لشهيد المحراب، يقول فيها، لا يمكن لمحنة مهما عظمت أن ترقى لمحنة الشعب الفلسطيني، مع أن الكثير من الشعوب تعرضت إلى أصناف الظلم والمحن وتعرض بعضهم إلى ظلم أكثر مما يتعرض له الشعب الفلسطيني.

وكان (قدس) يتحدث عن الشعب العراقي في أيام صدام حسين وكان يقول إن الشعب العراقي يتحمل من الضغوط والمعاناة والقتل ويُدفن أبنائه في المقابر الجماعية ويتعرض لشتى أنواع التشريد والملاحقة، ما يمكن أن تكون أكثر مما تعرض له الشعب الفلسطيني، ولكن بالرغم من ذلك تبقى محنة الشعب الفلسطيني أعظم. ويعلل سماحته

ذلك ويقول ، لأن قضية فلسطين فيها استهداف للهوية ونحن في العراق عربتنا غير مستهدفة ، ونحن مسلمون والحاكم الظالم أيضا يدعي الإسلام والأرض أرضنا ، لكن الشعب الفلسطيني يتعرض إلى محاولة لسرقة الهوية وطرد الفلسطينيين من أراضيهم من قبل الشعب الإسرائيلي المتكبر الذي يرى نفسه شعب الله المختار وأنه أفضل من الآخرين ، وهذه قمة التكبر وحاشا لله أن يختار شعبا ظالما وغاصبا للأراضي ، فكيف يمكن أن يكون هؤلاء شعب الله المختار .

الشعوب العربية تكشف الستار

وتعسا لتلك الأنظمة الديكتاتورية التي حاولت أن تعتاش على القضية الفلسطينية ، ورفعت شعار فلسطين ليس حبا بها ولا بالشعب الفلسطيني ولا بقضيته العادلة وإنما بحثا عن المواقع والفرص وليظهروا في صورة المهتم بهذه القضايا حتى يمسكوا القبضة على شعوبهم .

ولاحظنا كيف أن بعض هذه الأنظمة ولت إلى حيث لا رجعة . تقف الشعوب العربية الحرة اليوم ، الوقفة الحقيقية بعد أن كشفت الحقائق وظهر الضعف والوهن والزيغ في ادعاءات أولئك الديكتاتوريين الذين رفعوا شعار القضية الفلسطينية وتاجروا بها لأكثر من نصف قرن ولم يقدموا خطوات حقيقية في نصرته الشعب الفلسطيني . وأثبتت هذه الشعوب الحرة أنها الأقدر على الدفاع عن مقدراتها وفي مقدمتها القضية الفلسطينية . نتمنى أن نشهد مثل هذا التضامن العربي والإسلامي لنصرة الشعب الفلسطيني والوقوف بوجه العدو الإسرائيلي الغاشم الذي طالما فتك بهذا الشعب وأراق الدماء وغصب الأرض .

المفارقة الغربية

كلما تحدثنا عن فلسطين تحدثنا عن المفارقة الغربية . أتدرون أن أكثر من مائتي قرار أممي صادر بحق فلسطين وانتصارا للشعب الفلسطيني ولكن لم يطبق أي منها ، ومع أن شعار حقوق الإنسان ، وتنفيذ القرارات الدولية سيف مسلط على بعض الأنظمة ، يضيق عليها وتلاحق تحت يافطة القرارات الدولية ، فلماذا تستثنى إسرائيل من ذلك ؟ .

يوجد مائتا قرار أممي صادر بحق العدو الإسرائيلي لم يطبق واحد منها . وتشاهدون العجرفة والتكبر الإسرائيلي الذي يضع كل هذه القرارات تحت أقدامه وهو ماض في مشروعه الاستيطاني المتمثل ببناء المستوطنات وعزل الفلسطينيين والحصار والتصفيق

على الشعب الفلسطيني وقتلهم وسجنهم إلى آخره، ليبقى الفلسطينيون مبعدين عن أراضيهم ومشتتين في كل مكان، والعدو الإسرائيلي جاثم على أرض فلسطين ويحاول أن يوسع حضوره على هذه الأرض تحت صمت العالم.

فيا من تتحدثون عن القرارات الأممية وتدعون الحفاظ على هذه القرارات والدفاع عن حقوق الإنسان، أين أنتم من هذا الشعب المظلوم ومن هذا العدد الكبير من القرارات التي صدرت بحق فلسطين وبحق العدو الإسرائيلي؟. لماذا لا تتحدثون وتطبقون هذه القرارات؟. لماذا لا تضعون حدا لهذه الاعتداءات السافرة وهذا الامتداد الإسرائيلي خلافا لكل القرارات الدولية؟.

هذه ظلامه كبرى نستذكرها ونحن في أجواء يوم القدس العالمي، ونسأل الله أن يكون يوم الجمعة يوما حافلا بالتعبير عن الموقف والرأي والنصرة لهذا الشعب الكريم، وعن الوقوف إلى جانب شعبنا الفلسطيني الكريم. فتحية لشهداء فلسطين والود والاحترام للنضال الفلسطيني وما يقدمه الشعب الفلسطيني من تضحيات في هذا الطريق وسنكون معه في هذه المعركة إلى حين تحرير القدس الشريفة وإعادتها للمسلمين.



الأمسية الحادية والعشرون - بتاريخ ٢٧/٨/٢٠١١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين
حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين
وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل . . . إخواني الأكارم . . . أخواتي الفاضلات . . .

أرحب بكم أجمل ترحيب وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل أعمالكم في أيام هذا
الشهر الفضيل

متى ترتفع حرمة الغيبة؟

تحدثنا في الليالي الماضية عن منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية ، وقلنا فيها إن
رسالة الحقوق لإمامنا زين العابدين تضع الإطار العام لهذه المنظومة الحقوقية وتنظم
علاقة الإنسان مع ربه وعلاقته مع النفس وتقرر حقوق الجوارح على الإنسان وتهتم
بعلاقة الإنسان مع أخيه الإنسان . وكان حديثنا في الليالي الماضية عن حق اللسان على
الإنسان ، وذكرنا أهمية اللسان في الآيات الكريمة والروايات الشريفة . واستعرضنا
العديد من الموضوعات التي تخص هذا الحق وانتهينا للحديث عن آفات اللسان
والأمراض التي يقع فيها اللسان والأخطار التي تواجه الإنسان بسبب سوء استخدام
اللسان وتعرفنا على الذنوب والمعاصي التي يكتسبها الإنسان بلسانه .

وكان الحديث في الليلة الماضية تحديداً ، عن الغيبة . وبيننا حقيقة الغيبة وكيف أنها
عبارة عن ذكر الآخرين في منقصة تسوؤهم ، وهذه المنقصة قد تكون في أبدانهم أو
حركاتهم أو في أفعالهم أو ملبسهم وغيرها من الأمور ، وتشمل الغيبة ما يقدر بالآخر

سواء أكان باللسان أم بطريقة أخرى موحية بهذا العيب أو ذاك . والغيبة من المحرمات الكبيرة كما تحدثنا في الليلة الماضية .

بقي علينا أن نتحدث عن بعض الاستثناءات ، التي تصلح جوابا للسؤال التالي : في أي موارد وأي موضع يجوز لنا أن نذكر الآخرين بسوء؟ وما هي الظروف التي تسوغ التصريح بمنقصة الآخر؟ يذكر الفقهاء وعلماء الأخلاق عددا من الاستثناءات التي يجوز فيها ذكر منقصة الآخرين ومثالبهم ، ومنها :

الظلم

أولا : مورد التظلم ، فإذا كنت مظلوما ومغصوب الحق ومعتدى عليك ، يمكنك أن تذهب إلى من يمكن أن يسترجع حقك لتذكر مظلوميتك عنده ، وإن استلزم ذلك ذكر عيوب الخصم . ولا يجوز التظلم إلا عند الجهة أو الشخص الذي يستطيع الانتصار لك ويقدر على استعادة حقك . ، فقد ورد عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في بحار الأنوار : «لصاحب الحق مقال»^(٣٨٩) أي من حقه الحديث بظلامته لمن يستطيع أن يأخذ بحقه ويرفع المظلومية عنه ، وأما عند الذي لا يستطيع أن يأخذ هذا الحق ، فهذا يدخل ضمن الغيبة المحرمة .

تغيير المنكر

ثانيا : فيما إذا كان بيان هذه المنقصة يساعد على النهي عن المنكر وعلى تقويم الاعوجاج ، فلو كان الحديث عن منقصة شخص ما عند من يؤثر عليه ليؤدي ذلك إلى رده وتراجع وتصحيح انحرافه وتقويم موقفه ، فيمكن حينذاك للإنسان أن يتحدث عن منقصة الآخرين لمن يستطيع أن يصلحهم ويرجعهم إلى جادة الصواب .

الاستفتاء

ثالثا : حينما يتعرض الفرد إلى مشكلة يريد الاستفتاء فيها ، كالزوجة التي يظلمها زوجها ولا يعطيها حق النفقة وتريد أن تستفتي في هذا الأمر الذي يتطلب منها أن تبين للفقهاء ما يقوم به زوجها لكي تأخذ الموقف الشرعي . وربما يختلف الأخ مع أخيه والصديق مع صديقه فيستدعيه ذلك للاستفتاء لأخذ الحكم الشرعي حول تلك المشكلة ، ففي مقام

الاستفتاء يمكن للإنسان أن يذكر ما بدر من الآخر حتى يتبين الموقف الشرعي .

وقد روي أن هند بنت عتبة قالت للنبي ث: إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي فهل علي من حرج إذا أخذت من ماله بغير علمه؟ فقال: «خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك»^(٣٩٠)، فذكرت الشح عليها وعلى ولدها ولم يجرها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والشاهد هو عدم اعتراض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على هند؛ لأن المقام مقام الاستفتاء، لذلك لم يعترض عليها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

الاستشارة

رابعا: نصح المستشير، ومن أمثلة ذلك، لو سئلت عن شخص تقدم للزواج، فيجب أن يقال فيه الواقع وإن ذكرت عيوبه، لأن ذلك من الاستشارة، مع الاقتصار على قدر الضرورة وإذا اكتفى السائل بذلك فلا يجوز الحديث بأكثر منه، وإذا لم يكتف وطلب التفصيل فيجوز حينئذ أن تفصل في هذه الأمور .

التحذير

خامسا: في تحذير الناس من أن يقعوا في مصائد ومكائد أناس يتظاهرون بالصلاح ويدعون ما ليس لهم، كالذي يدعي شفاء المرضى وهو ليس كذلك . إن الواقع الهش في المؤسسات الحكومية وغياب الرقابة عن الوضع الصحي لا يبرر أن يأتي من هب ودب ليكون طبيبا ويعالج الناس ويصف العلاج غير المناسب لهم، لذا يجوز الحديث الذي يحذر من أمثال هؤلاء وكشف الشخص غير المؤهل أمام الناس .

وقد تُخدع الناس بأدعياء العلم الذين يضعون العمامة على رؤوسهم ويدعون ما ليس لهم، ويصدرون الفتاوى التي ما أنزل الله بها من سلطان، وهنا يجب تحذير الناس ممن يدعي العلم ولا علم له، وهذا خطره أكبر من سابقه؛ لأنه متلبس بلباس الدين ويدعي أنه يقرب الناس إلى الله في الوقت الذي يبعدهم عن الله . لذا يجب أن يفضح هذا الإنسان أمام الناس لكي لا تقع الناس في مشاكل أو في مطبات .

وهناك قصة معروفة حينما جاء عدد من الناس إلى أحد مراجع الدين العظام وقالوا له إن (فلان) المعمم سارق، فقال العالم لهم: لا تقولوا المعمم قد سرق وإنما قولوا إن هناك سارقا لبس العمامة . يتقمص بعض الانتهازيين ثوب الدين ولاسيما في الظروف

التي يلمع فيها نجم المتدينين ويحاولون بهذه الطريقة أن يمرروا قضاياهم، الأمر الذي يوجب فضحهم وكشف حقيقتهم وهو فعل يخرج من موارد الغيبة المحرمة، يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أترعون عن ذكر الفاجر حتى يعرفه الناس؟ اذكروه بما فيه يحذره الناس»^(٣٩١)، هنا يجب ذكر هذا الفاجر، ففي عدم ذكره ضلال ومفسدة أكبر، وقد تضيع به أمة من الناس، فهذا الذي لبس ثوباً لا يستحقه وجلس على مقعد أو موقع مقدس ليس أهلاً له يجب أن يفضح أمام الناس.

جرح وتقييم الرواة

سادساً / تقييم الشاهد أو الراوي، وانتم تعلمون أن علم الرجال علم مختص بالنظر في تاريخ وسيرة الرواة، لأن الناس تأخذ حكمها الشرعي مما قاله رسول الله وأهل بيته وهو ما يعرف بالسنة، وهذه السنة قد نقلها الرواة فإذا كانوا غير ثقة فحينئذ ينقلون غير الواقع ويوقعوننا في مطبات ومناهب. ولهذا صار علم الرجال علماً منفرداً، واختصاصه النظر في أحوال هؤلاء الرواة والتعرض إلى أدق التفاصيل التي يمكن أن تكون مخلة بعدالة هؤلاء الرواة. ويسري هذا الحكم على الشاهد، فإن كان غير عادل وكذاباً ولديه مصلحة معينة في الشهادة باتجاه معين ويقدم التقارير الكيدية، فهنا يجب فضحه وليس في ذكر عيوبه غيبة.

المتجاهر بالفسق

سابعاً: إذا كان الشخص يستحق أن يفضح بين الناس، كأن يكون متجاهراً بالفسق والفجور، كالذي يشرب المسكر أمام الناس أو الذي يجلس بالمجالس ويتبجح بذكر المنكرات، هنا ليس غيبة أن تذكر فعله ليكون عبرة لغيره.

جرثومة النميمة

الآفة والخطر الآخر من آفات وأخطار اللسان النميمة، وهي بلاء عظيم، يعبر عن عقد نفسية وعن مرض يصاب به الإنسان. والنميمة هي الإيقاع بين الناس وتحريض الناس بعضهم على بعض، ومشكلتنا اليوم أن هناك تساهلاً في هذه الأمور، إذ تصدق كل كلمة بمجرد سماعها، وكأن قرآناً أنزل فيها، وكم من المشاكل والمعارك والتوترات بين الناس

والعشائر أو بين السياسيين كانت نتيجة لمعلومات مغلوطة أو كلمات تنقل من فم إلى فم وتتسبب في مشاكل كبيرة .

تناول القرآن الكريم هذه الظاهرة وتحدث عنها بشدة في سورة القلم ، يقول تعالى واصفا هذه الشريحة الخطيرة : ﴿ هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنَمِيمٍ ۝ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ عْتَلٍ ۝ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝ ﴾^(٣٩٢) . الهمز هو العيب فهناك من يكون همه البحث عن عيوب الناس ومناقصهم وعن مثالبهم وعن نقاط الضعف في هذا أو ذاك ، وهناك من لا هم له سوى نقل الأسرار ويهتكها ويفشيها وينقلها من بعض إلى بعض . يعبر القرآن عن هذا الهمَّاز بأنه معتد أثيم ، هذا الذي يربك صفو العلاقة بين الناس ويوقع الناس بعضهم ببعض ، وهذا الهمَّاز أيضا ، (عُتْلٌ) أي مجمع للردائل والسيئات . وكذلك يعبر عنه القرآن بأنه مجهول النسب ، وهذا الشخص جرثومة متحركة ليس له أصول في المجتمع .

يقول تعالى في سورة الهمزة : ﴿ وَيَلُّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ ﴾^(٣٩٣) . والهمز هو النميمة واللمز هو الغيبة ، ويبل لكل من يمارس النميمة وينقل الأسرار والأخبار من شخص لآخر ويوقع الناس بعضهم ببعض ويبل لمن يغتاب ، وفي سورة المسد : ﴿ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ ﴾ ، ورد في أحد التفاسير ، أن الحطب يعني حمل الكلمة ونقل السر من مكان إلى آخر .

وفي سورة النساء : ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً ۝ ﴾^(٣٩٤) ، يصلح بين رأسين ، بين شخصين ، أو جماعتين ، بين فصيلين أو عشيرتين أو حزبين ﴿ يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا ۝ ﴾ ، يعطيه الله حصة من الأجر والثواب العظيم ، جراء التقريب بين الناس وتهدة النفوس ، ﴿ وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا ۝ ﴾ ، لكن من يوقع العداوة والشحناء بين الناس ويأخذ الأخبار المحرصة من طرف وينقلها إلى الطرف الآخر فإنه يتحمل جزءا من الوزر .

وعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : « قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمَةِ » هؤلاء شرار الأمة ، الذين لا هم لهم إلا نقل الأسرار من هذا إلى ذاك بقصد الوقعة بينهم «المفروقون بين الأحبة الباغون للبراء المعاييب»^(٣٩٥) ، الباغون معناها الطالبون ، والبراء هم الناس الأبرياء ، فهوؤلاء يطلبون العيب للبريئين .

٣٩٢ . سورة القلم : الآيات ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

٣٩٣ . سورة الهمزة : الآية ١ .

٣٩٤ . سورة النساء الآية ٨٥ .

٣٩٥ . الكافي ج٢ - ص ٣٦٩ .

وأنا أقول، إن معظم المعلومات التي ينقلها هؤلاء النمامون إما أن تكون مُبالغاً فيها، أو هي معلومات كاذبة، ويمكن أن تصدر عن خلفيات ومبررات معينة، أو في ساعة غضب وما إلى ذلك، فلا تجعل نفسك ساعياً للشروكن دائماً ساعياً في الخير.

عاقبة النميمة

في نفس المصدر عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الجنة محرمة على القتاتين بالنميمة». القتات هو النمام الذي يزور الحديث. وعن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «أربعة لا يدخلون الجنة، الكاهن، والمنافق، ومدمن الخمر، والقتات»^(٣٩٦). فالكاهن هو الساحر والمشعوذ، والقتات هو النمام.

يحدثنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عما انكشف له من حقائق كثيرة في الإسرائء والمعراج في تلك المقامات المعنوية فيقول: «ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير، وبدنها بدن الحمار، وعليها ألف ألف لون من العذاب»، ولما سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن عمل هذه المرأة قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إنها كانت نمامة كذابة»^(٣٩٧).

وعن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن أبيه عن آبائه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «شر الناس المثلث، قيل وما المثلث؟ قال الذي يسعى بأخيه إلى السلطان فيهلك نفسه ويهلك أخاه ويهلك السلطان»^(٣٩٨).

فالذي يرفع تقريراً كيدياً إلى الحاكم يهلك نفسه، لأنه سيكون موضعاً للشبهة وسوء الظن بعدما يراه السلطان يتردد ويدخل دهاليز الإرهاب مثلاً، ويعرف خططهم وحركاتهم، عندما يصل التقرير الكيدي ستترتب عليه إجراءات غير صحيحة قد تؤدي إلى دخول الأبرياء إلى السجون. وسيصبح السلطان في مشكلة وكذلك كاتب التقرير؛ لأنه قد أضر بالآخر، وهذا هو المثلث، الذي لا يرحم نفسه ولا يرحم الآخرين ولا الجهات التي تُرفع لها هذه التقارير. وعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لا يدخل الجنة قاطع، قيل: وما القاطع؟ قال: هو قاطع بين الناس»^(٣٩٩)، هذا الذي يفرق بين الناس ويقطع العلاقة بينهم وهو النمام

٣٩٦. بحار الأنوار ج ٨ - ص ٣٥٧

٣٩٧. عيون أخبار الرضا ج ١ - ص ١٤

٣٩٨. بحار الأنوار ج ٧٢ - ص ٢٦٦

٣٩٩. جامع السعادات، ج ٢ - ص ٢١٣

لماذا يقع الإنسان في النميمة؟

ويمكن أن يكون الدافع للوقوع في هذا المرض الأخلاقي هو الانتقام من شخص أو جهة، فيعبر عن هذا الانتقام بالتحريض وإيقاع العداوة بين الناس. وربما يصدر هذا الفعل الدنيء طلباً للتملق والتزلف. يوجد هذا المرض وبشكل واسع في مجتمعنا وخصوصاً في دائرة المسؤولين، فهناك من يريد أن يظهر نفسه بمظهر المخلص، فيعبر عن إخلاصه من خلال التحريض والفتنة ضد الآخرين لدى المسؤول ما يجعل هذا المسؤول يعادي الناس ويخلق المشاكل.

وأحياناً يكون الباعث هو التزلف والتقرب إلى الشخصيات المتنفذة، وثالثة يكون الدافع مرضاً نفسياً، حيث يكون النمام مرتاحاً عند حدوث المشاكل بين الناس. فهو يتصيد بالماء العكر، فإذا هدأت الأمور واستقرت الأوضاع تراه يتنحى جانبا ولا يجد من يسأل عنه أو يتفقده، ومثل هذا الإنسان، يقوم بعمله التحريضي عندما يكون هناك تصعيد ومشاكل فتراه يخرج على الناس في كل وقت من خلال الفضائيات وينهش بالطرف الآخر وربما يجد تشجيعاً ومساندة البعض من أمثاله، وعلى كل حال فهو يستأنس ويتلذذ بهذه النميمة.

وتأتي النميمة أحياناً بشكل بريء وهذا ما يقع فيه الكثير، إذ تجد الإنسان خالياً من حالة التشقي والحقد وليس هناك من مصلحة مع أحد تدفعه للتزلف، ولا توجد مشكلة له مع الطرف الآخر، ولكنها الثرثرة وفضول الكلام، الذي يؤدي إلى الوقيعة بين الناس، ولذلك فإن الثرثرة وكثرة الحديث في غير المفيد فيها ضرر وتوقع الإنسان في مطبات كثيرة.

قيل: «باع بعضهم عبداً وقال للمشتري ما فيه عيب إلا النميمة» وهذه ثقافة الإسلام أن تخبر المشتري بحقيقة الشيء المباع «قال: رضيت به، فاشترته فمكث الغلام أياماً ثم قال لزوجته مولاة: إن زوجك لا يحبك، وهو يريد أن يتسرى عليك» أي يريد أن يتزوج امرأة أخرى بالسر «قالت وما الحل؟» قال فخذي الموسى واحلقي من قفاه شعرات حتى أسحر عليها فيحبك «ثم ذهب إلى الزوج وقال له، إن امرأتك اتخذت خليلاً لديها صديق «وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف» حاول أن تظهر نفسك نائماً حتى ترى بعينك ما تفعله زوجته بك وسعيها لقتلك «فتناوم فجاءته المرأة بالموسى» وحينما فتح عينه ورأى الموسى بيدها «فظن أنها تقتله فقام وقتلها فجاء أهل المرأة وقتلوا الزوج فوق

القتال بين القبيلتين وطال الأمر»^(٤٠٠)، وهكذا يفعل النمام ويحول اللاشيء إلى معركة كبيرة طاحنة تزهق فيها الأرواح . . .

كيف نتخلص من النميمة

أولاً: عدم التصديق . . فمن ينقل أسرار الآخرين ويتحدث عنهم بغير وجه حق، يجب عدم تصديقه؛ لأنه حينما تحدث لك فسوف يتحدث لغيرك .

ثانياً: نهيه، ازجره ولا تسمح له بأن يتحدث عن الآخرين، وانته عن الإيقاع بين الناس .

ثالثاً: الحذر منه وإفهامه أن الإنسان الذي ينقل أسرار الناس ويتحدث لهذا وذاك غير جدير ببناء علاقة معه، ويجب أخذ موقف منه .

رابعاً: التحري والتأكد من دقة المعلومة، فالمصارحة شيء جميل . ويمكن سؤال الشخص الآخر ومصارحته عن حقيقة الطعن به أو الكلام الذي صدر بحقه، فإذا كان الكلام صحيحاً وكان مخطئاً بحقك، عندها تكون قد أوصلت له الرسالة وربما يخجل ويعتذر ولا يكررها ثانية ونكون قد أنهينا المشكلة بالحل، وإذا نفى ما نسب إليه فسوف يخبرك وتعلم أنت الحقيقة، وقد يكون قالها بمزحة أو انفعال فسوف يشرحها لك وتنتهي المسألة بالمصارحة قبل أن تتحول إلى معضلة كبيرة .

خامساً: يجب ألا تقع أنت في النميمة وتنقل ما ينقله النمام .

في بحار الأنوار، رفع رجل إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ كتاباً فيه سعاية، يخبر علياً بأن رجلاً يتكلم فيه، فقال: «يا هذا نحن نسأل عما قلت»، سوف نتحرى عن الأمر، «فإن كنت صادقاً مقتنك» نأخذ منك موقفاً ونبعدك ونطردك مادمت تنقل الأخبار بهذا الشكل للإيقاع بين الناس «وإن كنت كاذباً عاقبناك»^(٤٠١)، إذا كان كلامك كذباً أو جعلت فيه زيادة وكبرت وهوّلت الأمر فسوف نعاقبك، . ولو كنا نتعامل كما يتعامل الإمام علي مع هذه الأمور فهل يبقى نمام في المجتمع؟ وهل يجزؤ أحد على أن يتكلم بسيئات الآخرين؟ وخلاصة الأمر، أن النميمة من الأمراض الكبيرة ذات الأثر السلبي في الفرد والمجتمع . ونسأل الله أن يقينا شرها وأن نكون بعيدين عن مثل هذه الموبقات والمعاصي والذنوب الكبيرة .

٤٠٠ . بحار الأنوار ج٢٢ - ص ٢٧٠

٤٠١ . بحار الأنوار ج٢٢ - ص ٢٦٦



الأمسية الثانية والعشرون - بتاريخ ٢٠١١/٨/٢٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين
حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين
وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل . . . إختوتي الأكارم . . . أخواتي الفاضلات . . .

أرحب بكم أجمل ترحيب وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل أعمالكم في أيام هذا
الشهر الفضيل

منظومة الحقوق

تحدثنا في الليالي الماضية عن منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية، وذكرنا أن
جميع المجتمعات والشعوب تبحث عن القوة والتماسك، وإنما يمكن تحصيل ذلك
من خلال تحقيق الانسجام والتكامل داخل المجتمع. ويتحقق التكامل حينما تحدد
الحدود والقواعد التي تنظم العلاقة بين أبناء المجتمع، حينما تنتظم حركة الإنسان في
علاقته مع ربه وفي علاقته مع نفسه وفي علاقته مع جوارحه وفي علاقته مع الآخرين.
تنظم هذه المنظومة من الحقوق والالتزامات المتبادلة هذه العلاقة، وتدفع لمزيد من
الانسجام والتماسك والترابط الذي يضمن قوة المجتمع. وقد استعرضنا منذ بداية هذا
الشهر الفضيل وبالتفصيل حق الله سبحانه وتعالى على عباده وتحدثنا عن حق النفس على
الإنسان، وانتهينا بالحديث عن حق اللسان، وهو أحد أهم الجوارح لما يترتب عليه من
آثار عظيمة سلبا أو إيجابا على الفرد والمجتمع.

مفردات خادشة للحياء

انتهى بنا المطاف بالحديث عن الأمراض والآفات والأخطار التي يقع فيها اللسان، وفي هذا الموضوع انتهينا إلى الآفة أو المرض السادس من أمراض اللسان وهو الفحش وبذاءة اللسان. وهي واحدة من المشاكل التي تواجه الإنسان. حينما يتلى الإنسان بلسان ينطق بالفاحشة والعياذ بالله، يشير إلى القضايا القبيحة بأسمائها ولا يتورع عن ذكرها باسمها الصريح مما يثير حالة من الاشمئزاز والقرف في المجتمع، المجتمع المبني على أساس القيم والمثل والثوابت.

ولا بد للمجتمع من أن يتمسك ويلتزم بهذه القيم الأخلاقية ويحافظ على الحرمات. يشكل انتهاك الحرمات بذكر الأشياء بمسمياتها والتصريح بها خدشا للآداب الاجتماعية العامة. ونلاحظ هذه القضية في استخدام مثل هذه المفردات في حديثنا اليومي، ولا سيما حين يفعل البعض فيستخدم مفردات لا تليق بكرامة الإنسان واحترامه لنفسه وللآخرين، ولذلك دأب الصالحاء على أن يستخدموا ما يشير أو يرمز أو يؤشر إلى هذه القضايا القبيحة دون التصريح بأسمائها.

وقد اعتمد القرآن الكريم هذا المنهج، فحينما يتحدث عن العلاقة الخاصة بين الزوج وزوجته لا يسميها وإنما يستخدم ما يرمز إليها كما في قوله تعالى ﴿أَوْ لَا مَسْتُمْ النَّسَاءِ﴾^(٤٠٢)، والملازمة في هذا الاستعمال القرآني كناية عن العلاقة بين الزوج وزوجته، التي يعبر عنها بالإضافة إلى اللمس بالمس والمصاحبة إلى غير ذلك من مفردات تستخدم للإشارة إلى هذه القضية لقبح التصريح بها.

هناك أعضاء في بدن الإنسان ليس من اللائق أن تذكر بأسمائها، وهناك الكثير من الحقائق التي لا يصح التصريح بأسمائها المباشرة. ولا يمكننا وصف اللسان الذي يألف استخدام العبارات القبيحة ويكثر من التصريح بها بغير اللسان البذيء الذي يشيع الفاحشة ويتحدث بما هو غير لائق وهذه من الأمراض التي يقع فيها اللسان.

عاقبة بذاءة اللسان

وقد وردت في هذا الموضوع مجموعة من النصوص الشرعية التي جاءت لتنهى بشدة عن هذه الظاهرة، ومنها ما ورد عن سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إن الله حرّم الجنة على كل فاحش بذيء، قليل الحياء لا

٤٠٢ . سورة النساء : الآية ٤٣ ، سورة المائدة : الآية ٦ .

بيالي ما قال ، ولا ما قيل له»^(٤٠٣) ، ويراد منه ذلك الشخص الذي يستخدم هذه العبارات والمفردات القبيحة ويصرح بأسمائها .

وقد تستخدم بعضها في أوضاعنا العامة وتقال على رؤوس الأَشهاد إذا حدث انفعال أو شجار بين شخصين ، وهذا من الفحش ومن بذاءة اللسان ، لتتحول بالترديد إلى ملكة وطبيعة في الإنسان ، وبعد ذلك تقال مثل هذه العبارات في حالات المزحة والتندر . الإنسان الذي يصل إلى حد اللامبالاة ليس لديه غيره ، يقول للآخرين كل ما يريد دون رادع يمنعه من الحديث في هذه الأمور . ثم يعقب بالقول : «فإنك إن فتشته لم تجده إلا لغية أو شرك شيطان» أي هو سفيه وتافه وقد شاركه الشيطان في أفعاله» قيل : يا رسول الله وفي الناس شرك شيطان؟ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أما تقرأ قول الله عز وجل : «وشاركهم في الأموال والأولاد»^(٤٠٤) . في إشارة منه إلى ما ورد في سورة الإسراء حينما يخاطب الله تعالى الشيطان بقوله : ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(٤٠٥) ، هنا يصير الشيطان شريكا للإنسان ويكون حاضرا في سلوكه ، فلا يعبأ ولا يكثر بأن يقول كل هذه الكلمات أو يسمعها من الآخرين .

وفي رواية أخرى تتحدث عن السبب في عدم استجابة الدعاء ، وتشير إلى أن ظاهرة الفحش والبذاءة تقطع استجابة دعاء الإنسان ، عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : «كان في بني إسرائيل رجل فدعا الله أن يرزقه غلاما ثلاث سنين ، فلما رأى أن الله لا يجيبه قال : يا رب أبعد أنا منك فلا تسمعي أم قريب أنت مني فلا تجيبي؟ قال : فأتاه آت في منامه فقال : إنك تدعو الله عز وجل منذ ثلاث سنين بلسان بذيء وقلب غير تقي ونية غير صادقة ، فاقلع عن بذائك وليتق الله قلبك ولتحسن نيتك . قال : ففعل الرجل ذلك ثم دعا الله فولد له الغلام»^(٤٠٦) .

لقد كان هذا الرجل يدعو الله بلسان لا يتنزه عن هذه الألفاظ البذيئة ، والله لا يستجيب لصاحب اللسان البذيء ، وكان قلبه قاسيا ليس فيه خشوع ، والخشوع وانكسار القلب قضية مهمة في استجابة الدعاء ، لأن التقوى تنور القلب يقول تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ

٤٠٣ . بحار الأنوار - ج ٧٦ - ص ١١٢ .

٤٠٤ . بحار الأنوار - ج ٦٠ - ص ٢٠٧ .

٤٠٥ . سورة الإسراء : الآية ٦٤ .

٤٠٦ . بحار الأنوار - ج ٥٨ - ص ١٧٢ .

قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴿٤٠٧﴾ وحينما يكون القلب قاسيا، يكون كالحجارة كما يعبر عنه القرآن الكريم: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (٤٠٨).

مقابلة الإساءة بالإحسان

وعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن من شر عباد الله من تكره مجالسته لفحشه» (٤٠٩). وعن سماعة قال: «دخلت على أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال لي مبتدئا، يا سماعة ما هذا الذي كان بينك وبين جَمَّالِك، إياك أن تكون فحاشا أو صخابا أو لعانا فقلت والله لقد كان ذلك إنه ظلمني. فقال إن كان ظلمك لقد أريبت عليه إن هذا ليس من فعالي ولا أمر به شيعتي استغفر ربك ولا تعد، قلت أستغفر الله ولا أعود» (٤١٠)، يعني أنك زدت عليه بالظلم، وهذا الفعل ليس من صفات أصحابي وشيعتي.

ونهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن سب قتلة بدر من المشركين وقال: «لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يخلص إليهم شيء مما تقولون وتؤذون الأحياء ألا إن البذاءة لؤم» (٤١١)، ولا طائل من هذا السب سوى هتك الحرمات وإثارة النفوس.

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها» (٤١٢)، فلذلك علينا أن نتجنب الفحش. قال أعرابي لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصني فأوصاه بجملة وصايا منها: «وإن امرؤ عبّرك بشيء يعلمه فيك، فلا تعيّره بشيء تعلمه منه، دعه يكون وباله عليه، وأجره لك، ولا تسبن شيئا» (٤١٣). وقال عياض بن حماد: «قلت يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرجل من قومي يسبني وهو دوني - أنا قادر على الرد عليه - هل علي من بأس أن أنتصر منه» فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «المتسابان شيطانان يتعاويان ويتهاثران» (٤١٤). يبقى هذا الفعل ليس صحيحا، ولأنك الأقدر والأقوى يجب أن تسكت عنه ولا يحمل ذلك على أنه ضعف بل هو العفو عند المقدرة.

٤٠٧. سورة الزمر الآية ٢٢.

٤٠٨. سوروة البقرة الآية ٧٤.

٤٠٩. ميزان الحكمة - ج ٢ - ص ٢٥٦.

٤١٠. وسائل الشيعة، ج ١٦ - ص ٣٣.

٤١١. اللمع للسيوطي، ص ٤٨ وإحياء علوم الدين - ج ٢ - ص ١٩٩.

٤١٢. ميزان الحكمة ج ٣، ص ٢٣٧٦.

٤١٣. صحيح ابن حبان - ج ٣ - ص ٣٦.

٤١٤. ميزان الحكمة - ج ٤ - ص ٢٥٠.

ورود: «ملعون من سب والديه»^(٤١٥). وهذه ظاهرة غريبة تتحول أحيانا إلى عرف اجتماعي، أتذكر وأنا طفل صغير تعامل أبناء الجيران مع أمهم إذ نسمع الأطفال يسبوننا حينما يطلبون شيئا منها، وكنا ندهش من هذا التعامل. فاللعنة تشمل من يتعامل بهذه الطريقة. الفحش إذاً من الأمراض الكبيرة التي يقع فيها اللسان.

أخلاق العلماء

من الأمراض الأخرى للسان، المرء والمجادلة والخصومة وهو المرض السابع. وهذا مرض خطير أيضا. لكن ماذا يعني المرء؟ المرء هو الاعتراض بشكل مستمر والتشكيك حتى في القصد والنوايا، والمهم أن يكسر الآخر، ويظهر فيه مثلبة ونقصا ويحقره في المجتمع، وتراه دائما ينتقد ويعترض ليظهر نفسه الأفضل، يتحول المرء المستمر إلى حالة من اللجاجة والاعتراض. وحينما يتحول ذلك إلى القضايا الفكرية والعلمية يطلق عليه المجادلة وهي أخص من المرء.

والمجادل لا يكاد يجلس في مكان إلا وقدم إشكالاته واعتراضاته ليس للعلم وإنما للإحراج ولإظهار عدم معرفة الآخر وكسره أمام الآخرين. أما الخصومة فهي أن يتخاصم الفرد مع الآخرين ليثبت حقا لنفسه في قضية من القضايا، وهذه الحالة تثير العواطف والمشاعر؛ لأن الآخر يدافع عن نفسه أيضا، ولا يقبل بذلك فيتحول هذا الأمر إلى شجار وقتال وهذه صفة ليست طيبة. وإذا كنت تريد الإصلاح والتصحيح فيمكنك أن تبين للآخر دون أن تحرجه أمام الآخرين.

يُنقل عن الإمام السيد محسن الحكيم (قدس) أنه كان في مجلس يضم عددا من كبار العلماء، فطرح الإمام الحكيم معلومة أجابه أحد العلماء الحضور وناقشه فيها وبيّن رأيا آخر، وهنا سكت السيد الحكيم وبعد أن انتهى النقاش، استأذن وخرج، فبدأ أمام الآخرين أن السيد محسن الحكيم كان مخطئا في هذه القضية. وحينما خرج انتظر هذا العالم خارج المجلس وبعد فترة خرج العالم فأخذه السيد محسن الحكيم على جانب وقال له راجع الكتاب الفلاني، صفحة رقم كذا، الموضوع الفلاني، وما أراد أن يكسره أمام الآخرين، وتحمل انطباع الحضور في المجلس بأنه كان مخطئا في الرأي الذي طرحه. وهذه من سمات العلماء، هكذا يحفظون بعضهم بعضا.

العواقب النفسية

ورد في الكافي الشريف، عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إياكم والمرء والخصومة إياكم والمرء والخصومة، فإنهما يمرضان القلوب على الإخوان، وينبت عليهما النفاق»^(٤١٦). فللمراء والجدل والخصومة وكسر الآخر تأثيرات سلبية كبيرة في الواقع الاجتماعي.

وعن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إياكم والخصومة، فإنها تشغل القلب وتورث النفاق، وتكسب الضغائن»^(٤١٧)، فلماذا إذن هذا المرء؟ ولماذا هذه الخصومات فيما أن الإنسان بإمكانه حل هذه المشاكل بشكل صحيح وطبيعي. عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «ما كاد جبرائيل يأتيني إلا قال: يا محمد اتق شحناء الرجال (يعني بغضاءهم) وعداوتهم»^(٤١٨)، ولا تثر البغض والمشاعر بين الناس؛ لأن هذه المشاعر حينما تثار يصعب تهدئتها وتطيبها، والقلب حينما ينكسر يصعب أن يلتئم من جديد، فتفننوا في تطيب الخواطر وتهدئة المشاعر.

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ثلاث من لقي الله عز وجل بهن دخل الجنة من أي باب يشاء، من حسن خلقه» أولاً الخلق الحسن، تفنن في العبارات اللطيفة وفي إبراز المحبة للآخرين، كن عنصر خير وسلام «وخشي الله في المغيب والمحضر» وعليك أن تخشى ربك سواء أكنت بمفردك أم مع الناس، «وترك المرء وإن كان محققاً»^(٤١٩)، وهذا هو محل الشاهد أن نترك المرء وإن كنا على حق.

وفي بحار الأنوار عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «أربعة القليل منها كثير: النار القليل منها كثير، والنوم القليل منه كثير، والمرض القليل منه كثير، والعداوة القليل منها كثير»^(٤٢٠). وكما قيل ألف صديق ولا عدو واحد، فحتى لو كان لديك القليل من الأعداء لكن تأثيرات ذلك ومضاعفاته كبيرة وعظيمة. وعن الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ عن آبائه قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من كثر همه سقم بدنه، ومن ساء خلقه عذب نفسه، ومن لاحي الرجال سقطت مروءته وزهبت كرامته»^(٤٢١)، فحينما يزداد همك تزداد أمراضك، كما

٤١٦ . بحار الأنوار - ج ٢ - ص ١٣٩ .

٤١٧ . بحار الأنوار - ج ٧٠ - ص ٤٠٨ .

٤١٨ . بحار الأنوار - ج ٧٠ - ص ٤٠٧ .

٤١٩ . بحار الأنوار - ج ٢ - ص ١٣٩ .

٤٢٠ . ميزان الحكمة - ج ٤ - ص ١٦٠ .

٤٢١ . أمالي الشيخ الطوسي - ص ٢٦ .

يعيش الفرد المنفعل ، سيئ الخلق حالة العذاب ، ومن يخاصم الرجال ويدخل معهم في شجار لا تحترمه الناس ولا تقدره ، ولا تبقى له كرامة ولا حرمة في المجتمع ، لذا يجب تجنب مثل هذه الخصومات .

السخرية لا تلتقي مع الإيمان

المرض الآخر هو الاستهزاء والسخرية . فقد يرى الإنسان نفسه أفضل من الآخرين فيسخر منهم ويسيء إليهم ويعتدي عليهم ، ويظهر معائب الآخرين بطريقة مضحكة تارة بالحديث وتارة بالحركات . ونشاهد اليوم برامج تلفزيونية متخصصة بإضحاك المشاهدين من خلال تقليد الآخرين باستهزاء . إن حالة الاستهزاء والسخرية بالآخرين وهتك حرمتهم للتندر والضحك والاستجمام أو للراحة قضية خطيرة جدا ، وقد تناولها القرآن الكريم في آيات كثيرة نذكر منها تيمنا ما جاء في سورة الزمر : ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾^(٤٢٢) ، فالسخرية والتفريط في جنب الله يجلبان الحسرة يوم القيامة .

وفي سورة أخرى يقول تعالى : ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ أي يستهزئون ويعيبون على المتصدقين المتطوعين من المؤمنين ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ هناك الفقراء من المؤمنين الذين يشعرون بمن هم أفقر منهم فيتصدقون عليهم بالقليل ، الأمر الذي دفع بالمنافقين إلى السخرية والاستهزاء بالمؤمنين وبصدقاتهم ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٤٢٣) . هؤلاء الذين يسخرون من الناس ويستهزئون بهم ، المناعون للخير ، يسخر الله سبحانه وتعالى منهم وأعد لهم عذابا أليما .

وفي موضع ثالث يقول سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ فربما يسخر الفرد ممن هو خير منه ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾ وقد تسخرين من أخرى هي أعظم مقاما عند الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَابِ﴾ لا تستخدموا المفردات التي يسيء فيها بعضكم إلى بعض ﴿بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ فليس هناك أسوأ من أن يعود الفرد للفسق بعدما أصبح مؤمنا نتيجة الاستهزاء والسخرية بالآخرين ، ثم تعقب الآية بقوله تعالى : ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٤٢٤) .

٤٢٢ . سورة الزمر : الآية ٥٦ .

٤٢٣ . سورة التوبة : الآية ٧٩ .

٤٢٤ . سورة الحجرات : الآية ١١ .

ونقرأ في سورة المطففين عددا من الآيات الكريمة التي تبين صفات هؤلاء المستهزئين بعد أن وصفتهم بالمجرمين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُجْرُمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ المجرم والمسيء يضحك من المؤمنين ويستهزئ بهم، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ وإذا مر هؤلاء المجرمون بالمؤمنين سخروا منهم، وتغامزوا في ما بينهم على سبيل الاستهزاء، ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ يتندرون ويستهزئون بالمؤمنين في مجالسهم ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ يحاولون أن يثبطوا المؤمنين ويقللوا من قيمة الإيمان والعبادة ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾، حين تنقلب المعادلة يوم القيامة فيضحك المؤمن من الكافر بعد أن يراه في العذاب الأليم، أما المؤمن الذي كان موضعاً لاستهزاء هذا الكافر فهو في النعيم، وكما وصفته الآية: ﴿عَلَىٰ الْأَرْبَابِ يَنْظُرُونَ﴾^(٤٢٥).

وعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من عيّر أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعملها»^(٤٢٦). يمكن أن تصدر من شخص معصية أو خطأ، أو يكون قد وقع على ورقة انتماء للحزب الفلاني، فلا داعي لملاحقته بعد أن تركه وتاب. وقد يكون الإنسان قد صدرت منه خطيئة في وقت الشباب وقد عاد إلى الصواب، فلا يحق لأحد أن يذكره بها ويعيب عليه ذلك. وهذا الذي يذكر الناس بخطأ تابوا عنه سيبتليه الله بنفس المرض، لذلك يجب أن نكون حذرين من الاستهزاء بالآخرين واتهامهم بأمور معينة.

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن المستهزئين يفتح لأحدهم باب الجنة، فيقال: هلم: فيجيء بكرهه وغمه، فإذا جاء أغلق دونه، ثم يفتح له باب آخر... فلا يزال كذلك حتى أن الرجل ليفتح له الباب فيقال له: هلم هلم، فما يأتيه»^(٤٢٧)، وكأن الله يعذبه بطريقة الاستهزاء ويعرف أخيراً أنها ليست الجنة وإنما هي عقوبة إلهية لما قام به من استهزاء.

نسأل الله أن يجيرنا من ذلك. وتبقى هناك أمراض كثيرة أخرى من أمراض اللسان ولكننا حاولنا أن نستعرض الأهم من هذه الأمراض، التي قد يقع الإنسان فيها ويبتلى بها. وبهذا تنتهي من الحق الثالث، وهو حق اللسان على الإنسان، وسنواصل إن شاء الله في السنوات القادمة، إذا قدر الله لنا الحياة، في شهر رمضان الحديث في هذه الحقوق.

٤٢٥. سورة المطففين: الآية ٢٩.

٤٢٦. ميزان الحكمة - ج ٧ - ص ٢٦٩.

٤٢٧. ميزان الحكمة - ج ٤ - ص ٢٧٨.



محاضرات شهر محرم الحرام





الليلة الأولى - بتاريخ ٢٦/١١/٢٠١١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عظم الله لكم الأجر بمصابنا بسيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ما إن يحل شهر محرم الحرام حتى تتجدد الآلام والفجيرة بما ألمَّ بآبِن بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وبأهل بيته وأصحابه، نستذكر ذلك الحدث التاريخي الكبير ونستذكر تلك المصيبة العظمى ونستلهم منها الدروس فنقف منها موقف عبْرَة وموقف عبْرَة، نأخذ العبر والدروس من الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، من مدرسة وعطاء وفكر وسلوك الحسين، من طريقة تعامل ومن رؤية الحسين ومن وسائل الحسين في الانتصار للحق والحقيقة، وموقف عبْرَة ودمعة ومشاعر وعواطف وألم، نحاول من خلاله أن نعبئ النفوس والمشاعر باتجاه الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وقضيته العادلة، فالحسين عبْرَة وعبْرَة.

التقويم الهجري

ولكننا في هذه الليلة وهي الليلة الأولى من السنة القمرية الجديدة سنة ١٤٣٣، لا بد من أن نقف عند واحد من المؤشرات المهمة على الهوية الإسلامية ألا وهي التاريخ القمري الذي نعتمده نحن المسلمين، نلاحظ قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٤٢٨) صدق الله العلي العظيم.

هذه الآية واحدة من الآيات التي تشير إلى هذا الموضوع المهم والحساس وهو التاريخ

٤٢٨ . سورة التوبة : الآية ٣٦ .

الذي يعتمد على المسلمون، وهناك سؤال كبير ومهم يطرح نفسه، وهو إننا كمسلمين لماذا اخترنا هذا التاريخ القمري الذي يعتمد على حركة القمر وانعكاس نور الشمس على القمر أساسا لتحديد تاريخنا ومنطلقا لحركة ومبدأ التاريخ، في حين أن الأمم الأخرى تعتمد على التاريخ الشمسي الذي يعتمد على حركة الشمس وحركة الفصول كحركة واضحة وثابتة ودقيقة، مع أن التاريخ القمري وبحكم ارتباطه بحركة القمر وانعكاس نور الشمس على القمر يرتبط برؤية الهلال الذي تختلف رؤيته باختلاف الدول وغيرها من الأمور، وكثيرا ما يحصل إرباك عند المسلمين في تحديد أوائل الشهور، في حين أن التاريخ الشمسي معروف وواضح ويين؛ لأن حركة الشمس حركة واضحة وحركة الفصول حركة ثابتة وهذا التاريخ هو المعتمد، فلماذا تركنا التاريخ الشمسي وذهبنا إلى التاريخ القمري مع وجود هذه الالتباسات؟.

التاريخ جزء من الهوية

والسؤال الآخر المهم في هذا التاريخ القمري، لماذا اعتمدنا على الهجرة النبوية مبدأً وأساساً؟ فتاريخنا تأريخ هجري يبدأ من الهجرة النبوية الشريفة فيما أن الإسلام يمكن أن تكون له بدايات قبل الهجرة، وهذا أيضا من المواضيع التي تحتاج إلى معالجة. من المعروف أن التاريخ يمثل جزءا من الهوية للكيان أو المجموعة التي تجمعها عقيدة واحدة، فالتاريخ من أبرز سماتهم ومن ملامح هويتهم، ولذلك علينا أن نقف عند هذا الموضوع لنرى لماذا اعتمدنا التاريخ القمري دون التاريخ الشمسي؟ ولماذا كانت الهجرة مبدأ دون غيرها من المحطات والأحداث المهمة والأساسية الأخرى التي حدثت قبل الهجرة النبوية الشريفة.

يتحدث القرآن الكريم في سورة البقرة عن هذا الموضوع في قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحُجَّجِ﴾ فالهلال ورؤيته إذن، هي المبدأ في حساب التاريخ عند المسلمين، ومن الصعب الجزم والقول بأن أسباب اختيار التقويم القمري تكمن في نقاط محددة، ولكن يمكن للإنسان أن يستنبط عددا من الأسباب والخلفيات ولكن قد تكون هناك أسباب أخرى يتعرف عليها الإنسان بالتدريج مادامت الحقيقة قرآنية، ولكن حتى نقرب هذه الفكرة ونعرف لماذا تم اعتماد التاريخ القمري للمسلمين، يمكن القول إن الإسلام باعتباره مدرسة مستقلة ومنهجها مستقلا جاء بأطروحة جديدة ومثل دينا ومشروعا ورسالة للإنسانية تختلف عن المشاريع الأخرى.

العالم بين قطبي الرومانية والفارسية

لقد أكمل الإسلام المشاريع السماوية الأخرى التي سبقته ، واستقل بشكل واضح عن المشاريع الوضعية ، فإذا أردنا أن ننظر إلى ذلك التاريخ الذي انطلق فيه الإسلام وإلى الواقع الاجتماعي آنذاك ، نجد أن الناس في ذلك الوقت كانت تتجاههم قوتان عظيمتان ؛ القوة الرومانية البيزنطية والقوة الفارسية ، وهما قوتان كبيرتان يمتلك كل منهما معالم حضارية عريقة وتمثل كل منهما أمة بذاتها ، وكل يدعي لنفسه ما يدعي . وكلتا القوتين كانتا تعتمدان التاريخ الشمسي مبدأ لها ، مع اختلاف في تحديد بداية السنة عندهما ، فالأمة الرومانية التي كانت تدين بالمسيحية كانت تعتمد (كانون الثاني) مبدأ لها كما هو إلى اليوم في التاريخ الميلادي ، أما الأمة الفارسية فكانت تعتمد (فروردين) مبدأ للسنة كما هو إلى اليوم في السنة الشمسية للأمة الفارسية .

ولو أردنا أن نبحث عن أساس اختيار هذين التاريخين في كلتا الحضارتين ، فسنجد أن الأساس في الأمة الرومانية هو الديانة المسيحية ، إذ يمثل هذا التاريخ ميلاد السيد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وما زال الحساب على أساس ميلاد السيد المسيح . وكانت الأمة الفارسية تعتمد تاريخ بناء الكيان الساساني ، وهو الكيان السياسي الأول للأمة الفارسية بداية لتقويمها . وبعد أن دخلت الإسلام ، فإنها وإن عملت بالتقويم الهجري الإسلامي ، بقي اعتمادهم الأول على تقويم الدولة الفارسية في ذلك الحين .

استقلالية الهوية

لقد كان العالم يزرح تحت حكم هاتين القوتين الكبيرتين والأساسيتين ، وكانت ما سواهما من الأمم قوى صغيرة وكانت تتبع إحدى هاتين الإمبراطوريتين ، وجاء الإسلام ليؤكد أنه مدرسة مستقلة ومشروع وفكر جديد ، فهو حركة لا شرقية ولا غربية ، لا فارسية ولا رومانية ، بل الإسلام مشروع جديد للإنسانية ، فإذا كان مشروعاً مستقلاً وجديداً ، فيجب أن يكون مستقلاً عن القوى الأخرى الموجودة في هويته وفي ملامحه ، حتى يبرهن على استقلاليته ، فتلك القوى كانت تعتمد التاريخ الشمسي وجاء الإسلام يعتمد على التاريخ القمري في إشارة واضحة للهوية الإسلامية المستقلة عن تلك الإمبراطوريات والقوى العظمى التي كانت قائمة وسائدة في ذلك الحين . قد يكون هذا الأسلوب واحداً من الأساليب التي ميّزت الإسلام عن المدارس الأخرى والحضارات الفاعلة التي كانت قائمة في ذلك الحين .

تبدل الظروف وثبات الطاعة

يمكن أن نتصور سببا آخر لاختيار التقويم القمري ، فالذي نلاحظه أن مجموعة من العبادات في الإسلام ارتبطت بأوقات معينة وبأشهر محددة ، كعبادة الصوم في شهر رمضان ، والحج في ذي الحجة الحرام ، فأصبحت صحة العبادة مرتبطة بوقوعها في زمن محدد . وتوجد كذلك عبادات مستحبة كثيرة مؤقتة بتوقيات وبأشهر معينة ، فنجد في كتب الأدعية والزيارة ككتاب مفاتيح الجنان أن لكل شهر من الأشهر أعمالا مستحبة ومسنونة ، فالمستحبات والعبادات الكثيرة مرتبطة إذن بأشهر وأزمنة معينة فضلا عن الواجبات كالحج والصيام .

هنا نلاحظ أن التقويم الشمسي تأريخ ثابت كما قلنا ، فصوله ثابتة وأشهره ثابتة ، فالأشهر الشمسية تتكرر في توقيت وفي ظروف بيئية ومناخية محددة وثابتة ، فمثلا كانون الثاني هو الشهر الأول من السنة الميلادية الشمسية ، يبدأ وينتهي في كل سنة في فصل الشتاء ، ويأتي شهر تموز في فصل الصيف ، فالأشهر في هذا التقويم موزعة على فصول محددة وثابتة ، ولكن التقويم القمري ولأنه يرتبط بحركة القمر فهو تقويم تتحرك أشهره بالتدرج من فصل إلى آخر . يكمل الشهر القمري الواحد دورته بين الفصول الأربعة خلال ثلاث وثلاثين سنة ، فشهر محرم الحرام مثلا ، وخلال هذه الفترة الزمنية يتنقل بالتدرج من فصل الشتاء إلى فصل الربيع ثم الخريف والشتاء وهكذا ، وكذلك شهر رمضان يكمل خلال ثلاث وثلاثين سنة دورته في كل فصول السنة ، فالشهر القمري شهر يتحرك في الفصول ، ولكن الشهر الشمسي ثابت في فصل محدد .

ولو كنا نعتمد التأريخ الشمسي فمن الممكن أن يكون صومنا في فصل الشتاء ولا يمكن أن يوافق في فصل الصيف والعكس صحيح ، وكذلك الحج فإما أن يوافق البرد أو الحر ولا يمكن أن يتحرك بينهما . ، فترتبط هذه العبادة أو تلك بمناخ وظرف محددين ، ولكن إذا ربطنا هذا الموضوع بالتأريخ القمري أصبح المسلم يصوم في الحر ويصوم في البرد ، يحج في الشتاء ويحج في الصيف ، ويأتي بهذه الأعمال في كل فصول السنة ، وكان هذا اقرب إلى الإخلاص لله تعالى ، إذ يؤدي العبد فريضة الصوم لله تعالى سواء أكان الطقس حارا أم باردا ، قصرت ساعات الصوم أم طالت ، فهو مطيع ومستجيب لنداء الله مهما تبدلت الظروف وتغيرت الأجواء .

وكذلك بالنسبة للحج ، فمهما كانت الظروف فلا يمكنها أن تحول بينه وبين الانقياد

لله تعالى ، وفي هذا مستوى عال من تجسيد العبودية لله تعالى ، وفيه تكريس للطاعة لله تعالى . إننا نأتي بهذه الأعمال مهما كانت الظروف والأجواء ، وهذا يجعل العبادة لا ترتبط بظرف زمني أو طقوس معينة أو مناخات عامة معينة ، وإنما يبقى الإنسان متحرراً من هذه الالتزامات والقيود ، ومستعداً لعبادة الله تعالى في كل ظرف وزمان وفي كل وقت ، وهذا قد يكون سبباً آخر من الأسباب التي دعت إلى اعتماد التأريخ القمري .

مضامين الاستهلال التربوية

يرتبط السبب الثالث المحتمل لاختيار التأريخ القمري برؤية الهلال . إن استحباب رؤية الهلال تشير إلى أن عملية الاستهلال عملية عبادية مقدسة ، فذهاب شهر ومجيء شهر جديد يعني نقصان العمر ، وهي عملية تتكرر في كل شهر وتتجدد فيه هذه الحقيقة . لا يحتاج من يعتمد الشهر الشمسي إلا لمفكرة تخبره بتوقيتات ومواعيد الأيام خلال عشرات بل مئات السنين ، ولا يحتاج لوسيلة أخرى يتعرف من خلالها على بداية الشهر ، وتمر عليه الشهور دون أن يقف عندها ويتعلم منها ويتفقه ويتبته إلى ما فاتته ، ويعيش حالة الغفلة .

وهذا ما اعتادت عليه مجتمعاتنا بعد أن ارتبطت ثقافتها وحركتها بالتقويم الشمسي الميلادي ، ولا نذكر التأريخ القمري إلا في شهر رمضان وما يرتبط به من صوم وكذلك في وقت الحج ، مع أن الفتاوى العامة تذهب بالإنسان حيثما ذهب عموم المسلمين وهي متروكة لتشخيصات الدولة المضيفة .

على كل الأحوال ، إذا أردنا أن ننظر إلى ثقافتنا الدينية نرى أن عملية الاستهلال والدعاء عند رؤية الهلال الذي يحمل مضامين تربوية كبيرة يشعر معها الإنسان بأن الشهر قد انتهى ودخل في شهر جديد . ويبقى يتابع هذا التحول ، فإذا كان سائراً في الطريق الصحيح ، جدد العزيمة وواصل السير ، وإذا كان سائراً في الطريق الخطأ والعباد بالله ، توقف وصحح وتاب إلى الله وقوم أداءه ومساره وسلوكه . إن الاعتماد على التأريخ القمري فيه تربية ومراجعة للنفس ويملك فيه الفرد زمام المبادرة في مراقبة حركة الزمان لكي لا يضيع منا ويذهب العمر ، وهذه الحالة لن تحدث إلا لمن يعتمد التأريخ القمري ويلتفت إلى حركة الزمان ، وهي تربية وترويض روحي مستمر .

ما يميز الهجرة النبوية

ينقدح هنا سؤال آخر لا يقل أهمية عما سبق، يتعلق هذا السؤال بسبب اختيار الهجرة النبوية مبدأ للتقويم القمري الذي اعتمده المسلمون، مع أننا أمام حدثين مهمين وكبيرين هما، ولادة الرسول الذي يمكن اعتماده لذلك كما في التأريخ الميلادي عند المسيحيين، إذ يعتمدون ولادة السيد المسيح على نبينا وآله وعَلَيْهِ السَّلَامُ. والحدث الآخر هو ولادة الرسالة والمبعث النبوي الشريف، فلماذا لا نعتمد ولادة الرسول ولا ولادة الرسالة كراس سنة للتقويم القمري، واعتمدنا الهجرة النبوية، مع أنها جاءت بعد ثلاث عشرة سنة بعد المبعث الشريف، وتأخرت ثلاثا وخمسين سنة بعد ولادة الرسول؟.

ويزداد الاستغراب عندما نعرف أن هذا الموضوع نوقش في عهد الخليفة الثاني، وقد أشار علي عَلَيْهِ السَّلَامُ كما تحدثنا الوثائق التاريخية، باعتماد الهجرة النبوية أساسا لتأريخ المسلمين، وهذه قضية مهمة اعتمدها المسلمون بناء على هذا الاقتراح من أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٤٢٩)، فلماذا الهجرة وليس ولادة النبي أو البعثة النبوية الشريفة، هذا سؤال مهم علينا أن نجيب عنه.

بناء الدولة

إذا أردنا أن ننظر إلى خصوصية هجرة النبي إلى المدينة، سنرى أن الهجرة كانت الخطوة الأكبر لتأسيس الكيان السياسي على يد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقد شكل رسول الله دولته في المدينة. اتسمت المرحلة المكية بدعوة الناس سرا إلى الإسلام ثم انتقل الأمر إلى بدايات الدعوة العلنية وجمع الأنصار، وكان النبي خلالها مطاردا وملاحقا ومشردا، وكان تحت مراقبة المشركين، يُلاحق أصحابه ويضيق عليهم، لكنه يوم انتقل إلى يثرب أسس الدولة، وسماها المدينة وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقود تلك التجربة. وكان عليا حين يختار الهجرة مبدأ للتقويم الجديد، يريد أن يشير إلى أن المسلمين وصلوا إلى عزتهم وشوكتهم وهويتهم في اليوم الذي أصبحت لديهم دولة عادلة تدافع عن حقوقهم وتبني مجتمعهم وتنظم حياتهم وتقنن سلوكهم، فالعد الحقيقي يبدأ مع قيام الدولة أما ما قبل ذلك فهو مجرد مقدمات وتحضيرات.

وهذا درس عظيم وإشارة مهمة، وهذا ما نلاحظه في واقعة الغدير، ماذا جرى في الغدير؟، في الغدير وضعت الرؤية في بناء الدولة العادلة لقادم الأيام، إذ يقول النبي:

٤٢٩. الكامل لابن الأثير ج٢: ص٥٢٦، وتأريخ البيهقي ج٢: ص١٤٥.

(من كنت مولاه فهذا علي مولاه) وجاءت الآية الشريفة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، فكمال الدين وتمام النعمة ورضا الله بالإسلام دينا يوم يضع الصورة والرؤية الواضحة للحكم العادل .

بداية السنة المعنوية

ومما تقدم يفتح سؤال جديد ، فإذا كانت الهجرة مبدأ للتقويم القمري فلماذا أصبح شهر محرم الحرام بداية السنة الهجرية مع أن الهجرة لم تكن فيه؟ ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، نجد أن العرب في زمن الجاهلية كانوا يعتمدون شهر محرم بداية للسنة أيضا ، وقد ذكرنا سابقا أن الإسلام جاء ليصحح المسار ولكنه اعتمد نفس التاريخ . وهذا يدل على أننا إذا كنا نعاني مشكلة مع نظام معين فلا يعني أن كل ما عنده خاطئ ومرفوض .

لقد عاش العرب قبل الإسلام في جهل وجاهلية وظلام وشرك وكفر ، مما يدعوننا إلى رفض عقائدهم وعدم الركون إلى ما يتعلق بالدين والسلوك المنحرف ، ولكننا مع كل ذلك لا يمكننا أن نلغي كل تراث وإنجازات تلك المرحلة ، وليس لنا أن نرفض ما كان منسجما مع أخلاقنا وثقافتنا ، وهذا ما ينطبق على التقويم القمري الذي اتخذ شهر محرم بداية للسنة منذ أيام الجاهلية ، وقد عمل به الإسلام حين رأى ذلك منسجما مع الظرف الإسلامي .

نلاحظ حتى مع المسار الديني للمسلمين أن شهر محرم جاء ملائما ومناسبا دينيا ، إذ تذهب الناس إلى حج بيت الله الحرام في شهر ذي الحجة وهو آخر الشهور القمرية ، والحج محطة دينية واقتصادية للمسلمين . والحج هو القصد ، والحجاج إذ يقصدون رب العالمين يجسدون التوحيد الخالص لله تعالى ، وحين يؤدي الحاج فريضة الحج يطهر ويرجع نظيفا طاهرا مطهرا في قلبه ومعنوياته ، والله غفر له وتاب عنه ، ويغفر لجميع حجاج بيت الله الحرام في هذا العام وفي كل عام ، وعندما يرجع يقال له استأنف العمل ، ويأخذ سنة جديدة من العمل وتكون بداية جديدة بعد الحج إلى الحج من السنة القادمة ، ويذهب ويجدد العهد والبيعة والعبودية لله سبحانه وتعالى ويرجع من جديد ، ليكون ما بعده صفحة وبداية جديدة ، وبهذا الفهم يكون شهر محرم الحرام بداية السنة الهجرية للمسلمين .

وأما اقتصاديا ، فقد كان الناس يأخذون معهم بضائعهم ويقولون نحج ونبيع ونشتري . وقد كانت الحركة التجارية صعبة تلك الأيام ولم تكن هناك وسائل للنقل والاتصال كما

هي اليوم ، إذ يمكننا أن نتصل بالصين ونشتري البضاعة التي نريدها ليطم شحنها بالوسائل الحديثة بعد شهر مثلاً ، لقد كان الحج فرصة لاجتماع الناس من كل مكان وملتقى للتبادل التجاري بين أبناء المدن المتباعدة ، ليكون ما بعده بداية لحركة اقتصادية جديدة ، فصار شهر محرم بداية السنة الهجرية منسجماً مع الظروف الاجتماعية والدينية والظروف الاقتصادية للمسلمين ، لذلك صححه الإسلام واعتبره بداية لهذا الأمر .

الدموع الثائرة

لقد وقعت ثورة الإمام الحسين ، هذه المجزرة والمصيبة في محرم الحرام ، في بداية السنة الهجرية ، فهل هذه صدفة واعتباط أو هي تخطيط إلهي لتبدأ السنة الهجرية بالحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لنقف عند مدرسة الحسين ، حسين الثورة وحسين العطاء وحسين الفداء وحسين التصدي ، الحسين الذي يعني تحمل المسؤولية تجاه الأمة .

لم يكن الحسين يطلب سلطة وكرسياً ، ولم يبحث عن امتيازات ، بل كان رجل إصلاح وبناء ورجل خدمة عامة : «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ، ولا مفسداً ولا ظالماً ، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»^(٤٣٠) . ولم تكن القضية قضية حكم وسلطان وامتيازات ووجاهات ؛ لأنه لم تنقصه الوجاهة ولا يعوزه السلطان . ولو أراد الدنيا لانسجم مع الحاكم وأعطاه كل ما يشتهي ويريد .

أراد الحسين إصلاح المسارات لتسير بالاتجاه الصحيح ، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يجعل من الحسين ومن قضية الحسين قضية مركزية وأساسية في حركة المسلمين ، فجعلها في بداية السنة ؛ ولذلك ترون بعض أوساط المسلمين الذين لم يكونوا متفاعلين أو مطلعين بشكل جيد يأخذون بداية السنة الهجرية كما يأخذها الآخرون ؛ فالمسيحيون في بداية السنة الميلادية ، والإخوة الإيرانيون والإخوة الكرد يحتفلون في نيروز ببداية السنة الشمسية ويعتبرونها أفرحاً وأعياداً ، فيما أن من يعرف قضية الحسين ويتفاعل معها يبدأ هذه السنة بلبس السواد والحزن على سيد الشهداء والبكاء على الحسين . إن هذه الدموع التي يذرفها المحبون على سيد الشهداء لم تكن مجرد ماء يسكبه الإنسان حتى يطفئ النار ويعيش التقاعس والخذلان والتراجع والكسل ، وإنما هذه دمعة زيت يصبها الإنسان على نار التصدي والحماس والاندفاع فيزيدها اشتعالاً ويزداد حماساً وشوقاً

وإرادة في أن يمضي ببناء الإنسان والمجتمع على أساس الصلاح والإصلاح الذي أراده الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

توفير عناصر النجاح

قضية الحسين ليست قضية عاطفية صرفة وبحثة، فالحسين أحق بالخلافة والإمامة والتصدي لأمر المسلمين. وجاء يزيد بن معاوية وهو السكير المتجاهر بالفسق والفجور، يلعب مع القردة ويرتكب المحرمات ويقتل النفس المحترمة، ليس لديه ضوابط ومحددات ولا يستحي من هذه الأفعال. قد يعمل ذلك بعض الناس بالسر ولكن هذا لا يستحي ويتجاهر ويقوم بذلك باسم الإسلام ويلبس جلباب الدين، وهذا خطر على الإسلام ودين الناس.

وأخطر شيء حينما يكون سلوك الحاكم سلوكا منحرفا وهو يدعي الإسلام والتدين، إذ إن الناس تحسب الخطأ على الدين والإسلام، وليست المشكلة فيه بل فينا، إن أحسنا فهو من إسلامنا وإن أخطانا فهو من عند أنفسنا. ولخطورة القضية تصدى الحسين، والقضية ليست عاطفية وحقا ضائعا، لأن هناك الكثير من الحقوق الضائعة التي صبر عليها الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم وإنما كانت المسألة هي المخاطرة بالوجود والهوية الإسلامية وبالتجربة الإسلامية، وكان على الحسين أن ينهض ليقوم ويصحح.

خطط الحسين للثورة تخطيطا دقيقا في جوانبها السياسية والعسكرية والإعلامية، ولذلك بقيت قضية الحسين قضية مدوية بالرغم من كل محاولات الإخفاء والإقصاء والتشويه والتزييف. وبقيت قضية ناصعة واضحة لا يشك بها أحد، تعبئ الشعوب والأمم، وهي رسالة واضحة عن مسارات المشروع الإسلامي وعن رؤية الإسلام.

مرحلة التفاوض

لا أريد أن أسهب كثيرا، ولكن أريد أن نقف عند بعض الظواهر الحسينية، ومنها، لماذا أرسل الحسين مسلم بن عقيل رسولا إلى الوجهاء والشخصيات ليجددوا البيعة والعهد ويأخذ البيعة منهم من جديد، ويكتب للحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ إن الناس بايعوا ويطالبونك بالقدوم. فحدث الذي حدث بعد ذلك ونقضوا البيعة كما تعلمون.

أن إرسال مسلم وأخذ البيعة عمل سياسي، فقد قام الحسين بالتفاوض وأرسل لجنة تفاوضية لوضع المسارات ولأخذ الالتزامات والعهود والمواثيق، وهذه مبادرة

من الحسين للشراكة الوطنية، لجمع كل هؤلاء خلف مشروعه وأجلسهم على الطاولة المستديرة بالكوفة من خلال رسوله مسلم بن عقيل .

ومنها الخطب التفصيلية التي ابتدأها من تأريخ خروجه من المدينة مرورا بمكة ووصولاً إلى كربلاء، منذ أن نزل فيها وحتى يوم عاشوراء، إلى اللحظة التي استشهد فيها . لقد عبّرت تلك الخطب عن معاناة وألم وتضمنت شروحا وتحليلا وتذكيرا بتأريخ طويل، فهي عبارة عن بيانات وتصريحات استطاع الحسين من خلالها أن يوثق خلفيات هذه الثورة وجذورها وآفاقها، وهذا عمل إعلامي منظم ومنسق استطاع من خلاله الحسين أن يضع ملامح المشروع فلا يستطيع أحد حرفه عن مساره .

لا يريد الحسين أن يقاتل ويستشهد ويذهب لربه فحسب، وإنما قصد استمرار الاحتجاجات والحوارات، وهذا ما نلاحظه في كتبه وخطاباته التي وجهها إلى المعسكر الأموي، وحمله للكتب التي أرسلوها له وتذكيره المستمر بعلاقته برسول الله، بل إنه كان يرتدي عمامته ويتقلد سيفه، ويدخل في التفاصيل ويقيم الحجّة على الجميع ليعمل حدثاً إعلامياً كبيراً ويعبر عن خذلان أولئك القوم .

إلهاب الشعور بالإثم

ومنها، اصطحاب النساء والأطفال، فلماذا يصطحب الحسين نساءه وأطفاله وأهل بيته في معركة أعلن فيها عن شهادته ومقتله؟ .

إن هذه الخطوة تدلنا على أن واقعة الطف ليست معركة تنتهي بقتله وقتل أهل بيته وأصحابه، بل يجب أن تتحول إلى حدث إنساني كبير حتى تبقى خالدة .

تصوروا قضية عاشوراء وقضية الحسين دون وجود علي الأصغر ودون رقية وسكينة، وبلا سبي لذراري رسول الله وحرمة، كيف سيكون شكلها؟ . كل الذين شاركوا فيها من الأطفال والنساء والعجائز والكبار، ساهموا ليجعلوا من واقعة الطف ملحمة كبرى، ولا يمكن أن يكون لها هذا الحجم دون حضور كل هذه المساحات من استنهاض الهمم وإقامة الحجّة .

ومنها، إطالة المعركة يوم عاشوراء، مع أن الجيش الذي يقارب السبعين رجلاً لا يمكن أن يتفوق على معسكر عدده ثلاثون أو سبعون ألف مقاتل على اختلاف الروايات . إن إطالة المعركة من صلاة الفجر إلى قريب المغرب، إذ كان أصحاب الحسين يبارزون القوم واحداً تلو الآخر، وكما تسمعون في مقتل سيد الشهداء، هذه القصة الطويلة

العريضة المتكاملة والاحتجاجات والبيانات، فهذا ذهب وفلان ساندته، والعجوز خرجت، كل ذلك ليخلقوا منها حدثا كبيرا يتحول إلى مشروع عظيم. لم تكن قضية كربلاء قضية انفعالية وطائرة وبسيطة، لكن هي أعمق، لأنها مشروع إنساني وإسلامي كبير أريد من خلاله أن نأخذ دروسا في الحياة وبناء مجتمعاتنا.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لاستثمار هذه الأيام الشريفة واستلهام الدروس من الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن أهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وللحديث صلة في الليالي القادمة إن شاء الله. . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الليلة الثانية - بتاريخ ٢٧/١١/٢٠١١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دروس كربلائية

قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبْرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ صدق الله العلي العظيم﴾. (٤٣١)

تعودنا في كل ليلة من هذه الليالي الشريفة أن نقف عند درس من دروس كربلاء وإضاءة من إضاءات تلك المدرسة الخالدة، وفي هذه الليلة نتحدث عن شخصية الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وعن حميته. لقد جسد الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ الحمية والحماسة والاندفاع والشجاعة والإقدام والرجولة في شخصيته. وماذا تعني الحمية والاندفاع والرجولة عند شخصية الحسين؟، حينما ندرس الشخصية الإنسانية نجد أن كل فرد من بني البشر بشكل عام يتميز بشخصيته.

الشخصية الحسينية

نعبر في مصطلحاتنا المعاصرة عن بعض الشخصيات بالشخصية الرومانسية، وهذه الشخصية تتميز بالمشاعر وهي مفعمة بالأحاسيس، سريعة الغضب والانزعاج، سريعة الرضا، تتأثر بالكلمة الطيبة، فهي شخصية عاطفية تنفعل بالكلمة والسلوك غير الملائم فيترك أثرا في نفس صاحبها.

وهناك نمط آخر من الناس يمتلكون شخصية حزينة كثيرة الشكوى ، سلبي في نظرتهم للحياة ، يبحث دائما عن الإشكاليات والسلبيات . وهناك شخصية ناصحة مرشدة دائما ما تراها في موضع الوعظ ، وهذا ما يمكن أن نلاحظه في شخصية الأم في بيتها فهي توجه أبنائها وتعلمهم وتنصحهم على الدوام ، فهذا طبع في شخصية الإنسان ، فهي إذن شخصية نصوح علامتها الحزم والإرشاد .

وهناك شخصية حماسية مفعمة بالأمل والطاقة ، كلما تحدث صاحبها وفكر أو قام بخطوة ، يشد نفسه والناس تجاه أمر ما ، فهي شخصية حماسية وملحمية ، يقف صاحبها ليتحدث فيهم المشاعر والعواطف ويحرك الناس صوب الهدف الذي يعتقد بصحته ، وتسم مواقفهم وكلماتهم وأفعالهم كلها بالطاقة والنشاط والحماسة والحيوية والأمل .

وحيثما نتحدث عن الحمية الحسينية نتحدث عن الحسين الذي يبعث الأمل في الجمهور ، ويشد الجمهور نحو هدف كبير تجسد في حركته وأدائه . يمكن أن تحرك هذه الشخصيات شعوبا بكلمة تطلقها أو بموقف أو سلوك يصدر منها في مناسبة هنا أو هناك .

خطاب الصادقين

وهذا ما نجده في شخصيات كثيرة في تاريخنا الإنساني والإسلامي ، ففي معركة صفين كان علي عليه السلام يتحاشى الحرب مع معاوية ويسعى لحل هذه المشكلة عبر الحوار ، وكان يرسل الرسل من أجل تجنب أخطار الحرب وإراقة الدماء بين المسلمين ، ولم يكن هذا المنهج لضعف عند علي عليه السلام وإنما لرغبة في الحلول السلمية ، ولكن المنطق الذي كان سائدا في جيش معاوية كان منطقا آخر .

فصبر أمير المؤمنين على المنغصات والمشكلات حتى جاؤوا وقطعوا طريق نهر الفرات ، فكان علي عليه السلام أمام خيارين أحلاهما مر ، إما أن يستمر في منهج الحوار السلمي غير المنتج والعقيم الذي يعني هلاكه وجيشه من العطش ، وإما أن يدخل في حرب مع هؤلاء حتى يستعيد الفرصة للاستفادة من الماء ، وهو حق الحياة الطبيعي والمكفول لكل إنسان . فضح أصحاب الإمام ، فقام فيهم خطيباً في خطبة قصيرة جدا ألهب من خلالها مشاعر الجمهور وهياهم إلى المعركة فانقضوا على جيش معاوية ، وفي غضون ساعتين تمكنوا من استعادة موقعهم العسكري على نهر الفرات ، وملكوا المشرعة .

قال علي عليه السلام في هذه الخطبة «قد استطعموكم القتال» فهؤلاء القوم جياع ،

طعامهم هو قتالكم ، فجعلوكم طعاما يلتهمونونه ويشبعون جوعهم ، « فأقروا على مذلة ، وتأخير مَحَلَّة أو رووا السيوف من الدماء ترووا من الماء»^(٤٣٢) فإذا رضيتم بالمذلة والقهر فابقوا على هذه الحال ، فإما تموتون من العطش أو يتصدقون عليكم بقليل من الماء ، وإن أردتم العزة والكرامة ، ومن يرد أن يرتوي من الماء فعليه أن يروي سيفه بدماء هؤلاء المجرمين الذين منعوكم حق الحياة ، ثم قال «فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين» الموت الحقيقي هو حينما تكونون أذلاء ومقهورين وإن بقيتم على قيد الحياة ، ليس الحياة بهذا النفس ، ولكن الأمة التي تضحى وتموت لتبقى عزيزة وكريمة أمة حية وإن كانت أشلاؤها تحت التراب ، أنتم من يختار أحد الطرفين ، إذا كنتم تريدون الحياة فالحياة في المواجهة والتصدي وفي الوقوف بوجه هؤلاء حتى وإن أدت إلى استشهاد البعض منكم .

بهذه الكلمات القليلة استطاع أمير المؤمنين أن يستنهض الهمم وأن يستعيد البسالة في صفوف جيشه ليقفوا ويواجهوا أعداءهم ويقبلوا موازين المعركة .

القدوة الحسنة

لقد كان الحسين شخصية حماسية وملحمية كرسَتْ وجسدت في مسارها وسلوكها الشجاعة والإقدام والرجولة والمروءة وكل السمات التي تدفع إلى مزيد من الإقدام ، وتنفي التردد والانكسار ، وهذه حالة إنسانية لا ينحصر وجودها عند أناس لهم جانب من القداسة فحسب ، فيمكن أحيانا ، أن نرى قائدا عسكريا مقداما ، يحقق الانتصارات لوطنه وشعبه ، ويمضي قدما ويهزم الأعداء فيكون أسطورة وأنموذجا عاليا تعتز به جماهيره . وربما يحقق فريق رياضي يمثل منطقة أو مدينة معينة أو بلدا معيننا انتصارا ، ويرفع العلم فيكون مدعاة للاعتزاز ، ويمكن لنجم من نجوم الفن أو ما إلى ذلك أن يكون مفخرة لأمة أو قومية أو شريحة أو قبيلة ينتمي لها ذلك الفنان ، فيصبح نجما يحتفى به ويبعث الحماسة والأمل في جماعة من الناس . فهناك إذن بطل قومي أو وطني أو بطل لعشيرة ، تضيق أو تتوسع الدوائر ، لكنها تبقى صورة للشخصية الحماسية التي يمكن أن تتوفر هنا أو هناك .

وهكذا يمكن أن نجد هذه الرمزية والقدوة الحسنة عند الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فهو رجل حماسي لكنه يختلف عن هذه المصايد التي تحدثنا عنها ؛ لأن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يمكن أن يختزل بوطن أو قومية أو عشيرة ، فهدفه ومشروعه أوسع بكثير من تلك العناوين ، فهو

هدف إنساني لا يمكن أن يختزل بجماعات محددة. وبقدر ما يعطيه هذا الهدف الواسع من القوة والشمولية يفقد فرص التعرف والاصطفافات الواسعة، لأننا نحتاج إلى وقت أطول وجهد أكبر لتعريف الناس بالقيمة الإنسانية الكبيرة في المشروع الحسيني وأبعاده العالمية. ومما يؤسف له، أننا لا نحسن أحيانا التعاطي مع ما تستحقه القضية الحسينية حينما نخترلها ونحددها بحدود مذهبية معينة أو جغرافية، أو بحدود ومساحات اجتماعية معينة، فيما أن الحسين بمشروعه الإنساني الكبير لا يمكن أن يختزل بهذه المساحات الضيقة.

وجهان لواقعة كربلاء

إذا أردنا أن نقف عند واقعة كربلاء، نجد أن لهذه الواقعة قراءتين، ويمكن أن ننظر إليها من وجهين، وكلتا القراءتين صحيحة ومثمرة، وكلا الوجهين يعبران عن مستوى معين وجزء من أجزاء حقيقة كربلاء، فهناك صفحة سوداوية مظلمة تعبر عن ظلم وحقد وعن مصيبة وعن جريمة واعتداء صدر من المعسكر الأموي لم يرحم فيها الصغير ولا الكبير، حرم فيها الإنسان من حق الحياة، فمنع من الماء الذي جعله الله سبحانه وتعالى رمزا وضرورة للحياة ومواصلتها.

استخدمت فيها كل الوسائل غير المشروعة ولم تحفظ فيها حرمة لأحد من الناس وصولا إلى الطفل الرضيع، ضربت كل القيم والأعراف حتى العشائرية والاجتماعية السائدة آنذاك، وتم التجاوز فيها على النساء، مع أن التعامل مع المرأة تعامل خاص في مجتمعاتنا العربية، وهذا ما دعا الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَذْكَرَ أَوْلَئِكَ النَّاسَ بِعُرُوبَتِهِمْ بِقَوْلِهِ: (وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم أعرابا) (٤٣٣).

لقد سُحِّقَت كل القيم والثوابت والأعراف في واقعة الطف فكانت نموذجا ومثالا للقسوة والغدر والظلامية بكل معانيها السيئة. فهذه صفحة يمكن أن نجد لها في يوم عاشوراء، أبطالها يزيد بن معاوية، عبيد الله بن زياد، عمر بن سعد، شمر بن ذي الجوشن وقائمة طويلة من الرموز الوحشية في هذه الصفحة المظلمة السوداء، فهي صفحة انكسار وفجاعة ومصيبة تحز في النفس وتدمي القلب وتطول المشاعر الإنسانية بعنف، ولذلك ترون الحزن والألم العميق الذي نستشعره بعد مرور ألف وأربعمائة سنة، لأن البعض

ممن لا يعرفون الحسين ورسالة الحسين يستغربون هذا التفجع والبكاء وهم لا يعرفون قيمة هذا الحدث .

يجب أن تبقى الدمعة قائمة ويستمر الحزن والمصاب على سيد الشهداء وما جرى في يوم عاشوراء ، لأننا إنما نذرف هذه الدمعة على مظلومية الإنسان ومنتصر بها لكرامته وندافع فيها عن حرية الإنسان وعزة البشرية . وهي دمعة نذرفها على أنفسنا وما خسره مشروعا في بناء الحياة ، وهي ليست دمعة على حدث تاريخي مضى ، بل هي دمعة على ظلامته تتجدد في كل يوم ، فكل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء ؛ لأن الهدف الذي قاتل من أجله الحسين هو هدف لا ينحصر بحدود زمنية أو مكانية معينة .

الشعائر وخلود الثورة

لذا يجب أن تبقى الشعائر والعواطف والمشاعر وتستمر ، ولكن هل يمثل هذا الجانب كل الواقع الذي جرى في كربلاء وهل يجسد الصورة الكاملة لعاشوراء؟ ، والجواب كلا ، فهذا جزء من الصورة وهو جزء مهم وفاعل ، ولولا هذا الجزء لم نستطع تعبئة هذه الملايين من البشر في أن تقف وتصطف وتناصر قضية الحسين ونهجه ، وتناصر الحق بالضد من الباطل .

وفي اليوم الذي تتعرف الإنسانية فيه على مغزى هذه الثورة ومداليلها ستصطف كلها لتبكي على الحسين وتذرف الدموع . ولا حظنا قادة معروفين كلهم وقفوا وقالوا في الحسين ما قالوا ، لأنهم عرفوا ماذا يمثل الحسين من رسالة إنسانية ، إن هذه الصورة المظلمة ، صورة المصيبة ، صورة الغدر ، صورة السلوك السيئ للإنسان هي التي كانت مستحضرة عند الملائكة في اليوم الذي أخبرهم الله سبحانه وتعالى برغبته في خلق الإنسان كما تشير لنا الآيات الشريفة من سورة البقرة : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ هذا الإنسان مخلوق عدواني ، يقتل ويذبح ويظلم ويقسو ويعتدي ويسيء ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤٣٤) أنتم ترون الصورة السوداوية والمظالم ، ولا تنظرون إلى الجانب الآخر ، الذي سيريكم إياه الزمان ، وهذا الجانب هو الذي يجعل الإنسان خليفة .

الشهيد المنتصر

وهذه هي الصفحة الأخرى في واقعة كربلاء، الصفحة البيضاء، النقية، صفحة الشجاعة والإيثار، صفحة المروءة والإقبال والرجولة التي تجسدت في الحسين وأهل بيته وأصحابه عَلَيْهِ السَّلَامُ، هذه الصفحة فيها استحضار للمصالح العامة وفيها تشخيص لأولويات الأمة وفيها تحديد لمسارات الصلاح في هذه الأمة، أبطالها الحسين بن علي بن أبي طالب وأخوه العباس وأختهما الحوراء زينب، رموزها أهل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رجالا ونسوة وصغارا، أبطالها أولئك الأصحاب، أصحاب الحسين، هؤلاء هم أبطالها ورجالها، هؤلاء هم من صنع هذه الصفحة والملحمة الكبيرة.

حينما يتحدث الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن أصحابه، لا يتحدث عن المأساة التي مروا بها ولا يستدر الدمعة لأصحابه بل يقول: «فإني لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيرا من أصحابي»^(٤٣٥). يقول أنا الحسين بتجاربي الكبيرة وبعلمي المعصوم الذي يعرف كل هذا التاريخ الإنساني الكبير والحافل، وأنا الحسين المطلع على أصحاب الأنبياء الذين قال بحقهم القرآن الكريم: ﴿وَكَايُنَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرًا فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(٤٣٦)، ومع معرفتي بهذا الوصف وعلمي بأن للأنبياء مثل هؤلاء الأصحاب ومع اطلاعي على أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في بدر وفي الملاحم الأخرى أقول: «لا أعلم أصحابا خيرا من أصحابي» فهؤلاء الأصحاب أفضل وأشجع وأبرر وأوفى وأقدر من كل أصحاب عرفهم التاريخ أو خباهم المستقبل.

يعطي الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه الصورة الملحمية ويعبر عن قوتهم وعن شجاعتهم وعن وفائهم وليس عن مظلوميتهم. فالحسين مدرسة، خصومه يزيد بن معاوية وجماعته يظنون أن الحسين رجل يمتلك كاريزما يؤثر في الناس وبقتله ينتهي كل شيء ويمكن أن يعود إلى ما بدأه أبوه وحزبه في مشروعه التوسعي ويكمل المسير في مسار الانحراف للمشروع الإسلامي؛ ولذلك اتخذ القرار بقتل الإمام الحسين. ولم يكن يعرف أن الحسين ليس جسما متحركا في الأمة، بل الحسين مشروع ومدرسة وفكر، وهذا الفكر سيتجذر ويتعمق أكثر فأكثر في وجدان الأمة حينما يروى بدم الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٤٣٥ . بحار الأنوار: ج ٤٤ ص: ٣٩٢ : ٤ .

٤٣٦ . سورة آل عمران: الآية ١٤٦٥

هنا تكمن قوة الحسين

ولم يظن الطاغية يزيد أن خطوة استهداف الحسين وظلامته وأهل بيته، هي خطوة في تكريس المنهج الحسيني وفي ترسيخ القضية الحسينية وفي تجذير الأهداف الكبيرة التي استهدفها الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولذلك حينما استهدف الإمام الحسين وقفت الحوراء زينب لتقول هذه الحقيقة: «فكديك واسع سعيك، وناصر جهديك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميمت وحيناً»^(٤٣٧)، فلا تتوهم أن القضية انتهت بقتل الحسين بل القضية تعمقت أكثر وتجدرت، لأنها رويت بدم الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحينما قتل الإمام الحسين، عَلَيْهِ السَّلَامُ أصبح معلماً ومحطة مهمة من محطات الالتقاء على نهجه، والناس تتدافع على قبره الشريف ورأى أعداؤه أن الناس لا تترك هذا الأمر، ثم ساووا القبر وأزالوا كل معالمه ليضيع، وشاهدوا أن الناس لم تترك هذا الأمر أيضاً، فأغرقوا القبر بالماء حتى يضيع تحت أمواج الفرات، وكلما اتخذوا خطوة زاد الناس تمسكا وتمحورا والتفافا حول الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ونهجه ومشروعه.

إننا حين نرثي الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأصحابه وأهل بيته، علينا أن نلتفت إلى هذه الحقيقة، ونركز على هذا الجزء من واقعة الطف، فعلينا أن نرثي الحسين بطلا وأن نبكيه شجاعاً ملحماً ومنتصراً وليس منكسراً، وهنا تكمن قوة الحسين وهنا يكمن التأثير الكبير للمشروع الحسيني في واقع هذه الأمة.

إننا أحياناً لا نحسن الرثاء بقدر ما تستحق نهضة الحسين ولا نعطي للحسين حقه. حينما نجسد حالة المظلومية وحالة الانكسار والاعتداء التي تعرض لها ولا نسلط الضوء على ذلك الجانب الآخر الذي يعبر عن القوة والعزة والمكنة والإقدام وعن الشجاعة الفائقة. ونحن في مجتمعاتنا بحاجة إلى هذه القوة الحسينية والحماسة الحسينية وبحاجة إلى الإقدام الحسيني حتى نتقدم ليكون الحسين حاملاً لرسالة الحياة وليس رسالة الموت، ورسالة الإقدام والانبعاث وليس رسالة الانكسار والتراجع.

لقد علمنا الحسين كيف نعيش، وإذا كانت الحياة تتطلب التضحية، فقد تعلمنا من دروس كربلاء كيف يضحى البعض حتى يعيش البعض الآخر وتستمر الحياة بأروع صورها. رسالة الحسين رسالة حياة وقوة، رسالة كبرياء وشموخ وعزة وكرامة وليست رسالة انكسار، وهذا ما يجب أن نلحظه ونحن نتعاطى مع القضية الحسينية.



الليلة الثالثة - بتاريخ ٢٨/١١/٢٠١١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** : ﴿يَا قَوْمِ إِنَّ كَذِبُكُمْ عَلَيْنُكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾^(٤٣٨) صدق الله العلي العظيم

رسالة الحياة

لقد كان حديثنا في الليلة الماضية عن شخصية الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقلنا إنها شخصية ملحمية، حماسية تتجسد فيها البطولة والمروءة والشجاعة والإقدام. إن شخصية الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ هي شخصية الأمل والإيثار والمثابرة، وهو الرمز الكبير الذي يبعث في الأمة وفي كل من يحيط به ويطلع على سلوكه روح الحياة.

وذكرنا أن هناك نمطين من التعاطي مع القضية الحسينية، فهناك صورة مظلمة حزينة ومؤسفة يتجلى فيها قطع للرؤوس وفيها اعتداء على الأطفال والكبار وعلى النساء والرجال، فيها سحق للكرامة الإنسانية وتجاوز لكل القيم والمبادئ الإسلامية والعربية، ولطالما تناولت القضية الحسينية من هذه الزاوية فحسب، زاوية أبطال الشر ورموز الكراهية والغدر وما فعلوه بسيد الشهداء وأهل بيته وأصحابه، ولكن هذه ليست الصورة الكاملة وليست تمام الحقيقة في واقعة الطف، بل هناك صورة أخرى بيضاء، أبطالها الحسين والعباس والحوراء زينب، ورموزها أهل بيت النبي وأصحاب الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، تتجلى فيها البسالة والشجاعة والإقدام والحمية، وفيها الثأر للمظلوم وفيها المطالبة بالحقوق، وفيها الانتصار لقضايا الأمة، وفيها مشروع إسلامي وإنساني كبير.

٤٣٨ . سورة يونس : الآية ٧١ .

علينا أن نتعاطى مع قضية الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ من هذه الزاوية أيضا . نرثي الحسين ولكن أي حسين؟ ، الحسين المنكسر الذي تقطعت أشلائه على أرض كربلاء ، أم الحسين المنتصر بفعل القوة والعزة والكرامة التي عبر عنها في مجمل سلوكه وأقواله وأفعاله؟ . نحن نرثي بطلا ونؤبن شجاعا ، صاحب مشروع كبير . وعلينا أن نركز أكثر على هذا البعد في القضية الحسينية ، حتى تخرج لتكون أنموذجا للتأثير والعطاء لكل الأزمنة والأمكنة ولكل الشعوب والأمم . إن الآلام تعطي للحسين حقه ، ولكنها لا تعطي للملحمة الحسينية مكانتها المرموقة حينما نخترلها في مآثم وألم وجرح ومصيبة ، وحين نحددها في مساحات مذهبية أو دينية معينة . إن النهضة الحسينية قضية الإنسان والحياة ، ورسالة الحسين هي رسالة الحياة وليست رسالة الموت .

المشروع المقدس

بقي علينا أن نتحدث في جانب مهم آخر ، هناك الكثير من الأبطال في تاريخ الشعوب ، فهناك بطل حقق إنجازات عسكرية لشعبه ، وهناك بطل استطاع أن يمتد على مساحات خارج حدود بلده ويحتل دولا ليضمها إلى وطنه ، ولعل هناك من يصفق له ويعتبره بطلا قوميا ووطنيا ، فهو بطل من الأبطال شئنا أم أينا وكيفما كان سلوكه ، لأنه استطاع أن يحقق إنجازا ويترك بصمات في التاريخ . وقد كان - بحسب هذا المفهوم - العديد من الطغاة أبطالا ، قدموا تضحيات كبيرة حتى يحققوا إنجازات . وهكذا في عالم الرياضة وعالم الفن وفي مجالات مختلفة أخرى ، هناك وجوه وأبطال بذلوا جهودا جبارة وفتحوا دولا شامخة ، ولكننا مع ذلك لا نجد في سلوكهم قداسة ولا نعتبرهم أبطالا وأصحاب مشروع مقدس ، فيما نعتبر الحسين مشروعا مقدسا .

ولنا أن نتساءل عن مصدر هذه القداسة ، ولماذا لا نجدها في كل بطل وفي كل إنجاز؟ . يبدو أن القداسة لها معايير محددة فمتى ما توفرت كان المشروع مقدسا ، هناك من يقدم الكثير ويضحى بالكثير حتى يشبع أنانيته ويحقق ذاته ، وحتى يوسع من مساحاته ويمسك الأرض ويتحكم بإرادة أمة أو شعب أو جماعة كما هو في تاريخ الطواغيت والحكام الجائرين . فمثل هذا الحاكم يعد بطلا قوميا حقق إنجازا وبلغ القمة في نظر شعبه ، وأما الشعوب الذين اعتدى عليهم وتجاوز على حقوقهم واحتل بلادهم فيعتبرونه مجرم حرب ، فهناك من ينظر إلى هذا البطل بخلفية إيجابية وهناك من ينظر إليه بخلفية سلبية .

إذا كنا نبحت عن القداسة في المشاريع الملحمية فلا بد لنا من أن نقف عند المعايير التي تمنح القداسة لهذه المشاريع . يمكن أن نوجز هذه المعايير في ثلاث نقاط وهي ،

الهدف، والظروف، والرؤية. إذا توفرت هذه المعايير الثلاثة يكون المشروع مشروعاً مقدساً، وإذا غابت القداسة فلا تغيب معها البطولة والملحمة والإنجاز، فلعله يكون في البعد السلبي أو في البعد الإيجابي ولكنه محدود بحدوده.

معايير القداسة

١ - الهدف

الهدف المقدس هو الهدف الشامل، هو الهدف الواسع، هو الهدف الذي يتجاوز الأنا الشخصية والأنا الحزبية والفئوية والمذهبية والدينية، والأنا القبلية والمناطقية، ليتحرك من منطلق إنساني بكل ما للإنسانية من معنى. ليس البطل المقدس بطلا قومياً ولا بطلا وطنياً ولا حزبياً ولا بطلا مذهبياً، بل هو بطل إنساني يستهدف رضا الله سبحانه وتعالى من خلال خدمة الإنسان وبناء الحياة من خلال بناء الوطن والمواطن، ولكن هدفه هو رضا الله من خلال خدمة الإنسان.

إن هذا الهدف الواسع هو الذي يجعل المشروع مشروعاً مقدساً. وإذا تجاوز الإنسان في أهدافه وغاياته رضا الله سبحانه وتعالى وطلب رضا جماعة مهما كان أفق هذه الجماعة أو مساحتها فيكون حقق إنجازاً بحجم هذه الجماعة، ولكن المشروع ليس مقدساً.

انظروا إلى واحدة من الآيات الحماسية والملحمية في القرآن الكريم في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿يَسِّرْ اللَّهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَيُخْرِجْهُمْ مِنْ أَرْضِ بَيْتِنَا وَيُنَزِّلْ فِيهِ بِرَحْمَتِهِ مَنَاسِكَتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنَّاسٍ مِّنْ أُمَّةٍ مَّا يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَ مِنْهَا ذُرِّيَّتَ بْنَ مَرْيَمَ وَقَدْ عَارَىٰ عَلَيْهِمُ الْإِلَهُاتُ كَيْفَ يُرِيدُ﴾ نحن المسلمون وأنتم أهل الكتاب ولكن هناك مشروعاً وكلمة وقواسم مشتركة يمكن أن تجمع بينها ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٤٣٩) فالقاسم المشترك هو الله ورضاه وهذا هو العنوان الكبير.

أترك الحزبية وتخل عن الأنانية وانظر إلى هذا العنوان الكبير ستجد الجسور ممتدة والإطار يسع المسلم وغير المسلم، يسع الإنسان بكل اتجاهاته. يدفع القرآن أتباع الديانات السماوية للبحث عن تلك الأطر الواسعة وتلك المشتركات العظيمة التي يمكن أن تقرب بينهم. اكتسب الحسين عليه السلام القداسة من هدف المشروع، وهذه مسألة مهمة جداً. فلقد كان هدفه هدفاً إلهياً، فالقداسة إذن تُمنح أولاً من خلال الهدف المقدس ولا

٤٣٩ . سورة آل عمران : الآية ٦٤ .

مقدس سوى الله ورضاه بخدمة عباده والبحث عن القواسم المشتركة التي تجمع بين الناس .

٢- الظروف

إنما تكون الخطوة مقدسة والمشروع مقدسا حينما يقتحم المشروع ظرفا حساسا واستثنائيا تعيش الأمة فيه الإحباط واليأس ، حينما يعجز الآخرون ويتقدم صاحب المشروع المقدس ، وحينما تعم الظلمة ويرفع شخص ما بهدف مقدس لواء النور ، حينما يشيع الظلم فيأتي الصوت العادل ليكسر ذلك الظلم ، إن الظرف القاتم والمرحلة الظلامية حينما تكسر من شخص بهدف مقدس يجعل مشروعه مشروعاً مقدساً .

لقد تصدى إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ لنمرود الطاغية الكبير الذي لم يبق ولم يذر ، وكان يقتل الناس بالجملة في محارقه المعروفة ، وفي تلك الظروف يتصدى له إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ويقف في وجهه فيما انهزم الآخرون واستسلموا ورضخوا ، ولذلك يصفه القرآن الكريم بأنه أمة كما في سورة النحل : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾^(٤٤٠) ، وقال تعالى : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾^(٤٤١) ، أما موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد وقف بوجه فرعون ، وقد وصف القرآن الكريم الظروف التي عاشها بنو إسرائيل في ظل فرعون كما في سورة القصص : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّخُّ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾^(٤٤٢) . لم يرحم الرجل ولا المرأة واعتدى على الجميع ، ولكن موسى صاحب المشروع المقدس تصدى في تلك الحقبة الظلامية بشجاعة وعباً بني إسرائيل ، فكانت النتائج المبهرة في هذا المشروع الإلهي .

وواجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أمة جاهلة غارقة في الظلام وعبادة الأصنام والوثنية ، ورفع لوحده شعار (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) ، فتعامل الناس معه بالشكل الذي يصفه القرآن الكريم : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾^(٤٤٣) . صفقوا وصفروا ، هكذا تعاملوا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، هذا الرجل اليتيم العظيم

٤٤٠ . سورة النحل : الآية ١٢٠ .

٤٤١ . سورة الأنبياء : الآية ٦٩ .

٤٤٢ . سورة القصص : الآية ٤ .

٤٤٣ . سورة الأنفال : الآية ٩٥ .

في تلك العزلة بين الأمة الجاهلية التي تعيش الظلام، يتعاملون معه بمثل هذا التعامل، فما هي فرص النجاح لهذا المشروع في مكة التي لا تعرف سوى الصحراء، وما هو تأثيره في ذلك العالم الذي تسيده الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية البيزنطية ويسطع فيه نجم الحضارات والشعوب المتحضرة، يقف هذا النبي في صحراء وقرية نائية ويقول كلمته والناس تصفق بوجهه وتسخر، ولكن إرادة السماء قدرت أمراً آخر؛ لأن الهدف هدف مقدس والمشروع مشروع مقدس.

وقف بوجه العتمة والظلام، وتحدى ذلك الظرف الاستثنائي فاكتسب القداسة. وفي ظل الحكم الأموي الذي حاول أن ينسف كل شيء ويغطي كل الانحرافات بغطاء الدين بعد أن اشترى ذمم بعض رواة الحديث وعمل على وضع الحديث، في تلك الحقبة كان الحزب الأموي يسخر جماعة عاشوا في زمن رسول الله ﷺ ويدفعون لهم الأموال ليتحدثوا بأحاديث مكذوبة على رسول الله ﷺ، فوضعت الكثير من الروايات بما يشتهي الحاكم الظالم ليغطوا انحرافاتهم بغطاء الدين، وهذه موبقة من أقبح موبقات حكم الأمويين، وفي تلك الظروف جاء الحسين ﷺ ليقول كلمته في تلك العتمة وفي ذلك الظلام، لذا أصبح صاحب مشروع مقدس.

٣- الرؤية والتشخيص الدقيق

المعيار الثالث المهم في قداسة المشروع هو الرؤية والتشخيص الدقيق والعميق، أو البصيرة كما في المصطلح القرآني للرؤية، ويعبر عنه اليوم بالرؤية والإستراتيجية، فصاحب المشروع المقدس صاحب بصيرة ورؤية عميقة، يعرف كيف يحقق الإنجازات.

حينما أراد الإمام الحسين أن يخرج جاء إليه عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية وأمثال هؤلاء من العقلاء والحكماء والفظاحل والمخلصين، وقالوا له يا حسين، لا يغرنك من راسلك وكتب إليك، فإن هؤلاء لا يفون بوعودهم وسيغدرون، وكأن الحسين لا يعلم ذلك، ونهوه عن الذهاب إلى حرب المعسكر الأموي أو أن يتوجه نحو العراق في تلك الفترة. ولكن الحسين كان يعرف النتائج إلا أن هذه النتائج لم تشه؛ لأنه كان صاحب رؤية ويعتقد بأن مستوى الانحراف والخطر على الرسالة الإسلامية وعلى التجربة الإسلامية، تجربة الحكم العادل، وصل إلى مستوى لا يمكن تقويمه إلا بهزة في ضمير الأمة، فهي بحاجة إلى دم بحجم دم الحسين ﷺ ودماء أهل بيته وأصحابه، لعلها تصحو من سباتها في ظل ذلك الانحراف الكبير الذي حصل لتجربتنا

الإسلامية . وهذا ما لا يحصل إلا بدم يأخذ أثره في ضمير الأمة على مدى التاريخ كدم الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فأقدم الحسين على هذه الخطوة .

الروح الكبيرة

ومما تقدم ، نعرف أن للحسين شخصية ملحمية والمشروع الحسيني ملحمة مقدسة ؛ لأن معايير القداسة اجتمعت في هذا المشروع وتوافرت فيه . ويمكن أن نميز الشخصية الملحمية الحماسية من غيرها ونشخصها من سلوكه وأقواله وأفعاله وتربيته ، فإذا أردت أن تستدل على أن هذا الشخص ملحمي فانظر إلى منطقته ، هل هو منطق انكسار وهزيمة ومنطق عتاب وشكوى أو هو منطق إقدام وجرأة وشجاعة وبسالة ورجولة؟ ، إذا أردت أن تعرف شخصية ملحمية من غيرها ، فانظر إلى أصحابه وجماعته على ماذا تربوا ، حتى تعرف وتقيم هذه الشخصية .

وحينما نقف عند ما قاله الحسين قبل واقعة الطف في ظروف أخرى وما قاله في تداعيات هذه الملحمة ، ويؤسفنا أن حجم التعظيم والملاحقة السياسية في تلك الحقبة حال دون أن يجتمع الكثير من الأقوال والروايات عن سيد الشهداء ، ونحن لانملك في تراثنا الشيء الكثير عن أبي عبد الله الحسين سوى ما ورد عنه في واقعة الطف ، وما سواه هناك أشياء محدودة نسبة إلى ما روي عن أئمتنا الأطهار الآخرين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، لكن ضمن الموجود لاحظوا ماذا كان يقال وما هي الشواهد التي من الممكن أن نسوقها للتدليل على هذه الشخصية الملحمية .

في ظروف غير واقعة الطف يسألون أبا عبد الله الحسين في يوم من الأيام ، ما هي الكلمة التي لفتت انتباهك عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، ماذا يروي الحسين عن رسول الله ، وهو الذي عايش الرسول في هذه السنين الطوال ويحفظ الكثير عن رسول الله ، لكنه حينما أراد أن يتكلم استذكر هذه الرواية عن رسول الله لهؤلاء القوم ، التي تكشف عن ملامح الشخصية الحسينية قال : «إن الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرفها ويكره سفسافها»^(٤٤٤) .

وهذا يكشف عن الروح الكبيرة التي كان يتمتع بها الحسين ويكشف عن النظرة الواسعة التي كان يتصف بها الحسين ، الروح الكبيرة روح تأسر الجسم وتجعله لا يكل

٤٤٤ . الطبراني ، المعجم الكبير الحديث رقم : ٢٨٩٤ . وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة الحديث رقم : ١٣٧٨ .

ولا يمل ليل نهار . ينشغل في آناء الليل بالعبادة والتضرع والخشية ولا يعطي لجسده غير خبز الشعير، وهذا هو نهج الرسول ونهج الأئمة، وهذه الروح الكبيرة تسخر كل الجهد لخدمة الهدف الكبير ولا تعطي للجسد إلا خبز الشعير .

للموت والحياة معنى آخر

وينعكس الأمر في الروح الصغيرة، فهي مأسورة لذلك الجسم، يمكن أن يبيع الدنيا حتى يحصل على وظيفة، أو يرفع من مستواه في درجته الوظيفية، أو يحصل على أثاث وعلى إمكانات معينة، بل يمكن أن يبيع دينه وضميره وعرضه وشرفه من أجل الحصول على هذه الصغائر التي سرعان ما تغيب وترحل .

يستحضر الحسين عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ما يؤكد هذه الروح الكبيرة، ويدلل على هذه المهمة العالية في الإنسان، وهذا هو مسار شخصية الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويجب أن نتعلم من الحسين أن نكون كبارا، فاجعل روحك كبيرة ونظرتك بعيدة ولا تقف عند التفاصيل وعند الجزئيات، واجعل الهدف المقدس أمامك وسترى كيف تذوب كل هذه الجزئيات وهذه التفاصيل في هذه المسيرة الكبيرة. يقول الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في بعض أشعاره المروية في بحار الأنوار وغيره من المصادر:

سبقت العالمين إلى المعالي بحسن خلية وعلو همة
ولاح بحكمتي نور الهدى في ليل في الضلالة مدلهمة
يريد الجاحدون ليطفئوه ويأبى الله إلا أن يتمه^(٤٤٥)

هذه الشخصية الحماسية التي تبعث في الأمة الحماسة والاندفاع والأمل والإقدام، يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: «موت في عز خير من حياة في ذل»^(٤٤٦)، فللحسين إذن، تعريفات عن الحياة والموت تختلف عن الطبيب الذي يجد معنى الحياة بنبض القلب، بينما الحسين لديه معنى آخر، فكم من حي وهو تحت الثرى وكم من ميت يمشي على رجليه، الحياة الحقيقية هي حياة العزة والكرامة والشموخ والكبرياء، الحياة التي يمكن للإنسان أن يترك لمسائه وبصماته فيها، وأن يساعد البشرية لتنتقل خطوة بالاتجاه الصحيح .

٤٤٥ . ج ٤٤ : ص ١٩٤ :

٤٤٦ . بحار الأنوار : ج ٤٤ : ص ١٩٢ ، ميزان الحكمة : ج ٣ : ص ٣٣٩ .

غريال البلاء

هذه هي الحياة الحقيقية التي إن غابت فلا يجني الفرد غير الخنوع والتراجع والتعاس. إن الأمة المنكسرة التي لا تسعى لاستعادة المبادرة إلى نفسها هي أمة ميتة حتى لو امتلكت سمات الحياة بالمعنى الطبيعي. يقول الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ جَمِيعَ مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا بَحْرَهَا وَبِرَّهَا وَسَهْلَهَا وَجَبَلَهَا، عِنْدَ وَلِيِّي مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَأَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِحَقِّ اللَّهِ كَفِيِّ الظَّلَالِ»^(٤٤٧)، فالدنيا وما فيها، ثروتها، نعمها، جبالها وسهولها وبحارها، كل الدنيا عند الإنسان صاحب المشروع المقدس كفِيء الظلال، ثم قال: «أَوْ لَا حَرِّيدِعْ هَذِهِ اللَّمَاطَةَ لِأَهْلِهَا؟».

فالحر الحقيقي هو من يجسد العبودية لله سبحانه وتعالى، الحر الحقيقي هو الذي يتخلص من هذه الغايات الدنيوية، فإذا اهتم بها فوفق الأسس الصحيحة كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٤٤٨)، فللمؤمن أن يستثمر النعم، بشرط ألا يكون أسيراً لها، ففارق كبير بين استثمار الدنيا وبين أن يكون الإنسان للدنيا. يعبر الحسين عن هذه الدنيا وما فيها باللمظة، واللمظة هي فتات الطعام الذي يعلق بالأسنان، هذه قيمة الدنيا ولذاتها عند سيد الشهداء.

الدنيا عزيزة عند الحسين وعزيزة عند علي وعزيزة في الإسلام؛ لأنها الطريق الذي يمكن من خلاله بناء الحياة على أساس الحق والوصول إلى رضا الله سبحانه وتعالى. نحن لسنا أعداء الدنيا وإنما لا نريد أن نكون أسرى بيدها وعبداً لملذاتها ونزواتها، نتحكم بإرادتنا وتبعدنا عن مشروعنا الصحيح والعميق. يقول الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «النَّاسُ عِبِيدُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ لَعَقَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَايِشُهُمْ، فَإِذَا مَحَّصُوا بِالْبَلَاءِ قُلُوبَ الدِّيَانُونَ»^(٤٤٩).

يتظاهر البعض بالتدين من خلال اللحي الطويلة واستخدام المسبحة لكسب ود الوزير المتدين الذي ينتمي إلى كيان إسلامي لذا اقتضت الضرورة أن يتظاهر بذلك، وفي الدورة الثانية، ولأن الوزير من حزب علماني، فقد اقتضت الضرورة حلق اللحية والاحتفاظ بالمسبحة للدورة القادمة، هكذا يعبر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَايِشُهُمْ،

٤٤٧ . مستدرک سفینه البحار: ج ٣: ص ١ .

٤٤٨ . سورة الأعراف: الآية ٣٢ .

٤٤٩ . میزان الحکمة

فإذا مَحَّصُوا بالبلاء قَلَّ الدَيَّانُونَ». الذي يريد أن يأخذ بالتزامه الديني يتعرض للمساءلة، الذي يزور الإمام الحسين يودع في السجن ويجرمه القانون، وهنا يعرف المتدين من سواء، وهذا هو الدين الحقيقي.

صورة الموت الجميلة

على كل حال، لما عزم الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ على الخروج إلى العراق قام خطيباً تعبئة للحرب ولرفع معنويات أصحابه، قال في ما قال: «خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة»، وهذا مقطع قصير اقتطعناه من خطبة طويلة، وفيها عبرة كبيرة.

الموت حق، هذا مبدأ الحسين، وهكذا قال لأصحابه، «وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف». الحسين يقول أنا لا أخاف الموت، إذا كان الموت يوصلني إلى جدي رسول الله وأبي علي وأمي الزهراء، فأنا مشتاق لهم اشتياق الطفل الرضيع إلى ثدي أمه، اشتياق يعقوب إلى يوسف.

فإذا كان الموت يوصلني إلى ذلك السلف الصالح فأتمنى أن يأتي بأسرع ما يمكن، «رضا الله رضانا أهل البيت»، فالهدف المقدس هو رضا الله، نرضى بما يرضاه الله، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين»، ثم يوجه خطابه إلى هؤلاء الناس فيقول: «ألا فمن كان فينا باذلاً مهجته»، مستعد للتضحية، من أراد أن يضحى، فلا يوجد هناك تبرير ولا لف ولا دوران، هناك وضوح ومكاشفة، من يستطيع التضحية والصبر فأهلاً به وإلا فليرحل، «من كان فينا باذلاً مهجته موطننا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل مصباحاً إن شاء الله تعالى» (٤٥٠).

روي عن الإمام الحسين أنه قال في طريقه إلى كربلاء

سأمضي وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً
وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مشبورا وخالف مجرماً
أقدم نفسي لا أريد بقاءها لتلقى خميساً في الهياج عرماً
فإن عشت لم أندم وإن متُّ لم ألمُّ كفى بك ذلاً أن تعيش وترغماً

الهدف السامي هو الأساس في قداسة المشروع كما هو واضح في البيت الثاني

وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مشورا وخالف مجرما

فالهدف هو مواسة الصالحين والوقوف بوجه المجرمين (في إشارة إلى يزيد)، وهذه هي الحياة الحقيقية أن تكون وفيا لهدف سام، لغاية نبيلة تؤمن بها هي رضا الله تعالى . أما الحياة التي فيها إساءة وإذلال وفيها تغييب لا يمكن أن يتقبلها الحسين ولا يمكن أن تتقبلها أي شخصية ملحمية، وما أكثر الشواهد التي تؤكد هذا البعد الملحمي والشخصية الحماسية وثروة الرجولة والمروءة في شخصية الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ .



الليلة الرابعة - بتاريخ ٢٩/١١/٢٠١١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ صدق الله العلي العظيم .

انتصار الدم

مازلنا في أجواء عاشوراء، في أجواء الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وفجيئته وملحمته. ونقرأ في الزيارة المأثورة لسيد الشهداء هذه العبارات: «أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلَاةَ، وَأَتَيْتَ الزَّكَاةَ، وَأَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَلَوْتَ الْكِتَابَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَجَاهَدْتَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ»^(٤٥١)، وهذه العبارات انطلق منها كثيرون ليعبروا عن أن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بثورته هذه، استطاع أن يحيي تعاليم الإسلام وأن يحافظ على الشريعة الإسلامية، فهذه النهضة في جذورها كانت تتضمن معاني الحفظ والصيانة والإحياء للرسالة الإسلامية وتعاليم وأحكام الإسلام، وأن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذه الثورة استطاع أن يحيي تلك الشعوب المسلمة في فترة حساسة وعصيبة .

وقد يتساءل الإنسان عن العلاقة بين الحفاظ على الدين وإحياء الأمة، واثار قتيل مخرج دمه، مقطع الأشلاء، فأى علاقة بين الدم وهذه العناوين الكبيرة؟، حتى اتهم البعض أصحاب هذا القول بالمبالغة. والواقع أنه ليس كل دم حتى لو كان دما لمظلوم أو لشخصية عظيمة يوجد مثل هذا الإعداد ويحقق مثل هذه النتائج الكبيرة، فليس كل مظلوم يقتل يكون بالضرورة سببا في إحياء البشرية والحفاظ على الدين. ولكن دم الحسين ليس كسائر الدماء ليس لعظمة شخصيته فحسب وهو شخصية عظيمة، بل

٤٥١ . ورد هذا النص مكررا في زيارته عَلَيْهِ السَّلَامُ، ينظر مفاتيح الجنان، باب زيارة الحسين .

لمضمون الحركة والثورة التي قام بها الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، بالإضافة إلى خصوصية هذا الدم الذي تحدثنا عنه في الليالي الماضية، وقلنا إن دم الحسين مثل ملحمة إسلامية وإنسانية كبرى بعث الروح في تلك النفوس المريضة التي عشت فيها الانكسار والتردد والخوف، واستطاع أن يجري الدم في تلك العروق، استطاع أن يستنهض الهمم ليجعل منها همما عالية، واستطاع أن يبعث الحمية والحماسة والجرأة والشجاعة والإقدام في تلك الأمة.

لم يعبر دم الحسين عن مظلومية مرت، وقلنا إننا حين نرثي الحسين لا نرثيه مظلوما مقطوع الأشلاء فحسب، وإنما نرثيه بطلا شجاعا مقداما استطاع أن يحول مسارات الحياة بمشروعه وصرخاته، وكان الدم تتويجا والتضحية الحسينية تجسيدا لكل ذلك المشروع الواسع المعالم والكبير والمؤثر في حياة الشعوب والحياة الإنسانية، لذلك استطاع الحسين أن ينفذ غبار الخوف والتردد والانكسار الذي أصاب تلك الأمة ليعتث فيهم الحياة من جديد، فدم الحسين دمٌ بث الحياة في تلك الأمة، واستطاع أن يوقف التداعي في ذلك الانحراف الكبير الذي حصل في إدارة الأمور وتشويه معالم الإسلام من قبل ذلك الحكم الجائر.

هذا ما أراداه الحسين

إن شهادة الحسين ودم الحسين وتضحية الحسين، استطاعت أن تكسر حاجز الخوف والتردد والتقهقر والشعور الداخلي بالهزيمة والانكسار، واستطاع أن يكسر هذه الجدران الكونكريتية لتجد الأمة نفسها منفتحة على الآفاق الرحبة والفضاءات الواسعة والطموحات الكبيرة. استطاع الحسين - وهنأ بيت القصيد- أن يعيد للأمة كرامتها، واستطاع أن يبعث في الأمة عزتها وأن يغذيها بالكرامة الإنسانية والشعور بالهوية والاعتزاز بالانتماء والشعور بالعظمة في مشروع واضح المعالم، والشعور بالاستقلالية في مشروع متكامل، وهذا هو المكسب الكبير الذي حققه الحسين.

حينما يفخر الإنسان ويعتز بانتمائه وهويته وتاريخه ومشروعه، بمتبنياته وقيمه ومبادئه سيعطيه هذا الشعور حصانة ومناعة، ويجعله قادرا على مواجهة التحديات والأخطار، وبخلاف ذلك، حينما يفقد المشروع ويشعر بالانكسار وحينما يرتمي في أحضان المدارس والمشاريع الأخرى فيصبح ألعوبة بيد الآخرين، فيصبح ذبلا لهم، إن الإنسان عديم الإرادة، من ضيَّع نفسه وتاريخه وهويته، لو أعطي إمكانات الدنيا وما فيها وتسلم ثروات الدنيا بأجمعها فإنه لا يستطيع أن يتقدم خطوة واحدة مع هذه الحالة المنهزمة والمنكسرة. أما الإنسان الآخر الذي يمتلك الاعتزاز بتاريخه وهويته يقف ويقول ها أنا

ذا، أنا التاريخ والقيم، أنا المشروع وأنا الرؤية للحياة، حتى لو كان عديم الإمكانيات والثروات والقدرات المادية، لكنه يرى نفسه قويا وعملاقا.

لقد منح الحسين الكرامة والقوة والعزة للإنسان المسلم، وهذا هو سر النجاح وسر التقدم. ونحن نتكلم عن الهوية وعن الثقة بالنفس والمشروع فنحن لا نتحدث عن الأنانية، فهناك فرق بين الاعتزاز بالهوية والاعتداد بالذات والأنانية، فالأنانية مرفوضة في الإسلام، والرجوع إلى الشهوات والهوى مرفوض في التعاليم الإسلامية. هناك فرق بين الأنانية والشعور بالعزة والكرامة والشموخ؛ لأن الإنسان يرى نفسه صاحب حضارة ومشروع ورؤية ويمتلك هوية مستقلة عن الآخرين، ولو حصلنا على هذه الهوية والثقة بالنفس لكننا أقوى الأمم حتى لو حرمانا من كل الإمكانيات؛ لأن القوة الذاتية هي التي تأتي بالإمكانيات، ولو فقدنا هذه الهوية والشعور بالانتماء إليها سنغيب ونتفكك ولو كنا نمتلك أعظم الثروات، ونحن اليوم نمتلك أعظم الثروات، فثروات العالم تحت أقدامنا كمسلمين لكن أين هي القوة والتفكير في مسارات التحولات الكبرى؟.

خير أمة أخرجت للناس

إننا كعرب ومسلمين قللنا من قيمة أنفسنا، وفي اليوم الذي نجد فيه أنفسنا ونستشعر فيه كرامتنا، وفي اليوم الذي نتلمس فيه انشدادنا لذلك المشروع المستقل العظيم والكبير الذي نحمله ونمتلكه ونتميز به عن غيرنا من البشر، في ذلك اليوم تتكالب علينا الناس ليأخذوا برأينا ويمكننا الوصول إلى كل شيء، الإمكانيات والإنجاز والحماسة والانتصار، وحينذاك نصبح كما أرادنا الله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(٤٥٢)، هذا هو ما قدره الله لنا. يمكننا اليوم أن نكون خير الأمم إذا عملنا بهذا المشروع الكبير الذي أراد الله سبحانه وتعالى، ولكن التخلي عن المشروع والارتقاء في أحضان الآخرين والشعور بالانكسار والهزيمة الداخلية هو مبعث الألم وكل الإشكاليات التي تحيط بنا، سواء في الأمس أو اليوم أو الغد.

وبسبب ذلك نشعر بالقلق الكبير من الغزو الثقافي الذي يعني الشعور بالانبهار بحضارة الآخرين. لقد استخدم الغزو الثقافي حتى السينما والأفلام وشمل حتى الملابس والمأكل وأنواع السجائر إلى الحركة وطبيعة السلوك، بل شمل حتى العبارات لكي يكون الإنسان العربي والمسلم تابعا وذليلا ولا يمكنه أن يفكر مجرد تفكير في الاستغناء عن دول الكفر

والضلال . انظر إلى الفرق بين الصورتين ، صورة الكرامة والاعتزاز بالمشروع والانتماء إلى مشروع مستقل والشعور الداخلي بالثقة والعزة التي يمنحها الحسين ، والشعور بالضعف والانكسار وأزمة الثقة والارتداء في أحضان الآخرين التي تفرضها الرؤية الأخرى ، فستان بين هذا وذاك .

يسود في ثقافة اليوم ، أنك إذا أردت أن تعيش فيجب أن توفر لنفسك أدوات القوة من جيوش وأسلحة ، حتى تستطيع البقاء في ساحة الغاب وفي ظل التوازنات المعقدة الإقليمية والدولية المبنية على سياسة القوة ، وهذه الثقافة تدفعك إلى امتلاك أدوات القوة كالسلاح المدمر والتكنولوجيا التي يملكها الآخر ولا يمكن أن يعطيها لك إلا بعد أن تعطيه صك الطاعة والتبعية .

هنا تكمن قوة الرسول

لا يحصر المنهج الحسيني القوة في الأدوات والسلاح الذي يفتك ويدمر ، وإنما يدعو هذا المنهج إلى البحث عن القوة والإرادة داخل النفس أولاً ، فإذا وجدت في نفسك فستأتي كل الأمور الأخرى إليك بسرعة ، فمن أراد الحياة فيجب عليه توفير مكامن القوة في وجوده ، وسيقتصر بذلك على أعظم الجيوش ، وليس من الضروري أن تنتصر في ساحة المعركة ، بل تستطيع الانتصار بدمك وتضحيتك في سبيل بقاء المبادئ .

لقد كسب الحسين المعركة بدمه الطاهر وأشلائه المقطعة . حينما تكون صاحب مشروع فدمك هو الذي يروي ويجذر ويعمق ويرسخ القيم ويصنع الثبات ، وهو الذي يجمع هذه الملايين بعد ألف وأربعمائة سنة لتتهافت باسم الحسين وتجلس تحت منبره وتتعلم من مدرسته . تعلمنا من الحسين كيف نكون أقوياء لبنني ونتقدم ونحقق النصر بالرغم من الحصار والعزلة وغياب الإمكانيات والحرمان .

لقد كان رسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يتيما في صحراء ومنطقة نائية ، فبعث لأمة جاهلة ولم يكن الرسول إمبراطورا ولا يمتلك الثروة والإمكانات والجيوش ، فهو يتيم ولكنه الصادق الأمين ، وتعيش الأمة التي بعث فيها حالة قبلية جاهلية ظلامية ، تعبد الأوثان والأصنام ولكنه منحها القوة في غضون سنوات معدودة ، مع أن التحولات في المجتمعات تحتاج إلى مئات السنين .

استطاع النبي أن يحولهم ليكونوا خير أمة أخرجت للناس . تكمن قوة النبي في قوله : «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» الذي يجسد المشروع والانتماء إلى الله دون أي شيء سواه ،

فلا طاعة ولا انقياد ولا ارتواء في أحضان الآخرين ولا ضعف أمام القوى الدنيوية .
تختزل هذه الكلمة على قصرها سر الحياة ، وهي سر القوة وسر التأثير والنجاح ، وهي
تعبير صادق عن رفض كل شيء ليس فيه رضا الله ، وبهذا تنتظم الأمور ويقوى الإنسان
ويتقدم ، ويشعر بالعظمة والكبرياء ، كلما ابتعد عن المشاريع الدخيلة ويعتز بهويته
ومشروعه المستقل .

لم يقف التاريخ الجاهلي السيئ الصيت عائقاً أمام المسلمين الأوائل ، بل رفعوا
رؤوسهم وفخروا بأن يتحولوا بفضل رسول الله ورسالة الإسلام ، من أمة غائبة وضائعة
وتائهة في الظلام وعبادة الأوثان إلى أمة هي خير الأمم . لقد جعلهم رسول الله يشعرون
بالقوة على قلة عددهم وإمكاناتهم ويراسلون الإمبراطوريات في ذلك الوقت ليدعوهم
إلى الإسلام . بينما كانت تلك الإمبراطوريات وبالرغم من إمكاناتها لا تمتلك المشروع ،
لذا تشعر بالهزيمة الداخلية .

الأمة المنكسرة

تكمن مشكلة الأمويين في عهد الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في أنهم استهدفوا مفتاح القوة
في المجتمع الإسلامي ؛ وهو ثقة المسلمين بأنفسهم وبمشروعهم ، واستهدفوا الكبرياء
والعزة والكرامة التي كان المسلمون يتمتعون بها ، وذلك بالقتل والتشريد والسجون
والتعنيف والملاحقة ، وكسروا هيبة الإنسان وكرامته وقتلوا روح الحماسة والإقدام
والشجاعة والجرأة في نفوس أهل الكوفة ، فأصبحت الأمة أمة منكسرة وضائعة ، ونصّبوا
عبيد الله حاكماً على الكوفة وعبيد الله هو ابن ذلك الطاغية الذي اقتلع عيون المسلمين
وهم أحياء وقطع الأيدي والأرجل وزج الناس في السجون ، فحينما سمع أهل الكوفة
بقدوم عبيد الله بن زياد فقد الناس إرادتهم وثقتهم بأنفسهم ، وحين تفقد الثقة بنفسك
وتتخلى عن مشروعك وتضيع وتداس بالأقدام .

تتضافر الشهادات التاريخية غير العراقية على أن أهل العراق من أشجع الناس ، وكلهم
طاقة وحماسة وجرأة وإقدام وكانوا متفاعلين مع أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وكتبوا الرسائل
التي تدعو الحسين للقدوم اليهم ، إلى الحد الذي وصلت فيه اثنا عشر ألف رسالة إلى
الإمام الحسين .

و حينما أرسل الإمام الحسين مسلم بن عقيل سفيره ومدوبه إلى الكوفة ، بايعه ثمانية
عشر ألف إنسان طواعية ، وهم غير مضطرين للبيعة . وهذا يكشف عن تفاعلهم مع أهل

البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ، لكن ما إن سمعوا بتعيين عبيد الله بن زياد واليا على الكوفة حتى شعروا بالانكسار وتركوا مسلم بن عقيل وحيدا وحصل الذي حصل، وشعر الحسين بالغربة من خلال العزلة التي فرضت على مندوبه؛ وهذا ما يختزله الفرزدق في وصفه الدقيق الذي قدمه للحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ حين سأله عن أحوال أهل الكوفة فقال: «قلوبهم معك وسيوفهم عليك» (٤٥٣).

لقد كانت المشاعر والقلوب والانحياز للحسين، ولكن سيوفهم وصوتهم مع أعدائه. يردد خطابونا هذه المحاوره ويستدلون بها على غدر أهل الكوفة، ولكن لو سأل الإمام الحسين في ذلك اليوم الفرزدق عن حال أهل البلدان الإسلامية الأخرى، لقال الفرزدق: إن القلوب والسيوف عليك، فأهل الكوفة كانوا متقدمين على غيرهم في كونهم يعرفون من هم أهل البيت ويميلون إليهم في مشاعرهم وعواطفهم وقلوبهم، وحتى من قتل الحسين كان يبكي، حسب ما نقرأه في كتب المقاتل.

كيف نجمع بين القلوب والسيوف؟

ولكن هنا يأتي السؤال، إذا كانت المشاعر مع الحسين والقلب معه فلماذا يكون السيف عليه؟ والجواب، لأنه يشعر بالهزيمة والخوف ولا يستطيع أن يحول عواطفه ومشاعره ورؤيته ومبادئه إلى موقف وسلوك عملي، فيشعر بالألم ويعيش هذه الازدواجية بين الرغبة الداخلية والواقع المفروض عليه.

لقد بعث دم الحسين الحماسة والغيرة والحمية في جسد الأمة، وأوجد فيهم الجرأة والشجاعة والإقدام، وهذا ما فعله الحسين بتضحيته التي بثت ملامح الحياة في أهل الكوفة التي ظهرت علاماتها في اليوم الثاني عشر من المحرم، في اليوم الثالث من شهادة الإمام الحسين، حيث انكسر حاجز الخوف، وتشكلت بدايات الموقف الراض للظلم.

تجمع بعد ثلاث سنوات خمسة آلاف شخص جاؤوا وبايعوا الحسين وتآزروا على الثأر لدمه، وسميت هذه الحركة بحركة التوايين التي انطلقت في سنة ٦٤ للهجرة، وقضت هذه الحركة على قتلة الإمام الحسين، وبدت ملامح الحياة والجرأة والعزيمة واضحة بفضل دم الحسين وشهادته، وهذا ما نعنيه بقولنا إن الحسين منح الحياة. إن دم الحسين دم حماسي، يمتلك المشروع والرؤية، استطاع أن يحرك الدماء في عروق هؤلاء الناس ودفعهم إلى الأمام، فكان دم الحسين حياة لهم وإنقاذاً لمصيرهم.

يموت ليحيا الآخرون

وكان هذا الدم الطاهر حارسا للدين الذي حُرّف وابتعد عن معالمه في تلك الظروف التي يقول عنها الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ «على الإسلام السلام إذا ابتليت الأمة براع مثل يزيد»^(٤٥٤)، المشكلة في هذا الحاكم المنحرف وفي هذا السلوك الخاطيء، لذا حركهم حتى أوقفوا التداعي وحتى انقضوا على الانحراف فاستطاعوا أن يحافظوا على الإسلام، فكانت الملحمة الحسينية هي المحافظة على الرسالة الإسلامية .

يقول الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه»، لقد فقدتم المبادئ والمنظومة القيمية وضاع مشروعكم وهويتكم وتزلزلت ثقتكم بأنفسكم، ثم قال: «ليرغب المؤمن في لقاء الله محققا»، فما الذي يجلسك حينما يضيع الحق، قم وانتصر لحقك الضائع، «فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما»^(٤٥٥)، السعادة في أن أموت حتى يحيا الدين، والسعادة في أن أموت حتى نستنهض الهمم وتحيا الشعوب . وحينما صار الخطاب بهذه الطريقة بعثت في أصحابه الحماسة والحمية فقام زهير بن القين فقال: «قد سمعنا - هداك الله يا ابن رسول الله - مقاتلك ولو كانت الدنيا لنا باقية، وكنا فيها مخلدين، لأثرنا النهوض معك على الإقامة فيها . قال: ووثب هلال بن نافع البجلي فقال: والله ما كرهنا لقاء ربنا، وإنا على نياتنا وبصائرنا، نوالي من والاك، ونعادي من عاداك . قال: وقام برير بن خضير فقال: والله يا ابن رسول الله لقد من الله بك علينا أن نقاتل بين يديك، فيقطع فيك أعضاؤنا ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة»^(٤٥٦) .

لقد منّ الله علينا أن خصنا بالحسين ليعث فينا الحياة ويقدم لنا الرؤية ويجعلنا نعتر بتاريخنا وثقافتنا ومشروعنا، ويلهمنا الحماسة والحمية . حينما نقول إن دم الحسين أحيانا الإنسانية ودافع عن الإسلام، لأن هذا الدم كان فيه هذه المداليل والتأثير في ضمير الأمة، وبدأ كالموج يؤثر جيلا بعد جيل، فكلما تعمقنا في التأريخ وتعرفنا على واقعة الطف تبينت مداليل كربلاء ونهضة الإمام الحسين أكثر فأكثر وكان الارتباط والانشداد لها أعظم .

نسأل الله أن يجعلنا ممن يتعرف على حقيقة هذا المشروع وممن يلتزم به ويدافع

٤٥٤ . مشير الأحزان - لابن نما الحلبي ص : ١٥ .

٤٥٥ . ميزان الحكمة : ج ١١ : ص ٢٣١ .

٤٥٦ . بحار الأنوار : ج ٤٤ : ص ٣٨١ .

عنه ، وأن يلهمنا الاعتزاز بهويتنا وتاريخنا وقيمنا ومبادئنا ، وألا نرمي أنفسنا في مشاريع الآخرين ، وأن نحافظ على مشروعنا الإسلامي المستقل الذي فيه تاريخنا وكرامتنا وعزتنا وشموخنا وخلصنا .

الليلة الخامسة - بتاريخ ٢٠١١/١١/٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجالس الواعية

تحدثنا في الليالي الماضية عن واقعة الطف وعن أهدافها وخلفياتها وعن رموزها وآفاقها وعن تلك الغايات النبيلة والأهداف السامية التي استهدفتها. إننا نستلهم من هذه المجالس الدروس والعبر، ونعبر من خلال العبرة والعبرة عن تضامنا مع سيد الشهداء الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعلينا أن نشكر الله سبحانه وتعالى على مثل هذه المجالس التي أسس لها أئمتنا الأطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وكانوا أول من أقامها وشجع عليها. ونقرأ في النصوص عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ سؤاله لمحبيه: «تجلسون وتحدثون» أي في مناقبنا وفي تسليط الأضواء على حياتنا ونهجنا ومشروعنا، «فقالوا نعم يا ابن رسول الله، قال: إن تلك المجالس أحبها فأحيوا أمرنا رحم الله من أحيأ أمرنا»^(٤٥٧).

تعبّر هذه المجالس عن مائدة إلهية نقف فيها لنزداد وعيا ورؤية وبصيرة وفهما لما جرى على أئمتنا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وتحديدًا لواقعهم ومشروعهم وأهدافهم والمسار الذي ضحوا من أجله، وهذا ما يدعونا إلى استثمار هذه المجالس وتوظيفها التوظيف الصحيح، يطلب من هذه المجالس الخلفية العاطفية واستدرار الدمعة ونطلب الأجر والثواب الأخروي فحسب، وهو أمر مشروع وجيد، ولا بد من أن تستدر الدمعة في مثل هذه المجالس والتركيز على الجوانب العاطفية، ولكن هل أريد لهذه المجالس الأجر الأخروي فحسب ولا يكون لهذه المجالس صلة وعلاقة بواقعنا الذي نعيشه بحياتنا اليومية؟ هل ضحى الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ

ليكون حقيقة تاريخية نستذكرها لنبكي عليها ونحصل على الأجر في الآخرة؟، أو ان الحسين يمثل واقعة حياتية لها مداليل وفوائد ومعطيات في حياتنا اليومية؟.

بهذا الاستثمار نكون قد حصلنا على الأجر والثواب في الآخرة وحصلنا على الوعي والبصيرة والفهم الدقيق لشؤون الحياة. إن الخطوات المطلوبة لضمان الآخرة تأتي من خلال بناء الدنيا على أساس الحق والعدل. يتحول الحسين في هذه الرؤية إلى أنموذج وقدوة نبني على أساسها وعلى أساس مشروع الحسين ونهجه وفكره حياتنا اليومية وواقعنا ومجتمعنا. تمثل هذه المجالس نعمة إلهية كسائر النعم، وعلينا التعامل مع هذه النعم بالطريقة التي تجعلنا أقرب إلى فهم الحياة وواقعها وتجعلنا أقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

استثمار النعم

إن استثمار هذه النعم في ما أراده الله، يدعونا إلى ألا ننظر إلى ما حرم الله وأن نركز في نظرنا إلى ما أحله الله سبحانه وتعالى. إذا كان النظر إلى القرآن عبادة والنظر إلى وجه العالم عبادة، فعلينا أن نحسن استثمار هذه النعمة الإلهية كما هي في سائر النعم الإلهية.

نحن إذن، بحاجة في هذه المجالس لنزداد وعياً وثقافة، ونزداد إدراكاً لواقع الحياة ومتطلباتها، وكيف نجعل واقعة الحسين حاضرة في يوميات حياتنا، لنكون مصداقاً حقيقياً للمقولة الشهيرة: (كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء)، علينا أن نحول هذه المجالس لنزداد عزيمة في الوقوف ضد الجبارين والوقوف بوجه الانحراف ومواجهة التخلف في كل مستوياته ومدياته. نحن بحاجة إلى أن نجعل هذه المجالس ذات مداليل عملية وواقعية في حياتنا اليومية. حينما يتحدث القرآن الكريم عن الصلاة، فإنه لا ينظر إليها على أنها مجرد طقوس وممارسات عبادية يراد منها القرب الإلهي في الآخرة فحسب، إذ يقول: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٤٥٨)، يضيف هذا المقطع القرآني مداليل اجتماعية وواقعية وحياتية يمكن أن تتحول من خلالها الصلاة إلى عنصر تربية وإعداد وبناء للإنسان.

لا توجد عبادة المراد منها الأجر الأخروي فحسب، وإنما العبادات هي أنماط وسلوكيات نسعى من خلالها لبناء واقعنا الفردي والاجتماعي، وتأسيس مجتمع متماسك وعادل يتحرك ضمن المبادئ التي أرادها الله سبحانه وتعالى لنا في هذه الدنيا، لذلك علينا أن نعمل جاهدين على تحويل هذه المجالس إلى مجالس دروس للحياة، تلهمنا

العزة والكرامة الإنسانية ، وتعرفنا على الكبوات والثغرات والإرهاصات التي وقعت في مجتمعاتنا وكان لها أثر عظيم في الانحرافات الكبرى التي حصلت .

الشحن الثوري

كيف نجعل من هذه المجالس الحسينية مصدرا حقيقيا لتحولات كبرى في بناء مجتمعاتنا كما أراد أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . حينما نقرأ في تأريخ الحوراء زينب ، فأول ما يثير استغرابنا هو أن قبرها ليس في مدينة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، بل في الشام أو في مصر على اختلاف الروايات . والتأريخ يقول إنها أبعدت ونفيت إلى الشام أو مصر؟ . . . والسؤال لماذا تبعد بنت أمير المؤمنين وتقصى إلى الشام أو إلى مصر . والجواب ، إنها كانت تقيم المجالس الحسينية التي أخرجت السلطات وأريكت النظام الحاكم ، فأبعدها والي المدينة حتى يتخلص من تبعات هذه المجالس . ولكن أي مجلس هذا الذي يمثل إخراجا للسلطة ، ويمثل إرباكا لمشاريع السلطة حتى يضطر الوالي إلى الإقدام على عمل بمستوى إبعاد بنت علي عَلَيْهِ السَّلَامُ عن المدينة؟ .

لا نشك في أن تلك المجالس لم تكن مجرد تجمع نسوي هدفه البكاء طلبا للأجر والثواب فحسب ، لأن هذا لا يشكل إخراجا للسلطة مما يضطرها لإبعاد بنت أمير المؤمنين عن المدينة ، لتتحمل تبعات هذا الإقصاء السياسية والاجتماعية والضغط المختلفة ، فهي ليست امرأة عادية . فلم يكن المجتمع العربي يتقبل مثل هذه الإجراءات بحق النسوة ، هذا أولا ، وثانيا هي بنت أمير المؤمنين وبنت فاطمة ، فقضية إبعادها ليست قضية سهلة . فما هو حجم الإخراج الذي تعرضت له السلطة من جراء المجالس الحسينية التي كانت تقيمها الحوراء زينب؟ .

هذا يعني أن هناك شحنا ثوريا يضاف إلى الشحن العاطفي ، وهناك تعبئة مستمرة كانت تمارس من خلال هذا المجلس الذي تقيمه الحوراء زينب ، تعبئة الأمة باتجاه أهداف الحسين . لقد كانت تلك المجالس التي أقامتها السيدة زينب عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مجالس وعي وبصيرة ورؤية وتعبئة واستنفار للطاقت لتتضم إلى جانب مشروع الإمام الحسين ونهجه ، وقد سبب هذا المعنى إخراجا للسلطان ، ولم تكن بقصد البكاء الذي يمكن أن تعقد من أجله هنا وهناك ، مع إيماننا بجلاليتها وأهميتها .

لقد كانت مجالس الحوراء زينب تصنع القادة الذين يؤمنون بنهج الإمام الحسين ، وتصنع كوادر من الرجال والنساء قادرين على أن يحدثوا نقلة حقيقية وتحولا كبيرا في بناء

حياة عزيزة وكريمة للإنسان، وكان هذا المجلس مظهرا واضحا من مظاهر بناء المنظومة الأخلاقية التي بُني عليها الإسلام، لذا اتخذت السلطة هذه المواقف بحقها.

علينا أن نحول مجالسنا إلى مجالس شبيهة بتلك المجالس التي يقيمها أئمة أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ، التي كانت منطلقا للثورات ومنطلقا للوضوح والرؤية في بناء الأمة وفي الدفاع عن القيم والثوابت والمبادئ التي رُوِّج لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته الكرام عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

الشباب ومشاريع التغيير

حينما ننظر إلى أصحاب الحسين وأنصاره، المتمسكين بمنهجه، نلاحظ ظاهرة خاصة تنسجم مع الأجواء التي نعيشها في هذا الليلة، ليلة الثامن من المحرم التي نقف فيها وقفة إجلال وإكبار بين يدي القاسم بن الحسن لنكرم فيه الشباب في الثورة الحسينية.

حينما نقف ونستعرض أنصار الإمام الحسين الذين وقفوا وضحوا مع الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، نرى فيهم كبار السن كمسلم بن عوسجة وحبيب بن مظاهر، ولكن السمة العامة والعدد الأكبر من أنصار الحسين كانوا من فئة الشباب، وهم وقود الثورة ورجالها. وهذه من السمات المهمة التي يجب أن نقف عندها، وكأن الشباب هم الأكثر تفاعلا مع المشاريع الإصلاحية والتغييرية، وعلى أيديهم تتحقق التحولات الكبرى.

يملك الشاب الطموح والأمل، وهو كتلة من المشاعر والعواطف الصادقة، وحينما يرى أن الأمور تسير باتجاه خاطئ فلا يمكنه أن يتمالك نفسه، بل ينزل إلى الميدان وينفض الغبار عن نفسه ويستعد لأن يقدم كل شيء من أجل تقويم الانحراف وتصحيح المسار والإبقاء على تلك الأطر القيمية والنظم الأخلاقية التي وضعها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ ولأن الشباب هم وقود ومصدر التحولات الكبرى، نجد أن حكم بني أمية كان يستهدفهم على وجه الخصوص، وقد وضع خطة متكاملة تجاههم.

كان حكم بني أمية يتعامل معهم بثلاثة أساليب أساسية:

١- الإغراء الأخلاقي، لتميع الشباب بإغراقهم بالطرب واللهو والغناء والخمور. فقد كان يسعى لأن يفرغهم روحيا ويقتلهم معنويا. ويدفعهم باتجاه الانحلال الخلقي، بعد إغراضهم وانشغالهم عن كل ما يجري حولهم من تحولات. ولا ينحصر هذا الأسلوب بالحكم الأموي، وإنما نجده في كل الأنظمة المستبدة والظالمة، فإنهم يغرِقون الشباب بالانحلال الخلقي.

يمكن أن يتصفح الإنسان الفضائيات ليجد الكثير منها يدفع الشباب إلى مثل هذه السلوكيات والممارسات البعيدة عن القيم الدينية والاجتماعية التي نؤمن بها كعرب وكمسلمين . وهذه حالة مؤسفة وما إن تتحدث عنها حتى يبررها البعض بتبريرات منمقة على أنها حريات شخصية يمارسها الشباب المنفتح . الانفتاح والحرية مفاهيم جميلة جدا، ولكن من الذي وقف بوجه الحرية؟ ومن الذي أراد للشباب أن يعيش ظروف الانغلاق؟، لكن هذه الحرية يجب أن يكون فيها تقنين وتكييف مع واقعنا وقيمنا الدينية والاجتماعية ومع قيمنا وأعرافنا وتاريخنا وحضارتنا .

ومن الذي قال إن الحرية بمعناها الغربي الذي ينسجم مع ثقافتهم وأعرافهم وحضاراتهم تنسجم مع واقعنا؟ . حينما نتخلى عن قيمنا وحضارتنا وثقافتنا فهذا يعني أننا نعيش حالة التصحر الفكري والحضاري ، وفي اليوم التي كان فيه الآخرون يعيشون قرونا مظلمة كنا نعيش الذروة والقمة في الحضارة والإنجازات العلمية والاجتماعية والتاريخية الكبرى .

٢- الإغراء المادي ، كان الحكم الأموي يربط مصالح الناس بالسلطة وأدواتها وأجهزتها . ومن يتحكم بأرزاق الناس يسيطر على قرارهم ، لذا يبقى الإنسان ساكتا خانعا للحفاظ على مصالحه وعلى رزقه . إن احتكار المال العام بيد السلطة الحاكمة وتحويله إلى أداة ضغط ليسير الناس بنظرة أحادية كما يريد الظالم ، سمة واضحة وجدناها في حكم بني أمية وفي الأنظمة الحاكمة الظالمة والمستبدة على مر التاريخ .

٣- القمع والسجن والقتل والمطاردة والتشريد ومصادرة الأموال ، والعمل بسياسة من ليس معنا فهو ضدنا ، وكل من كان ضدنا يجب أن يلحق حتفه ومصيره ، والقتل على الظن والتهمة . لم يكن الأمويون يخافون من الكبار ، فالكبير على كل حال فاعليته قليلة وطموحاته متواضعة وآماله في الدنيا محدودة ، ولا يملك حس الاقتحام والمبادرة ، لذا كان التركيز على الشباب .

وحينما نراجع المصادر التاريخية نجد أن تلك النخبة الشبابية الطيبة التي وقفت مع الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ كان لها سمات أخرى ، فقد قالت (لا) بوجه الظلم والطغيان والانحراف والضلال ، وقالت (نعم) للحسين ومنهجه ، (نعم) للمشروع الحسيني ، (نعم) للمسارات الصحيحة ، (نعم) للدفاع عن الحق والوقوف مع المحروم بوجه الظالم والمعتدي . وقدمت كل شيء حتى النفس من أجل هذا الهدف السامي .

منطق الانتصارات المجانية

حينما خرج الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ من مكة تبعه آلاف الناس ، بعضهم لديه مشاكل شخصية مع الحاكم ، فرأى في هذا الخروج فرصة للإطاحة بحكم بني أمية وليس إيماناً بالحسين ، وإنما التحقوا بالحسين ثأراً لمصالحهم ومنافعهم ، ولكنهم فارقوه يوم وصول خبير مقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وشاهدوا أن الكوفة قد سقطت بيد الوالي الأموي ، وتبين لهم أن النصر صار بعيد المنال ، ومشى البعض الآخر مع الحسين وكان لديهم طموحات بتسلم المناصب ، وحينما تيقنوا من أن مرافقة الحسين تستلزم الدخول في المعارك والتعرض إلى القتل رجعوا أيضاً وبقي الحسين مع ثلة قليلة من أولئك الشباب المؤمن الذين وقفوا معه .

وحدثت نفس القضية مع مسلم بن عقيل حيث بايعه أهل الكوفة وبقي فيها عدة أيام والناس تتراكم وتتسارع لبيعته ، إلى الحد الذي صلى خلفه ثمانية عشر ألف مصلى ، وفي مساء هذا اليوم بقي مسلم بن عقيل وحيداً لا يجد من يؤويه . ما الذي غير الناس ، هل كانوا جميعهم من أهل الغدر والنفاق؟ . لقد كانوا صادقين ، وكانت نواياهم طيبة ، وكانوا يريدون أن يكونوا مع الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فلماذا إذن تخلوا عنه وتركوه وتخلفوا عن بيعته؟ . وهذا سؤال مهم وإذا عرفنا جواب هذا السؤال يمكن أن نقيم التحولات في كل زمان ومكان .

في يوم ما كانت مئات الآلاف بل الملايين تمضي خلف السيد محسن الحكيم ، وحينما أذاعت السلطات الظالمة في الإذاعة أن السيد مهدي الحكيم جاسوس وعميل للأجنبي ، وإذا بهذه الجموع التي كانت تصطف على بيت حاج عباس في الكاظمية ، حيث كان ينزل الإمام الحكيم عصراً ، تغيبوا ولم يحضر منهم إلا الآحاد . ومن المعروف أن السيد محمد باقر الصدر استأجر سيارة من النجف ليزور الإمام الحكيم ، فأين ذهب الناس؟ ، هل كلهم لا يحبون الإمام السيد محسن الحكيم؟ ، لا ليس كذلك ، بل هؤلاء أناس صادقون ومحبون ، فأين المشكلة إذن؟ ، ولماذا يبايع مسلم بن عقيل هذا العدد الكبير من الناس في الصباح وينقضون بيعتهم في المساء مع أنهم كانوا صادقين؟ .

لقد كان هؤلاء يبحثون عن الانتصارات السهلة ، انتصارات تأتيهم من دون ثمن . وحينما رأوا أن عبید الله بن زياد قد أقبل ، وهذا ابن زياد ابن أبيه ، وهو اسم مرعب للعراقيين ولأهل الكوفة آنذاك ، نقض الناس البيعة . وكانوا يظنون أن القضية محلولة ، وهم بالفعل مع الحسين ، وهذا ما قاله الفرزدق في وصف أهل الكوفة : (قلوبهم معك

وسيفهم عليك) فهم صادقون في العواطف والمشاعر، ولكنهم لا يريدون أن يدفعا ثمنها، ويظنون أن الثورة بلا ثمن، ويظنون أن الانتصارات تأتي بالمجان. وعلموا ألا ثورة بلا ثمن ولا ثورة بلا نظام يقف بالضد منها ويستهدفها، وثمان الثورة التضحية والجرأة وهم لا يملكون هذه الجرأة والإرادة لكي يقدموا هذا الدم من أجل أن يحصلوا على تلك الثورة ويغيروا ذلك الواقع.

الشباب الحسيني

أما الشباب الذين وقفوا مع الحسين فكان لديهم الاستعداد وفيهم ثلاث صفات مهمة جعلتهم يقفون مع الحسين حتى اللحظة الأخيرة:

١- كانوا يملكون التربية والمناخ الأخلاقية، وقد تربوا في كنف الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، في مدرسة الحسين التي أعطتهم الهوية والاستعداد الأخلاقي للتضحية، فعرفوا الثمن واستعدوا لدفعه.

٢- الوعي العميق والرؤية لما يدور حولهم. لا يملك الإنسان أحيانا تقديرا صحيحا للموقف، فالقائد العسكري إذا أراد أن ينتصر في المعركة فعليه أن يحصل على تقدير صحيح للموقف مهما كان صعبا. لقد ملكت هذه الجماعة الشابة الرؤية والتحليل الصحيح للواقع الاجتماعي والسياسي، فقد فهموا حجم الانحراف وحجم التضحية المطلوبة لإيقاف النزيف والانحراف والضلال.

٣- الإرادة الإصلاحية والتغييرية الحقيقية. فقد استعدوا الكل شيء، حتى أن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في ليلة عاشوراء وقف أمامهم وقال لهم: «وقد نزل بي ما قد ترون وأنتم في حل من بيعتي، ليست في أعناقكم بيعة، ولا لي عليكم ذمة، وهذا الليل قد غشاكم فاتخذوه جملا وتفرقوا في سواده فإن القوم إنما يطلبونني، ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري»^(٤٥٩)، لكنهم لم يقبلوا لأنفسهم أن يتركوا الحسين ويتخلوا عنه إلا أن يموتوا دونه وأن يقتلوا بين يديه.

لقد منحتهم البصيرة والوعي والمناخ الأخلاقية هذه القوة والعزيمة وهذه الإرادة في التضحية مع الحسين ونهجه ومشروعه، فأصبحوا شبابا ثائرين ومستعدين لأنواع التضحية والفداء، وقدموا كل غال ونفيس وصنعوا ملحمة إنسانية كبرى. ولا يمكن أن توجد هذه الإرادة الإصلاحية دون وجود تلك المناخ الأخلاقية. لذا نرى مخطط التميع

والغزو الثقافي ومسح الهوية الثقافية ، وهذه كلها أساليب تستهدف المناعة الأخلاقية التي إن غابت فسوف لا نجد إرادة إصلاحية .

عقبة الانتهازيين

لاحظوا الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في ليلة العاشر ، دخل في مفاوضات مع عمر بن سعد الذي يمثل الجانب الظلامي ، فقال له الحسين : يا عمر ألا تعرف حجم التداعي والانحراف والابتعاد عن سيرة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال نعم أعرف ، فلماذا لا تصطف معنا؟ ، فكان جوابه يا حسين أخاف أن يهدموا بيتي ، فعرض الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يعوضه بأحسن منه ، لكنه عاد وقال ، أخاف أن يصادروا مزرعتي ، وعرض الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ تعويضه بأفضل منها .^(٤٦٠) . لقد كان موقف عمر بن سعد درسا تأريخيا بليغا ، فهو مثال لمن تتقاطع مصلحته الشخصية مع مصالح الأمة والرسالة الإسلامية التي تعرضت للخطر ، ومع وجود الأرامل الثكلى والأيتام المضطهدين تجده لا يفكر إلا ببيت ومزرعة ، ليضع الأمة ومصالحها في كفة وبيته ومصالحه في كفة أخرى . لقد كان عمر بن سعد مستعدا للتضحية بالأمة الإسلامية ومساراتها وصالحها لكي يحافظ على بيته ومزرعته ، وهذه هي الانتهازية والمصلحية والأنانية .

يمكننا أن نلاحظ هذا السلوك في كل زمان ، فليس ذلك ببدعة ولا استثناء ، وهذا هو المرض العضال حينما يصل الإنسان في الانتهازية والمصالح الشخصية إلى مستوى لا يكثر فيه بهوم الأمة وآلام الشعب ، وكل ما يهمه المصلحة الخاصة ، وعمر بن سعد مستعد لأن يصنع كارثة إنسانية وإسلامية في يوم عاشوراء حتى يحافظ على مصالحه الخاصة . ولا تظنوا أن عمر بن سعد إنسان بسيط ، فهو ابن سعد بن أبي وقاص الذي نرى اسمه بين الأسماء اللامعة في قائمة أصحاب رسول الله ، وله بطولات في الفتوحات . وعمر نفسه يصنف في قائمة التابعين ، كان عالما ومثقفا ولكنه مع ذلك وقف هذا الموقف ؛ لأنه يفتقر للمناعة الأخلاقية والرؤية الرسالية والإرادة الحقيقية ، وهو كان من أبناء الأسر المعروفة في ذلك الوقت وهم بنو زهرة ، من العشائر المعروفة في ذلك الحين .

٤٦٠ . مقتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ للخوارزمي ج ١ : ص ٢٤٥ ، بحار الانوار ج ٤٤ : ص ٣٨٨ :

الطبقية وقود الفتنة

لقد كان الشباب على استعداد للتضحية وأن يقدموا كل شيء ، إذ كانوا يبحثون عن العدل والإنصاف وتقليل الفواصل الطبقية بين أفراد المجتمع . إن هذا الفارق الطبقي يهز مشاعر أولئك الشباب ، وهذه الطائفية السياسية والمحاصصات موجودة في كل زمان إلا أن مسمياتها قد تختلف ، فهناك طبقية اجتماعية و طبقية سياسية في ذلك الحين ، وهؤلاء الشباب يريدون أن يحصلوا على فرصة الحياة ولقمة العيش دون أن يطأطئ أحدهم رأسه لأحد ، كما أنهم يريدون بناء مجتمع على أسس صحيحة وعادلة ، لذا وقفوا مع الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وهؤلاء الشباب يريدون مجتمعا كما عبر عنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حينما قال : «الناس سواء كأسنان المشط»^(٤٦١) ، فالمجتمع الذي يفتقر إلى المساواة فهو بيئة خصبة للفتنة وللجريمة والظلم والتعدي على حقوق الناس ، لذا وقف هؤلاء الشباب مع الحسين و سطوروا الملاحم . وعندما نقف عند هؤلاء الشباب مثل علي الأكبر الذي كان يبلغ من العمر ثماني عشرة سنة ، والقاسم بن الحسن الذي يتردد عمره بين العاشرة والثانية عشرة على اختلاف الروايات ، نجد أنهم وقفوا وقاتلوا وذبوا عن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنهم لم يرتبطوا بالحسين بصفته الشخصية على جلالته وعظمته ، بل وجدوه يمثل منهجا إصلاحيا ومنهجاً تغييريا .

وهاهو الشباب العربي ، في ربيعنا العربي يصنع هذه التحولات الكبرى في مصر وفي تونس وفي ليبيا واليمن وغيرها يصنع الملاحم والبطولات ؛ لأنه استطاع أن يتكيف مع هذا الواقع بعد أن أصبحت لديه رؤية وفهم صحيح ، وأصبح يتحسس هذه الآلام والمحن ، وصارت مشاعره أكبر من أن توقفها الدبابة والجيوش الجبارة . حينما تتولد الإرادة ، لا تقف أي قوة بوجه الشباب التائر وهذه هي دروس الحسين ، واليوم يؤخذ بهذه الدروس فتُصنع الملاحم الحسينية . فهنيئاً لنا بأبي عبد الله الحسين ، وهنيئاً لنا بكل الأحرار والثوار وستبقى مدرسة الحسين خالدة .

٤٦١ . ميزان الحكمة : ج ١٠ : ص ٥٢٦ . ، كنز العمال ، الحديث : ٢٤٨٢٢



الليلة السادسة - بتاريخ ٢٠١١/١٢/١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أهداف النهضة الحسينية

كان حديثنا في الليلة الماضية عن أهداف الثورة الحسينية ، وقلنا إن هذه الملحمة لم تكن انفجاراً أو انفعالا أو ارتجالاً وإنما عبرت عن حركة واعية أرادها الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أن تتحقق ، ولها من المبررات والدوافع والأسباب ما يكفي لتحقيق هذه الثورة . وتحدثنا عن سببين أساسيين لهذه الثورة ، السبب الأول كان يرتبط بالظروف التي تعرض لها الإمام الحسين ليبيع يزيد بن معاوية . وكان الحسين يرى أن في تلك البيعة مشروعية وتكريسا لمبدأين خاطئين :

المبدأ الأول هو تصدي غير الكفاء لموقع المسؤولية والحكم والإدارة ، فيزيد لا يمتلك المواصفات المطلوبة للحاكم العادل . والمبدأ الآخر ، هو محاولة تكريس الوراثة في الحكم في المجتمع الإسلامي ، وقبول يزيد حاكما وخليفة بعد معاوية كان يمثل تكريسا لهذا المبدأ ، وهو مبدأ خاطئ وغير مقبول إسلاميا ، ولذلك رفض الحسين البيعة ليزيد . والسبب الثاني الذي تحدثنا عنه ، هو مراسلة أهل الكوفة للحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ، واستعدادهم لنصرته في التصدي للحكم الأموي وإقامة الحكم العادل ، وقد استعرضنا بشيء من التفصيل طبيعة الكوفة وأهلها والمقومات التي كانت لهذه المراسلة وخلفياتها .

السبب الثالث في الثورة والملحمة الحسينية هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . لقد خرج الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويضع الأمور في نصابها الصحيح ، ويقوم الانحراف ، يصوّب المسيرة ويوقف التداعي . وهذا سبب مستقل بمعزل عن السببين الآخرين ، فسواء طلب منه البيعة ليزيد أو لم يُطلب ، فالحسين كان

لينهض ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، راسله أهل الكوفة وبايعوه أو لم يراسلوه ولم يبايعوه، في كل الأحوال كان على الحسين أن ينطلق ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فهو إذن، سبب مستقل. وكان الحسين يرى لزاما عليه أن ينطلق ويتحرك وينفض الغبار عن ذلك المجتمع التي بدأت تتكسر فيه تقاليد وأعراف وسلوكيات وسياقات بعيدة عن الفهم الإسلامي لإدارة المجتمع، في الوقت الذي تحصل كل هذه الانحرافات باسم الدين وتحت عنوان الإسلام.

الهدف الكبير

ولنا أن نستدل على استقلالية هذا الهدف بإصرار الحسين على الثورة والمواجهة بالرغم من تراجع أهل الكوفة عن بيعتهم وتحول الظروف بشكل واضح. يحدثنا التاريخ أن الحسين في اللحظة التي أخبر فيها بمقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وهو في طريقه إلى العراق، بكى عليهما وتلا هذه الآية: ﴿يَسِّرْ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالًا صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾^(٤٦٢)، إن في الاستشهاد بهذه الآية دلالة على أن الحسين ماض دون أن يثنيه شيء، وأن مقتل مسلم بن عقيل لا يغير من الواقع شيئا، الحسين ماض بهمة وإرادة واضحة لتحقيق هذا الهدف الكبير، الهدف المشروع والنبيل في إقامة حكم عادل، وإلا فهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهذا ما يمكن أن نتلمسه في البيانات والخطب والأحاديث التي صدرت من الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد استشهاد مسلم بن عقيل وسقوط الكوفة. ونرى أن أكثر الخطب اندفاعا وتعبئة وتحشيدا ووضوحا ورسوخا في أهداف الثورة وفي المضي إلى الأمام، هي تلك الخطب التي ألقاها عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد سقوط الكوفة، مما يعني أن هذه المسألة لم تغير من قناعاته شيئا، ولم تجعله يتردد أو يتراجع، وإنما كان ماضيا لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشكل سببا مستقلا من أسباب هذه الثورة، لا يتغير بتغير الأحوال في الأسباب الأخرى.

إذا أردنا أن نقيّم هذه الأسباب الثلاثة، فسوف نرى أن موقف الإمام الحسين يختلف باختلاف هذه الأسباب، فحينما يكون السبب هو البيعة يكون الحسين في موقف دفاعي ويقول لا نبايع، ويكتفى منه برفض البيعة، فالموقف المطلوب تجاه السبب الأول إنما

٤٦٢. سورة الأحزاب: الآية ٢٣.

هو موقف دفاعي ، ولكن في السبب الثاني حينما يكون المطلوب الذهاب إلى الكوفة وقبول نصرة أهل الكوفة ومساعدتهم على إقامة حكم عادل ، يتطور الموقف من الدفاع إلى التعاون مع أهل الكوفة في الوقوف بوجه حاكم ظالم يدعي موقعا لا يستحقه .

خيار التضحية

أما في السبب الثالث ، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فنرى أن الموقف يأخذ بعدا تصعيديا ، يتطور إلى الهجوم وإلى إسقاط حاكم ظالم والوقوف بوجه الحكم المستبد ، ولذلك نلاحظ حالة من التطور والتدرج تفرضه طبيعة كل سبب من هذه الأسباب والمناسئ والعوامل التي دفعت لقيام ثورة الإمام الحسين ، تتحكم بموقف الإمام من موقف الدفاع إلى موقف التعاضد والتعاون ، إلى موقف الهجوم الذي يمليه عليه واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

نلاحظ أن الحسين عَلَيْهِ السَّلَام بحسب هذا السبب وهذا الدافع لتحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتحول إلى تائر يضحي بكل شيء حتى يحقق هذا الهدف مهما كلفه الثمن ، بعد أن شخص تجاوز على المبادئ والثواب والخروج عن الإطار الصحيح والتوصل عن الالتزامات من الحاكم . فلا بد للحسين عَلَيْهِ السَّلَام من أن يقوم هذا الانحراف ويعيد الأمور إلى نصابها ، وهذا ما حوّل الإمام الحسين إلى تائر مستعد للتضحية بالغالي والنفيس من أجل الوقوف بوجه الحاكم المتمثل بيزيد بن معاوية . وقد مثل الأمر هما مستمرا للحسين ، وكان يرى أن التحدي الأكبر الذي يواجهه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الوقوف بوجه هذا الظالم ، الذي عبّر عنه عَلَيْهِ السَّلَام بعبارات شديدة وقاسية .

الظروف تضيق الخيارات

لقد استهدف الحسين بحسب السبب الأول ، رفض البيعة بعد أن طلبها الحاكم الظالم في محاولة لتشويه سمعته وإضفاء المشروعية لحاكم لا تتوفر فيه المواصفات الإسلامية ، وكان عليه بحكم هذا الظرف أن يقف ويواجه السلطة بشكل يكتفي فيه بألا يعطي هذه المشروعية ، وألا يلوّث مقام الإمامة بإعطاء البيعة لمن لا يستحق .

وفي المسار الثاني كان التكليف مختلفا ، فهناك بيعة أهل الكوفة ومراسلتهم ، وقلنا إن مئات الآلاف من التواقيع التي وصلت إلى اثني عشر ألف رسالة ، أرسلت إلى الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَام ، وبحكم هذه الرسائل والاستعداد ، كان لزاما على الإمام الحسين أن

يتحرك ويناصر كما ورد: «وقيام الحجّة بوجود الناصر»^(٤٦٣)، لذا يجب أن يتحرك. وفي اللحظة التي سقطت فيها الكوفة وتراجع الناس عن بيعتهم سقط تكليف الإمام في نصرتهم بعد أن تخلوا عن هذه النصرة.

يختلف السبب الثالث عن السببين السابقين في كونه باقيا ومستمرا مادام الحاكم الظالم مستأثرا بهذا الموقع يتحكم في مصير الناس، ومادام الهدف هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا بد للحسين من أن يعطي ويقدم مهما كلف ذلك من ثمن، حتى لو كان الثمن الشهادة في سبيل الله، وأن يضحي بنفسه لإزاحة الحاكم الظالم، وهنالك تعدد هناك حدود، ولا يسقط التكليف بتعقيدات تعتري المسار والمشهد.

ينحصر هدف الحسين بحكم السبب الأول بأن يحافظ على نفسه، وبحسب السبب الثاني أن يستمر في نصرتهم ماداموا يناصرونه، ولكن السبب الثالث يدعو إلى المضي حتى النهاية، سواء تحققت النتيجة أو لم تتحقق، استطاع إسقاط هذا الحاكم الظالم أو لم يستطع، فهدفه ومسؤوليته هما الثورة بوجه هذا الظالم، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فهذا السبب إذن يختلف عن السببين الآخرين في طبيعة التكليف وفي طبيعة الموقف المطلوب من الحسين تجاه هذا الدافع من دوافع الثورة الحسينية.

منطق الشهادة

أراد الحسين أن يسجل رسالة ترسخ في ضمير البشرية وفي ذاكرة التاريخ، ويخطها بدمه الطاهر، لتبقى حية نقيّة وفاعلة ومؤثرة على مر الدهور والعصور. وكانت رسالته بحاجة إلى دم حتى تبقى فاعلة ومؤثرة في بطون التاريخ، وهي تختلف عن رسالة يكتبها الفراعنة والطواغيت ويحتونها على الأحجار لتبقى بعدهم لآلاف من السنين، يكتشفها المنقبون والأثريون وينفضون عنها التراب لتوضع في المتحف. ما أراد الحسين أن يكتب شيئا على صخر بل أراد أن يكتب رسالة ينحتها في ضمير الأمة، لتبقى فاعلة في كل زمان وفي كل مكان، وليكون بعدها كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء.

ولا يمكن أن يتحقق هذا المشروع حتى تصل التضحية إلى مستوى التضحية بالدم الطاهر من أجل تحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولذلك نجد أن رسالة الحسين رسالة خالدة، فيما أن الرسالة التي يقدمها الآخرون بطرق أخرى لا تمتلك هذا الخلود. وحتى لو بقيت فستبقى محدودة في حدود متحف أو كتاب تاريخي، ولا تتحرك ضمن واقع الحياة ويومياته بين الأمة.

٤٦٣. نهج البلاغة ج ١: ص ٣٦.

ويمكن أن نسمي هذا المنطق بمنطق الثائرين ومنطق الشهادة، وحينما يتكلم الحسين، يتكلم بمنطق الشهادة فيقول: «ألا وإن الدعي ابن الدعي قد تركني بين السلة والذلة، وهيئات له ذلك مني، هيئات منا الذلة، أبا الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون»^(٤٦٤). ولا يمكن تفسير هذا الكلام والوقوف بحزم والاستعداد للتضحية وتقديم الغالي والنفيس ودمه الطاهر ودماء أهل بيته وأصحابه إلا بمنطق الثائرين ومنطق الشهادة، وهو ناتج عن هدفه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وما يؤكد هذه الحقيقة وأن هذا الهدف هدف مستقل ولا يرتبط بمراسلات أهل الكوفة هو ما قاله الحسين نفسه عَلَيْهِ السَّلَامُ في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية حينما قال: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي»^(٤٦٥). وقد كتبها حين كان في المدينة، أي قبل شهر ونصف الشهر من وصول رسائل أهل الكوفة. وقلنا إن الحسين خرج في السابع والعشرين من رجب من المدينة إلى مكة ووصل إلى مكة في الثالث من شعبان، وجاءته رسل أهل الكوفة في الخامس عشر من رمضان.

إن الهدف الأول والأسمى للحسين في هذه الثورة هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم تأتي بعد ذلك الأسباب الأخرى من حيث الأهمية والمنزلة. لقد تحرك الحسين بمنطق الشهادة وبمنطق الثائرين ومنطق الهجوم الذي كان يحتمه عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونلاحظ أنه قام بخطوات وإجراءات لا يمكن تفسيرها إلا من خلال هذا المنطق. ولو أردنا تفسيرها بمنطق المصالح ومنطق الواقع السياسي المتحرك آنذاك، بمنطق الراغب في الوصول إلى الحكم والسلطان لما استقام التفسير.

عوامل الخلود

ومن أوضح تلك الخطوات اصطحابه العائلة من النساء والأطفال وهو يعلم أنه ذاهب إلى معركة معروفة المصير، إذ يقول: «خُط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة»^(٤٦٦)، فالنتيجة واضحة من قبل الحسين وقد أخبر بها أصحابه لمرات عديدة وصولاً إلى ليلة عاشوراء حينما كاشفهم وصارحهم بهذه الحقيقة، وهذا الأمر لا يمكن أن نجد

٤٦٤ . بحار الأنوار: ج ٤٥ : ص : ٨١ .

٤٦٥ . بحار الأنوار: ج ٤٤ : ص : ٣٢٩ .

٤٦٦ . بحار الأنوار: ج ٤٤ : ص : ٣٦٦ .

له تفسيراً عسكرياً ولا تفسيراً سياسياً، ولكن نجد له تفسيراً في منطق الثائرين . الحسين صاحب رسالة، وكيف تكون هذه الرسالة مدوية عبر التاريخ، وكيف يمكنه أن يخلدها لكل الأجيال إلا إذا كانت صدمة وحدثاً عظيماً؟، وإذا كان لها ظروف وملاسات تجعل تفاصيلها تفاصيلاً تهز المشاعر الإنسانية؟. وهذا ما لا يتحقق لو لم يكن هناك عبد الله الرضيع الذي ذبحه السهم في يوم عاشوراء، ولم ترق واقعة الطف إلى الصورة التي نراها في هذا اليوم، لو لم يكن هناك سبي لذراري رسول الله بالطريقة التي حصلت .

لقد أضافت الظروف وكل طفل وامرأة وكل رجل وكل شيخ وكل صغير وكبير وكل عبد وحر شارك في هذه الملحمة، لمسة ومشهداً جديداً لتكون بهذه العظمة وهذا التميز . ومن الصعب أن تحصل هذه الصدمة دون هذه الخصوصية وهذا التميز، ومن خلاله أصبحت هذه القضية حاضرة وخالدة في ذاكرة التاريخ وفي كل زمان ومكان . إن اصطحاب العائلة ليس له تبرير عسكري أو سياسي، ولكن له تفسيره في منطق الشهادة والثورة، لأنه يريد أن يصنع حدثاً خالداً .

وبالعودة إلى إطالة عمر المعركة، فلا فرصة لنجاح معسكر عدده سبعون مقاتلاً، في مقابل ثلاثين ألفاً، وفي بعض الروايات عددهم سبعون ألفاً . إن فرص النصر شبه معدومة في الحساب الطبيعي، وكان يمكن أن تنتهي المعركة في جولة واحدة ويذهب كل إلى ربه، ولكن الذي حصل أن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ تفنن في خلق معركة استثنائية، وأن تتحول هذه المعركة التي كان أمدها يوماً واحداً، من صلاة الفجر إلى صلاة العصر، إلى كتاب ذي فصول ومشاهد وتفاصيل كثيرة وكثيرة . إن إطالة أمد المعركة بحد ذاتها لا يمكن أن نجد لها مبرراً إلا بمنطق الثائرين .

الخطة الإعلامية الشاملة

يضاف إلى كل ذلك، الدور الكبير للقضية الإعلامية، فلو كان غرض الحسين هو أن يستشهد وينتقل إلى الله، فسوف لا يحتاج إلى هذا العمل الإعلامي الكبير والخطة الإعلامية الشاملة، التي تبدأ من المدينة إلى لحظة استشهاده، واستمرت هذه القضية حتى انبرى له البعض في أثناء المعركة كما نقرأ في السير والمقاتل ليقول له: (أبرمتنا بكثرة كلامك) ^(٤٦٧) . الحسين لم يأت ليشتم بالناس أو يقتل أكبر عدد منهم، وإنما لديه رسالة يريد إيصالها ولم يفكر في الانتصار في هذه المعركة المحسومة النتائج، بل

٤٦٧ . القائل هو شمر بن ذي الجوشن لعنه الله، : مقتل أبي مخنف ص : ٨٩ .

كان همه أن يوصل هذه الرسالة ، وأن يثبت هذا المبدأ بأوضح صورته وأجلى مشاعره .
 فلذلك نلاحظ أن حجم البيانات والخطابات والإرشاد والتوجيه والأحاديث الثنائية ،
 والأحاديث مع الصغار والكبار وصرف الوقت الطويل مع العائلة والأصحاب ، بل وحتى
 الأعداء في قضية محسومة النتائج ، لم يكن له تبرير عسكري ولا سياسي ، بل له تبرير في
 منطق الثائرين وفي منطق الشهادة .

نجد الحرص الشديد على التفاوض والحوار مع القوم ، ولا يكتفي في محاوره القادة
 بل إنه يحاور حتى الجنود ، وما نجد من فائدة في محاوره جندي لا يملك القرار . هذا
 الأمر ليس فيه منجزات عسكرية ولكن فيه تأثير في إيصال الرسالة وهذا منطق الثائرين
 وليس منطق قائد عسكري يريد أن ينتصر في معركة . وكان عموم الجنود الذين يخاطبهم
 الحسين يكون ويتأثرون ولم يكن المطلوب موقفاً مباشراً منهم ، ولم تحصل اختراقات
 في ذلك الجيش ولم تحصل الإرادة الكافية إلا لعدد قليل منهم من الذين جاؤوا ووقفوا
 مع الحسين . .

الفخر المتبادل

إن الهدف الأساسي من هذه الثورة هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والحسين
 عَلَيْهِ السَّلَامُ أجاد وأحسن في الانتصار لهذا المبدأ الإسلامي الأصيل ، وإحياء الأمر بالمعروف
 والنهي عن المنكر من خلال هذه الثورة بكل تفاصيلها . إن فخر القضية والنهضة الحسينية
 وعزها في كونها أحييت أصلاً مهماً من أصول الإسلام ، يتمثل في الأمر بالمعروف والنهي
 عن المنكر ، ولكن الشيء اللافت في هذه القضية أن الإمام الحسين وأصحابه كما أنهم
 افتخروا بإحيائهم لهذه الشعيرة والأصل الإسلامي ، فإن هذا الأصل قد رفع شأنه حينما
 يكون من يحييه ويضحي من أجله هو الحسين بن علي ، فالقضية متبادلة .

ولتوضيحها نرى هناك من يكبر بالموقع ويرفع من شأنه ، ولكن هناك من يمتلكون
 المؤهلات والقدرات التي جعلت الموقع يكبر بهم ، ويعطونه لمسات إضافية . فهناك وزير
 يقيم بموقعه وهناك موقع يرتفع شأنه بمن يتوسد عليه وبمن يجلس فيه ، وهكذا في كل
 المهن والمجالات الأخرى . وهذا شيء مهم أن يكون الإنسان قادراً على أن يحسن الأداء
 في مهمة ما ، حتى يصبح فخراً لذلك الأداء . كلنا نفخر بالإسلام وتنتشر به ، ولكن هناك
 من يحسن إسلامه ويقدم أداءً مميّزاً فيسمى شرف الدين وعز الدين وفخر الإسلام ومحبي
 الشريعة ، وتضفي عليه هذه الألقاب التي تدل على أن حسن أدائه أعطاه شأنًا وقيمة .

لاحظوا في هذا السياق صعصعة بن صوحان، وهو من أصحاب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان عالما وخطيبا ألمعيا وشخصية مؤثرة وإلى اليوم هناك مسجد باسمه في الكوفة. حينما تولى أمير المؤمنين الخلافة، جاء الناس لمبايعة الإمام علي، وكان صعصعة من الذين قالوا شيئا في شأن علي لكن كلامه مختلف عن الآخرين حيث قال له: «قد زينت الخلافة وما زانتك، ورفعتها وما رفعتك، ولهي إليك أحوج منك إليها»^(٤٦٨)، لذلك نلاحظ أن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بملحمته وثورته استطاع أن يقدم نموذجا يفخر في أن يكون محيي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن لحسن أدائه أصبح الحسين قدوة وتجسيدا لأداء من خلاله أحياي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأصبح له شأن وقيمة عند الناس جراء هذا الموقف، ماذا يقول الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو في طريقه إلى كربلاء:

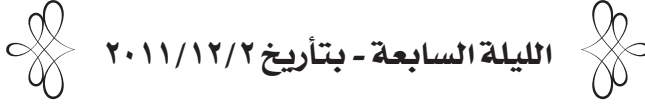
فإن تكن الدنيا تعد نفيسة، . . .

إذا كنتم تظنون أن الدنيا مهمة، وهي بالفعل مهمة جدا للمؤمنين حتى يستثمروها في خدمة خلق الله وفي عبادة الله وكسب رضاه فيرفع شأنهم ويعلي مقامهم، وهي مهمة عند غير المؤمن أيضا لاعتبارات مادية وليست معنوية.

| | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| فإن ثواب الله أعلى وأنبل | فإن تكن الدنيا تعد نفيسة |
| فقتل امرء بالسيف في الله أفضل | وإن تكن الأبدان للموت أنشئت |
| فقلّة سعي المرء في الكسب أجمل | وإن تكن الأرزاق قسما مقدرًا |
| فما بال متروك به المرء ييخل | وإن تكن الأموال للترك جمعها |

أن تُقتل في سبيل الله وتذهب شهيدا ثائرا وتقدم روحك ونفسك رخيصة من أجل هدف إنساني، فهذا أفضل من أن تموت في فراشك. وهذا منطلق ثورة وشهادة، وهذا منطلق وعي وإصلاح وتغيير، وهذا منطلق من شأنه أن يوجد هزة عميقة في جذور الأمة. هذا هو المنطق الحسيني وهذه خلفيات الثورة الحسينية وهي لا تنحصر بالحسين وحده وإنما نجدتها في تفاصيل الأقوال والأفعال والسلوكيات التي صدرت من أهل بيته ومن أصحابه. وفي ليلة السادس من المحرم نقف عند أصحاب الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ونستذكر بطولاتهم وشجاعتهم ووفاءهم ونستذكر دورهم في إحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤٦٨. تاريخ البعقوبي: ١٧٩/٢؛ الصواعق المحرقة: ١٢٧.



الليلة السابعة - بتاريخ ٢٠١١/١٢/٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عالمية الثورة

نقف في هذه الليلة من ليالي محرم لنستذكر درسا آخر من دروس واقعة الطف . حينما ننظر إلى العديد من الوقائع والأحداث نجد أنها وقائع أحادية الجانب ، تستهدف هدفا معينا ، إلا أن واقعة الطف تختلف عن الوقائع الأخرى ، فهي ليست كذلك ، وإنما تتمتع بحالة من الشمولية والاستيعاب ، وتستهدف أهدافا واسعة ومتعددة ومتنوعة المساحات ؛ لذلك يمكن القول إن واقعة الطف تمثل تجسيدا وتطبيقا ومصداقا واضحا للرسالة الإسلامية بكل أبعادها .

قدّم الإسلام رؤية ونظرية للحياة متعددة الجوانب ، ترتبط بكافة الشؤون ذات الصلة بحياة الإنسان ، وقدّم قاداته نماذج تكرر هذه النظرية وتجسدها على الأرض . تعد واقعة الطف الحدث الكبير الذي جسّد الإسلام بكل معالمه واتجاهاته ، فهي واقعة تتسم بالشمولية والاستيعاب وبالرسائل التي قدمتها للبشرية جمعاء .

من القضايا المركزية والمحورية في قضية الإمام الحسين ومنهج أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، هي الحث على الارتباط بالحسين والحث على إحياء الشعائر الحسينية . إن التشجيع المستمر على إبقاء جذوة الحسين متوقدة وحاضرة في نفوس الأمة ومشاعرها وعقولها ، إنما يأتي انسجاما مع هذه الرسالة المدوية والواسعة والشاملة للقضية الحسينية .

نجد أن هذه القضية قد صممت بنحو تكون فيه قدرة على أن تحقق هذه الرسائل المتعددة والشاملة ، حيث نجد أن أبطالها يمثلون المجتمع بكل طبقاته المتنوعة ، فقد

شارك فيها الطفل الرضيع والفتيان والشباب وصولاً إلى الكبار وانتهاءً بالشيخ والنساء، فكل الفئات العمرية موجودة فيها بدءاً من الطفل الرضيع وانتهاءً بالشيخ الهرم. كما شاركت المرأة الرجل في واقعة الطف، وكان التنوع العرقي واضحاً في الثلة الطيبة التي نصرت الحسين، ففيهم الأبيض والأسود، بالإضافة إلى القوميات المختلفة من عرب وعجم. ولا ننسى التنوع الاجتماعي في واقعة الطف، إذ إن عدداً من أصحاب الحسين كانوا من رؤساء القبائل ووجهاء القوم فضلاً عن عدد من الموالي والمماليك.

تنوع المعطيات

لقد جسّد أبطال هذا الحدث المجتمع بكل طبقاته الاجتماعية، ولا يكون الحدث للجميع من دون أن يشارك الجميع في صناعته. واليوم كل طبقة اجتماعية تجد من يمثلها في واقعة الطف ويعبر عنها، شيخ العشيرة والوجوه الاجتماعية والمهنة المختلفة، النخب والأساتذة وعموم الناس كلهم حاضرون في واقعة الطف. إن رسالة الحسين رسالة شاملة، عبّر أبطالها عن هذا التنوع وعن هذه السعة والشمولية في الرسالة الحسينية.

يمتد هذا التنوع مع مَنْ تعاطى مع الثورة الحسينية، فالشاعر والأديب تناول القضية من بعد أدبي، وهكذا المؤرخ والعارف والسياسي. لقد استوقف كلا من هؤلاء أشياء في ثورة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن الصعب القول إن كل ما قيل في حق الحسين خطأ، نعم يمكن القول إنه منقوص، أي قدم رؤية ناقصة، ولاحظ جانباً من جوانب القضية الحسينية. كما يمكن القول إن القليل استطاع أن يقف على واقعة الطف بكل أبعادها ومعالمها.

إن أكثر ما كتب وما قيل في حق القضية الحسينية كان في جانب من جوانبها، وركز على جانب ما بما ينسجم واهتماماته، فقد يكون الكثير مما قيل ومما فسر وحل في واقعة الطف يتمتع بالصدق ولكنه يبقى يمثل رؤية منقوصة، لأنها رؤية أحادية، وحينما نجمع هذه الرؤى المختلفة، وحينما ننظر إلى واقعة الطف نظرة شاملة، نفهم حينذاك المداليل العميقة لواقعة كربلاء. ونريد اليوم وعلى عجلة أن نُؤشر على بعض هذه الملامح وهذه الأبعاد في واقعة الطف. فحينما نقول إن واقعة الطف شاملة ومستوعبة ومجسدة للإسلام بكل أبعاده، نحتاج إلى أن نقف عند بعض هذه الأبعاد والمعالم.

أبعاد واقعة الطف

الجانب العرفاني

١- تمثل القضية الحسينية قمة التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى، تمتلك بعدا عرفانيا وعلاقة خاصة للحسين وأهل بيته وأصحابه مع الله سبحانه وتعالى. وقد عبّر الحسين عَلَيْهِ السَّلَام عن هذا الجانب بكل وضوح في كلماته التي صدرت منه. ومن خطب الحسين خطبة في مكة قبل توجهه نحو العراق، وهي خطبة الانطلاق التي حدد فيها الإمام الحسين السياسات والأولويات، وهذه الخطبة جديرة بالدراسة، وهي ما قاله الحسين في مكة قبل أن يتوجه نحو العراق، نأخذ منها هذا المقطع: «رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين»^(٤٦٩). انظروا إلى الخلوص في دوافع الحسين عَلَيْهِ السَّلَام، فهو لا يطلب سلطة ولا طموحات ومطالب خاصة، بل المهم هو رضا الله سبحانه وتعالى.

وتخبرنا النصوص الواردة عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أن الإمام الباقر ذهب في مقتبل عمره لزيارة الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري وكان كبير السن يقضي أيامه الأخيرة، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد بشر جابرا بأنه سيلتقي بأحد أبنائه، اسمه محمد يبقر العلم بقراً، وطلب منه أن يبلغه السلام عن النبي^(٤٧٠)، وبالفعل تحققت النبوءة الرسالية والتقى الإمام جابرا وقال له - وقد اكتنفته علل وأسقام، وغلبه ضعف الهرم: «كيف تجد حالك؟» قال: «أنا في حال الفقر أحب إلي من الغنى، والمرض أحب إلي من الصحة، والموت أحب إلي من الحياة». ولكن الإمام الباقر يريد أن يعطي درساً لجابر ولنا جميعاً فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أما نحن أهل البيت فما يرد علينا من الله من الفقر والغنى والمرض والصحة والموت والحياة، فهو أحب إلينا»^(٤٧١)، فالمعيار إذن هو رضا الله وهذا هو التوحيد الخالص.

والحسين الذي بدأ مشواره برضا الله ختم هذا المشوار والمشروع بكلمة مماثلة، فحينما أعياه التعب والعطش وضعف عن القتال وجاءه السهم ذو الثلاث شعب وسقط على الأرض صريعاً، وقد كتب أرباب السير والمقاتل تفاصيل هذه اللحظات الأخيرة.

٤٦٩. بحار الأنوار: ج ٤٤ ص: ٣٧٦.

٤٧٠. بحار الأنوار: ج ٤٦ ص: ٦٠- ميزان الحكمة: ج ١ ص: ١٦٥.

٤٧١. جامع السعادات: ج ٣ ص: ٢٢٩.

قال الحسين في هذه الحالة وهو يستعد للقاء ربه: «صبرا على قضائك يارب لا إله سواك، يا غياث المستغيثين، مالي رب سواك ولا معبود غيرك، صبرا على حكمك يا غياث من لا غياث له»^(٤٧٢)، وهذه الكلمة التي أطلقها الحسين في بداية حركته، وظل يكررها في تفاصيل هذه المسيرة، أكدها من جديد في اللحظة الأخيرة التي أراد فيها أن يغادر الحياة. لقد جسدت واقعة الطف الإخلاص الكامل والتوحيد لله سبحانه وتعالى، بكل تفاصيله.

جعلك الله من المصلين

وهكذا نجد أن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ يوصي أصحابه بقراءة سورة الفجر ويشير إلى أن الحسين هو المصداق الأشرف لآياتها الأخيرة^(٤٧٣): ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾^(٤٧٤).

لقد كان الحسين راضيا وهو مرضي عند الله. وإذا أردنا أن ننظر في تفاصيل هذه المسيرة، يستوقفنا هذا المشهد، قرر عمر بن سعد أن يهجم وينهي القضية ليلا، فأرسل الحسين رسولا، اطلبوا منهم أن يمهلونا عشية هذه الليلة حتى نصلي لربنا، ونريد أن نلقى الله بكمال أعظم، وهذه تربية لنا حتى نصلي لربنا^(٤٧٥)، وفي ليلة عاشوراء كان لهم دوي كدوي النحل كما يخبرنا المؤرخون^(٤٧٦).

انظروا إلى حجم العبادة والانقطاع إلى الله في ثقافة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ففي يوم عاشوراء، تحتدم المعركة وتتساقط الرؤوس ويكثر الشهداء، وفي ذلك الظرف الصعب وقد حضر وقت صلاة الظهر (فقال أبو ثمامة الصيداوي للحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا أبا عبد الله نفسي لنفسك الفداء هؤلاء اقتربوا منك، ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك وأحب أن ألقى الله ربي وقد صليت هذه الصلاة. فرفع الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ رأسه إلى السماء وقال ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين، نعم هذا أول وقتها، ثم قال: سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي)، ولكن أدعياء الإسلام لم يمهلوا الحسين حتى لأداء هذه الفريضة واضطر الحسين إلى أن يوقف من يصد عنهم السهام، وقيموا الصلاة على تلك الحالة^(٤٧٧)، يعبر هذا المشهد عن حالة مفعمة بالإخلاص والتوحيد لله سبحانه وتعالى.

٤٧٢ . مقتل الحسين للمقرم : ص ٣٥٧

٤٧٣ . بحار الأنوار : ج ٢٤ : ص ٩٣ .

٤٧٤ . سورة الفجر : الآيات من ٢٧ إلى ٣٠ .

٤٧٥ . الملهوف على قتلى الطفوف : ص ١٥٠ .

٤٧٦ . الملهوف على قتلى الطفوف : ص ١٥٤ .

٤٧٧ . لواعج الأحزان : ١٥٣ ، ١٥٤ .

حينما ننظر للقضية الحسينية من هذه الناحية، نجد كأن الحسين ليس في معركة ويحاصره هذا العدد الكبير من الجيوش، وكأنه لا يعيش هذه الحالة من العطش، وكأن الحسين هو وربّه يعيش حالة الانقطاع عن الدنيا وما فيها وحالة زهد بكل المنغصات والآلام والمحن وبكل الصعاب التي تقف بوجهه وتعتريه، وقد ركز على هذا الجانب العرفاني وما أكثر الشواهد عليه إذا أردنا أن نتعمق فيه.

الموت السعيد

٢- الجانب الآخر الذي قد يبدو أنه مختلف عن الجانب العرفاني، إذ أن في الأخير انقطاعاً، بينما يمثل الجانب الآخر الإباء والحمية والعزة والكرامة والشرف والإقدام، الجانب الذي يلهب مشاعر الجماهير بتلك الخطب التي ملؤها التشجيع على التصدي والحضور والدفاع عن المشروع والوقوف بوجه الظالمين، كلها عزيمة وتعبير عن الحرية والكرامة الإنسانية وتجسيد العزة التي يجب أن يعيشها الإنسان في حياته وسلوكه اليومي.

وكلما وقفنا عند ما قاله الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ نجد أنه كان يلهب مشاعر الأمة ومشاعر أصحابه بتلك الكلمات المدوية التي يتناقلها المؤرخون المؤمنون والمهتمون بالقضية الحسينية جيلاً بعد جيل: «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد»^(٤٧٨)، هل تريدون مني أن أعطيكم بيدي لأصبح ذليلاً لمنطق خاطئ وحاكم جائر ولسلوك مشين وسياسات خاطئة وفشل ذريع للالتزام بالقيم والمبادئ؟، ولا أستطيع أن أترك الساحة وأذهب إلى مكان لأحافظ على نفسي. هذا هو منطق الحسين في البعد الملحمي، بعد الإقدام والإباء: «يهيات منا الذلة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت»^(٤٧٩). ويقول الحسين: «الموت خير من ركوب العار»، الموت بشرف وعزة وكرامة والموت بوعي أفضل من الحياة التي يلفها العار.

لكن انظروا إلى الربط في هذا البعد الملحمي بين شخصية الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ والبعد العرفاني إذ يقول: «والعار أولى من دخول النار»^(٤٨٠). إذا كان رضا الله سبحانه وتعالى والمصلحة في أن يصبر الفرد ويكظم ويتحمل لمصلحة أكبر. العار الذي يلحق الإنسان لمصلحة أكبر والذل الذي يتحملة والضعوط التي يتعرض لها الإنسان، أولى من دعوى الانتصار للحرية والعزة على خلاف إرادة الله فيدخل في النار، إلى أن يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ:

٤٧٨ . بحار الأنوار: ج ٤٤ : ص ١٩١ .

٤٧٩ . بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١٦٢ .

٤٨٠ . بحار الأنوار: ج ٤٤ : ص ١٩٢ .

«وإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً»^(٤٨١). الموت سعادة إذا كان في طريق إيصال رسالة وتثبيت حق وتكريس مبدأ، والحياة مع الظالمين ليس فيها إلا البرم والشقاء وهذا هو المنطق الحسيني في البعد الملحمي ولا بد من النظر إليه حتى تتكامل رؤيتنا عن واقعة الطف.

إقامة الحجّة

٣- الحسين في هذا الجانب هو ذلك الناصح المشفق والحريص على أولئك الناس، يقف وينصحهم ويتحدث إليهم ويطلب منهم معرفة الحق الذي يتحدث به. ولم يكن الحسين خائفاً على نفسه بل عليهم، ويعرف أنهم إن لم يستجيبوا له وقتلوه فمصيرهم إلى النار. لا يريد الحسين النار والشقاء حتى لأعدائه وخصومه وكذلك كان يشجع أصحابه في أن يخرجوا إلى القوم وينصحوهم.

ولهذا نجد أن يوم عاشوراء مليء بخطب وكلمات وبيانات وأحاديث ملؤها النصيحة والمشورة واللطف في بيان الحقيقة، حتى لا يقعوا فريسة تضليل متعمد وتغريز يقوم به الحاكم الجائر. لذلك نرى الحسين لا يكتفي بخطاب أمراء الجيش وقادتهم، بل يخاطب الجميع. يتأسى في ذلك بجده رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كما يخبرنا عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٤٨٢)، وهذا هو نهج الحسين في بعده الإرشادي. يحدثنا التاريخ عن سلوكيات ليس لها تفسير إلا من هذا البعد، إذ يترك الحسين المعركة ويذهب إلى الخيمة ليرتدي ملابس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، عمامته وجبته ليخبرهم أنه امتداد لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ويستخدم كل الوسائل لرفع الغرر الذي قد يصاب به هؤلاء.

الرسالة المدوية

٤- إن الأخلاق والمواقف التي نراها في واقعة الطف بكل تفاصيلها هي أخلاق الأنبياء. أراد الحسين بالمبدئية العالية والمناقبية الواضحة أن يعطي صورة ناصعة، تبقى نموذجاً واضحاً وصارخاً وصريحاً للإنسانية جمعاء على مر العصور والدهور. في هذا الجانب، القضية ليس لها علاقة بالعقيدة، إنما هذا السلوك سلوك إنساني مبتنٍ على قيم

٤٨١. المصدر السابق.

٤٨٢. سورة التوبة: الآية ١٢٨.

إسلامية، لكنه سلوك إنساني راق يؤثر بكل من عايشه أو حتى سمع عنه. إن غير المسلمين الذين تعاطفوا مع الحسين إنما جاؤوا نتيجة هذا السلوك المميز الذي كان يهز مشاعر الناس. لقد عبّرت المروءة عن نفسها في واقعة الطف، إذ يتمكن الحسين من الماء، ويأتي الحر وجيشه وهو يعلم أن هذا الجيش سوف يقطع عليه الطريق، ويقترح عليه أصحابه ألا يسقيهم الماء، ولكن الحسين لا يرتضي ذلك ويعلن أن هذا الماء حق إنساني يستوي فيه الصديق والعدو، فمن حقهم أن يشربوا من هذا الماء لأنه من مقومات الحياة والحياة حق للإنسان. تأتي فرص واقتراحات من بعض أصحاب الحسين بأن ينقضوا عليهم ويباغتهم ليقوموا فيهم أكبر عدد من الخسائر، فكان يقول: «إني أكره أن أبدأهم بقتال»^(٤٨٣). لم يكن يفكر بالنصر العسكري فحسب، وإنما كان يخطط لإيصال هذه الرسالة المدوية للبشرية جمعاء، ليكون مصداقا وتطبيقا عمليا للرسالة الإسلامية، ولفكر الإسلام ونهجه وسلوكه الأصيل. وما أكثر المواقف التي تعبر عن حالة المروءة الحسينية في مجمل تعاطيه مع الثورة.

سليل الأنبياء

الصفة الأخرى البارزة هي صفة الإيثار والوفاء، وهي صفة مناقبية كبرى نراها في أصحاب الأنبياء والأولياء والصالحين والنماذج الراقية للإنسانية، في زمن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وبعد أن انجلت الغبرة في إحدى الغزوات، يأتي الساقى ويرى أحد الجرحى ينزف دما، وحينما قدّم له الماء رفض أن يشرب وقال أنا عطشان ولكن أخي الآخر أيضا عطشان، كيف أشرب قبله! وأرسل الماء إلى الثاني وقال نفس مقالة الأول وأرسل الماء إلى الثالث والرابع وهكذا، وحينما وصل إلى آخرهم رآه قد فارق الحياة وهكذا جميعهم قد استشهدوا ولم يشربوا الماء قبل إخوانهم. انطلق حذيفة العدوي في معركة اليرموك يبحث عن ابن عم له، ومعه شربة ماء. وبعد أن وجده جريحا قال له: أسقيك؟ فأشار إليه بالموافقة. وقبل أن يسقيه سمع ارجلا يقول: (آه)، فأشار ابن عم حذيفة إليه؛ ليذهب بشربة الماء إلى الرجل الذي يتألم، فذهب إليه حذيفة، فوجده هشام بن العاص. ولما أراد أن يسقيه سمع ارجلا آخر يقول: آه، فأشار هشام لينطلق إليه حذيفة بالماء، فذهب إليه حذيفة فوجده قد مات، فرجع بالماء إلى هشام فوجده قد مات، فرجع بالماء إلى هشام فوجده قد مات، فرجع إلى ابن عمه فوجده قد مات. فقد فضّل كل واحد منهم أخاه على نفسه، وآثره بشربة ماء. وهذه صورة إنسانية كبرى وقيمة إسلامية عظيمة، يمكن أن نتلمس هذه المعاني في

سورة الدهر: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾^(٤٨٤). وإذا أردنا أن نقف عند الإيثار الحسيني في واقعة الطف فعلينا أن نقف عند مواقف أبي الفضل العباس، وما أكثر صور الإيثار، ولكن العباس قدّم صورة مميزة وبقيت خالدة للإنسانية جمعاء نستذكرها في هذه الليلة المنسوبة لأبي الفضل العباس عَلَيْهِ السَّلَام.

لقد كان العباس يحترق من الظمأ، ولكنه يسمع بكاء النساء والأطفال، فطلب الحسين منه أن يطلب الماء لهم، إذ إن العدو لا يعرف طفلاً ولا ضعيفاً وقد رفض أن يقدم أي خدمة إنسانية حتى للطفل الرضيع في محاولة للضغط على الحسين، وقد استخدم كل الوسائل غير المشروعة وغير الإنسانية في هذه المعركة. فأخذت أبا الفضل الحمية وقال يا حسين، لا أطيق بكاء النساء والأطفال فاسمح لي أن أنزل إلى ساحة المعركة وأطلب الماء للعائلة. فسمح الحسين لأبي الفضل العباس وذهب العباس وأخذ قريته وتوجه نحو ماء الفرات ليواجه أربعة آلاف جندي قد وقفوا له في طريقه يمنعون من الوصول، فضربهم يميناً وشمالاً، ووصل إلى ماء الفرات وملاً القربة، ثم وضع يده تحت هذا الماء ليغترف غرفة ليشرب وأحس ببرد الماء وقلبه يتقطع من الظمأ، يقول أرباب السير والمقاتل إن العباس نزل إلى ماء الفرات ولما اغترف من الماء ليشرب تذكر عطش الحسين ومن معه، وصار يناجي نفسه يا عباس، أتشرب الماء وقلب الحسين يتقطع من العطش، كيف ترضى لنفسك أن ترتوي والحسين عطشان وأهل بيته عطشى فرمى الماء وقال:

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أن تكوني
هذا الحسين وارد المنون وتشربين بارد المعين
تالله ما هذا فعال ديني^(٤٨٥)

فرمى الماء ولم يشرب، فكان قمة الوفاء ورمز الإيثار. فسلام على أبي الفضل العباس، وسلام على أهل بيته وأصحابه الذين سطروا أروع الأمثلة والدروس في الحياة والإنسانية وفي العزة والكرامة وجسدوا الإسلام بكل قيمه وتعاليمه.

٤٨٤ . سورة الدهر : الآية ٨ ، ٩ .

٤٨٥ .: بحار الأنوار : ج ٤٥ : ص ٤١

ذكري تاسوعاء- بتاريخ ٢٠١١/١٢/٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين. السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك، وأناخت برحلك. عليك منا جميعاً سلام الله أبداً ما بقينا وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منا لزيارتكم. السلام على الحسين، وعلى علي بن الحسين، وعلى أولاد الحسين، وعلى أصحاب الحسين، الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام. السلام عليكم أيها الحسينيون أيها المؤمنون، -إخوة وأخوات- ورحمة الله وبركاته.

في هذا اليوم الشريف، التاسع من شهر محرم الحرام تجتمع هذه الحشود الكبيرة، هذه المواكب الحسينية في قلب بغداد الحبيبة في جامع الخلاني، كما هو في كل عام، لتجدد بيعتها، وتعمق حبها وولاءها لسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

بين رسالتين

أيها الأحبة، إنها محطة نقف فيها في كل عام، لنعقد العهد، ونجدد البيعة بأن نسير قدماً مع الحسين، وعلى نهج الحسين وفكره ومنطقه. نقف في اليوم التاسع من محرم، لنستذكر الدروس، والعبر، التي أرساها الحسين عليه السلام في حركته وفي ثورته الخالدة. ما إن تنتهي السنة الهجرية بشهر ذي الحجة الحرام حيث الحج -الشعيرة الإسلامية الكبرى- حتى يُطل علينا شهر محرم الحرام في مطلع سنة هجرية جديدة أخرى، رسالة الحج ورسالة ذي الحجة الحرام، والرسالة التي يسجلها الإنسان في نهاية كل عام هجري

هي رسالة التلبية (لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ) إنها رسالة التلبية، والانفتاح على الله، والانصياع لرسالة السماء، رسالة الطاعة لله (جلَّ وعلا) في بناء الإنسان، والحياة على أسس العدل والعزة والكرامة.

وفي مطلع كل عام هجري في محرم الحرام، نستذكر الحسين عليه السلام. ورسالة الحسين هي رسالة الحج، وهي رسالة المشروع الإلهي، رسالة الصلاح والإصلاح، التي خرج من أجلها الحسين، وضحي بكل وجوده، وبأهل بيته، وبأصحابه، لإرساء مقاييس العدل، والإنصاف في هذه الأمة. رسالة نهاية السنة الهجرية، ورسالة بداية سنة أخرى، رسالة الحج، ورسالة الحسين هي رسالة الإصلاح، وبناء المجتمع الصالح، والإنسان الكامل المتوجه نحو الله سبحانه وتعالى.

ثائر العدالة

إن الحسين عليه السلام وقف، ليرفع شعار الإنصاف، والعدالة بوجه أولئك الظالمين، والمنحرفين في الحكم، أولئك الذين فرطوا، وميزوا الناس على طبقات، أراد الحسين أن يقف بوجه المشروع المصلحي والانتهازي للحكم الزيدي، فكانت رسالته رسالة الصلاح والإصلاح، وهي رسالتنا اليوم أن نقف على مائدة الحسين، لنستذكر الصلاح ونشيع الإصلاح في بناء تجربتنا وواقعنا.

إن الناس يدخلون شهر محرم على صنفين، فمنهم من يدخل شهر محرم من نهج حسيني، نهج نبوي علوي حسيني، نهج الصلاح والإصلاح. وهناك من يدخل شهر محرم بالنهج الزيدي، نهج المصالح الخاصة الفتوية والحزبية، نهج الانتهازية، ولا بد لنا من أن نختار - ولن نختار - إلا طريق الحسين، ونهج الحسين، وفكر الحسين.

رائد مسيرة الحاضر

إن عاشوراء ليست حدثاً تاريخياً عابراً نستذكره من ضمن ما نستذكره في شؤوننا الحياتية. إن عاشوراء هي واقع حياتي نعيشه في يوميات حياتنا، كنهج دجلة الذي نعيش على ضفافه، اليوم هو معلّم مهم، وركن أساسي من أركان الحياة في هذه المدينة العامرة. ليس الحسين تاريخاً فحسب، إنما هو حقيقة حياتية نعيشها اليوم في يومياتنا وواقعنا. ولا بد من أن نكون حسنيين، وأن ننظر بعين حسينية، ونسمع بأذن حسينية، ونتحدث بلسان حسيني، ونفكر بطريقة حسينية.

تشيد الإنسانية

أيها الأعداء، إن رسالة الحسين عليه السلام تجاوزت الإطار المذهبي الخاص، بل تجاوزت الإطار الإسلامي الخاص بها، وأصبحت رسالة إنسانية، لأن هدف الحسين وغاياته إنما تعم الإنسانية كلها، ولا تخص طائفة، ولا ديانة، ولا قومية، ولا فئة دون أخرى. رسالة الحسين للإنسانية رسالة الحياة، وأهدافه أهداف الإنسان، ولا بد من أن ننظر إليها بهذا الإطار الواسع.

حكمة العقل ورقة العاطفة

إن مشروع الحسين عليه السلام هو مشروع بناء الإنسان، وبناء الحياة على أساس الحق، والعدل والإنصاف، فالحسين عليه السلام لا يمثل نداء عاطفياً صرفاً كما لا يمثل نداء عقلياً صرفاً، العقل بمفرده، أو العاطفة بمفردها، لا يمكن أن تعطي الحسين حقه، ولا يمكن لها بمفردها أن تعبي الأمة خلف الحسين ونهجه، ومشروعه عليه السلام. العاطفة والعقل لا بد أن يجتمعا معا حتى تظهر حقيقة الحسين، ويستمرد دم الحسين عليه السلام في بناء الإنسان، وفي بناء الحياة، وفي تعبئة الأمة، وجعل الحسين ومشروعه مشروعاً للأمة كلها.

ثورة، وسلوك

إن الحسين مثل ثورة إنسانية كبرى، والثورة إنما تعني الكمال في السلوك والأداء والعدالة في التعامل مع المجتمع، العدالة الاجتماعية والكمال السلوكي هي سمات الثورات الحقيقية. وحينما نتحدث عن الثائر فإننا نتحدث عن ذلك الذي يسعى لتحقيق العدالة والصلاح والإصلاح، إن الثورة قد تتطلب استخدام السلاح والقوة في بعض الأحيان، كما قام به الإمام الحسين، ولكن الثورة لا تنحصر بوسائل القوة، واستخدام السلاح وحده، وإنما الثورة قد تكون بالسلاح أحياناً، وبالكمة أحياناً، وبالسكوت الهادف، والمؤثر أحياناً أخرى، إن أغلب أئمتنا الأطهار عليهم السلام لم يحملوا سلاحاً، ولكنهم كانوا ثائرين، وكانت فيهم سمات الثائرين ولم يخضعوا ولم يركعوا للظالمين، وإنما وقفوا ودافعوا عن نهجهم ضمن الوسائل المتاحة آنذاك. إن الموقف هو الذي يحدد حقيقة الثائر عن غيره، الموقف والمشروع والمنهج والخلفية والدوافع التي تدفع الإنسان ليقوم بهذا العمل أو ذاك، هي التي تشخص أن يكون الإنسان ثائراً أو لا يكون.

رفض والتزام

إن الثورة تختلف عن العصيان، والتمرد، والذين حاصروا الحسين وصفوه بالتمرد، وقالوا: إنه شق عصا المسلمين، وخرج عن الجماعة وإمام زمانه، ولكن مقولتهم باطلة. التمرد هو الخروج على الحكم العادل، والحكم اليزيدي لم يكن عادلاً، والخروج عليه هو الموقف الثائر، وليس الفتنة والتمرد والعصيان. إن الظالم يريد أن يخضع الجميع لإرادته، ولا يستطيع إلا حينما يسلب الشرعية منهم، أراد يزيد أن يسلب شرعية الحسين ونهجه ومشروعه عليه السلام، وأنى له ذلك؟ لا يستطيع أن يحقق ذلك. ظل الحسين شامخاً برؤيته وفكره ونهجه الإصلاحى، وذهب يزيد، ومن على نهجه إلى حيث لا يعلم.

شعارات صادقة

أيها الأعداء، إن الثورة تعني الشعارات الصادقة، الشعار الذي يحتوي مضموناً فكرياً صحيحاً، ويحتوي مدلولاً سياسياً واقعياً وصحيحاً، وما أكثر الشعارات التي رفعت في التاريخ، وبعضها كان يحمل مدلولات فكرية صحيحة، ولكنه لم يكن يحمل المدلولات السياسية الصحيحة، وقف الخوارج بوجه أمير المؤمنين علي عليه السلام ليقولوا: (لا حكم إلا لله) وكان كلاماً مدلوله الفكري صحيح - الحكم لله - ولكن مدلوله السياسي كان مدلولاً خاطئاً، «كلمة حق أريد بها باطل»^(٤٨٦) أرادوا أن يكفروا علياً عليه السلام، ويزيحوه ويحاصروه من خلال هذا الشعار.

صدقية الشعار في مدلوله الفكري وفي مدلوله السياسي شرط أساسي في أية ثورة صادقة. عشنا نفس المشكلة في عهد الحسين عليه السلام، فما أكثر الشعارات التي رفعت وما أكثر الشعارات التي أقيمت وكان الجميع يصلي ويقوم ويتعبد ولكن شتان بين صلاة وصلاة، عمر بن سعد قائد الجيش الذي قاتل الحسين وواجه الحسين عليه السلام كان يصلي وكان ملتزماً بالصلاة ولكن صلاته كانت لقلقة لسان بلا قيمة، صلاته دفعته إلى أن يصطف مع عبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية، والحر بن يزيد الرياحي كان يصلي أيضاً ولكنها صلاة جعلت منه أسطورة وجعلته يصطف مع الحسين عليه السلام، جعلته ينحاز إلى الحق ويقف ويدافع عن الحق، فالشعار الصادق هو الشعار الذي يكون له مدلول حقيقي على المستوى الفكري والسياسي.

دعوة وثبات

إنَّ الحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رفع شعار الإصلاح، وكان واضحاً في هذا الشعار، وكان ثابتاً في هذا الشعار، ولم تكن له مصالح شخصية أو أسرية أو حزبية أو فئوية من خلال الإصلاح، الحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رفع شعار الإصلاح وكان جاداً وصادقاً، وحينما طلب أن يتخلى عن هذا الشعار ويحصل على المكاسب أبى ذلك وقال مقولته الشهيرة: (هيهات منا الذلة) (٤٨٧).

خلودٌ، ونماءٌ

أيها الأعداء، إنَّ عاشوراء هذا العام تنتهي غداً كما انتهت عاشوراء السنة الماضية والسنين التي خلت من قبل، عاشوراء تمضي ولكن قضية الحُسَيْن تبقى حيةً في ضمائرنا، قائمةً في وجودنا، مستمرة في أعماق حركتنا وسلوكنا وأقوالنا وأفعالنا، وقضية الحُسَيْن لا تنتهي.

دروسٌ، وتطبيقٌ

نحنُ في مثل هذا اليومٍ كطالب جامعة يتخرَّج في جامعته، الجامعة تنتهي، ولكن العلم لا ينتهي، والعمل بما تعلمه الطالب لا ينتهي، مَنْ يدرس الطبَّ والهندسة ما إنَّ يتخرَّج حتى يتفرَّغ لممارسة المهنة. إنَّ عاشوراء بحسابِ الزمانِ منتهية، ولكنَّ دروس عاشوراء لا تنتهي في وجودنا ومجتمعنا.

منهجُ حكم

إنَّ شعار الحُسَيْن يمكن أن نلخصه بدولةٍ عادلةٍ لمواطنينٍ أحرار. هذا ما أرادته الحُسَيْن، وهذا ما عمل الحُسَيْن لتحقيقه، في مقابل دولة الامتيازات والطبقات والمحسوبيات والوجاهات والاستغلال للإمكانات التي كانت في متناول منهج الزبيدي، وشتان بين منهج الحُسَيْن ومنهج يزيد. إنَّ رسالة الحُسَيْن وثورته تدفعنا للدفاع عن حقوق متكافئة لجميع المواطنين بعيداً عن المشاريع الطائفية والعنصرية والسياسية الضيقة والفئوية المحدودة، لا بدَّ من أن تكون للمواطنين على اختلاف توجهاتهم وانتماءاتهم فرص متكافئة، وحظوظ متساوية في إدارة شؤون بلادهم وفي الخدمات والرفاه، وفي كلِّ شيء، هذه هي رسالة الحُسَيْن.

٤٨٧. ينظر: الملهوف على قتلى الطفوف، لابن طاووس: ١٥٦.

انتماء والتزام

إنّ التزامنا بنهج الحسين عليه السلام يدعونا لندافع عن العدالة الاجتماعية، ليعيش الناس عزّتهم وكرامتهم، ليعيش الناس كفاف المعيشة وتوافر الخدمات اللاتقة بهم، ليعيش الناس الفوارق الطبقيّة المتضائلة والقليلة وصولاً إلى اليوم الذي نعيش فيه متقاربين في ظروفنا وسياقاتنا، وردم الفجوة بين المسؤولين وعموم المواطنين، وهذه هي رسائل الحسين. إنّ المواقع والامتيازات والمنافع، التي يحصل عليها هذا المسؤول أو ذاك، يجب ألا تجعلهم يتعدون عن هموم الأمة ومحنتها، وأن يهبوا لحلّ مشاكل الناس والاهتمام بقضاياهم

كونوا أحراراً

إنّ علينا أن نصون الحرية، فرسالة الحسين هي رسالة العزّة والكرامة والحرية، الحرية في العقيدة وفي التوجهات السياسية، وفي التعبير عن الرأي، وفي تداول المعلومة، وفي النقد للواقع وتقييمه، ولكنّ النقد الحريص المشفق، النقد الذي يساعد على البناء، وليس الهدم والتخريب، وصولاً إلى الحريات الشخصية في إطار القانون والدستور بما ينسجم مع قيمنا العربية والإسلامية النبيلة، بما يمثّل حصانةً ومناعةً لمجتمعنا أمام الأخطاء والأخطار.

وحدة ووثام

إنّ الوثام الوطني والأخوة والمحبة والإيثار والمثابرة إنّما هي مهمة لتحقيق النجاح في أيّ عمل، ولا بدّ من بذل قصارى جهودنا لتحقيق هذه الأجواء وتنقية المناخ الاجتماعي العام في بلادنا وتعزيزها في مجتمعنا العراقي فإننا أهلّ مهما اختلفنا في ديانة، أو مذهب، أو قومية أو توجهات سياسية، إنّ الوطنية الحقيقية تكمن في تغليب المصالح العامة على أيّة مصلحة شخصية، أو حزبية، أو فئوية، أو طائفية، أو قومية.

اقتران يبعث التفاضل

نتفاعل خيراً في اقتران تشكيل الحكومة مع واقعة الطف، وثورة الحسين، وهذه المدرسة المعطاء برسائلها الكبيرة المؤثرة، لبناء الحياة، ونتمنى أن نشهد حكومة تتنهج نهج الحسين، نهج رسول الله، نهج عليّ، نهج الصحابة الأطهار، نهج أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام في تحقيق دولة عادلة لمواطنين أحرار.

عهدٌ واستقامةٌ

سَيِّدِي يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنَّا مَعَكَ ، وَعَلَى نَهْجِكَ وَنَسِيرِ عَلَى طَرِيقِكَ وَنَسْتَلْهُمُ الدَّرُوسَ وَالْعِبْرَ مِنْكَ وَمِنْ تَضَحِيَاتِكَ وَدَمَكِ الطَّاهِرِ وَمِنْ مَشْرُوعِكَ الْإِصْلَاحِيِّ الْكَبِيرِ الَّذِي يَحَقِّقُ لَنَا السَّعَادَةَ وَالْإِنْتَظَاقَ الْحَقِيقِيَّ وَالْعَدَالَةَ الْاجْتِمَاعِيَّةَ وَالسَّلَامَ وَالْوَثَامَ فِي مَجْتَمَعِنَا . إِنَّا مَعَكَ فِي مَشْرُوعِكَ الْإِنْسَانِي ، وَنَسْتَمِرُّ فِي التَّضَحِيَّةِ بِالْغَالِي وَالنَّفِيسِ مِنْ أَجْلِ أَنْ نَبْنِي وَطَنَنَا الْعِرَاقَ عَلَى هَذِهِ الْأَسْسِ الصَّحِيحَةِ وَالْقَوِيمَةِ ، أَسْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ السَّمْحِ ، أَسْسِ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ . السَّلَامُ عَلَى شُهَدَاءِ الْإِسْلَامِ ، وَشُهَدَاءِ الْعِرَاقِ ، وَشُهَدَاءِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَشُهَدَاءِ الْعَدَالَةِ .

تحيةٌ ووسامٌ

السَّلَامُ عَلَى شُهَدَاءِ الْمَقَابِرِ الْجَمَاعِيَّةِ وَالْأَنْفَالِ ، وَحَلْبَجَةَ ، وَكُلَّ قَطْرَةَ دَمٍ أُرِيقَتْ مِنْ أَجْلِ الْمَبَادِئِ السَّامِيَّةِ ، السَّلَامُ عَلَى الْمَرَاجِعِ الشُّهَدَاءِ ، وَعَلَى الشُّهَيْدِينَ الصُّدْرَيْنِ ، وَشُهَيْدِ الْمَحْرَابِ وَعَزِيزِ الْعِرَاقِ ، السَّلَامُ عَلَى شُهَدَاءِ الْإِرْهَابِ الْأَعْمَى فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْ مُسْلِمِينَ وَمَسِيحِيِّينَ وَدِيَانَاتٍ أُخْرَى . تَحِيَّةُ إِجْلَالٍ وَإِكْبَارٍ لِلْمَرْجِعِيَّةِ الدِّينِيَّةِ وَكُلِّ مَنْ يَقِفُ مَدَافِعًا عَنِ الْعِرَاقِ ، وَوَثَامِهِ وَسَلَامَتِهِ وَأَمْنِهِ وَاسْتِقْرَارِهِ وَإِعْمَارِهِ وَبِنَائِهِ ، السَّلَامُ عَلَى الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي سَاحَاتِ الْبِنَاءِ وَالْإِعْمَارِ وَكُلِّ الْمَجَالَاتِ ، تَحِيَّةُ إِجْلَالٍ وَإِكْبَارٍ لَخُدْمَةِ الْحُسَيْنِ ، لِلْمَوَاكِبِ الْحُسَيْنِيَّةِ ، لَكُمْ أَيُّهَا الْحُسَيْنِيُّونَ رِجَالًا وَنِسَاءً ، شَبَابًا وَشَبَابًا ، صَغَارًا وَكِبَارًا ، هُنَيْئًا لَكُمْ وَلِكُلِّ مَنْ يَسَاهِمُ فِي إِحْيَاءِ شَعَائِرِ الْحُسَيْنِ .

نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ لَنَا حُسَيْنِيَّينَ حَقًّا ، نَفَكُرُ بِنَهْجِ الْحُسَيْنِ وَنَتَحَدَّثُ بِلِسَانِ الْحُسَيْنِ وَنَنْظُرُ بِعَيْنِ حُسَيْنِيَّةٍ وَنَسْمَعُ بِأُذُنِ حُسَيْنِيَّةٍ ، لِنَكُونَ حُسَيْنِيَّينَ حَقًّا فِي كُلِّ سِيَاقَاتٍ عَمَلْنَا ، وَبِيقَى الْحُسَيْنِ شَامِخًا وَيَقَى نَهْجَهُ الْإِصْلَاحِيِّ قَوِيمًا وَمُهَيْمِنًا ، لِأَنَّ الْحَقَّ يَعْلُو وَلَا يُعْلَى عَلَيْهِ . أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .



الليلة العاشرة- بتاريخ ٢٠١١/١٢/٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين. السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك، وَأَنَاخْتُ بِرَحْلِكَ . عليك منّا جميعاً سلام الله أبداً ما بقينا وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منّا لزيارتكم . السلام على الحسين، وعلى علي بن الحسين، وعلى أولاد الحسين، وعلى أصحاب الحسين، الذين بدلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام . السلام عليكم أيها المؤمنون الحسنيون، ورحمة الله وبركاته .

كريلاء الأمس، وبغداد اليوم

في هذه الليلة الأليمة الحزينة ليلة العاشر من محرم، نقف عند درس آخر من دروس الحسين، ونستذكر تلك الملحمة العظيمة، وتلك البطولات التي لاحظناها في مثل هذه الليلة وفي يوم عاشوراء. وقف الحسين مدافعاً عن مشروعه الإنساني واصطف معه المدافعون عن الحق من مسلمين، ومسيحيين. نعرف أنه كان هناك مسيحيون وقفوا، وقاتلوا مع الحسين عليه السلام، واستشهدوا معه، لأن مشروعه كان مشروعاً إنسانياً، كان يبحث عن حياة عادلة، كان يبحث عن ترسيخ القيم والمبادئ الإنسانية.

وهذا ما جسده في واقعنا المعاش أيضاً، فالمسلمون والمسيحيون يقفون صفّاً واحداً للدفاع عن بلدهم، ومشروعهم ووطنهم، عن أمنهم، عن مستقبلهم، ويضحون معاً وامتزجت دماؤنا، وقدمنا التضحيات المشتركة من أجل هذا الوطن، وتلك القيم النبيلة التي نصطف جميعاً خلفها، ونعمل لترسيخها.

واليوم لدينا ضيوف أعزاء من كنيسة سيّدة النجاة وعدد من الكهنة الأكارم ومن المؤمنين المشاركين في هذه الكنيسة جاؤوا ليشاركونا حزننا، ولمواساتنا بسيد الشهداء، والاصطفاف مع قضيته العادلة، وكلنا قد فجعنا بجريمة كنيسة سيّدة النجاة وبسقوط العشرات من الشهداء والجرحى في ذلك التفجير المرّوع، إنّ الأهداف التي ينشدها أولئك الظالمون هي الأهداف التي لأجل تحقيقها اصطف قتل الحسين لتنفيذها.

حتمية الصراع

حينما نقول: «كلّ يوم عاشوراء، وكلّ أرض كربلاء» إنّما نعني أنّ الصراع بين الحقّ والباطل والصراع بين الخير والشر والصراع بين الظلمة والنور صراع يتجدّد في كلّ زمان وكلّ مكان، قد تختلف الصورة، أو تختلف الأسماء ولكنّ الجوهر يبقى واحداً، هو الصراع ذاته.

ليل العاشقين

ليلة عاشوراء كانت ليلة مصارحة، ليلة مكاشفة بين الحسين عليه السّلام وأهل بيته وأصحابه، أخبرهم بما ستؤول إليه أمورهم من قتلهم أجمعهم، قتل الرجال وسبي النساء والأطفال، حتى لا يغرّر بأحد، وطلب منهم أن يغادر من يشاء ويذهب لينجو بنفسه، ولكنهم أصرّوا على أن يكونوا مع الحسين.

كان من المفترض أن تتمّ المعركة في هذه الليلة، ولكنّ الحسين طلب من أولئك الأعداء أن يمهلوهم عشية هذه الليلة. لماذا؟ «لعلنا نصلي لربنا»^(٤٨٨). أراد الحسين في الساعات الأخيرة قبل أن يدخل هذه المعركة وينتقل إلى ربه أن يقضي ساعات في العبادة والصلاة والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى.

إنّها رسالة تعبر عن صدقية الحركة، تعبر عن الدوافع النزيهة الشريفة التي كانت لسيد الشهداء في هذه الثورة، كان ذكر الله حاضراً، القيم والمبادئ كانت حاضرة، المثل السامية كانت مستحضرة في تفاصيل هذه الثورة، وهذه أمور مهمة. طلبوا أن يمهلوهم عشية هذه الليلة: (لعلنا نصلي لربنا)، دوي صلاة الحسين وأهل بيته وأصحابه كدويّ النحل، كانوا مهللين مكبرين مسبحين ذاكرين لله، قضوا تلك الليلة بالابتهاج، ثم

استعدوا للمنازلة . درس عظيم نستقيه من ليلة عاشوراء ، أنه مهما كان الإنسان مشغولاً بأمور الدنيا وأمور حقة وصالحة وطيبة ومهتماً بنفسه وهموم الناس ، لكن هذا لا يغني عن التفريغ للعبادة والانقطاع لله سبحانه وتعالى .

هيهات منا الذلة

في كل ليلة نقف عند درس من دروس عاشوراء ، وفي هذه الليلة خطر ببالي أن نقف عند درس العزة والكرامة الإنسانية ، الكرامة الحسينية . كان الحسين عليه السلام يولي هذا الموضوع اهتماماً خاصاً ، كيف يظهر بمظهر العزة والقوة والصلابة والشموخ ، كيف يكرس هذا الانطباع ، ويعزز هذا المفهوم ؟ . أراد الحسين أن يكون عزيزاً في هذه المنازلة هو وأهل بيته وأصحابه ، أراد أن تكون العزة سمة الرجال والنساء ، سمة الكبار والصغار ، سمة الجميع قبل المعركة وحين المعركة وبعد المعركة ، أن يكونوا أعزة ، أن تظهر عليهم الصلابة والشموخ في مقابل إرادة العدو الذي كان يطمح إلى أن يهزم إرادتهم بأن يخضعهم ويركعهم ويكسر معنوياتهم قبل أن يكسرهم عسكرياً .

صراع الإرادات

كما قلنا ، كان الحسين يعرف النتائج ، إنه خرج ببضع عشرات من الناس وأمامه عشرات الألوف ، -ثلاثون ألفاً أو سبعون ألفاً على اختلاف الروايات- فالمعركة العسكرية محسومة سلفاً ، الكلام عن المعركة المعنوية . هل يستطيع الحسين أن يحافظ على العزة والشموخ والصلابة والثبات والقوة ، أو يسقط هو أو أهل بيته وأصحابه والضعاف من النساء والأطفال في مؤامرة الأعداء لإخضاعهم وإركاعهم ؟ ، وإلا كيف تُفسرون قطع الماء والطعام عن أولئك الأطفال والنساء ؟ .

الكبار يقاتلونكم ، ومن يقاتل عددهم قليل وأنتم عشرات الألوف ، إذ في مقابل كل واحد كان هناك ألف من الناس ، أولئك لا يخيفون في عددهم ، فلماذا يقطع الماء عنهم ؟ لماذا هذا الجوع ؟ ما هي فلسفة الجوع والعطش لجماعة قليلة محاطة بعشرات الألوف من الجيش والعسكر ؟ . ليس له معنى سوى محاولة إخضاعهم معنويًا وإذلالهم ، أن يطلبوا الاستسلام ، وحاشا لهم أن يطلبوا ذلك ، لم يطلبوا ، ولم يستسلموا . إن الخنوع والاستسلام والرضوخ مفاهيم غير واردة في قاموس أهل البيت وأهل الحق .

تبجح الجبناء

أراد الحسين أن يكون شامخاً وقويًا وأراد أصحاب يزيد أن يدلوا الحسين ومن معه ويخضعوه. كانت معركة معنوية بجانب المعركة العسكرية التي خاضوها، القضية أخذت أبعاد التشفي والأحقاد النفسية. كيف تُفسرون خروج عمر بن سعد وهو قائد العسكر أمام الآخرين ليقول: «اشهدوا لي عند الأمير أنني أول من رمى»^(٤٨٩)، ويرمي بسهمه نحو الحسين؟! ليست هذه معركة متكافئة بين جيشين، فبضع عشرات ونساء وأطفال في خيام، أخذ الظمأ والعطش والجوع منهم مأخذ، وهنا عشرات الألوف يأكلون ويشربون ومدججون بالسلاح، هذه ليست معركة متكافئة لتخرج وتبجح: «إني أول من رمى»، هذا تشفٍ، حالة حقدٍ، حالة خسةٍ، ودناءةٍ، حقارةٍ وهمجيةٍ... هكذا كان سلوكهم.

حرص الضحية

كان أصحاب الحسين في سجالاتهم وخطاباتهم وحواراتهم مع أولئك القوم يقولون لهم: إن هذا ابن بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وليس في هذه المعمورة والدنيا ابن بنت نبي فينا أو في غيرنا غيره، ليس هناك أحد عنده عنوان ابن بنت النبي غير الحسين، هذه خصوصيته، وإنه رجل مميز، وأنتم تعرفون ذلك، ويزيد يقبل منكم في طاعته دون قتل الحسين، فإذا ذهبتم إلى يزيد بدون قتل الحسين سيقبل منكم الطاعة، ولكنهم أصرّوا على قتل الحسين، على أن يقتلوه ويتشفّوا وأن يُعبّروا عن حقدهم اللذين بهذه الطريقة غير الإنسانية التي لا يمكن أن تخضع لأي موازين أو أي اعتبارات تخصّ الحروب والقتال والفروسية.

شموخ القائد

أراد الحسين أن يجهض مؤامرتهم، فكان يوصي أهل بيته وأصحابه والنساء والأطفال بالصبر والثبات والصمود، فإذا كان لا بدّ من هزيمة عسكرية على مستوى يوميات الحدث والقتال وأن يسقطوا شهداء فلتكن المعركة انتصاراً معنويًا، أراد أن ينتصر عليهم في الجانب المعنوي، وهذا ما تحقّق في أجلى صورة.

ينقل لنا أحد الرواة في السير والمقاتل ما جرى فيصف الحالة المعنوية للقائد قائلاً:

٤٨٩. كتاب الفتوح للكوفي، ج ٥-ص ١٠٠ و مثير الأحران لابن نما- ص ٤١

«والله ما رأيت مكسوراً قد قتل ولده وأهل بيته أربط جأشاً ولا أقوى جناناً من الحسين»^(٤٩٠) هكذا كان الحسين، وأهل بيته، أهل بيته وأصحابه مجزّرون كالأضاحي، يُقتلون الواحد تلو الآخر من الأطفال والكبار والشيوخ ولكنه كان أربط جأشاً، كان يتمتع بأعلى درجات رباطة الجأش، والقوة وتماسك الأعصاب، هذه كانت سمة مهمة للحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ثبات الأنصار

رباطة الجأش سمة لأصحاب الحسين أيضاً، لاحظوا كيف وصف الشاعر أحوالهم حين يقول:

قومٌ إذا نُودوا للدفع مُلمّةً والخيلُ بينَ مدعسٍ، ومكردسٍ
لبسوا القلوبَ على الدروعِ، وهرولوا يتهافتونَ على ذهابِ الأنفُسِ

الإنسان يلبس الدرع ليحمي القلب. أما أصحاب الحسين فلبسوا القلوب على الدروع، فأصبح القلب يحمي الدرع وليس العكس، «يتهافتون على ذهاب الأنفس» . . هؤلاء يتهافتون ويتسابقون ويتقدم بعضهم على الآخر في التضحية بالنفس، والشهادة في سبيل الله، وأن يقتل من أجل هذا الهدف السامي والقضية الحقّة . شيء مثير ومدهش، كيف يكون الإنسان في موضع يواجه كلّ هذا الحصار ويواجه كلّ هذه الضغوط النفسية ومع ذلك يتسابق إلى الموت، ويبقى قوياً عزيزاً منيعاً متماسكاً لا تأخذه في الله لومة لائم؟ .

كانوا يصرون على أن يتقدّم البعض على البعض الآخر، يريد أن يسبق الآخر ليذهب ويقاتل دون الحسين، ويدافع عن مبادئه، عن الحق، ويستشهد ويتقدّم على أخيه الآخر ولو ببضع دقائق .

نساء التغيير

هذا الإعداد أيضاً تركّز في أحد جوانبه المهمة على النساء، وهنّ الطرف الضعيف في القضية، ولم تكن النساء نساء عاديات، بل كن نسوة منكوبات، فهذه ستفقد زوجها، والأخرى تفقد أبا، وتلك تفقد ابنا، وهذه وتلك تفقد أبا، إلى آخره، هؤلاء سيفقدن

٤٩٠ . ينظر : الملهوف على قتلى الطفوف - ص ١٧٠ .

الكثير، قد تكون كل منهن تعيش حالة من الانكسار الداخلي، ولكنه يجب ألا يظهر هذا الانكسار عليهن، وألا يتخذن موقفاً ضعيفاً، لأنَّ الحُسين أراد أن ينتصر في معركة العِزَّة والكرامة والقوة المعنوية، وأراد أن يكون هو المنتصر، ويحبط مؤامرة عمر بن سعد وجيوشه وأمرائه الذين يصدرون له التعليمات، لكسر إرادة أولئك النسوة بعد مقتله واستشهاده.

التأريخ يحدثنا: إنَّ النجاح الباهر الذي حققه الحُسين وأصحابه من الرجال في ساحة المعركة، حققته النسوة في الصراع المعنوي بعد استشهاد الحُسين أيضاً، وبقيين بحالة مبهرة من التماسك والقوة والجلادة والشموخ الذي أدهش العالم، وأدهش الجميع، وفوّت الفرصة على الأعداء في إخضاع حرائر بيت النبوة وبيت الرسالة وكسر إرادتهنَّ وعزيمتهنَّ.

حزن لا انكسار

طبعاً لا بدّ من أن نُفرِّق بين الحزن والضعف والهزيمة والانكسار، والفرق واضح. الحزن وإظهاره وتجييش المشاعر واستدرار الدمعة ظاهرة إنسانية، وهي من الأخلاق الكريمة، وتعد من عناصر قوة الإنسان بأن تكون له مشاعر وقلب ينبض ويتحسس الآلام ويستشعرها، هذه قوة وليست ضعفاً في الإنسان. فالحزن شيء طبيعي وحالة إنسانية والإنسان السّوي يجب أن يكون بمشاعر وقلب وأحاسيس، وأن يتحسس الألم ويتفاعل معه، ولكنّ المذموم هو حالة الضعف والهزيمة والانكسار أمام الآخر. الحزن كان سمةً حاضرةً في الحُسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأصحابه ونسائه وأطفاله، لأنَّهم كانوا أناساً في قمة المشاعر النبيلة، وفي قمة العواطف الصادقة، فكيف يصادفون هذه المصائب الكبرى ولا يحزنون ولا يذرفون الدموع؟، أما الانكسار والهزيمة فلا، وألف لا.

إنَّ القلب ليحزن

إنَّ حالة الحزن نجدها في رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضاً، فالروايات والنصوص تخبرنا عن بكاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مواضع عديدة، فحينما فقد ابنه إبراهيم قد بكى وحزن عليه وقال مقولته الشهيرة: «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يُسخط الربّ،

وإنَّا بك يا إبراهيم لمحزونون»^(٤٩١). العين تدمع والقلب يحزن ولكن لا نقول ما يسخط الرب، لا ننكسر، لا نتجاوز، لا نتناول، لا نأتي بالموقف البعيد عن الثوابت والأطر الصحيحة، أما الحزن فمشروع. وحينما هاجر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من مكة إلى المدينة كانت مكة وطنه والمدينة التي ولد فيها وعاش فيها كل هذا العمر الطويل، ٥٣ سنة عاشها في مكة، وهو الآن يريد أن يهاجر، شق عليه ذلك وقال ما تركناك طوعا، القلب يحزن إليك يا مكة ولكن الظروف تتطلب أن نهاجر ونغادر. كذلك يخبرنا التاريخ أن رسول الله يكي عند عودته من أحد حينما عاد بعد تلك الانتكاسة التي أصابت المسلمين في معركة أحد وسقط شهداء أفاضل كبار كحمزة أسد الله هذا الرجل العظيم.

دعاء للدموع

كذلك في أديتنا المأثورة عن أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ نتعوذ من عين لا تدمع ومن قلب لا يخشع^(٤٩٢). إذن العين الباكية والقلب الخاشع حالة إنسانية راقية متكاملة، ولا بد من أن يكون الإنسان على هذا النحو. فرق كبير بين إظهار الحزن وإظهار العجز والانكسار، والضعف والهزيمة، فالأول أمر مطلوب والآخر مذموم.

اللهم تقبل منا هذا القربان

لاحظوا قوة وعزة النساء بعد استشهاد الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهن أسيرات ليس لهن ناصر أو مدافع. وكما تعرفون فإن الرجال استشهدوا كلهم، وكما يخبرنا التاريخ لم يبق من الرجال غير رجلين؛ علي بن الحسين السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان من الضعف ومن المرضى بمستوى اعتقدوا بأنه يحتضر فلم يقتلوه، ولعل الله سبحانه وتعالى أراد أن يحفظه من خلال المرض، والرجل الثاني الذي بقي على قيد الحياة هو الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام المجتبي، الذي أثنى بالجراح في ساحة المعركة ويبدو أنه أغمي عليه فتوقعوا أنه استشهد فتركوه، ولكن استفاق بعد انتهاء المعركة.

وكان شعار الجيش الأموي: (لا تبقوا لأهل هذا البيت باقية)، لا تبقوا أحداً من الرجال، اقتلوهم أجمعهم، وشاء يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد ألا يبقوا لأهل بيت النبوة والرسالة باقية، وشاء الله سبحانه وتعالى أن يكون لهم هذا الأثر

٤٩١. الكافي، ج: ٣، ص ٢٦٢

٤٩٢. من مأثور الدعاء عن النبي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ينظر بحار الأنوار ج: ٨٣، ص ١٨٧

الكبير، للهاشميين، لذراري رسول الله؛ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^(٤٩٣)، الخير الكثير في الزهراء البتول ونسلها، والآخر هو الأبتَر، يا رسول الله سنجعل الخير الكثير من خلال ابنتك فاطمة، واليوم نجد أن عشرات الملايين من المسلمين هم من ذراري رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وهم منتشرون في كلِّ أصقاع الأرض، أينما ذهبنا وجدنا الهاشميين، أبناء رسول الله، الذين ينتمون إليه بالنسب، وكلِّكم أبناء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بحمل الرسالة وتحمل أعباء المسؤولية.

على كلِّ حال، لو تركنا هذين الرجلين فما تبقى كلَّهنَّ نساء، وكان لأولئك النسوة الدور العظيم في تثبيت هذه القوة، والعزَّة والكرامة الحسينية من خلال مواقفهنَّ. وبعد أن دُفنت الأجساد الخبيثة لجماعة عمر بن سعد تركوا جسد الحسين، وأجساد أصحابه وأهل بيته مجزَّرين كالأضاحي على صعيد الأرض، وجاؤوا ليأخذوا النساء إلى الكوفة في إطار عملية الإخضاع والإذلال والإرْكَاع، في إطار عملية الهيمنة المعنوية على تلك النسوة.

أرادوا أن يمرّوا بهنَّ على الأجساد - على أجساد الضحايا - في طريق الذهاب إلى الكوفة، حتى ترى هذه ابنها وتلك أخاها أو أباه، لينكسرن وينهزمن نفسياً، وتنتهي العملية، ولكنَّ الموقف كان مختلفاً، جئنَ إلى تلك الأجساد تتقدّمهنَّ الحوراء زينب بنت علي عليهما السَّلام، وكان عند النسوة توجيهات بضرورة اتباع السيِّدة زينب عَلَيْهَا السَّلام. جاءت زينب تبحث عن جسد الحسين عليه السَّلام بين الأجساد، وجدته بين تلك الأجساد الطاهرة مغطى بالسهم والسيوف والنبال والحجارة، نفضت عن جسده الطاهر غبار المعركة، وأبعدت كلَّ تلك السيوف والحجارة والرماح عنه، كان جسد الحسين مقطَّع الأشلاء، وضعت يدها تحت ذلك الجسد الطاهر ونادت بصوت عالٍ: (اللهم تقبَّل منا هذا القربان... اللهم تقبَّل منا هذا القربان)^(٤٩٤).

ما رأيت إلاَّ جميلاً

عندما شاهدت النسوة أداء زينب تعاملن مع أبنائهنَّ وأزواجهنَّ بالطريقة نفسها، فكان الموقف مدهشاً لأولئك الأعداء، أجهض ذلك المشروع والمؤامرة، وظهرت زينب وظهرت النسوة مع زينب بالقوة الحسينية والعزَّة الحسينية التي تتصاغر أمامها الجبال

٤٩٣ . سورة الكوثر: الآية ١

٤٩٤ . الكبريت الأحمر ج٣-ص١٣، وينظر شجرة طوبى ج٢، ص٣٩٣

والكبار . كانت زينب تعرف من هو الحسين ، لأنه كان يُمثّل كل شيء لزينب ، فهو امتداد لأبيها أمير المؤمنين وهو البقية الباقية ، كانت تلوذُ به ، هذا موقع الحسين عندها ، ولكنها تقف لتقول : (اللهم تقبل منّا هذا القربان) .

ماذا تريد أن تقول بهذه الكلمة ؟ . وكأنها تريد أن تقول أيها العالم ، أيها الإنسان ، أيها التاريخ ، يا من يسمع ، ويتلقى هذا النداء في يوم من الأيام ، اعلّموا أننا لم نجبر على هذا الموقف ، بل نحن اخترناه بملء إرادتنا ، جئنا لنلاقي حتوفنا دفاعاً عن الحق ، دفاعاً عن حياة هذه الإنسانية المعذبة ، دفاعاً عن المبادئ والقيم التي تؤمن بها الإنسانية كلها ، إننا قدّمنا الحسين في طريق الحق من أجل الله سبحانه وتعالى ، يا ربنا تقبل منّا هذا القربان ، خذ حتى ترضى ، فكل شيء يقدم من أجلك يا ربنا ، نحن نقدم كل تضحياتنا ، ونعطي كل شيء من أجل السماء ومن أجل الله ، ومن أجل القيم والمثل .

وفي موقع آخر حينما وصلت زينب إلى الكوفة أراد عبيد الله بن زياد تفريعها فسألها : كيف رأيت صنع الله بأخيك الحسين ؟ ، كأنه يريد أن يهزمها ، إنها المعركة نفسها والمحاولات ذاتها .

ماذا أجابته زينب ؟ . . «والله ما رأيت إلا جميلاً ، هؤلاء رجال كتب الله عليهم القتل ، فبرزوا إلى مضاجعهم»^(٤٩٥) ، الله قدر لهم ذلك ، وهم استجابوا ولّبوا نداء الله ، وذهبوا ، وقدّموا واستشهدوا ، (ما رأيت إلا جميلاً) ، فأبى شيء أجمل من الانصياع لإرادة الله ، والانسجام مع مشروع السماء ، هؤلاء قدّموا وضّحوا ، ولا يوجد أجمل من هذا الموقف ، فبرزت زينب بقوة ، وكرامة ، وعزة حسينية من جديد .

ولو أردنا أن نستقري في هذه المواقف ، القوة الحسينية ، لوجدناها صفة ملازمة لكل مراحل الثورة وفصولها . تعرفون أن عبيد الله بن زياد وتوجيهه من يزيد بن معاوية قد قطع الطريق إلى كربلاء لكي لا يصل الإمام عليه السلام إلى الكوفة ، وألا تقع المعركة فيها ، فلماذا صنع ذلك ؟ .

كان الغرض من ذلك هو التعقيم ، فكربلاء صحراء قاحلة آنذاك ، تجري المعركة فيها ويقتل هؤلاء فيقتال عنهم خوارج ، وينتهي كل شيء ، وحتى أجسادهم تأكلها الحيوانات المفترسة أو تغطّيها العواصف الرملية وينتهي كل شيء ، ويبقى يزيد ، والحكم البيدي شامخاً كما يزعمون ، فالهدف من قطع الطريق على الحسين عليه السلام هو إخفاء الجريمة ،

وتزويرُ الحقيقة وإظهارهم بصورة الخوارج، وكانوا أناساً متشددين متعجرفين مغرراً بهم، طُبِعَ على قلوبهم شيءٌ لا يقبلون غيره، وكانت الخطة اليزيدية تقضي بقتل الحسين في الصحراء، وجلب الرؤوس، ووصفهم بالخوارج، والناس تكرهُ الخوارج فيمحي ذكرهم.

والله لا تمحو ذكرنا

كانت هناك مؤامرةٌ لمحو الذكر، حتى لا يبقى لهؤلاء باقيةٌ وذكرٌ، ولا يُسمع عنهم شيءٌ، فنتهي العملية. هنا تظهر العزة الزينية، العزة الحسينية، فوّت الحوراء الفرصة على نجاح هذه المؤامرة، جاءت إلى الكوفة، والناس تدقُّ الطبول وتهلُّ فرحاً، هؤلاء خوارج!!! وقفت الحوراء وخطبت خطبتها الشهيرة، قلبت الميمنة على الميسرة، أي خوارج؟! هؤلاء أولادُ رسول الله، أولاد علي بن أبي طالب، الذي كان الخليفة في الكوفة، وعاش فيها سنوات وكانوا يعرفونه جيداً، لم يمض على استشهاد أمير المؤمنين غير عشرين عاماً، كبار السن ومتوسطه يعرفون علياً، ومنطق علي، أي صلة تربط كل ذلك بالخوارج؟!، فكشفت الحقيقة، وفضحت المؤامرة.

وأينعت الجراح

استمرَّ الركبُ يؤدِّي دوره، وكانت السلطةُ مجبورةً على نقلهم بطرق تمرُّ بالمدن، والقرى وتحاشت نقلهم في قلب الصحراء، للإمعان في التشفي، ولإشاعة حالة الرعب ولصعوبة توفير الماء والطعام، تضاف إليها مشكلة الأمن، فكانت القوافل تختار طرق المدن والقرى والأماكن المأهولة، وهذا ما أعطى الحوراء زينب فرصة للتعريف بظلامه سيّد الشهداء وقضية الحسين في كل مدينة وقرية نزلوا بها في الطريق وصولاً إلى الشام، وتعرّف الناس الحقيقة فانقلب السحر على الساحر، «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ»^(٤٩٦)، حتى زوجة يزيد بن معاوية خرجت معترضة، تتحدّث، وتقرّع يزيد، فما بالك بعموم الناس؟.

الأجواء اختلفت، أراد يزيد أن يمحو ذكر الحسين فتحوّلت القضية إلى قضية كبيرة وضعت في موقف يحاول فيه التنصّل من مسؤوليته ليرمي الكرة في ملعب عبيد الله بن

زياد، والأخير رماها بدوره في ملعب عمر بن سعد، كلهم يريد أن يتصل من الموضوع، فاضطروا إلى إعادة سبايا النبي بطريقة محترمة. استطاعت السيدة زينب من خلال منطلق القوة والعزة والكرامة الحسينية أن تجهض ذلك المشروع.

دم في السماء

في هذه الليلة نستذكر عبد الله الرضيع، هذا الطفل الرضيع، الذي أصبح من أبطال واقعة الطف مكملاً للصورة الإنسانية لمشهد عاشوراء، ماذا نقول فيه سوى ما قاله صاحب العصر والزمان الحجة من آل محمد (عجل الله فرجه) في زيارة الناحية المقدسة: (السلام على عبد الله الرضيع المرمي الصريع المتشحط دماً، والمصعد بدمه إلى السماء)، حينما قتل عبد الله الرضيع أخذ الإمام الحسين عليه السلام بشيء من دمه ورمى به نحو السماء فلم يسقط منه قطرة، كما يروى عن الإمام أبي جعفر الباقر صلوات الله عليه، وهو ما يؤكد الإمام الحجة (عجل الله فرجه) في زيارة الناحية المقدسة: (المذبوح بالسهم في حجر أبيه).

طفل رضيع في حجر أبيه يتضور ألماً من العطش أخذه الحسين، ووضعه في حجره، وإذا بحرمة بن كاهل الأسدي يرميه بسهم في رقبته^(٤٩٧)، فيسقط شهيداً بهذه الطريقة الإجرامية، والإمام الحجة المنتظر (عجل الله فرجه) يترحم عليه.

هذه الجرائم البشعة، والصور المرعبة تعطينا صورة متكاملة عن مصداقية الحسين، وظلامته، وخسة ودناءة المشروع الآخر، مشروع الانتهازية، والمصالح الخاصة، التي تتجاوز كل الثوابت، وتذبح كل القيم من أجل مصالحها المحدودة، ومن أجل الحفاظ على سلطة، وموقع، ونفوذ، ومال زائل. نسأل الله أن يجعلنا حسينيين، وممن يسير على نهج الحسين عليه السلام.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٤٩٧. ينظر: اللهوف على قتلى الطفوف: ١٦٩.

الفهرست

| | |
|-----|--|
| ٥ | المقدمة |
| ٧ | الملتقيات الثقافية |
| ٩ | الملتقى الثقافي - بتاريخ ٩/٢/٢٠١١ |
| ٢٤ | الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٣/٢/٢٠١١ |
| ٣٦ | الملتقى الثقافي - بتاريخ ٩/٣/٢٠١١ |
| ٤٨ | الملتقى الثقافي - بتاريخ ١٦/٣/٢٠١١ |
| ٦٠ | الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٣ / ٣ / ٢٠١١ |
| ٧٢ | الملتقى الثقافي - بتاريخ ٣٠/٣/٢٠١١ |
| ٨٩ | الملتقى الثقافي - بتاريخ ٦/٤/٢٠١١ |
| ١٠٢ | الملتقى الثقافي - بتاريخ ١٣/٤/٢٠١١ |
| ١١٤ | الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠/٤/٢٠١١ |
| ١٢٥ | الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٧/٤/٢٠١١ |
| ١٣٩ | الملتقى الثقافي - بتاريخ ٤/٥/٢٠١١ |
| ١٥١ | الملتقى الثقافي - بتاريخ ١١/٥/٢٠١١ |
| ١٦٣ | الملتقى الثقافي - بتاريخ ١٨/٥/٢٠١١ |
| ١٧٦ | الملتقى الثقافي - بتاريخ ٨/٦/٢٠١١ |
| ١٩٠ | الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٢/٦/٢٠١١ |
| ٢٠٦ | الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠/٧/٢٠١١ |
| ٢١٩ | الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٧/٧/٢٠١١ |
| ٢٣٣ | الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢١/٩/٢٠١١ |

| | | | |
|-----|-------|------------|-------------------------------|
| ٢٤٧ | | ٢٠١١/٩/٢٨ | الملتقى الثقافي - بتاريخ |
| ٢٦٠ | | ٢٠١١/١٠/٥ | الملتقى الثقافي - بتاريخ |
| ٢٧٥ | | ٢٠١١/١٠/١٩ | الملتقى الثقافي - بتاريخ |
| ٢٨٨ | | ٢٠١١/١١/٢ | الملتقى الثقافي - بتاريخ |
| ٣٠١ | | ٢٠١١/١١/٢٣ | الملتقى الثقافي - بتاريخ |
| ٣١٥ | | | الأمسيات الرمضانية |
| ٣١٧ | | ٢٠١١/٨/٣ | الأمسية الأولى - بتاريخ |
| ٣٢٩ | | ٢٠١١/٨/٤ | الأمسية الثانية - بتاريخ |
| ٣٣٦ | | ٢٠١١/٨/٥ | الأمسية الثالثة - بتاريخ |
| ٣٤٦ | | ٢٠١١/٨/٦ | الأمسية الرابعة - بتاريخ |
| ٣٥٧ | | ٢٠١١/٨/٧ | الأمسية الخامسة - بتاريخ |
| ٣٦٥ | | ٢٠١١/٨/٨ | الأمسية السادسة - بتاريخ |
| ٣٧٢ | | ٢٠١١/٨/٩ | الأمسية السابعة - بتاريخ |
| ٣٨٠ | | ٢٠١١/٨/١٠ | الأمسية الثامنة - بتاريخ |
| ٣٨٨ | | ٢٠١١/٨/١١ | الأمسية التاسعة - بتاريخ |
| ٣٩٥ | | ٢٠١١/٨/١٢ | الأمسية العاشرة - بتاريخ |
| ٤٠٢ | | ٢٠١١/٨/١٣ | الأمسية الحادية عشرة - بتاريخ |
| ٤١٣ | | ٢٠١١/٨/١٤ | الأمسية الثانية عشرة - بتاريخ |
| ٤٢١ | | ٢٠١١/٨/١٥ | الأمسية الثالثة عشرة - بتاريخ |
| ٤٢٩ | | ٢٠١١/٨/١٦ | الأمسية الرابعة عشرة - بتاريخ |
| ٤٤١ | | ٢٠١١/٨/٢١ | الأمسية الخامسة عشرة - بتاريخ |
| ٤٥٠ | | ٢٠١١/٨/٢٢ | الأمسية السادسة عشرة - بتاريخ |
| ٤٦٠ | | ٢٠١١/٨/٢٣ | الأمسية السابعة عشرة - بتاريخ |
| ٤٦٧ | | ٢٠١١/٨/٢٤ | الأمسية الثامنة عشرة - بتاريخ |

| | | | | |
|-----|-------|------------|--------|---------------------------|
| ٤٧٧ | | ٢٠١١/٨/٢٥ | بتأريخ | الأمسية التاسعة عشرة- |
| ٤٨٥ | | ٢٠١١/٨/٢٦ | بتأريخ | الأمسية العشرون- |
| ٤٩٤ | | ٢٠١١/٨/٢٧ | بتأريخ | الأمسية الحادية والعشرون- |
| ٥٠٢ | | ٢٠١١/٨/٢٨ | بتأريخ | الأمسية الثانية والعشرون- |
| ٥١١ | | | | محاضرات شهر محرم الحرام |
| ٥١٣ | | ٢٠١١/١١/٢٦ | بتأريخ | الليلة الأولى - |
| ٥٢٤ | | ٢٠١١/١١/٢٧ | بتأريخ | الليلة الثانية - |
| ٥٣١ | | ٢٠١١/١١/٢٨ | بتأريخ | الليلة الثالثة - |
| ٥٤١ | | ٢٠١١/١١/٢٩ | بتأريخ | الليلة الرابعة - |
| ٥٤٩ | | ٢٠١١/١١/٣٠ | بتأريخ | الليلة الخامسة - |
| ٥٥٨ | | ٢٠١١/١٢/١ | بتأريخ | الليلة السادسة - |
| ٥٦٦ | | ٢٠١١/١٢/٢ | بتأريخ | الليلة السابعة - |
| ٥٧٤ | | ٢٠١١/١٢/٤ | بتأريخ | ذكرى تاسوعاء- |
| ٥٨١ | | ٢٠١١/١٢/٥ | بتأريخ | الليلة العاشرة- |
| ٥٩٢ | | | | الفهرست |